حياة الحيوان الكبرى

تأليف
كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري
المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

وضع حواشيه وقدم له
أحمد حسن بسج
دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان. ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الثانية

٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0743-7

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الزاي

الزاغ: من أنواع الغربان، يقال له الزرعي وغراب الزرع، وهو غراب أسود صغير، وقد يكون محمر المنقار والرجلين، ويقال له غراب الزيتون، لأنه يأكله. وهو لطيف الشكل حسن المنظر لكن وقع في عجائب المخلوقات، أنه الأسود الكبير وأنه يعيش أكثر من ألف سنة، وهو وهم، والصواب الأول.

عجيبة: رأيت في المنتقى، من انتخاب الحافظ السِّلفي[1]، وفي آخر ورقة من عجائب المخلوقات، عن محمد بن اسماعيل السعدي، أنه قال: وجه إلى يحيى[2] بن أكثم، فتوجهت إليه، فلما دخلت عليه، إذا عن يمينه قمطر فأجلسني، وأمر أن يفتح، فإذا شيء خرج منه رأسه كرأس إنسان، ومن أسفله إلى سرَّته على هيئة زاغ، وفي صدره وظهره سلعتان، قال: ففزعت منه ويحيى يضحك، فقلت له: ما هذا أصلحك الله؟ فقال لي: سل عنه منه! فقلت له: ما أنت؟ فنهض وأنشد بلسان فصيح:

أنا الزاغ أبو عجوه ... أنا ابنُ الليث واللبوه[3]
أحبّ الراحَ والريحا ... ن والقهوةَ والنشوه[4]
فلا عدوى يدي تخشى ... ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياءُ تُستطرف ... يومَ العُرسِ والدعوه
فمنها سلعةٌ في الظهـ ... ـر لا تسترها الفروه
وأما السّلعةُ الأخرى ... فلو كان لها عروه
لما شكَّ جميعُ النا ... س فيها أنها ركَوه

ثم صاح ومدّ صوته زاغ زاغ، وانطرح في القمطر. فقلت: أعز الله القاضي وعاشق أيضاً! فقال:

---

(١) السِّلفي: أحمد بن محمد بن سِلفة الأصفهاني، أبو طاهر، حافظ محدّث توفي في الاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ.

(٢) ابن أكثم: يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد، قاضٍ، فقيه، له كتب قيمة. توفي بالربذة من قرى المدينة المنورة سنة ٢٤٢ هـ.

(٣) الليث: من اسماء الأسد، واللبوة انثاه.

(٤) الراح: الخمرة.

هو ما ترى لا علم لي بأمره، إلا أنه حمل إلى أمير المؤمنين، مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله، لم أقف عليه، انتهى. وهذا الخبر قد رواه الحافظ أبو طاهر السلفي على غير هذه الطريقة، وهو ما أخبر به موسى الرضي قال: قال أبو الحسن علي بن محمد: دخلت على أحمد بن أبي داؤد، وعن يمينه قمطر فقال لي: اكشف وانظر العجب، فكشفت فخرج علي رجل طوله شبر من وسطه إلى أعلاه رجل، ومن وسطه إلى أسفله صورة زاغ ذنبا ورجلا، فقال لي: من أنت؟ فانتسبت له ثم سألته عن اسمه فقال:

أنا الزاغ أبو عجوه ... حليف الخمر والقهوه
ولي أشياء لا تنكر ... يوم القصف في الدعوه
فمنها سلعة في الظهـ ... ـر لا تسترها الفروه
ومنها سلعة في الصد ... ر لو كان لها عروه
لما شك جميع النا ... س حقا أنها ركوه

ثم قال أنشدني شيئاً في الغزل فأنشدته:

وليل في جوانبه فضولُ ... من الإظلام أطلسُ غيهبانِ[1]
كأن نجومَه دمعُ حبيس ... ترقرقَ بين أجفان الغواني[2]

فصاح وأبي وأمي! ورجع إلى القمطر وستر نفسه، فقال ابن أبي دؤاد: وعاشق أيضاً!

قال ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم: إنه لما ولي البصرة، كان سنه نحو عشرين سنة، فاستصغره أهل البصرة، وقالوا له: كم سن القاضي؟ فعلم أنهم استصغروه، فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي عليه الصلاة قاضياً على مكة يوم الفتح، ومن معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على اليمن، ومن كعب بن سور الذي وجه به عمر رضي الله تعالى عنه قاضياً على البصرة، فجعل جوابه احتجاجاً. قيل: لما أراد المأمون أن يولي رجلا القضاء، وصف له يحيى بن أكثم فاستحضره، فرآه دميم الخلق فاستحقره، فعلم يحيى ذلك فقال: يا أمير المؤمنين سلني إن كان القصد علمي لا خلقي. فسأله فأجابه، فقلده القضاء. قال: ولم يعلم أحد غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبي دؤاد[3] المعتزلي وكان حنفياً، ولم يكن على الإمام أحمد رحمه الله تعالى في محنته أشد منه. وسيأتي ذكر طرف من محنته في باب الكاف، في لفظ الكلب إن شاء الله تعالى. قال: وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب، فتركها الناس لطولها، وكان ليحيى يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله، وهو أن المأمون كان في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة ولم يستطع أحد أن يحتج عليه في تحريمها غير يحيى، فقرر عنده تحريم المتعة، فقال المأمون: أستغفر الله تعالى، نادوا بتحريم نكاح المتعة.

---

(١) الأطلس: الممحو، أو الوسخ. الغيهبان: البطن. (٢) الغواني: الحسناوات.
(٣) ابن أبي دؤاد: أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك، القاضي المعتزلي، له أخبار مع المعتصم الخليفة العباسي، مات سنة ٢٤٠ هـ.

وروي أن رجلاً قال ليحيى: أيها القاضي كم آكل؟ فقال: فوق الجوع، ودون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك، ولا يعلو صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تمل من البكاء من خشية الله. قال: فكم أخفي عملي؟ قال: ما استطعت. قال: فكم أظهر منه؟ قال: ما يقتدى بك البر، ويؤمن عليك قول الناس. فقال الرجل: سبحان الله قول وعمل ظاعن. قال: ولم يكن في يحيى ما يعاب به سوى ما كان يتهم به مما هو شائع عنه من محبة الصبيان، وحب العلو. وكان إذا رأى فقيهاً سأله عن الحديث، أو محدثاً سأله عن النحو، أو نحوياً سأله عن الكلام ليخجله ويقطعه، فدخل عليه يوماً رجل من أهل خراسان، فناظره فرآه متفنناً حافظاً، فقال له: نظرت في الحديث؟ قال: نعم. قال: ما تحفظ من الأصول؟ قال: أحفظ عن شريك عن أبي اسحاق عن الحارث، أن علياً رضي الله تعالى عنه رجم لوطياً فأمسك ولم يكلمه. وتوفي بالربذة ودفن هناك سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائتين.

ونقل أنه رؤي في المنام بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، إلا أنه وبخني وقال لي: يا يحيى خلطت على نفسك في دار الدنيا. فقلت: يا رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنك قلت إني لأستحيي أن أعذب ذا شيبة مسلماً بالنار». فقال: قد عفوت عنك يا يحيى، وصدق نبيي إلا أنك خلطت على نفسك في دار الدنيا.

الذُمامة بالذال المعجمة رداءة الخلق بضم اللام وبالدال المهملة رداءة الخلق بإسكان اللام، وأكثم بالثاء المثلثة، والرَّبذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة، قرية من قرى المدينة، على طريق الحاج، وهي التي نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهما إليها، فأقام بها حتى مات، وقبره ظاهر هناك يزار كما تقدم.

الحكم: يحل أكل الزاغ، وهو الأصح عند الرافعي، وبه قال الحكم وحماد ومحمد بن الحسن، وروى البيهقي في شعبه قال: سألت الحكم عن أكل الغربان قال: أما السود الكبار فأكره أكلها، وأما الصغار التي يقال لها الزاغ فلا بأس بها. والأمثال تأتي إن شاء الله تعالى، في باب الغين المعجمة، في لفظ الغراب.

الخواص: لسان الزاغ يجفف ويأكله العطشان يذهب عطشه، ولو في وسط تموز، وكذلك قلبه إذا جفف وسحق وشربه إنسان لا يعطش في سفره، فإن هذا الطائر لا يشرب ماء في تموز، ومرارته تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين وتسود الشعر إذا طلي بها سواداً عجيباً وحوصلته تمنع نزول الماء عند مباديه.

التعبير: الزاغ الذي في منقاره حمرة تدل رؤيته على رجل ذي سطوة ولهو وطرب. وقال ارطامدورس: الزاغ في المنام يدل على ناس يحبون المشاركة، وربما دل على أناس فقراء، وقيل: إنه يدل على الولد من الزنا والرجل الممزوج بالخير والشر والله أعلم.

الزاقي: الديك والجمع الزواقي، يقال: زقا يزقو إذا صاح، وكل صائح زاق. وفي حديث

هشام بن عروة أنت أثقل من الزواقي يريد أنها إذا زقت سحراً تفرق السمار والأحباب. والزقو والزقي مصدر وقد زقا الصدى يزقو ويزقى زقا أي صاح وكل زاق صائح، قاله الجوهري وقد تقدم في البومة قول توبة بن الحمير[1] صاحب ليلى[2] الأخيلية:

ولو أنّ ليلى الأخيليةَ سلّمت ... علي ودوني جندلٌ وصفائحُ[3]

لسلمتُ تسليم البشاشةِ أو زَقا ... إليها صدى من جانب القبرِ صائحُ

وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الصاد المهملة، في لفظ الصدى.

الزامور: قال التوحيدي: إنه حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس، يستأنس باستماعها، ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات أهلها، وإذا رأى الحوت الأعظم، يريد الاحتكاك بها وكسرها، وثب الزامور ودخل أذنه، ولا يزال يزمر فيه حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب جرفاً أو صخرة. فإذا أصاب ذلك فلايزال يضرب به رأسه حتى يموت. وركاب السفن يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه ليدوم ألفه لهم وصحبته لسفنهم ليسلموا من ضرر السمك العادي وإذا ألقوا شباك الصيد، فوقع الزامور أطلقوه لكرامته.

الزبابة: بفتح الزاي والباءين الموحدتين، بينهما ألف: الفأرة البرية تسرق ما تحتاج إليه وما تستغني عنه. وقيل: هي فأرة عمياء صماء، وجمعها زَباب ويشبه بها الرجل الجاهل قال الحارث بن كَلَدة[4]:

ولقد رأيتُ معاشرا ... جمعوا مالاً وولدا

وهم زَبابُ حائرٌ ... لا تسمعُ الآذان رعدا

أي لا يسمعون شيئاً يعني موتى. وصف الزباب بالتحير، والتحير إنما يحصل للأعمى وأراد بذلك أن الأرزاق لم تقسم على قدر العقول، والولد بضم الواو وللواحد والجمع وقوله لا تسمع الآذان رعداً أي لا تسمع آذانهم، فاكتفى بالألف واللام عن الإضافة كقوله تعالى: ﴿فإنَّ الجنةَ هي المأوى﴾[5] وبين أن آذانهم لشدة صممهم لا يسمعون بها الرعد. قال الإمام الثعالبي، في فقه اللغة، يقال: في آذانه وقر، فإن زاد فهو صمم، فإن زاد فهو طرش، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد، فهو صلخ بالصاد المهملة والخاء المعجمة في آخره. انتهى. واختصت هذه الفأرة بالصمم، كما اختص الخلد بالعمى وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر حكمها، في باب الفاء، في لفظ الفأر.

---

(١) توبة بن الحُميِّر بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري، أبو حرب، من العشّاق المشهورين، أحب ليلى الأخيلية وشبب بها. قُتل سنة ٨٥ هـ. والبيتان في الحيوان للجاحظ: ٢/٢٩٩.

(٢) هي ليلى بنت عبدالله بن الرحّال بن شداد بن كعب، الأخيَلية العامرية، شاعرة فصيحة أحبها توبة الحميِّر، ماتت بعد ٨٥ هـ.

(٣) الجندل: الصخر.

(٤) الحارث بن كَلَدَة الثقفي، طبيب من أهل الطائف. اختلف في إسلامه. مات سنة ٥٠ هـ.

(٥) سورة النازعات: آية ٤١.

الأمثال: قالوا[1]: «أسرق من زبابة» لأنها تسرق ما تحتاج إليه وما تستغني عنه.

الزبزب: دابة كالسنور، قاله في العباب. وفي كامل ابن الأثير، في حوادث سنة أربع وثلثمائة، قال: وفيها خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزبزب، ويقولون إنهم يرونه في الليل على أسطحتهم وأنه يأكل أطفالهم وربما عض يد الرجل أو يد المرأة فيقطعها، وكان الناس يتحارسون منه ويتراعون ويضربون بالطسوت والصواني وغيرها ليفزعوه، وارتجت بغداد لذلك. ثم إن أصحاب السلطان صادوا حيواناً في الليل أبلق بسواد، قصير اليدين والرجلين، فقالوا: هذا هو الزبزب، وصلبوه على الجسر فسكن الناس انتهى.

الزَّخَارِف: جمع زُخْرُف وهو ذباب صغار ذات قوائم أربع يطير على الماء قال أوس بن حجر[2]:

تـذكـر عينـا من عـمان ومـاؤهـا ... لـه حـدبٌ تستنُّ فيه الـزخـارفُ

الزرزور: بضم الزاي طائر من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي تصويته قال[3] الجاحظ: كل طائر قصير الجناح كالزرازير والعصافير، إذا قطعت رجلاه لم يقدر على الطيران، كما إذا قطعت رجل الإنسان، فإنه لا يقدر على العدو. وسيأتي حكمه إن شاء الله تعالى، في باب العين المهملة، في العصفور.

فائدة: روى الطبراني وابن أبي شيبة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أنه قال[4]: «أرواح المؤمنين في أجواف طيور خضر، كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة»، وما أحسن قول شيخنا الشيخ برهان الدين القيراطي[5] رحمة الله تعالى عليه:

قـد قـلـتُ لـما مـر بي مـعـرضـا ... وكـفـه يحـمـلُ زرزورا

يـا ذا الـذي عـذَّبـني مـطلهُ ... إن لم يـزرْ حـقـاً فـزرزورا

وفي مناقب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، لعبد المحسن بن عثمان بن غانم، قال الشافعي: من عجائب الدنيا، طلسم على صفة الزرزور من نحاس في رومية، يصفر في يوم واحد من السنة فلا يبقى طائر من جنسه إلا أتى رومية وفي منقاره زيتونة، فإذا اجتمع ذلك عصر، وكان منه زيتهم في ذلك العام. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى في السودانية، في باب السين المهملة.

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٦.

(٢) أوس بن حَجَر بن عَتاب، شاعر جاهلي فحل وكان عاقلاً حكيماً في شعره. والبيت في ديوانه: ٦٩.

(٣) الحيوان للجاحظ: ٥/٢٢١.

(٤) رواه مسلم في الإمارة ١٢١، وأبو داوود جهاد ٢٥، وغيرهما، بلفظ: «أرواحهم في جوف طير خضر».

(٥) القيراطي: إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عسكر الطائي، برهام الدين، شاعر، أديب فقيه، من أهل القاهرة، جاور في مكة ومات فيها سنة ٧٨١ هـ.

وحكمه: الحل لأنه من أنواع العصافير.

ومن خواصه: أن لحمه يزيد في الباه، ودمه إذا وضع على الدماميل نفعها وإذا ذر رماد الزرزور على الجرح فإنه يختم بإذن الله تعالى.

التعبير: الزرزور دال على التردد في الأسفار، في البر والبحر، وربما دل على رجل مسافر يسافر كثيراً كالمكاري الذي لا يلبث في مكان، ونحوه وطعامه حلال لأنه حرم على نفسه الطعام والشراب لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة، فلم يتناول شيئاً من ذلك حتى تاب الله تعالى عليه. وربما دل على التخليط في الأعمال الصالحة أو السيئة، أو على رجل ليس بغني ولا فقير، ولا شريف ولا وضيع، وربما دل على المهانة والقناعة، بأدنى العيش واللعب وربما كان كاتباً والله أعلم.

الزُّرَّق: طائر يصاد به، بين البازي والباشق، قاله ابن سيده. وقال الفراء: هو البازي الأبيض. والجمع الزراريق وهو صنف من البازي لطيف، إلا أنه أحر وأيبس مزاجاً، ولذلك هو أشد جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى إقداماً، وفيه ختل وخبث، وخير ألوانه الأسود الظهر، الأبيض الصدر، الأحمر العين، قال الحسن بن هانىء في طريدته يصفه:

قد اغتدي بسفرة معلّقه ... فيها الذي يريده من مرفقهْ
مبكرا بزرق أو زرقه ... وصفته بصفة مصدقه
كأنّ عينَه لحسنِ الحدَقه ... نرجسة نابتة في ورقه
ذو مِنسَر مختضب بِعلقه ... كم وزةٍ صِدنا به ولقلقه
سلاحُه في لحمها مفرقُه

الحكم: تحريم الأكل كما تقدم في البازي.

الزرافة: كنيتها، وهي بفتح الزاعي المخففة وضمها، وهي حسنة الخلق، طويلة اليدين، قصيرة الرجلين، مجموع يديها ورجليها نحو عشرة أذرع، ورأسها كرأس الإبل، وقرنها كقرن البقرة، وجلدها كجلد النمر، وقوائمها وأظلافها كالبقر، وذنبها كذنب الظبي، ليس لها ركب في رجليها، وإنما ركبتاها في يديها، وهي إذا مشت، قدمت الرجل اليسرى واليد اليمنى، بخلاف ذوات الأربع كلها فإنها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى، ومن طبعها التودد والتأنس، وتجتر وتبعر ولما علم الله تعالى أن قوتها من الشجر، جعل يديها أطول من رجليها لتستعين بذلك على الرعي منها بسهولة. قاله القزويني في عجائب المخلوقات. وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة محمد بن عبد الله العتبي[1] البصري الإخباري الشاعر المشهور أنه كان يقول: الزرافة بفتح الزاي وضمها الحيوان المعروف وهي متولدة بين ثلاث حيوانات، بين الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان وهو الذكر من الضباع، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة

---

(١) العتبي: أبو عبد الرحمن، محمد بن عبيدالله بن عمرو، الأموي، شاعر بصري وأخباري توفي سنة ٢٢٨ هـ. وفيات الأعيان: ٣٩٨/٤.

والضبع، فإن كان الولد ذكراً، وقع على البقرة فتأتي بالزرافة، وذلك في بلاد الحبشة، ولذلك قيل لها الزرافة، وهي في الأصل الجماعة، فلما تولدت من جماعة، قيل لها ذلك. والعجم تسميها «اشتركا» و«يلنك» لأن اشتر الجمل وكاو البقرة ويلنك الضبع.

وقال قوم: إنها متولدة من حيوانات مختلفة، وسبب ذلك اجتماع الدواب والوحوش في القيظ، عند المياه، فتتسافد فيلقح منها ما يلقح، ويمتنع منها ما يمتنع، وربما سفد الأنثى من الحيوان ذكور كثيرة، فتختلط مياهها فيأتي منها خلق مختلف الصور والألوان والأشكال. والجاحظ لا يرضى هذا القول، ويقول: إنه جهل شديد، لا يصدر إلا ممن لا تحصيل لديه، لأن الله تعالى يخلق ما يشاء، وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه، كقيام الخيل والحمير، ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد ذلك وتحقق.

وفي حكمها وجهان: أحدهما التحريم، وبه جزم صاحب التنبيه وفي شرح المهذب للنووي أنها محرمة بلا خلاف، وأن بعضهم عدها من المتولد بين المأكول وغيره وقال بتحريمها القاضي أبو الخطاب من الحنابلة، والثاني الحل، وبه أفتى الشيخ تقي الدين بن أبي الدم[1] الحموي، ونقله عن فتاوي القاضي حسين وذكر أبو الخطاب ما يوافق الحل فإنه حكى في فروعه قولين في أن الكركي والبط والزرافة، هل تفدى بشاة أو تفدى بالقيمة؟ والفداء لا يكون إلا للمأكول. قال ابن الرفعة: وهو المعتبر، كما أفتى به البغوي قال: ومنهم من أول لفظها وقال: ليست الزرافة بالفاء بل بالقاف. قال الشيخ تقي الدين السبكي: هذا التعليل ليس بشيء لأنه لا يعرف. واختار في الحلبيات حلها كما أفتى به ابن أبي الدم، ونقله عن القاضي حسين وتتمة التتمة قال: وما ادعاه النووي ممنوع وما ادعاه أبو الخطاب الحنبلي يجوز حمله على جنس يتقوى بنابه، وأما هذا الذي شاهدناه فلا وجه للتحريم فيه. وما برحت أسمع هذا بمصر وقال ابن أبي الدم، في شرح التنبيه: وما ذكره الشيخ في التنبيه غير مذكور في كتب المذهب.

وقد ذكر القاضي حسين أنها تحل ثم قال: قلت هذا مع أنها أقرب شبهاً بما يحل، وهو الإبل والبقر، وذلك يدل على حلها ويمكن أن يقال: إنما ذكر الشيخ ذلك اعتماداً على ما ذكر أهل اللغة أنها من السباع، وتسميتهم لها بذلك تقتضي عدم الحل، وإذا كان كذلك فقد ذكر صاحب كتاب العين أن الزَّرافة بفتح الزاي وضمها من السباع ويقال لها بالفارسية «اشتركا» و«يلنك». وقد ذكر في موضع آخر أن الزرافة متولدة بين الناقة الوحشية والضبع، فيجيء الولد في خلقة الناقة والضبع، فإن كان الولد ذكراً عرض للأنثى من بقر الوحش فيلحقها، فتأتي بالزرافة. وسميت بذلك لأنها جمل وناقة، ولما كان كذلك وسمع الشيخ أنها من السباع اعتقد أنها من السباع حقيقة ولم يكن رآها فاستدل بذلك على تحريم أكلها انتهى. وقد تقدم أن الجاحظ لم يرتض هذا القول، وقال[2] إن هذا القول جهل بين، وإن الزرافة نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير.

---

(١) ابن أبي الدم: إبراهيم بن عبدالله بن عبد المنعم الهمداني الحموي، أبو إسحاق، من علماء الشافعية تفقه ببغداد، وسمع بالقاهرة، وكان مولده في حماة وفيها مات سنة ٦٤٢ هـ.

(٢) الحيوان للجاحظ: ٧/٢٤١.

قلت: وهذا الذي قاله الجاحظ معارض لما نقله ابن أبي الدم عن صاحب كتاب العين، من كونها متولدة بين مأكولين، وما تمسك به ابن أبي الدم من الشبه بالإبل والبقر شبه بعيد، لما يشاهد من طول يديها وقصر رجليها، ولو كان الشبه البعيد كافياً لحل أكل الصرّارة لشبهها بالجرادة ولجاز أكله، لأن خفه يشبه خف الجمل. وقد ذكر في شرح المهذب، أن بعضهم عد الزرافة من المتولد بين مأكول وغير مأكول، واستدل به على تحريمها وكلام الجاحظ ينفي هذا، ويقتضي الحل وهو المختار في الفتاوى الحلبيات كما سبق، وهو مذهب الإمام أحمد ومقتضى مذهب مالك، وقواعد الحنفية تقتضيه وإذا تعارضت الأقوال، وتساقط اعتبار مدلولها، رجعنا إلى الإباحة الأصلية، والتحقت هذه بما لا نص فيه بالتحريم والتحليل. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ذكر ما لا نص فيه بالتحريم والتحليل في باب الواو في الورل.

ومن خواصها: أن لحمها غليظ سوداوي رديء الكيموس.

التعبير: الزرافة في المنام تدل على الآفة في المال، وربما دلت على المرأة الجليلة أو الجميلة أو الوقوف على الأخبار الغريبة من الجهة المقبلة منها، ولا خير فيها إن دخلت البلد من غير فائدة، فإنها تدل على الآفة في المال، وما تأنس من ذلك كان صديقاً أو زوجاً أو ولداً لا تؤمن غائلته. وربما تعبر بالمرأة التي لا تثبت مع الزوج، لأنها خالفت المركوبات في ظهورها، والله أعلم.

الزِّرياب: قال في كتاب منطق الطير: إنه أبو زريق. قال: وحكي أن رجلاً خرج من بغداد، ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها، فوجد في طريقه أفراخ زرياب فاشتراها بالمبلغ الذي كان معه، ثم رجع إلى بغداد، فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها، فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخاً واحداً، وكان أضعفها وأصغرها، فأيقن الرجل بالفقر ولم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله ويقول: يا غياث المستغيثين أغثني! فلما أصبح زال البرد، وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح، يا غياث المستغيثين أغثني فاجتمع الناس عليه يستمعون صوته فاجتازت به أمة لأمير المؤمنين فاشترته بألف درهم انتهى.

فانظر كيف فعل الصدق مع الله تعالى، والإقبال بكنه الهمة في التضرع بين يديه وحضور القلب وعدم الالتفات إلى غيره من الغنى من الجهة الميؤوس منها! فما ظنك بمن ترك الأسباب والوسايط، وأقبل على الله تعالى إقبالاً لا يشغله عنه شاغل، ولا يحجبه حاجب، لأن حجابه نفسه وقد فني عنها فهناك لذ الخطاب وطاب الشراب، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وهو العزيز الوهاب.

الزُّغبة: دويبة تشبه الفأرة، قاله ابن سيده قال: وقد سمت العرب زغبة، وأشار بذلك إلى عيسى بن حماد[1] البصري زغبة روى عن رشد بن سعد وعبد الله بن وهب والليث بن سعد وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين.

الزُّغلُول: بضم الزاي فرخ الحمام مادام يزق يقال: أزغل الطائر فرخه إذا زقه والزغلول

(١) زُغبة: عيسى بن حمّاد بن مسلم بن عبدالله التجيبي بالولاء المصري، محدث ثقة، مات سنة ٢٤٨ هـ.

أيضاً اللاهج بالرضاع من الغنم والإبل والزغلول أيضاً الخفيف من الرجال.

الزّغيم: طائر وقيل بالراء غير المعجمة، قاله ابن سيده.

الزقة: طائر من طير الماء يمكث حتى يكاد يقبض عليه ثم يغوص في الماء فيخرج بعيداً قاله ابن سيده.

الزُّلال: بضم الزاي دود يتربّى في الثلج، وهو منقط بصفرة يقرب من الأصبع، يأخذه الناس من أماكنه ليشربوا ما في جوفه لشدة برده، ولذلك يشبه الناس الماء البارد بالزلال، لكن في الصحاح ماء زلال أي عذب. وقال أبو الفرج العجلي، في شرح الوجيز: الماء الذي في دود الثلج طهور، والذي قاله يوافق قول القاضي حسين فيما تقدم في الدود. والمشهور على الألسنة أن الزلال هو الماء البارد قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذي قال فيه النبي ﷺ «انه يبعث أمة وحده»:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المزنُ تحملُ عذباً زُلالاً

وما أحسن قول أبي فراس بن حمدان واسمه الحارث[1]:

قد كنت عدتي التي أسطو بها ... ويدي إذا خان الزمان وساعدي
فرميتُ منك بضد ما أمّلته ... والمرءُ يَشرَق بالزلال الباردِ

وقال الآخر:

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍ مريض ... يجد مراً به الماءَ الزلالا[2]

وما أحسن قول[3] وجيه الدولة أبي المطاع بن حمدان ويلقب بذي القرنين وكان شاعراً مجيداً ووفاته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة:

قالت لِطيفِ خيالٍ زارني ومضى ... بالله صفْه ولا تُنقص ولا تزدِ[4]
فقال: أبصرتُه لو مات من ظمأ ... وقلت: قف عن ورودِ الماءِ لم يردِ
قالتْ: صدقت الوفا في الحب عادته ... يا بردَ ذاك الذي قالت على كبدي

ومن محاسن[5] شعره:

ترى الثيابَ من الكتّان يلمحها ... نورٌ من البدرِ أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاصرُها ... والبدرُ في كلِّ وقتٍ طالعٌ فيها[6]

---

(١) ابن حمدان: أبو فراس، الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان، ابن عم سيف الدولة أمير حلب كان قائداً شجاعاً وشاعراً مجيداً، قتل سنة ٣٥٧ هـ. والبيت مع ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٥٩.

(٢) البيت في ديوان المتنبي ٣/٢٢٨.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ٢/٢٧٩.

(٤) الطّيف: الخيال.

(٥) وفيات الأعيان: ٢/٢٨٠.

(٦) في الوفيات: «تبلى معاجرها».

وقال آخر:

لا تعجبوا من بلا غلائله قد زر أزراره على القمرِ[١]

وهذا وما قبله يستشهد بهما على أن نور القمر يبلي ثياب الكتان كما قاله حذاق الحكماء، لاسيما إذا طرحت الثياب في الماء عند اجتماع النيرين الشمس والقمر، فإنها تبلى سريعاً في غير وقتها واجتماعهما من الخامس والعشرين إلى الثلاثين. ومن هنا يقال: ثوب حام إذا تفصد سريعاً وسببه ما ذكرناه، وقد أشار إلى ذلك الرئيس ابن سينا[٢] في أرجوزته بقوله:

لا تغسلَن ثيابَك الكتانا ولا تصد فيها كذا الحيتانا
عند اجتماع النيرين تبلى وذا صحيحٌ فاتخذه أصلا

فينبغي الاحتراس على ثياب الكتان من نور القمر ومن غسلها عند اجتماع النيرين كما ذكرناه.

الحكم: قال أبو الفرج العجلي، في شرح الوجيز: الماء الذي في دود الثلج طهور، والذي قاله يوافق قول القاضي حسين فيما تقدم في الدود والمشهور على الألسنة أن الزلال الماء البارد كما تقدم عن الجوهري وغيره.

الزُّماج: كرمان طائر كان يقف بالمدينة في الجاهلية على أطم ويقول شيئاً لا يفهم وقيل: كان يسقط في مربد، لبعض أهل المدينة، فيأكل ثمره فيرمونه فيقتلونه، ولم يأكل أحد من لحمه إلا مات. قال الشاعر:

أعلى العهد أصبحت أم عمرو ليت شعري أم غالها الزماجُ

قاله ابن سيده وغيره.

الزُّمَّج: مثال الخرد طائر معروف يصيد به الملوك الطير وأهل البزدرة يعدونه من خفاف الجوارح، وذلك معروف في عينه وحركته وشدة وثبه، ويصفونه بالغدر وقلة الوفاء والألفة لكثافة طبعه، وهو يقبل التعليم لكن بعد بطء. ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض، والمحمود من خلقه أن يكون لونه أحمر وهو أحد نوعي العقاب. وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى. قال الجواليقي: الزمج جنس من الطير يصاد به وقال أبو حاتم: إنه ذكر العقاب والجمع الزمامج. وقال الليث: الزمج طائر دون العقاب حمرته غالبة تسميه العجم دو برادران وترجمته أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه.

وحكمه: تحريم الأكل كسائر الجوارح.

الخواص: إدمان أكل لحم الزمج ينفع من خفقان القلب، ومرارته إذا جعلت في الأكحال

---

(١) الغلائل: الدروع، أو هي ثياب رقيقة تلبس تحت الدروع.

(٢) ابن سينا: الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق والطبيعيات والإلهيات، تقلّد الوزارة في همذان ومات فيها سنة ٤٢٨ هـ.

نفعت من الغشاوة، وظلمة البصر نفعاً بليغاً، وزبله يزيل الكلف والنمش طلاء.

زمج الماء: وهو الطائر الذي يسمى بمصر النَّورَس وهو أبيض في حد الحمام أو أكبر، يعلو في الجو ثم يزج نفسه في الماء ويختلس منه السمك ولا يقع على الجيف ولا يأكل غير السمك.

وحكمه: حل الأكل، لكن حكى الروياني عن الصيمري أن طير الماء الأبيض حرام، لخبث لحمه. قال الرافعي: والأصح أن جميع طير الماء حلال إلا اللقلق وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب اللام.

الزنبور: الدبر وهي تؤنث والزنابير لغة فيها وربما سميت النحلة زنبوراً، والجمع الزنابير. قال ابن خالويه، في كتاب ليس: ليس أحد سمعته يذكر كنية الزنبور إلا أبا عمر والزاهد فإنه قال: كنيته أبو علي وهو صنفان جبلي وسهلي: فالجبلي يأوي الجبال ويعشش في الشجر ولونه إلى السواد وبدء خلقه دود، ثم يصير كذلك، ويتخذ بيوتاً من تراب كبيوت النحل، ويجعل لبيته أربعة أبواب لمهاب الرياح الأربع، وله حمة يلسع بها، وغذاؤه من الثمار والأزهار. ويتميز ذكورها من إناثها بكبر الجثة. والسهلي لونه أحمر ويتخذ عشه تحت الأرض، ويخرج منه التراب كما يفعل النمل ويختفي في الشتاء لأنه متى ظهر فيه هلك، فهو ينام من البرد طول الشتاء كالميتة ولا يدخر القوت للشتاء بخلاف النمل، فإذا جاء الربيع وقد صارت الزنابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس، نفخ الله تعالى في تلك الجثث الحياة فتعيش مثل العام الأول، وذلك دأبها. ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد، في طبعه الحرص والشره، يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم، ويطير منفرداً ويسكن بطن الأرض والجدران، وهذا الحيوان بأسره مقسوم من وسطه ولذلك لا يتنفس من جوفه البتة ومتى غمس في الدهن سكنت حركته، وإنما ذلك لضيق منافذه، فإذا طرح في الخل عاش وطار. قال الزمخشري في تفسير سورة الأعراف: قد يجعل المتوقع الذي لابد منه بمنزلة الواقع. ومنه ما روي أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري دخل على أبيه وهو يبكي، وهو إذ ذاك طفل، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة فقال حسان: يا بني قلت الشعر ورب الكعبة! أي ستقوله. فجعل المتوقع كالواقع. وما أحسن قول الأول[1]:

وللزنبور والبازي جميعاً ... لدى الطيرانِ أجنحةٌ وخفقُ
ولكن بين ما يصطاد بازٌ ... وما يصطاده الزنبور فرق

وقد أجاد الشيخ زهير الدين بن عسكر[2] قاضي السلامية بقوله:

في زخرفِ القولِ تزيينٌ لباطلهِ ... والحقُّ قد يعتريه سوء تغييرِ[3]

---

(١) هو الحسين بن عبدالله بن رواحة، والبيتان في معجم الأدباء ١٥١/٣.

(٢) ابن عسكر: أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر الملقب ظهير الدين قاضي السلامية فقيه شافعي موصلي فاضل مات سنة ٦١٠ هـ.

(٣) الأبيات الثلاثة في وفيات الأعيان: ٣٣/١ دون عزو. وفي الأول: «سوء تعبير».

تقول هذا مجاجُ النحلِ تمدحه ... وإنْ ذممتَ فقل قيء الزنابير
مدحا وذما وما غيرت من صفة ... سحر البيان يُرى الظلماء كالنور[1]

وقال شرف الدولة[2] بن منقذ ملغزاً في الزنبور والنحل:

ومغردين ترنما في مجلس ... فنفاهما لأذاهما الأقوامُ
هذا يجود بما يجودُ بعكسه ... هذا فيحمد ذا وذاك يلامُ

روى ابن أبي الدنيا، عن أبي المختار التيمي، قال: حدثني رجل قال: خرجنا في سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنهيناه فلم ينته، فخرج يوماً لبعض حاجاته فاجتمع عليه الزنابير فاستغاث فأغثناه فحملت علينا فتركناه فما أقلعت عنه حتى قطعته قطعاً. وكذلك رواه ابن سبع في شفاء الصدور، وزاد: فحفرنا له قبراً فتصلبت الأرض فلم نقدر على حفرها فألقيناه على وجه الأرض، وألقينا عليه من ورق الشجرة والحجارة، وجلس رجل من أصحابنا يبول فوقع على ذكره زنبور من تلك الزنابير فلم يضره. فعلمنا أن تلك الزنابير كانت مأمورة. قال يحيى بن معين: كان يعلى بن منصور الرازي من كبار علماء بغداد، روى عن مالك والليث وغيرهما قال: فبينما هو يصلي يوماً إذ وقع عليه كور الزنابير، فما التفت ولا تحرك حتى أتم صلاته، فنظروا فإذا رأسه قد صارت هكذا من شدة الانتفاخ.

الحكم: يحرم أكله لاستخباثه، ويستحب قتله لما روى ابن عدي في ترجمة مسلمة بن علي عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[3]: «من قتل زنبوراً اكتسب ثلاث حسنات». لكن يكره احراق بيوتها بالنار قاله الخطابي في معالم السنن. وسئل الامام أحمد عن تدخين بيوت الزنابير فقال: إذا خشي أذاها فلا بأس به وهو أحب إلي من تحريقها. ولا يصح بيعها لأنها من الحشرات.

الخواص: إذا طرح الزنبور في الزيت مات، فإن طرح في الخل عاش كما تقدم. وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى في الزيت، ويطرح عليها سذاب وكراويا، وتؤكل تزيد في الباه وشهوة الجماع. وقال عبد الملك بن زهر: عصارة الملوخيا إذا طليت على لسعة الزنبور أبرأتها.

التعبير: الزنبور في المنام عدو محارب، وربما دل على البناء والنقاب والمهندس وعلى قاطع الطريق وذي الكسب الحرام وعلى المطرب الخارج الضرب، وربما دلت رؤيته على أكل السموم أو شربها. وقيل: تدل رؤيته على رجل مخاصم مهيب ثابت في القتال، سفيه خبيث المأكل. والزنابير إذا دخلت مكاناً فإنها جنود لهم هيبة وسرعة وشجاعة، يحاربون الناس جهاراً. وقيل: الزنبور رجل مجادل بالباطل وهو من الممسوخ وقالت اليهود: الزنبور والغراب يدل على المقامرين وسفاكي

---

(١) في الوفيات: مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما حسن البيان يُري الظلماء كالنور.

(٢) شرف الدولة: مسلم بن قريش بن بدران العقيلي أبو المكارم، صاحب الموصل. توفي سنة ٤٧٨ هـ. والبيتان في فوات الوفيات: ٢/١٧٨.

(٣) الكامل لابن عدي: ٦/٢٣١٨.

الدماء، وقيل الزنابير في المنام قوم لا رحمة لهم والله أعلم.

الزندبيل: الفيل الكبير أنشد يحيى بن معين:

وجاءت قريشُ البطاح إلينا هم الدول الجاليه
يقودهم الفيلُ والزندبيل وذو الضَّرسِ والشَّفَة العاليه

الزندبيل كبير الفيلة وقال يحيى: أراد بالفيل والزندبيل عبد الملك وأبان ابني بشر بن مروان قتلا مع ابن هبيرة الأصغر وأراد بذي الضرس والشفة العالية خالد بن مسلمة المخزومي المعروف بالفأفاء الكوفي، روى له مسلم والأربعة وروى عن الشعبي وطبقته، وروى عنه شعبة بن الحجاج والسفيانان وكان مرجئاً يبغض علياً رضي الله تعالى عنه، أخذ مع ابن هبيرة فقطع أبو جعفر المنصور لسانه ثم قتله.

الزُّهدم: زاي مفتوحة ثم هاء ساكنة ثم دال مهمة مفتوحة الصقر ويقال فرخ البازي وبه سمي زَهدم بن مضرب الجرمي، روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. والزهدمان أخوان من بني عبس زهدم وكردم وفيهما يقول قيس بن زهير(١):

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة

أبو زريق: القيق الآتي ذكره في باب القاف إن شاء الله تعالى. والزرياب المتقدم قبل بورقة، وهو ألوف للناس يقبل التعليم سريع الإدراك لما يعلم، وربما زاد على الببغاء وذلك أنه أنجب وإذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى لا يشك سامعه أنه إنسان وقد تقدم ذكره في الزرياب.

وحكمه: حل الأكل لعدم استخبائه لكن قيل إنه متولد من الشقراق والغراب، فعلى هذا يتخرج فيه وجه بالتحريم ولم يذكروه.

أبو زيدان: ضرب من الطير.

أبو زياد: الحمار. قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

وأبو زياد أيضاً الذكر قال الشاعر:

تحاول أن تقيمَ أبا زياد ودون قيامه شيبُ الغرابِ

وهو الزهدباج أيضاً قاله في المرصع.

باب السين المهملة

سابوط: دابة من دواب البحر قاله ابن سيده وغيره.

---

(١) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة، أمير عبس، من الدهاة العقلاء شاعر مجيد مات سنة ١٠ هـ.

ساق حر: هو بالسين المهملة وبالقاف بينهما ألف وحر بالحاء والراء المهملتين الورشان وهو ذكر القماري لا يختلفون في ذلك قال الكميت[(١)]:

تغريد ساق على ساق يجاوبها   من الهواتف ذات الطوق والعطل

عنى بالأول الورشان، وبالثاني ساق الشجرة وقال حميد بن ثور الهلالي[(٢)]:

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ   دعتْ ساق حر نزهةً وترنما[(٣)]
مطوقةٌ غراء تسجع كلما   دنا الصيفُ وانحال الربيعُ فأنجما
محلاة طوقٍ لم تكن من تميمةٍ   ولا ضرب صواغٍ بكفيه درهما
تغنتْ على غصنِ عشاء فلم تدع   لنائحةٍ من نوحها متألما[(٤)]
إذا حركتْه الريحُ أو مال ميلة   تغنتْ عليه مائلاً ومقوما
عجبتُ لها أنى يكون غناؤها   فصيحا ولم تثغر بمنطقها فما[(٥)]
فلم أر مثلي شاقه صوتُ مثلِها   ولا عربياً هاجه صوتُ أعجما

قال ابن سيده: إنما سمي ذكر القماري ساق حر لحكاية صوته، فإنه يقول: ساق حر ساق حر، ولذلك لم يعرب ولو أعرب لصرف، فيقال ساق حران كان مضافاً وساق حران كان مركباً فتصرفه لأنه نكرة، فترك إعرابه دليل على أنه حكى الصوت بعينه وهو صياحه، وقد يضاف أوله إلى آخره، وذلك كقولهم خاز باز لأنه في اللفظ أشبه بباب دار انتهى. والنزهة الشوق، والترنم الغناء وهما مصدران واقعان موقع الحال من الضمير الفاعل في دعت ساق حر الواقع في موضع الصفة لحمامة وسيأتي في باب القاف إن شاء الله تعالى في القمري.

السالخ: الأسود من الحيات وقد تقدم ذكره في الأفعى في باب الهمزة.

سامّ أبرص: بتشديد الميم قال أهل اللغة: وهو من كبار الوزغ وهو معرفة إلا أنه تعريف جنس وهما اسمان جعلا واحداً، ويجوز فيه وجهان أحدهما أن تبنيهما على الفتح كخمسة عشر، والثاني أن تعرب الأول وتضيفه إلى الثاني مفتوحاً، لكونه لا ينصرف ولا يثني ولا يجمع على هذا اللفظ، بل تقول في التثنية: هذان ساما أبرص وفي الجمع هؤلاء سوام أبرص، وإن شئت قلت: هؤلاء السوام ولا تذكر أبرص. وإن شئت قلت: هؤلاء البرصة والأبارص، ولا تذكر سام قال الشاعر:

والله لو كنتُ لهذا خالصاً   ما كنتُ عبداً آكلُ الأبارصا[(٦)]

---

(١) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل شاعر الهاشميين في العصر الأموي. مات سنة ١٢٦ هـ.
(٢) حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري أبو المثنى شاعر مخضرم. مات سنة ٣٠ هـ.
(٣) في معجم الأدباء: ٣/٢٦٦ وفيه: «ساق حر ومغرماً مترنماً».
(٤) في العقد الفريد: ٥/٤١٥.
(٥) في الحيوان للجاحظ: ٣/١٩٧. لم تثغر: لم تتكلم.
(٦) الحيوان للجاحظ (وعزاه لأبي زيد): ٤/٣٠٠.

ولك على الثاني أن تقول: أبرصان وأبارص كما صنع الشاعر، فإنه جمع على الثاني وإنما سمي هذا النوع بسام أبرص لأنه سم أي جعل الله فيه السم، وجعله أبرص. وسيأتي في باب الواو إن شاء الله تعالى، في ذكر الوزغ. ومن شأن هذا الحيوان، أنه إذا تمكن من الملح، تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص.

وحكمه: تحريم الأكل لاستقذاره وللأمر بقتله، وعدم جواز بيعه كسائر الحيوانات التي لا منفعة لها والله أعلم.

الخواص: دمه إذا طلي به داء الثعلب أنبت الشعر، وكبده يسكن وجع الضرس، ولحمه يوضع على لسعة العقرب ينفعها، وجلده يوضع موضع الفتق يذهبه، وهو لا يدخل بيتاً فيه رائحة الزعفران.

التعبير: سام أبرص والعظاية في التأويل: فاسقان يمشيان بالنميمة. وقال ارطاميدورس: سام أبرص يدل على فقرٍ وهم والله أعلم.

السانح: وما والاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما تقول سنح الظبي لي سُنوحاً إذا مر من مياسرك إلى ميامنك. والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح. وفي المثل: «من لي بالسانح بعد البارح»[1] قال أبو عبيدة: سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح، فقال: السانح ما والاك ميامنة، والبارح ما والاك مياسرة، وكان ذلك يصد الناس عن مقاصدهم فنفاه النبي ﷺ بالنهي عن الطيرة وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر قال لبيد[2]:

لعمرك ماتدري الطوارقُ بالحصا ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

والطيرةُ سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى، في الطير واللقحة، في بابي الطاء المهملة واللام.

السُّبَد: بضم السين وفتح الباء طائر لين الريش، إذا قطرت عليه قطرة من ماء جرت عليه من لينه وجمعه سبدان قال الراجز:

أكل يوم عرشِها مقيلي ... حتى ترى المئزرذا الفضول
مثل جناحِ السبد الغسيلِ

والعرب تشبه الفرس به إذا عرق قال طفيل العامري[3]:

كأنه سُبَدٌ بالماء مغسولُ

ولم أر لأصحابنا في حكمه كلاما.

السّبع: بضم الباء وإسكانها الحيوان المفترس والجمع أسبع وسباع وأرض مسبعة أي كثيرة السباع قرأ الحسن وابن حيوة وما أكل السبع بإسكان الباء، وهي لغة لأهل نجد قال حسان بن

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢١٠.

(٢) لبيد بن ربيعة العامري، أبو عقيل، شاعر مخضرم مات سنة ٤١ هـ. والبيت في ديوانه ٩٠.

(٣) طُفيل العامري هو ابن عامر بن واثلة الكناني، من الشجعان، قتل في ثورة ابن الأشعث سنة ٨٢ هـ.

ثابت رضي الله تعالى عنه في عتيبة بن أبي لهب:

مــن يــرجــعِ الــعــامَ إلى أهــلــه فــما أكيــل الســبــعِ بــالــراجــعِ

وقرأ ابن مسعود: وأكيلة السبع، وقرأ ابن عباس رضي تعالى عنهما: وأكيل السبع. قيل: سمي سبعاً لأنه يمكث في بطن أمه سبعة أشهر، ولا تلد الأنثى أكثر من سبعة أولاد، ولا ينزو الذكر على الأنثى إلا بعد سبع سنين من عمره. قال أبو عبد الله ياقوت الحموي، في كتاب المشترك، وضعاً في باب الغين المعجمة والباء الموحدة: الغابة موضع، بينه وبين المدينة أربعة أميال من ناحية الشام، له ذكر في غزوات النبي ﷺ «وفدت إليه، فيه السباع تسأله أن يفرض لها ما تأكله». وفي طبقات ابن سعد عن عبد الله بن حنطب قال: بينما النبي ﷺ جالس بالمدينة، إذ أقبل ذئب، فوقف بين يديه وعوى، فقال ﷺ: «هذا وافد السباع إليكم، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه، فما أخذ فهو رزقه». فقالوا: يا رسول الله ما تطيب أنفسنا بشيء، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أي خالسهم فولى. وقد تقدم في باب الذال المعجمة في لفظ الذئب طرف من ذلك.

ووادي السباع بطريق الرقة مر به وائل بن قاسط على أسماء بنت رويم، فهم بها حين رآها منفردة في الخباء فقالت: والله لئن هممت بي لأدعون أسبعي! فقال: ما أرى في الوادي سواك! فصاحت ببنيها يا كلب يا ذئب يا فهد يا دب يا سرحان يا أسد يا سبع يا ضبع يا نمر فجاؤوا يتعادون بالسيوف، فقال: ما هذا إلا وادي السباع! وفي الصحيحين[1] «نهى رسول الله ﷺ أن يفترش المصلي ذراعيه افتراش السبع». وروى الترمذي والحاكم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، يحدثه بما أحدث أهله من بعده»[2]. ثم قال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفاضل، وهو ثقة عند أهل الحديث وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي.

فائدة: سئل رسول الله ﷺ أنتوضأ بما أفضلت الحمر قال: «وبما أفضلت السباع»[3] خرجه الدارقطني قال السهيلي: يريد «نعم وبما أفضلت السباع» قال: ومثله قوله تعالى: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾[4] قالوا: إنها واو الثمانية وليس كذلك بل تدل على تصديق القائلين بأنهم سبعة لأنها عاطفة على كلام مضمر مصدق تقديره نعم. وثامنهم كلبهم كما إذا قال قائل: زيد شاعر. فقلت له: وفقيه أيضاً أي نعم وفقيه أيضاً. وفي التنزيل ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾[5] الآية قال الزمخشري: هذه الواو آذنت بأن الذين قالوا ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾[6] قالوا ذلك عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كغيرهم انتهى. وحكى القشيري، في أوائل الرسالة، عن بنان الجمال، وكان عظيم الشأن صاحب كرامات، أنه ألقي بين يدي سبع فجعل السبع يشمه ولا

---

(١) رواه مسلم: صلاة ٢٤٠ وابن حنبل ٦/٣١.
(٢) رواه الترمذي: فتن ١٦ وابن حنبل ٣/٨٤.
(٣) رواه النسائي: طهارة ٤٣. والترمذي: طهارة ٥٠.
(٤) سورة الكهف: آية ٢٢.
(٥) سورة البقرة: آية ١٢٦.
(٦) سورة الكهف: آية ٢٢.

يضره، فلما خرج قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شمك السبع؟ قال: كنت أتفكر في اختلاف العلماء في سؤر السبع.

قيل: حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي رضي الله تعالى عنهما فعرض لهما سبع، فقال سفيان لشيبان: أما ترى هذا السبع؟ فقال: لا تخف، ثم أخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه، فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا مخافة الشهرة لوضعت زادي على ظهره، حتى آتي مكة. وذكر الحافظ أبو نعيم في الحلية قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب، وليس عنده ماء دعا ربه فتجيء سحابة فتظله، فيغتسل منها ثم تذهب، وكان إذا ذهب للجمعة، خط حول غنمه خطاً فإذا جاء وجدها على حالها لم تتحرك، وذكر أبو الفرج بن الجوزي وغيره أن الإمام أحمد والشافعي مرا يوماً بشيبان الراعي فقال الإمام أحمد: لأسألن هذا الراعي وأنظر جوابه، فقال له الشافعي: لا تتعرض له، فقال: لابد من ذلك، فقال له: يا شيبان ما تقول فيمن صلى أربع ركعات فسها في أربع سجدات ماذا يلزمه؟ قال له: على مذهبنا أم على مذهبكم؟ قال: أهما مذهبان؟ قال: نعم، أما عندكم فيلزمه أن يصلي ركعتين ويسجد للسهو، وأما عندنا فهذا رجل مقسم القلب يجب أن يعاقب قلبه حتى لا يعود. قال: فما تقول فيمن ملك أربعين شاة وحال عليها الحول ماذا يلزمه؟ قال: يلزمه عندكم شاة وأما عندنا فالعبد لا يملك شيئاً مع سيده. فغشي على الإمام أحمد فلما أفاق انصرفا انتهى. قلت: وقد ذهب جماعة من علماء الآخرة إلى من سها فسدت صلاته، أخذاً بقوله ﷺ: «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقله منها فعلاً ولفظاً». قالوا: ولا تفسد الصلاة إلا بترك واجب، وإلا فأي معنى للركوع والسجود، والمقصود منهما التعظيم والحضور لا الغفلة والذهول؟! وهو حسن، وإنما أفتت العلماء رضي الله تعالى عنهم بصحة الصلاة بذلك لعجزهم عن الاطلاع على أسرار القلوب، وسلموها إلى أربابها ليستفتوا نفوسهم، ليدفع الفقهاء كيد الشيطان وشقشقته عمن يقول لا إله إلا الله، وليقيموا الصلاة، ولم يفتوا بأن ذلك نافع لهم في الآخرة، ما لم يطابق عليه القلب اللسان مع الإخلاص لله والإخلاص لله واجب في سائر الأعمال. والاخلاص هو ما صفا عن الكدر، وخلص من الشوائب. قال تعالى: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾[1] فكما أن خلوص اللبن من الفرث والدم، فكذلك إخلاص الأعمال من الرياء وحظوظ النفس جميعاً وقد تكلمت على ذلك كلاماً طويلاً في الجوهر الفريد فلينظر هناك وبالله التوفيق. ورأيت في بعض المجاميع أن الشافعي رضي الله تعالى عنه كان يجلس إلى شيبان الراعي ويسأله عن مسائل فقيل له: مثلك يسأل هذا البدوي فيقول لهم: هذا وفق لما علمناه. وكان شيبان أمياً وإذا كان محل الأمي منهم من العلم هكذا فما ظنك بأئمتهم وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعي وغيره رضي الله تعالى عنهم يعترفون بوفور فضل علماء الباطن وقد قال الإمامان الجليلان الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما: إذا لم يكن العلماء أولياء الله تعالى، فليس لله ولي. وقد حكى غير واحد من الحفاظ أن أبا العباس بن شريح، كان إذا أعجب الحاضرين ما يبديه لهم من العلوم، يقول لهم: أتدرون من أين لي هذا؟ إنما حصل من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه. وكان من دعاء شيبان: يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد،

---

(١) سورة النحل: آية ٦٦.

يا مبدىء يا معيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يزول، وبنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك، أن تكفيني شر الظالمين أجمعين. وقد ذكر بعضهم قصيدة ذكر فيها أسماء جماعة من الأولياء قدس الله أسرارهم فمنها:

شيبان قد كان راعي وسر سره ما اختفى
فاجهد وخلِّ الدعاوى إن كان لك شيء بان

وفي الرسالة، في باب كرامات الأولياء، أن سهل بن عبد الله التستري[1]، كان في داره بيت تسميه الناس بيت السباع، كانت السباع تجيء إليه فيدخلهم ذلك البيت، ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخلي سبيلهم.

وفي كفاية المعتقد في ذكر ما زوي لهم من الأرض من غير حركة، وهو أفضل من الطيران في الهواء، والمشي على الماء، عن سهل بن عبد الله التستري، قال: توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع، وذلك في أيام البداية، فوجدته قد امتلأ بالناس، وقد هم الخطيب أن يرقى المنبر، فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست، وإذا عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار الصوف، فلما نظر إلي قال: كيف نجدك يا سهل قلت: بخير أصلحك الله وبقيت مفكراً في معرفته لي وأنا لم أعرفه، فبينما أنا كذلك إذ أخذني حرقان بول فأكربني، فبقيت على وجل خوفاً أن أتخطى رقاب الناس، وإن جلست لم يكن لي صلاة فالتفت إلي وقال: يا سهل أخذك حرقان بول؟ فقلت: أجل فنزع حرامه عن منكبيه فغشاني به، ثم قال: اقض حاجتك وأسرع لتلحق الصلاة. قال: فأغمي علي فلما فتحت عيني، وإذا بباب مفتوح فسمعت قائلاً يقول: لج الباب يرحمك الله، فولجت فإذا أنا بقصر مشيد عالي البنيان شامخ الأركان، وإذا بنخلة قائمة وإلى جانبها مطهرة مملوءة أحلى من الشهد ومنزل لإراقة الماء، ومنشفة معلقة وسواك، فحللت لباسي وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعت منادياً: يا سهل إن كنت قضيت أربك فقل: نعم، فقلت: نعم. فنزع الحرام عني فإذا أنا جالس مكاني ولم يشعر بي أحد. فبقيت مفكراً في نفسي وأنا مكذب نفسي فيما جرى فقامت الصلاة فصليت ولم يكن لي شغل إلا الفتى لأعرفه، فلما فرغت تتبعت أثره، فإذا به قد دخل إلى درب، فالتفت إلي وقال: يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت؟ قلت: كلا، قال: فلج الباب يرحمك الله، فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت المطهرة والنخلة والحال بعينه، فمسحت عيني وفتحتها، فلم أجد الفتى ولا القصر.

وإنما ذكرت هذه الحكاية لأنها من جملة العجائب عند غير هذه الطائفة، ولا يكاد يؤمن بها كثير من الناس ولها احتمالات منها: أنه يحتمل أنه نقل من مكانه لما أغمي عليه إلى حيث شاء الله من غير شعور منه، ثم أعيد إلى مكانه لطفاً من الله تعالى وكرامة لأوليائه.

---

(١) سهل بن عبدالله بن يونس التستري أبو محمد صوفي متكلم، له تفسير. مات سنة ٢٨٣ هـ.

قال شيخنا اليافعي رحمه الله: ومن المحكي عن سهل رضي الله تعالى عنه أيضاً، أن أمير خراسان يعقوب بن الليث أصابته علة أعيت الأطباء، فقيل له: في ولايتك رجل صالح يقال له سهل بن عبد الله ولو استحضرته ليدعو لك رجونا لك العافية فأحضره وسأله الدعاء، فقال: كيف يستجاب دعائي لك وأنت مقيم على الظلم؟ فنوى يعقوب التوبة والرجوع عن المظالم وحسن السيرة في الرعية وأطلق من في سجنه من المظلومين فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرّج عنه، فنهض كأنما نشط من عقال وعوفي من ساعته، فعرض على سهل مالاً جزيلاً فأبى قبوله فلما رجع إلى تستر قيل له بأثناء الطريق: لو قبلت المال الذي عرض عليك، وفرقته على الفقراء؟ فنظر إلى الحصباء فإذا هي جواهر، فقال: خذوا ما أردتم. ثم قال: من أعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث؟

ونظير ذلك من قلب الأعيان ما روي عن الشيخ عيسى الهِتار وهو بكسر الهاء وتخفيف التاء المثناة فوق، أنه مر على امرأة بغي فقال لها: بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت، فلما كان بعد العشاء دخل عليها البيت فصلى ركعتين ثم خرج. فقالت: أراك خرجت؟ قال: حصل المقصود، فورد عليها واراد أزعجها عما كانت عليه فخرجت بعد الشيخ، وتابت على يده فزوجها بعض الفقراء. وقال: اعملوا الوليمة عصيدة ولا تشتروا لها إداماً ففعلوا ذلك وأحضروه، وحضر الفقراء والشيخ كالمنتظر لشيء يؤتى به فوصل الخبر إلى أمير كان رفيقاً لتلك المرأة فأخرج قارورتين مملوأتين خمراً وأرسل بهما إلى الشيخ وأراد بذلك الاستهزاء، وقال للرسول: قل للشيخ: قد سرني ما سمعت، وبلغني أن ما عندكم إدام، فخذوا هذا فائتدموا به. فلما أقبل الرسول قال له الشيخ: أبطأت. ثم تناول إحداهما فخضها ثم صب منها عسلاً مصفى، ثم فعل كذلك بالأخرى وصب منها سمناً عربياً، وقال للرسول: اجلس فكل فأكل فطعم سمناً وعسلاً لم ير مثلهما طعماً ولوناً وريحاً. فرجع الرسول وأخبر الأمير بذلك فجاء الأمير فأكل وتحير مما رأى وتاب على يد الشيخ.

ويشبه هذا ما حكي عن بعضهم، أنه قال: بينما أنا أسير في فلاة من الأرض، إذا برجل يدور بشجرة شوك، ويأكل منها رطباً جنياً فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال: تقدم فكل، قال: فتقدمت إلى الشجرة، فصرت كلما أخذت منها رطباً عاد شوكاً، فتبسم الرجل وقال: هيهات لو أطعته في الخلوات أطعمك الرطب في الفلوات. وحكاياتهم في مثل هذا كثيرة، وإنما نبهت على قطرة من بحار عميقة، وعلى الجملة فالدنيا تتصور لهم في صورة عجوز تخدمهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى قريباً في هذا الباب، والرجوع في ذلك كله إلى أصل يجب الإيمان به، وهو أن الله على كل شيء قدير، وليس الخرق للعوائد بمستحيل في العقل والله التوفيق.

وحكى: عن الشيخ أبي الغيث اليمني رضي الله تعالى عنه، أنه خرج يوماً يحتطب فبينما هو يجمع الحطب إذ جاء السبع وافترس حماره، فقال له: وعزة المعبود ما أحمل حطبي إلا على ظهرك، فخضع له السبع فحمل الحطب على ظهره، وساقه إلى البلد، ثم حط عنه وخلاّه. ونقل أن شعوانة رزقت ولداً فربته أحسن تربية، فلما كبر ونشأ قال لها: يا أماه سألتك بالله إلا ما وهبتني لله فقالت له: يا بني أنه لا يصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب والتقى وأنت يا ولدي غمر لا

تعرف ما يراد بك ولم يأن لك ذلك فأمسك عنها فلما كان ذات يوم، خرج إلى الجبل ليحتطب، ومعه دابة، فنزل عنها وربطها، وذهب فجمع الحطب ورجع، فوجد السبع قد افترسها، فجعل يده في رقبة السبع، وقال له: يا كلب الله تأكل دابتي وحق سيدي لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتي، فحمل على ظهره الحطب وهو طائع لأمره حتى وصل به إلى دار أمه فقرع عليها الباب ففتحت له وقالت لما رأت ذلك: يا بني أما الآن فقد صلحت لخدمة الملك اذهب لله عز وجل فودعها وذهب.

روى صاحب مناقب الأبرار عن شاه الكرماني أنه خرج إلى الصيد وهو ملك كرمان، فأمعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فإذا شاب راكب على سبع وحوله سباع كثير فلما رأته السباع، ابتدرت نحوه فنحاها الشاب عنه فبينما هو كذلك، إذ أقبلت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشرب وقال: ما شربت شيئاً ألذ منه ولا أعذب، ثم غابت العجوز فقال الشاب: هذه الدنيا وكلها الله تعالى بخدمتي فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالي، فعجب شاه من ذلك، فقال له: أبلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها: يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه. ثم وعظه وعظاً حسناً، فكان ذلك سبب توبته.

وفي الإحياء في عجائب القلب عن ابراهيم الرقي قال: قصدت أبا الخير الديلمي التيناني مسلماً عليه فصلى صلاة المغرب، ولم يقرأ الفاتحة مستوياً فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي فلما أصبح الصباح خرجت إلى الطهارة فقصدني السبع فعدت إليه وقلت: إن السبع قد قصدني فخرج وصاح على الأسد وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافي؟ فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال: أنتم اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد وقد أنشدنا شيخنا الامام العلامة جمال الدين بن عبد الله بن أسد اليافعي لنفسه:

هم الأسدُ ما الأسد الأسود تهابهم ... وما النمر ما أظفار فهد ونابه
وما الرمي بالنشاب ما الطعنُ بالقنا ... وما الضرب بالماضي الكمي ما ذبابه
لهم همَمٌ للقاطعاتِ قواطع ... لهم قلبُ أعيان المراد انقلابه
لهم كلّ شيءٍ طائعٌ ومسخّر ... فلا قط يعصيهم بل الطوع دابُه
من الله خافوا لا سواه فخافهم ... سواه جماداتُ الورى ودوابُه
لقد شمروا في نيل كلِّ عزيزةٍ ... ومكرمةٍ مما يطولُ حسابُه
إلى أن جنوا ثمرَ الهوى بعد ما جنى ... عليهم وصار الحبُ يطولُ عذباً عذابُه

وفي الخبر قيل: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري، معناه خفني لا وصفاً في المخوفة من العزة والعظمة والكبرياء والجبروت والقهر وشدة البطش، ونفوذ الأمر، كما تخاف السبع الضاري لشدة بدنه وعبوسة وجهه، وشبوك أنيابه، وقوة برائنه، وجراءة قلبه، وسرعة غضبه، وبغتات وثبه، وفظيع بطشه، ودواعي ضراوته، لا أجلبُ عليه شراً ولا عصيتُ له أمراً، فيا أخي خف الله حق خوفه، واترك السوى فمن خاف الله حق

خوفه خافه كل شيء، ومن أطاع الله حق طاعته أطاعه كل شيء.

وحكمه: تقدم في باب الهمزة لكن يكره ركوب السباع لما روى ابن عدي في ترجمة اسماعيل بن عياش عن بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ركوب السباع»[1]. ولا يصح بيع السباع التي لا تنفع وقيل يجوز بيعها لأجل جلودها وأما التي تنفع كالفهد والفيل والقرد فيجوز بيعه.

السبنتي والسبندي: النمر الجريء والأنثى سبنداة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ناحت الجن على عمر رضي الله تعالى عنه قبل أن يموت بثلاثة أيام فقالت[2]:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمتْ	له الأرضُ تهتز العضاه بأسوق
جزى الله خيراً من إمام وباركت	يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة	ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها	بوائق في أكمامها لم تفتقِ
وما كنت أخشى أن تكون وفاته	بكفي سبنتي أزرق العين مطرقِ

المطرق الحنق الذي أرخى عينيه إلى الأرض، وقد يمد السبنتي. ونسب الجوهري هذه الأبيات إلى الشماخ، وقال في الاستيعاب: لما مات عمر رضي الله تعالى عنه نحل الناس هذه الأبيات إلى الشماخ بن ضرار ولأخويه، وكانوا إخوة ثلاثة كلهم شعراء، وسيأتي ذكر النمر في باب النون إن شاء الله تعالى.

السبيطر: بفتح السين وفتح الباء الموحدة والطاء المهملة، بينهما ياء مثناة من تحت، وبالراء المهملة في آخره، مثل العميثل: طائر طويل العنق جداً يرى أبداً في الماء الضحضاح، ويكنى بأبي العيزار. كذا قاله الجوهري وابن الأثير، والظاهر أنهما أرادا به مالكاً الحزين، وقال في المحكم: الكركي يكنى أبا العيزار وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر العميثل في باب السين المهملة.

السحلة: كالهمزة الأرنب الصغيرة التي قد ارتفعت عن الخرنق وفارقت أمها.

السحلية: بضم السين العظاية. قال ابن الصلاح: هي دويبة أكبر من الوزغ وقد عد في الروضة العظاية من نوع الوزغ، وقال: إنها محرمة، وقال ابن قتيبة وصاحب الكفاية: وذكر العظاية يسمى العضرفوط بفتح العين المهملة وتسكين الضاد المعجمة وبالفاء والواو والطاء في آخره. وذكر الجاحظ أن العضرفوط بلغة قيس هي العظاية وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة قول الأزهري: هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً تشبه سام أبرص إلا أنها لا تؤذي وهي أحسن منه.

السحا: بفتح السين والحاء المهملتين الخفاش الواحدة سحاة مفتوحتان مقصورتان قاله

---

(١) الكامل لابن عدي ١/٢٩١.
(٢) الأبيات في العقد الفريد: ٣/٢٨٤، ونسبتها إلى حسّان بن ثابت وهي ليست في ديوانه.

النضر بن شميل[1] وقد تقدم لفظ الخفاش في باب الخاء المعجمة.

سحنون: بفتح السين وضمها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب، يسمونه سحنونا لحدة ذهنه وذكائه وبه سمي سنون بن سعيد التنوخي القيرواني وهو لقب فرد واسمه عبد السلام، وهو تلميذ ابن القاسم وهو مصنف المدونة وكان قبل ذلك كتبها أسد بن الفرات عن ابن القاسم غير مرتبة ثم بخل بها ابن الفرات على سحنون فدعا عليه ابن القاسم أن لا ينفع الله بها ولا به وكذلك كان، فهي متروكة والعمل على مدونة سحنون ووفاته في شهر رجب سنة أربعين ومائتين وولد في شهر رمضان سنة ستين ومائة رحمة الله عليه.

السخلة: ولد الشاة من الضأن أو المعز ذكراً كان أو أنثى والجمع سخل وسخلة وسخال قال[2] الشاعر:

فللموت تغدو الوالداتُ سخالها ... كما لخرابِ الدور تُبنى المساكن

وهذه لام العاقبة كقول الآخر:

أموالنا لذوي الميراثِ نجمعُها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

ولم يبنوها للخراب ولكن إليها مآلها كقول الآخر:

فإن يكن الموت أفناهم ... فللموت ما تلد الوالده

وقال تعالى[3]: ﴿فالتقطه آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدوّاً وحزناً﴾ وقال[4] تعالى: ﴿ربّنا إنك آتيتَ فرعونَ وملأهُ زينةً وأموالاً في الحياةِ الدنيا﴾ الآية.

فائدة: قال أبو زيد: يقال لأولاد الغنم ساعة وضعها من الضأن والمعز جميعاً ذكراً كانت أو أنثى سخلة، ثم هي بَهمة بفتح الباء الموحدة للذكر والأنثى جميعاً وجمعها بُهم، فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر، والأنثى جفرة فإذا رعى وقوي فهو عريض وعتود وجمعهما عرضان وعتدان، وهو في ذلك كله جدي والأنثى عَناق ما لم يأت عليها الحول وجمعها عنوق. الذكر تيس إذا أتى عليه الحول، والأنثى عنز ثم تجزع في السنة الثانية، فالذكر جذع والأنثى جذعة. روى مالك عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: «اعتد عليهم في الزكاة بالسخلة». وبه استدل الشافعي وغيره على أن ما نتج من النصاب يزكى بحول الأصل، لأن الحول إنما اعتبر للنماء والسخال في نفسها نماء، حتى لو نتجت قبل الحول بلحظة تزكى بحول النصاب، وإن ماتت الأمهات كلها قبل انقضاء حولها، على الأصح. وقيل: يشترط بقاء نصاب من الأمهات، وقيل: يشترط بقاء شيء منها ولو واحدة. وروى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلي، من حديث أبي هريرة، رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ مر بسخلة جرباء قد أخرجها

---

(١) النضر بن شُميل بن خَرَشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن، محدث اخباري لغوي مات سنة ٢٠٣ هـ.

(٢) في العقد الفريد ٢/ ٦٩ ونسبته إلى سابق البربري، وفيه: ... لخراب الدار...

(٣) سورة القصص: آية ٨. (٤) سورة يونس: آية ٨٨.

أهلها فقال: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله تعالى من هذه على أهلها»(١). وروى البزار في مسنده عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ مر بدمنة قوم، فيها سخلة ميتة، فقال(٢) ﷺ: «أما لأهلها فيها حاجة»؟ فقالوا: يا نبي الله لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها! قال ﷺ «فوالله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها فلا ألفينها أهلكتْ أحدكم». وفي سيرة ابن هشام أن النبي ﷺ، لما خرج هو وأصحابه إلى غزوة بدر، لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ، فقال: أو فيكم رسول الله؟ قالوا: نعم فسلم عليه. ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؟ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش، وكان غلاماً حدثاً: لا تسأل رسول الله وأقبل علي فأنا أخبرك بذلك! ففي بطنها منك سخلة. فقال له رسول الله ﷺ: «مه». فخشيت على الرجل ثم أعرض عن سلمة. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة بزيادة وهو أنه قال لقي رسول الله ﷺ رجلاً من أهل البادية وهو متوجه إلى بدر، لقيه بالروحاء فسأله القوم عن خبر الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقالوا له: سلم على رسول الله ﷺ فقال: أو فيكم رسول الله؟ قالوا: نعم فسلم عليه ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه؟ فقال له سلمة بن سلامة بن وقش، وكان غلاماً حدثاً: لا تسأل رسول الله وأقبل علي فأنا أخبرك عن ذلك! نزوت عليها ففي بطنها سخلة منك فقال رسول الله ﷺ: «مه». فخشيت على الرجل ثم أعرض عنه رسول الله ﷺ فلم يكلمه كلمة واحدة حتى قفلوا واستقبلهم المسلمون بالروحاء يهنونهم فقال سلمة: يا رسول الله ما الذي يهنئونك والله إن رأينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعتقلة فنحرناها فقال رسول الله ﷺ: «إن لكل قوم فراسة، وإنما يعرفها الأشراف». ثم قال: هذا صحيح مرسل.

ويتصل بذكر الفراسة ما رواه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: أكرمي مثواه. والمرأة التي رأت موسى عليه السلام، فقالت لأبيها: يا أبت استأجره. وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما. قال الحاكم: فرضي الله تعالى عن ابن مسعود لقد أحسن في الجمع بينهم بهذا الإسناد الصحيح.

فرع: السخلة المرباة بلبن كلبة، لها حكم الجلالة، يكره أكلها كراهة تنزيه على الأصح في الشرح الكبير، والروضة والمنهاج. وبه جزم الروياني والعراقيون. وقال أبو اسحاق المروزي والقفال: كراهة تحريم، ورجحه الإمام والغزالي والبغوي والرافعي في المحرر. والجلالة هي التي تأكل العذرة والنجاسات سواء كانت من الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج أو الأرز أو السمك، أو غير ذلك من المأكول.

وقد تقدم في باب الدال المهملة، في الدجاج، أن النبي ﷺ «كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياماً ثم يأكلها بعد ذلك»(٣). وروى الدارقطني والحاكم والبيهقي، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ «نهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس»(٤).

---

(١) رواه مسلم: زهد، وابن حنبل ١ـ ٣٢٩.
(٢) رواه ابن ماجه: زهد ٣ والترمذي: زهد ١٣.
(٣) رواه البخاري: ذبائح ٢٦، ومسلم: إيمان ٩.
(٤) رواه أبو داود: أطعمة ٢٤. وابن ماجه: ذبائح ١١.

قال الحاكم: صحيح الإسناد وقال البيهقي: ليس بالقوي. ثم إن لم يظهر بسبب ذلك تغير في لحمها، فلا تحريم ولا كراهة. واختلفوا فيما يناط به الحرمة والكراهة، فنقل الرافعي عن تتمة التتمة، أنه إن كان أكثر أكلها الطاهرات فليست بجلالة، والأصح أنه لا اعتبار بالكثرة بل بالرائحة فإن كان يوجد في عرقها أو فيها أدنى ريح النجاسة وإن قل فالموضع موضع النهي، وإلا فلا. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن موضع النهي، ما إذا وجدت رائحة النجاسة بتمامها أو كانت تقرب من الرائحة فأما إذا كانت الرائحة توجد يسيرة، فلا اعتبار بها. والصحيح الأول إلحاقاً لها بالتغير اليسير بالنجاسة في المياه فإن علفت الجلالة علفاً طاهراً مدة حتى طاب لحمها، وزالت النجاسة زالت الكراهة. ولا تقدر مدة العلف عندنا بزمن بل المعتبر زوال الرائحة بأي وجه كان. قال الرافعي، رحمه الله: وعن بعض العلماء تقدير العلف في الإبل والبقر بأربعين يوماً، وفي الغنم بسبعة أيام وفي الدجاج بثلاثة أيام. قال: وهو محمول عندنا على الغالب اهـ. فإن لم تعلف لم يزل المنع بغسل اللحم بعد الذبح ولا بطبخه وشيه وتجفيفه في الهواء، وإن زالت الرائحة وكذا إن زالت الرائحة، بمرور الزمان عند صاحب التهذيب. وقيل: بخلافه وكما يمنع لحمها يمنع لبنها وبيضها ويكره الركوب عليها من غير حائل بين الراكب وبينها ويطهر جلدها بالدباغ والأصح أنه كاللحم ولا يطهر بالذكاة عند القائل بالتنجيس.

وسئل: سحنون عن خروف أرضعته خنزيرة، فقال: لا بأس بأكله. قال الطبري: العلماء مجمعون على أن الجدي إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة، لا يكون حراماً، ولا خلاف في أن ألبان الخنازير نجسة كالعذرة. وقال غيره: المعنى فيه أن لبن الخنزيرة لا يدرك في الخروف إذا ذبح بذوق ولا شم رائحة فقد نقله الله تعالى وأحاله كما يحيل الغذاء، وإنما حرّم الله تعالى أكل أعيان النجاسات المدركات بالحواس. كذا قاله أبو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي في شرح البخاري. ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة وهو أحد شيوخ أبي عمر بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه.

السِّرحان: بكسر السين الذئب. والجمع سراح وسراحين، والأنثى سرحانة بالهاء، والجمع كالجمع والسرحان الأسد بلغة هذيل قال أبو المثلم يرثي ميتاً:

هباطُ أوديةٍ حمالُ ألويةٍ شهاد أنديةٍ سرحان فتيان

وقال سيبويه: نون سرحان زائدة وهو فعلان والجمع سراحين. قال الكسائي: والأنثى سرحانة. حكى القزويني، عن بعض الرعاة، أنه نزل وادياً بغنمه فسلب سرحان شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً: يا سرحان رد عليه شاته، فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب، وقد تقدم حكمه وخواصه وتعبيره.

الأمثال: قالوا: «سقط العشاء به على سرحان»(1). قال أبو عبيدة: أصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء، فسقط على ذئب فأكله الذئب. وقال الأصمعي: أصله أن دابة خرجت تطلب

(1) جمهرة الأمثال: ١/ ٤٢٠.

العشاء فلقيها ذئب فأكلها. وقال ابن الأعرابي: أصله أن رجلاً يقال له سرحان، كان بطلاً تتقيه الناس، فقال رجل يوماً: والله لأرعين إبلي في هذا الوادي ولا أخاف سرحان بن هزلة فأتى إليه فقتله وأخذ إبله وقال:

أبلغ نصيحة أن راعي إبلها سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متنمرٍ طلق اليدين معاودٍ لطعان

يضرب في طلب الحاجة تؤدي صاحبها إلى التلف.

السرطان: بفتح السين والراء المهملتين وبالنون في آخره، حيوان معروف ويسمى عقرب الماء، وكنيته أبو بحر وهو من خلق الماء وعيش في البر أيضاً وهو جيد المشي سريع العدو، ذو فكين ومخاليب وأظفار حداد، كثير الأسنان صلب الظهر من رآه رأى حيواناً بلا رأس ولا ذنب، عيناه في كتفيه وفمه في صدره وفكاه مشقوقان من الجانبين، وله ثماني أرجل، وهو يمشي على جانب واحد، ويستنشق الماء والهواء معاً، ويسلخ جلده في السنة ست مرات، ويتخذ لجحره بابين: أحدهما شارع في الماء، والآخر إلى اليبس، فإذا سلخ جلده سد عليه ما يلي الماء خوفاً على نفسه من سباع السمك، وترك ما يلي اليبس مفتوحاً ليصل إليه الريح فتجف رطوبته ويشتد، فإذا اشتد فتح ما يلي الماء وطلب معاشه. وقال ارسطاطاليس في النعوت: وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت في حفرة مستلقياً على ظهره في قرية أو أرض تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية، وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وفي وصفه قال الشاعر:

في سرطانِ البحرِ أعجوبة ظاهرةٌ للخلقِ لا تخفى
مستضعفُ المشيةِ لكنه أبطشُ من جاراته كفّا
يسفرُ للناظرِ عن جملة متى مثى قدرها نصفا

ويقال: إن ببحر الصين سرطانات متى خرجت إلى البر استحجرت، والأطباء يتخذون منها كحلاً يجلو البياض، والسرطان لا يتخلق بتوالد ولا نتاج، إنما يتخلق في الصدف ثم يخرج منه ويتولد.

وفي الحلية عن أبي الخير الديلمي أنه قال: كنت عند خير النساج فجاءته امرأة وطلبت أن ينسج لها منديلاً، وقالت له: كم الأجرة؟ فقال لها: درهمان فقالت: ما معي الساعة شيء وغداً أتيك بهما إن شاء الله تعالى، فقال لها: إذا أتيتني ولم تريني فارمي بهما في الدجلة فإني إذا رجعت أخذتهما منها إن شاء الله تعالى، فقالت: حباً وكرامة. قال أبو الخير: فجاءت المرأة من الغد وخير غائب، فقعدت ساعة تنتظره ثم قامت وألقت خرقة في الدجلة، فيها الدرهمان، فإذا سرطان قد تعلق بالخرقة، وغاص في الماء. ثم جاء خير بعد ساعة، ففتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ، وإذا بسرطان خرج من الماء يسعى نحوه والخرقة على ظهره، فلما قرب من الشيخ أخذها وذهب السرطان إلى حال سبيله. فقلت له: رأيت كذا وكذا، فقال: أحب أن لا تبوح بهذا في حياتي فأجبته إلى ذلك.

الحكم: يحرم أكله لاستخباثه كالصدف قال الرافعي: ولما فيه من الضرر، وفي قول انه

يحل أكله، وهو مذهب مالك رحمة الله تعالى عليه.

الخواص: أكل السرطان ينفع وجع الظهر ويصلبه. قال في النعوت: من علق عليه رأس سرطان لم ينم إذا كان القمر محترقاً، فإن كان غير محترق نام، وإن أحرق السرطان وحشي به البواسير كيف كانت أبرأها، وإن علقت رجله على شجرة مثمرة سقط ثمرها من غير علة ولحمه نافع للمسلولين جداً. وإذا وضع السرطان على الجراحات أخرج النصل وينفع من لسع الحيات والعقارب.

التعبير: السرطان في المنام تدل رؤيته على رجل كثير الكيد، لكثرة سلاحه، عظيم الهمة بعيد المأخذ عسر الصحبة، ومن رأى أنه أكل لحم سرطان في منامه، فإنه يصيب خيراً من أرض بعيدة. وقال جاماسب: لحم السرطان في الرؤيا مال حرام والله أعلم.

السُّرعوب: بضم السين وسكون الراء وبالعين المهملة ابن عرس ويقال له: النمس قاله في كفاية المتحفظ.

السرفوت: بفتح السين والراء المهملتين وضم الفاء دويبة تعشش في كور الزجاج في حال اضطرامه، وتبيض فيه وتفرخ، ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرة الدائمة. كذا قاله[1] ابن خلكان، في ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقي. وهذه الدويبة تشارك السمندل في هذا الوصف كما سيأتي في موضعه.

السُّرفة: بضم السين واسكان الراء المهملتين وبالفاء الأرضة قال ابن السكيت: إنها دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر، تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناموس، ثم تدخل فيه وتموت. ويقال سرفت السرفة، وتسرفها بالكسر سرفاً إذا أكلت ورقها، فهي شجرة مسروفة انتهى.

وفي الحديث أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لرجل: إذا أتيت إلى منى، وانتهيت إلى موضع كذا وكذا، فإن هناك شجرة لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ولم تسرح، قد نزل تحتها سبعون نبياً فأنزل تحتها. ومعنى لم تعبل لم يسقط ورقها، ولم تجرد لم يصبها الجراد، ولم تسرف لم تصبها السرفة، ولم تسرح لم يصبها السرح أي الابل والغنم السارحة.

الحكم: يحرم أكلها لأنها من الحشرات.

الأمثال: قالوا: «أصنع من سرفة»[2] وقد تقدم الكلام عليها في باب الهمزة.

السرمان: دويبة كالحجر والسرمان أيضاً ضرب من الزنابير أصفر وأسود ومجزع.

السروة: الجرادة أول ما تكون وهي دودة وأصله الهمز والسروة لغة فيها.

---

(١) وفيات الأعيان: ٣٥/٧. والمنجنيقي أبو يوسف، يعقوب شاعر مجيد مات سنة ٦٧٥ هـ.
(٢) جمهرة الأمثال: ٤٧٨/١.

السرماح: الجراد. قاله ابن سيده.

السعدانة: الحمامة.

السعلاة: أخبث الغيلان وكذلك السعلاء تمد وتقصر، والجمع السعالي. واستسعلت المرأة، أي صارت سعلاة أي صارت صخابة وبذية، قال[1] الشاعر:

لقد رأيت عجباً مذ أمسا ... عجائزاً مثل السعالي خمسا
يأكلن ما أصنع همساً همسا ... لا ترك الله لهن ضرسا

وأنشد[2] أبو عمر:

يا قبَّح الله بني السعلاة ... عمرو بن يربوع شرارَ الناتِ
ليسوا أعفاء ولا أكيات

قلب السين تاء وهي لغة بعض العرب.

قال الجاحظ: يقال إن عمرو بن يربوع كان متولداً من السعلاة،والإنسان. قال: وذكروا أن جرهماً كان من نتاج الملائكة وبنات آدم عليه السلام. قال: وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء أهبط إلى الأرض في صورة رجل، كما صنع بهاروت وماروت فوقع بعض الملائكة على بعض بنات آدم عليه السلام فولدت جرهماً ولذلك قال شاعرهم[3]:

لا همّ أن جُرهما عبادكا ... الناس طِرفٌ وهم تلادكا

قال: ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبا. وكذلك كان ذو القرنين، كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رجلاً ينادي رجلاً: يا ذا القرنين، قال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة؟ انتهى.

والحق في ذلك أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قاله القاضي عياض وغيره. وأما ما ذكروه من أن جرهماً كان من نتاج الملائكة وبنات آدم، وكذلك ذو القرنين وبلقيس فممنوع، واستدلالهم بقصة هاروت وماروت ليس بشيء، فإنها لم تثبت على الوجه الذي أوردوه، بل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هما رجلان ساحران كانا ببابل. وقال الحسن: كانا علجين يحكمان بين الناس ويعلمان الناس السحر ولم يكونا من الملائكة لأن الملائكة لا يعلمون السحر. وقرأ ابن عباس والحسن البصري وما أنزل على المِلِكين بكسر اللام. وسيأتي ذكرهما، إن شاء الله تعالى، في باب الكاف في الكلب.

وقد اختُلف في ذي القرنين ونسبه واسمه، فقال صاحب ابتلاء الأخيار: اسم ذي القرنين

---

(١) وفيات الأعيان: ٢٣٣/٧، دون نسبة.

(٢) في الحيوان للجاحظ: ١٨٧/١، ونسبه إلى علباء بن أرقم. وفيه: يا قاتَل... عمراً وقابوساً.

(٣) البيت في الحيوان للجاحظ: ١٨٧/١، ونسبته إلى عمرو بن مضاض الجرهمي.

الاسكندر، قال: وكان أبوه أعلم أهل الأرض بعلم النجوم، ولم يراقب أحد الفلك ما راقبه، وكان قد مد الله تعالى له في الأجل فقال ذات ليلة لزوجته: قد قتلني السهر، فدعيني أرقد ساعة وانظري إلى السماء، فإذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم وأشار بيده إلى موضع طلوعه فنبهيني حتى أطأك فتعلقي بولد يعيش إلى آخر الدهر، وكانت أختها تسمع كلامه ثم نام أبو الاسكندر فجعلت أخت زوجته تراقب النجم فلما طلع النجم أعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر فكان الخضر بن خالد الإسكندر ووزيره فلما استيقظ أبو الاسكندر، رأى النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه، فقال لزوجته: لم لم تنبهيني؟ فقالت: استحييت والله فقال لها: أما تعلمين أني أراقب هذا النجم منذ أربعين سنة والله لقد ضيعت عمري في غير شيء. ولكن الساعة يطلع في أثره نجم فأطؤك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس فما لبث أن طلع، فواقعها فعلقت بالاسكندر، وولد الاسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة. ثم إن الاسكندر فتح الله عليه، بتمكينه في الأرض، وفتح البلاد وكان من أمره ما كان.

وروي عن وهب بن منبه أنه قال: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الاسكندر وكان عبداً صالحاً، فلما بلغ أشده، قال الله تعالى: ياذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة وهم أصناف منهم أمتان بينهما طول الأرض ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض وأمم في وسط الأرض فقال ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم، لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي ندبتني إليها بأي قوة أكاثرهم؟ وبأي صبر أقاسيهم؟ وبأي لسان أناطقهم؟ وكيف لي أن أفقه لغاتهم؟ وبأي سمع أسمع قولهم؟ وبأي بصر أنقدهم؟ وبأي حجة أخاصمهم؟ وبأي عقل أعقل عنهم؟ وبأي قلب وحكمة أدبر أمرهم؟ وبأي قسط أعدل بينهم؟ وبأي معرفة أفصل بينهم؟ وبأي يد أسطو عليهم؟ وبأي رجل أطؤهم؟ وبأي طاقة أحصيهم؟ وبأي جند أقاتلهم؟ وبأي رفق أتألفهم؟ وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم ويطيقهم، وأنت الرؤوف الرحيم الذي لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يحملها إلا طاقتها. قال الله عز وجل: إني سأطوقك وأحملك وأشرح لك صدرك، فتسمع كل شيء، وأقوي لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء، وأمد بصرك فتنقد كل شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأقوي لك قلبك فلا يروعك شيء، واحفظ لك عقلك فلا يعزب عنك شيء، وأبسط لك ما بين يديك فتسطو فوق كل شيء، وأشد لك وطأتك فتهد كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يهولنك شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جنداً من جنودك، يهديك النور من أمامك، وتحفظك الظلمة من ورائك، وذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾[1] وقال ابن هشام: ذو القرنين هو الصعب بن ذي مرثد الحميري من ولد وائل بن حمير. وقال ابن إسحاق: اسمه مرزبان بن مردويه، كذا وقع في السيرة له، وذكر انه الاسكندر.

وقيل: إنه رجل من ولد يونان بن يافث، واسمه هرمس ويقال له هرديس، والظاهر من

---

(١) سورة الكهف: آية ٨٤.

علم الأخبار والسير أنهما اثنان أحدهما كان على عهد ابراهيم ويقال إنه الذي قضى لإبراهيم حين خاصم إليه في بئر السبع بالشام، والثاني كان قريباً من عهد عيسى عليه السلام وقيل إنه افريدون الذي قتل الملك الطاغي الذي كان على عهد ابراهيم أو قبله بزمن.

واختلف في سبب تلقيبه بذي القرنين، فقال بعضهم: لأنه ملك فارس والروم،وقيل: لأنه كان في رأسه شبه القرنين،وقيل: لأنه رأى في المنام كأنه آخذ بقرني الشمس، وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب،وقيل: إنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر،وقيل: إنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه، وقيل: لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي، وقيل: لأنه كان إذا حارب قاتل بيديه وركابيه جميعاً، وقيل: لأنه دخل النور والظلمة، وقيل: لأنه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرناً. قال الراعي(١):

فلثمتُ فاها آخذا بقرونها شربَ النزيفِ لبردِ ماء الحشرجِ(٢)

وقيل: لأنه أعطى علمي الظاهر والباطن. وهو رجل من الاسكندرية يقال له اسكندر بن فيلبش الرومي وكان في الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام. قال مجاهد: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمرود وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي. واختلف في نبوته فقال بعضهم: كان نبياً لقوله تعالى: ﴿قلنا يا ذا القرنين﴾(٣) وقال آخرون: كان ملكاً صالحاً عادلاً، ولعله الأصح. فالقائلون بنبوته قالوا: إن الملك الذي كان ينزل عليه، اسمه رقيائيل وهو ملك الأرض الذي يطوي الأرض يوم القيامة وينقصها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة. قاله ابن أبي خيثمة. قال السهيلي: وهذا يشاكل توكله بذي القرنين الذي قطع الأرض مشارقها ومغاربها، كما أن قصة خالد بن سنان العبسي وهو نبي بين عيسى ومحمد عليهما السلام، في تسخير النار، مشاكلة لحال الملك الموكل به، وهو مالك خازن النار. وسيأتي ذكر خالد ونبوته في باب العين المهملة في العنقاء، إن شاء الله تعالى. قال(٤) الجاحظ: وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿وشارِكْهم في الأموال والأولاد﴾(٥) وهذا ظاهر، وذلك أن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق في طلب السفاد، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء، قال تعالى: ﴿لم يطمِثْهُنَّ إنسٌ قبلَهم ولا جان﴾(٦) ولو كان الجان لا يفتض الآدميات، ولم يكن ذلك في تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول.

وذكروا أن الواق واق نتاج من بعض النباتات وبعض الحيوانات، وقال السهيلي: السعلاة

---

(١) الراعي: عُبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، من شعراء العصر الأموي، شاعر مقدم مات سنة ٩٠ هـ. والبيت ليس في ديوانه.

(٢) الحشرج: حِسْي يكون فيه حصى، والكوز الرقيق الحارِيُّ.

(٣) سورة الكهف: آية ٨٦.

(٤) الحيوان: ١/١٥٦.

(٥) سورة الإسراء: آية ٦٤.

(٦) سورة الرحمن: آية ٧٤.

ما يتراءى للناس بالنهار، والغول ما يتراءى للناس بالليل. وقال القزويني: السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول. قال[1] عبيد بن أيوب:

وساحرة عيني لو أنّ عينها ... رأتْ ما ألاقيه من الهول جنّت
أبيتُ وسعلاةٌ وغولٌ بقفرةٍ ... إذا الليلُ وارى، الجنُّ فيه أرنّت

قال: وأكثر ما توجد السعلاة في الغياض وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر. قال: وربما اصطادها الذئب بالليل فأكلها، وإذا افترسها ترفع صوتها وتقول: أدركوني فإن الذئب قد أكلني، وربما تقول: من يخلصني ومعي ألف دينار يأخذها! والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد فيأكلها الذئب.

السُّفْنُج: بضم السين واسكان الفاء وضم النون وبالجيم في آخره، قال أبو عمر: وهو الظليم الخفيف وهو ملحق بالخماسي بتشديد الحرف الثالث منه، كذا قاله الجوهري، والسفنج أيضاً طائر كثير الاستنان قاله في العباب.

السقب: ولد الناقة أو ساعة يولد والجمع أسقب وسقوب وسقبان والأنثى سقبة وأمها مسقب ومسقاب.

الأمثال: قالوا: «أذل من السقبان بين الحلائب»[2]، أرادوا بالحلائب جمع حلوبة وهي التي تحلب.

السقر: قال القزويني: إنه من الجوارح في حجم الشاهين، إلا أن رجليه غليظتان جداً ولا يعيش إلا في البلاد الباردة، ويوجد في بلاد الترك كثيراً، وهو إذا أرسل على الطير أشرف عليها، ويطير حولها على شكل دائرة، فإذا رجع إلى المكان الذي ابتدأ منه تبقى الطيور كلها في وسط الدائرة، لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفاً وهو يقف عليها وينزل يسيراً يسيراً وتنزل الطيور بنزوله حتى تلتصق بالتراب فيأخذها البزادرة فلا يفلت منها شيء أصلاً.

السقنقور: نوعان: هندي ومصري، ومنه ما يتولد في بحر القلزم، وهو البحر الذي غرق فيه فرعون وهو عند عقبة الحاج. ويتولد أيضاً ببلاد الحبشة وهو يغتذي بالسمك في الماء وبالقطا في البر يسترطه كالحيات، أنثاه تبيض عشرين بيضة تدفنها في الرمل فيكون ذلك حضناً لها وللأنثى فرجان، وللذكر ذكران كالضب. قاله التميمي. وقال ارسطو: السقنقور حيوان بحري وربما تولد في البحر في مواضع الصواعق. ومن عجيب أمره أنه إذا عض إنساناً وسبقه الإنسان إلى الماء، واغتسل منه مات السقنقور، وإن سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان. وبينه وبين الحية عداوة حتى إذا ظفر أحدهما بصاحبه قتله. والفرق بينه وبين الورل من وجوه منها أن الورل برّي

---

(١) الحيوان للجاحظ ٦/١٦٠. وعبيد بن أيوب، من بني العنبر لقبه أبو المطراد من شعراء العصر الأموي وكان من اللصوص الهاربين. (الأعلام: ٤/١٨٨).
(٢) المستقصى في الأمثال: ١/١٣٠.

لا يأوي إلا البراري، والسقنقور لا يأوي إلا بالقرب من الماء أو فيه، ومنها أن جلد السقنقور ألين وأنعم من جلد الورل، ومنها أن ظهر الورل أصفر وأغبر، وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد. والمختار من هذا الحيوان الذكر فإنه أفضل وأبلغ في النفع المنسوب إليه من أمر الباه قياساً وتجربة، بل كاد أن يكون هو المخصوص بذلك والمختار من أعضائه ما يلي ذنبه من ظهره، فهو أبلغ نفعاً وهذا الحيوان نحو ذراعين طولاً ونصف ذراع عرضاً قال في المفردات: لا يعرف اليوم في عصرنا السقنقور في الديار المصرية إلا ببلاد الفيوم، ومنها يجلب إلى القاهرة لمن عني بطلبه، وإنما يصاد في أيام الشتاء لأنه إذا اشتد عليه البرد يخرج إلى البر فحينئذ يصاد.

الحكم: يحل أكله لأنه سمك ويحتمل أن يأتي فيه وجه بالحرمة، لأن له شبهين في البر أحدهما حرام وهو الورل، والآخر يؤكل وهو الضب تغليباً للتحريم. وأما الذي تقدم في باب الهمزة فهو حرام لأنه متولد من التمساح كما تقدم فهو حرام كأصله.

الخواص: لحم السقنقور الهندي مادام طرياً فهو حار رطب في الدرجة الثانية، وأما مملوحه المجفف فإنه أشد حرارة وأقل رطوبة لاسيما إذا مضت عليه بعد تعليقه مدة طويلة ولذلك صار لا يوافق استعماله أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة، بل أرباب الأمزجة الباردة الرطبة ولحمه إذا أكل منه اثنان بينهما عداوة، زالت وصارا متحابين. وخاصية لحمه وشحمه إنهاض شهوة الجماع وتقوية الانعاظ والنفع من الأمراض الباردة التي بالعصب وإذا استعمل بمفرده كان أقوى فعلاً من أن يخلط بغيره من الأدوية، والشربة منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب مزاج المستعمل له وسنه ووقته وبلده. وقال ارسطو: لحم السقنقور الهندي، إذا طبخ باسفيذاج، نفخ اللحم وأسمن، ولحمه يذهب وجع الصلب ووجع الكليتينن ويدر المني، وخرزته الوسطى إذا علقت على صلب انسان، هيجت الإحليل وزادت الجماع.

التعبير: هو في الرؤيا يدل على الإمام العالم الذي يهتدى به في الظلمات فإن جلده يوقد ولحمه ينعش القوة ويثير حرارتها والله أعلم.

السلحفاة البرية: بفتح اللام، واحدة السلاحف. قاله أبو عبيدة وحكى الرواسي: سلحفية مثل بلهنية، وهي بالهاء عند الكافة وعند ابن عبدوس: السلحفا، بغير هاء. وذكرها يقال له غيلم، وهذا الحيوان يبيض في البر فما نزل منه في البحر كان لجأة، وما استمر في البر كان سلحفاة، ويعظم الصنفان جداً إلى أن يصير كل واحد منهما حمل جمل. وإذا أراد الذكر السفاد، والأنثى لا تطيعه، يأتي الذكر بحشيشة في فيه، من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولاً، فعند ذلك تطاوعه وهذه الحشيشة لا يعرفها إلا القليل من الناس. وهي إذا باضت صرفت همتها إلى بيضها بالنظر إليه ولاتزال كذلك حتى يخلق الله تعالى الولد منها، إذ ليس لها أن تحضنه حتى يكمل بحرارتها، لأن أسفلها صلب لا حرارة فيه وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية فتقطع رأسها وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة وعلى الأرض حتى تموت. ولها حيلة عجيبة في التوصل إلى صيدها، وذلك أنها تصعد من الماء فتتمرغ في التراب، وتأتي موضعاً قد سقط الطير عليه لشرب الماء فتختفي عليه لكدورة لونها، التي اكتسبتها من الماء والتراب، فتصيد منها ما يكون لها قوتاً وتدخل به الماء ليموت فتأكله. ولذكرها ذكران وللأنثى فرجان، والذكر يطيل

المكث في السفاد، والسلحفاة مولعة بأكل الحيات، فإذا أكلتها بعدها سعترا. والترس الذي على ظهرها وقاية لها وقد أجاد الشاعر حيث قال في وصفها:

لحا الله ذاتَ فمٍ أخرس ... تطيل من السعي وسواسُها
تكبّ على ظهرِها ترسَها ... وتظهرُ من جلدِها رأسَها
إذ الحذرُ أقلقَ احشاءَها ... وضيّق بالخوفِ أنفاسَها
تضمّ إلى نحرِها كفَّها ... وتدخِلُ في جلدِها رأسَها

الحكم: حكى البغوي في حلها وجهين: وصحح الرافعي التحريم لاستخباثها، لأن غالب أكلها الحيات. وقال ابن حزم: البرية والبحرية حلال، وكذلك بيضها لقوله[1] تعالى: ﴿كُلوا مما في الأرضِ حلالا طيبا﴾ مع قوله[2]: ﴿وقد فصّلَ لكم ما حرّم عليكم﴾ ولم يفصل لنا تحريم السلحفاة فهي حلال. قال: وكذلك يحل اليربوع والسرطان والجراذين وأم حبين والورل والطير كله. قال: وقد روينا عن عطاء، أنه قال بإباحة أكل السلحفاة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه نهى المحرم عن قتل الرخمة وجعل فيها الجزاء وقد قال أبوزيد المروزي من أصحابنا، بعدم تحريم المخاط والبزاق والمني ونحوها وكأنه استغنى بنفرة الطباع عنها فلم يزجر عنها.

وفي الأمثال: قالوا[3]: «أبلد من سلحفاة».

الخواص: ذكر صاحب الفلاحة والقزويني أن البرد، إذا كثر وقوعه على الأرض، وأضر بذلك المكان، تؤخذ سلحفاة وتقلب فيه على ظهرها بحيث تبقى قوائمها شائلة نحو السماء، فإن البرد لا يضر ذلك المكان وإذا لطخت الأيدي والأقدام بدمها، نفع من وجه المفاصل، وإذا أديم التمسح بدمها نفع من الكزاز والتشنج، وأكل لحمها يفعل ذلك. وإذا جفف دمها وسحق وطلي به على مسرجة فمن أسرجها ضرط وهو سر عجيب مجرب. وأي عضو من الإنسان حصل له وجع، يعلق عليه نظيره من أعضائها فإن الوجع يسكن بإذن الله تعالى. وطرف ذنب الذكر منها وقت هيجانه من علقه عليه هيج الباه، وإذا اتخذ من ظهرها مكبة وغطى بها رأس قدر، لم يغل مادامت عليه.

التعبير: السلحفاة في المنام امرأة تتزين وتتعطر وتعرض نفسها على الرجل. وقيل: إنها تعبر بقاضي القضاة، لأنها أعلم ما في البحر. وقيل: السلحفاة رجل عالم فمن رأى سلحفاة تكرم في مكان فإن العلماء يكرمون هناك. ومن رأى أنه أكل لحم سلحفاة استفاد علماً، وقالت النصارى: إنه ينال مالاً وعلماً والله أعلم.

السلحفاة البحرية: اللجأة وستأتي في باب اللام إن شاء الله تعالى. قال الجوهري: وزعموا أن ابنة جندي وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت في البحر، فقالت: يا قوم نزاف نزاف، لم يبق في البحر غير غراف! وهو جمع غرفة من الماء، والسلحفاة البحرية جلدها الذبل الذي يصنع منه الأمشاط وخاصية التسريح بمشط الذبل اذهاب الصيبان من الشعر. وإذا أحرق

---

(١) سورة البقرة: آية ١٦٨. (٢) سورة الأنعام: آية ١١٩. (٣) جمهرة الأمثال ١/٢٠٣.

الذبل وعجن رماده ببياض البيض، وطلي به شقاق الكعبين والأصابع نفعه. وقيل: الذبل جلد السلحفاة الهندية.

فائدة: كان للنبي ﷺ مشط من العاج والعاج الذبل، وهو شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية يتخذ منه الأمشاط والأساور. وفي الحديث[1] أن النبي ﷺ «أمر ثوبان رضي الله تعالى عنه أن يشتري لفاطمة رضي الله تعالى عنها سوارين من عاج» أما العاج الذي هو عظم الفيل، فنجس عند الشافعي، وطاهر عند أبي حنيفة، وعند مالك يطهر بصقله فيجوز التسريح بمشط العاج، وهو الذبل وعليه يحمل ما وقع للنووي في شرح المهذب من جواز التسريح به. فمراده بالعاج الذبل لا العاج الذي هو ناب الفيل.

السِّلفان: بكسر السين أولاد الحجل الواحدة سلف مثل صرد وصردان قال أبو عمر: ولم يسمع سلفة للأنثى ولو قيل سلفة كما قيل سلكة لواحدة السلكان لكان جيداً.

السلق: بالكسر الذئب والأنثى سلقة وربما قيل للمرأة السلطة سلقة ومنه قوله[2] تعالى: ﴿فإذا جاء الخوفُ سلقوكم بألسنةٍ حِداد﴾ أي بسطوا ألسنتهم فيكم. والسالقة الرافعة صوتها عند المصيبة.

السلك: فرخ القطا وقيل: فرخ الحجل، والأنثى سلكة، والجمع سلكان، مثل صرد وصردان. وقيل واحدته سلكانة. وقد ضربت العرب المثل بسليك بن سلكة في العدو وهو تميمي من بني سعد وسلكة أمه، وكانت سوداء وكان يقال له سليك المقانب قال الشاعر:

إلى الهول أمضى من سليك المقانب.

وهو أحد أغربة العرب الآتي ذكرهم إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

السلكوت: طائر قاله في المحكم في رباعي السين.

السلوى: قال ابن سيده: إنه طائر أبيض مثل السماني واحدته سلوة والسلوى العسل قال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذُّ من السلوى إذا ما نشورُها[3]

قال الزجاج: أخطأ خالد، إنما السلوى طائر. وقيل: السلوى اللحم. قال الإمام حجة الاسلام الغزالي: وسمي سلوى لأنه يسلي الإنسان عن سائر الإدام، والناس يسمونه قاطع الشهوات. وقال القزويني وابن البيطار: إنه السّماني وقال غيرهما: إنه طائر قريب من السماني. وقال الأخفش: لم يسمع له بواحد ويشبه أن يكون واحده سلوى كدفلى للواحد والجمع، وهو طائر يعيش دهره في قلب اللجة فإذا مرضت البزاة بوجع الكبد، طلبته وأخذته وأكلت كبده فتبرأ، وهو

---

(١) رواه أبو داود ترجل ٢١، وابن حنبل ٥ ـ ٢٧٥.

(٢) سورة الأحزاب: آية ١٩.

(٣) شار العسل: استخرجه.

الذي أنزله الله تعالى على بني اسرائيل على القول المشهور وغلط الهذلي فظنه العسل فقال:

ألذ من السلوى إذا ما نشورُها

وفي صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء وفي مسلم في النكاح من حديث محمد بن رافع، قال: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة رضي الله عنه وذكر أحاديث، منها: قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر أبداً»(١). ومعناه أنه لم يتغير اللحم أبداً ولم يتتن. قال العلماء: معناه أن بني إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى، نهوا عن ادخارهما فادخروا ففسد وأنتن واستمر من ذلك الوقت. وروى ابن ماجة عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم»(٢). وعنه رضي الله تعالى عنه: «ما أهدي للنبي ﷺ لحم إلا قبله، ولا دعي إلى لحم إلا أجاب»(٣). وعن النبي ﷺ، أنه قال: «أطيب اللحم لحم الظهر». وما أحسن ما قال شيخنا برهان الدين القيراطي(٤):

لما رأيتُ سلوى عز مطلبه ... عنكم وعقد اصطباري صار محلولا
دخلتُ بالرغم مني تحت طاعتكم ... ليقضي الله أمراً كان مفعولا

الحكم: يحل أكله بالإجماع.

الخواص: قال ابن زهر: إذا علقت عينه على الأرمد شفي، وإن اكتحل بها نفع من وجع الكبد. ومرارته تخلط بزعفران مداف، ويطلى به على البهق الأسود، يقطعه. وزبله يسحق ويذر على القروح المتأكلة ينفعها، وإذا دفن رأسه في برج حمام، زال عنه سائر الهوام ورأسه إذا بخر به مكان أزال الأرضة منه.

التعبير: السلوى تدل رؤيته على رفع النكد والنجاة من العدو، ونجاز الوعد والخير والرزق الهنيء بلا تعب ولا عناء لمن رآه أو ملكه. وربما دلّت رؤيته على سلوى عن عشيق لأجل اسمه وربما دلت رؤيته على كفران النعم وزوال المنصب وضنك العيش لقوله تعالى: ﴿**أتستبدلونَ الذي هو أدنى بالذي هو خير**﴾(٥) والله أعلم.

السماني: قال الزبيدي: هو بضم السين وفتح النون على وزن الحبارى، اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار والسماني طائر معروف. ولا تقل سماني بالتشديد، والجمع سمانيات ويسمى قتيل الرعد من أجل أنه إذا سمع الرعد مات ويقال: إن فرخه عندما يخرج من البيض يطير من ساعته. ومن عجيب أمره أنه يسكت في الشتاء، فإذا أقبل الربيع يصيح ويغتذي

---

(١) رواه البخاري: أنبياء ١ ـ ٢٥، وابن حنبل ٢، ٤، ٣.
(٢) رواه ابن ماجه: أطعمة ٢٧. (٣) رواه ابن ماجه: أطعمة ٢٧.
(٤) القيراطي: إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عسكر الطائي شاعر، فقيه، أديب. مات في مكة سنة ٧٨١ هـ.
(٥) سورة البقرة: آية ٦١.

بالبيش والبيشاء، وهما سم ناقع قاتل. وهو من الطيور القواطع لا يدري من أين يأتي حتى إن بعض الناس يقول: إنه يخرج من البحر المالح فإنه يرى طائراً عليه وأحد جناحيه منغمس فيه، والآخر منشور كالقلع. ولأهل مصر به عناية ويتغالون في ثمنه.

الحكم: يحل أكله بالإجماع.

الخواص: لحمه حار يابس، وأجوده المخاليف الطرية، وأكله ينفع من وجع المفاصل من برد، لكنه يضر بالكبد الحار، ويدفع ضرره الكسبرة والخل، وهو يولد دماً حاراً وهو موافق لذوي الأمزجة الباردة والمشايخ ويكره مشوي السماني ليبسه وتجفيفه. قال ابن عبدون وقال غيره: مزاج لحمه بين الدجاج والحجل، وهو إلى مزاج الدجاج أميل. وهو جيد الكيموس، وأكله يفتت الحصا ويدر البول وإذا قطر دمه في الأذن سكن وجعها، وإذا أديم أكله ألان القلب القاسي ويقال: إن هذه الخاصية موجودة في قلبه فقط.

التعبير: السماني تدل رؤيته على الفوائد والأرزاق من جهة الزرع والفلاحة. وهو لمن يقصد سماعه دليل على الأرزاق من الشبهات، وربما دل على اللعب واللهو والتبذير، وربما دلت رؤيته على الجرم بما يوجب الحبس والصلب والله أعلم.

السمحج: الأتان الطويلة الظهر، والجمع سماحج. وكذلك الفرس، ولا يقال للذكر.

السِّمع: بكسر السين وإسكان الميم وبالعين المهملة في آخره، ولد الذئب من الضبع، وهو سبع مركب، فيه شدة الضبع وقوتها، وجراءة الذئب وخفته، ويزعمون أنه كالحية لا يعرف العلل ولا يموت حتف أنفه، وأنه أسرع عدواً من الريح. وقال الجوهري: السمع الأزل: الذئب الأرسح وهو القليل لحم الفخذين، وكل ذئب أرسح فإن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء انتهى.

وقد قال بعض الأعراب فيه:

تـراه حـديـدَ الـطّرف أبلجَ واضحـا ... أغـرّ طويـلَ الباعِ أسمـع من سِمعِ

ويقال: إن وثبته تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً وفي كتاب «خبر البشر بخير البشرى» خبر لابن ظفر عن ربيعة ابن أبي نزار، قال: أخبرني خالي قال: لما أظهر الله علينا رسول الله ﷺ بحنين، أشعبنا في كل شِعب لا يلوي حميم على حميم، فبينما أنا في بعض الشعاب، إذ رأيت ثعلباً قد تحوى عليه أرقم، والثعلب يعدو عدواً شديداً، فانتحيت إليه بحجر فما أخطأه، فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد سبقني بنفسه، وإذا الأرقم قد تقطع وهو يضطرب، فقمت أنظر إليه فهتف بي هاتف، ما سمعت أفظع من صوته، يقول: تعساً لك وبؤساً قد قتلت رئيساً ووترت بئيساً! ثم قال: يا داثر يا داثر، فأجابه مجيب من العدوة الأخرى: لبيك لبيك، فقال: بادر بادر إلى بني الغدافر، فأخبرهم بما صنع الكافر، فناديت أني لم أشعر وأنا عائذ بك فأجرني. فقال: كلا والحرم الأمين لا أجير من قاتل المسلمين، وعبد غير رب العالمين. قال: فناديت أني أسلم. فقال: إن أسلمت سقط عنك القصاص، وفزت بالخلاص، والإفلاتِ حين مناص. قال: فقلت: أشهد أن لا إله

إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال: نجوت وهديت، ولولا ذلك لرديت، فارجع من حيث جيت. قال: فرجعت أقفو أدراجي فإذا هو يقول:

امـتط السـمـع الأزلْ يـعـل بـك الـتـلْ
فـهـنـاك أبـو عـامـر يـتـبـع بـك الـفـلْ

قال: فالتفت، فإذا سمع كالأسد النهد، فركبته فمر ينسل حتى انتهى إلى تل عظيم، فتوقل فيه إلى أن تسنمه فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصوبت في الحدور نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلي فارس كالفالج الهائج، فقال: ألق سلاحك لا أم لك، فألقيت سلاحي فقال لي: من أنت؟ قلت: مسلم. قال: فسلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقلت: وعليك السلام والرحمة والبركة. من أبو عامر؟ قال: أنا هو قلت: الحمد لله. فقال: لا بأس عليك، هؤلاء إخوانك المسلمين. ثم قال: إني رأيتك بأعلى التل فارساً فأين فرسك؟ قال: فقصصت عليه القصة فأعجبه ما سمع مني، وسرت مع القوم أقفو بهم أثر هوازن، حتى بلغوا من الله ما أرادوه. قال محمد بن ظفر: قوله: تحوى عليه أرقم، أي استدار عليه، والأرقم الحية التي فيها خطوط كالرقم. وتزعم الأعراب أن الثعالب مطايا الجن، ويكرهون اصطيادها، ويقولون: إن من صاد ثعلباً أصيب ببعض ماله. وقوله: سبقني بنفسه أي هلك قبل أن أصل إليه. وقوله: لولا ذلك لرديت، أي هلكت. والردى الهلاك. وقوله: أقفو أدراجي أي أتبع طرقي التي جئت فيها والأدراج السبل وقوله: الفل هم المنهزمون، وقوله: النهد هو العظيم الخلق. وقوله: ينسل أي يعدو، والنسلان عدو الذئب والكلب وكل ما أشبه ذلك في العدو فهو نسلان. وقوله: كالفالج هو البعير العظيم ذو السنامين انتهى.

الحكم: تحريم الأكل. واختلفوا في وجوب الجزاء على المحرم بقتله كالمتولد بين الحمار الوحشي والأهلي فقال ابن القاص: لا جزاء في ذلك. وغلط فيه والمذهب أنه يحرم على المحرم التعرض له ويجب فيه الجزاء.

الأمثال: قالوا: «أسمع من سمع ومن سمع الأزل»(١). لأن هذه الصفة لازمة له، كما يقال للضبع: العرجاء.

وهو في الرؤيا يدل على ذي الأصل الرديء. ونقل ما سمعه من كلام جيد ورديء، وذلك مأخوذ من اسمه والله أعلم.

السمائم: بالفتح جمع سمامة وهو ضرب من الطير، كالخطاف لا يقدر على بيضه. وقيل: هو السنونو الآتي قريباً إن شاء الله تعالى وهو الطير الأبابيل الذي أرسله الله تعالى على أصحاب الفيل.

الأمثال: قالت العرب: «كلفتني بيض السمائم»(٢) ويروى بيض السماسم وهو جمع

(١) جمهرة الأمثال ١/٤٣٣.
(٢) المستقصى ٢/٢٢٣.

سمسمة وهي النملة وستأتي إن شاء الله تعالى. يضرب للشيء العزيز الوجود.

السمسم: بالفتح الثعلب.

السمسمة: بكسر السين، النملة الحمراء. وجمعها سماسم. وقال ابن فارس، في مجمله: هو النمل الصغار. وبها فسر الحديث، الذي رواه مسلم، عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ ذكر «الجهنميين وأن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها فيخرجون كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس»[1]. قال الامام النووي قوله: كأنهم عيدان السماسم هو بالسينين المهملتين الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة وهو جمع سمسم وهو السمسم المعروف الذي يستخرج منه الشيرج. وقال أبو السعادات بن الأثير: السماسم جمع سمسم وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤخذ حبها دقاقاً سوداً كأنها محترقة قال: وطالما تطلبت هذه اللفظة وسألت عنها، فلم أجد فيها شيئاً شافياً وما أشبه أن تكون اللفظة محرفة وربما كانت عيدان السماسم وهو خشب أسود كالآبنوس قال القاضي عياض: لا يعرف معنى السماسم ولعل صوابه السأسم وهو عود أسود. وقيل: هو الآبنوس. وقيل: هو نبت صغير ضعيف كالكسبرة وقال آخرون: لعله السأسم مهموزة وهو الآبنوس شبههم به لسواده.

السمك: من خلق الماء، الواحدة سمكة، وجمعه أسماك وسموك، وهو أنواع كثيرة ولكل نوع اسم خاص وقد تقدم في آخر الجراد أن النبي ﷺ قال:[2] «إن الله عز وجل خلق ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر».

ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها وما لا يدركها الطرف لصغرها، وكل يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم، وحيوان البر الهواء، إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة، والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء. وإنما استغنى عن الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه، لأنه من عالم الماء والأرض دون عالم الهواء، ونحن من عالم الأرض والماء والهواء. قال الجاحظ: السمك يسبّح الله في غمر الماء ولا يسبح في أعلاه. ونسيم البر الذي يعيش به الطير، لو دام على السمك ساعة قتله قال[3] الشاعر:

تغمه النشوة والنسيم ... ولا يزال مغرقا يعوم
في البحرِ والبحرُ له حميم ... وأمه الوالدة الرؤوم
تلهمه جهرا وما يريم

وقوله: وأمه الوالدة فيه شاهد على أن الأم في غير الآدميين تسمى أيضاً والدة. وقوله تلهمه أي تأكله لأن السمك يأكل بعضه بعضاً، وذلك قوته، ولذلك قال الغزالي: السمك أكثر خلق الله تعالى. وقوله: وما يريم أي لا يبرح عن ذلك الموضع الذي يأكل فيه وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم، فقال:

---

(١) رواه مسلم: إيمان ٣٢.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل ٦/٢٢٤٩.

(٣) الحيوان للجاحظ ٣/٢٦٤، لأبي العنبر بن أبي نخيلة.

ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل انتهى.

قال ابن التلميذ(١) في تشبيه السمك:

لبسنَ الجواشنَ خوفَ الردى ... عليهن من فوقهن الخوذُ
فلما أتيحَ لها أهلكتْ ... ببردِ النسيمِ الذي يستلذُ

وهو بجملته شره كثير الأكل لبرد مزاج معدته وقربها من فمه وإنه ليس له عنق ولا صوت ولا يدخل إلى جوفه هواء البتة، ولذلك يقول بعضهم: إن السمك لا رئة له، كما أن الفرس لا طحال له، والجمل لا مرارة له، والنعامة لا مخ لها وصغار السمك تحترس من كباره، ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير، وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة، تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص، وهذا بعينه موجود في الحيات. ومن السمك ما يتولد بسفاد، ومنه ما يتولد بغيره إما من الطين أو من الرمل، وهو الغالب في أنواعه، والغالب يتولد من العفونات. وبيض السمك ليس له بياض ولا صفرة،وإنما هو لون واحد قال الجاحظ: ومن السمك القواطع والأوابد كما في الطير، فرب سمكة تأتي في بعض فصول السنة وتنقطع في بعضها. ومن جملة أنواعه السقنقور، والدلفين، والخرشفلا، والتمساح. وقد تقدم ذكرها في أبوابها ومنها: القرش والعنبر، وسيأتيان في بابيهما، إن شاء الله تعالى ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات، وغير ذلك، ومن أنواعه السمكة الرعادة هي صغيرة إذا وقعت في الشبكة والصياد ممسك حبلها، ارتعدت يد الصياد والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا بها شدوا حبل الشبكة في وتد أو شجرة حتى تموت السمكة، فإذا ماتت بطلت خاصيتها. وما أحسن قول الشيخ شرف الدين محمد بن حماد بن عبد الله البوصيري(٢) صاحب البردة في الشيخ زين الدين محمد بن الرعاد:

لقد عابَ شعري في البرية شاعرٌ ... ومن عابَ أشعاري فلابد أن يُهجى(٣)
فشعري بحرٌ لا يرى فيه ضفدعٌ ... ولا يقطع الرعاد يوماً له لجا

وأطباء الهند يستعملونها في الأمراض الشديدة الحر، وأما في غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالها. قال ابن سيده: الرعادة إذا قربت من رأس المصروع، وهي حية، نفعته. وإذا علقت المرأة شيئاً منها عليها لم يقدر الرجل على فراقها. وفي البحر من العجائب ما لا يستطاع حصره، ويكفي في ذلك قول رسول الله ﷺ: «حدثوا عن البحر ولا حرج» أي حدثوا عنه حيث لا حرج عليكم في ذلك.

ومن أنواعه: الشيخ اليهودي وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة.

عجيبة: حكى القزويني، في عجائب المخلوقات عن عبد الرحمن بن هارون المغربي، قال:

---

(١) ابن التلميذ: هبة الله بن صاعد. توفي سنة ٥٦٠ هـ.

(٢) البوصيري: محمد بن سعيد بن حمّاد أبو عبدالله، شاعر مليح المعاني. مات سنة ٦٩٦ هـ.

(٣) البيتان في فوات الوفيات ٣٦٨/٣.

ركبت بحر المغرب فوصلت إلى موضع يقال له البرطون، وكان معنا غلام صقلي معه صنارة فألقاها في البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفي قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله.

وفي كتاب تحفة الألباب لأبي حامد الأندلسي الغرناطي، ان في بحر الروم سمكاً صغيراً كالذراع يسمى التلب إذا أخذ وأمسك ما شاء الله لا يموت بل يتحرك ويضطرب، وإذا جعل منه قطعة على النار، وثب خارج النار وربما أصاب وجوه الناس، وإن جعلت سمكة منه في قدر وغطي رأسها بصخرة أو حديدة لئلا تخرج منها فما لم تنضج لم تمت ولو قطعت ألف قطعة.

فوائد: روى الإمام أحمد، في الزهد، عن نوف البكالي، قال: انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك، فجعل الكافر يلقي شبكته ويذكر آلهته فتمتلىء سمكاً، ويلقي المؤمن شبكته ويذكر اسم الله تعالى فلا يصطاد شيئاً. قال: ففعلا ذلك إلى مغيب الشمس، ثم إن المؤمن، اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته، فأسف ملك المؤمن وقال: رب عبدك المؤمن الذي يدعوك رجع وليس معه شيء، وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته. فقال الله عز وجل لملك المؤمن: تعال، فأراه مسكن المؤمن في الجنة. فقال: ما يضر عبدي هذا المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا. وأراه مسكن الكافر في النار، فقال: هل يغني عنه من شيء أصابه في الدنيا؟ قال: لا والله يا رب.

ومنها في آخر صفوة الصفوة عن أبي العباس بن المسروق، قال: كنت باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل وعلى جانبه ابنة له، كلما اصطاد سمكة تركها في دوخلة معه، فتردها الصبية إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئاً فقال: يا بنية أي شيء صنعت بالسمك؟ فقالت: يا أبت سمعتك تروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقع سمكة في شبكة إلا غفلت عن ذكر الله» فلم أحب أن آكل شيئاً غفل عن ذكر الله. فبكى الرجل ورمى بالصنارة. ومنها، في كتاب الثواب، عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة، فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوماً فاشتريت بدرهم ونصف، وشويت وحملت له على رغيف، فقام سائل على الباب فقال للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه. فقال الغلام: أصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا يوماً، فلم نجدها فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له نحن نعطيه ثمنها، فقال: لفها وادفعها إليه فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهماً وتدع هذه السمكة؟ فأخذ منه درهماً وردها، فعاد الغلام وقال له: دفعت له درهماً وأخذتها منه فقال له: لفها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه شيئاً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:[1] «أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له».

ومنها ما روى الطبراني، بإسناد صحيح، عن نافع، أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما اشتكى فاشتهى عنباً فاشترى له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين فقال: اعطوه إياه فخالف

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ٥/١٧٧٨.

إنسان، فاشتراه بدرهم ثم جاء به إليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم في الرابعة أكله ولو علم ذلك ما ذاقه. وقال سريج بن يونس: خرجت يوماً لصلاة الجمعة، فرأيت سمكتين مشويتين فاشتهيتهما بقلبي للصبيان، ولم أتكلم، فلما رجعت لم أستقر إلا قليلاً، حتى دق الباب رجل وعلى رأسه طبق عليه السمكتان ونقل وخل ورطب كثير، فقال: يا أبا الحارث كل هذا مع الصبيان.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: سمعت سريج بن يونس يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا سريج سل حاجتك فقلت: يا رب سر بسر ا هـ وسر بسر لفظة أعجمية يعني رأساً برأس. وفي تاريخ ابن خلكان أن سريجاً هذا جد أبي العباس إمام الفقهاء الشافعية.

الحكم: السمك بجميع أنواعه حلال بغير ذبح، سواء مات بسبب ظاهر، كضغطة أو صدمة حجر أو انحسار ماء أو ضرب من صياد أو مات حتف أنفه لعموم ما تقدم من قوله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال»(١) وأجمع المسلمون على طهارة ميتتهما، وسيأتي في باب العين إن شاء الله تعالى، حديث العنبر الذي وجده أبو عبيدة وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وأكل منه النبي ﷺ.

فرع: لو اصطاد مجوسي سمكاً فهو طاهر، لقول الحسن: رأيت سبعين صحابياً يأكلون صيد المجوسي من الحيتان، ولا يتلجلج في صدورهم من ذلك شيء. وهذا في السمك مجمع عليه وخالف مالك في الجراد.

فرع: لا يحل قطع السمكة الحية لما فيه من التعذيب، كما لو قلاها قبل الموت في الزيت المغلي كذا قاله أبو حامد. قال النووي: وهذا تفريع على اختياره تحريم ابتلاعها حية وذلك مباح. ا هـ قلت: وهذا مشكل فلا يلزم من جواز الابتلاع جواز القلي لما فيه من التعذيب بالنار.

فرع: يكره ذبح السمك، إلا أن يكون كبيراً يطول بقاؤه، فيستحب ذبحه في الأصح إراحة له وقال الرافعي: أكل السمكة الصغيرة إذا شويت ولم يشق جوفها ولم يخرج ما فيه، فيه وجهان: وعلى المسامحة جرى الأولون، قال الروياني: وبهذا أفتي ورجيعها طاهر عندي وهو مختار القفال.

فرع: اختلف العلماء في الحيوان الذي في البحر سوى الحوت، فقال بعضهم: يؤكل جميع ما في البحر سوى الضفدع، ولو كان على صورة إنسان وإلى هذا ذهب أبو علي الطيبي من قدماء أصحابنا، قال في شرح القنية: قيل له: أرأيت لو كان على صورة بني آدم؟ قال: وإن تكلم بالعربية وقال: أنا فلان بن فلان، فإنه لا يصدق انتهى. وهذا ضعيف شاذ وقال آخرون: يؤكل الجميع إلا ما كان على صورة الكلب والخنزير والضفدع.

وقيل: كل ما أكل في البر مذبوحاً، يؤكل مثله في البحر مذبوحاً، وغير مذبوح على الأصح. وقيل: لابد من ذبحه واختاره الصيدلاني، فعلى هذا لا يحل كلب الماء ولا خنزيره ولا

---

(١) رواه ابن ماجه: أطعمة ٣١.

حمار البحر وإن كان له شبه في البر حلال، وهو الحمار الوحشي لأن له شبهاً في البر حرام وهو الحمار الأهلي تغليباً للتحريم، كذا قاله في الروضة وشرح المهذب. قلت: المهذب المفتى به حل الجميع إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كانت على صورة كلب أو خنزير أو انسان أم لا.

فرع: لو حلف إنسان لا يأكل لحماً لم يحنث بأكل لحم السمك لأنه لا يفهم إطلاق اسم اللحم عليه عرفاً، وإن سماه الله تعالى لحماً طرياً. كما لا يحنث بالجلوس في الشمس إذا حلف أنه لا يجلس في ضوء السراج وإن سماها الله تعالى سراجاً، وكما لا يحنث بالجلوس على الأرض إذا حلف أنه لا يجلس على بساط وإن سماها الله تعالى بساطاً.

فرع: قد اختلف في إطلاق اسم السمك على ما سوى الحوت من هذه الحيوانات، والذي نص عليه الشافعي في الأم والمختصر، أنه يطلق على الجميع وهو الصحيح في الروضة. وقال في اختلاف العراقيين في قوله تعالى: ﴿**أحل لكم صيدَ البحر وطعامَه متاعاً لكم**﴾(١) الآية قال أهل التفسير: طعامه كل ما فيه وهو يشبه ما قال والله أعلم. هذه عبارته، وهي صريحة في حل الجميع وذكر في المنهاج أن السمك لا يقع إلا على الحوت.

فرع: يجوز السلم فيه وفي الجراد حياً وميتاً عند عموم الوجود ويوصف كل جنس بما يليق به. ولا يجوز بيع السمك في الماء، لما روى الإمام أحمد عن محمد بن السماك عن يزيد بن أبي زياد، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشتروا السمك في الماء فإنه غرر»(٢). قال البيهقي: هكذا روي موقوفاً وفيه إرسال بين المسيب وابن مسعود. والصحيح ما رواه هشيم عن يزيد موقوفاً، عن عبد الله أنه كره بيع السمك في الماء.

فرع: ما يعيش في البر والبحر: الضفدع والتمساح والحية واللجأة والسرطان والسلحفاة والحلزون والدعاميص والأصداف والنسناس. أما الستة الأولى فمحرمة. وأما الحلزون فتقدم حكمه في باب الحاء المهملة. وأما الدعاميص فعلى قول القاضي: أنها ماء منعقد، ولا يعيش إلا في الماء يحل أكلها، وعلى قول الجاحظ: يحرم لأن البعوض حرام. وقد تقدم بيان حكمها في باب الدال المهملة. والصدف حرام كما تقدم في السرطان. وفي النسناس خلاف يأتي إن شاء الله تعالى في باب النون.

الخواص: لحمه بارد رطب أجوده البحري المرقش الظهر الصغير المفلس منفعته تخصيب الأبدان المعرقة، لكنه يعطش ويولد خلطاً بلغمياً يوافق أصحاب الأمزجة الحارة والشباب وأجود ما أكل في الصيف وفي البلاد الحارة. وأنواع السمك كثيرة، ويكره من جملتها الأسود والأصفر والآجامي وما اغتذى بالحمأة. ويكره الابراميس والبوري لمضرتها بالمعدة، وإطلاقها البطن، وتحريكها الأوجاع والغضب بعد أكلها يورث أمراضاً رديئة، وسمك الأنهار كثير الشوك، رقيقه كثير الرطوبة والبحري بالضد. والسلور وهو الجري كثير الغذاء ملين للبطن وينقي قصبة الرئة

---

(١) سورة المائدة: آية ٩٦.

(٢) رواه ابن حنبل ١ ـ ٣٨٨.

ويصفي الصوت. والمارماهيج يزيد في المني وشحم الكلى. والعظيم الجثة من السمك كثير الغذاء والفضول. وقال ابن سينا: لحم السمك نافع لماء العين، ويحد البصر مع العسل. وقال غيره يزيد في الباه وقال القزويني: إن أكل الطري منه مع البصل الرطب يهيج الباه، ويزيد فيه إذا أكله حاراً. والسمك إذا شمه السكران يرجع إليه عقله، ويزول عنه سكره. ومرارته ومرارة السلحفاة البحرية، إذا خلطتا وكتب بهما على كاغد بقلم حديد، فإن الكتابة ترى بالليل كأنها ذهب ومرارة السمك والكركي والحجل تمنع نزول الماء اكتحالاً. ومرارة السمك إذا شربت نفعت من الخفقان، وكذلك إذا نفخت في الحلق مع شيء من السكر.

التعبير: السمك في الرؤيا إذا عرف عدده إلى أربع فهو نساء، وإن كان أكثر من أربع فهو مال وغنيمة لقوله تعالى: ﴿**وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً**﴾[1] وهو السمك. والحوت يعبر بوزير الملك، والسمك جنده فمن أخذ سمكاً نال من جند الملك مالاً، ومن رأى كأنه يصطاد السمك في بئر فإنه لوطي، أو يبيع خادمه لإنسان. وقالت النصارى: صيد السمك في الماء الكدر لا خير فيه. ومن رأى أنه يصيد السمك في الماء الصافي، فإنه يسمع كلاماً يسر به، والسمك للمريض الملازم للفراش دليل رديء بسبب الرطوبات، وإذا رآه المسافر في فراشه دل على شدة، وربما يخشى على صاحب الرؤيا من الغرق، لأنه قد ضاجعه. ومن رأى كأنه يصيد السمك من الماء الصافي، فإنه يرزق ولداً سعيداً، والسمك المالح هم من قبل السلطان، وذلك لكبس بعضه فوق بعض وقيل: السمك المالح يدل على خير ومال باق، لأن الملح يحفظ السمك من التلف وقيل: إنه هم من قبل المماليك، والسمك المشوي يدل على سفر في طلب علم. ومن رأى سمكة خرجت من فرجه، وله امرأة حامل، بشر بجارية. وإن رأى سمكاً كثيراً، وبينها سمكة عظيمة ويرى أكبر السمك قد صلبت، فإن الجائر والباغي يهلك. والسمك المقلي يدل على إجابة دعوة من رآه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام دعا الله فأجيب بالسمك المقلي في المائدة. ورؤية الكبار من السمك غنائم وأموال، والصغار هموم وأحزان، لأن شوك الصغار أكثر من لحمه ويشق على آكله.

فصل: الحوت تدل رؤيته على اليمين لأن الله تعالى أقسم به، فقال ﴿**ن والقلم**﴾[2] وربما دلت رؤيته على معبد الصالحين، ومسجد المتعبدين، لأن يونس عليه السلام كان يسبح الله تعالى في بطنه، وربما دلت رؤيته على الغم والنكد، وزوال المنصب وحلول الغضب، لأن الله تعالى حرم على اليهود صيدهم يوم السبت، فخالفوا أمره فاستوجبوا بذلك اللعن. ورؤية حوت يونس عليه السلام أمن للخائف، وغنى للفقير، وفرج لمن هو في شدة. وكذلك رؤية سجن يوسف والكهف والرقيم وتنور نوح عليه السلام.

فصل: واعتبر من السمك الطري والحلو والمالح، وما له شوك وما له سلاح، وما يقدد منه وما يأوي البحر العذب، وما يأوي البحر الملح، وما له صوت يسمع، وما يطفو على وجه الماء، من صغاره وكباره وما له شبه في البر، وما يأنس منه في البيوت، وما يمسك منه باليد من غير آلة.

---

(١) سورة النحل: آية ١٤. (٢) سورة القلم: آية ١.

وأعطى الرائي حقه من ذلك، فمن رأى أنه اصطاد من البحر سمكاً طرياً حلواً بآلة، دل على الكسب الحلال، والسعي فيه واقتناء الرزق الحلال، والصيد للرجل دال على احتياله برأيه وجهده، فإن كان الرائي أعزب تزوج، وإن كان متزوجاً رزق ولداً على قدر ما صاده في المنام. وصيد المرأة يدل على مال تحرزه من زوجها أو أبيها. وصيد العبد دليل على ما يتناوله من مال سيده، وصيد الصغير دليل على ما يحفظه من علم أو صناعة أو مال يرثه من أبويه، فإن كانت آلة صيده شباكاً أو خطاطيف أو ما يعمق في البحر، كان ذلك شدة ينالها الرائي وخطراً يرتكبه، فإن كانت آلة صيده خفيفة، وطلع فيها ما يطلع في غيرها من الآلات الثقال، دل على بسط الرزق وتسهيل الأمور، وإن طلع في الآلات الثقال ما يطلع في السهلة، دل على التعب والنصب وعلى اليسير من الرزق، فإن طلع له سمك كثير فإنه رزق مما دل عليه البحر. وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى فيما يدل عليه البحر، في باب الفاء في فرس البحر. فإن كان البحر مالحاً نال فائدة أو علماً من أعجمي أو مبتدع. فإن كان ما صاده له شوك وقشر كانت فضة محرزة أو ذهباً، فإن كان ليس له قشر دل على أعمال باطلة لا تتم وذلك لسرعة انصرافه من الأيدي وملوسته.

وإن كان للسمك سلاح كالشال والشلبا، دل على انتصاره على أعدائه، وربما صادق أهل الشرّ، فإن كان ممن يقدد فهي بضاعة لأرباب البضائع، وإن رأى سمك البحر الحلو ينتقل إلى البحر الملح، أو سمك الملح ينتقل إلى الحلو، دل على النفاق في الجيش واختلاف العامة فيما جرت به العوائد، من حدوث مظلمة، أو ظهور بدعة.

فإن رأى السمك طافياً على وجه الماء، دل على تسهيل الأمور وقرب البعيد وإظهار الأسرار وإخراج المخبآت، أو مال أصله من ميراث. فإن رأى عنده سمكاً صغاراً وكباراً، دل على الاهتمام بالأفراح والأحزان، أو ما يوجب الاجتماع بين الجيد والرديء.

فإن رأى عنده سمكاً، مما يشبه خلق الآدمي أو الطير، دل على التعرف بالتجار المترددين في البر والبحر، أو التراجمة العارفين بالألسنة، أو المتخلقين بالأخلاق المرضية، ويعتبر ذلك بالشبه، فإن رأى عنده شيئاً مما يأنس للإنسان أو يربى في البيوت كاللجأة والقرموط، وما أشبههما كان دليلاً على الإحسان للأيتام والغرباء.

فإن رأى أنه أخذ السمك من قاع البحر، فإنه ربما طالت يده في صناعته وحصل له رزق طائل، أو تعرض لأموال السلاطين، أو صار لصاً أو جاسوساً، فإن انكشف البحر وتناول سمكاً أو جوهراً اطلع على علم من غيب الله تعالى، باطلاع الله تعالى له، واتضح له الدين واهتدى إلى السبيل، وكانت عاقبة أمره في ذلك عقبى حسنة. فإن عاد السمك منه إلى البحر صحب الأولياء واطلع منهم على ما لم يطلع عليه أحد، وإن نوى سفراً وجد رفقة يوافقونه ويرتفق بهم ويرجع إلى مكانه سالماً غانماً والله أعلم.

السمندل: بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولا في آخره وسماه الجوهري السندل بغير ميم، وابن خلكان السمند بغير لام. وهو طائر يأكل البيش، وهو نبت بأرض الصين يؤكل وهو أخضر بتلك البلاد، فإذا يبس كان قوتاً لهم ولم يضرهم فإذا بعد عن الصين، ولو مائة

ذراع وأكله آكل مات من ساعته. ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها. وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار وكثيراً ما يوجد بالهند، وهي دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل، ينسج من وبرها مناديل، إذا اتسخت ألقيت في النار فتنصلح ولا تحترق. وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ في النار، وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام. فإذا اتسخ بعضها، طرح في النار فتأكل النار وسخه الذي عليه ولا يحترق المنديل. قال ابن خلكان: ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة، في طوله وعرضه فجعلوها في النار، فما عملت فيها شيئاً فغمسوا أحد جوانبها في الزيت، ثم تركوه على فتيلة السراج فأشعل، وبقي زماناً طويلاً مشتعلاً، ثم أطفؤوه، فإذا هو على حاله ما تغير منه شيء. قال: ورأيت، بخط شيخنا العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي(١)، أنه قال قدم للملك الظاهر ابن الملك الناصر صلاح الدين، صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع في طول ذراعين فصاروا يغمسونها في الزيت، ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت، ذكره في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي(٢)، مع زيادة أخرى وأبيات تأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في العنكبوت. وقال القزويني: السمندل نوع من الفأر يدخل النار وذكر كما تقدم والمعروف أنه طائر كما حكاه البكري في كتاب المسالك والممالك وغيره أيضاً.

الخواص: مرارته إذا سقى منها وزن دانق بماء الحمص المغلي المصفى، بلبن حليب مراراً كثيرة، من به السموم القاتلة، أبرأه منها. ودماغه، إذا اكتحل به، مع الإثمد، صاحب الماء النازل، أبرأه، ويحفظ الحدقة من سائر الداء. ودمه إذا طلي به على الوضح أي البرص غير لونه. ومن بلع شيئاً من قلبه لا يسمع بعد ذلك شيئاً إلا حفظه. ومرارته تنبت الشعر ولو على الراحة.

السمُّور: وهو بفتح السين وبالميم المشددة المضمومة، على وزن السفود والكلوب، حيوان بري يشبه السنور، وزعم بعض الناس أنه النمس، وإنما البقعة التي هو فيها هي التي أثرت في تغير لونه وقال عبد اللطيف البغدادي: إنه حيوان جريء ليس في الحيوان أجرأ منه على الإنسان، لا يؤخذ إلا بالحيل، وذلك بأن يدفن له جيفة فيغتال بها، ولحمه حار، والترك يأكلونه، وجلده لا يدبغ كسائر الجلود انتهى.

ومن غريب ما وقع للنووي، في تهذيب الأسماء واللغات، أنه قال: السمور طائر، ولعله سبق قلم. وأعجب منه ما حكاه ابن هشام البستي، في شرح الفصيح، أنه ضرب من الجن، وخص هذا النوع، باتخاذ الفراء من جلوده، للينها وخفتها، ودفأتها وحسنها، ويلبسه الملوك والأكابر. قال مجاهد: رأيت على الشعبي قباء سمور.

---

(١) البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي عالم في الأدب والطب والفلسفة ولد في بغداد ومات فيها سنة ٦٢٩ هـ.

(٢) المنجنيقي: يعقوب بن صابر بن بركات أبو يوسف (كذا الاسم في الأعلام)، شاعر متفوق مات سنة٦٢٦٠ هـ.

وحكمه: حل الأكل الحاقاً له بالثعلب، ولأنه لا يأكل شيئاً من الخبائث.

التعبير: هو في الرؤيا، يدل على رجل ظالم لص، لا يخالط أحداً والله أعلم.

السِّميطر: على مثال العميثل طائر طويل العنق جداً، يرى أبداً في الماء الضحضاح، يكنى بأبي العيزار، كذا قاله الجوهري. ويقال له الشبيطر، والظاهر أنه مالك الحزين، وهو البلشون كما تقدم، وسيأتي في باب الميم، إن شاء الله تعالى.

السمندر والسميدر: دابة معروفة عند أهل الهند والصين قاله ابن سيده.

سناد: قال القزويني: إنه حيوان على صفة الفيل، إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور، وقيل: إن ولدها يخرج رأسه من فرج أمه ويرعى حتى يقوى، فإذا قوي خرج وهرب من الأم، مخافة أن تلحسه بلسانها، لأن لسانها مثل الشوك فإن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه وهو كثير ببلاد الهند.

الحكم: يحرم أكله كالفيل.

السنجاب: حيوان على حد اليربوع، أكبر من الفأر، وشعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتنعمون. وهو شديد الحيل، إذا أبصر الانسان صعد الشجرة العالية، وفيها يأوي ومنها يأكل. وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك، ومزاجه حار رطب، لسرعة حركته عن حركة الإنسان. وأحسن جلوده الأزرق الأملس وقد أحسن القائل:

كلما ازرقّ لونُ جلدي من البر د تخيلتُ أنه سنجابُ

وحكمه: حل الأكل لأنه من الطيبات. وقال بتحريم أكله، القاضي من الحنابلة، وعلله بأنه ينهش الحيات، فأشبه الجرذ. واستدل الجمهور بأنه يشبه اليربوع، ومتى تردد بين الإباحة والتحريم غلبت الإباحة، لأنها الأصل وإذا ذكي السنجاب ذكاة شرعية، جاز لبس فرائه، وإن خنق ثم دبغ جلده، لم يطهر شعره على الأصح كسائر جلود الميتة، لأن الشعر لا يتأثر بالدباغ، وقيل: يطهر الشعر تبعاً للجلد، وهي رواية الربيع الجيزي عن الشافعي، ولم ينقل عنه في المهذب سوى هذه المسألة. وهذا الوجه صححه الأستاذ أبو اسحاق الإسفراييني، والروياني، وابن أبي عصرون، واختاره السبكي وغيره، لأن الصحابة قسموا في زمن عمر رضي الله تعالى عنه الفراء المغنومة من الفرس، وهي ذبائح مجوس.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الخير مرثد بن عبد الله البرني، قال: رأيت على ابن وعلة السبائي فرواً فمسسته، فقال: ما لك تمسه! قد سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قلت له: إنا نكون بالمغرب، ومعنا البربر والمجوس، فيؤتى بالكبش، قد ذبحوه، ونحن لا نأكل ذبائحهم، ويأتون بالسقاء فيجعلون فيه الودك. فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قد سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «دباغه طهوره»[1].

---

(١) رواه مسلم: حيض ١٠٥، وابن حنبل: ١ ـ ٢١٩ والنسائي: فرع ٢٠.

الخواص: لحمه يطعم للمجنون يزول جنونه، ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه.
قال في المفردات: أسخان السنجاب قليل لأن الأغلب على مزاج حيوانه كثرة الرطوبة وقلة الحرارة، لاغتذائه بالفواكه، ولذلك يصلح لبسه للمحرورين والشباب لأنه يسخن إسخاناً معتدلاً.

السِنداوة: الذئبة.

السنة: الذئبة أيضاً.

السندل: هو السمندل المتقدم ذكره قريباً، والسندل لقب عمرو بن قيس المكي وهو متروك الحديث وله في سنن ابن ماجه حديثان ضعيفان.

السِّنَّور: بكسر السين المهملة وفتح النون المشددة، واحد السنانير، حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر، وكنيته أبو خداش وأبو غزوان وأبو الهيثم وأبو شماخ، والأنثى أم شماخ. وله أسماء كثيرة.

قيل: إن أعرابياً صاد سنوراً فلم يعرفه، فتلقاه رجل فقال: ما هذا السنور؟ ولقي آخر فقال: ما هذا الهر؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا القط؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الضيون؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الخيدع؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الخيطل؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الدم؟ فقال الأعرابي: أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالاً كثيراً فلما أتى به إلى السوق، قيل له: بكم هذا؟ فقال بمائة فقيل له: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به وقال: لعنة الله، ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه! وهذه الأسماء للذكر، قاله في الكفاية. وقال ابن قتيبة: يقال في الأنثى سنورة كما يقال في أنثى الضفادع ضفدعة انتهى.

قلت: ولا يمتنع القياس في خيطلة وضيونة وقطة وخيدعة وهرة. روى الحاكم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ «يأتي دار قوم الأنصار، ودونهم دور لا يأتيها». فشق عليهم ذلك، فكلموه فقال: (1) «إن في داركم كلباً». قالوا: فإن في دارهم سنوراً، فقال: السنورسبع. ثم قال: حديث صحيح.

وروى نعيم بن حماد، في كتاب الفتن، عن أبي شريحة الغفاري، صاحب رسول الله ﷺ أنه قال: (2) «يحشر رجلان من مزينة، هما آخر الناس حشراً، يقبلان من جبل قد توارى، حتى يأتيا معالم الناس، فيجدا الأرض وحوشاً حتى يأتيا المدينة، فإذا بلغا أدنى المدينة قالا: أين الناس فلا يريان أحداً، فيقول أحدهما لصاحبه: الناس في دورهم فيدخلان الدور فإذا ليس فيها أحد، وإذا على الفرش الثعالب والسنانير، فيقول أحدهما لصاحبه: أين الناس فيقول: أراهم في الأسواق قد شغلهم البيع، فيخرجان حتى يأتيا الأسواق فلا يجدا فيها أحداً، فينطلقا حتى يأتيا

---

(1) رواه أبو داود: لباس ٤٥، والترمذي: ادب ٤٤.
(2) رواه البخاري: مدينة ٥. وابن حنبل ٢ - ٢٣٤.

باب المدينة فإذا عليها ملكان فيأخذان بأرجلها ويسحبانها إلى أرض المحشر، فهما آخر الناس حشراً».

غريبة: قيل: كان لركن الدولة سنور يألف مجلسه، وكان بعض أصحابه، إذا أراد الاجتماع به فيعسر عليه ذلك، كتب حاجته في رقعة وعلقها في عنق السنور، فيراها ركن الدولة فيأخذ الرقعة ويقرؤها، ويكتب جوابها، عليها ثم يشدها في عنق السنور، فيرجع بها إلى صاحبها. وقيل: إن أهل سفينة نوح عليه السلام تأذوا من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس، فرمى بالسنور فلذلك هو أشبه شيء بالأسد، بحيث لا يمكن أن يصور الهر إلا جاء أسداً، وهو ظريف لطيف يمسح بلعابه وجهه، وإذا تلطخ شيء من بدنه نظفه، وهو في آخر الشتاء تهيج شهوته، فيتألم ألماً شديداً من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى يلقي تلك المادة. وإذا جاعت الأنثى أكلت أولادها، وقيل: إنها تفعل ذلك لشدة محبتها لهم وأنشد[1] الجاحظ:

جاءت مع الاشفين في هودج تزجي إلى النصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادَها

معنى تزجي تسوق قال الله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا﴾[2] أي يسوق سحاباً.

وإذا بال السنور ستر بوله حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب، فيشمه أولاً، فإذا وجد رائحته شديدة، غطاه بحيث يواري الرائحة والجرم، وإلا اكتفى بأيسر التغطية. قالوا: والفأرة تعرف رجيع السنور، وذكر الزمخشري أن الله تعالى ألهم الهرة ذلك، ليتنبه بذلك قاضي الحاجة من الناس فيغطي ما يخرج منه. وإذا ألف السنور منزلاً، منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل، وحاربه أشد محاربة وهو من جنسه، علماً منه بأن أربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه، أو شاركوا بينه وبينه في المطعم، وإن أخذ شيئاً مما يخزنه أصحاب المنزل عنه هرب علماً منه بما يناله منهم من الضرب. وإذا طردوه تملقهم وتمسح بهم، علماً منه بأنه يخلصه التملق ويحصل له العفو والإحسان. وقد جعل الله تعالى في قلب الفيل الفرق منه، فهو إذا رأى سنوراً هرب. وحكي أن جماعة من أهل الهند هزموا بذلك.

والسنور ثلاثة أنواع: أهلي، ووحشي، وسنور الزباد. وكل من الأهلي والوحشي له نفس غضوبة يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الإنسان في أمور: منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده، وتحمل الأنثى في السنة مرتين، ومدة حملها خمسون يوماً. والوحشي حجمه أكبر من حجم الأهلي قال الجاحظ: قال العلماء: اتخاذ السنور وتربيته مستحبة. وذكر القزويني في الاشكال، عن ابن الفقيه، أن لبعض السنانير أجنحة كأجنحة الخفافيش من أصل الأذن إلى الذنب، فإن صح ذلك فالظاهر أنه كالسنور البري، عملاً بالمشاكلة. وقال مجاهد: جاء رجل إلى شريح القاضي، يخاصم آخر في سنور فقال: بينتك؟ قال: ما أجد بينة في سنور ولدته أمه عندنا.

---

(١) البيتان في الحيوان للجاحظ: ١٩٧/١ ونسبهما إلى السيد بن محمد الحميري.
(٢) سورة النور: آية ٤٣.

فقال شريح: اذهبا به إلى أمه فإن استقرت واستمرت ودرت، فهو سنورك، وإن هي اقشعرت وازبأرت وهربت فليست بسنورك.

الحكم: الأصح تحريم أكل السنور الأهلي والوحشي، لما روي في الحديث المتقدم، أنه سبع. وروى البيهقي وغيره، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال:[١] «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الهرة وأكل ثمنها». وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن أبي داود أن النبي ﷺ «نهى عن بيع السنور»[٢]. فقيل: محمول على الوحشي الذي لا نفع فيه. وقيل: نهي تنزيه حتى يعتاد الناس هبته وإعارته، كما هو الغالب فإن كان مما ينفع وباعه صح البيع، وكان ثمنه حلالاً. هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة، إلا ما حكى ابن المنذر، عن أبي هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد أنه لا يجوز بيعه محتجين بهذا الحديث. وأجاب الجمهور عن الحديث، بأنه محمول على ما ذكرناه، وهذا هو المعتمد. وأما ما ذكره الخطابي وأبو عمر بن عبد البر، أن الحديث ضعيف، فليس كما قالا، بل الحديث صحيح كما تقدم. وقول ابن عبد البر لم يروه عن أبي الزبير غير حماد بن سلمة، غلط أيضاً، لأن مسلماً رواه في صحيحه من رواية معقل عن عبيد الله عن أبي الزبير، فهذان ثقتان روياه عن أبي الزبير، وهو ثقة. ورواه ابن ماجه عن ابن لهيعة عن أبي الزبير ولا يضره ذلك. وسيأتي في باب الهاء، إن شاء الله تعالى الإشارة إلى هذا أيضاً، في لفظ الهرة، واختلفت الرواية عن الإمام أحمد في سنور البر، وأكثر الروايات على تحريمه كالثعلب. وبحله قال الحضرمي من أصحابنا، وهو مذهب مالك وأما الأهلي فحرام عند أبي حنيفة، ومالك وأحمد واختار البوشنجي من أصحابنا الحل والأصح تحريمه كما تقدم.

الأمثال: قالوا «أثقف من سنور»[٣]. والثقف الأخذ بسرعة. يقال: رجل ثقف لقف، أي سريع الاختطاف. وقالوا: «كأنه سنور عبد الله» يضرب لمن لا يزيد سناً، إلا زاد نقصاناً وجهلا وفيه قال بشار بن برد الأعمى[٤]:

أبـا مخلفٍ مـازلتَ نبـاحَ غمـرة ... صغيرا فلما شبتَ خيمتَ بالشاطى[٥]
كـسنـورِ عبـدِ اللهِ بيـعَ بـدرهـمٍ ... صغيـرا فلما شبَّ بيـعَ بقـيراطِ

لكنه مثل مولد ليس من كلام العرب. وقال ابن خلكان: ولقد كشفت عن سنور عبد الله المظان، وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن، فما عرفت له خبراً ولا عثرت له على أثر. ثم إني ظفرت بقول الفرزدق[٦]:

---

(١) رواه الترمذي: بيوع ٤٩، وابن ماجه: صيد ٢٠.
(٢) رواه أبو داود: بيوع ٦٢، وابن حنبل ٣ ـ ٢٩٧.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٢٣٩.
(٤) بشار بن برد العُقيلي، أبو مُعاذ أشعر المولدين في العصر العباسي، مات تحت الضرب سنة ١٦٧ هـ.
(٥) البيتان في ديوان بشار: ٥٥٠.
(٦) الفرزدق: همّام بن غالب بن صعصعة، من مشاهير شعراء العصر الأموي، له نقائض مع جرير الشاعر والأخطل. مات سنة ١١٠ هـ.

رأيت الناسَ يزدادون يوماً فيوماً في الجميلِ وأنتَ تنقصُ[1]
كمثلِ الهرِّ في صغرٍ يغالى به حتى إذا ما شبّ يرخصُ

ومن ههنا أخذ بشار قوله، وليس المراد منه هراً معيناً، بل كل هر قيمته في صغره أكثر منها في كبره انتهى.

الخواص: السنور الأهلي، من أكل لحم الأسود منه، لم يعمل فيه السحر. وطحاله، يشد على المستحاضة ينقطع حيضها. وعيناه، إذا جففتا وتبخر بهما إنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت. ومن استصحب نابه لم يفزع بالليل، وقلبه، يشد في قطعة من جلده فمن استصحبه لم تظفر به الأعداء. ومرارته من اكتحل بها يرى في الليل، كما يرى في النهار، وتخلط بملح وكمون كرماني، ويطلى بها على الجروح والقروح الرديئة تبرأ. ودمه، إذا طلي به القضيب عند الجماع فإن المفعول به يحب الفاعل حباً شديداً. وإن سقي منه صاحب الجذام نفعه، وإن شرب منه انسان أحبته النساء. وزبله يسقط المشيمة بخوار. وقال القزويني: مرارة الأسود، ومرارة الدجاجة السوداء، إذا جففتا وسحقتا، واكتحل بهما مع الكحل ظهر له الجن، وخدموه. قال: وهو مجرب. ومرارة الأسود، إذا أخذ منها وزن نصف درهم، وديف بدهن زنبق، وسعط به صاحب اللقوة أبرأه ذلك. وأما البري ، فمخه عجيب لوجع الكلى، ولعسر البول، إذا أذيب بماء الجرجير، وسخن بالنار وشرب على الريق في الحمام. ودماغه إذا دخن به أخرج المني من الرحم. قاله القزويني. ويأتي تعبيره إن شاء الله تعالى، في باب القاف في لفظ القط.

وأما سنور الزباد، فهو كالسنور الأهلي، لكنه أطول منه ذنباً، وأكبر جثة، ووبره إلى السواد أميل، وربما كان أنمر، ويجلب من بلاد الهند والسند. والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج، وهو زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك، يوجد في ابطيه، وفي باطن أفخاذه، وباطن ذنبه، وحوالي دبره، فيؤخذ من هذه الأماكن بملعقة صغيرة أو بدرهم رقيق. وقد تقدم في باب الزاي الكلام على شيء من هذا.

وحكمه: تحريم الأكل على الصحيح، كالأهلي والوحشي وأما الزباد فهو طاهر، لكن قال الماوردي والروياني في آخر باب الغرر: ان الزباد لبن سنور في البحر يجلب كالمسك ريحاً، واللبن بياضاً، يستعمله أهل البحر طيباً، وهذا يقتضي كونه حلالاً، فإن قلنا بنجاسة لبن ما لا يؤكل لحمه، ففي هذا وجهان: قال النووي: الصواب طهارته وصحة بيعه، لأن الصحيح أن جميع حيوان البحر طاهر يحل لحمه ولبنه، هذا بعد تسليم أنه حيوان بحري. والصواب أنه بري، فعلى هذا هو طاهر بلا خلاف، لكنهم قالوا: إنه يغلب فيه اختلاطه بما تساقط من شعره، فينبغي أن يحترز عما فيه شيء من شعره لأن الأصح نجاسة شعر ما لا يؤكل لحمه، إذا انفصل في حال حياته غير الآدمي.

السنونو: بضم السين والنونين. الواحدة سنونة، وهو نوع من الخطاطيف، ولذلك سمي

---

(٥) البيتان في العقد الفريد ١/٢٨٢.

حجر اليرقان حجر السنونو، ولكن تصحف على صاحب عجائب المخلوقات، فقال: حجر الصنونو بالصاد، والصواب أنه بالسين المهملة نسبة إلى هذا النوع من الخطاطيف، وقد أجاد جمال الدين بن رواحة في تشبيه السنونو بقوله:

وغـريـبـةٍ حـنَّـتْ إلى وكـر لهـا   فـأتتْ إليـه في الـزمـانِ المقبـلِ
فـرشَتْ جناحَ الآبنـوسِ وصفقتْ   بـالعـاجِ ثم تقهقهتْ بـالصّنـدل[1]

وحكمه: تقدم في باب الخاء المعجمة في الخطاف.

ومن خواصه: أن من أخذ عيني السنونة، وشدهما في خرقة وعلقهما على سرير، فمن صعد ذلك السرير لم ينم. وإذا بخر بعينها العصافير هربت، وإذا بخر بها صاحب الحمى بريء بإذن الله تعالى.

السودانية والسوادية: طائر يأكل العنب. قاله ابن سيده.

عجيبة: حكي أن بمدينة رومية، شجرة نحاس، عليها سودانية من نحاس، في منقارها زيتونة، فإذا كان وقت الزيتون، صفرت تلك السودانية فلا يبقى في تلك النواحي سودانية إلا جاءت، ومعها ثلاث زيتونات: في منقارها واحدة، وفي رجليها اثنتان، حتى تطرحهن على رأس السودانية التي من النحاس، فيعصر أهل رومية ما يحتاجون إليه من الزيت عامهم كله. قلت: الظاهر أن السودانية هي الزرزور، وقد تقدمت هذه الحكاية عن الشافعي رضي الله عنه، وهو يأكل العنب كثيراً.

الخواص: لحم السودانيات بارد، يابس، رديء، لاسيما الهزيل، وأجوده صيد الأشراك، وهو يزيد في الإنعاظ لكنه يضر بالدماغ، وتدفع مضرته بالأمراق الرطبة وهو يولد خلطاً حريفاً يوافق الأمزجة الباردة والمشايخ، وأصلح ما أكل في الربيع، ويكره أكل لحمها لما تأكله من الحشرات والجراد، ولذلك صار في لحمها حدة وروائح كريهة، وهو أردأ من لحم القنابر. وروفس يرتب الطير ثلاث مراتب ويقول: أفضل الطير البري الرخ والشحرور والسماني ثم الحجل والدراج والطيهوج والشفنين وفرخ الحمام والفاخت ثم السلوى والقنابر. على أن القنابر بالدواء أشبه منها بالغذاء والله أعلم.

السوذنيق: الصقر قاله في كفاية المتحفظ.

السوس: دود يقع في الصوف والطعام. قاله الجوهري وغيره يقال طعام مسوس ومدود بكسر الواو فيهما قال الراجز:

قـد أطـعـمـتـني دقـلا حـولـيـا   مـسـوسـا مـدوداً حـجـريـا

وقال قتادة ومجاهد، في قوله تعالى: ﴿ويخلقُ ما لا تعلمون﴾[2] هو سوس الثياب، ودود الفاكهة.

---

(١) الآبنوس والصّندل: ضربان من الأشجار التي تتميز بجودة الخشب.
(٢) سورة النحل: آية ٨.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «عن يمين العرش نهر من نور، مثل السموات السبع والأرضين السبع سبعين مرة، يدخله جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيه فيزداد نوراً إلى نوره، وجمالاً إلى جماله، وعظماً إلى عظمه، ثم ينتفض فيخرج الله تعالى من كل ريشة سبعين ألف قطرة، فيخلق من كل قطرة سبعين ألف ملك، يدخل منهم كل يوم إلى البيت المعمور سبعون ألف ملك، وإلى الكعبة سبعون ألفاً لا يعودون إلى يوم القيامة». وقال الطبري: ما لا تعلمون ما أعد الله تعالى في الجنة لأهلها، مما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر.

روينا في بعض الأخبار، عن الحارث بن الحكم، قال: أنزل الله تعالى في بعض الكتب: أنا الله لا إله إلا أنا لولا أني قضيت بالنتن على الميت، لحبسه أهله في البيوت، وأنا الله لا إله إلا أنا مرخص الأسعار والبلاد مجدبة، وأنا الله لا إله إلا أنا مغلي الأسعار والأهراء ملأى، وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أني قضيت بالسوس على الطعام، لخزنته الملوك، وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أني أسكنت الأمل في القلوب، لأهلكها التفكر. ولما حرم عمرو بن هند على المتلمس[1] حب العراق قال[2]:

آليتُ حبَّ العراقِ الدهرَ أطعمُه ... والحبّ يأكله في القريةِ السوسُ

روى البيهقي، في شعبه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا يناله اللصوص ولا يأكله السوس فليفعل فإن قلب كل امرىء عند كنزه.

وحكى عن الشيخ العارف أبي العباس المرسي أن امرأة قالت له: كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه. وكان عندنا فول مسوس فدششناه فخرج السوس حياً فقال لها: صحبة الأكابر تورث السلامة. قلت: ويقرب من هذا، ما حكاه ابن عطية في تفسير سورة الكهف، أن والده حدثه عن أبي الفضل الجوهري الواعظ بمصر، أنه قال في مجلس وعظه: من صحب أهل الخير عادت عليه بركتهم، هذا كلب صحب قوماً صالحين فكان من بركتهم عليه أن ذكره الله تعالى في القرآن ولا يزال يتلى على الألسنة أبداً. ولذلك قيل: من جالس الذاكرين انتبه من غفلته، ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته.

ومن الفوائد المستغربة، ما أخبرني به بعض أهل الخير أن أسماء الفقهاء السبعة، الذين كانوا بالمدينة الشريفة، إذا كتبت في رقعة وجعلت في القمح فإنه لا يسوس، مادامت الرقعة فيه، وهم مجموعون في قول[3] الأول:

ألا كلّ من لا يقتدي بأئمة ... فقسمته ضيزى عن الحق خارجهْ
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وأفادني بعض أهل التحقيق، أن أسماءهم إذا كتبت وعلقت على الرأس، أو ذكرت عليه

---

(١) المتلمس: جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة وكان نديماً لعمرو بن هند ملك الحيرة.
(٢) الشعر والشعراء ٩٩.
(٣) وفيات الأعيان: ١/٢٨٣، من غير عزو.

أزالت الصداع العارض له وقد تقدم في باب الجيم في الجراد ذكر الآيات التي تنفع للصداع.

وأفادني بعض أهل العلم، أن هذه الأسماء إذا كتبت في رقعة وعلقت على الرأس، أذهبت الصداع والشقيقة. وهي: بسم الله الرحمن الرحيم اهدأ عليه يا رأس، بحق من خلق فيك الأسنان والأضراس، وكتبه الكتبة بلا قلم ولا قرطاس، قر بقرار الله، اسكن واهدأ بهدء الله، بحرمة محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿ألم ترَ إلى ربِّك كيفَ مدَّ الظِّلَّ ولو شاءَ لجعلَه ساكناً﴾[١] أسكن أيها الوجع والصداع والشقيقة والضربان، عن حامل هذه الأسماء، كما سكن عرش الرحمن، ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[٢] ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[٣] وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.

ومما جرب: لإذهاب السوس والفراش ما أفادنيه بعض أئمة الإمامية أن يكتب على خشب الغار هذه الأسماء في الظل بحيث لا تراه الشمس أبداً لا وقت الكتابة ولا وقت الذهاب بها ثم تدفن الخشبة في القمح أو الشعير، فإنه لا يسوس ولا يفرش. وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا فماتوا كذلك يموت الفراش والسوس ويرحل بإذن الله تعالى، اخرج أيها السوس والفراش بإذن الله تعالى عاجلاً، وإلا خرجت من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويشهد عليك أنك سرقت لجام بغلة نبي الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام. وهو عجيب مجرب.

الحكم: يحرم أكله منفرداً لأنه نوع من الدود.

الأمثال: قالوا: «العيال سوس المال» وقالوا: «آكل من سوسة»[٤]. وقيل لخالد بن صفوان بن الأهيم: كيف ابنك؟ قال: سيد فتيان قومه ظرفاً وأدباً. فقيل له: كم ترزقه كل يوم؟ فقال: درهماً. فقيل له: وأين يقع منه ثلاثون درهماً في كل شهر وأنت تستغل ثلاثين ألفاً؟ فقال: الثلاثون درهماً أسرع في هلاك المال من السوس في الصوف بالصيف. فحكى كلامه للحسن البصري فقال: أشهد أن خالداً تميمي وإنما قال الحسن ذلك لأن بني تميم مشهورون بالبخل والنهم. وهو في الرؤيا كالدود فليراجع هناك.

السِّيد: بكسر السين وإسكان الياء المثناة من تحت، من أسماء الذئب وبه سمي جد أبي محمد عبد الله ابن محمد بن السيد البطليوسي اللغوي النحوي صاحب التصانيف المفيدة، والمحاسن العديدة، مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بطليوس، وتوفي في رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

السِّيدة: بكسر السين وبالدال المهملتين واسكان الياء المثناة من تحت، وبالهاء في آخره: الذئبة وإليها ينسب الإمام العلامة الحافظ النحوي اللغوي المحقق أبو الحسن علي بن اسماعيل بن

---

(١) سورة الفرقان: آية ٤٥.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٣.
(٣) سورة الإسراء: آية ٨٢.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/١٦٤.

سِيده المرسي، وكان إماماً في اللغة وفي الغريب حافظاً لهما، وجمع في ذلك كتابه المحكم والمخصص وغير ذلك، وكان ضريراً وأبوه كذلك. توفي في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره ستون سنة.

سَيفَنة: كهيمنة، قال ابن السمعاني في الأنساب: إنه طائر بمصر يلقي أوراق الأشجار عنها، حتى لا يبقي منها شيئاً شبه به أبو اسحاق إبراهيم ابن حسن بن علي الهمداني سيفنة من أكابر المحدثين، لأنه كان إذا ظفر بمحدث سمع جميع ما عنده حتى لا يبقى شيئاً من حديثه.

أبو سيراس: قال القزويني في الأشكال: إنه حيوان يوجد في الغياض تكامل في قصبة أنفه اثنتا عشرة ثقبة، إذا تنفس يسمع من أنفه صوت كصوت المزامير، والحيوانات تجتمع عليه لاستماع ذلك الصوت فإذا دهش بعضها لذلك، يصيده فيأكله فإن لم يتهيأ له صيد شيء منها وضجر، صاح صيحة هائلة فتتفرق الحيوانات وتفر عنه والله أعلم.

باب الشين المعجمة

الشادِن: بكسر الدال المهملة: الظبي الذكر الذي طلع قرناه وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الظاء المعجمة.

شادهوار: حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم. قال القزويني في الأشكال: له قرن عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة، فإذا هبت الريح سمع لها أصوات حسنة، فتجتمع بسبب ذلك الحيوانات إليه لسماع صوته. ذكر أن بعض الملوك أهدي له قرن منه، فترك بين يديه عند هبوب الرياح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب يكاد يدهش الإنسان من سماعه ثم وضع منكوساً فكان يخرج منه صوت محزن حتى يكاد يغلب الإنسان البكاء.

الشارف: المسنة من النوق والجمع شرف مثل بازل وبزل وعائذ وعوذ ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه أنه قال(١): «كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفاً من الخمس يومئذ فلما أردت أن أبني بفاطمة رضي الله تعالى عنها، واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي، فيأتي باذخر أردت أن أبيعه من الصواغين، فاستعين به في وليمة عرسي، فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر والحبائل، وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، فرجعت حين جمعت ما جمعت، فإذا شارفاي قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما. فقلت: من فعل هذا؟ فقالوا: فعله حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه، وهو في هذا المكان في هذا البيت في شرب من الأنصار غنته قينة بين أصحابه فقالت:

ألا يا حمزَ للشرفِ النواء ... وهنّ معقلات بالفناءِ
ضعِ السكينَ في اللباتِ منها ... وضرجْهن حمزةَ بالدماءِ

(١) رواه البخاري: مغازي ١٢، ومسلم: أشربة ١ ـ ٢. وأبو داود: إمارة ٢٠.

وعجلْ من أطايبها لشربٍ | طعاماً من قديدٍ أو شواء
فأنتَ أبو عمارةَ المرجى | لكشفِ الضر عنا والبلاء»

وبقية الحديث مشهورة، رواه البخاري ومسلم وأبو داود، وهو حجة على إباحة كل ما ذبحه غير المالك تعدياً كالغاصب والسارق وهو قول جمهور العلماء.

وخالف في ذلك سحنون وداود وعكرمة فقالوا: لا يؤكل، وهو قول شاذ. وحجة الجمهور أن الزكاة وقعت من المتعدي على شروطها الخاصة، وتعلق بذمته قيمة الذبيحة فلا موجب للمنع. وهذا الفعل إنما كان من حمزة رضي الله تعالى عنه قبل تحريم الخمر، لأنه قتل يوم أحد وكان تحريمها بعد ذلك فكان معذوراً في قوله غير مؤاخذ به، وكان شربه الذي دعاه إليه مباحاً كالنائم والمغمى عليه، فلما حرمت الخمر صار شاربها مؤاخذاً بشربها محدوداً فيها.

الشاة: الواحدة من الغنم، تقع على الذكر والأنثى من الضأن والمعز، وأصلها شاهة، لأن تصغيرها شويهة، والجمع شياه بالهاء في أدنى العدد. تقول ثلاث شياء إلى العشر، فإذا جاوزت العشرة فبالتاء، فإذا كثرت قلت: هذه شاء كثيرة. والشاة أيضاً الثور الوحشي والنسبة إلى الشاء شاوي قال الشاعر:

لا ينفعُ الشاوي فيها شاتُه | ولا حماراه ولا علاتُهْ

وفي الكامل لابن عدي في ترجمة خارجة بن عبد الله بن سليمان، عن عبد الرحمن بن عائذ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له شاة ولا يصيب جاره من لبنها أو مسكين فليذبحها أو ليبعها»(١). ومما تواتر من حكمة لقمان وهو لقمان بن عنقاء بن بيرون وكان نوبياً من أهل ايلة، أن سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها، ويأتيه بأطيب ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. ثم أعطاه في يوم آخر شاة أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. فسأله عن ذلك. فقال: هما أطيب ما فيها إن طابا، وأخبث ما فيها إن خبثا. وهذا معنى قوله ﷺ: «إن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(٢). ويقال إن سيده دخل الخلاء يوماً، فأطال الجلوس فناداه: لا تطل الجلوس على الخلاء، فإنه ينخع الكبد، ويورث البواسير، ويميت القلب.

ومن وصيته لابنه، واسمه ثاران، وقيل غير ذلك: يا بني كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته، ومن الكريم إذا أهنته، ومن العاقل إذا هجوته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الجاهل إذا صاحبته، ومن الفاجر إذا خاصمته، وتمام المعروف تعجيله. يا بني ثلاثة أشياء تحسن بالإنسان: حسن المحضر، واحتمال الإخوان، وقلة الملل للصديق. وأول الغضب جنون وآخره ندم. يا بني ثلاثة فيهم الرشد: مشاورة الناصح، ومداراة العدو والحاسد، والتحبب لكل أحد. يا بني المغرور من وثق بثلاثة أشياء: الذي يصدق ما لا يراه، ويركن إلى من لا يثق به،

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل: ٩٢٥/٣. (٢) رواه البخاري: إيمان ٣٩، ومسلم: مساقاة ١٠٧.

ويطمع فيها لا يناله. يا بني احذر الحسد، فإنه يفسد الدين، ويضعف النفس، ويعقب الندم. يا بني إذا خدمت والياً فلا تنم إليه بأحد، فإنه لا يزيده ذلك منك إلا نفوراً، فإنه إذا سمع منك في غيرك فإنه لا بد أن يسمع من غيرك فيك، ويكون قلبه خائفاً منك أن تنم عليه كما نميت إليه بغيره، ولا يزال محترساً منك. وكن يا بني أقرب الناس إليه عند فرحه، وأبعدهم منه عند غضبه، وإن ائتمنك فلا تخنه، وإن أنالك يسيراً، فخذه واقبله فتبلغ به أن تنال كثيراً. وأكرم خدمه والطف بأصحابه، وغض طرفك عن محارمه، وأصم أذنك عن مجاوبته، وأقصر لسانك عن حديثه واكتم في المجالس سره، واتبع باللطف هواه، وناصح في خدمته، واجمع عقلك في مخاطبته، ولا تأمن الدهر من غضبه، فإنه ليس بينك وبينه نسب. والغضب يسرع إليه في كل وقت، ووثبته كوثبة الأسد. يا بني كتمان السر صيانة للعرض. يا بني إن ردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء، فإن المرأة حرب ليس فيها صلح، وهي إن أحبتك أكلتك، وإن أبغضتك أهلتك.

وفي كتاب ربيع الأبرار للزمخشري، ورحلة ابن الصلاح، التي بخطه، قال الحسن البصري[1]: لو وجدت رغيفاً من حلال، لأحرقته ثم دققته ثم داويت به المرضى. ثم قال: اختلطت غنم البادية بغنم أهل الكوفة. فسأل أبو حنيفة كم تعيش الشاة؟ قالوا: سبع سنين، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين. وأنشد المبرد:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة ... إلا عصاه الحياء والكرمُ
فلا إلى حرمة مددت يدي ... ولا مشت بي لريبة قدمُ

وفي تاريخ ابن خلكان، أن هشام بن عبد الملك بعث إلى الأعمش[2]، أن اكتب إلي بمناقب عثمان ومساوي علي رضي الله تعالى عنهما، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخله في فم شاة، فلاكته وقال للرسول: قل له هذا جوابه. فذهب الرسول ثم عاد، وقال: إنه آلى أن يقتلني إن لم آته بالجواب، وتحيل عليه بإخوته، فقالوا له: افده من القتل، فلما ألحوا عليه، كتب: أما بعد فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض، ما نفعتك، ولو كان لعلي مساوي أهل الأرض، ما ضرتك، فعليك بخوصية نفسك والسلام.

والأعمش اسمه سليمان بن مهران من أعلام التابعين، رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفي وأخذ بركابه فقال له: يا بني، إنما أكرمت ربك. وكان لطيف الخلق مزاحاً ولم تفته التكبيرة الأولى سبعين سنة، وله نوادر، منها أنه كان له زوجة وكانت من أجمل نساء الكوفة، فجرى بينهما كلام، وكان الأعمش قبيح المنظر، فجاءه رجل يقال له أبو البلاد يطلب الحديث منه، فقال له: إن امرأتي نشزت عليّ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس، فدخل عليها وقال: إن الله تبارك

---

(١) الحسن البصري: الحسن بن يسار، أبو سعيد، تابعي من أهل البصرة، عالم فقيه فصيح، له مواقف مع الحجّاج. مات سنة ١١٠ هـ.

(٢) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، اصله من بلاد الري، نشأ في الكوفة وكان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض توفي سنة ١٤٨ هـ.

وتعالى قد أحسن قسمتك، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، فلا يغرنك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه. فغضب الأعمش وقال له: يا خبيث أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي ثم أخرجه من بيته. ومنها أن إبراهيم النخعي أراد أن يماشيه فقال له الأعمش: إن رآنا الناس معاً قالوا: أعور وأعمش! فقال النخعي: وما عليك أن يأثموا ونؤجر! فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم. ومنها أنه جلس يوماً في موضع فيه خليج من ماء المطر، وعليه فروة خلقة، فجاءه رجل وقال: قم عدني هذا الخليج وجذب بيده، فأقامه وركبه، وقال: ﴿سبحان الذي سخّر لنا هٰذا وما كنّا له مقرنين﴾[1]، فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج ورمى به، وقال: ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾[2]، ثم خرج وتركه يتخبط في الماء. ومنها أن رجلاً جاء إلى الأعمش يطلبه، فقيل له: خرج مع امرأة إلى المسجد، فجاءه فوجدهما في الطريق، فقال أيكما: الأعمش؟ فقال الأعمش: هذه وأشار إلى المرأة. ومنه أنه عاده أقوام في مرضه، فأطالوا الجلوس عنده، فأخذ وسادته وقام ثم قال: شفى الله مريضكم فانصرفوا. ومنها أنه ذكر عنده يوماً قوله[3] ﷺ: «من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه». فقال: ما عمشت عيناي إلا من بول الشيطان في أذني. وكتب[4] إلى بعض إخوانه يعزيه:

إنا نعزيك لا أنا على ثقة ... من البقاءِ ولكنْ سنة الدينِ
فلا المعزّى بباق بعد ميته ... ولا المعزّي وإنْ عاشا إلى حين

توفي رحمه الله سنة سبع وقيل ثمان وقبل تسع وأربعين ومائة.

وفيه أيضاً أنه لما ولي عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة، ولى أخاه مصعب بن الزبير المدينة، وأخرج منها مروان بن الحكم وابنه، فصار إلى الشام ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين وسبعين، فلما ولي عبد الملك بن مروان منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير، لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا، فضج الناس لما مُنعوا من الحج، فبنى عبد الملك قبة الصخرة فكان الناس يقفون عندها يوم عرفة. ويقال: إن ذلك كان سبب التعريف في بيت المقدس ومساجد الأمصار. وقيل: إن أول من سن التعريف بالبصرة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وبمصر عبد العزيز بن مروان، وببيت المقدس عبد الملك بن مروان.

ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير، وأراد الرجوع، قام إليه الحجاج فقال: إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته، فولني قتاله. فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام، فحصر ابن الزبير، ورمى الكعبة بالمنجنيق. فلما رمى به أرعدت السماء وأبرقت فخاف أهل الشام، فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة، وأنا ابنها، ثم قام ورمى بنفسه فزاد ذلك وجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً، وزاد خوف أهل الشام، فلما أصبحوا صعقت السماء فقتلت بعض أصحاب ابن الزبير، فقال الحجاج لأصحابه: اثبتوا فإنه مصيبهم ما

---

(١) سورة الزخرف: آية ١٣.
(٢) سورة المؤمنون: آية ٢٩.
(٣) رواه البخاري: تهجد ١٣، ومسلم: مسافرين ٢٠٥.
(٤) وفيات الأعيان: ٢/٤٠٣.

أصابكم، ولم يزل يرميها بالمنجنيق حتى هدمها. ورموها بكيزان النفط فاحترقت الستائر حتى صارت رماداً، وأن ابن الزبير قال لأمه: إني لا آمن إن قتلت أن يمثل بي وأصلب، فقالت له: يا ولدي إن الشاة، إذا ذبحت لم تتألم بالسلخ، فودعها وخرج من عندها. فحمل عليهم حتى ردهم على أعقابهم. فرمي بآجرة فأدمت وجهه فلما وجد سخونة الدم على وجهه أنشد قائلاً:

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ... ولكن على أقدامِنا تقطر الدما[1]

وصاحت مولاة لآل الزبير مجنونة، وكانت رأته حينها: وا أمير المؤمنيناه! وأشارت إليه. وقتل رضي الله تعالى عنه في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين. وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق، فوقفا عليه فقال طارق: ما ولدت النساء اذكر من هذا فقال الحجاج: أتمدح من خالف طاعة أمير المؤمنين؟ قال: نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر، وإنا لمحاصروه وهو في غير حصن ولا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا، بل يفضل علينا كلما التقينا. فبلغ كلامهما عبد الملك، فصوب رأي طارق. ثم بعث الحجاج برأس ابن الزبير وجماعة إلى عبد الملك، فبعث عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن حازم الأسلمي، وهو وال بخراسان من جهة ابن الزبير ودعاه إلى طاعته، على أن يجعل له خراسان طعمة سبع سنين فقال ابن حازم للرسول: لولا أن الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك، ولكن كل كتاب صاحبك فأكله. ثم أخذ الرأس فغسله وطيبه وكفنه ودفنه. وقيل: إنه بعث به إلى آل الزبير بالمدينة فدفنوه مع جثته بالمدينة. وماتت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم بالمدينة بعده بخمسة أيام ولها مائة سنة.

وذكر الحافظ ابن عبد البر أن الكعبة رميت بالمنجنيق مرة أخرى، حين حصرها مسلم بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، في أيام يزيد بن معاوية، في وقعة الحرة فمات يزيد ورجع مسلم إلى الشام.

غريبة: قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي: دخلت على أمي، يوم عيد الأضحى، فرأيت عندها امرأة في أثواب دنسة، فقالت لي أمي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هذه عتابة أم جعفر بن يحيى البرمكي فسلمت عليها، وقلت لها: حدثيني ببعض أمركم، فقالت: أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر، لقد هجم عليّ مثل هذا اليوم، يوم العيد، وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفراً عاق لي، وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلدي شاتين، أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً. قال: فدفعت إليها خمسمائة درهم، ولم تزل تتردد إلينا حتى فرق الموت بيننا. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ذكر قتل جعفر في باب العين المهملة في العقاب.

وفي سنن ابن ماجه وكامل بن عدي، في ترجمة أبي زر بن عبد الله، من حديث ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال[2]: «الشاة من دواب الجنة».

وفي الاستيعاب، للحافظ أبي عمر بن عبد البر، في ترجمة أبي رجاء العطاردي، أن العرب

---

(١) فوات الوفيات: ٢/١٧٤.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل: ٦/٢١٤٩.

كانوا يأتون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيجيء الذئب فيأخذها، فيأخذون أخرى مكانها. وفي سنن البيهقي وغيره أن النبي ﷺ «كان يكره من الشاة، إذا ذبحت، سبعاً: الذكر والأنثيين والدم والمرارة والحياء والعذرة والمثانة[1]». قال: «وكان أحب الشاة إلى رسول الله ﷺ مقدمها». وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها: كان عندي رسول الله ﷺ، فدخلت شاة فأخذت قرصاً تحت دن لنا، فقمت إليها، فأخذته من بين لحييها، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان ينبغي لك أن تعنقيها»، أي تأخذي بعنقها وتعصريها. وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: كان بين مصلى رسول الله ﷺ، وبين الحائط ممر الشاة. قلت: وهذا يدل على استحباب القرب من السترة كما جاء عنه أيضاً ﷺ: «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها، لئلا يقطع الشيطان عليه صلاته»[2]. رواه أبو داود، ولا يعارض حديث ممر الشاة بحديث «صلاة النبي ﷺ في الكعبة بينه وبين الجدار قدر ثلاثة أذرع». وهو الذي يمكن المصلي أن يدرأ من يمر به، إذ حمل بعضهم حديث ممر الشاة، على ما إذا كان قائماً، وحديث الثلاثة أذرع على ما إذا ركع أو سجد. ولم يذكر مالك في ذلك حداً، وقدر بعضهم ممر الشاة بقدر شبر. وقد تقدم، في البهيمة والجدي، شيء من هذا.

فائدة: في سنن أبي داود، وغيرها أن النبي ﷺ، أهدت له يهودية بخيبر، شاة مصلية سمتها، فأكل منها وأكل معه رهط من أصحابه، فمات بشر بن البراء بن معرور، فأرسل إلى اليهودية وقال: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. «فأمر ﷺ بها فقتلت». كذا رواه وهو مرسل، فإن الزهري لم يسمع من جابر شيئاً. والمحفوظ، أنه ﷺ قيل له: ألا تقتلها؟ فقال: «لا». كذا[3] رواه البخاري ومسلم، وجمع البيهقي بينهما، بأنه لم يقتلها في الابتداء، فلما مات بشر أمر بقتلها، وهي زينب بنت الحارث ابن سلام. وقال ابن اسحاق: إنها أخت مرحب اليهودي. وروى معمر بن راشد عن الزهري أنها أسلمت.

وروى الترمذي عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «بعثه ليشتري له أضحية بدينار، فاشترى أضحية فأربح فيها ديناراً، فاشترى أخرى مكانها وجاء بالأضحية والدينار إلى رسول الله ﷺ، فضحى بالشاة وتصدق بالدينار»[4]. وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ، أعطى عروة بن الجعد، وقيل: ابن أبي الجعد البارقي ديناراً ليشتري به شاة، فاشترى شاتين، فباع احداهما بدينار، وجاء بشاة ودينار. وذكر ما كان من أمره. فقال: «بارك الله لك في صفقة يمينك». فكان يخرج بعد ذلك إلى كناسة البصرة فيربح الربح العظيم حتى صار من أكثر أهل الكوفة مالاً. قال شبيب بن غرقدة: رأيت في دار عروة البارقي سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله تعالى. وروى عروة بن أبي الجعد، عن

---

(١) رواه ابن حنبل: ١ ـ ٢٠٤.
(٢) رواه البخاري: صلاة ٩٠، وأبو داود: صلاة ١٠٦.
(٣) رواه البخاري: هبة ٢٨.
(٤) رواه البخاري: مناقب ٢٨، وأبو داود: بيوع ٢٧، وابن ماجه: صدقة ٧.

رسول الله ﷺ ثلاثة عشر حديثاً وهو أول من قضى بالكوفة، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه على قضائها قبل شريح.

عجيبة: روى ابن عدي، عن حسن بن واقد القصاب، أن أبا جعفر البصري، وكان من أهل الخير والصلاح، قال: اضجعت شاة لأذبحها فمر أيوب السختياني[1] فألقيت الشفرة، وقمت معه أتحدث، فوثبت الشاة فحفرت في أصل الحائط، ودحرجت الشفرة فألقتها في الحفرة، وألقت عليها التراب. فقال لي أيوب: أما ترى أما ترى؟ فجعلت على نفسي أن لا أذبح شيئاً بعد ذلك اليوم.

فائدة أخرى: كان أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أبي الهيثم المصعبي، من أصحاب الشافعي، إماماً صالحاً عالماً من أهل اليمن، من أقران صاحب البيان. ومن تصانيفه: احترازات المذهب والتعريف في الفقه، روى أن ناساً ضربوه بالسيوف، فلم تقطع سيوفهم فيه، فسئل عن ذلك فقال: كنت أقرأ **﴿ولا يؤدُه حفظُهما وهو العليُّ العظيم﴾**[2] **﴿ويرسِلُ عليكم حفظة﴾**[3] **﴿إنّ ربي على كلِّ شيءٍ حفيظ﴾**[4] **﴿فالله خير حافظاً وهو أرحمُ الراحمين﴾**[5] **﴿له معقباتٌ مِنْ بين يديه ومِنْ خلفهِ يحفظونه مِنْ أمرِ الله﴾**[6] **﴿إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا له لحافظون﴾**[7] **﴿وحفِظْناها مِنْ كلِّ شيطانٍ رجيم﴾**[8] **﴿وجعلنا السّماءَ سَقفاً محفوظاً﴾**[9] **﴿وحفظاً من كلِّ شيطانٍ مارد﴾**[10] **﴿وحفظاً ذلك تقديرُ العزيزِ العليم﴾**[11] **﴿وربُّك على كلِّ شيءٍ حفيظ﴾**[12] **﴿الله حفيظٌ عليهم وما أنتَ عليهم بوكيل﴾**[13] **﴿وإنّ عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون﴾**[14] **﴿إنْ كلُّ نفسٍ لمّا عليها حافظ﴾**[15] **﴿إنّ بطشَ ربِّك لشديدٌ، إنه هو يبدئُ ويعيدُ، وهو الغفورُ الودودُ، ذو العرشِ المجيدِ، فعّالٌ لما يريدُ، هلْ أتاكَ حديثُ الجنودِ، فرعونَ وثمود، بلِ الذين كفروا في تكذيبٍ، والله من ورائِهم محيطٌ، بل هو قرآنٌ مجيدٌ، في لوحٍ محفوظ﴾**[16].

ثم قال: كنت خرجت يوماً في جماعة، فرأينا ذئباً يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها شيئاً، فلما دنونا منها نفر منا الذئب، فتقدمنا إلى الشاة، فوجدنا في عنقها كتاباً مربوطاً فيه هذه الآيات.

توفي المصعبي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

---

(١) أيوب السّختياني: أيوب بن أبي تميمة كيسان، البصري، تابعي فقيه زاهد، محدّث. مات سنة ١٣١ هـ.
(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٥.
(٣) سورة الأنعام: آية ٦١.
(٤) سورة هود: آية ٥٧.
(٥) سورة يوسف: آية ٦٤.
(٦) سورة الرعد: آية ١١.
(٧) سورة الحجر: آية ٩.
(٨) سورة الحجر: آية ١٧.
(٩) سورة الأنبياء: ٣٢.
(١٠) سورة الصافات: آية ٧.
(١١) سورة فصلت: آية ١٢.
(١٢) سورة سبإ: آية ٣٤.
(١٣) سورة الشورى: آية ٦.
(١٤) سورة الانفطار: الآيات ١٠، ١١، ١٢.
(١٥) سورة الطارق: آية ٤.
(١٦) سورة البروج: الآيات ١٢، ٢٢.

وقال الحافظ أبو زرعة الرازي: وقعت النار بجرجان فاحترق فيها تسعة آلاف بيت، وجدوا فيها تسعة آلاف مصحف قد احترقت، إلا هذه الآيات لم تحترق، في كل مصحف، وهي: ﴿ذلك تقديرُ العزيزُ العليم﴾[1] ﴿وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون﴾[2] ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعملِ الظالمون﴾[3] ﴿وإنْ تعدّوا نعمةَ الله لا تُحصوها﴾[4] ﴿وقضى ربُّكَ أن لا تعبدوا إلاّ إياه﴾[5] ﴿تنزيلا ممن خلَقَ الأرضَ والسمواتِ العلى، الرحمٰنُ على العرشِ استوى له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحت الثرى﴾[6] ﴿يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[7] ﴿ائتيا طَوْعاً أو كَرها قالتا أتينا طائعين﴾[8] ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبُدونِ ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أريدُ أن يطعمونِ إن الله هو الرزاقُ ذو القوةِ المتين﴾[9] ﴿وفي السماءِ رزقُكم وما توعدون فوربِّ السماءِ والأرضِ إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون﴾[10].

قال: فما وضعت هذه الآيات في متاع أو بيت أو حانوت أو غير ذلك إلا حفظه الله تعالى.

قلت: وهي نافعة مجربة.

وروى الثعلبي وابن عطية والقرطبي وغيرهم، عن سالم بن أبي الجعد، قال: احترق لنا مصحف فلم يبق فيه إلا قوله تعالى: ﴿ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمور﴾[11]. وغرق لنا مصحف فانمحى كل شيء فيه إلا هذه الآية.

وحدثنا شيخنا الإمام العارف بالله عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله تعالى قال: بلغني عن سيدنا العارف الإمام أبي عبد الله محمد القرشي عن شيخه أبي الربيع المالقي أنه قال له: ألا أعلمك كنزاً تنفق منه ولا ينفد؟ قلت: بلى. قال: قل يا ألله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب ياذا الطَّول يا غني يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حكيم يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام يا حنان يا منان، انفحني منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك ﴿إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾[12] ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[13] ﴿نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ﴾[14] اللهم يا غني يا حميد، يا مبدىء يا معيد، يا ودود ياذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك، واحفظني بما حفظت به الذكر، وانصرني بما نصرت به الرسل، إنك على كل شيء قدير. قال: فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة، خصوصاً صلاة الجمعة، حفظه الله من كل مخوف، ونصره

---

(١) سورة الأنعام: آية ٩٦.
(٢) سورة إبراهيم: آية ١١.
(٣) سورة إبراهيم: آية ٤٢.
(٤) سورة إبراهيم: آية ٣٤.
(٥) سورة الإسراء: آية ٢٣.
(٦) سورة طه: الآيات ٤، ٥، ٦.
(٧) سورة الشعراء: آية ٨٨، ٨٩.
(٨) سورة فصلت: آية ١١.
(٩) سورة الذاريات: الآيات ٥٦، ٥٧، ٥٨.
(١٠) سورة الذاريات: الآيات ٢٢، ٢٣.
(١١) سورة الشورى: آية ٥٣.
(١٢) سورة الأنفال: آية ١٩.
(١٣) سورة الفتح: آية ١.
(١٤) سورة الصف: آية ١٣.

علی أعدائـه وأغناه ورزقـه من حيث لا يحتسب، ويسر عليه معيشتـه، وقضى عنه دينـه ولو كـان عليه مثل الجبال ديناً، أداه الله تعالى عنه بمنه وكرمه.

وروى ابن عدي عن عبد الرحمن القرشي، قال: حدثنا محمد بن زياد بن معروف حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال: حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: قـال رسول الله ﷺ: «سألت الله تعالى الإسم الأعظم فجاءني جبريل عليه السلام به مخزوناً مختوماً، وهو: اللهم إني أسألك باسمك الأعظم المكنون الطهر الطاهر المطهـر المقدس المبـارك الحي القيوم»(١). فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: بأبي أنت وأمي يا نبي الله علمنيه. فقال ﷺ: يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء.

فائدة أخرى: روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضاً، فقال عيسى ليحيى: قل تلك الكلمات: حنة ولدت يحيى، ومريم ولدت عيسى، الأرض تدعوك يا ولد، أخرج يا ولد. قال حماد بن زيد: فما يكون في الحي امرأة ماخض، فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى. ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابني خالة، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام.

وعن يونس بن عبيد أنه قال: ما قال العبد: اللهم أنت عدتي في كربتي، وأنت صاحبي في غربتي، وأنت حفيظي عند شدتي، وأنت ولي نعمتي، عند النفساء أو البهيمة الماخض، إلا يسر الله عليها وضع الولد.

قال بعض الحكماء: من خصائص الزبد البحري، أنه إذا علق علـى ذات طلق، سهل الله عليها الولادة. وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعماً، وشرب بماء فإنه يسهل الولادة، وقد جرب مراراً عديدة فصح. وقد ورد في الحديث «مثل المؤمن كالشاة المأبورة»، أي التي أكلت الإبرة في علفهـا فنشبت في جوفهـا، فهي لا تأكـل شيئاً وإن أكلت لم ينجـع فيها. وفيـه أيضاً «مثـل المنافق كالشاة الرابضة بين غنمين» أراد أنها مذبذبة بين قطيعين من الغنم، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء. والرابضة أيضاً ملائكة أهبطوا مع آدم عليه الصلاة والسلام يهدون الضال ولعله من الإقامة وقـال الجوهري: الرابضة حملة الحجة لا تخلو منهم الأرض.

الحكم: يحل أكلها بالإجماع، وإن أوصى بشاة تناول صغيرة الجثة وكبيرتها، سليمة ومعيبة، ضأناً ومعزاً، لصدق الاسم على الجميع.

فرع: ومن أحكامها في الأضحية، أن الأضحية سنة غير واجبة ولا تصح إلا من النعم، ولا يجزىء من الضأن إلا الجذعة وهي ما لها سنة تامـة وشرعت في الثانيـة على الأصـح عند أصحابنا كما تقدم، في باب الجيم، في الجذعة. ومن المعز إلا الثنية، وهي التي شرعت في السنة الثالثة. ويشترط أن تكون سليمة من كل عيبٍ يضر باللحم، فلا تجزىء العجفاء، ولا العوراء،

(١) الكامل لابن عدي: ٥٩١/٢.

ولا المريضة، ولا العرجاء، ولا الجرباء، ولا مكسورة القرن، ولا مقطوعة الأذن، ولا التي لم يخلق لها أذن، وفي مشقوقة الأذن وجهان: قاله في العباب، وإذا لم تجزىء العوراء، فالعمياء أولى. وأما العمش وضعف البصر، من إحدى العينين، أو كلتيهما، فلا يمنع الإجزاء وقال الروياني: إن غطى على الناظر بياض وأذهب بعضه دون بعض، فإن ذهب الأكثر لم تجز التضحية بها، وإن ذهب الأقل، جازت. وفي العشواء، وهي التي تبصر نهاراً لا ليلاً، وجهان: الأصح الإجزاء. وقد ورد النهي عن التولاء، وهي المجنونة، وهي التي تستدبر المرعى ولا ترعى إلا قليلاً. فتهزل. وأما مقطوعة الأذن فينظر فإن لم يبن منها شيء بل بقي طرفها متدلياً، لم يمنع على الأصح. وقال القفال: إنها لا تجزىء. وإن أبين فإن كان كثيراً بالإضافة إلى الأذن فإنها لا تجزىء قطعاً، وإن كان يسيراً فلا تجزىء على الأصح، لفوات جزء مأكول. قال الإمام: وأقرب ضبط بين القليل والكثير، أنه إن لاح النقص من البعد فكثير، وإلا فقليل.

وقال أبو حنيفة: إن كان المقطوع دون الثلث، لا يمنع الإجزاء ولا يضر الكي وقيل: وجهان. وتجزىء صغيرة الأذن، ولا تجزىء التي أخذ الذئب مقداراً بيناً من فخذها. والمقطوعة الألية لا تجزىء على المذهب وتجزىء الشاة التي خلقت بلا ضرع، أو بلا ألية على الأصح. وقطع بعض الألية والضرع، كقطع كليهما. ولا تجزىء مقطوعة اللسان، والأصح إجزاء المجبوب والخصي، وشذ ابن كج، فحكى في الخصي قولين: وجعل الجديد عدم الإجزاء. وتجزىء التي لا قرن لها، والمكسورة القرن سواء اندمل أم لا على الأصح وجزم المحاملي، في اللباب، بعدم الإجزاء كما تقدم. قال القفال: إلا أن يؤثر ألم الانكسار في اللحم، فيكون كالجرب وذات القرن أفضل. وتجزىء التي ذهب بعض أسنانها.

فائدة: قال الجوهري: الأضحية فيها أربع لغات أضحية وأُضحية بضم الهمزة وكسرها، والجمع أضاحي، وضحية والجمع ضحايا، وأضحاة كأرطاة والجمع أضحى كأرطى، بها سمي يوم الأضحى.

فرع: النية شرط في الأضحية ويجوز تقديمها على الذبح في الأصح، ولو قال: جعلت هذه الشاة أضحية، فهل يكفي التعيين والقصد دون نية الذبح؟ وجهان أصحهما لا، لأن الأضحية سنة كما تقدم، وهي قربة في نفسها فوجبت النية فيها. واختار الإمام والغزالي الاكتفاء، وإذا قلنا بالاكتفاء فالمستحب تجديد النية.

فرع: يستحب للمضحي أن يذبح بيده، ويجوز أن يفوض ذبحها إلى غيره، وكل من حلت ذبيحته جاز التفويض إليه. والأولى أن يكون مسلماً، وأن يكون فقيهاً، ليكون عارفاً بوقتها وشرائطها، ويجوز استنابة الكتابي، وقال مالك: لا يجوز ويكون ما ذبحه شاة لحم. وحكى الموفق بن طاهر الحنبلي، عن أحمد مثله. ويستحب أن يأكل الثلث ويهدي الثلث ويتصدق بالثلث. وفي قول أن يأكل النصف، ويتصدق بالنصف، فإن أكل الكل معاً، فالمذهب أنه يضمن القدر الذي يجزىء فيه، وهو أدنى جزء. وقيل لا يضمن، وقيل يضمن القدر المستحب، وهو الثلث أو النصف، ولا يجوز بيع شيء منها، ولا أن يعطي الجزار منها شيئاً أجرة، بل مؤنة الذبح على المضحي كمؤنة الحصاد.

فرع: اعلم أن العلماء رضي الله تعالى عنهم قالوا: ادخار الأضحية فوق ثلاث منهي عنه. وهل يجوز أكل الجميع؟ وجهان: أحدهما نعم، وبه قال ابن سريج والأصطخري وابن القاص واختاره ابن الوكيل لأنه يجوز أكل أكثرها، فيجوز أكل جميعها، وحيازة الثواب تحصل بإراقة الدم لقصد النية، ونسب ابن القاص هذا الوجه إلى النص، وحكاه الموفق الحنبلي عن أبي حنيفة، وأصح الوجهين أنه لابد من التصدق بقدر ما يطلق عليه الاسم.

فرع: لو قال جعلت هذه الشاة أضحية أو نذر أن يضحي بشاة بعينها، زال ملكه عنها ولا ينفذ تصرفه فيها ببيع ولا هبة ولا إبدال، ولو بجزء منها وعن الشيخ أبي علي وجه أنه لا يزول الملك عنها حتى تذبح ويتصدق بلحمها، كما لو قال: لله عليّ أن أعتق هذا العبد لا يزول ملكه عنه إلا بإعتاقه وعند أبي حنيفة، أنه لا يزول الملك عنها ولا يجوز بيعها، ولا إبدالها ولو نذر العتق في عبد بعينه لا يجوز بيعه وإبداله، وإن لم يزل الملك عنه. وقال أبو حنيفة رحمه الله: يجوز بيعه وإبداله، فلو باعها فإنها تسترد إذا كانت العين باقية، فإن أتلفها المشتري أو تلفت عنده فعليه القيمة من يوم القبض إلى يوم التلف. فلو ذبح رجلان، كل واحد منهما أضحية الآخر، بغير إذنه، ضمن كل واحد منهما ما بين القيمتين، أو أجزأت عن الأضحية.

فرع: قال المحاملي: وتنحر الإبل وتذبح الغنم فإن نحر كلها، أو ذبح كلها جاز، وموضع النحر في السنة والاختيار اللبة، وموضع الذبح أسفل مجامع اللحيين، وكمال الذبح أن يقطع الحلقوم والمريء والودجين، وأقل ما يجزىء في الذكاة، أن يبين الحلقوم والمريء انتهى.

فرع: لو ولدت الأضحية الواجبة، ذبح ولدها معها، سواء كانت معينة أو في الذمة بعد ما عين، وله أن يشرب من لبنها ما يفضل عن ولدها، قاله القاضي أبو سعيد الهروي.

الأمثال: قالوا[1]: «كل شاة برجلها معلقة». أول من قال ذلك: وكيع[2] بن سلمة بن زهير بن إياد، وكان قد ولي أمر البيت، بعد جرهم، فبنى صرحاً بأسفل مكة، وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبه سميت الحزورة التي بمكة. وجعل في الصرح سلّماً، وكان يزعم أنه يرقاه فيناجي فيه ربه تعالى. وكان ينطق بكثير من الخير، وكان علماء العرب يقولون: إنه من الصديقين، فلما حضرته الوفاة جمع أولاده وقال لهم اسمعوا وصيتي: من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه، وكل شاة برجلها معلقة. فأرسل مثلاً أي كل أحد يجزى بعمله ﴿ولا تزْر وازرةٌ وِزرَ أخرى﴾[3].

الخواص: جلد الشاة، إذا أخذ حين يسلخ، وألبس للمضروب بالسياط، نفعه وسكن ألمه.

الشامرك: الفتي من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل. قاله في المرصع، وكنيته أبو يعلى، وهو معرب الشاه مرغ، ومعناه ملك الطير.

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/١٢٨.
(٢) وكيع بن سلمة، من قضاة العرب في الجاهلية.
(٣) سورة فاطر: آية ١٨.

الشاهين: جمعه شواهين وشياهين، وليس بعربي، لكن تكلمت به العرب. قال[1] الفرزدق:

حمى لم يحطّ عنه سريع ولم يخف ... نويرة يسعى بالشياهين طائرة

ويروى بالشواهين وقال عبد الله بن المبارك[2]:

قد يفتحُ المرء حانوتاً لمتجره ... وقد فتحتَ لك الحانوت بالدينِ
بين الأساطين حانوتٌ بلا غَلَقٍ ... تبتاعُ بالدينِ أموالَ المساكين
صيّرتَ دينك شاهيناً تَصيدُ به ... وليس يُفلحُ أصحابُ الشواهين

وقد تقدمت له أبيات، في باب الباء الموحدة، في البازي، تشبه هذه. ومن كلامه: تعلمنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا. والشاهين ثلاثة أنواع: شاهين وقطامي وأنيقي. والشاهين في الحقيقة من جنس الصقر، إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجاً، ولأجل ذلك تكون حركته من العلو إلى السفل شديدة، ولهذا ينقض على سيده انقضاضاً من غير تحريم، وعنده جبن وفتور، وهو مع ذلك شديد الضراوة على الصيد ولأجل ذلك ربما ضرب بنفسه الأرض فمات. وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح وبعضهم يقول الشاهين كاسمه يعني الميزان، لأنه لا يتحمل أدنى حال من الشبع، ولا أيسر حال من الجوع، والمحمود من صفاته أن يكون عظيم الهامة، واسع العينين، رحب الصدر، ممتلىء الزور، عريض الوسط، جليد الفخذين، قصير الساقين، قليل الريش، رقيق الذنب إذا صلب عليه جناحيه، لم يفضل عنه منهما شيء، فإذا كان كذلك، صاد الكركي وغيره. ويقال: إن أول من صاد به قسطنطين، وكانت الشواهين ريضت له، وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس، وكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى، فإذا ركب وقفت حوله إلى أن ركب يوماً، فثار طائر من الأرض، فانقض عليه بعض الشواهين، فأخذه فأعجبه ذلك وضراه على الصيد.

وحكمه: يأتي في باب الصاد المهملة، إن شاء الله تعالى، في الصقر.

ومن الرسائل التي كتبتها قديماً للأخ فارس الدين شاهين، وأنا بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام:

سلامٌ كما فاحتْ بروضٍ أزاهرُ ... يضيءُ كما لاحتْ بأفقٍ زواهر
إذا عبقتْ كتبي به قال قائلٌ ... أفي طيها نشرٌ من المسكِ عاطرُ
إلى فارسِ الدين الذي قد ترحلتْ ... لخدمة خدامُ مصرَ الأكابر
إذا عُدّ خُدامُ الملوكِ جميعهمُ ... فبينهم ذكرٌ لشاهين طائرُ

---

(١) البيت ليس في ديوان الفرزدق.

(٢) ابن المبارك، أبو عبد الرحمن، عالم زاهد تفقه على مذهب سفيان الثوري ومالك بن أنس توفي سنة ١٨٢ هـ. والأبيات مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٣/٣٣.

وعنـدي اشتيـاقٌ نحـوه وتـلفتٌ إلـيـه وقـلـبي بـالـمـودةِ عـامـر
تمنيتُ جَهـدي أنْ أراه بـحـضـرةٍ معـظـمةٍ أقـطـارُهـا وهـو حـاضرُ
وأدعـو لـه في كـلِّ وقتٍ مشـرفٍ وكـلِّ زمـانٍ فـضـلُه مـتـواتـر
وفي مسجـدٍ عـالٍ كـريمٍ معـظمٍ لـه شـرفٌ في سـائرِ الأرضِ سـائرُ

يقبل الأرض التي لها بشاهين علو النسرين، وجود المرزمين، قصرت عقاب الجو عن مطارها، والعنقاء ذات الحسن عن محاسن أخبارها، وطائرها الميمون صراح، وحامل بطائق سعدها، منشور الجناح، يعترف أبو الصقر لشاهينها، والبزاة وإنْ استقرت على يمين الملوك لتمكينها، طالما تصيدت الملوك بإحسانها، ونشرت جناحاً طار إلى أفق المعالي ومكانها، وينهي أن له إلى مولانا أشواقاً غالبه، وعينا برؤيته في تلك البقاع الشريفة مطالبه، وأدعية له عليها في كل وقت مواظبه، ويذكر إحسان مولانا، ويصفه فما أولانا بذكر ما أولانا، وكيف لا يحوز صدقاً قصب السبق وهي فارسية، ويطير حائماً على أفق العلا فضله وهو ذو نسبة شاهينيه، والمملوك يتذكر صدقاته وإحسانه في كل أوقاته، على أن المخدوم مازال يستبق الخيرات، ويسارع إلى جبر القلوب بأنواع المسرات، ويبذل معروفه إلى البعيد والقريب، ويرسل جوده الذي مازال يلبي دعوة الداعي ويجيب، فأدام الله على مولانا سوابغ نعمه، وعمه بإحسانه العميم بمنه وكرمه. وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب الصقر ذكر أبي الصقر المشار إليه.

وتعبيره: يأتي في الصقر، إن شاء الله تعالى أيضاً.

الشبب: الثور المسن وكذلك الشبوب والمشب.

الشَّبَث: بالتحريك العنكبوت. قال في المحكم: هي دويبة لها ست قوائم طوال، صفراء الظهر، وظهور القوائم سوداء الرأس، زرقاء العينين، وقيل: دويبة كثيرة الأرجل، عظيمة الرأس، واسعة الفم، مرتفعة المؤخر، تحرث الأرض، وهي التي تسمى شحمة الأرض. والجمع أشباث وشبثان. وقال الجوهري: الشبث، بالتحريك، دويبة كثيرة الأرجل ولا تقل شبْث بإسكان الباء الموحدة. والجمع شبثان مثل خرب وخربان.

وحكمها: تحريم الأكل لأنها من الحشرات.

الشِّبثان: بكسر الشين المعجمة، وبالباء الموحدة ثم الثاء المثلثة ثم نون في آخره، ذكر ابن قتيبة، في أدب الكاتب، أنها دويبة تكون في الرمل، سميت بذلك لتشبثها بما دبتَ عليه. قال الشاعر:

مدارك شبثان لهن هميْم

وحكمها: تحريم الأكل لأنها من الحشرات التي لا تؤكل.

الشِّبدع: العقرب والجمع الشبادع بكسر الشين والدال غير المعجمة، حكاه أبو عمرو والأصمعي.

وفي الحديث[1]: «من عض على شبدعه، سلم من الآثام». أي على لسانه أي سكت، ولم يخض مع الخائضين ولم يلسع به الناس لأن العاض على لسانه، لا يتكلم، فشبه اللسان بالعقرب الضارة.

الشِّبرَبَص: كسفرجل: الجمل الصغير.

الشِّبل: ولد الأسد، إذا أدرك الصيد، والجمع أشبال وشبول.

الشبوة: العقرب والجمع شبوات قال الراجز:

قد جعلتْ شبوةُ تزبئر ... تكسو أستها لحماً وتقمطِرْ

الشبّوط: كسفود ضرب من السمك. قال الليث: والسبوط بالسين المهملة لغة فيه، وهو دقيق الذنب، عريض الوسط، لين المس، صغير الرأس، وهذا النوع قليل الإناث، كثير الذكور، فهو قليل البيض، بسبب ذلك.

وذكر بعض الصيادين أنه ينتهي إلى الشبكة، فلا يستطيع الخروج منها، فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب، فيتأخر قدر رمح ثم يهمز فيثب، فربما كان وثوبه في الهواء أكثر من عشرة أذرع، فيخرق الشبكة ويخرج منها. ولحمه كثير جداً وهو كثير بدجلة.

الشُّجاع: بالضم والكسر، الحية العظيمة التي تثب على الفارس والراجل، وتقوم على ذنبها، وربما بلغت رأس الفارس، وتكون في الصحاري، روي أن مالك بن أدهم، خرج يتصيد فلما صار إلى بلد قفر ومعطش، ومعه جماعة من أصحابه، طلبوا الماء فلم يقدروا عليه، فنزل وضربت له خيمة، وأمر أصحابه أن يطلبوا الماء والصيد، فخرجوا في طلبهما فأصابوا ضباً، فأتوه به، فقال: اشووه ولا تنضجوه، ومصوه مصاً لعلكم تنتفعون به، ففعلوا ذلك، ثم أثاروا شجاعاً، وأرادوا قتله، فدخل على مالك خيمته فقال: قد استجار بي فأجيروه، ففعلوا ذلك، ثم خرج هو وأصحابه في طلب الماء، فإذا هاتف يهتف بهم وهو يقول:

يا قومِ يا قوم لا ماءٌ لكم أبداً ... حتى تحثوا المطايا يومَها التعبا
وسددوا يمنةً فالماءُ عن كثَبِ ... ماءٌ غزيرٌ وعينٌ تذهبُ الوصَبا[2]
حتى إذا ما أخذتم منه حاجَتَكم ... فاسقوا المطايا ومنه فاملؤوا القربا

فأخذ هو وأصحابه في الجهة التي نعتها الهاتف لهم في شعره، فإذا هم بعين غزيرة، فسقوا منها إبلهم، وتزودوا فلما فعلوا ذلك لم يروا للعين أثراً، وإذا بهاتف يهتف بهم ويقول:

يا مال عني جزاكَ اللهُ صالحةً ... هذا وداعٌ لكم مني وتسليم
لا تزهدَن في اصطناع العرفِ من أحدٍ ... إنّ امرأ يحرمُ المعروف محروم
الخيرُ يبقى وإنْ طالتْ مغيبته ... والشرّ ما عاش منه المرءُ مذموم.

---

(١) رواه مسلم في البر: ١٠٢.

(٢) الوصب: التعب.

وفي الصحيحين، عن جابر وأبي هريرة وابن مسعود، رضي الله تعالى عنهم أن النبي ﷺ قال[1]: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله، إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه في عنقه». وفي رواية مسلم «يتبعه فاتحاً فاه، فإذا أتاه فر منه، فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك يده في فيه، فيقضمها قضمة الفحل، ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني شدقيه، ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقون ما بخلوا به يومَ القيامة﴾»[2]: والأقرع الذي تمعط رأسه وأبيض من السم. والزبيبتان الريشتان من جانبي فمه من كثرة السم ويكون مثلهما في شدقي الإنسان عند كثرة الكلام، وقيل نكتتان في عينيه، وما هو بهذه الصفة من الحيات، هو أشد أذى. وقيل هما نابان يخرجان من فيه ويقضَمها بفتح الضاد أي يأكلها، والقضم بأطراف الأسنان والخضم بالفم كله، وقيل: القضم أكل اليابس والخضم أكل الرطب، وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه يعرض له في البطن حية يسمونها الشجاع والصفر. قال أبو خِراش[3] يخاطب امرأته:

أرد شجاعَ البطنِ لو تعلمينه ... وأوثر غيري من عيالِك بالطعمِ
وأغتبقُ الماءَ القَراحَ وأنثني ... إذا الزاد أمسى للمزلجِ ذا طعم

أراد بالأول الطعام، وبالثاني ما يشتهى منه، والغبوق الشرب بالعشي، والمزلج من الرجال الناقص الذوق الضعيف. وقال[4] الشاعر:

فأطرقَ إطراقَ الشجاعِ ولو رأى ... مساغاً لناباه الشجاع لصمّما

هذه لغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء ألف التثنية في حالتي النصب والخفض، وهو مذهب الكوفيين ومنه قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾[5].

وتعبيره في الرؤيا يدل على ولد جسور، أو امرأة بازلة.

الشحرور: كسحنون طائر أسود فوق العصفور، يصوت أصواتاً، قاله ابن سيده وغيره، وما أحسن ما قال الشيخ العلامة علاء الدين الباجي، ووفاته سنة أربع عشرة وسبعمائة: (دو بيت)

بالبلبلِ والهزارِ والشحرور ... يُكسى طرباً قلبُ الشجي المغرور
فانهضْ عجِلا وانهبْ من اللذةِ ما ... جادتْ كرماً به يدُ المقدور

وقد أجاد القائل في وصفه حيث قال[6]:

وروضةٍ أزهرتْ أغصانُها وشدتْ ... أطيارُها وتولّتْ سقيَها السحُبُ

---

(1) رواه البخاري: زكاة ٣. والنسائي زكاة ٣٠.
(2) سورة آل عمران: آية ١٨٠.
(3) أبو خِراش الهُذَلي: خويلد بن مُرَّة، شاعر مخضرم عاش في الجاهلية ثم أسلم، مات سنة ١٥ هـ.
(4) البيت للمتلمس وهو في الحيوان للجاحظ ٢٦٣/٤.
(5) سورة طه: آية ٦٣.
(6) فوات الوفيات ٣٧٧/٤.

وظلّ شحرورُها الغريدُ تحسبُه أسيوداً زامراً مزمارُه ذَهَبُ

وما أحسن قوله أسيود! وهو تصغير أسود، وقال آخر وأجاد:

لـه في خدِّه الوردي خالٌ يدورُ به بنفسجُ عارضيه
كشحرورٍ تخبأ في سياجٍ مخافةَ جارحٍ من مقلتيه

وحكمه: كالعصفور، وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وتعبيره: في الرؤيا يدل على رجل من كتاب السلطان نحوي أديب وربما دل على الولد الذكي الفصيح أو على صبي المكتب والله أعلم.

شحمة الأرض: دويبة إذا مسها الإنسان تجمعت وصارت مثل الخرزة. وقال القزويني، في الأشكال: إن شحمة الأرض تسمى بالخراطي وهي دودة طويلة حمراء، توجد في المواضع الندية. وقال الزمخشري، في ربيع الأبرار: إنها دويبة منقطة بحمرة، كأنها سمكة بيضاء، يشبه بها كف المرأة. وقال هرمس: إنها دابة صغيرة طيبة الريح، لا تحرقها النار، وتدخل في النار من جانب وتخرج من جانب.

الخواص: من طلي بشحمها لم تضره النار ولو دخل فيها وإذا أخذت، شحمة الأرض وجففت وسقي منها قدر درهم للمرأة التي تعسرت ولادتها فإنها تلد من ساعتها. وقال القزويني: إذا شويت وأكلت بالخبز فتتت الحصا من المثانة وتجفف وتطعم لصاحب اليرقان فإنها تذهب صفرته. ورمادها يخلط بدهن، ويطلى به رأس الأقرع، ينبت الشعر ويزيل القرع.

وحكمها وتعبيرها: كالدود، وقد تقدم في باب الدال المهملة، أنها غير مأكولة لأنها من الخبائث.

الشذا: بفتح الشين والذال المعجمة ذباب الكلب، وقد يقع على البعير. الواحدة شذاة.

الشران: شبيه بالبعوض يغشى وجوه الناس.

الشّرشق: الشقراق.

الشرشور: كعصفور طائر مثل العصفور أغبر على لطافة الحمرة، قاله ابن سيده وقد تقدم في باب الباء أنه أبو براقش.

وحكمه: حل الأكل لأنه داخل في عموم العصافير.

الشرغ: والشرغ الضفدع الصغير وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في لفظ الضفدع، في باب الضاد المعجمة.

الشرنبي: كحبنطي طائر معروف يعرفه الأعراب.

الشصر: بالتحريك ولد الظبية وكذلك الشاصر قاله أبو عبيدة.

الشعراء: بفتح الشين وكسرها، وبالعين المهملة الساكنة، ذباب أزرق أو أحمر، يقع على الإبل والحمير والكلاب، فيؤذيها أذى شديداً. وقيل: ذباب كذباب الكلب. وفي السيرة أن المشركين نزلوا بأُحُد يوم الأربعاء، فلما سمع رسول الله ﷺ بنزولهم، استشار أصحابه ودعا عبد الله بن أُبَي بن سلول، ولم يدعه قبلها قط فاستشاره فقال عبد الله بن أبي وأكثر الأنصار: يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا! فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا علينا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين. فأعجب رسول الله ﷺ هذا الرأي، وقال بعض أصحابه: يا رسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب، لا يرون أنّا جبنا عنهم وضعفنا، فقال رسول الله ﷺ: «إني رأيت في منامي بقراً تذبح، فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، فأولتها هزيمة، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة، فافعلوا».

وكان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة، فيقاتلوا في الأزقة، فقال رجال من المسلمين، ممن فاتهم يوم بدر، وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى اعداء الله يا رسول الله. فدخل رسول الله ﷺ بيته ولبس لأمته، فلما رأوه قد لبس السلاح، ندموا وقالوا: بئسما صنعتم، نشير على رسول الله ﷺ، والوحي يأتيه! فقالوا: اصنع ما رأيت يا رسول الله، واعتذروا. فقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل»[1]. وكان قد أقام المشركون بأحد الأربعاء والخميس، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، يوم الجمعة بعدما صلى بأصحابه الجمعة، فأصبح بالشِّعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان أصحابه سبعمائة رجلٍ فجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير رضي الله عنهما على الرماة، وكانوا خمسين رجلاً، وقال عليه الصلاة والسلام: «أقيموا بأصل الجبل، وانضحوا عنا بالنبل، حتى لا يأتونا من خلفنا، وإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فإنا لانزال غالبين ما ثبتم مكانكم».

فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنهما، ومعهما النساء يضربن بالدفوف، ويقلن الأشعار، فقاتلوا حتى حميت الحرب، فأخذ رسول الله ﷺ سيفاً وقال: «من يأخذ هذا بحقه ويضرب به العدو حتى ينحني»؟ فأخذه أبو دجانة سِماك بن خرشة رضي الله تعالى عنه، فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء، وجعل يتبختر فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع»، ففلق به هام المشركين. وحمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين، فهزموهم. فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة الغنيمة، والله لتأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم، صرفت وجوههم، وقال الزبير بن العوام: فلما نظرت الرماة إلى القوم وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة، أقبلوا يريدون النهب، فلما رأى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه

---

(١) رواه البخاري، اعتصام ٢٨.

قلة الرماة، واشتغال الناس بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب رسول الله ﷺ من خلفهم فهزمهم، و«رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته، وهشم أنفه وشجه في وجهه، فأثخنه وتفرق عنه أصحابه، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها وكان ﷺ قد ظاهر بين درعين، فلم يستطع النهوض، فجلس تحته طلحة رضي الله تعالى عنه، فنهض ﷺ حتى استوى عليها»[1]. ووقفت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد، وأعطتها وحشياً، وبقرت عن كبد حمزة رضي الله تعالى عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة، يريد قتل النبي ﷺ، فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه، صاحب راية رسول الله ﷺ فقتله ابن قمئة، وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع وقال: إني قتلت محمداً! وصاح صائح: ألا إن محمداً قد قتل، ويقال: إن ذلك الصائح كان إبليس، فانكفأ الناس وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين، وأصيبت يد طلحة رضي الله تعالى عنه، فيبست حين وقى بها رسول الله ﷺ، وأصيبت عين قتادة رضي الله تعالى عنه يومئذ، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن ما كانت. فلما انصرف رسول الله ﷺ، أدركه أبي بن خلف الجمحي، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد! فقال القوم: يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» حتى إذا دنا منه، وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله ﷺ فيقول: عندي رمكة أعلفها كل يوم، فرق ذرة أقتلك عليها، فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى». فلما دنا منه يوم أحد، وهو راكب فرسه، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، وانتفض بها انتفاضة، فتطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض، وطعنه في عنقه طعنة خدشته خدشة غير كبيرة، فتدهده بها عن فرسه، وهو يخور كما يخور الثور، ويقول: قتلني محمد، فحمله أصحابه، وأتوابه قريشاً وقد حقد الدم واحتقن، فقالوا: لا بأس عليك، فقال: بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلهم أليس قال: أنا أقتلك؟ فوالله لو بصق عليّ بعد تلك المقالة قتلني، لم يلبث إلا يوماً واحداً. ومات عدو الله بموضع يقال له سرف. وقال فيه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه[2]:

لقد ورثَ الضلالةَ عن أبيه ... أبي حين بارزَه الرسولُ
أتيتَ إليه تحمل رمّ عظم ... وتوعدُه وأنت به جَهول

وقد قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً من قتل نبياً أو قتله نبي»[3]، لأنه من المعلوم أن النبي لا يقتل أحداً ولا يتفق ذلك إلا في شر الخلق.

---

(١) رواه البخاري: جهاد ٨٠، ٨٥. ومسلم: جهاد ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، والترمذي تفسير سورة ٣ - ١٠ وابن ماجه: طب ١٥، فتن ٢٣. وابن حنبل: ١ - ٣١ - ٩٩ - ٢٨٨.

(٢) ديوان حسّان ٣٩٦.

(٣) رواه ابن حنبل ١ - ٤٠٧.

الشغواء: بفتح الشين وسكون الغين المعجمة وبالمد العقاب سميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل قال الشاعر:

شغوا بوطن بين الشيق والنيق

الشفدع: الضفدع الصغير حكاه ابن سيده.

الشفنين: كاليشنين بكسر الشين المعجمة وهو متولد بين نوعين مأكولين. وعده الجاحظ في أنواع الحمام. وبعضهم يقول: الشفنين هو الذي تسميه العامة اليمام، وصوته في الترنم، كصوت الرباب، وفيه تحزين، وجمعه شفانين وتحسن أصواتها إذا اختلطت. ومن طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل أعزب إلى أن يموت، وكذلك الأنثى إذا فقدت ذكرها، وإذا سمن سقط ريشه، ويمتنع من السفاد. ومن طبعه إيثار العزلة وعنده نفور واحتراس من أعدائه.

وحكمه: حل الأكل بالاجماع.

الخواص: لحم الشفنين حار يابس ولذلك ينبغي أن لا يؤكل من هذا النوع إلا الصغار والمخاليف. والدم المتولد عنه حار يابس، والدهن الكثير يعدله وأكل بيضه بزيت، يزيد في الباه، وزبله، إذا ديف بدهن ورد، وتحملت به المرأة نفع من وجع الأرحام، ومن طلى إحليله بدمه وجامع امرأته، لم يقدر عليها سواه، وإن مات لم تتزوج. ومما ينفع الرمد في العين والورم، أن يقطر فيها شفنين حار أو دم حمامة ويوضع على العين من خارج قطنة مبلولة ببياض بيض، مع شيء من دهن الورد، فإنه نافع مجرب.

الشق: بالكسر، قال القزويني: هو من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي، ويزعمون أن النسناس مركب من الشق ومن الآدمي، ويظهر للإنسان في أسفاره. وذكروا أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج في بعض الليالي، فانتهى إلى موضع فعرض له شق فقال علقمة: يا شق ما لي ولك اغمد عني منصلك أتقتل من لا يقتلك؟ فقال شق: هيت لك واصبر لما قد حم لك، فضرب كل واحد منهما صاحبه، فوقع ميتاً. وأما شق وسطيح الكاهنان، فكان شق إنسان، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة، وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان، إنما كان يطوى مثل الحصير. ولد شق وسطيح في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة، امرأة عمرو بن عامر، ودعت بسطيح في اليوم الذي ماتت فيه، قبل أن تموت، فأتيت به فتفلت في فيه، وأخبرت أن سيخلفها في علمها وكهانتها. وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق. ودعت بشق، ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت وقبرها بالجحفة.

وذكر الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، أن خالد بن عبد الله الفهري، كان من ولد شق هذا.

وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق أن مالك بن نصر اللخمي[١]، رأى رؤيا هالته،

---

(١) مالك بن نصر: جد جاهلي.

فبعث إلى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من رعيته، فاجتمعوا إليه فقال: إني رأيت رؤيا هالتني، وفظعت منها! فقالوا: قصها علينا نخبرك بتأويلها! فقال لهم: إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم في تأويلها، ولست أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الذي يرومه الملك لا يجده إلا عند شق وسطيح! فلما أخبروه بذلك، أرسل الملك من أتاه بهما، فسأل سطيحاً فقال: أيها الملك إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة، فأكلت كل ذات جمجمة! فقال الملك: ما أخطأت شيئاً فما عندك في تأويلها؟ فقال سطيح: احلف بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، وليملكن ما بين أبين إلى جرش. فقال الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى يكون ذلك أفي زماني أم بعده؟ فقال: بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين، ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين. قال الملك: ومن الذي يلي ذلك؟ من قتلهم إخراجهم؟ قال: يليه ابن ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من ربه العلي، قال: وممن هذا النبي؟ قال: من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر(١)، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. فقال الملك: وهل للدهر من آخر يا سطيح؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيؤون. فقال الملك: أحق ما تقول يا سطيح؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والقمر إذا اتسق، إن ما أخبرتكم به لحق.

ثم إن الملك أحضر شقاً فسأله كما سأل سطيحاً فقال له شق: إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت كل ذات نسمة. فلما سمع الملك مقالة شق، قال له: ما أخطأت شيئاً. فما عندك في تأويلها؟ فقال شق: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، وليغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبين إلى نجران. فقال الملك: وأبيك يا شق، إن ذلك لنا لغائظ مؤلم! فمتى يكون ذلك، أفي زماني أم بعده؟ فقال: بل بعده بزمان. ثم يستنقذكم منه عظيم الشأن، ويذيقهم أشد الهوان. فقال الملك: من هو العظيم الشان؟ قال: غلام من غلمان اليمن، يخرج من بيت ذي يزن. فقال الملك: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول، هو خاتم الرسل، يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. فقال الملك: وما يوم الفصل؟ فقال شق: يوم يجزى فيه الولاة، ويدعى من السماء دعوات، يسمعها الأحياء والأموات، ويجمع الناس فيه للميقات، فيفوز فيه الصالحون بالخيرات. فقال الملك: أحق ما تقول يا شق؟ قال: أي ورب السماء والأرض وما بينهما، من رفع وخفض، إن ما أنبأتكم به لحق ما له من نقض. فوقع ذلك في نفس الملك، لما رأى من تطابق شق وسطيح، على ما ذكراه. فجهز أهل بيته إلى الحيرة فرقاً من سلطان الحبشة.

وروي عنه، أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، ارتجس فيها إيوان كسرى،

(١) مالك بن النضر بن كنانة، أبو الحارث جد جاهلي، من أجداد النبي ﷺ.

وسقط منه أربع عشرة شرافة، فجزع كسرى أنوشروان من ذلك وتطير، ورأى أن لا يكتمه عن زعماء مملكته، فأحضر موبذموبذان، وهو رئيس حكمائهم، وعنه يأخذون نواميس شرائعهم، وأحضر الموابذة، وهم القضاة، والهرابذة وهم كالخلفاء للموابذة، والأصبهبذ، وهو حافظ الجيوش وأمير الأمراء، وأحضر بزر جمهر مداره، وهو الوزير الأعلى، والمرازبة وهم حفظة الثغور وولاة المملكة، وأخبرهم بما كان من ارتجاس الإيوان وسقوط ما سقط من شرفاته. فقال رئيس الموابذة: إني رأيت في المنام، كأن إبلاً تقود خيلاً قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس. وأخبره في ذلك الوقت قومه بالنار وخمودها تلك الليلة. فهاله ومن حضر مجلسه، ذلك واستعظموه ولم يظهر لهم وجهه، ففزعوا وتفرقوا عن الملك يتروّون فيه.

ووافت البرُد إلى كسرى، من جميع جهات ممالكه، تخبر بخمود النيران تلك الليلة، ووافاه الخبر بأن بحيرة ساوة قد غاض ماؤها فجمع زعماء دينه ورؤساء سلطانه، فأطلعهم على ما انتهى إليه من ذلك كله، وسألهم عما عندهم فيه؟ فقال موبذموبذان: أما رؤياي، فتدل على حدث عظيم يكون من العرب. فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر، يأمره أن يبعث إليه أعلم من في أرضه من العرب، فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو الغساني(1) وكان معمَّراً، فلما قدم على كسرى، قال له: هل عندك علم مما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يخبرني الملك عما يريد علمه، فإن كان عندي علم منه أخبرته! فقال أنوشروان: إنما أريد من يعلم أمري قبل أن أذكره له! فقال عبد المسيح: هذا علم يعلمه خال لي يسكن بمشارق الشام يقال له سطيح. قال كسرى: فاذهب إليه فانطلق عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح فوجده قد أشفى على الموت فحياه فلم يجبه فقال(2) عبد المسيح رافعاً صوته:

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن ... يا صاحبَ الخطة أعيت من ومن

ففتح سطيح عينيه، وقال: عبد المسيح على جمل مشيح، وافى إلى سطيح، وقد أشفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً، تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس. يا عبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة، لم تكن بابل للفرس مقاماً، ولا الشام لسطيح شاماً، وسيملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات، وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه. فاستوى عبد المسيح على راحلته، وعاد إلى كسرى فأخبره بمقالة سطيح. فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشرة، تكون أمور. فملك منهم عشرة في مدة أربع سنين، وملك الباقون إلى أواخر خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. انتهى.

وبابل هي بابل العراق، وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها، عند سقوط صرح نمرود، أي تفرقها. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: بابل أرض الكوفة، وقيل: جبل دنباوند. وكسرى أول ميت اقتص من قاتله، كما قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الأذكياء، وذلك أن كسرى قال له منجموه: إنك تقتل. فقال: والله لأقتلن قاتلي. فعمد إلى سم ناقع، فوضعه في

---

(1) هو عبد المسيح بن عسلة الشيباني، شاعر جاهلي.

(2) البيت في العقد الفريد ٢ / ٢٩.

حق، وكتب عليه: هذا دواء للباه مجرب صحيح، إذا استعمل منه وزن كذا وكذا انعظ، وجامع كذا وكذا مرة. فلما قتله ابنه، بادر ففتح خزائنه، فوجد ذلك الحق مختوماً، فقرأ ما كتب عليه، فقال: بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء! ففتحه واستعمل منه ما ذكر، فمات. فهو أول ميت اقتص من قاتله. وقد تقدم في باب الدال المهملة، في الدابة عن كامل بن الأثير، أن كسرى كان له ثلاثة آلاف امرأة وخمسون ألف دابة.

الشقحطب: كسفرجل، الكبش الذي له أربعة قرون، والجمع شقاحط وشقاطب.

الشقذان: الحرباء، قاله ابن سيده، والشقذان أيضاً الضب والورل والطحن وسام أبرص والدساسة واحدته شقذة.

الشّقراق: بفتح الشين وكسرها. قاله في المحكم، وابن قتيبة في أدب الكاتب. قال البطليوسي، في الشرح: الكسر في شين الشقراق أقيس، لأن فعلان، بكسر الفاء، موجود في أبنية الأسماء نحو طرماح وشنقار، وفعلان بفتح الفاء، مفقود فيها. قال: وبكسر الشين قرأناه في الغريب للمصنف، وهكذا حكاه الخليل وذكر أن فيه ثلاث لغات: شِقراق بكسر الشين وإسكان القاف، وشَقراق بفتح الشين وإسكان القاف، وشُقراق بضم الشين وإسكان القاف. وربما قالوا شرقراق انتهى.

وهو طائر صغير يسمى الأخيل، وهو أخضر مليح، بقدر الحمامة، وخضرته حسنة مشبعة، وفي أجنحته سواد، والعرب تتشاءم بـه. وله مشتى ومصيف، وهـو كثير ببلاد الروم والشـام وخراسان ونواحيها، ويكون مخططاً بحمرة وخضرة وسواد، وفي طبعه شره وشراسة وسرقة فراخ غيره. وهو لايزال متباعداً من الإنس، ويألف الرّوابي ورؤوس الجبال، لكنه يحضن بيضه في العمران العوالي، التي لا تنالها الأيدي. وعشه شديد النتن، وقال شارح الغنية والجاحظ: إنه نوع من الغربان، وفي طبعه العفة عن السفاد، وهو كثير الاستغاثة، إذا ضاربه طائر ضربـه وصاح كأنه المضروب.

الحكم: جزم الروياني والبغوي بتحريم أكله لاستخباثه، ونقله الرافعي عن الصيمري. وممن قال بالتحريم: العجلي، شارح غنية ابن سريج، وجزم بتحريمه وتحريم العقعق الماوردي، في الحاوي، وعلل بأنهما مستخبثان عند العرب، وهو قول الأكثرين، وقـال بعض الأصحاب بحله.

الأمثال: قالوا: «أشأم من الأخيل وهو الشقراق»(1).

الخواص: إذا كان الذهب ناقص العيار، يذاب ويفرغ عليه من مرارته، فإنه يحمر ويزداد عياره، كما لو أفرغ عليه من مرارة الثعلب فإنه ينقص عياره، وإذا اتخذ من مرارته خضاب سود الشعر. ولحمه حار ظاهر الحرارة وفيه زهومة قوية، إلا أنه يحلل الرياح الغليظة التي تكون في الأمعاء.

---

(1) جمهرة الأمثال ١/٤٥٧.

التعبير: هو في الرؤيا امرأة حسناء ذات جمال والله أعلم.

الشمسية: قال أبو حيان التوحيدي: إنها حية حمراء براقة، إذا كبرت وأصابها وجع العين وعميت، التمست حائطاً يقابل الشرق، فإذا طلعت الشمس أحدت إليها بصرها قدر ساعة، فإذا دخل شعاع الشمس عينها، كشط عنها العمى والإظلام ولا تزال كذلك سبعة أيام حتى تجد بصرها تاماً، وغيرها منه الحيات إذا عمي أيضاً طلب شجر الرازيانج الأخضر فيكتحل به فيبرأ كما تقدم.

الشنقب: كقنفذ ضرب من الطير معروف.

شه: قال ابن سيده: هو طائر يشبه الشاهين، يأخذ الحمام وليس هو، ولفظه أعجمي.

الشهام: السعلاة، قاله الجوهري وغيره. وقد تقدم لفظ السعلاة في باب السين المهملة.

الشهرمان: نوع من طير الماء قصير الرجلين أبلق اللون أصغر من اللقلق، وفي بعض كتب الغريب، أنه نوع من الطير.

الشوحة: قال ابن الصلاح، في الفتاوي: إنها الحدأة، وقد تقدم ذكرها في باب الحاء المهملة.

الشوف: القنفذ، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب القاف.

الشوشب: القمل والعقرب والنمل وسيأتي ذكر كل واحد منها في بابه.

الشوط: ضرب من السمك وليس هو الشبوط. قاله الجوهري.

شوط براح: هو ابن آوى، قاله الجوهري، قال: ويقال للهباء، الذي يرى في ضوء الكوة: شوط باطل.

الشول: النوق التي جف لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة، وهو جمع على غير قياس. تقول منه: تشولت الناقة بالتشديد، أي صارت شائلة. وفي المثل: «لا يجتمع فحلان في شول» وتمثل به عبد الملك بن مروان عند قتله عمرو بن سعيد الأشدق(١)، والمعنى ينظر إلى قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا﴾(٢). وهناك ذكره الزمخشري في الكشاف. وسيأتي، إن شاء الله تعالى للشول ذكر في باب الفاء عند ذكر الفحل.

شولة: من أسماء العقرب سميت بذلك لما تشوله من ذنبها، وهي شوكتها وسيأتي لفظها، وما فيه إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة.

---

(١) الأشدق: عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، من الأمراء الأمويين، قتله عبد الملك بن مروان في نزاعهما على السلطة سنة ٧٠ هـ.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

الشيخ اليهودي: قال أبو حامد والقزويني، في عجائب المخلوقات: إنه حيوان وجهه كوجه الإنسان، وله لحية بيضاء وبدنه كبدن الضفدع، وشعره كشعر البقر وهو في حجم العجل، يخرج من البحر ليلة السبت فيستمر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد، فيثب كما يثب الضفدع، ويدخل الماء فلا تلحقه السفن.

الحكم: هو داخل في عموم السمك كما تقدم.

الخواص: ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه في الحال.

الشيذمان: بفتح الشين وضم الذال المعجمة، الذئب، وقد تقدم في باب الذال المعجمة.

الشيصبان: ذكر النمل.

الشيع: كالبيع، ولد الأسد، وقد تقدم في باب الهمزة.

الشيم: ضرب من السمك قال الشاعر:

قلْ لطغامِ الأزدِ لا تبطروا   بالشيمِ والجريث والكعندِ[1]

الشيهم: كالضيغم، ذكر القنافذ قال الأعشى[2]:

لئن جد أسباب العداوةِ بيننا   لترتحلَنْ مني على ظهرِ شيهمِ

قال الأصمعي: الشهام السعلاة.

فائدة: قال أبو ذؤيب الهذلي الشاعر: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل، فاستشعرت حزناً وبت بأطول ليلة، لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها، فبت أقاسي طولها، حتى إذا كان وقت السحر أغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول[3]:

خطبٌ أجلّ أناخَ بالإسلام   بين النخيلِ ومعقدِ الأطامِ
قُبضَ النبيُّ محمدٌ فعيونُنا   تذري الدموعَ عليه بالأسجامِ

قال أبو ذؤيب: فوثبت من منامي فزعاً فنظرت إلى السماء، فلم أر إلا سعد الذابح، فأولته ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي ﷺ قد قُبض أو هو ميت من علته. فركبت ناقتي وسرت فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجر به، فعرض لي شيهم قد قبض على صل، يعني حية، فهي تلتوي عليه، والشيهم يقضمها حتى أكلها، فزجرت ذلك وقلت: شيهم شيء هم والتواء الصل تلوي الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله ﷺ على الأمر، فحثثت

---

(١) الجريث والكعند: من أنواع السمك.

(٢) الأعشى: أعشى قيس، من فحول الجاهلية وهو ميمون بن قيس، البيت في ديوانه ١٢٥.

(٣) معجم الأدباء ٣٠٧/٣، ونسبتها إلى أبي ذؤيب الهذلي.

ناقتي حتى إذا كنت بالغابة، زجرت الطائر، فأخبرني بوفاته ﷺ ونعب غراب سانح، فنُطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي.

فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء، كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام، فقلت: ما الخبر؟ قالوا: قُبض رسول الله ﷺ، فجئت إلى المسجد، فوجدته خالياً فأتيت بيت رسول الله ﷺ، فوجدت بابه مرتجاً أي مغلقاً، وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقيل: في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار. فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجماعة من قريش، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة، وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك فأويت إلى قريش، وتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب وأطالوا الجواب. وتكلم أبو بكر، فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه. ثم تكلم عمر رضي الله تعالى عنه بدون كلامه، ثم قال لأبي بكر: مد يدك أبايعك! فمد يده فبايعه، وبايعه الناس، ورجع أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ورجعت معه. قال أبو ذؤيب: فشهدت الصلاة على النبي ﷺ وشهدت دفنه.

أبو شبقونة: بضم الشين وسكون الباء الموحدة وضم القاف وبعدها نون، قال في المرصع: إنه طائر يكون مع الحمر والنعم يأكل الذباب والله أعلم.

باب الصاد المهملة

الصؤابة: بالهمزة، بيضة القملة والجمع صؤاب وصئبان، والعامة تخففه فتقول صيبان، والصواب الهمز. قال ابن السكيت: يقال: في رأسه صؤابة، والجمع صئبان بالهمز وقد صيب رأسه بالياء المثناة، تحت المخففة، وقال الجاحظ: قال اياس بن معاوية: الصيبان ذكور القمل، وهو من الشيء الذي يكون ذكوره أصغر من إناثه، كالزراريق والبزاة فالبزاة هي الإناث والزراريق الذكور وليس فيه ذكر شيء من الصؤاب انتهى.

وروى خيثمة بن سليمان، في مسنده، في آخر الجزء الخامس عشر، عن جابر بن عبد الله، رضي الله تعالى عنه قال: قال[1] رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار» قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال ﷺ: «أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون».

الحكم: قال الشافعي: حكم الصئبان حكم القمل للمحرم، إذا قتل منه شيئاً يستحب أن يتصدق ولو بلقمة، وجزم في الروضة بأنه بيض القمل كما قاله الجوهري وغيره وقد تقدم في السلحفاة البحرية، أن التسريح بمشط الذبل يذهب الصئبان لخاصية فيه.

الأمثال: قالوا[2]: «يعد فيَّ مثلَ الصؤاب وفي عينيه مثل الجرّة» قال الميداني: يضرب لمن يلومك في قليل ما كثر فيه من العيوب وأنشد الرياشي:

---

(١) رواه ابن حنبل ٢ ـ ٢٢١.

(٢) في مجمع الأمثال ٢/٤٢٢: «يعقد في مثلِ الصواب وفي عينيه مثل الجرة».

ألا أيّها ذا اللائمي في خَليقتي   هل النفسُ فيها كان منكَ تلومُ
فكيفَ ترى في عينِ صاحبِكَ القذى   وتنسى قَذَى عينيكَ وهْو عَظِيمُ[١]

الصارخ: الديك، روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن مسروق، قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها عن عمل رسول الله ﷺ. فقالت: كان يحب الدائم. قال: قلت: أي حين كان ﷺ يصلي؟ قالت: «كان إذا سمع الصارخ قام يصلي»[٢]. قال النووي: الصارخ هنا الديك، باتفاق العلماء، وسمي بذلك، لكثرة صياحه في الليل. قال أبو حامد، في الإحياء: وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه.

الصافر: ويقال أيضاً: الصفارية طائر معروف من أنواع العصافير، ومن شأنه أنه إذا أقبل الليل، يأخذ بغصن شجرة ويضم عليه رجليه، وينكس رأسه، ثم لا يزال يصيح حتى يطلع الفجر، ويظهر النور. قال القزويني: إنما يصيح خوفاً من السماء أن تقع عليه. وقال غيره: الصافر التنوط الذي تقدم في باب التاء المثناة فوق، وأنه إن كان له وكر جعله كالخريطة، وإن لم يكن له وكر، شرع يتعلق بالأغصان كما ذكرنا.

وحكمه: حل الأكل لأنه من أنواع العصافير.

الأمثال: قالوا: «أجبن وأحير من صافر»[٣]. وأما قولهم: «ما في الدار صافر»[٤]، فقال أبو عبيدة والأصمعي: معناه مفعول به، كما قيل: ماء دافق، وسر كاتم، أي مدفوق ومكتوم. وقال غيرهما: ما بها أحد يصفر.

التعبير: الصافر تدل رؤيته على الحيرة والاختفاء والركون إلى ذوي الأقدار، خوف العدو، لأنه يقال في المثل: «أحير من صافر»، كما تقدم.

الصدف: من حيوانات البحر، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها، وهو غلاف اللؤلؤ، الواحدة صدفة. والصوادف الإبل التي تأتي والإبل على الحوض، فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربة، لتدخل هي. ومنه قول الراجز:

الناظرات العقب الصوادف

ومن خواص اللؤلؤ، أنه يذهب الخفقان ويزيل داء المرة السوداء، ويصفي دم القلب والكبد، ويجلو البصر، ولهذا يجعل في الأكحال. وإذا حل حتى يصير ماء رجراجاً وطلي به البهق أذهبه من أول طلية لا غير.

وأما رؤيته في المنام، فهو على وجوه كثيرة: فإنه يدل على غلمان وجوار وولدان، ومال وكلام حسن، فمن رأى أنه يثقب لؤلؤاً ثقباً مستوياً، فإنه يفسر القرآن صواباً، ومن رأى اللؤلؤ بيده

(١) مجمع الأمثال ٢/٤٢٢.
(٢) رواه البخاري: تهجد ٧، رقاق ١٨. ومسلم: مسافرين ١٣١.
(٣) جمهرة الأمثال ١/٢٦٢.
(٤) مجمع الأمثال ٢/٢٨٥.

منثوراً، فإنه يبشر بغلام، إن كان له امرأة حامل، فإن لم يكن له حامل، فإنه يملك غلاماً لقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾[1]. ومن رأى أنه يقلع لؤلؤاً ويبيعه، فإنه ينسى القرآن، فإن باعه من غير قلع، فإنه يثبت عملاً في الناس. ومن رأى أنه ينثر لؤلؤاً فيلقطه الناس، فإنه يعظ الناس وينفعهم وعظه، ومن رأى بيده لؤلؤة يبشر بولد ذكر، فإن لم يكن له حامل، اشترى جارية، وإن كان أعزب، تزوج. ومن رأى أنه استخرج من بحر لؤلؤاً كثيراً، يكال ويوزن بالقبان، فإنه ينال مالاً كثيراً من رجل ينسب إلى البحر. وقال جاماسب: من رأى أنه يعد لؤلؤاً نال مشقة، ومن أعطي اللؤلؤ نال رياسة، ومن رأى اللؤلؤ فإنه ينال سروراً. والعقد من اللؤلؤ يدل على امرأة ذات حسن وجمال وقد يكون العقد من اللؤلؤ عقد نكاح.

الخواص: قال القزويني: الصدف ينفع وجع النقرس والمفاصل ضماداً، وإذا سحق بالخل قطع الرعاف، ولحمه ينفع من عضة الكلب، ومحرقه يجلو الأسنان استياكاً. وفي الأكحال ينفع من قروح العين، وإذا طلي به موضع الشعر الزائد في الجفن، بعد نتفه، منع نباته. وينفع من حرق النار وإذا شد منه قطعة صافية على صبي، نبتت أسنانه بلا وجع ا هـ.

وقال غيره: الصدف الذي يتدور في جوفه حيوان وله غطاء على رأسه، يشبه الحجر، إذا سحق وذر على وجه النائم ثبت ولم يتحرك زماناً طويلاً، وهو أسلم من البنج، ومما يحبس الرعاف أن يؤخذ الصدف، ويسحق مع جاوشير، ويعمل منه ضماد ويجعل على الأنف.

وأما رؤيته في المنام فمن رأى بيده صدفاً فإنه يصدف عن شيء عزم عليه ويبطله خيراً كان أو شراً.

الصدى: طائر معروف، تقول العرب إنه يخلق من رأس المقتول، يصيح في هامة المقتول، إذا لم يؤخذ بثأره، يقول: اسقوني اسقوني حتى يقتل قاتله، ولذلك قيل له: صاد والصادي العطشان، والصدى ذكر البوم والجمع أصداء، ويقال له: ابن الجبل، وابن طود، وبنات رضوى. وقال العديس العبدي: الصدى الطائر الذي يصر بالليل ويقفز قفزاً، ويطفر والناس يرونه، الجندب، وإنما هو الصدى فأما الجندب فإنه أصغر من الصدى، والصدى صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه. وقد تقدم في بابي الباء الموحدة والزاي قول[2] صاحب ليلى الأخيلية:

ولو أنّ ليلى الأخيليةَ سلّمت … علي ودوني جندلٌ وصفائحُ[3]
لسلمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزقا … إليها صدى من جانبِ القبرِ صائحُ

والصدى هو الصوت الذي يجيبك من الجبال وغيرها. ولأبي المحاسن بن الشواء[4] في شخص لا

(١) سورة الطور: آية ٢٤. (٢) البيتان لتوبة بن الحميّر صاحب ليلى، الحيوان للجاحظ ٢/٢٩٩.
(٣) جندل: صخر.
(٤) ابن الشواء أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي الكوفي الحلبي، الأديب الشاعر. توفي سنة ٦٣٥ هـ. والبيتان مع ترجمته في وفيات الأعيان ٧/٢٣٥.

يكتم السر وقد أجاد فيه:

لي صـديقٌ غـدا وإنْ كـان لا ينـ ـطقُ إلا بـغـيـبـةٍ أو محـالِ
أشبهُ النـاسِ بـالصَّدى إن تحدَّثْـ ـه حـديـثـاً أعـادَه في الحـالِ

يقال: صَم صداه وأصم الله صداه أي أهلكه الله لأن الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئاً، فيجيبه. ومنه قول الحجاج لأنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: إياك أعني أصم الله صداك. روي عن علي بن زيد جدعان، أن أنساً رضي الله تعالى عنه، دخل على الحجاج بن يوسف الثقفي الجائر المبير، فقال له الحجاج: إيه يا خبيث شيخاً جوالاً في الفتن، مع أبي تراب مرة، ومع ابن الزبير أخرى، ومع ابن الأشعث مرة، ومع ابن الجارود أخرى، أما والله لأجردنك جرد الضب، ولأقلعنك قلع الصمغة، ولأعصبنك عصب السلمة[1]، العجب من هؤلاء الأشرار، أهل البخل والنفاق. فقال أنس رضي الله تعالى عنه: من يعني الأمير؟ فقال: إياك أعني، أصم الله صداك.

قال علي بن زيد: فلما خرج أنس من عنده قال: أما والله لولا ولدي لأجبته. ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان بما كان من الحجاج إليه، فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً، وأرسله مع إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، مولى بني مخزوم، فقدم على الحجاج وبدأ بأنس فقال له: إن أمير المؤمنين قد أكبر ما كان من الحجاج إليك، وأعظم ذلك، وأنا لك ناصح إن الحجاج لا يعدله عند أمير المؤمنين أحد، وقد كتب إليه أن يأتيك، وأنا أرى أن تأتيه فيعتذر إليك فتخرج من عنده وهو لك معظم، وبحقك عارف. ثم أتى الحجاج، فأعطاه كتاب عبد الملك، فقرأه فتمعر وجهه، وأقبل يمسح العرق عن وجهه ويقول: غفر الله لأمير المؤمنين، ما كنت أراه يبلغ مني هذا! قال إسماعيل: ثم رمى بالكتاب إليّ وهو يظن أني قرأته، ثم قال: اذهب بنا إليه، يعني أنساً، فقلت: لا بل يأتيك أصلحك الله! فأتيت أنساً رضي الله تعالى عنه، فقلت: اذهب بنا إلى الحجاج، فأتاه فرحب به، وقال: عجلت باللائمة يا أبا حمزة، إن الذي كان مني إليك، كان عن غير حقد، ولكن أهل العراق لا يحبون أن يكون لله عليهم سلطان، يقيم حجته، ومع هذا، فأنا أردت أن يعلم منافقو أهل العراق وفساقهم، إني متى أقدمت عليك، فهم علي أهون وأنا إليهم أسرع، ولك عندنا العتبى حتى ترضى.

فقال أنس: ما عجلت باللائمة حتى تناولت مني العامة دون الخاصة، وحتى شمتَ بنا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار، وزعمت أنا أهل بخل، ونحن المؤثرون على أنفسهم، وزعمت أنا أهل نفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل، وزعمت أنك اتخذتني ذريعة لأهل العراق، باستحلالك مني ما حرم الله عليك، وبيننا وبينك الله حكم هو أرضى للرضا، وأسخط للسخط، إليه جزاء العباد، وثواب أعمالهم، ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فوالله إن النصارى على شركهم وكفرهم، لو رأوا رجلاً قد خدم عيسى عليه

---

(١) العصب: الشد والتفريق. السَّلَمة: شجر.

السلام يوماً واحداً، لأكرموه وعظموه! فكيف لم تحفظ لي خدمتي رسول الله ﷺ عشر سنين! فإن يكن منك إحسان شكرنا ذلك منك، وإن يكن غير ذلك صبرنا إلى أن يأتي الله بالفرج.

قال: وكان كتاب عبد الملك إلى الحجاج: أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور، حتى عدوت طورك، وأيم الله يا ابن المستنثرة[1] بعجم الزبيب، لقد هممت أن أضغمك[2] ضغمة كضغمات الليوث للثعالب، وأخبطك خبطة تود أنك زاحمت مخرجك من بطن أمك، قد بلغني ما كان منك إلى أنس بن مالك، وأظنك أردت أن تختبر أمير المؤمنين، فإن كان عنده غيرة وإلا أمضيت قدماً، فلعنة الله عليك وعلى آبائك، أخفش العينين، ممسوح الحاجبين، أحمش الساقين[3]، نسيت مكان آبائك بالطائف، وما كانوا عليه من الدناءة واللؤم، إذ يحفرون الآبار في المناهل بأيديهم، وينقلون الحجارة على ظهورهم. فإذا أتاك كتابي هذا وقرأته، فلا تلقه من يدك حتى تلقى أنساً بمنزله، واعتذر إليه، وإلا بعث إليك أمير المؤمنين، من يسحبك ظهراً لبطن، حتى يأتي بك أنساً، فيحكم فيك ولن يخفى على أمير المؤمنين نبأك، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون. فلا تخالف كتاب أمير المؤمنين، وأكرم أنساً وولده، وإلا بعثت إليك من يهتك سترك، ولشمت بك عدوك والسلام.

توفي أنس رضي الله تعالى عنه سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وتسعين بالبصرة، وهو آخر الصحابة موتاً بها رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الصَّرَّاخ: ككتان: الطاوس، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب الطاء المهملة.

صرّار الليل: الجدجد وقد تقدم لفظه، في باب الجيم، وهو أكبر من الجندب، وبعض العرب يسميه الصدى.

الصُّرَّاح: كرمان، طائر معروف عند العرب يؤكل.

الصُّرد: كرطب، قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو مهمل الحروف، على وزن جعل، وكنيته أبو كثير وهو طائر، فوق العصفور يصيد العصافير، والجمع صردان، قاله النضر بن شميل، وهو أبقع ضخم الرأس، يكون في الشجرة. نصفه أبيض ونصفه أسود، ضخم المنقار، له برثن عظيم، يعني أصابعه عظيمة لا يرى إلا في سعفة أو شجرة، لا يقدر عليه أحد، وهو شرس النفس شديد النفرة، غذاؤه من اللحم وله صفير مختلف، يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته، فيدعوه إلى التقرب منه، فإذا اجتمعوا إليه، شد على بعضهم وله منقار شديد، فإذا نقر واحداً قده من ساعته، وأكله، ولا يزال هذا دأبه. ومأواه الأشجار ورؤوس القلاع، وأعالي الحصون.

فائدة: نقل الإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزي، في المدهش، في قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾[4] الآية، عن ابن عباس والضحاك، ومقاتل رضي الله عنهم، قالوا: إن

---

(١) استنثر: استنشق.
(٢) ضغمه: عضّه.
(٣) أحمش الساقين: دقيق الساقين.
(٤) سورة الكهف: آية ١٢٧.

موسى ﷺ، لما أحكم التوراة وعلم ما فيها، قال في نفسه: لم يبق في الأرض أحد أعلم مني، من غير أن يتكلم مع أحد، فرأى في منامه كأن الله تعالى أرسل السماء بالماء، حتى غرق ما بين المشرق والمغرب، فرأى قناة على البحر، فيها صردة، فكانت الصردة تجيء للماء الذي غرق الأرض، فتنقل الماء بمنقارها، ثم تدفعه في البحر، فلما استيقظ الكليم هاله ذلك، فجاءه جبريل، فقال: ما لي أراك يا موسى كئيباً! فأخبره بالرؤيا، فقال: إنك زعمت أنك استغرقت العلم كله، فلم يبق في الأرض من هو أعلم منك، وإن لله تعالى عبداً علمك في علمه، كالماء الذي حملته الصردة بمنقارها، فدفعته في البحر. فقال: يا جبريل من هذا العبد؟ قال: الخضر بن عاميل من ولد الطيب، يعني إبراهيم الخليل ﷺ، فقال: من أين أطلبه؟ قال: اطلبه من وراء هذا البحر. فقال: من يدلني عليه؟ قال. بعض زادك. قالوا: فمن حرصه على لقياه لم يستخلف على قومه، ومضى لوجهه، وقال لفتاه يوشع بن نون: هل أنت موازري؟ قال: نعم. قال: اذهب فاحمل لنا زاداً، فانطلق يوشع، فاحتمل أرغفة وسمكة مالحة عتيقة، ثم سارا في البحر، حتى خاضا وحلاً وطيناً، ولقيا تعباً ونصباً، حتى انتهيا إلى صخرة ناتئة في البحر، خلف بحر أرمينية، يقال لتلك الصخرة قلعة الحرس، فأتياها فانطلق موسى ليتوضأ، فاقتحم مكاناً، فوجد عيناً من عيون الجنة، في البحر، فتوضأ منها وانصرف، ولحيته تقطر ماء.

وكان عليه الصلاة والسلام حسن اللحية، ولم يكن أحد أحسن لحية منه، فنفض موسى لحيته، فوقعت قطرة منها على تلك السمكة المالحة، وماء الجنة لا يصيب شيئاً ميتاً إلا عاش، فعاشت السمكة ووثبت في البحر، فسارت وصار مجراها في البحر سرباً يبساً، ونسي يوشع ذكر السمكة، فلما جاوزا، قال موسى لفتاه ﴿آتنا غداءنا﴾[1] الآية فذكر له أمر السمكة، فقال له: ذلك الذي نريده فرجعا يقصان أثرهما، فأوحى الله تعالى إلى الماء فجمد، وصار سرباً على قامة موسى وفتاه، فجرى الحوت أمامهما حتى خرج إلى البر وسار، فسار مسيره لهما جادة، فسلكاها فناداهما مناد من السماء، أن دعا الجادة فإنها طريق الشياطين إلى عرش ابليس، وخذا ذات اليمين، فأخذا ذات اليمين حتى انتهيا إلى صخرة عظيمة، وعندها مصلى، فقال موسى عليه السلام: ما أحسن هذا المكان! ينبغي أن يكون للعبد الصالح، فلم يلبثا أن جاء الخضر عليه السلام، حتى انتهى إلى ذلك المكان والبقعة، فلما قام عليها اهتزت خضراء، قالوا: وإنما سمي الخضر، لأنه لا يقوم على بقعة بيضاء إلا صارت خضراء. فقال موسى عليه الصلاة والسلام: السلام عليك يا خضر. فقال: وعليك السلام يا موسى، يا نبي بني إسرائيل. فقال: ومن أدراك من أنا؟ قال: أدراني الذي دلك على مكاني، فكان من أمرهما ما كان، وما قصه القرآن العظيم انتهى.

وقد تقدم ذكرهما أيضاً في باب الحاء المهملة في الحوت، ونقلنا الخلاف في اسم الخضر ونسبه ونبوته، قال القرطبي: ويقال له الصرد الصوام.

روينا في معجم عبد الغني بن قانع، عن أبي غليظ أمية بن خلف الجمحي، قال: رآني

---

(١) سورة الكهف: آية ٦٠.

رسول الله ﷺ، وعلى يدي صرد، فقال ﷺ: هذا أول طير صام، ويروى أنه أول طير صام يوم عاشوراء. وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى. والحديث مثل اسمه غليظ، قال الحاكم: وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين رضي الله عنه، رواه عبد الله بن معاوية بن موسى عن أبي غليظ قال: رآني رسول الله ﷺ وعلى يدي صرد، فقال: هذا أول طائر صام عاشوراء. وهو حديث باطل رواته مجهولون.

فائدة: قيل: لما خرج ابراهيم ﷺ من الشأم، لبناء البيت، كانت السكينة معه والصرد، فكان الصرد دليله على الموضع، والسكينة بمقداره، فلما صار إلى موضع البيت، وقفت السكينة في موضع البيت، ونادت ابنِ يا ابراهيم على مقدار ظلي. قال جماعة من المفسرين: إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل خلق الأرض بألفي عام فكان زبدة بيضاء على الماء، فدحيت الأرض من تحتها، فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض، استوحش، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى له البيت المعمور، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة، له بابان من زبرجد أخضر، باب شرقي وباب غربي، فوضع على موضع البيت، وقال: يا آدم إني أهبطت إليك بيتاً تطوف به، كما يُطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يُصلى عند عرشي، وأنزل الحجر الأسود، وكان بياضه أشد من اللبن، فاسود من لمس الحيض في الجاهلية، فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً، وقيض الله له مَلَكاً يدله على البيت، فحج آدم البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: بر حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

وروي أن آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند إلى مكة ماشياً وكان البيت على ذلك إلى أيام الطوفان، فرفعه الله إلى السماء الرابعة، وبعث جبريل عليه السلام فخبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام.

ثم إن الله تعالى أمر ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل عليه الصلاة والسلام ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت، وهي ريح خجوج لها رأسان، شبه الحية، وقيل: الخجوج الريح الشديدة الهفافة البراقة، لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها، ولها جناحان من در وزبرجد، وعينان لهما شعاع، وقال علي رضي الله عنه: هي ريح خجوج هفافة لها رأسان، ووجه كوجه الانسان، أمر إبراهيم عليه السلام أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت، كتطوق الحية. قاله علي والحسن رضي الله عنهما، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم عليه السلام يمشي في ظلها، إلى أن وافت به مكة المشرفة، ووقفت عند البيت المعظم، فنودي منها إبراهيم عليه السلام: ابنِ على ظلها ولا تزد ولا تنقص.

وقيل: أرسل الله جبريل عليه السلام فدله على موضع البيت، وقيل كان دليله الصرد، كما تقدم. فكان ابراهيم يبني، واسماعيل يناوله الحجارة، فبناه من خمسة أجبل: طور سينا وطور زيتا ولبنان، وهي جبال بالشام، والجودي، وهو جبل بالجزيرة، وبنيا القواعد من حراء، وهو جبل بمكة،

فلما انتهى ابراهيم إلى موضع الحجر الأسود، قال لابنه اسماعيل: ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً، فأتاه بحجر، فقال: ائتني بأحسن من هذا، فمضى اسماعيل ينظر حجراً، فصاح أبو قبيس: يا ابراهيم إن لك عندي وديعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه. وقيل: أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام واندرس زمن الطوفان، ثم أظهره الله تعالى لإبراهيم حتى بناه فذلك قوله تعالى: ﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت﴾[1] يعني أسسه واحدتها قاعدة وقال الكسائي: يعني جدره.

الحكم: الأصح تحريم أكله، لما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وصححه عبد الحق، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ «نهى عن قتل النحلة والنملة والهدهد والصرد»[2] والنهي عن القتل دليل على الحرمة، ولأن العرب تتشاءم بصوته وشخصه. وقيل: إنه يؤكل لأن الشافعي أوجب فيه الجزاء على المحرم، إذا قتله وبه قال مالك. قال الإمام العلامة القاضي أبو بكر بن العربي[3]: إنما نهى النبي ﷺ عن قتله، لأن العرب كانت تتشاءم به، فنهى عن قتله ليخلع عن قلوبهم ما ثبت فيها من اعتقادهم الشؤم فيه، لا إنه حرام. وذكره العبادي، في الطبقات أيضاً.

عجيبة: حكى منصور بن الحسين الآبي، في نثر الدرر، أن أعرابياً سافر ابنه ثم أتاه، فقال له أبوه: ما رأيت في طريقك؟ قال: جئت السقاء مرة أشرب، فصاح الصرد فقال: اتركها وإلا فلست بابني! قال: فتركتها. قال: ثم أخذني العطش فأتيت إليها ثانياً فصاح الصرد فقال: اتركها وإلا فلست بابني! قال: فتركتها، ثم زادني العطش فأتيت إليها ثالثاً فصاح الصرد فقال: قدها بسيفك وإلا فلست بابني! قال: كذلك فعلت. قال: هل رأيت الحية داخلها؟ قال: نعم قال: الله أكبر.

قال: وسافر ولد أعرابي ثم أتى إليه فقال: أخبرني ماذا رأيت في طريقك؟ قال: رأيت طائراً على أكمة. فقال الصرد: أطره وإلا لست أباك! قال: فأطرته، قال: ثم ماذا؟ قال: سقط على شجرة فقال: أطره وإلا لست أباك! قال: كذلك فعلت. قال: ثم ماذا؟ قال: سقط على صخرة قال: اقلبها وإلا لست أباك. قال: كذلك فعلت. قال: اعطني سهمي مما وجدت تحتها، وكان تحتها كنز أخذه ولده، فأعطاه سهمه منه.

التعبير: هو في المنام يدل على رجل مراء يظهر الخشوع نهاراً ويفجر ليلاً. وقيل: هو من قطاع الطريق يجمع أموالاً كثيرة ولا يخالط أحداً.

الصرصر: ويقال له الصرصار أيضاً، حيوان فيه شبه من الجراد، قفاز يصيح صياحاً رقيقاً، وأكثر صياحه بالليل ولذلك سمي صرار الليل، وهو نوع من بنات وردان عري عن

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٧.

(٢) رواه أبو داود: أدب ١٦٤، وابن ماجه: صيد ١٠، وابن حنبل: ١ ـ ٣٣٢.

(٣) أبو بكر بن العربي: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، قاض محدّث أديب. مات بالقرب من فاس سنة ٥٤٣ هـ.

الأجنحة. وقيل: إنه الجدجد وقد تقدم أن الجوهري فسر الجدجد بصرار الليل، ولا يعرف مكانه إلا بتتبع صوته، وأمكنته المواضع الندية، وألوانه مختلفة فمنه ما هو أسود، ومنه ما هو أزرق، ومنه ما هو أحمر، وهو جندب الصحارى والفلوات.

وحكمه: تحريم الأكل لاستقذاره.

الخواص: قال ابن سينا: إنه مع القردمانة نافع من البواسير والنافض، وسموم الهوام ويحرق ويسحق ويضاف إلى الأثمد ويكتحل به، يحد البصر. ومع مرارة البقر ينفع من طرفة العين اكتحالاً.

الصرصران: سمك أملس معروف.

الصعب: طائر صغير والجمع صعاب.

الصَّعوة: طائر من صغار العصافير، أحمر الرأس وهو بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين والجمع صعو. وفي كتاب العين والمحكم صغار العصافير. روى أحمد، في كتاب الزهد، عن مالك بن دينار، أنه كان يقول: الناس أشكال كأجناس الطير الحمام مع الحمام، والبط مع البط والصعو مع الصعو والغراب مع الغراب وكل إنسان مع شكله. ومن شعر القاضي أحمد بن محمد الأرجاني[1] بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة مع خلاف في تشديدها، وهو شيخ العماد الأصبهاني الكاتب ووفاته في سنة أربع وأربعين وخمسمائة:

لـو كنتُ أجهـلُ مـا علمتُ لسرَّني ... جهـلي كـما قـد سـاءَني مـا أعلمُ
كـالصَّعْـو يـرتـعُ في الـريـاضِ وإنما ... حُـبسَ الهـزارُ لأنـه يـتـكـلم[2]

ومن شعره أيضاً وأجاد[3]:

أحـبُّ المـرءَ ظـاهـرُه جمـيـلٌ ... لـصـاحـبِـه وبـاطـنُـه سـلـيـمُ
مـودتـه تـدومُ لـكـلِّ هـولٍ ... وهـلْ كـلُّ مـودتُـه تـدومُ

وهذا البيت الأخير يقرأ معكوساً من آخره إلى أوله ولا يتغير شيء من لفظه ولا من معناه. ومن شعره أيضاً رحمه الله:

شـاورْ سـواكَ إذا نـابتْـكَ نـائبـةٌ ... يوماً وإن كنتَ من أهـلِ المشوراتِ[4]
فـالعينُ تلقى كفـاحـاً من دنـا ونـأى ... ولا تـرى نـفـسَـهـا إلا بمـرآةِ

---

(١) الأرّجاني: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين، لقبه ناصح الدين، كان قاضي تُسْتَر وعسكر مُكرم، وكان فقيهاً شاعراً. مات سنة ٥٤٤ هـ.

(٢) البيتان مع ترجمة الأرجاني في وفيات الأعيان ١/١٥٤.

(٣) وفيات الأعيان ١/١٥٤.

(٤) البيتان في وفيات الأعيان ١/١٥٢.

ومن شعره أيضاً[1]:

يـأبى الـعـذارُ المسـتـديـرُ بـخـدِّه وكـمـالُ بهجـةِ وجـهـهِ المنـعـوتِ
فـكـأنمـا هــو صــولجـانُ زمـردٍ مـتـلقـف كـرةً مـن الـيـاقـوتِ

ويقرب من هذا المعنى، ما حكاه ابن خلكان قال: كـان بين العماد الكاتب، تلميذ القاضي الأرجاني وبين القاضي الفاضل محاورات، فمن ذلك أنه لقيه يوماً وهو راكب فرساً، فقال له العماد: سر فلا كبابك الفرس! فقال له الفاضل: دام علا العماد. وهذا أيضاً مما يقرأ من آخره إلى أوله، ولا يتغير شيء من لفظه ولا معناه، وروي أنهما اجتمعا يوماً في موكب السلطان، وقد انتشر من الغبار ما سد الفضاء فأنشد[2] العماد الكاتب:

أمـا الـغـبـارُ فـإنـه ممـا أثـارتْـه الـسـنـابـكْ
والجـوُّ مـنـه مـظلمٌ لـكـن أنـار بـه الـسـنـابـكْ
يـا دهـر لي عـبـد الـرحـيـ ـم فـلـسـت أخشى مسَّ نـابـكْ

وهذا التجنيس في غاية الحسن. توفي العماد في مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية. وتوفي الفاضل في سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة، ودفن بتربة بسفح المقطم.

وحكمها وخواصها وتعبيرها كالعصافير.

الأمثال: قالوا: «أضعف من صعوة» كما قالوا: «أضعف من وصعة».

الصُّفَّارية: بضم الصاد وتشديد الفاء، طائر يقال له التبشير، وقد تقدم ذكره في باب التاء المثناة فوق.

الصفر: بفتح الصاد والفاء، قيل: إن الجاهلية، كانت تعتقد، أن في الجوف حية على شراسيفه، والشراسيف أطراف الأضلاع التي تشرف على البطن، يقال لها الصفر، إذا تحركت جاع الإنسان وتؤذيه إذا جاع، وأنها تعدي، فأبطل الإسلام ذلك. روى مسلم عن جابر وأبي هريرة وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول»[3]. ومعنى لا عدوى ما يتوهم من تعدي مرض من جرب وحكة وغيرهما من الأمراض، من شخص به ذلك المرض إلى شخص آخر، بسبب مخالطة وغيرها. وفي الحديث الصحيح أن أعرابياً قال للنبي ﷺ: إنك قلت لا عدوى فما بال الإبل تكون سليمة، حتى يدخل فيها البعير الأجرب فتصبح جربى؟ فقال ﷺ: «فمن أعدى الأول»[4] فرد عليه الصلاة والسلام ما توهمه من تعدي المرض بنفسه.

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٦٥ ونسبتها إلى أحمد القطرسي.
(٢) الأبيات في وفيات الأعيان ٥/١٥٠.
(٣) رواه البخاري: طب ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٤. ورواه مسلم: سلام ١٠٢، ١٠٧، ١١٠.
(٤) رواه البخاري: طب ٢٥، ٥٣. ومسلم: ١٠١ ـ وابن حنبل ١ ـ ٤٤٠.

وأعلمه أن الله تعالى هو المؤثر. وقد تقدم في باب الهمزة، في الأسد، في الكلام على المجذوم قريب من هذا.

ومعنى الطيرة يأتي إن شاء الله تعالى في باب الطاء المهملة المشالة.

وأما الصفر ففيه تأويلان: أحدهما المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وأبو حنيفة، والثاني أنه الحية التي كانت العرب تعتقد فيها ما تقدم. قال الإمام النووي: وهذا التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر رضي الله عنه راوي الحديث فتعين اعتماده، ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما والله أعلم.

الصفرد: بكسر أوله وسكون ثانيه كعربد نقل الميداني عن أبي عبيدة أنه طائر من خساس الطير وفي المثل[1] «أجبن من صفرد» قال الشاعر:

تـراه كـالـليـثِ لـدى أمـنِـه ... وفي الـوغـى أجبـنُ مـن صِـفـرِدِ

وقال الجوهري: الصفرد طائر تسميه العامة أبا مليح، وفي المرصع أن أبا المليح كنية القبيح، والعندليب، وطائر صغير يقال له الصفرد كالعصفور، وهو داخل في عموم العصافير.

الصقر: الطائر الذي يصاد به، قاله الجوهري، وقال ابن سيده: الصقر كل شيء يصيد من البزاة والشواهين، والجمع أصقر وصقور وصقورة وصقار وصقارة. قال سيبويه: إنما جاؤوا بالهاء في مثل هذا الجمع تأكيداً نحو بعولة، والأنثى صقرة والصقر هو الأجدل، ويقال له القطامي، وكنيته أبو شجاع وأبو الأصبع وأبو الحمراء وأبو عمرو وأبو عمران وأبو عوان. قال النووي، في شرح المهذب: قال أبو زيد الأنصاري المروزي: يقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور، واحدها صقر، والأنثى صقرة وزقر، بإبدال الصاد زاياً وسقر بإبدالها سيناً. وقال الصيدلاني، في شرح المختصر: كل كلمة فيها صاد وقاف ففيها اللغات الثلاث، كالبصاق والبزاق والبساق. وأنكر ابن السكيت بسق وقال: إنما معناه طال، قال الله تعالى: ﴿**والنخل باسقات**﴾[2] أي مرتفعات.

روى[3] أحمد، في مسنده حدثنا قبيصة قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كان دواد عليه السلام فيه غيرة شديدة، فكان إذا خرج أغلق الأبواب، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع. قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن! فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب فقال داود: أنت إذن والله ملك الموت، مرحباً بأمر الله، ثم مكث مكانه حتى قبضت روحه، فلما غسل وكفن

---

(١) جمهرة الأمثال ١/٢٦٣، ومجمع الأمثال ١/١٨٥ واستشهد ببيت الشعر دون عزوه.

(٢) سورة ق: آية ١٠.

(٣) مسند ابن حنبل ٢ ـ ٤١٩.

وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحاً جناحاً».

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله ﷺ بيده، وغلبت عليه يومئذ المضرحية، انفرد باخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد ورجاله ثقات. ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية، أي غلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة. واحدها مضرحي. قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح. ويوضح هذا المعنى ويبينه ما روي عن وهب بن منبه، أنه قال: إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام، فجلسوا في الشمس، في يوم صائف، وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب، عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس، فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية عليهم، لما أصابهم من الحر، فخرج سليمان فنادى الطير، فأجابت فأمرها أن تظل الناس فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه، حتى استمسكت الريح، فكاد الناس أن يهلكوا غماً، فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم، فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح، ففعلت فكان الناس في ظل، وتهب عليهم الرياح فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان عليه السلام.

فائدة: قال الضحاك والكلبي: ملك داود عليه السلام بعد قتله جالوت سبعين سنة، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود عليه السلام، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة، ولم يجتمع ذلك لأحد قبله، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، فذلك قوله[1] تعالى: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ قيل: العلم مع العمل وكل من علم وعمل فقد أوتي الحكمة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان داود أشد ملوك الأرض سلطاناً، كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل، فذلك قوله تعالى: ﴿وشددنا مُلكه﴾[2] وقال مقاتل: كان سليمان عليه السلام أعظم مُلكاً من داود، وأقضى منه وكان شاكراً لأنعم الله تعالى، وكان داود أشد تعبداً منه.

توفي داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة، وكان عمر سليمان عليه السلام لما وصل إليه الملك ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

والصقر أحد أنواع الجوارح الأربعة: وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي، وتنعت أيضاً بالسباع والضواري والكواسر، والصقر ثلاثة أنواع: صقر وكونج ويؤيؤ، والعرب تسمى كل طائر يصيد صقراً، ما خلا النسر والعقاب، وتسميه الأكدر والأجدل والأخيل، وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب، لأنه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن ألفاً وأشد إقداماً على جملة الطير من الكركي وغيره. ومزاجه أبرد من سائر ما تقدم ذكره من الجوارح وأرطب، وبهذا السبب يضري على الغزال والأرنب، ولا يضري على الطير، لأنها تفوته وهو أهدأ من البازي نفساً، وأسرع أنساً بالناس وأكثرها قنعاً، يغتذي بلحوم ذوات الأربع، ولبرد مزاجه لا يشرب ماء ولو أقام دهراً، ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم. ومن شأنه أنه لا يأوي إلى الأشجار

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥١. (٢) سورة ص: آية ٢٠.

ولا رؤوس الجبال، إنما يسكن المغارات والكهوف وصدوع الجبال.

وللصقر كفان في يديه، وللسبع كفان في يديه لأنه يكف بهما عما أخذ، أي يمنع وأول من صاد به الحارث بن معاوية بن ثور[1]، وذلك أنه وقف يوماً على صياد وقد نصب شبكة للعصافير، فانقض صقر على عصفور وجعل يأكله، والحارث يعجب منه فأمر به فوضع في بيت ووكل به من يطعمه ويؤدبه ويعلمه الصيد، فبينما هو معه ذات يوم، وهو سائر إذ لاحت أرنب فطار الصقر إليها فأخذها، فازداد الحارث به إعجاباً، واتخذه العرب بعده.

الصنف الثاني من الصقور الكونج، ونسبته من الصقور، كنسبة الزرق إلى البازي، إلا أنه أحرمه ولذلك هو أخف منه جناحاً وأقل بخراً ويصيد أشياء من صيد المياه ويعجز عن الغزال الصغير.

الصنف الثالث من الصقور اليؤيؤ، ويسميه أهل مصر والشام الجلم، لخفة جناحيه وسرعتهما، ولأن الجلم هو الذي يجز به وهو المقص، وهو طائر صغير الذنب، ومزاجه بالنسبة إلى الباشق بارد رطب، لأنه أصبر منه نفساً، وأثقل حركة، ولا يشرب الماء إلا ضرورة، كما يشربه الباشق، إلا أنه أبخر منه، ومزاجه بالنسبة إلى الصقر، حار يابس، ولذلك هو أشجع منه. ويقال: إن أول من ضراه واصطاد به بهرام جور، وذلك أنه شاهد يؤيؤاً يطارد قنبرة ويراوعها ويرتفع وينخفض معها وما تركها إلى أن صادها فأعجبه وأمر به فأدب وصاد به وقال الناشىء[2] في وصفه:

ويؤيؤٍ مهذَّب رشيق ... كأنَّ عينيه لدى التحقيقْ

فصَّانِ مخروطانِ من عقيق

وقال أبو نواس[3] في وصفه:

قد اغتدي والصبحُ في دجاه ... كطرة البدر لدى مثناه[4]

بيؤيؤٍ يعجبُ من رآه ... ما في اليآيىَ يؤيؤ سواه

أزرق لا تكذبه عيناه ... فلو يرى القانصُ ما يراه

فداه بالأمٌ وقد فدّاه ... هو الذي خوّلناه الله

تباركَ اللهُ الذي هداه

فائدة أدبية: ذكر الإمام العلامة الطرطوشي، في سراج الملوك، عن الفضل بن مروان، قال: سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال: بذل عرفه وجرد سيفه، فاجتمعت عليه

---

(١) الحارث الأكبر، أبو معاوية من قحطان، ملك جاهلي، على اليمامة والبحرين.

(٢) الناشىء الأكبر: أبو العباس عبدالله بن محمد الناشي الأنباري المعروف بابن شيرشير الشاعر العروضي المتكلم، أقام ببغداد ثم بمصر ومات فيها سنة ٢٩٣ هـ. اشتهر بوصف الطير وأدوات الصيد، والناشىء لقب له.

(٣) أبو نواس: الحسن بن هانىء الصباح الشاعر الشهير بخمرياته في العصر العباسي.

(٤) الأبيات في ديوان أبي نواس ٦٨٩.

القلوب رغبة ورهبة، سهل النوال حزن النكال، الرجاء والخوف معقودان في يده. قلت: كيف حكمه؟ قال: يرد المظالم ويردع الظالم، ويعطي كل ذي حق حقه، فالرعية اثنان: مغتبط وراض. قلت: فكيف هيبته فيهم؟ قال: تصورت في قلوبهم فتغضى له العيون، فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائي إليه وإقبالي عليه، وكانت الرسل تنزل عندي، فقال لترجمانه: ما الذي يقول الرومي؟ قال: يصف لهم ملكهم، ويذكر سيرته. فكلم ترجمانه فقال لي الترجمان: إنه يقول إن ملكهم ذو اناة عند القدرة، وذو حلم عند الغضب، وذو سطوة عند المغالبة، وذو عقوبة عند الإجرام، قد كسا رعيته جميل نعمته، وفسرهم بعنيف عقوبته، فهم يتراءونه ترائي الهلال خيالاً، ويخافونه مخافة الموت نكالاً، قد وسعهم عدله، وراعهم قهره، لا تمتهنه مزحة، ولا تواله غفلة، إذا أعطى أوسع، وإذا عاقب أوجع، فالناس اثنان راج وخائف، فلا الراجي خائب الأمل، ولا الخائف بعيد الأجل. قلت: فكيف كانت هيبتهم له؟ قال: لا ترفع العيون إليه أجفانها، ولا تتبعه الأبصار إنسانها، كأن رعيته طيور فرفرف عليهم صقور صوائد. قال الفضل: فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال: يا فضل كم قيمتها عندك؟ قلت: ألفا درهم. قال: إن قيمتها عندي أكثر من الخلافة، أما علمت حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «قيمةُ كلِّ امرىءٍ ما يُحسِنَ» أفتعرف أحداً من الخطباء والبلغاء، يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين، بمثل هذه الصفة؟ قلت: لا. قال: أمرت لهما بعشرين ألف دينار معجلة واجعل العدة بيني وبينهما، على العود فلولا حقوق الاسلام وأهله، لرأيت إعطاءهما جميع ما في بيت المال دون ما استحقاه انتهى.

وكان الفضل بن مروان[(١)]، قد أخذ البيعة للمعتصم[(٢)] ببغداد، والمعتصم بالروم مع المأمون، فاعتد المعتصم له بها يداً، واستوزره فغلب عليه، واستقل بالأمور، فكانت الخلافة للمعتصم اسماً وللفضل معنى. قيل: إن الفضل جلس يوماً لأشغال الناس، فرفعت إليه قصص العامة فرأى فيها رقعة مكتوباً فيها هذه الأبيات[(٣)]:

تفرعنْتَ يا فضلُ بنَ مروانَ فاعتبر ... فقبلكَ كان الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثةُ أملاكٍ مضَوْا لسبيلهم ... أبادتْهم الأقيادُ والحبس والقتلُ
وإنك قد أصبحتَ في الناس ظالما ... ستؤذى كما أوذي الثلاثة من قبلُ

أراد الفضل بن يحيى البرمكي[(٤)]، والفضل بن الربيع[(٥)]، والفضل بن سهل[(٦)]. وكان المعتصم

---

(١) أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس وزير المعتصم، وكان جيد الإنشاء.
(٢) المعتصم: الخليفة العباسي محمد بن هارون الرشيد، أبو إسحاق بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ، توفي سنة ٢٢٧ هـ.
(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ٤/٤٥، ونسبتها إلى الهيثم بن فراس السامي.
(٤) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد وأخوه بالرضاع، مات بسجنه في الرقة سنة ١٩٣ هـ.
(٥) الفضل بن الربيع بن يونس، كان حاجباً للمنصور العباسي ثم وزير للرشيد ثم للأمين، مات سنة ٢٠٨ هـ.
(٦) الفضل بن سهل السرخسي، وزير المأمون، كان حازماً عاقلاً، قتل في الحمام سنة ٢٠٢ هـ.

يأمر بإعطاء المغني والنديم، فلا ينفذ الفضل ذلك، فحقد المعتصم عليه، لذلك ونكبه أهل بيته، وجعل مكانه محمد بن عبد الملك الزيات[1]. وكان الفضل مذموم الأخلاق، فلما نكب شمت به الناس حتى قال فيه بعضهم:

لتبك على الفضلِ بن مروانَ نفسُه ... فليس له باكٍ من الناسِ يُعرفُ
لقد صحبَ الدُنيا منوعا لخيرها ... وفارقَها وهو الظلوم المعنفُ
إلى النارِ فليذهبْ ومن كانَ مثله ... على أي شيءٍ فاتنا منه نأسف

ولما نكب المعتصمُ الفضل بن مروان قال: عصى الله في طاعتي، فسلطني عليه. وكان المعتصم قد أخذ ماله ولم يتعرض لنفسه. وقيل: إنه أخذ من داره ألف ألف دينار، وأثاثاً وآنية بألف ألف دينار، وحبسه خمسة أشهر وأطلقه. فخدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء وتوفي سنة خمسين ومائتين.
ومن كلامه: لا تتعرض لعدوك وهو مقبل، فإن إقباله يعينه عليك، ولا تتعرضِ له وهو مدبر فإن أدباره يكفيك أمره.

فائدة أخرى أدبية أيضاً قد تقدمت الإشارة إليها، في الرسالة التي كتبتها في الشاهين، قول أبي الحسن علي بن الرومي[2] في قصيدته التي يقول فيها:

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ... من نسلِ شيبانَ بين الضال والسلم[3]
كأنه الشمسُ في البرج المنيف به ... على البرية لا نار على علمِ

مراده بالبرج قصره العالي لما شبهه بالشمس جعل قصره برجاً وأراد التمليح على الخنساء في قولها في أخيها صخر:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به ... كأنه علمٌ في رأسِه نارُ

قال شيخنا شمس الدين محمد بن العماد: وأبو الصقر لم أقف له على ترجمة ولا وفاة وأبوه ابن عم معن بن زائدة الشيباني، وكان من قواد أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، وتولى الأعمال الجليلة والولايات السنية، وتوفي قبل الثمانين ومائة. وكان يسكن البادية هو وولده أبو الصقر، وإليه الإشارة بقول ابن الرومي في البيت «بين الضال والسلم» وهما من شجر البادية. وتولى أبو الصقر بعض الولايات للواثق هارون بن المعتصم وولده المنتصر من بعده وعاش إلى خلافة المعتضد وولده المعتمد. وسكنى البادية مما يتمدح به العرب ومنه قوله:

الموقدينَ بنجدٍ نارَ بادية ... لا يحضرون وفقدُ العز في الحضر

---

(١) ابن الزّيات: محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر وزير للمعتصم والواثق، عذبه المتوكل ومات سنة ٢٣٣ هـ.

(٢) ابن الرومي: علي بن العباس بن جريج، من الشعراء المقدمين في عصره، له ديوان شعر ضخم جمع فيه كل الفنون، وكان هجاءً مُقذعاً، مات مسموماً سنة ٢٨٣ هـ.

(٣) البيتان في ديوانه ١٥١/٦. وأبو الصقر المذكور هو الوزير إسماعيل بن بلبل الشيباني وزير المعتمد، الكاتب الأديب، قُتل سنة ٢٧٨ هـ.

ولم أر له أكثر من ذلك انتهى.

وتوفي أبو الحسن بن الرومي ببغداد في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وفيه خلاف. وكان سبب موته، على ما قاله ابن خلكان وغيره، أن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد خاف من هجوه، فدس عليه أبو فراس فأطعمه خشكنانة مسمومة، فلما أحس بالسم قام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال: سلم على والدي، فقال: ما طريقي على النار. فأقام أياماً ومات.

الحكم: يحرم أكل الصقر لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير. قال الصيدلاني: اختلف في الجوارح ما هي؟ فقيل: ما يجرح الصيد بناب أو مخلب أو ظفر، وقيل: الجوارح الكواسب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الجوارح الصوائد. وهذا راجع إلى معنى الكسب انتهى.

فجميع الجوارح عندنا محرمة، لعموم هذا النهي المتقدم ذكره قريباً، وذهب مالك إلى حلها، وقال: ما لا نص فيه حلال، حتى هدى بعض أصحابه ذلك إلى الكلب والأسد والنمر والدب والقرد وغير ذلك. وقال في الحمار الأهلي: إنه مكروه، وفي الفرس والبغل إنهما حرامان، احتجاجاً بقوله[1] تعالى: ﴿قل لا أجدُ فيما أُوحي إلي محُرّماً﴾ الآية. وأجاب الشافعي عن ذلك فقال: يعني مما كنتم تأكلون إذ لا معنى لإباحة شيء مما لا يأكلونه ولا يستطيبونه كما لا يصح أن يحمل قوله[2] تعالى: ﴿وحرّم عليكم صيدَ البرّ مادمتم حُرُماً﴾ على ما هو حرام قبل، وإنما يصح على ما يعتاد صيده.

الأمثال: قالوا: «أخلف من صقر»[3]، وهو من خَلوف الفم بفتح الخاء المعجمة وهو تغير رائحته ومنه قوله ﷺ: «لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك»[4]. ووقع نزاع بين الشيخ أبي عمرو بن الصلاح، والشيخ عزالدين بن عبد السلام، رحمهما الله تعالى، في أن هذا الطيب في الدنيا والآخرة معاً، أم في الآخرة خاصة؟ فقال الشيخ عز الدين: في الآخرة خاصة لقوله ﷺ في رواية[5] لمسلم «والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة». وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو عام في الدنيا والآخرة واستدل بأشياء كثيرة فذكرها، منها ما جاء في مسند ابن حبان بكسر الحاء المهملة، وهو من أصحابنا الفقهاء المحدثين، قال: باب في كون ذلك يوم القيامة، وباب في كونه في الدنيا، وروى في هذا الباب بإسناده الثابت الصحيح، أنه ﷺ قال: «لخلوف فم الصائم حين يخلف، أطيب عند الله من ريح المسك».

وروى الإمام أبو الحسن بن سفيان، بسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً قال: وأما الثانية فإنهم يمسون وخلوف

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٤٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٩٦.

(٣) جمهرة الأمثال ١/٣٥٢.

(٤) رواه مسلم: صيام ١٦٠. والنسائي: صيام ٤٢.

(٥) رواه مسلم: صيام ١٦٢، ١٦٤، والبخاري: صوم ٢، ٩. والترمذي: صوم ٥٤.

أفواههم عند الله أطيب من ريح المسك». ورواه الإمام الحافظ أبو بكر السمعاني في أماليه، وقال: هو حديث حسن وكل واحد من المحدثين مصرح بأنه بمجيء وقت وجود الخلوف في الدنيا يتحقق وصفه بكونه أطيب عند الله من ريح المسك. قال: وقد قال العلماء شرقاً وغرباً بمعنى ما ذكرته في تفسيره. قال الخطابي: طيبه عند الله رضاه به. وقال ابن عبد البر: معناه أذكى عند الله وأقرب إليه وأرفع عنده من ريح المسك. وقال البغوي في شرح السنة: معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله. وكذا قاله الإمام القدوري، إمام الحنفية في كتابه في الخلاف، معناه أفضل عند الله من الرائحة الطيبة. وقاله الإمام العلامة البوني صاحب اللمعة وغيرها وهو من قدماء المالكية. وكذا قاله الإمام أبو عثمان الصابوني، وأبو بكر السمعاني، وأبو حفص بن الصفار من أكابر أئمة الشافعية في أماليهم وأبو بكر بن العربي المالكي وغيرهم. فهؤلاء أئمة المسلمين شرقاً وغرباً، لم يذكروا سوى ما ذكرته ولم يذكر أحد منهم وجهاً بتخصيصه بالآخرة، مع أن كتبهم جامعة للوجوه والمشهورة والغريبة ومع أن الرواية التي فيها ذكر يوم القيامة مشهورة في الصحيح، بل جزموا بأنه عبارة عن الرضا والقبول ونحوهما مما هو ثابت في الدنيا والآخرة.

وأما ذكر يوم القيامة، في تلك الرواية فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف على المسك المستعمل، لدفع الرائحة الكريهة طالباً لرضا الله تعالى، حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات، فخص يوم القيامة بالذكر في رواية لذلك، كما خص في قوله تعالى: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾[1] وأطلق في باقي الروايات ان فضيلته ثابته في الدارين، انتهى كلام الشيخ أبي عمرو رحمه الله.

والذي ينبغي أن يعلم أن جميع ما وقع فيه الخلاف بينهما فالصواب فيه ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام، إلا هذه المسألة، فإن الصواب فيها ما قاله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، رحمه الله. والله تعالى أعلم، وقالوا: «أبخر من صقر»[2]. قال الشاعر:

وله لحيةُ تيسٍ وله منقارُ نسرِ
وله نكهةُ ليثٍ خالطتْ نكهةَ صقرِ

الخواص: قال ابن زهر: الصقر لا مرارة له، وإذا أمسكه إنسان مات فرقاً، ودماغه إذا دلك به القضيب هيج الباه. وقال أبو ساري الديلمي، في عين الخواص له: ودماغ الصقر، إذا مسح به الكلف الأسود قلعه ونقاه، وإذا مسح به الحزاز أذهبه.

التعبير: قال ابن المقري: رؤية الصقر تدل على العز والسلطان، والنصر على الأعداء، وبلوغ الآمال، والرتبة، والأولاد، والأزواج، والمماليك والسراري، ونفائس الأموال، والصحة وتفريج الهموم، والإنكار وصحة الأبصار، وكثرة الأسفار، وعودة بالربح الطائل، وربما دل على الموت لاقتناصه الأرواح، وربما دل على السجن والترسيم، والتقدير في المطعم والمشرب والمعلم بالنسبة إلى الغشيم، يدل على رجل فصيح وكذلك سباع الطير بأسرها، لأنها تجوز على الحيوان

(١) سورة العاديات: آية ١١.
(٢) جمهرة الأمثال ١/٢٠٤.

فتكسر عظمه وتهشم لحمه. فمن رأى من هذه الجوارح شيئاً من غير منازعة، فإنه ينال مغنماً، وكل حيوان يصاد به، كالكلب والفهد والصقر يعبر بولد شجاع فمن تبعه صقر، فإن رجلاً شجاعاً يعطف عليه، وإن كان له حامل، فإنه يرزق ولداً شجاعاً، وكل الجوارح المعلمة تدل على الولد الذكر.

ومن المنامات المعبرة، أتى رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت كأن حمامة نزلت على شرفات السور، فأتاها صقر فابتلعها، فقال ابن سيرين: إن صدقت رؤياك، ليتزوج الحجاج بنت الطيار. فكان كذلك والله أعلم.

الصل: بكسر الصاد، الحية التي لا تنفع فيها الرقية. ومنه قالوا: «فلان صل مطرق». وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر أحمد بن محمد الخوافي، وكان علامة أهل طوس، نظير الغزالي، وكان عجيباً في المناظرة رشيق العبارة، توفي سنة خمسمائة، وكان هو والكيا الهراسي[1] والغزالي أكبر تلامذة إمام الحرمين رحمة الله عليهم.

الصُّلب: كصرد طائر معروف ذكره في العباب.

الصلنباج: كسقنطار سمك طويل دقيق، ذكره في العباب أيضاً.

الصلصل: بالضم الفاختة، قاله الجوهري وغيره، وسيأتي ما في الفاختة، في باب الفاء إن شاء الله تعالى.

الصناجة: قال القزويني في الأشكال: ليس شيء أكبر من هذا الحيوان، وهو يكون بأرض التبت، وهذا الحيوان يتخذ لنفسه بيتاً بقدر فرسخ في الأرض، في فرسخ وكل حيوان وقع بصره عليه مات في الحال، وإذا وقع بصر الصناجة عليها ماتت الصناجة، والحيوانات تعرفه فتعرض له مغمضة العين ليقع بصر الصناجة عليها فتموت، وإذا ماتت تبقى طعمة للحيوان مدة طويلة وهذا من عجائب الوجود. قلت: وقد استعمل الحريري لفظة الصناجة، في المقامة السادسة والأربعين، حيث قال: أحسنت يا نغيش، يا صناجة الجيش. قال الشراح لكلامه: النغيش القصير. وفي الحديث أن النبي ﷺ «رأى نغاشياً فخر ساجداً».

وفسروا صناجة الجيش بأنها الطبل المعروف. قلت: ووجه الشبه أنه لما كان يطرب بالصنج كطرب الجماعة الحاضرين به سماه بذلك. فالهاء فيه للمبالغة. والصناجة أيضاً ذات الصنج، وهي آلة لهو تتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر.

قال الحافظ ابن عبد البر وغيره: أول موروث في الإسلام عدي بن نضلة. وأول وارث نعمان بن عدي، كان عدي قد هاجر إلى أرض الحبشة، فمات بها فورثه ابنه نعمان هناك، واستعمله عمر رضي الله تعالى عنه على ميسان ولم يستعمل من قومه غيره وراود امرأته على الخروج معه فأبت فكتب[2] إليها:

---

(١) الكِيا الهَرّاسي: علي بن محمد بن علي، فقيه شافعي، بغدادي، عماد الدين أبو الحسن مات سنة ٥٠٤ هـ.
(٢) الأبيات في العقد الفريد ٦/ ٣٧٠.

من مبلغِ الحسناءَ أن حليلَها بميسانَ يُسقى في زجاجٍ وحنتمِ
إذا شئتُ غنتني دهاقين قريةٍ وصنّاجةٍ تحدو على كلّ منسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغرِ المتثلّمِ
لعلّ أميرَ المؤمنين يسوؤه تنادُمُنا بالجوسقِ المتهدمِ[1]

فبلغ ذلك عمر رضي الله تعالى عنه فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿**حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول**﴾[2] الآية. أما بعد فقد بلغني قولك:

لعلّ أميرَ المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسقِ المتهدم

وايم الله لقد ساءني، ثم عزله. فلما قدم عليه سأله فقال: ما كان من هذا شيء وما كان إلا فضل شعرٍ وجدته وما شربتها قط. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً. فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات. وشعره فصيح يستشهد به أهل اللغة على أن ندمان بمعنى نديم.

الصوار: القطيع من البقر، والجمع صيران، والصوار أيضاً وعاء المسك وقد جمعهما الشاعر في قوله:

إذا لاحَ الصوارُ ذكرتُ ليلى وأذكرُها إذا نفخَ الصّوارُ

الصومعة: العقاب، لأنها أبداً مرتفعة على أشرف مكان تقدر عليه هكذا قاله كراع في المجرد.

الصيبان: تقدم بما فيه في أول الباب.

الصيد: مصدر، عومل معاملة الأسماء فأوقع على الحيوان المصيد. قال الله تعالى: ﴿**يا أيُّها الّذينَ آمنوا لا تَقتُلوا الصَّيْدَ وأنتم حُرُم**﴾[3] وقال أبو طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه:

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكلّ يومٍ في سلاحي صيد

وبوب البخاري رحمه الله، في أول الربع الرابع من كتابه، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿**أحلّ لكم صيدَ البحرِ وطعامَه**﴾[4] وقال عمر رضي الله عنه: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به. وقال أبو بكر رضي الله عنه: الطافي حلال. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: طعامه ميتته إلا ما قدرت عليها، والجري لا تأكله اليهود ونحن نأكله. وقال أبو شريح، صاحب النبي ﷺ: كل شيء في البحر مذبوح، وقال عطاء: أما الطير فأرى أن يذبحه. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: صيد الأنهار وقلات السيل أصيد بحر هو؟ قال: نعم ثم تلا[5] ﴿**هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه**

---

(١) الجوسق: القصر.
(٢) سورة غافر: آية ٣.
(٣) سورة المائدة: آية ٩٥.
(٤) سورة المدثرة: آية ٩٦.
(٥) سورة فاطر: آية ١٢.

وهذا ملح أجاج ومن كلٍّ تأكلونَ لحماً طرِياً﴾.

وركب الحسن على سرج من جلود كلاب الماء. وقال الشعبي: لو أن أهلي يأكلون الضفادع لأطعمتهم إياها. ولم ير الحسن بالسلفحاة بأساً.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كل مّن صيد نصراني أو يهودي أو مجوسي. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: في المري ذبح الخمر النينان والشمس انتهى.

قوله قلات السيل، أي ما هلك فيه لقولِه «المسافر وما له على قلت»، وقوله في المري إلى آخر ما قال، أشار بذلك إلى صفة مري يعمل في الشأم، تؤخذ الخمر فيجعل فيها الملح والسمك، وتوضع في الشمس فتتغير الخمر إلى طعم المر فتستحيل عن هيئتها، كما تستحيل إلى الخلية. يقول: كما أن الميتة حرام، والمذبوحة حلال، كذلك هذه الأشياء ذبحت الخمر فحلت فاستعار الذبح للتحليل، والذبح في الأصل الشق.

وأبو شريح اسمه هانىء، وعند الأصيلي ابن شريح، وهو وهم. وفي الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر، شريح رجل من الصحابة حجازي، روى عنه أبو الزبير وعمرو بن دينار سمعاه يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، قال: كل شيء في البحر مذبوح، ذبح الله لكم كل دابة خلقها في البحر. قال أبو الزبير وعمرو بن دينار: وكان شريح هذا قد أدرك النبي ﷺ وقال أبو حاتم: له صحبة. ولفظ الصيد في الآية الأولى عام، ومعناه الخصوص، فيما عدا الحيوان الذي أباح النبي ﷺ قتله في الحرم، ثبت عنه ﷺ أنه قال[1]: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحداة والفارة والعقرب والكلب العقور»، فوقف مع ظاهر هذا الحديث، سفيان الثوري والشافعي وابن حنبل وابن راهويه، فلم يبيحوا للمحرم قتل شيء سوى ذلك. وقاس مالك على الكلب العقور الأسد والنمر والفهد والذئب وكل السباع العادية، فأما الهر والثعلب والضبع، فلا يقتلها المحرم عنده، وإن فعل فدى. وقال أصحاب الرأي، رحمهم الله: إن بدأ السبع المحرم فله أن يقتله، وإن ابتدأ المحرم فعليه قيمته.

وقال مجاهد والنخعي: لا يقتل المحرم من السباع إلا ما عدا عليه منها، وثبت عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه أمر المحرمين بقتل الحيات وأجمع الناس على إباحة قتلها. وثبت عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أيضاً إباحة قتل الزنبور، لأنه في حكم العقرب.

وقال مالك: يطعم قاتله شيئاً، وكذلك قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوها. وقال أصحاب الرأي: لا شيء على قاتل هذه كلها، وأما سباع الطير فقال مالك: لا يقتلها المحرم، وإن قتلها فدى. وقال ابن عطية: وذوات السموم كلها في حكم الحية كالأفعى والرتيلاء ونحوهما.

تذنيب: قال أبو حنيفة: لا يقطع سارق ما كان مباح الأصل من صيد البر والبحر، ولا في جميع الطيور. وقال الشافعي ومالك وأحمد والجمهور: يقطع سارق ذلك إذا كان محرزاً، وقيمته

---

(١) رواه البخاري: صيد ٧، وبدء الخلق ١٦. ومسلم: حج ٦٦، ٦٩، ٧١، ٧٧.

ربع دينار لعموم الأدلة وإذا ذبح المحرم صيداً حرم عليه في حال الإحرام باتفاق العلماء، وفي تحريمه على غيره قولان: الجديد الصحيح التحريم كذبيحة المجوسي، فعلى هذا يكون ميتة، والقديم الحل ولو كسر المحرم بيض شيد، أو قلاه حرم عليه، وفي تحريمه على غيره طريقان: أشهرهما أنه على القولين، وأشهر القولين التحريم أيضاً، ولو كسره مجوسي أو قلاه حل، ولو حلب محرم لبن صيد، فهو ككسر بيضه.

فرع: لو صاح محرم على صيد، فمات بسبب صياحه، أو صاح حلال على صيد في الحرم فمات به. فوجهان: أحدهما يضمنه لأنه تسبب في إهلاكه، فكان كما لو صاح على صبي فهلك. قال الإمام النووي: وهذا هو الظاهر. والثاني لا يضمنه، كما لو صاح على بالغ ولو أصاب صيداً، فوقع ذلك الصيد على صيد آخر، أو على فراخه أو بيضه فهلك ضمن جميع ذلك.

فرع: لو مات للمحرم قريب، في ملكه صيد، ملكه على المذهب ملكاً يتصرف فيه كيف شاء، إلا بالقتل والإتلاف.

فرع: قال الروياني: العمرة التي ليس فيها قتل صيد، قيل: إنها أفضل من حجة فيها قتل صيد. والأصح أن الحجة أفضل.

فرع: صيد حرم المدينة حرام، لما روى مسلم، من حديث جابر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابيتها، لا يقطع عضاهها، ولا يصاد صيدها»[1]. واختلفوا في أنه هل يضمن صيدها كصيد مكة؟ فقال الشافعي، في الجديد: إنه لا يضمن، لأنه مكان يجوز دخوله بغير إحرام، فلا يضمن كصيدوج الطائف، ففي سنن البيهقي بإسناد فيه ضعف أن النبي ﷺ قال: «ألا إن صيدوج الطائف وعضاهها حرام محرم». وفي القديم أنه يسلب القاتل لصيد حرم المدينة، والقاطع لشجرها. واختاره النووي من جهة الدليل، وعلى هذا فظاهر إطلاق الأئمة أن السلب لا يتوقف على إتلافه، بل بمجرد الاصطياد وسلبه كسلب قتيل الكفار، عند الأكثرين، وقيل ثيابه فقط، وقيل يترك له ساتر العورة فقط، وهذا هو الصواب في الروضة وشرح المهذب. ثم هو السالب، وقيل لفقراء المدينة كجزاء الصيد، وقيل لبيت المال، ويستثنى من تضمين الصيد ما لو صال عليه فقتله دفعاً.

فرع: إذا عم الجراد الطريق، ولم يجد بداً من وطئه، فلا ضمان عليه في الأظهر. ولو دخل كافر الحرم، وقتل صيداً ضمنه. وقال الشيخ أبو اسحاق في المهذب: يحتمل عندي أنه لا يجب الضمان، قال النووي في شرحه: انفرد الشيخ بهذا الاحتمال عن الأصحاب، وأقامه في البيان وجهاً انتهى. وهذا نقله ابن كج وجهاً للأصحاب، وهو متقدم على صاحب المهذب بأعوام، فإنه توفي سنة أربع وأربعمائة.

تنبيهات: اعلم أن الصيد، إذا مات من سببين: مبيح ومحرم فهو حرام، تغليباً لجانب التحريم، ومثال ذلك أن يموت من سهم وبندقة أو يصيب الصيد طرف من النصل، فيجرحه

---

(1) رواه البخاري: ٣٧ صيد ٨، ٩. ومسلم: حج ٤٤٦.

ويؤثر فيه عرض السهم في مروره فيموت منها. وكذلك لو أرسل سهماً إلى صيد فجرحه، وكان على طرف سطح فسقط منه، أو على جبل فتردى منه، أو تردى في بئر، أو وقع في ماء، أو على شجرة، فانصدم بأغصانها، فهو حرام، لأنه لا يدري من أيها مات.

ومنها ما لو وقع صيده على محدد، سكين أو غيرها، فهو حرام. ولو أرسل سهماً، فأصاب الصيد في الهواء، ثم وقع على الأرض ومات، فهو حلال سواء مات قبل الوصول إلى الأرض أو بعده، أو لم يعلم هل كان موته قبل الوصول أو بعده، لأن الوقوع على الأرض لا بد منه، فيعفى عنه كما يعفى عن الذبح في غير المذبح عند التعذر، وكما أن الصيد لو كان قائماً فوقع على جنبه لما أصابه السهم وقال مالك: إن مات بعد وقوعه على الأرض لم يحل، والارتجاف قليلاً بعد إصابة السهم لا يضر، لأنه كالوقوع على الأرض، فلو تدحرج من الجبل من جنب إلى جنب لم يضر، لأن ذلك مما لا يؤثر مثله في التلف، فلو رمى بسهم إلى صيد في الهواء فكسر جناحه، ولم يجرحه فوقع فمات، فهو حرام، لأنه لم يصبه جرح يحال الموت عليه، فلو كان الجرح خفيفاً لا يؤثر مثله ولكنه عطل جناحيه فوقع فمات فهو حرام، قاله الإمام.

ولو وقع الصيد من الهواء بعدما أصابه السهم وجرحه في بئر نظر فإن كان فيها ماء، فهو حرام، وإن لم يكن فالصيد حلال، لأن قعر البئر كالأرض. ولكن الفرض فيما إذا لم يصادمه جدران البئر. ومنها لو كان الصيد واقفاً على شجرة، فأصابه السهم فجرحه، فوقع على الأرض، فهو حلال. وإن وقع على غصن أو أغصان، ثم على الأرض لم يحل. وليس الانصدام بالأغصان أو بأحرف الجبل عند التردي من القلة، كالانصدام بالأرض فإن ذلك الانصدام ليس بلازم ولا غالب، والانصدام بالأرض لا بد منه، وللإمام احتمالان في الصورتين لكثرة وقوع الطيور على الأشجار، والانصدام بأطراف الجبال إذا كان الصيد بالجبل.

ومنها لو رمى إلى طير الماء، نظر إن كان على وجه الماء فأصابه السهم فجرحه فمات فهو حلال، والماء له كالأرض وإن كان خارج الماء ووقع في الماء، بعدما أصابه السهم، ففيه وجهان، مذكوران في الحاوي، أحدهما: أنه حرام، لأن الماء بعد الجرح، يعين على التلف والثاني: أنه حلال، لأن الماء لا يغرقه، لأنه لا يفارق الماء غالباً. ووقوعه في الماء كوقوع غيره على الأرض، وهذا هو الراجح.

وذكر في التهذيب، أن الصيد إذا كان في هواء البحر، نظر إن كان الرامي في البر، لم يحل وإن كان في البحر حل فإن كان الطائر خارج الماء، ووقع فيه بعدما أصابه السهم، ففي حله وجهان. قطع البغوي، في التهذيب، والشيخ أبو محمد في المختصر، بالحل. وجميع ما ذكرنا فيما إذا لم ينته الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح، فإن انتهى إليها بقطع الحلقوم أو المريء أو غيره، فقد تمت ذكاته، ولا أثر لما يعرض بعد ذلك.

ومنها لو جرح الصيد جرحاً لم يقتله، ثم غاب فوجده بعد ذلك ميتاً، قيل يحل وقيل لا يحل، والأول أصح، لكن يشترط أن ينتهي الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح ولا أثر لغيبته فإن لم ينته إلى حركة المذبوح، فإن وجد في ماء، أو وجد عليه أثر صدمة، أو جراحة أخرى لم

يحل. وللأصحاب ثلاث طرق: أحدها في حله قولان أشهرهما: عند صاحب التهذيب الحل، والعراقيون وغيرهم إلى ترجيح التحريم أميل، والثاني القطع بالحل، والثالث القطع بالتحريم.

وقال أبو حنيفة: إن اتبعه عقب الرمي، فوجده ميتاً حل، وإن تأخر ساعة من اتباعه لم يحل. وروي عن مالك أنه إن وجده في برية حل، وإلا فلا. وصحح النووي والغزالي الحل، للأحاديث الواردة فيه، ومنها لو رمى، وهو لا يرجو صيداً ولا خطر له ولا قصده، بأن رمى سهماً في الهواء، أو في فضاء من الأرض، أو إلى هدف واعترض صيد فأصابه فقتله، ففي حله وجهان أصحهما، وهو المنصوص؛ عدم الحل، لأنه لم يقصد الصيد، لا معيناً ولا مبهماً. ونظير ذلك ما إذا وقع في الشبكة صيد، فعقر بحديدة فيها، ويفرق بينه وبين ما لو ظنه ثوباً بأنه هنا قصد عيناً. ولو رمى إلى ما ظنه حجراً، فكان صيداً فقتله فهو حلال. وكذا لو ظنه صيداً غير مأكول، فكان مأكولاً لأنه قصد عينه. وقيس ذلك بما إذا كان له شاتان، فذبح إحداهما ظناً أنها الأخرى.

وفي التهذيب وغيره وجه أنه لا يحل، لأنه لم يقصد الصيد، وبه قال مالك. ومنها لو نصب سكيناً أو حديدة أو كانت في يده حديدة، فوقعت على حلق شاة فذبحته فهو حرام، لأنه لم يذبح ولم يقصد الذبح، وإنما حصل ما حصل بفعل الشاة أو من غير فعل مختار. وفي التهذيب وغيره، أن عند أبي إسحاق تحل الشاة في صورة وقوع السكين، ولا شك أن الصيد في معناها. وكذا لو كان في يده حديدة يحركها، والشاة أيضاً تحك حلقها بها، فحصل انقطاع الحلقوم والمريء بالحركتين، فهو حرام لأن الموت بشركة الذابح والبهيمة. وقال القاضي أبو سعيد الهروي، في اللباب: وإن رمى الأعمى صيداً، بدلالة بصير فالمذهب أنه لا يحل.

فرع: في الازدحام والاشتراك وله أحوال منها أن يتعاقب جرحان من رجلين، فالأول منهما إما أن يكون مذففاً أو مزمناً، أو لا مذففاً ولا مزمناً، فإن لم يكن مذففاً ولا مزمناً لم يحل على امتناعه، فإن كانت الجراحة مذففة أو مزمنة، فالصيد للثاني ولا شيء على الأول بجراحته، فإن كان جرح الأول مذففاً فالصيد للأول، وعلى الثاني أرش ما نقص من لحمه وجلده، وإن كان جرح الأول مزمناً ملك الصيد به، وينظر في الثاني فإن ذفف بقطع الحلقوم والمريء، فهو حلال وعلى الثاني ما بين قيمته مذبوحاً ومزمناً. قال الإمام: وإنما يظهر التفاوت إذا كان فيه حياة مستقرة فإن كان سالماً أو كان بحيث لو لم يذبح لهلك، فما عندي أنه ينقص بالذبح منه شيء وإن ذفف الثاني، ولم يقطع الحلقوم والمري أو لم يذفف، ومات بالجرحين فهو ميتة، ويجب على الثاني قيمة الصيد مذبوحاً.

قال في كتاب التهذيب: قيل: هو كما لو جرح عبده وجرحه غيره، ومات منهما وهو بناء على ما إذا جرح أجنبي عبداً قيمته عشرة وجرحه آخر ومات، ففيه أوجه: قال المزني: يجب على كل واحد أرش جراحته وباقي القيمة ينصف بينهما. وقيل: على كل واحد نصف قيمته يوم جرحه، وقال ابن خيران: توزع القيمة على قيمته يوم الجرح الأول، وهي عشرة، وعلى قيمته يوم الجرح الثاني وهي تسعة، فيكون تسعة عشر جزءاً: عشرة على الأول وتسعة على الثاني. وقال القفال: على كل واحد منهما نصف أرش جراحته، وينصف باقي القيمة مجروحاً بجرحين. والطريقة الثانية أن الأول إن لم يدركه حياً، وجب على الثاني قيمته مزمناً، وإن أدركه ولم يذبحه، وجب على الثاني

أرش جراحته على وجه، وقيمته مزمناً على وجه، وإن رماه رجلان فأصاباه معاً وقتلاه، فهو لهما فإن أزمن أحدهما وأصاب الآخر المذبح، ولم يعرف السابق وادعى كل منهما أنه المزمن أولاً، تحالفا ويكون بينهما لاحتمال سبق المزمن وإن كان أحدهما مجهزاً، لم يصب المذبح فالصيد حرام انتهى.

فرع: اعلم أن من اصطاد صيداً عليه أثر ملك، فإن كان موسوماً أو مقرطاً أو مخضوباً أو مقصوص الجناح، لم يملكه لأن هذه آثار تدل على أنه كان مملوكاً، وربما أفلت ولا ينظر إلى احتمال أنه اصطاده محرم، وفعل به ذلك ثم أرسله فإنه احتمال بعيد.

فرع: لو قدّ الصيد نصفين حل الكل، وإن أبان منه عضواً ومات منه بعد ساعة قبل أن يتمكن من ذبحه حل المبان على أحد الوجهين، كما لو مات منه في الحال وإن أدركه حياً فذبحه حل الأصل دون المبان، وإن مات الصيد بثقل الجارحة لم يحرم على أحد القولين بخلاف ثقل السهم.

فرع: ويملك الصيد بأمور: بإثبات اليد أو الاثخان أو إبطال الطيران أو العدو أو التعلق بالشبكة المنصوبة، فإن وقعت منه الشبكة وتعلق بها صيد فوجهان، وكذلك الشرك والربق المنصوبان والحبالة ونحو ذلك.

فرع: لو اصطاد سمكة فوجد في بطنها درة مثقوبة، فهي لقطة، وإن كانت غير مثقوبة، فهي له مع السمكة، ولو اشترى سمكة فوجد في بطنها درة غير مثقوبة، فهي له، وإن كانت مثقوبة فهي للبائع، إن ادعاها. هكذا أطلقه في التهذيب. ويشبه أن يقال: إن الدرة تكون لمن اصطاد السمكة، كما في الكنز الذي يوجد في الأرض إنه لمحيي الأرض.

خاتمة: لو أرسل الصيد وخلاه بنفسه، فهل يزول ملكه؟ وجهان: أظهرهما لا يزول، ولا يجوز له أن يفعل ذلك، لأن ذلك من فعل الجاهلية من تسييب السوائب، ومن حقه أن يحترز عنه. وسيأتي إن شاء الله تعالى، الكلام على السائبة، في باب النون. وعلى صيد الكلب والجارحة في باب الكاف.

ولو أفلت الصيد من يده لم يزل ملكه عنه فإن أخذه أحد فعليه رده للأول، ولا فرق بين أن يلتحق بالوحوش في الصحراء، أو يبعد عن البنيان أو يدور في البلد أو حوله. وقال مالك: ما دام في البلد أو حوله لم يزل ملكه عنه، فإن بعد والتحق بالوحوش، زال ملكه ومن أخذه ملكه. ويروى عنه أنه إن تباعد به العهد زال ملكه عنه، وإن قرب لم يزل. ويروى عنه زوال ملكه بافلاته مطلقاً، وعندنا يقاس على إباق العبد وشرود البهيمة.

تتمة: لو توحل صيد بمزرعة، وصار مقدوراً عليه، ففيه وجهان: أصحهما عدم التملك، لأنه لم يقصد بسقي الأرض الاصطياد، والقصد مرعى في التملك ولو دخل بستان غيره، واصطاد منه طائراً، ملكه قطعاً، ولا يثبت لصاحب البستان حكم المتحجر لأن البستان لا يتضمن حكم الطير والله أعلم. وما أحسن قول[1] بعضهم:

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٣٦٥. وفي البيت الثاني: «... لكن جدودٌ...».

يشقى رجالٌ ويشقى آخرونَ بهم ... ويسعِدُ الله أقواماً بأقوامِ
وليس رزقُ الفتى من فضلِ حيلتِه ... لكن حدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصَيد يُحرمُه الرامي المجيدُ وقد ... يرمي فيحرزُه من ليس بالرامي

فائدة: في تاريخ ابن خلكان، لما قلد الرشيد الفضل بن يحيى خراسان، أقام بها مدة ثم وصل كتاب صاحب البريد ينهى، أن الفضل اشتغل بالصيد وإدمان اللذة، عن النظر في أمور الرعية فقال ليحيى: يا أبت اقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه بما يردعه عنه، فكتب إليه يحيى كتاباً[1] وكتب في أسفله هذه الأبيات:

انصَبْ نهاراً في طِلاب العُلا ... واصبرْ على فَقْدِ لقاء الحبيبْ
حتى إذا الليل أتى مقبلا ... واكتَحَلَت بالغمضِ عينُ الرقيبِ
فبادرِ الليلَ بما تشتهي ... فإنما الليلُ نهارُ الأريبِ
كم مِنْ فتى تحسبه ناسكاً ... يستقبلُ الليلَ بأمرٍ عجيب
غطي عليه الليلُ أستاره ... فبات في لهوٍ وعَيشٍ خصيبِ
ولذةُ الأحمقِ مكشوفةٌ ... يسعى بها كلُّ عدوٍ مريبِ

فلما ورد الكتاب على الفضل بن يحيى، لم يفارق المسجد نهاراً.

قيل دخل الفضل على أبيه يحيى وهو يتبختر في مشيته، فكره يحيى ذلك منه، وقال: قالت الحكماء: البخل والجهل مع التواضع، أزين للرجل من السخاء والعلم مع الكبر، فيا لها من حسنة غطت على سيئتين عظيمتين، ويا لها من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين!

ولما كان الفضل ويحيى في محبسهما، سمعهما الموكل يوماً وهما يضحكان ضحكاً مفرطاً، فأعلم الرشيد بذلك فبعث مسروراً يستعلم سبب ذلك، فجاءهما فسألهما وقال: يقول لكما أمير المؤمنين: ما هذا الاستخفاف بغضبي؟ فازدادا ضحكاً! وقال يحيى: اشتهينا سكباجاً فاحتلنا في شراء القدر واللحم والخل وغير ذلك، فلما فرغنا من طبخها وإحكامها، ذهب الفضل ينزلها فسقط قعر القدر، فوقع الضحك والتعجب مما كنا فيه، وما صرنا إليه. فلما أعلم مسرور الرشيد بذلك، بكى وأمر لهما بمائدة في كل يوم، وأذن لرجل مما يأنسان به، أن يدخل عليهما كل يوم، ويتغذى معهما ويحدثهما وينصرف.

ونقل[2] أن الفضل كان كثير البر بأبيه، وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد، في زمن الشتاء، فلما كان في السجن، لم يقدرا على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الابريق النحاس، وفيه الماء، فيضعه على بطنه زماناً لينكسر برده، بحرارة بطنه، حتى يستعمله أبوه بعد ذلك. وتوفي يحيى في السجن سنة ثلاث وتسعين ومائة. ولما بلغ الرشيد وفاته، قال: أمري قريب من أمره، فتوفي بعده بخمسة أشهر.

---

(١) وفيات الأعيان ٢٧/٤، وفيه الخبر والأبيات التالية.

(٢) وفيات الأعيان ٣٦/٤.

الصيدح: الفرس الشديد الصوت وقال الجوهري: الصيدح ذكر البومة انتهى. وتسميته صيدحاً اشتقاقاً له من صوته، لأن الصيدح الصياح قال الشاعر:

وقد هاج شوقي أن تغنّت حمامةٌ ... مطوقةٌ ورقاءُ تصدحُ بالفجرِ

أي تصيح قال الجاحظ: البومة وسائر طيور الليل، لا تدع الصياح وقتَ الأسحار أبداً انتهى. وصيدح اسم ناقة ذي الرمة[1]، قال يمدح بلال بن أبي بردة[2] بن أبي موسى الأشعري:

رأيتُ الناسَ ينتجعون غيثاً ... فقلتُ لصيدحَ انتجعي بلالا

وقد تقدم ذكر هذا البيت في باب الهمزة في الإبل.

الصيدن: الثعلب. وقد تقدم في باب الثاء المثلثة، والصيدن الملك.

الصيدناني: دويبة تعمل لنفسها بيتاً في جوف الأرض وتعميه عن الخلق.

الصير: سمك صغار يعمل منه الصحناة والمرى، ومنهم من يطلق على الصير الصحناة.

وفي سنن البيهقي، في باب ما جاء في أكل الجراد، عن وهب بن عبد الله المغافري، أنه دخل هو وعبد الله بن عمر على زينب بنت رسول الله ﷺ، فقربت إليهم جراداً مقلواً بسمن، وقالت: كل يا مصري من هذا، لعل الصير أحب إليك منه. قال: قلت إنا لنحب الصير. وفي الحديث أن سالم بن عبد الله «مر به رجل ومع صير، فذاق منه ثم سأل منه كيف تبيعه». والمراد به في الحديث الصحناة. قال جرير[3] يهجو قوماً:

كانوا إذا جعلوا في صِيرهم بصلا ... ثم اشتووا كنعدا من مالح جدفوا[4]

قال الجوهري: وتفسيره في الحديث الصحناة، تمد وتقصر. وروي أن الحسن سأله رجل عن الصحناة، فقال: وهل يأكل المسلمون الصحناة؟ وهي التي يقال لها الصير وكلا اللفظين غير عربي.

الخواص: قال جبريل بن بختيشوع: الصحناة المتخذة من الأبازير تنشف المعدة من البلة والرطوبة وتمنع البخر، وتطيب النكهة، وتنفع من وجع الورك المتولد من البلغم، ومن لدغ العقارب إذا طلي بها.

---

(١) ذو الرمة: غَيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة، أبو الحارث، وذو الرمة لقب له، وهو من شعراء العصر الأموي الكبار، عاصر جريراً والفرزدق، توفي سنة ١١٧ هـ.
والبيت في ديوانه ٥٢٨. وفي وفيات الأعيان ١١/٣.

(٢) بلال بن أبي بردة، كان قاضياً على البصرة، ووالد بلال أبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وكذلك أبو موسى الأشعري والد أبي بردة كان قاضياً على الكوفة، زمن عثمان رضي الله عنه. ومات بلال تحت تعذيب يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٦ هـ.

(٣) جرير بن عطية الخطفي، أحد مشاهير الشعراء في العصر الأموي اشتهر بنقائضه مع معاصريه الأخطل والفرزدق، مات سنة ١١٠ باليمامة.

(٤) ديوانه (طبعة دار المعارف): ١٧٧/١. والكنعد: ضرب من السمك البحري.

الضأن: ذوات الصوف من الغنم، وهي جمع ضائن، والأنثى ضائنة والجمع ضوائن، وقيل: هو جمع لا واحد له، وقيل: جمعه ضئين كعبد وعبيد.

فائدة: قال[1] الله تعالى: ﴿ثمانيةُ أزواجٍ من الضأنِ اثنين ومن المعزِ اثنين قُل آلذكرينِ حرّم أم الأنثيينِ أما اشتملت عليه أرحامُ الأنثيينِ﴾ الآية وذلك أن الجاهلية كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حِجر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، فكنوا يحرمون بعضها على النساء، فلما جاء الإسلام وثبتت أحكامه، جادلوا النبي ﷺ، وكان الذي جادله خطيبهم مالك بن عوف بن الأحوص الجشمي، فقال: يا محمد إنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه. فقال له رسول الله ﷺ: «إنكم قد حرمتم أصنافاً من الغنم على غير أصل، وإنما خلق الله هذه الأزواج الخمسة للمأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكر أمن قبل الأنثى». فسكت مالك وتحير ولم يتكلم. فقال له النبي ﷺ: «ما لك لا تتكلم»؟ فقال له مالك: بل تكلم وأسمع منك.

فلو قال جاء التحريم من قبل الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور، ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، ولو قال باشتمال الرحم عليه لكان ينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم يشتمل على الذكور والإناث. فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو بالبعض دون البعض، فمن أين؟ وثمانية أزواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش، أي وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أي أصناف: من الضأن اثنين أي الذكر والأنثى، فالذكر زوج والأنثى زوج والعرب تسمي الواحد زوجاً إذا كان لا ينفك عن الآخر. وسيأتي إن شاء الله تعالى، الكلام على البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، في باب النون في النعم.

وقد جعل الله تعالى البركة، في نوع الغنم فهي تلد في العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلىء منها وجه الأرض، بخلاف السباع فإنها تلد شتاء وصيفاً، ولا يرى منها إلا واحد واحد في أطراف الأرض، ويضرب المثل بلين جلودها، لما روى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال[2]: «يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب» وفي رواية: «وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس جلود الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين يقول الله تعالى: أبي يغترون وعلي يجترئون، فبي حلفت لأقيضن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران». يقال: ختله يختله إذا خدعه، وختل الذئب الصيد، إذا تخفى له. وبين المعز والضأن تضاد يوجب أن لا يقع بينهما لقاح أصلاً.

وعن عجيب طبعها وأمرها أنها ترى الفيل والجاموس فلا تهابهما، مع عظم أبدانهما، وترى الذئب فيعتريها خوف عظيم لمعنى خلقه الله في طباعها. ومن غريب أمرها أن الغنم تلد في ليلة واحدة عدداً كثيراً ثم إن الراعي يسرح بالأمهات من الغد ويأتي بها عند العشاء، ويخلي بينها وبين

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٤٣.

(٢) رواه الترمذي: زهد ٦٠.

السخال، فتذهب كل واحدة إلى أمها. ويجلب من الهند نوع من الضأن، في صدره ألية وعلى كتفيه أليتان، وعلى فخذيه أليتان وعلى ذنبه ألية، وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشي، وإن تسافدت الغنم عند نزول المطر لا تحمل، وإن كان السفاد عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكوراً، وإن كان عند هبوب الجنوب تكون الأولاد إناثاً. وإذا رعت الضأن الزرع رجع، وإذا رعته المعز لم ينبت. وقالت العرب: «جز ضائنة وحلق معزة».

وحكمها: حل الأكل بالاجماع.

الأمثال: قالوا: «أجهل من راعي[1] ضأن» و«أحمق من راعي ضأن ثمانين[2]» و«أحمق من طالب ضأن ثمانين[3]» وذلك أن الضأن تنفر من كل شيء، فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها في كل وقت، وفي الصحاح: «أحمق من صاحب ضأن ثمانين» وذلك أن أعرابياً بشر كسرى ببشرى فسر بها، فقال: سلني ما شئت، فقال: أسألك ضأناً ثمانين.

وقال ابن خالويه: إنه رجل قضى للنبي ﷺ حاجة، فقال ﷺ: «ائتني بالمدينة»، فأتاه، فقال عليه الصلاة والسلام له: «أيما أحب أليك، ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معي في الجنة»؟ فقال: بل ثمانون من الضأن، فقال عليه الصلاة والسلام: «أعطوه إياها». ثم قال ﷺ: «إن صاحبة موسى كانت أعقل منك، وذلك أن عجوزاً دلته على عظام يوسف عليه السلام، فقال لها موسى: أيما أحب إليك أسأل الله أن تكوني معي في الجنة أو مائة من الغنم؟ قالت: الجنة». والحديث رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك مع اختلاف فيه وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وعن أبي موسى الأشعري قال: إن النبي ﷺ كان يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعداً يا رسول الله فقال ﷺ: «صدقت فاحتكم ما شئت» قال: إني أحتكم ثمانين ضائنة وراعيها. فقال ﷺ: «هي لك، ولقد احتكمت يسيراً، ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك حين حكمها موسى، فقالت: حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة»[4]. قال في الإحياء، في آخر الآفة الثالثة عشرة؛ من آفات اللسان: وكان الناس يضعفون ما احتكم هذا الانسان به حتى جعلوه مثلاً، فقالوا: «أقنع من صاحب الثمانين والراعي».

الخواص: لحم الضأن يمنع المرة السوداء، ويزيد في المني وينفع من السموم، وهو حار رطب بالنسبة إلى المعز، وأجوده الحولي، وهو ينفع المعدة المعتدلة ويضر من يعتاده العشي، وتدفع مضرته بالأمراق القابضة، ويكره لحم النعاج لأنه يولد دماً رديئاً، ولحم الخرفان يغذو غذاء كثيراً حاراً رطباً لكنه يولد البلغم، والحولي من الضأن أغذى من صغيرها، ولحم الضأن في الربيع أجود وأنفع منه في سائر الأزمان، ولحم الخصي منها يزيد في الباه، ودمها إذ أخذ وهو حار ساعة تذبح وطلي به الوضح غير لونه وضيعه. وكبد التيس إذا أحرقت طرية ودلك بها الأسنان بيضها،

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٢٧٠.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/٣١٤.

(٣) جمهرة الأمثال: ١/٣١٥.

(٤) رواه ابن حنبل: ١ ـ ٤٢٧، ٣ ـ ٣٥٤. والدارمي: سير ٣٥.

وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها، وإذا اكتحل بمرارة الكبش مع العسل، يمنع من نزول الماء، وعظمه يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد، ويطلى به موضع الهشم يصلحه. وإذا تحملت المرأة بصوف النعجة، قطعت الحبل. وإذا غطي الإناء بصوف الضأن الأبيض، وفيه عسل، لم يقربه النمل.

الضوْضؤ: الطائر الذي يسمى الأخيل، قاله ابن سيده وتوقف فيه ابن دريد.

الضب: بفتح الضاد، حيوان بري معروف يشبه الورل، قال أهل اللغة: وهو من الأسماء المشتركة فيطلق على ورم في خف البعير وعلى ضبة الحديد، والضب اسم للجبل الذي بمسجد الخيف في أصله. وضبة الكوفة وضبة البصرة قبيلتان من العرب. والضب أن يجمع الحالب خِلفَي الناقة في كفيه جميعاً أنشد ابن دريد:

جمعتُ لـه كفِّي بـالـرمحِ طـاعنـاً   كـما جمعَ الخلفين في الضبِّ حـالبُ

وكنيته أبو حسل والجمع ضباب وأضب مثل كف وأكف والأنثى ضبة قالت العرب: «لا أفعله حتى يرد الضب»، لأن الضب لا يرد الماء. قال ابن خالويه، في أوائل كتاب ليس: الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعداً، ويقال إنه يبول في كل أربعين يوماً قطرة، ولا تسقط له سن ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة. ومن كلامهم الذي وضعوه على ألسنة البهائم: ثم قالت السمكة: رد يا ضب فقال(١):

أصـبـح قـلـبـي صَرِدا   لا يـشـتـهـي أن يـرِدا
إلاّ عَـرَاداً عَـرِدا   وصِـلِّـيـا نـا بَـرِداً(٢)
وعنكشاً ملتبداً

ولما كان بين الحوت والضب هذا التضاد أشار إليه حاتم الأصم رحمه الله بقوله:

وكـيفَ أخــافُ الـفقـرَ واللهُ رازقـي   ورازقُ هــذا الخلق في العسرِ واليسرِ
تـكفَّــلَ بــالأرزاقِ لـلخـلقِ كـلِّهـم   وللضبِّ في البيدا وللحوتِ في البحرِ

وضبب البلد وأضب كثرت ضبابه. وأرض ضبية أي كثيرة الضباب. قال عبد اللطيف البغدادي: الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ، كلها متناسبة في الخلق. وللضب ذكران وللأنثى فرجان، كالورل والحرذون. وقال عبد القاهر: الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنبه وهو يتلون ألواناً بحر الشمس كما تتلون الحرباء انتهى.

أسند ابن أبي الدنيا، في كتاب العقوبات، عن أنس قال: إن الضب ليموت في جحره هزالاً من ظلم بني آدم، ولما سئل أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، عن ذكر الضب، قال: إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان، وإذا أرادت الضبة أن تخرج بيضها، حفرت في الأرض حفرة، ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب، وتتعاهدها كل يوم، حتى تخرج، وذلك في أربعين

---

(١) الحيوان للجاحظ ١٢٥/٦.   (٢) العَراد: حشيش طيب الرائحة. الصليان: ضرب من الشجر.

يوماً، وهي تبيض سبعين بيضة وأكثر، وبيضها يشبه بيض الحمام.

والضب يخرج من جحره كليل البصر فيجلوه بالتحدق للشمس، ويغتذي بالنسيم ويعيش ببرد الهواء، وذلك عند الهرم، وفناء الرطوبات، ونقص الحرارات، وبينه وبين العقارب مودة، فلذلك يؤويها في جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه، ولا يتخذ جحره إلا في كدية جحر، خوفاً من السيل والحافر، ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة لحفره بها في الأماكن الصلبة، وفي طبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المثل في الحيرة ولذلك لا يحفر جحره إلا عند أكمة أو صخرة لئلا يضل عنه، إذا خرج لطلب المطعم، ويوصف بالعقوق لأنه يأكل حسوله فلا ينجو منها إلا ما هرب، وأشار إلى ذلك الشاعر بقوله[1]:

أكلتَ بنيك أكلَ الضبِ حتى ... تركتَ بنيك ليس لهم عديدُ

وهو طويل العمر، ومن هذه الجهات يناسب الحيات والأفاعي. ومن طبعه أنه يرجع في قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه. وهو طويل الدم بعد الذبح وهشم الرأس، يقال إنه يمكث بعد الذبح ليلة ويلقى في النار فيتحرك. ومن شأنه في الشتاء أن لا يخرج من جحره، وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبي الصلت[2] لما جاء إلى عبد الله بن جدعان[3] يطلب نائله بقوله:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنّ شيمتَك الوفاءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كفاه من تعرضه الثناءُ
كريمٌ لا يغيره صباحٌ ... عن الخُلقِ الجميل ولا مَساءُ
يباري الريحَ تكرمةً ومجداً ... إذا ما الضبُّ أجحرَه الشتاءُ
فأرضُك كلُّ مكرمةٍ بناها ... بنو تيمٍ وأنت لها سماءُ

فائدة: روى الدارقطني والبيهقي، وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً وجعله في كمه ليذهب به إلى رحله، فرأى جماعة محتفين بالنبي ﷺ، فقال: على من هؤلاء الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذي يزعم أنه نبي. فأتاه فقال: يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك، فلولا أن تسميني العرب عجولاً لقتلتك وسررت الناس بقتلك أجمعين! فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله دعني أقتله. فقال ﷺ: «لا أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبياً». ثم أقبل الأعرابي على رسول الله ﷺ فقال: واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب! وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ وقال: إن آمن بك آمنت بك! فقال ﷺ: «يا ضب»، فكلمه الضب بلسان طليق فصيح، عربي مبين صريح، يفهمه القوم جميعاً: لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين! فقال ﷺ «من تعبد» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه. فقال ﷺ: «فمن أنا يا ضب»؟

---

(١) الحيوان للجاحظ ٦/٤٩.
(٢) شاعر جاهلي حكيم ادرك الإسلام ولم يسلم حَسَداً.
(٣) ابن جُدعان: من أجواد الجاهلية.

قال: أنت رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وإنك رسول الله حقاً، والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلي منك، ووالله لأنت الساعة أحب إلي من نفسي ومن ولدي، فقد آمن بك شعري وبشري، وداخلي وخارجي، وسري وعلانيتي.

فقال له رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه، ولا يقبله الله إلا بصلاة، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن» قال: فعلمني فعلمه النبي ﷺ سورة الفاتحة وسورة الإخلاص. فقال: يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا! فقال ﷺ: «إن هذا كلام رب العالمين وليس بشعر. إذا قرأت ﴿قل هو الله أحد﴾[1] مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأتها مرتين، فكأنما قرآت ثلثي القرآن، وإذا قرأتها ثلاثاً فكأنما قرأت القرآن كله». فقال الأعرابي: إن إلهنا يقبل اليسير، ويعطي الكثير. ثم قال له النبي ﷺ: «ألك مال»؟ فقال: ما في بني سليم قاطبة رجل أفقر مني. فقال ﷺ لأصحابه: «أعطوه»، فأعطوه حتى أبطروه. فقال عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، أنا أعطيه ناقة عشراء تَلحق ولا تُلحق، أهديت إلي يوم تبوك، فقال ﷺ: «قد وصفت ما تعطي، وأصف لك ما يعطيك الله جزاء» قال: نعم صف يا رسول الله. قال ﷺ: «لك ناقة من درة بيضاء جوفاء، قوائمها من زبرجد أخضر، وعيناها من ياقوت أحمر، عليها هودج، وعلى الهودج السندس والاستبرق، تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف».

فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ فتلقاه ألف أعرابي على ألف دابة بألف سيف، فقال لهم: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا الذي يكذب ويزعم أنه نبي. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا له: صبأت، فحدثهم بحديثهم، فقالوا كلهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله. ثم أتوا النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله مرنا بأمرك، فقال ﷺ: «كونوا تحت راية خالد بن الوليد». فلم يؤمن في أيامه ﷺ من العرب، ولا من غيرهم ألف غيرهم.

الحكم: يحل أكل الضب بالاجماع. قال في الوسيط: ولا يؤكل من الحشرات إلا الضب. قال ابن الصلاح، في مشكله: هذا غير مرضي فإن الحشرات اليربوع والقنفذ، ذكرهما الأزهري وغيره. وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قيل له: أحرام هو؟ قال: «لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه». وفي سنن[2] أبي داود، لما رأى النبي ﷺ الضبين المشويين بزق، فقال خالد: يا رسول الله أراك تقذره، وذكر تمام الحديث. وفي رواية لمسلم «لا آكله ولا أحرمه»[3] وفي الأخرى: «كلوه فإنه حلال ولكنه ليس من طعامي». وكل هذه الروايات صريحة في الإباحة، ولأن العرب تستطيبه والدليل عليه قول[4] الشاعر:

أكلتُ الضبابَ فما عفتُها ... وإني اشتهيتُ قديدَ الغنمْ
ولحمَ الخروفِ حنيذا وقد ... أتيتُ به فاترا في الشَّبم

---

(١) سورة الإخلاص: سورة ١.
(٢) رواه مسلم: صيد ٤٥، وأبو داوود: أشربة ٢١.
(٣) رواه مسلم: صيد ٤٠. والترمذي: أطعمة ٣.
(٤) الحيوان للجاحظ ٨٨/٦ ونسبها لأبي الهندي.

وأما البهضُ وحيتانُكم ... فأصبحتُ منها كثيرَ السَّقَمْ
وركبت زبداً على تمرة ... فنِعمَ الطعامُ ونِعم الأدمْ
وقد نلتُ منها كما نلتمو ... فلم أرَ فيها كضبٍّ هرم
وما في التيوسِ كبيضِ الدجاجِ ... وبيضُ الدجاجِ شفاءُ القرمِ
ومكن الضبابِ طعامُ العرب ... وكاشيه منها رؤوس العجم

قوله: الحنيذ، أي المشوي، وماء الشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ماء الأسنان، والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة الأرز باللبن، والقرم بفتح القاف وكسر الراء الرجل يشتهي اللحم، والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون في آخره، بيض الضب والكشا جمع كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة. ولا يكره أكله عندنا خلافاً لبعض أصحاب أبي حنيفة. وحكى القاضي عياض عن قوم تحريمه. قال الإمام العلامة النووي: وما أظنه يصح عن أحد انتهى.

وأما ما روي عن عبد الرحمن بن حسنة، قال: نزلنا أرضاً كثيرة الضباب، فأصابتنا مجاعة، فطبخنا منها أي من الضباب، فإن القدور لتغلي إذ جاءنا رسول الله ﷺ، فقال[1]: «ما هذا»؟ فقلنا: ضباب أصبناها، فقال: «إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب في الأرض وإني أخشى أن يكون هذا منها فلم آكلها ولم أنه عنها»، فيحتمل أن ذلك قبل أن يعلم أن الممسوخ لا يعقب.

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ لما خرج إلى حنين، مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال[2] ﷺ: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، فوالذي نفسي بيده لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما أشبه الليلة بالبارحة؟ هؤلاء بنو إسرائيل. قال ابن العربي، في عارضة الأحوذي: تفكرت برهة في وجه ضرب المثل بالضب، فعرضت لي في الخاطر معان، أشبهها الآن أن الضب عند العرب يضرب به المثل للحاكم من الإنس، والحاكم تأتي إليه الخلق بأجمعهم، فيما يعرض من الأمور لهم، فلا يتأخر أحد عنه فكان المعنى مصيرهم لذلك.

الأمثال: قالوا: «أضل من ضب[3]»، والضلال ضد الهداية. وكذلك قالوا في الورل، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقالوا: «أعق من ضب[4]» قال ابن الأعرابي: إنما يريدون الأنثى وعقوقها أنها تأكل أولادها. «وأحيى من ضب»، أي أطول عمراً و«أجبن من ضب» و«أبله من ضب» و«أخدع من ضب[5]». قال[6] الشاعر:

---

(١) رواه ابن حنبل ١٩٦/٤.
(٢) رواه البخاري: اعتصام ١٤، ومسلم: علم ٦.
(٣) جمهرة الأمثال: ١٠/٢.
(٤) جمهرة الأمثال: ٦٠/٢.
(٥) جمهرة الأمثال: ٣٣٥/١.
(٦) الحيوان للجاحظ ٥٣/٦ ونسبه لأبي الوجيه العكلي.

وأخدعُ من ضبٍّ إذا جاءَ حارسٌ أعدله عندَ الذبابةِ عقربا

وقالوا: «أعقد من ذنب الضب[1]»، لأن عقده كثيرة. وزعموا أن بعض الحاضرة، كسا أعرابياً ثوباً، فقال له: لأكافئنك على فعلك بما أعلمك كم في ذنب الضب من عقدة؟قال: لا أدري، قال: فيه إحدى وعشرون عقدة.

الخواص: إذا خرج الضب من بين رجلي انسان، لا يقدر بعد ذلك على مباشرة النساء. ومن أكل قلبه أذهب عنه الحزن والخفقان، وشحمه يذاب ويطلى به القضيب يهيج شهوة الجماع، ومن أكل منه لا يعطش زماناً طويلاً، وخصيتاه من استصحبها معه يحبه الخدم محبة شديدة، وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شيء من الخيل، عند المسابقة. وجلده يجعل منه غلاف للسيف يشجع صاحبه، وإن اتخذ ظرفاً للعسل، فمن لعق منه هيج شهوة الجماع، ويورث انعاظاً شديدة، وبعره ينفع من البرص والكلف طلاء، ومن بياض العين اكتحالاً، ومن نزول الماء فيها.

التعبير: الضب في المنام رجل عربي خداع في أموال الناس، ومال صاحبه، وقيل: إنه رجل مجهول النسب، وقيل: إنه رجل ملعون لأنه من الممسوخ وقيل: إنه يدل على الشبهة في الكسب، وقيل: من رأى الضب في المنام فإنه يمرض.

الضبع: معروفة، ولا تقل ضبعة، لأن الذكر ضبعان، والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين. والأنثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع، وهذا الجمع للذكر والأنثى مثل سبع وسباع كذا قاله الجوهري. وقال ابن بري: قوله: والأنثى ضبعانة لا يعرف.

وفي مسائل الضبع مسألة لطيفة، وهي أن من أصول العربية التي يطرد حكمها ولا ينحل نظمها، أنه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث، لأنه هو الأصل والمؤنث فرع عنه، إلا في موضعين: أحدهما أنك متى أردت تثنية الذكر والأنثى من الضباع قلت: ضبعان وأجريت التثنية على لفظ المؤنث، الذي هو ضبع لا على لفظ المذكر الذي هو ضبعان، وإنما فعل ذلك فراراً مما كان يجتمع من الزوائد أن لو ثنى على لفظ المذكر. والموضع الثاني أنهم في باب التاريخ أرخوا بالليالي، وهي مؤنثة دون الأيام التي هي مذكرة، وإنما فعلوا ذلك مراعاة للأسبق، والأسبق من الشهر ليلته هذا كلامه بحروفه.

وقال الحريري في الدرة: إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر إلا في التاريخ، فإنه بالعكس وإلا في تثنية ضبع وضبعان، فيقال: ضَبُعانِ بفتح الضاد وضم الباء والنور مكسورة.

وعن ابن الأنباري أن الضبع يطلق على الذكر والأنثى، وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوي، في كتابه الإفصاح في فوائد الإيضاح للفارسي عن أبي العباس وغيره. والمعروف في المحكم وغيره ما تقدم. وتصغير الضبع أضيبع لما تقدم، في أول باب الهمزة، مما رواه مسلم في باب إعطاء القاتل سلب المقتول، من طريق أبي قتادة، من حديث الليث، فقال أبو بكر رضي الله

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٦٥.

تعالى عنه: «كلا لا يعطيه لأضيبع من قريش ويدع أسداً من أسد الله». وشذ الخطابي، فقال: الأضيبع نوع من الطيور.

ومن أسماء الضبع جيل وجعار وحفصة، ومن كناها أم خنور وأم طريق وأم عامر وأم القبور وأم نوفل والذكر أبو عامر وأبو كلدة وأبو الهنبر. وقد تقدم في باب الهمزة أن الضبع تحيض كالأرنب، تقول: ضحكت الأرنب ضحكاً، أي حاضت قال الشاعر:

وضحكُ الأرانبِ فوقَ الصفا كمثلِ دمِ الحربِ يوم اللقا

يعني الحيض، فيما زعم بعضهم. وقال ابن الأعرابي في قول ابن أخت تأبط شراً[1]:

تضحك الضبعُ لقتلى هذيل وترى الذئبَ لها يستهلْ

أي إن الضبع، إذا أكلت لحوم الناس، أو شربت دماءهم، طمثت وقد أضحكها الدم. قال الشاعر:

وأضحكتِ الضباعَ سيوفُ سعد لقتلى ما دفن ولا ودينا

وكان ابن دريد يرد هذا، ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها، حتى علم أنها تحيض؟ وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وهذا سهو منه فجعل كشرها ضحكاً. وقيل: معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكاً. وقيل: أراد أنها تسر بهم، فجعل السرور ضحكاً، لأن الضحك إنما يكون منه كتسمية العنب خمراً، وتستهل الذئاب تصيح وتعوي، قاله ابن سيده.

ومن عجيب أمرها، أنها كالأرنب، تكون سنة ذكراً وسنة أنثى فتلقح في حال الذكورة، وتلد في حال الأنوثة، نقله الجاحظ والزمخشري في ربيع الأبرار، والقزويني في عجائب المخلوقات، وفي كتابه مفيد العلوم ومبيد الهموم، وابن الصلاح في رحلته عن ارسطاطاليس وغيرهم، قال القزويني: وفي العرب قوم يقال لهم الضبعيون، لو كان أحدهم في قفل فيه ألف نفس، وجاء الضبع لا يقصد أحداً سواه. والضبع توصف بالعرج وليست بعرجاء وإنما يتخيل ذلك للناظر، وسبب هذا التخيل لدونة في مفاصلها، وزيادة رطوبة في الجانب الأيمن على الأيسر منها. وهي مولعة بنبش القبور لكثرة شهوتها للحوم بني آدم، ومتى رأت إنساناً نائماً حفرت تحت رأسه، وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دمه. وهي فاسقة لا يمر بها حيوان من نوعها إلا علاها. وتضرب العرب بها المثل في الفساد، فإنها إذا وقعت في الغنم عاثت، ولم تكتف بما يكتفي به الذئب، فإذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم سلمت لأن كل واحد منها يمنع صاحبه. والعرب تقول في دعائها: اللهم ضبعاً وذئباً أي اجمعهما في الغنم لتسلم. ومنه قول الشاعر:

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها: يا رب سلط عليها الذئبَ والضبعا

---

(١) تأبط شراً: من الشعراء الصعاليك في الجاهلية واسمه ثابت بن جابر.

قيل للأصمعي: هذا دعاء لها أم عليها؟ فقال: دعاء لها وذكر ما تقدم. والضبع إذا وطئت ظل الكلب في القمر، وهو على سطح وقع الكلب، فأكلته. وتوصف بالحمق، وذلك أن الصيادين لها، يقولون على باب وجارها كلمات، يصيدونها بها كما تقدم في الذبح. والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب. وتلد من الذئب جرواً ويسمى العسبار قال[1] الراجز:

يا ليتَ لي نعلين من جلدِ الضبع وشركا من ثفرِها لا تنقطع
كلّ الحذاءِ يحتذى الحافي الوقع

الثفر للسباع وكل ذات مخلب بمنزلة الحياء من الناقة.

وحكمها: حل الأكل، قال الشافعي رحمه الله تعالى: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع»[2]. فما قويت أنيابه، فعدا بها على الحيوان طالباً غير مطلوب، يكون عداؤه بأنيابه علة تحريم أكله. والضبع لا يغتذي بالعدوى، وقد يعيش بغير أنيابه. وقد تقدم ذلك، في باب الهمزة، في لفظ الأسد وبحلها. قال الإمام أحمد واسحاق وأبو ثور وأصحاب الحديث. وقال مالك: يكره أكلها، والمكروه عنده ما أثم آكله، ولا يقطع بتحريمه. واحتج الشافعي بما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يأكل الضبع. وبه قال ابن عباس وعطاء، وقال أبو حنيفة: الضبع حرام، وهو قول سعيد بن المسيب والثوري محتجين بأنه ذو ناب. وقد «نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع».

ودليلنا ما روى عبد الرحمن بن أبي عمار، قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع أصيد هي؟ قال: نعم. قلت: أتؤكل؟ قال: نعم. قلت: أقاله رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. أخرجه الترمذي وغيره، وقال حسن صحيح.

وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «الضبع صيد وجزاؤه كبش مسن ويؤكل»[3]. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وذكره ابن السكن أيضاً، في صحاحه، قال الترمذي: سألت البخاري عنه، فقال: إنه حديث صحيح. وفي البيهقي عن عبد الله بن مغفل السلمي، قال: قلت يا رسول الله ما تقول في الضبع؟ قال: «لا آكله ولا أنهي عنه»[4]. قال: قلت ما لم تنه عنه فإني آكله. اسناده ضعيف. قال الشافعي: ومازال لحم الضبع يباع بين الصفا والمروة، من غير نكير. وأما ما ذكروه من حديث النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، فإنه محمول على ما إذا كان يتقوى بنابه، بدليل أن الأرنب حلال وله ناب ولكنه ضعيف لا يعدو به.

الأمثال: قالوا: «أحمق من ضبع»[5]، ومن الأمثال الشهيرة في ذلك، ما رواه البيهقي، في آخر شعب الايمان، عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور[6]

---

(١) الحيوان للجاحظ: ٤٤٦/٦. والراجز هو ابن المقدام جسّاس بن قطيب.
(٢) رواه البخاري: ذبائح ٢٨، ٢٩. ومسلم: صيد ١٢، ١٥. والترمذي: صيد ١١.
(٣) رواه الترمذي: حج ٢٨، وأطعمة: ٤.
(٤) رواه ابن ماجه: صيد ١٤.
(٥) جمهرة الأمثال: ٣١٥/١، ٣٣٧.
(٦) المستقصى: ٢٣٢/٢.

«كمجير أم عامر» فقال: كان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصيد، في يوم حار، فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهي الضبع، فطردوها فاتبعتهم حتى ألجؤوها إلى خباء أعرابي، فاقتحمته. فخرج إليهم الأعرابي فقال: ما شأنكم؟ فقال: صيدنا وطريدتنا، قال: كلا والذي نفسي بيده لا تصلون إليها ما ثبت قائم سيفي بيدي. قال: فرجعوا وتركوه، فقام إلى لقحة له فحلبها وقرب إليها ذلك، وقرب إليها ماء، فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا حتى عاشت واستراحت، فبينما الأعرابي نائم في جوف بيته، إذ وثبت عليه فبقرت بطنه، وشربت دمه، وأكلت حشوته وتركته. فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة، فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال: صاحبي والله، وأخذ سيفه وكنانته واتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول:

ومن يصنعِ المعروفَ من غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجيرُ أم عامرِ
أدام لها حين استجارت بقربه ... قراها من البان اللقاحِ الغزائرِ
وأشبعَها حتى إذا ما تملأتْ ... فرتْه بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... غدا يصنع المعروفَ مع غير شاكر

ومن الأمثال: قال الميداني: قالوا: «ما يخفى هذا على الضبع» يضرب للشيء يتعالمه الناس، والضبع أحمق الدواب.

الخواص: قال صاحب عين الخواص: الضبع تجذب الكلاب كما يجذب المغناطيس الحديد. وذلك أنه إذا كان كلب على سطح في ليلة مقمرة مضيئة ووطئت الضبع ظله في الأرض، يقع الكلب من السطح فتأكله الضبع. وشحم الضبع، إذا طلي به الجسد أمن من مضرة الكلاب، ومرارتها، إذا يبست، وسقي امرأة منها قدر نصف دانق، أبغضت المجامعة وذهبت منها الشهوة. وإذا اتخذ من جلد الضبع منخل، ونخل به البزور، وزرعت لا يضره الجراد، ذكر ذلك كله محمد بن زكريا الرازي، في كتبه انتهى.

قال عطارد بن محمد: الضبع تهرب من عنب الثعلب، فإذا طلي بعصارته الجسد أمن من مضرة الضبع، وجلد الضبع إذا أمسكه إنسان، لم تنبح عليه الكلاب. ومرارتها يكتحل بها تنفع من ظلمة البصر، والماء في العين وتحد البصر وتقويه، وعينها اليمنى تقلع وتنقع في الخل سبعة أيام، ثم تخرج منه وتجعل تحت فص خاتم، فمن لبسه لم يخف سحراً ولا عيناً ما دام لابسه، ومن كان به سحر، فغسل ذلك الخاتم بماء، ثم يسقى منه فإن السحر يذهب عنه. وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر، ورأس الضبع، إذا جعل في برج حمام، كثر فيه الحمام، ولسانها، من أمسكه بيده اليمنى لم تنبح عليه الكلاب ولم تؤذه، وحذاق العيارين يفعلون ذلك.

ومن خاف الضباع، فليأخذ بيده أصلاً من أصول العُنْصُل[1]، فإنها تهرب منه. وإذا بخر الصبي العليل سبعة أيام بشعر قفا الضبع، فإنه يبرأ. وإذا سقيت المرأة قضيب الضبعان مسحوقاً، وهي لا تعلم أذهب عنها شهوة الجماع. ومن علق عليه قطعة من فرجها صار محبوباً

---

(١) العنصل: البصل البرّي.

للناس، وأسنان الضبع، إذا ربطت على العضد، تنفع من النسيان ووجع الأسنان. وإذا جلد بجلده مكيال وكيل به البذر، أمن من ذلك الزرع من سائر الآفات. ومن غريب خواصها، أن من أكل دمها ذهب عنه الوسواس، ومن أمسك بيده حنظلة، فرت الضباع منه، وإذا طلي الجسد بشحم الضباع، أمن من عقر الكلاب.

وقال حنين[1] بن إسحاق: إذا نتف الشعر الذي في باطن أجفان العين، واكتحل بمرارة الضبع، أو بمرارة ببغاء، أو بمرارة سبع، أو بمرارة عنز، فإنه يذهب بإذن الله تعالى. وقضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الجماع، ولا يمل من النساء. وقال غيره: إذا شرب من مرارة الضبع نصف درهم بمثله عسلاً، نفع من سائر الأعلال التي تكون في الرأس والعين، ويمنع نزول الماء في العين ويشد الانتشار وإن خلطت المرارة بالعسل، واكتحل بها جلا العين وزادها حسناً، وكلما عتق هذا الخلط كان أجود وأحسن نفعاً. وقال ماسرجويه: الاكتحال بمرارة الضبع ينفع من البله والدموع.

ومن غريب خواصها وهو ما أطبق عليه الأطباء، أن شعر الفخذ اليمنى من ذكر الضباع الذي حول فقحته إذا نتف وأحرق وخلط في زيت مسحوقاً، ودهن بن من به بغا أبرأه، وهو يحدث العلة في السليم، إذا كان الشعر من أنثى، فافهم. وهو عجيب مجرب مراراً عديدة.

التعبير: الضبع تدل رؤيته على كشف الأسرار، والدخول فيما لا يعني. وربما دلت رؤية الذكر على الرجل الخنثى المشكل، وربما دلت على عدو ظلوم مكايد مخالف. وقيل: الضبع امرأة قبيحة المنظر، دنيئة الأصل، ساحرة عجوز.

وقال ارطاميدورس: الضبع تدل على الخديعة، ومن ركبها في المنام نال سلطاناً والله أعلم.

أبو ضبة: الدرّاج. قاله في المرصع، وقد تقدم لفظ الدراج في باب الدال المهملة.

الضرغام: والضرغامة الأسد، وما أحسن ما رواه أبو مظفر السمعاني، عن والده، قال: سمعت سعد بن نصر الواعظ الحيوان يقول: كنت خائفاً من الخليفة لحادث نزل واشتد الطلب لي فاختفيت، فرأيت في النوم ليلة من الليالي كأني في غرفة جالس على كرسي وأنا أكتب شيئاً، فجاء رجل فوقف بإزائي وقال: اكتب ما أملي عليك وأنشدني:

ادفع بصبرك حادثَ الأيامِ ... وترجَّ لطفَ الواحدِ العلّامِ
لا تيأسَن وإنْ تضايقَ كربها ... ورماكَ ريبُ صروفِها بسهامِ
فله تعالى بين ذلك فرجةٌ ... تخفى على الأبصارِ والأوهامِ
كم من نجي بين أطرافِ القنا ... وفريسةٍ سلمتْ من الضرغامِ[2]

---

(1) حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد، طبيب مؤرخ مترجم من أهل الحيرة، كان فصيحاً شاعراً، تولى رئاسة ديوان الترجمة أيام المأمون العباسي. مات سنة ٢٦٠ هـ.

(2) الضرغام: الأسد. والقنا: جمع القناة: الرمح.

قال: فلما أصبحت أتى الفرج، وزال الخوف والحرج. وفي سراج الملوك، للإمام العلامة الطرطوشي، عن عبد الله بن حمدون قال: كنت مع المتوكل، لما خرج إلى دمشق، فركب يوماً إلى رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان فنظر إلى قصورها، ثم خرج فرأى ديراً هناك، قديماً حسن البناء، بين مزارع وأنهار وأشجار، فدخله فبينما هو يطوف، إذ أبصر رقعة قد التصقت في صدره، فأمر بقلعها فإذا فيها هذه الأبيات:

أيا منزلاً بالديرِ أصبحَ خالياً ... تلاعبُ فيه شمألٌ ودبورُ[1]
كأنك لم يسكنْك بيضٌ أوانس ... ولم تتبخترْ في فنائك حورُ
وأبناء أملاك غواشم سادةٌ ... صغيرُهم عند الأنامِ كبيرُ
إذا لبسوا أدراعهم فعوابس ... وإنْ لبسوا تيجانَهم فبدورُ
على أنهم يومَ اللقاء دراغم ... وأيديهم يوم العطاءِ بحورُ
ليالي هشام بالرُّصافة قاطن ... وفيك ابنه يا دير وهو أميرُ
إذِ الدهر غضّ والخلافةُ لدنة ... وعيشُ بني مروان فيك نضيرُ

ويروى:

وروضك مرتاضٌ ونَورُك مزهرٌ ... وعيش بني مروان فيك نضيرُ
بلى فسقاك الله صوبَ غمامة ... عليك بها بعدَ الرواحِ بكورُ
تذكرت قومي خالياً فبكيتهم ... بشجو ومثلي بالبكاءِ جديرُ
فعزّيتُ نفسي وهي نفسٌ إذا جرى ... لها ذكر قومي أنة وزفيرُ
لعلّ زماناً بالبكاءِ يوماً عليهم ... لهم بالذي تهوى النفوسُ يدورُ
فيفرحُ محزونٌ وينعمَ بائسٌ ... ويطلقُ من ضيقِ الوثاقِ أسيرُ
رويدَك إن اليومَ يتبعه غدٌ ... وإنّ صروفَ الدائراتِ تدورُ

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير، وقال: أعوذ بالله من شر أقداره، ثم دعا صاحب الدير وسأله عن الرقعة ومن كتبها؟ فقال: لا علم لي بها ا هـ.

وذكر غيره، أنه بعد عوده إلى بغداد، لم يلبث إلا أياماً قلائل حتى قتله ابنه المنتصر. وقد تقدم ذكر قتله وكيفيته، في باب الهمزة. في الاوز في ذكر الخلفاء.

وذكر ابن خلكان، في تاريخه في ترجمة علي بن محمد بن أبي الحسن الشابشتي[2]، أن الواقعة كانت للرشيد، قال: ولم نعرف نسبة الشابشتي إلى أي شيء.

الضريس: الطيهوج، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الطاء المهملة.

---

(١) الشمأل: ريح الشمال. الدَّبور: ريح تقابل الصَّبا.

(٢) الشابشتي: في وفيات الأعيان ٣١٩/٣. هو أبو الحسين علي بن محمد الشابشتي الكاتب كان أديباً فاضلاً، تعلق بخدمة العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر. مات سنة ٣٩٠ هـ.

ومن أمثال العامة السائرة «أكسل من الضريس»، لأنه يلقي رجيعه على أولاده.

الضغبوس: ولد الثرملة، وقد تقدم في باب الثاء المثلثة أنها أنثى الثعالب.

الضفدع: بكسر الضاد وسكون الفاء والعين المهملة بينها دال مهملة، مثال الخنصر، واحد الضفادع، والأنثى ضفدعة وناس يقولون: ضفدع بفتح الدال، قال الخليل: ليس في الكلام فعلل إلا أربعة أحرف: درهم وهجرع وهو الطويل وهبلع وهو الأكول، وبلعم وهو اسم. وقال ابن الصلاح: الأشهر فيه، من حيث اللغة، كسر الدال وفتحها، أشهر في ألسنة العامة وأشباه العامة من الخاصة وقد أنكره بعض أئمة اللغة، وقال البطليوسي، في شرح أدب الكاتب: وحكي أيضاً ضُفدَع، بضم الضاد وفتح الدال، وهو نادر. وحكاه المطرزي أيضاً، قال في الكفاية: وذكر الضفادع يقال له العُلجوم، بضم العين والجيم وإسكان اللام والواو وآخره ميم. ويقال للضفدع أبو المسيح وأبو هبيرة وأبو معبد وأم هبيرة.

والضفادع أنواع كثيرة، وتكون من سفاد وغير سفاد، وتتولد من المياه القائمة الضعيفة الجري، ومن العفونات وعقب الأمطار الغزيرة، حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرة ما يرى منه على الأسطحة، عقب المطر والريح. وليس ذلك عن ذكر وأنثى وإنما الله تعالى يخلقه في تلك الساعة، من طباع تلك البرية، وهي من الحيوانات التي لا عظام لها. ومنها ما ينق وما لا ينق، والذي ينق منها يخرج صوته من قرب أذنه، وتوصف بحدة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماء، وإذا أرادت أن تنق أدخلت فكها الأسفل في الماء، ومتى دخل الماء في فيها لا تنق. وما أظرف قول الشاعر وقد عوتب على قلة كلامه:

قالتِ الضفدعُ قولا فسرتْه الحكماء
في فمي ماء وهل ينـ ـطق من في فيه ماءُ

قال عبد القاهر: والثعبان يستدل بصياح الضفدع عليه، فيأتي على صياحه فيأكله. وأنشد في ذلك يقول[1]:

يجعل في الأشداقِ ماءً ينصفه حتى ينقّ والنقيقُ يتلفه

قوله: ينصفه بضم الياء المثناة تحت، واسكان النون وكسر الصاد المهملة، وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى، وقوله: والنقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحت يتبعها الثعبان فيجيء فيأكلها وفي ذلك يقول[2] الشاعر:

ضفادعَ في ظلماءِ تجاوَبتْ فدلّ عليها صوتُها حيةَ البحرِ

وحية البحر الأفعى التي تكون في البر، وهي تعيش في البر والبحر كما تقدم. ويعرض لبعض الضفادع مثل ما يعرض لبعض الوحوش من رؤية النار حيرة إذا رأتها وتتعجب منها إلا أنها

(١) الحيوان للجاحظ ٣/٢٦٦ ونسبه إلى الذكواني. (٢) للأخطل وهو في الحيوان للجاحظ ٣/٢٦٨.

تنق، فإذا أبصرت النار سكتت، ولاتزال تدمن النظر إليها، وأول نشئها في الماء أن تظهر مثل حب الدخن أسود ثم تخرج منه، وهي كالدعموص، ثم بعد ذلك تنبت لها الأعضاء، فسبحان القادر على ما يشاء وما يريد سبحانه لا إله إلا هو. وفي الكامل لابن عدي، في ترجمة عبد الرحمن بن سعد بن عثمان بن سعد القرظ مؤذن النبي ﷺ، عن جابر أن النبي ﷺ قال[1] «من قتل ضفدعاً فعليه شاة محرماً كان أو حلالاً». قال سفيان: يقال إنه ليس شيء أكثر ذكراً لله منه. وفيه، في ترجمة حماد بن عبيد، أنه روى عن جابر الجعفي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ضفدعاً ألقت نفسها في النار من مخافة الله فأثابهن الله بها برد الماء وجعل نقيقهن التسبيح. وقال[2] «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع والصرد والنحلة» قال: ولا أعلم لحماد بن عبيد غير هذا الحديث. قال البخاري: لا يصح حديثه، وقال أبو حاتم: ليس بصحيح الحديث.

وفي كتاب الزاهر لأبي عبد الله القرطبي، أن داود عليه السلام قال: لأسبحن الله الليلة تسبيحاً ما سبحه به أحد من خلقه، فنادته ضفدعة من ساقية في داره: يا داود تفتخر على الله بتسبيحك، وإن لي لسبعين سنة ما جف لساني من ذكر الله تعالى، وإن لي لعشر ليال ما طعمت خضراً ولا شربت ماء اشتغالاً بكلمتين. فقال: ما هما؟ قالت: يا مسبحاً بكل لسان، ومذكوراً بكل مكان، فقال داود في نفسه: وما عسى أن أقول أبلغ من هذا؟.

وروى البيهقي في شعبه عن أنس بن مالك أنه قال: إن نبي الله داود ظن في نفسه أن أحداً لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه به، فأنزل الله عليه ملكاً وهو قاعد في محرابه، والبركة إلى جنبه، فقال: يا داود افهم ما تصوت به هذه الضفدعة فأنصت إليها، فإذا هي تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك. فقال له الملك: كيف ترى؟ فقال: والذي جعلني نبياً إني لم أمدحه بهذا. وفي كتاب فضل الذكر لجعفر بن محمد بن الحسن الغرياني[3] الحافظ العلامة، عن عكرمة، أنه قال: صوت الضفدع تسبيح. وفيه أيضاً عن الأعمش عن أبي صالح، أنه سمع صوت صرير باب، فقال: هذا منه تسبيح.

فائدة: قال الرئيس ابن سينا: إذا كثرت الضفادع في سنة، وزادت عن العادة، يقع الوباء عقبها. وقال القزويني: الضفادع تبيض في الرمل مثل السلحفاة، وهي نوعان: جبلية ومائية. ونقل الزمخشري في الفائق، عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، قال: سأل رجل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى فيما يرى النائم رجلاً كالبلور، يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة، قد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس له، فإذا ذكر الله خنس. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ذكر هذا أيضاً في لفظ الكركي، من كلام السهيلي.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل ١٦٢٣/٤.
(٢) رواه ابن حنبل ٣ ـ ٤٥٣. وابن ماجه: صيد ١٠.
(٣) الصحيح هو الفريابي أبو بكر القاضي جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض كذا في سير أعلام النبلاء ٩٦/١٤، وهو من كبار المحدثين تركي الأصل، حدث بمصر وبغداد.

الحكم: يحرم أكلها للنهي عن قتلها، وروى البيهقي في سننه، عن سهل بن سعد الساعدي، أن النبي ﷺ «نهى عن قتل خمسة: النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد»[١]. وفي مسند أبي داود الطيالسي، وسنن أبي داود والنسائي والحاكم، عن عبد الله بن عثمان التيمي عن النبي ﷺ، أن طبيباً سأله عن ضفدع يجعلها في دواء، «فنهاه ﷺ عن قتلها»[٢]. فدل على الضفدع يحرم أكلها وأنها غير داخلة فيما أبيح من دواب الماء. وقال بعض الفقهاء: إنما حرم الضفدع، لأنه كان جار الله في الماء الذي كان عليه العرش قبل خلق السموات والأرض، قال[٣] تعالى: ﴿وكان عرشه على الماءِ﴾.

روى ابن عدي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لا تقتلوا الضفادع، فإن نقيقها تسبيح». قال السلمي: سألت الدارقطني عنه، فقال: إنه ضعيف، قلت: الصواب أنه موقوف على عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قاله البيهقي، وقد تقدم في الخطاف. قال الزمخشري: إنها تقول في نقيقها سبحان الملك القدوس. وعن أنس: لا تقتلوا الضفادع، فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام، فحملت في أفواهها الماء وكانت ترشه على النار. وفي شفاء الصدور لابن سبع، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقهن تسبيح»[٤].

ومن أحكامه: أنه ينجس بالموت كغيره من الحيوان الذي لا يؤكل. ونقل في الكفاية، عن الماوردي حكاية وجه أنه لا ينجس بالموت. وغلطه شيخنا، في النقل عنه، وقال: لا ذكر لهذا الوجه في الحاوي، ولا في غيره من كتبه اهـ. وإذا ماتت في ماء قليل، قال النووي: إن قلنا لا تؤكل نجسته بلا خلاف. وحكى الماوردي في نجاسته قولين: أحدهما ينجس كما ينجس بسائر النجاسات، والثاني يعفى عنه كدم البراغيث، والأصح الأول. ولما قدم وفد اليمامة على أبي بكر رضي الله تعالى عنه، بعد قتل مسيلمة، قال لهم: ما كان صاحبكم يقول؟ فاستعفوه من ذلك. فقال: لتقولن، قالوا: كان يقول يا ضفدع ابنة ضفدع، كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين.

الأمثال: قالوا: «أنق من ضفدع». قال[٥] الأخطل:

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبتْ ... فدل عليها صوتُها حيةَ البحر

وقد تقدم ذكره وهو كقولهم[٦]: «على أهلها دلّت براقش». وهي كلبة سمعت وقع حوافر الدواب فنبحت فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم قال حمزة بن بيض[٧]:

لم يكن عن جنايةٍ لحقتني ... لا يساري ولا يميني جنتني

---

(١) رواه أبو داود: أدب ١٦٤. وابن ماجه: صيد ١٠. (٢) رواه أبو داود: طب ١١.

(٣) سورة هود: آية ٧. ولا يُفهم مما تقدم بأن الله يحل في مكان فهو منزه عن ذلك لأنه خالق المكان.

(٤) رواه ابن عدي ٦/٢٣٨٤. (٥) ديوانه: ١١٣. (٦) جمهرة الأمثال: ٢/٤٦.

(٧) حمزة بن بيض بن نمر الحنفي من بني بكر بن وائل، شاعر مجيد ماجن كوفي، مات سنة ١١٦ هـ.

بـل جـنـاهـا أخٌ عـلى كـريـمٍ وعـلى أهـلِهـا بـراقشُ تجـني

الخواص: قال ابن جميع في كتابه الارشاد: لحوم الضفادع تُغثي النفس وتورث إسهالاً دموياً، فيتغير منه لون البدن، ويرم ويختلط العقل. وقال صاحب عين الخواص: شحم الضفادع الآجامية، إذا وضع على الأسنان قلعها من غير وجع، وعظم البري، إذا وضع على رأس القدر منعها من الغليان، وإذا يبس ضفدع في الظل ودق وطبخ مع خطمي، وطلي به بعد طلي النورة والزرنيخ لم ينبت عليه الشعر بعد ذلك. والضفدع إذا طرح وهو حي في الشراب الصرف مات، فإذا أخرج وألقي في ماء صاف عاش.

ونقل عن محمد بن زكريا الرازي أن رجل الضفدع، إذا علقت على من به النقرس سكن وجعه. انتهى. وإذا أخذت المرأة ضفدع الماء، فتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات، ثم ردته إلى الماء فإنها لا تحبل وإذا مسحت القدر من ظاهرها بشحمه، وأوقد تحتها ما عسى أن يوقد، لم تغل أبداً. وإذا رضخت الضفدع، وجعلت على لسعة الهوام أبرأتها من وقتها. ومن خواصه العجيبة، أنه إذا شق نصفين من رأسه إلى أسفله، وامرأة تنظر إليه، غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال. وإذا علق لسانه على امرأة نائمة، أخبرت بكل ما عملت في اليقظة. وإذا جعل لسانه في خبز، وأطعم لمن اتهم بالسرقة، فإنه يقر بها. ودمه يطلى به الموضع الذي نتف شعره لم ينبت أبداً. ومن لطخ به وجهه أحبه الناس. وإذا وضع على اللثة أسقط السن، بلا تعب.

قال القزويني: ولقد كنت في الموصل، ولنا صاحب في بستان، بنى مجلساً وبركة، فتولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها وعجزوا عن إبطاله، حتى جاء رجل فقال: اجعلوا طشتاً على وجه الماء مقلوباً ففعلوا، فلم يسمع لها نقيق بعد ذلك. وقال محمد بن زكريا الرازي: إذا وضع سراج في طاس، وجعل فوق الماء أو في قناة فيها أصوات الضفادع سكتت، ولا يسمع لها صوت البتة.

التعبير: الضفدع في المنام رجل عابد مجتهد في طاعة الله، لأنه صب الماء على نار نمرود. والضفادع الكثيرة عذاب، لأنها من آيات موسى عليه الصلاة والسلام. قال[1] تعالى: ﴿**فأرسلْنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقملَ والضفادع**﴾ الآية. وقالت النصارى: من رأى أنه مع الضفادع حسنت عشرته مع أقربائه وجيرانه. ومن أكل لحم ضفدع في منامه، نال مشقة، وقال ارطاميدورس: الضفادع في المنام تدل على الخداعين والسحرة. وقال جاماسب: من كلم ضفدعاً في المنام نال ملكاً. ومن رأى الضفادع خرجت من مدينة خرج منها العذاب والله أعلم.

الضوع: بضاد معجمة مضمومة وواو مخففة مفتوحة وعين مهملة في آخره. قال النووي: الأشهر أنه من جنس الهوام، وقال الجوهري: إنه طائر من طير الليل من جنس الهام، وقال المفضل: هو ذكر البوم وجمعه أضواع وضيعان. وأصح القولين تحريم أكله، كما صرح به في شرح المهذب، قال الرافعي: هذا يقتضي أن الضوع ذكر البوم، وذكر ما تقدم، ثم قال: فعلى هذا إن كان في الضوع قول لزم اجراؤه في البوم لأن الذكر والأنثى من الجنس الواحد لا يفترقان قال

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٣٣.

النووي: قلت الأشهر أن الضوع من جنس الهوام، فلا يلزم اشتراكهما في الحكم.

وحكمه: تحريم الأكل على الأصح كما صرح به في شرح المهذب.

الضيب: شيء من دواب البحر، على هيئة الكلب وخلقته، قاله ابن سيده.

الضئيلة: الحية الدقيقة. قاله الجوهري، وقد تقدم لفظ الحية في باب الحاء المهملة.

الضَّيون: بفتح الضاد والواو وإسكان الياء المثناة تحت بينهما وبالنون في آخره، الهر الذكر، والجمع ضياون. قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

بـريدٌ كـأنَّ الشمسَ في حجراتِـه ... نجـومُ الـثريـا أو عيونُ الضيـاونِ

وقالت العرب: «أدَبُّ من الضيون»[1]. وهو من الدبيب قال الشاعر:

يـدبُّ بـالـليـلِ لجـاراتـه ... كـضـيـونٍ دبّ إلى قَـرْنَـبِ

القرنب: الفأر. وقالوا: «أصيد من ضيون[2]»، والله أعلم. و«أزنى وأنزى من ضيون[3]».

خاتمة: قال الصقلي: ليس في الأسماء شيء فيه ياء ساكنة بعدها واو مفتوحة إلا ثلاثة أسماء: حيوة وضيون وكيوان، وهو زحل. وقد ذكر أهل الهيئة، أن دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق، تتم في تسع وعشرين سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وسماه المنجمون النحس الأكبر، لأنه في النحوسة فوق المريخ، وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم وزعموا أن النظر إليه يفيد غماً وحزناً، كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحاً وسروراً والله أعلم.

باب الطاء المهملة

طامر بن طامر: البرغوث والخسيس من الناس، ويقال للخامل الذي لا يعرف: هو طامر ابن طامر.

الطاوس: طائر معروف وتصغيره طويس، بعد حذف الزوائد، وكنيته أبو الحسن وأبـو الوشي، وهو في الطير كالفرس في الدواب، عزاً وحسناً، وفي طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق، لاسيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه. والأنثى تبيض بعد أن يمضي لها من العمر ثلاث سنين، وفي ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الأنثى مرة واحدة في السنة اثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر، ولا تبيض متتابعاً ويسفد في أيام الربيع، ويلقي ريشه في الخريف كما يلقي الشجر ورقه، فإذا بدا طلوع الأوراق في الشجر طلع ريشه، وهو كثير العبث بالأنثى، إذا حضنت، وربما كسر البيض ولهذه العلة يحضن بيضه تحت الدجاج، ولا تقوى الدجاجة على حضن أكثر من بيضتين منه، وينبغي أن تتعاهد الـدجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل والشرب، مخافة أن تقوم فيفسده الهواء. والفرخ الذي يخرج من

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/ ٣٦٩. والقُرَنب: اليربوع أو الفارة.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ٤٨٥.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٥٦.

حضن الدجاجة، يكون قليل الحسن، ناقص الخلق وناقص الجثة، ومدة حضنه ثلاثون يوماً، وفرخه يخرج من البيضة كالفروج كاسياً كاسباً، وقد أحسن الشاعر في وصفه حيث قال:

سبحانَ مَن مِن خَلقِه الطاوسْ ... طيرٌ على أشكالِه رئيسْ
كأنه في نقشِه عروس ... في الريشِ منه رُكِّبت فلوس
تُشرقُ في داراتِه شُموس ... في الرأسِ منه شجرٌ مغروس
كأنه بنفسجٌ يميس ... أو هو زهرٌ حرمٍ يبيس

وأعجب الأمور أنه مع حسنه يتشاءم به، وكأن هذا، والله أعلم، أنه لما كان سبباً لدخول إبليس الجنة، وخروج آدم منها، وسبباً لخلو تلك الدار من آدم مدة دوام الدنيا، كرهت إقامته في الدور بسبب ذلك.

حكي أن آدم لما غرس الكرمة، جاء إبليس فذبح عليها طاوساً، فشربت دمه فلما طلعت أوراقها، ذبح عليها قرداً فشربت دمه، فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسداً فشربت دمه، فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيراً فشربت دمه، فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة، وذلك أنه أول ما يشربها وتدب في أعضائه، يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطاوس فإذا جاءت مبادي السكر لعب وصفق ورقص، كما يفعل القرد فإذا قوي سكره جاءت الصفة الأسدية، فيعبث ويعربد ويهذي بما لا فائدة فيه ثم يتقعص كما يتقعص الخنزير، ويطلب النوم وتنحل عراقوته.

فائدة: طاوس بن كيسان فقيه اليمن كان اسمه ذكوان، فلقب بطاوس لأنه كان طاوس القراء والعلماء. وقيل: اسمه طاوس وكنيته أبو عبد الرحمن، كان رأسا في العلم والعمل، من سادات التابعين أدرك خمسين صحابياً من أصحاب النبي ﷺ، وسمع ابن عباس وأبا هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير، وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وعمرو بن شعيب، ومحمد بن شهاب الزهري وآخرون.

قال ابن الصلاح، في رحلته: روينا عن الزهري، أنه قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قال: قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. فقال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا الناس. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء. قال: من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال: كما قال في الأولين. ثم قال: فمن يسود أهل الشأم؟ قلت: مكحول الدمشقي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي عبد نوبي، أعتقته امرأة من هذيل. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك

بن مزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن، قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: ويلك! فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب، قال: ويلك يا زهري، فرّجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب، حتى يخطب لها على المنابر، وإن العرب تحتها! قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو أمر الله ودينه، فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، كتب إليه طاوس: إن أردت أن يكون عملك خيراً كله، فاستعمل أهل الخير. قال عمر: كفى بها موعظة. وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن طاوس، أنه قال: بينا أنا بمكة استدعاني الحجاج، فأتيته فأجلسني إلى جانبه وأتكأني على وسادة، فبينما نحن نتحدث، إذ سمع صوتاً عالياً بالتلبية، فقال: عليّ بالرجل، فأحضر فقال له: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين. فقال: إنما سألتك عن البلد والقوم! قال: من أهل اليمن، فقال: كيف تركت محمد بن يوسف يعني أخاه، وكان والياً على اليمن، فقال: تركته جسيماً وسيماً لباساً حريراً، ركاباً خراجاً ولاجاً! فقال: إنما سألتك عن سيرته، فقال: تركته غشوماً ظلوماً، مطيعاً للمخلوق، عاصياً للخالق! قال: أتقول فيه هذا وقد علمت مكانه مني؟ فقال الرجل: أتراه بمكانه منك أعز من مكاني من ربي، وأنا مصدق نبيه ﷺ، ووافد بيته؟! فسكت الحجاج، وذهب الرجل من غير إذن. قال طاوس: فتبعته فقلت: الصحبة، فقال: لا حباً ولا كرامة، ألست صاحب الوسادة؟! الآن وقد رأيت الناس يستفتونك في دين الله، قلت: إنه أمير مسلط، أرسل إليّ فأتيته كما فعلت أنت. قال: فما ذاك الاتكاء على الوسادة في رخاء بال؟! هلا كان لك من واجب نصحه، وقضاء حق رعيته بوعظه، والحذر من بوائق عسفه، وتخلي نفسك من ساعة الأنس به ما يكدر عليك تلك الطمأنينة؟! قلت: أستغفر الله وأتوب إليه، ثم أسألك الصحبة؟! فقال: غفر الله لك إن لي مصحوباً شديد الغيرة عليّ، فلو أنست بغيره رفضني. ثم تركني وذهب.

وفي تاريخ[1] ابن خلكان، عن عبد الله الشامي، قال: أتيت طاوساً فخرج إلي شيخ كبير، فقلت: أنت طاوس؟ فقال: أنا ابنه، فقلت: إن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف! قال: إن العالم لا يخرف، فدخلت عليه، فقال: أتحب أن أجمع لك التوراة والإنجيل والزبور والفرقان في مجلسي هذا؟ قلت: نعم. فقال: خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك.

وقالت امرأة: ما بقي أحد إلا فتنته إلا طاوساً فإني تعرضت له، فقال لي: إذا كان وقت كذا فتعالي! قالت: فجئت ذلك الوقت، فذهب بي إلى المسجد الحرام، وقال: اضطجعي فقلت: ههنا؟! فقال: الذي يرانا ههنا يرانا في غيره! فتابت المرأة. وقال: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.

وكان طاوس يقول: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه.

---

(١) ترجمة طاووس وأخباره في وفيات الأعيان ٢ / ٥٠٩.

وقال: لقي عيسى ابن مريم عليه السلام إبليس فقال: أما علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدُر لك؟ قال: نعم. قال إبليس: فارق إلى ذروة هذا الجبل وترد منها، فانظر أتعيش أم لا؟ فقال له عيسى عليه السلام: أما علمتَ أن الله قال: لا يختبرني عبدي، فإني أفعل ما شئت، إن العبد لا يبتلي ربه، ولكن الله يبتلي عبده. قال طاوس: فخصمه.

وكان يقول: صاحب العقلاء تنسب إليهم، وإن لم تكن منهم. وروى أبو داود الطيالسي، عن زمعة ابن صالح عن ابن طاوس عن أبيه أنه قال: من لم يدخل في وصية، لم تنله بلية، ومن لم يتول القضاء بين الناس لم ينله جهد البلاء.

وروى أحمد عنه، في كتاب الزهد، أنه قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعة أيام، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام. قال: وكان من دعاء طاوس: اللهم ارزقني الإيمان والعمل، ومتعني بالمال والولد.

روى عنه الحافظ أبو نعيم وغيره، أنه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم: إما أن تمرضوه، وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء؟ فقالوا: من أمرضه وليس لك من ميراثه شيء فمرضه حتى مات. ولم يأخذ من ميراثه شيئاً فأتى إليه في النوم، فقال له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال في نومه: أفيها بركة؟ فقال: لا. فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن تكتسي منها وتعيش فأبى. فلما أمسى أتى له في النوم، فقال له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيها بركة؟ قال: لا. فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثل مقالتها الأولى، فأبى أن يأخذها. فأتى له في الليلة الثالثة، فقال له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً، قال: أفيه بركة؟ قال: نعم. فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين، فقال له: بكم هما؟ فقال: بدينار فأخذهما منه بالدينار، وانطلق بهما إلى منزله، فشق بطونهما فوجد فيهما درتين، لم يرِ الناس مثلهما. قال: فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد إلا عنده، فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهباً. فلما رآها الملك، قال: ما تصلح هذه إلا بأخت، أطلبوا أختها وإن أضعفتم ثمنها فجاؤوا إليه فقالوا له: أعندك أختها، ونحن نعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا به الأولى.

توفي طاوس وهو ابن بضع وسبعين سنة حاجاً بمكة، قبل يوم التروية بيوم، وصلى عليه هشام بن عبد الملك، وهو أمير المؤمنين، وذلك في سنة ست ومائة. وحج أربعين حجة وكان مجاب الدعوة.

الحكم: يحرم أكل لحم الطاوس لخبث لحمه، وقيل: يحل لأنه لا يأكل المستقذرات واللحوم، وعلى الوجهين يصح بيعه إما لحل أكله، وإما للتفرج على لونه. وقد تقدم في الصيد، أن أبا حنيفة قال: لا يقطع سارق الطيور لأن أصلها على الإباحة، وخالفه الشافعي ومالك وأحمد وغيرهم في ذلك.

الأمثال: قالوا: «أزهى من طاوس»[1] و«أحسن من طاوس»[2]. قال الجوهري: وقولهم: «أشأم من طويس»[3]، هو مخنث كان بالمدينة، قال: يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حياً بين ظهرانيكم، فإذا مت فقد أمنتم، لأني ولدت في الليلة التي مات فيها النبي ﷺ، وفطمت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي.

وذكر ابن خلكان أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة، أن أحص المخنثين قبلك فوقعت على الحاء نقطة فأمر بالمخنثين فخصوا، وخصي طويس من جملتهم فلما خصوهم، أظهروا الفرح بذلك حتى قال أحدهم: ما كان أغنانا عن سلاح لا نقاتل به. وقال آخر، وهو طويس: أف لكم ما سلبتموني إلا ميزاب بول انتهى. وكان طويس اسمه طاوس، فلما تخنث جعلوه طويساً ويسمى بعبد النعيم وقال في نفسه:

إنـني عـبـد الـنـعـيـم أنـا طـاوس الجـحـيـمْ
وأنـا أشـأم مـن يـمـشي عـلى ظـهـر الحـطـيـمْ
أنـا حـاء ثـم لام ثـم قـاف حـشـو مـيـم

عنى بقوله حشو ميم الياء، لأنك إذا قلت: ميم وقعت بين الميمين ياء، يريد أنه حلقي. وأراد بالحطيم الأرض، فكأنه قال: أنا أشأم الناس. توفي في طويس في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة.

الخواص: لحم الطاوس عسر الهضم رديء المزاج، وأجوده الحديث ينفع المعدة الحارة، وسلقه قبل طبخه بالخل، يدفع ضرره، وهو يولد كيموساً غليظاً يوافق الأمزجة الحارة. وقد كرهت الحكماء لحوم الطواويس وقالوا: إنها أغلظ لحوم جميع الطيور وأعسرها انهضاماً، ويجب أن يذبح ويبيت مثقلاً ويطبخ وينضج، ويمنع منه أصحاب الترفه والرفاهية، فإنه من أغذية أصحاب الرياضة. قال ابن زهر، في خواصه: إن الطاوس إذا رأى طعاماً مسموماً، أو شم رائحته فرح ونشر جناحيه ورقص، وبان منه السرور، ومرارته إذا سقي منها المبطون بالكنجبين والماء الحار أبرأه. ونقل عن هرمس، أن مرارته إذا شربت بخل نفعت من لدغ الهوام، لكن قال صاحب عين الخواص: قالت الحكماء، وأطهورس: إن مرارة الطاوس، إن سقي منها إنسان جن، قال: وقد جربته. وقال هرمس: إن خلط دم الطاوس بالأنزروت والملح وطلي به القروح الرديئة الرطبة، التي يخاف منها الأكلة، أبرأها. وزبله، إن طلي به الثآليل قلعها، وعظامه، إذا أحرقت، وسحقت وطلي بها الكلف أبرأته بإذن الله تعالى.

التعبير: الطاوس تدل رؤيته على التيه والعجب بالحسن والجمال لمن ملكه، وربما دلت رؤيته على النميمة والغرور والكبر والانقياد إلى الأعداء، وزوال النعم، والخروج من النعيم إلى الشقاء، ومن السعة إلى الضيق، وربما تدل رؤيته على الحلي والحلل، والتاج والأزواج الحسان، والأولاد الملاح. وقال المقدسي: الطاوس في المنام، امرأة عجمية ذات مال وجمال، لكنها مشؤومة

---

(١) المستقصى: ١/١٥١. (٢) المستقصى: ١/٦٦. (٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٤٠.

الناصية. والذكر من الطواويس ملك أعجمي، فمن رأى أنه يواخي الطواويس، فإنه يواخي ملوك العجم، وينال منهم جارية نبطية. وقال ارطاميدورس: الطواويس في الرؤيا تدل على أقوام صباح الوجوه، ضحاك السن. وقيل: الطاوس امرأة أعجمية غير مسلمة والله أعلم.

الطائر: واحد الطيور والأنثى طائرة، وهي قليلة، وجمع الطير أطيار وطيور. والطيران حركة ذي الجناحين في الهواء بجناحيه قال[1] الله تعالى: ﴿**وما من دابةٍ في الأرض، ولا طائرٌ يطيرُ بجناحيه، إلا أُمَمٌ أمثالُكم**﴾ أي في الخلق والرزق، والحياة والموت، والحشر والمحاسبة، والاقتصاص من بعضها لبعض كما تقدم. فإذا كان يفعل هذا بالبهائم، فنحن أحرى إذ نحن مكلفون عقلاً. وقيل: أمم أمثالكم في التوحيد والمعروفة، قاله عطاء. وقوله بجناحيه تأكيد وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال طائر للنحس والسعد. وقال الزمخشري: الغرض من ذكر ذلك، الدلالة على عظيم قدرة الله ولطف علمه، وسعة سلطانه وتدبيره، تلك الخلائق المتفاوتة والأجناس المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، ومهيمن على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن. روى أحمد، باسناد صحيح عن أنس أن النبي ﷺ قال: «طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة»[2]. قال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه الطير لناعمة قال ﷺ: «آكلها أنعم منها قالها ثلاثاً وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»[3]. ورواه الترمذي بنحو هذا اللفظ، وقال: إنه حسن. وروى البزار عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً». وفي أفراد مسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير»[4]. قال النووي: قيل مثلها في وقتها وضعفها، كالحديث الآخر «أهل اليمن أرق وأضعف أفئدة». وقيل في الخوف والهيبة، لأن الطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، كما قال تعالى: ﴿**إنما يخشى اللهَ من عبادِهِ العلماءُ**﴾[5] وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف، كما جاء عن جماعات من السلف من شدة خوفهم. وقيل: المراد متوكلون، وقيل: الطائر ما تيامنت به أو تشاءمت به، وأصله في ذي الجناح. وقالوا: طائر الله لا طائرك، فرفعوه على إرادة: هذا طائر الله، وفيه معنى من الدعاء. وطائر الانسان عمله، الذي قلده، وقيل: رزقه، والطائر الحظ من الخير والشر، وقوله تعالى: ﴿**وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائرَه في عُنقِه**﴾[6] قيل: حظه، وقال المفسرون: ما عمل من خير أو شر ألزمناه عنقه، فلكل امرىء حظ من الخير والشر، قد قضاه الله تعالى، فهو ملازم عنقه. وإنما قيل: للحظ من الخير والشر طائر، لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق الفأل. وفي سنن أبي داود وغيرها عن أبي رزين، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا على جناح طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت»[7] قال: وأحسبه قال: «ولا تعبرها إلا على ذي ود أو ذي رأي».

---

(1) سورة الروم: آية ٣٨.
(2) رواه ابن حنبل: ٣ - ٢٢١.
(3) رواه الترمذي: جنة ١٠.
(4) رواه مسلم: جنة ٢٧، وابن حنبل ٢، ٣٣١.
(5) سورة فاطر: آية ٢٨.
(6) سورة الإسراء: آية ١٣.
(7) رواه أبو دارد. أدب ٨٨، والترمذي: رؤيا ٦، وابن ماجه: رؤيا ١١.

وذكر ابن خلكان أن موسى بن نصير، أمير بلاد المغرب، وفد على الوليد بن عبد الملك، بعد أن فتح الغرب، إلى البحر المحيط إلى طليطلة، التي تحت بنات نعش، فأخبره بالفتح، وقدم معه بمائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، التي وجدت في طليطلة، وكانت مصوغة من الذهب والفضة، وعليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد، وكان قد حملها على بغل قوي، فما سار إلا قليلاً حتى تفسخت قوائمه لعظمها، وقدم معه أيضاً بتيجان ملوك اليونان، مكللة بالجواهر، وثلاثين ألف رأس من الرقيق.

قال: وكان اليونان، وهم أهل الحكمة، يسكنون بلاد المشرق قبل الاسكندرية، فلما ظهرت الفرس وزاحمت اليونان على ما بأيديهم من الممالك، انتقلوا إلى جزيرة الأندلس، لكونها طرفاً من آخر العمارة، ولم يكن لها ذكر، ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة، ولا كانت عامرة كلها، وكان أول من عمرها واختط فيها اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام، فسميت باسمه، ولما عمرت الأرض بعد الطوفان، كانت صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق، وذنبه المغرب، وجناحاه الشمال والجنوب، وبطنه ما بينهما، فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر. وكان اليونان لا يرون فناء الأمم بالحروب، لما فيه من الأضرار والاشتغال عن العلوم، التي أمرها عندهم أهم الأمور، فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس إلى الأندلس، فعمروها وشقوا أنهارها، وبنوا المعاقل، وغرسوا الجنان والكروم، وملئوها حرثاً ونسلاً، فعظمت وطابت، حتى قال قائلهم، لما رأى بهجتها: إن الطائر الذي صورت العمارة على شكله، وكان المغرب ذنبه، كان طاوساً، لأن معظم جماله في ذنبه. ولما كملت اليونان عمارة جزيرة الأندلس، جعلوا دار الحكمة والملك فيها مدينة طليطلة، لأنها وسط البلاد.

قيل: إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء: على أدمغة اليونان، وأيدي أهل الصين، وألسنة العرب.

وفي كفاية المعتقد لشيخنا الإمام العارف جمال الدين اليافعي رحمه الله، أن الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى، دخل في أيام بدايته مدرسة بديار مصر، فوجد شيخاً بقالاً يتوضأ من بركة ماء فيها بغير ترتيب، فقال له: يا شيخ، أنت في هذا السن، وفي مثل هذا البلد، ولا تحسن الوضوء! فقال له: يا عمر ما يفتح عليك بمصر! فجاء إليه وجلس بين يديه وقال: يا سيدي ففي أي مكان يفتح علي؟ قال: بمكة، فقال له: يا سيدي وأين مكة؟ فقال له: هذه وأشار بيده نحوها فكشف له عنها، وأمره الشيخ بالذهاب إليها في ذلك الوقت فوصل إليها في الحال، وأقام بها اثنتي عشرة سنة ففتح عليه، ونظم فيها ديوانه المشهور، ثم بعد مدة سمع الشيخ المذكور يقول: تعال يا عمر احضر موتي! فجاء إليه، فقال: خذ هذا الدينار فجهزني به، ثم احملني وضعني في هذا المكان، وأشار بيده إلى مكان في القرافة، وهو الموضع الذي دفن فيه ابن الفارض[1]، ثم انتظر ما يكون من أمري. قال: فعاينته ولم أزل معانياً له، حتى فرغت من

---

(١) ابن الفارض: عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة متصوف شهير وشاعر. مات سنة ٦٣٢ هـ.

تجهيزه، ثم حملته ووضعته فيه ووقفت، فإذا أنا برجل قد نزل من الهواء، فصلينا عليه، ثم وقفنا ننتظر ما يكون من أمره، وإذا الجو قد امتلأ بطيور خضر، فجاء طائر كبير فابتلعه ثم طار، فتعجبت منه! فقال لي ذلك الرجل: لا تعجب من هذا، فإن أرواح الشهداء، في حواصل طيور خضر، ترعى في الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش! قال شيخنا: أولئك شهداء السيوف، وأما شهداء الصفوة، فأجسادهم أرواح، وقد تكلمت على مقام المحبة، في آخر الجزء الثامن من كتابي الجوهر الفريد في نحو خمس كراكيس، فلينظر هناك وبالله التوفيق.

فروع منثورة: منها لو ملك الإنسان طائراً أو صيداً، وأراد إرساله من يده، فوجهان: أحدهما أنه يجوز ويزول ملكه عنه كما لو أعتق عبداً. واختاره ابن أبي هريرة. والثاني لا يجوز ذلك، واختاره الشيخ أبو اسحاق والقفال والقاضي أبو الطيب، وهو الأصح في الروضة والشرح، ولو فعله عصى، ولم يخرج عن ملكه بالإرسال، لأنه يشبه سوائب الجاهلية، كما تقدم في باب الصاد المهملة.

وقياساً على ما لو سيب دابة، قال القفال: والعوام يسمونه عتقاً، ويحتسبونه وهو حرام، وينبغي الاحتراز عن ذلك، لأن الطائر المخلى يختلط بالطيور المباحة، فيأخذه الآخذ ظناً أنه قد ملكه، وهو لا يملكه، فيكون سبباً لوقوع أخيه المؤمن في المحظورات.

واختار صاحب الإيضاح وجهاً ثالثاً، وهو إن قصد بعتقه التقرب إلى الله تعالى، زال ملكه عنه، وإلا فلا، وإن قلنا بالوجه الأول، فإنه يعود بالإرسال إلى ما كان عليه في الأصل من حكم الإباحة، وإن قلنا بالوجه الثاني، وهو الأصح كما تقدم، لم يجز لمن عرف أنه ملك الغير، ويعرف كونه ملكاً للغير بكونه مخطوماً، أو مقصوص الجناح، أو مقرطاً، أو فيه جلاجل، أو موسوماً، أو مخضوباً، أو غير ذلك مما يدل على الملك، فإن شك في كونه مملوكاً، فالأصل الحل، فإن قال المرسل عند إرساله: أبحته لمن يأخذه جاز اصطياده.

وإن قلنا بالوجه الثالث، فهل يحل اصطياده؟ فوجهان: أحدهما نعم، لأنه قد عاد إلى حكم الإباحة، ولأنا لو منعنا اصطياده، لأشبه سوائب الجاهلية، وهذا هو الأصح في الروضة، والثاني المنع، كالعبد إذا عتق فإنه لا يسترق، وينبغي أن يختص هذا الوجه، بما إذا أعتقه مسلم، فإن أعتقه كافر جاز اصطياده قطعاً، لأن عتقه لا يصح ويسترق عتيقه.

ومنها اعلم أن الإمام الرافعي، رحمه الله تعالى، قد أطلق القول بمنع الإرسال، ولا بد من استثناء صور: الأولى، أنه إذا كان الطائر معتاد العدو، فإنه يجوز إرساله في المسابقة. الثانية: إذا كان للطائر فرخ يخشى عليه الموت بحبس الطائر عنه، فينبغي هنا القطع بوجوب الإرسال، لأن الفرخ حيوان محترم، فيجب السعي في صيانة روحه، وقد صرح الأصحاب بوجوب تأخير الحامل وإمهالها، إذا وجب عليها الرجم أو القصاص، لأجل إرضاعها الولد.

وجزم الشيخ أبو محمد الجويني بتحريم ذبح الحيوان المأكول إذا كان حاملاً بغير مأكول، وعلله بأن في ذبحه قتل ما لا يحل ذبحه، وهو الحمل وقد أطلق ﷺ ظبية شكت أن لها خشفين، أي ولدين بالغابة، ففي إطلاقه ﷺ إياها دليل على الوجوب، لأن ما كان ممنوعاً منه ولم ينسخ ثم

جوز في بعض الأحوال، فجوازه دليل وجوبه كالنظر إلى العورة في الختان. ولما كان الإرسال ممنوعاً منه، لكونه سائبة ثم جوز في بعض الأحوال، كان دليل الوجوب. الثالثة، إذا كان معه طائر أو حيوان، وليس معه ما يذبحه به، ولا ما يطعمه، فإرساله واجب ليسعى في طلب رزقه، الرابعة، إذا أراد الإحرام فإنه يجب عليه الإرسال.

التعبير: الطائر العمل قال الله تعالى: ﴿وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَه في عنقِه﴾(١) وربما دل الطائر المجهول على الإنذار والموعظة، لقوله تعالى: ﴿قالوا طائرُكم معكم أئن ذكرتُم بل أنتم قومٌ مسرفون﴾(٢) فمن حسن طائره في المنام حسن عمله، وأتاه رسول بخير. ومن رأى معه طائراً متوحشاً دميم الخلق، ربما كان عمله سيئاً، أو أتاه رسول بشر. وأما عش الطائر، فإنه يدل على الزوجة، والحد الذي يقف العارف عنده، ورؤية العش للمرأة الحامل ولادة، والعش ما يكون في شجرة، فإذا كان في حائط أو كهف أو جبل، فإنه وكر، والوكر يدل على دور الزناة أو مساجد المتعبدين والمنقطعين. وأما بيض الطائر، فإنه دال على الأولاد من الأزواج والإماء، وربما دل على القبور، وربما دل البيض، على بيض الأسنة أو الخود، وربما دل على الاجتماع بالأهل والأقارب والأحباب، وربما دل على جمع الدراهم والدنانير وادخارها، والريش مال في التأويل، وربما دل على شراء قماش وربما دل على الجاه، لأنه يقال فلان طائر بجناح غيره، وربما دل على النبت من الزرع. والمخلب نصرة المخاصم، كما أنه للطائر عدة وجنة، والمناقر عز وجاه عريض لمن ملكه في المنام، وأما الزبل، فزبل الطائر المأكول مال حلال، وما لا يؤكل مال حرام. والزرق كسوة لاشتباهه في الثوب، وربما دل زرق الطائر الكاسر كالنسر والعقاب ونحوهما، على الخلع من الملوك والأكابر، فهذا قول جلي فيما ذكر من الطيور، وفيما سيأتي، وعلى هذا فقس بفهمك وحذقك تُصبْ إن شاء الله تعالى والله الموفق.

فائدة: روى ابن بشكوال، بسنده إلى أحمد بن محمد العطار، عن أبيه، قال: كان لنا جار فأسر وأقام في الأسر عشرين سنة، وأيس أن يرى أهله، قال: فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلفت من صبياني وأبكي، إذ أنا بطائر سقط فوق حائط السجن يدعو بهذا الدعاء، قال: فتعلمته من الطائر ثم دعوت الله به ثلاث ليال متتابعات، ثم نمت فما استيقظت إلا وأنا في بلدي فوق سطح داري، قال: فنزلت إلى عيالي فسروا بي بعد أن فزعوا مني لما رأوني ورأوا ما بي من تغير الحال والهيئة، ثم إني حججت من عامي، فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء، إذ أنا بشيخ قد ضرب يده على يدي، وقال لي: من أين لك هذا الدعاء؟ فإن هذا الدعاء لا يدعو به إلا طائر ببلاد الروم متعلق بالهواء، فحدثته بقصتي وبما جرى عليّ، وأني كنت أسيراً ببلاد الروم، وتعلمت الدعاء من الطائر فقال: صدقت. فسألت الشيخ عن اسمه، فقال: أنا الخضر، وهو هذا الدعاء:

اللهم إني أسألك يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ولا الدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد

---

(١) سورة الإسراء: آية ١٣.

(٢) سورة يس: آية ١٩.

ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل، ويشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل إلا يعلم ما في وعره وسهله، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره وساحله، اللهم إني أسألك أن تجعل خير عملي آخره، وخير أيامي يوما ألقاك فيه، إنك على كل شيء قدير. اللهم من عاداني فعادِه، ومن كادني فكده، ومن بغى علي بهلكة فأهلكه، ومن أرادني بسوء فخذه، وأطفىء عني نار من أشب لي ناره، واكفني هم من أدخل عليّ همه، وأدخلني في درعك الحصينة، واسترني بسترك الواقي، يا من كفاني كل شيء اكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة، وصدق قولي وفعلي بالتحقيق، يا شفيق يا رفيق، فرج عني كل ضيق، ولا تحملني ما لا أطيق، أنت إلهي الحق الحقيق، يا مشرق البرهان يا قوي الأركان، يا من رحمته في كل مكان وفي هذا المكان، يا من لا يخلو منه مكان، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني في كنفك الذي لا يرام، إنه قد تيقن قلبي أن لا إله إلا أنت وأني لا أهلك وأنت معي، يا رجائي فارحمني بقدرتك علي، يا عظيماً يرجى لكل عظيم، يا عليم يا حليم أنت بحاجتي عليم، وعلى خلاصي قدير، وهو عليك يسير، فامنن علي بقضائها يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين ويا أسرع الحاسبين يا رب العالمين، ارحمني وارحم جميع المذنبين، من أمة محمد ﷺ، إنك على كل شيء قدير، اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك، عجل علينا بفرج من عندك، بجودك وكرمك وارتفاعك في علو سمائك، يا أرحم الراحمين، إنك على ما تشاء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهذا الدعاء روى الطبراني بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس أن النبي ﷺ مر بأعرابي، وهو يدعو في صلاته، ويقول: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره، ولا جبل إلا يعلم ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوماً ألقاك فيه. فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابي رجلاً، فقال: إذا فرغ من صلاته فأتني به فلما قضى صلاته أتاه به، وقد كان أهدى لرسول الله ﷺ ذهب من بعض المعادن، فلما أتى الأعرابي وهب له الذهب، وقال: «ممن أنت يا أعرابي»؟قال: من بني عامر بن صعصعة، فقال ﷺ: «هل تدري لم وهبت لك هذا الذهب»؟ قال: للرحم التي بيننا وبينك يا رسول الله. قال ﷺ: «إن للرحم حقاً ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل».

الطبطاب: طائر له أذنان كبيرتان.

الطبوع: القمامة، وستأتي إن شاء الله تعالى، في باب القاف.

الطثرج: النمل، قاله الجوهري، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب النون، وقال غيره: صغار النمل.

الطحن: دويبة، قاله الجوهري وغيره. قال الزمخشري، في ربيع الأبرار: هي دويبة تشبه

أم حبين، يجتمع إليها الصبيان، ويقولون: اطحني لنا، فتطحن بنفسها الأرض حتى تغيب فيها.

الطرسوح: حوت بحري، إذا أدمن كله، أورث العين غشاوة.

طرغلودس: يعرفه أهل الأندلس، ويسمونه الضريس، بضاد معجمة مضمومة، وراء مهملة مفتوحة، وياء ساكنة منقوطة، اثنتين من تحتها وسين مهملة. قال الرازي، في كتاب الكافي: هو عصفور صغير، أصغر من جميع العصافير، لونه رمادي وأحمر وأصفر، وفي جناحيه ريشة ذهبية ومنقاره رقيق، وفي ذنبه نقط بيض متواترة، وهو دائم الصفير وأجوده السمين.

وحكمه: الحل.

وله خاصية عجيبة، في تفتيت الحصا المتكون في المثانة ومنع ما لم يتكون.

الطِّرف: بكسر الطاء الكريم من الخيل، وقال أبو زيد: هو نعت للذكر خاصة.

الطغام: والطغامة بفتح الطاء والغين المعجمة أرذال الطير والسباع، وهما أيضاً أراذل الناس، الواحد والجمع في ذلك سواء، قاله ابن سيده.

الطفل: ولد كل وحشية، والمولود من بني آدم والجمع أطفال، وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً، مثل الجنب. قال الله تعالى: **﴿أو الطِّفل الذينَ لم يَظهَرُوا على عوراتِ النساءِ﴾**[1] والمطفل: الظبية معها طفلها، وهي قريبة عهد بالنتاج، وكذلك الناقة والجمع: المطافيل. قال[2] أبو ذئيب:

وإنّ حديثاً منكِ لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبانِ عوذ مطافل
مطافيل أبكارُ حديثُ نتاجها ... تشابُ بماءٍ مثلِ ماءِ المفاصيلِ[3]

وما أحسن قول الآخر:

فيا عجباً لمن ربيتُ طفلا ... ألقمه بأطرافِ البَنان
أعلِّمه الرماية كلَّ يومٍ ... فلما اشتد ساعده رماني
أعلمه الفتوة كلَّ وقتٍ ... فلما طر شاربه جفاني
وكم علمته نظمَ القوافي ... فلما قال قافيةً هجاني

ذو الطفيتين: حية خبيثة، والطفية خوصة المقل في الأصل، وجمعها طفى، فشبه الخطين اللذين على ظهر الحية بخوصتين من خوص المقل. قال الزمخشري: وفي كتاب العين الطفية حية لينة خبيثة وأنشد يقول:

وهم يذلونها من بعد عزّتها ... كما تذل الطفي من رقية الراقي

وكذا قاله ابن سيده أيضاً. وفي الصحيحين وغيرهما، من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله تعالى

---

(١) سورة النور: آية ٣١. (٢) العقد الفريد ٤٥٣/٦. (٣) مطافيل: ذوات أطفال.

عنهم، أن النبي ﷺ قال[1]: «اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر فإنهما يستسقطان الحبالى ويلتمسان البصر». قال شيخ الإسلام النووي: قال العلماء: الطفيتان الخطان الأبيضان على ظهر الحية. والأبتر قصير الذنب. وقال النضر بن شميل: هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب، لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها غالباً. وذكر مسلم في روايته عن الزهري، أنه قال: نرى ذلك من سمها. وأما قوله: يلتمسان البصر، ففيه تأويلان: أصحهما أنهما يخطفانه ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه، لخاصية جعلها الله تعالى في بصرهما إذا وقع على بصر الإنسان، ويؤيد هذا أن في رواية مسلم يخطفان البصر. والثاني أنهم يقصدان البصر باللسع والنهش.

قال العلماء: وفي الحيات نوع يسمى الناظر، إذا وقع بصره على عين إنسان مات من ساعتها. وقال أبو العباس القرطبي: ظاهر هذا أن هذين النوعين من الحيات لهما من الخاصية ما يكون عنه ذلك ولا يستبعد هذا، فقد حكى أبو الفرج بن الجوزي في كتابه المسمى بكشف المشكل لما في الصحيحين، أن بعراق العجم أنواعاً من الحيات تهلك الرائي لها بنفس رؤيتها ومنها ما يهلك بالمرور على طريقها.

الطلح: بالكسر القراد وسيأتي إن شاء الله تعالى لفظ القراد في باب القاف. قال كعب بن زهير[2]:

وجلدُها من أطومٍ لا يؤيسه ... طلحٌ بضاحيةِ المتنين مهزولُ

أي لا يؤثر القراد في جلدها لملاسته قاله في نهاية الغريب.

الطِلا: بكسر الطاء الولد من ذوات الظلف والجمع اطلاء.

الأمثال: قالوا: «كيف الطلا وأمه»[3]. يضرب لمن ذهب همه وحلا لسانه.

الطلى: بالفتح الصغير من أولاد المعز وإنما سمي بذلك لأنه يطلى أي تشد رجلاه بخيط إلى وتد وجمعه طليان مثل رغيف ورغفان.

الطمروق: بفتح الطاء، الخفاش حكاه ابن سيده وقد تقدم في حرف الخاء المعجمة.

الطمل: والطملال والأطلس الذئب كما تقدم لفظه في باب الذال المعجمة.

الطنبور: نوع من الزنابير ذوات الإبر، وهو يأكل الخشب وقد تقدم لفظ الزنبور في باب الزاي المعجمة، قال شيخ الإسلام النووي، في شرح المهذب: ويستثنى من ذوات الإبر الجراد، فإنه حلال قطعاً وكذا القنفذ على الصحيح.

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٤. ومسلم: سلام ١٢٨، ١٢٩. أدب ١٦٣.

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى، شاعر مخضرم عاش بين الجاهلية والإسلام وكان من الذين مدحوا النبي ﷺ. مات سنة ٢٦ هـ. والبيت في ديوانه ٦٣.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/١٣٣.

الطوراني: قال الجاحظ: إنه نوع من أنواع الحمام، وقد تقدم ذكر الحمام في باب الحاء المهملة.

الطوبالة: النعجة وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرها في باب النون، قاله ابن سيده.

الطول: بضم الطاء وتشديد الواو، طائر قاله ابن سيده وغيره.

الطوطي: قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في أول الباب الثاني، في حكم الكسب: إنه الببغاء. وقد تقدم لفظ الببغاء في باب الباء الموحدة.

الطير: جمع طائر مثل صاحب وصحب وجمع الطير طيور وأطيار مثل فرخ وفرخ وفراخ، وقال قطرب: الطير أيضاً قد يقع الى الواحد.

فائدة: قال الله تعالى لخليله إبراهيم ﷺ: **﴿فخذ أربعةً من الطيرِ فصُرهُن إليك﴾**[1] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أخذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً. وقيل: أخذ حماماً وغراباً وديكاً وبطة. وقال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاوساً وديكاً وحماماً وغراباً. وقيل: كانت الطيور بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر. قيل: وفائدة حصره بأربعة، أن الطبائع أربعة، والغالب على كل واحد من هذه الطيور طبع منها فأمر بقتل الجميع، وخلط لحومها بعضها ببعض، وكذلك خلط دمائها وريشها ثم دعاهن بعد أن فرق أجزاءهن على رؤوس الجبال، وقيل: بل أمسك الرؤوس عنده فاجتمعت الأجزاء وأتين سعياً إلى رؤوسهن وأحياهن الله تعالى كما شاء بقدرته. وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس، والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل الموصوف بهما الغراب، والترفع والمسارعة للهوى الموصوف بهما الحمام. وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان وجمع بين مأكولي اللحم وضدهما وبين ممقوتين وهما الطاوس والغراب، ومحبوبين وهما الديك والحمام، وبين ما يسرع الطيران كالحمام والغراب، وبين ما لا يستطيعه إلا قليلاً وهما الديك والطاوس، وبين ما يتميز به الذكر من الأنثى وهم الطاوس والديك، وما لا يتميز إلا للعارف كالحمام وما يعسر تمييزه كالغراب. وما أحسن قول ابن الساعاتي[2]:

والطَّلُّ في سلكِ الغصونِ كلؤلؤٍ ... رطبٍ يصافحه النسيمُ فيسقُطُ
والطيرُ يقرأُ والغديرَ صحيفةٌ ... والريحُ يكتبُ والغمامُ ينقطُ

وهو تقسيم بديع. والطير الذي يأتي في كل سنة إلى جبل بصعيد مصر، يسمى بوقير، وقد تقدم في حرف الباء.

فائدتان: الأولى: روى الشافعي عن سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن أبي يزيد، عن

(١) سورة البقرة: آية ٢٦٠.

(٢) ابن الساعاتي: علي بن محمد بن رستم بن هَردوز، أبو الحسن، بهاء الدين، شاعر مصري الإقامة وكان نشأ في دمشق. توفي سنة ٦٠٤ هـ في القاهرة.

سباع بن ثابت عن أم كرز، قالت: أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول[1]: «أقروا الطير على مكناتها» وفي رواية في وكناتها. وهذا بعض حديث، رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان، قال: فالتفت سفيان إلى الشافعي وقال: يا أبا عبد الله ما معنى هذا؟ فقال الشافعي: إن علم العرب كان في زجر الطير، فكان الرجل منهم إذا أراد سفراً خرج من بيته، فيمر على الطير في مكانه فيطيره، فإذا أخذ يميناً مر في حاجته، وإن أخذ يساراً رجع. فقال النبي ﷺ: «أقروا الطير على مكناتها». قال: فكان ابن عيينة يسأل بعد ذلك عن تفسير هذا الحديث فيفسره على نحو ما فسره الشافعي. قال أحمد بن مهاجر: وسألت الأصمعي عن تفسير هذا الحديث، فقال مثل ما قال الشافعي. قال: وسألت وكيعاً فقال: إنما هو عندنا على صيد الليل، فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه وقال: ما ظننته إلا على صيد الليل.

وروى البيهقي، في سننه، أن إنساناً سأل يونس بن عبد الأعلى عن معنى «أقروا الطير في مكناتها» فقال: إن الله تعالى يحب الحق، إن الشافعي قال في تفسيره كذا، وذكر ما تقدم عنه. قال: وكان الشافعي، رحمه الله نسيج وحده في هذه المعاني.

قوله: «نسيج وحده» هو بالإضافة، ووحده مكسور الدال. قال ابن قتيبة: وأصله أن الثوب الرقيق النفيس لا ينسج على منواله غيره، وإن لم يكن نفيساً عمل على منواله عدة أثواب. فاستعير ذلك لكل كريم من الرجال، انتهى.

قال الصيدلاني، في شرح المختصر: المكنة بكسر الكاف موضع القرار والتمكن. قال: وفي معنى هذا الحديث أقوال: أحدها النهي عن الصيد ليلاً، ثانيها ما تقدم عن الشافعي، ثالثها قال أبو عبيدة القاسم بن سلام: أقروها على بيضتها التي احتضنتها، وأصل المكن بيض الضب قال الصيدلاني: فعلى هذا يجب أن يكون المفرد المكنة بتسكين الكاف، كتمرة وتمرات انتهى.

الفائدة الأخرى: الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء المثناة تحت، التشاؤم بالشيء. قال[2] تعالى: ﴿**وإنْ تُصبْهم سيئةٌ يطيروا بموسى ومن معَه ألا إنما طائرُهم عندَ الله**﴾ أي شؤمهم جاء من قبل الله تعالى، وهو الذي قضى عليهم بذلك وقدره. ويقال تطير طيرة وتخير خيرة، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما. انتهى. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله بقول: لا طيرة وخيرها الفأل. قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال ﷺ: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»[3] وفي رواية قال: «يعجبني الفأل وأحب الفأل الصالح». وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في أسفارهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن ذلك. وفي حديث[4] آخر «الطيرة شرك» أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر، وإنما اشتقوا الطيرة من الطير لسرعة لحوق البلاء على اعتقادهم كما يسرع الطير في الطيران. وأما الفأل فمهموز، ويجوز ترك همزه، وقد فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة

---

(١) رواه أبو داود: في أضاحي ٢١. وابن حنبل ٦ ـ ٣٨١.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٣١.
(٣) رواه البخاري: طب ٤٣ ـ ٤٤. ومسلم: سلام ١١٠.
(٤) رواه أبو داود: طب ٢٤. والترمذي: سير ٤٦.

والحسنة، والغالب أن يكون فيها يسر، وقد يكون فيها يسوء. وأما الطيرة، فإنها لا تكون إلا فيما يسوء.

قال العلماء: إنما أحب الفأل، لأن الإنسان إذا أمل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء. والطيرة فيها سوء ظن وتوقع البلاء، وفي الحديث قالوا: يا رسول الله لا يسلم منا أحد من الطيرة والحسد والظن فما نصنع؟ قال ﷺ: «إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تتحقق». رواه الطبراني وابن أبي الدنيا، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الطيرة في باب اللام، في اللقحة أيضاً.

قال في مفتاح دار السعادة: واعلم أن التطير، إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به، فلا يضره البتة لاسيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيآت إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك. وأما من كان معتنياً بها فهي أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وقد فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة، ما يفسد عليه دينه وينكد عليه معيشته انتهى.

وقال ابن عبد الحكم: لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة، قال رجل من لخم: نظرت فإذا القمر في الدبران، فكرهت أن أقول له فقلت: ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة! فنظر عمر فإذا هو في الدبران، فقال: كأنك أردت أن تعلمني بأنه في الدبران، أنا لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار. وقال ابن خلكان: ومن قبيح ما وقع لأبي نواس أن جعفر بن يحيى البرمكي بنى داراً استفرغ فيها جهده، فلما كملت وانتقل إليها صنع فيها أبو نواس قصيدة[1] امتدحه بها أولها:

أربعَ البلى إنّ الخشوعَ لبادى ... عليكَ وإني لم أخنْك ودادي
سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتُم ... بني برمك من رائحين وغادي

فتطير منها بنو برمك، وقالوا: نعيت لنا أنفسنا يا أبو نواس، فما كانت إلا مديدة، حتى أوقع بهم الرشيد وصحّت الطِّيرة. وذكر الطبري والخطيب البغدادي وابن خلكان وغيرهم، أن جعفر بن يحيى البرمكي، لما بنى قصره، وتناهى بنيانه، وكمل حسنه، وعزم على الانتقال إليه، جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه إليه، فاختاروا له وقتاً في الليل، فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية، والناس هادئون فرأى رجلاً قائماً يقول:

تدبرْ بالنجومِ ولستَ تدري ... وربُّ النجمِ يفعلُ ما يشاء

فتطير ووقف، ودعا بالرجل وقال له: أعد ما قلت فأعاده، فقال: ما أردت بهذا؟ قال: ما أردت به معنى من المعاني، ولكنه شيء عرض لي وجاء على لساني، فأمر له بدينار ومضى لوجهه، وقد تنغص سروره وتكدر عيشه فلم يكن إلا قليل حتى أوقع بهم الرشيد. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر قتله في باب العين المهملة، في العقاب. وفي التمهيد لابن عبد البر، من حديث المقبري عن

(١) ديوان أبي نواس ٢٢٠.

ابن لهيعة عن ابن هبيرة، عن أبي عبد الرحمن الجيلي، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن رسول الله ﷺ، قال[1]: «من رجعته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك». قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أن يقول أحدكم: اللهم لا طير إلا طيرُك ولا خير إلا خيرُك، ولا إله غيرك، ثم يمضي لحاجته»[2].

تنبيه مهم: جزم الإمام العلامة القاضي أبو بكر بن العربي، في الأحكام، في سورة المائدة، بتحريم أخذ الفأل من المصحف. ونقله القرافي عن الإمام العلامة أبي الوليد الطرطوشي، وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة. ومقتضى مذهبنا كراهته.

وحكى الماوردي، في كتاب أدب الدين والدنيا، أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخابَ كلُّ جبارٍ عنيد﴾[3] فمزق المصحف وأنشأ يقول[4]:

أتوعدُ كلَّ جبارٍ عنيد — فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
إذا ما جئتَ ربَّك يومَ حشرٍ — فقلْ يا رب مزَّقني الوليد

فلم يلبث إلّا أياماً يسيرة حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم أعلى سور بلده، كما تقدم في باب الهمزة في لفظ الأوز.

فائدة أخرى: روى الترمذي وابن ماجه والحاكم، وصححوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[5] معناه تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار ممتلئة البطون من الشبع. قال الإمام أحمد: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدُل على طلب الرزق، وإنما أراد، والله أعلم، لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، وعلموا أن الخير بيده ومن عنده، لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين، كالطير تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم، وهذا خلاف التوكل. وفي الاحياء، في أوائل كتاب أحكام الكسب، قيل لأحمد: ما تقول في الذي يجلس في بيته أو مسجده ويقول: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم! أما سمع قول النبي ﷺ: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»[6]. وقوله حيث ذكر الطير: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[5]. وكان أصحاب رسول الله ﷺ، يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم. والقدوة بهم.

مسألة: أوصى للمتوكلين، أفتى ابن عباس بأن ذلك يصرف للزراع، فإنهم يحرثون ويضعون البذر في الأرض فهم متوكلون على الله تعالى، ويدل له ما روى البيهقي في الشعب، والعسكري في الأمثال، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لقي ناساً من أهل اليمن،

---

(١) رواه ابن حنبل ٢ ـ ٢٢٠. (٢) رواه ابن حنبل أيضاً ٢ ـ ٢٢٠. (٣) سورة إبراهيم: آية ١٥.
(٤) فوات الوفيات ٤/ ٢٥٧. والوليد بن يزيد هذا، كان منغمساً باللهو والملذات وقتل لذلك سنة ١٢٦ هـ.
(٥) رواه الترمذي: زهد ٣٣. وابن حنبل ١ ـ ٣٠. (٦) رواه البخاري: جهاد ٨٨، وابن حنبل: ٢.

فقال: من أنتم؟ قالوا: متوكلون، قال: كذبتم إنما المتوكلون رجل ألقى حبه في التراب، وتوكل على رب الأرباب. وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديماً. وقال الإمامان الرافعي والنووي، في تفضيل بعض الأكساب على بعض، واحتج من فضل الزراعة، بأنها أقرب إلى التوكل، وفي الشعب أيضاً عن عمرو بن أمية الضمري، أنه قال: قلت: يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال ﷺ: «إعقلها وتوكل»[1] وسيأتي إن شاء الله تعالى، هذا في أول باب النون.

وقال الحليمي: يستحب لكل من ألقى في الأرض بذراً أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾[2] الآية. ثم يقول: بل الله الزارع والمنبت والمبلغ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارزقنا ثمره، وجنبنا ضرره، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين. وقال أبو ثور: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: نزه الله نبيه ﷺ، ورفع قدره، فقال: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾[3] وذلك أن الناس في التوكل، على أحوال شتى: متوكل على نفسه، أو على ماله، أو على جاهه، أو على سلطانه، أو على صناعته، أو على غلته، أو على الناس. وكل مستند إلى حي يموت، أو إلى ذاهب يوشك أن ينقطع، فنزه الله تعالى نبيه ﷺ عن ذلك، وأمره أن يتوكل على الحي الذي لا يموت. وقال الإمام العلامة، شيخ الشريعة والحقيقة، أبو طالب المكي، في كتابه قوت القلوب: اعلم أن العلماء بالله تعالى لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ عليهم دنياهم، ولا لأجل تبليغهم رضاهم ومرادهم، ولم يشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون، ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون، ولا ليغير لهم سابق مشيئته إلى ما يعقلون، ولا ليحول عنهم سنته التي قد خلت في عباده، من الابتلاء والامتحان والاختبار، بل هو جل وعلا أجل في قلوبهم من ذلك، وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا، فلو اعتقد عارف بالله أحد هذه المعاني مع الله في توكله، لكان عليه كبيرة توجب عليه التوبة، وكان توكله معصية، وإنما أخذوا أنفسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا كيف أجرى.

فائدة: عن كعب الأحبار، قال: إن الطير ترتفع اثني عشر ميلاً، ولا ترتفع فوق هذا، وفوق الجو السكاك. والجو هو الهواء بين السماء والأرض.

التعبير: الطائر في المنام رزق لمن حواه لقول الشاعر:

وما الرزقُ إلا طائر أعجبَ الورى ... فمدتْ له من كل فن حبائلُ

وسعادة ورياسة، وقيل: الطيور السود تدل على السيآت، والطيور البيض تدل على الحسنات. ومن رأى طيوراً تنزل على مكان وترتفع، فإنها ملائكة ورؤية ما يستأنس بالإنسان من الطيور دليل على الأزواج والأولاد، ورؤية ما لا يأنس بالآدمي من الطير دليل على معاشرة الأضداد والأعجام. ورؤية الكاسر من الطير في المنام شر ونكد ومغارم، ورؤية الجارح المعلم عز وسلطان وفوائد وأرزاق. ورؤية المأكول لحمه فائدة سهلة، ورؤية ذوي الأصوات قوم صالحون، ورؤية المذكر رجال، والمؤنث نساء، ورؤية المجهول من الطير قوم غرباء، ورؤية ما فيه خير وشر

---

(١) جمهرة الأمثال: ٤٢/٢. (٢) سورة الواقعة: آية ٦٣. (٣) سورة الفرقان: آية ٥٨.

فرج بعد شدة، ويسر بعد عسر، ورؤية ما يظهر بالليل دليل على الجراءة وشدة الطلب والاختفاء، ورؤية ما ليس له قيمة، إذا صار له قيمة في المنام، فإنها تدل على الربا، وأكل المال بالباطل وبالعكس. ورؤية ما يظهر في وقت دون وقت، فإن رآه قد ظهر في غير أوانه، كان ذلك دليلاً على وضع الأشياء في غير محلها، أو على الأخبار الغريبة والخوض فيما لا يعني، فهذا قول كلي في أنواع الطير مما تقدم ذكره وسيأتي فافهم ذلك وقس عليه.

تتمة: قال المعبرون: كلام الطير كله صالح جيد، فمن رأى الطير يكلمه ارتفع شأنه لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناسُ علمنا منطقَ الطيرِ وأوتينا من كلِّ شيء إنّ هذا لهو الفضلُ المبين**﴾[1] وكره المعبرون صوت طير الماء والطاوس والدَجاج وقالوا: إنه هم وحزن ونعي، وزمار الظليم، وهو ذكر النعام، قتل من خادم شجاع، فإن كره صوته فإنه غلبة من خادم. وهدير الحمام امرأة قارئة لكتاب الله تعالى، وصوت الخطاف موعظة من رجل واعظ، والله أعلم.

خاتمة: قال ابن الجوزي، في كتاب أنس الفريد وبغية المريد: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في القرآن عشرة أطيار، سماها الله تعالى بأسمائها: البعوضة في البقرة، والغراب في المائدة، والجراد في الأعراف، والنحلة في النحل، والسلوى في البقرة وطه، والنمل في النمل، والهدهد فيها أيضاً، والذباب في الحج، والفراش في القارعة، والأبابيل في الفيل، فهذه عشر.

طير العراقيب: طير الشؤم عند العرب، وكل ما تطيرت به سمته بذلك.

ومن الأحكام المتعلقة بالطير، أن من فتح قفصاً عن طائر، وهيجه فطار ضمنه. قال الماوردي: بإجماع، لأنه ألجأه إلى ذلك، وإن اقتصر على الفتح، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها يضمنه مطلقاً، والثاني لا يضمنه مطلقاً، والثالث، وهو الأظهر، إن طار في الحال ضمنه، وإن وقف ثم طار فلا، لأن طيرانه في الحال، دليل على أنه بتنفيره، حصل ذلك. وأما طيرانه بعد الوقوف، فهو أمارة ظاهرة على أنه طار باختياره، لأن للطائر اختياراً فإن كسر الطائر في خروجه قارورة أو أتلف شيئاً أو انكسر القفص بخروجه، أو وثبت هرة كانت حاضرة عند الفتح، فدخلت فأكلت الطائر، لزمه الضمان والله أعلم.

طير الماء: كنيته أبو سحل، ويقال له ابن الماء وبنات الماء، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، ذكره في آخر باب الميم.

الحكم: قال الرافعي: إنه حلال بجميع أنواعه إلا اللقلق، فإنه يحرم أكله على الصحيح. وحكى الروياني في طير الماء وجهين عن الصيمري، والأصح ما قاله الرافعي. ويدخل فيه البط والأوز ومالك الحزين قال أبو عاصم العبادي: وهو أكثر من مائة نوع ولا يدرى لأكثرها اسم عند العرب، فإنها لم تكن ببلادهم. وسيأتي، إن شاء الله تعالى الكلام على مالك الحزين في باب الميم.

الأمثال: قالوا: «كأن على رؤوسهم الطير»[2]، بالنصب لأنه اسم كان أي على رأس كل

---

(١) سورة النمل: آية ١٦. (٢) جمهرة الأمثال: ٢/ ١٢١. ورواه البخاري: جهاد ٣٧، وأبو داود: طب١.

واحد الطير، يريد صيده فلا يتحرك يضرب للساكن الوادع وهذه كانت صفة مجالس رسول الله ﷺ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير يريد أنهم يسكنون فلا يتكلمون، والطير لا تسقط إلا على ساكت. وقال الجوهري: وقولهم: كأنما على رؤوسهم الطير، إذا سكتوا من هيبته. وأصله أن الغراب، إذا وقع على رأس البعير، ليلقط منه الحلمة أو الحمنانة، فلا يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب.

الطيطوي: قال ارسطاطاليس، في كتاب النعوت: إنه طائر لا يفارق الآجام، وكثرة المياه، لأن هذا الطائر لا يأكل شيئاً من النبت، ولا من اللحوم، وإنما قوته مما يتولد في شاطىء الغياض والآجام، من دود النتن. وهذا الطائر تطلبه البزاة عند مرضها، لأن البازي أكثر ما يصيبه من الأمراض بسبب الحرارة في كبده، فإذا عرض له ذلك طلب الطيطوي، وأكل كبده فيبرأ. وقد يطمئن الطيطوي ويصيح، ولا ينفر من موضعه، إلا إذا طلبه البازي هرب وغير موضعه، فإذا كان في الليل، هرب وصاح، وهو في النهار إذا هرب لم يصح، وكمن في الحشيش.

وذكر الثعلبي والبغوي وغيرهما في تفسير سورة النمل عند قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناسُ علمنا منطقَ الطير**﴾[1] سمى صوت الطير منطقاً لحصول الفهم به كما يفهم من كلام الناس. وقالوا: قال كعب الأحبار وفرقد السنجي: مر سليمان عليه السلام على بلبل فوق شجرة يحرك ذنبه ورأسه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: يقول: أكلت نصف تمرة، فعلى الدنيا العفاء. ومر بهدهد فأخبر أنه يقول: إذا نزل القضاء عمي البصر. وفي رواية كعب، أنه يقول من لا يرحم لا يرحم، والفاختة تقول: يا ليت هذا الخلق ما خلقوا! وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا، وليتهم إذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا! والصرد يقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه، والسرطان يقول: استغفروا الله يا مذنبين، وصاحت طيطوي عنده فأخبر أنها تقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، وقال: إن الخطاف يقول: قدموا خيراً تجدوه عند الله، والورشان يقول: لدوا للموت، وابنوا للخراب، والطاوس يقول: كما تدين تدان والحمامة تقول: سبحان ربي المذكور بكل لسان، والدراج يقول: ﴿**الرحمنُ على العرشِ استوى**﴾[2] وإذا صاحت العقاب تقول: البعد عن الناس راحة، وفي رواية البعد من الناس أنس، وإذا صاح الخطاف قرأ الفاتحة إلى آخرها، ويمد صوته بقوله: ﴿**ولا الضّالين**﴾[3]، كما يمده القارىء، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والقمري يقول: سبحان ربي الأعلى، وقيل إنه يقول: يا كريم، والغراب يلعن العشار ويدعو عليه، والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء يقول: ويل لمن كانت الدنيا أكبر همه، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك رزق يوم بيوم يا رزاق، والقنبرة تقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين، والنسر يقول: يا ابن آدم عش ما شئت فإنك ميت، وفي رواية أن الفرس تقول: إذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح. والحمار يلعن المكاس وكسبه، والضفدع تقول: سبحان ربي الأعلى.

---

(١) سورة النمل: آية ١٦. (٢) سورة طه: آية ٥. (٣) سورة الفاتحة: آية ٧.

التعبير: الطيطوي في المنام امرأة، قاله ابن سيرين.

ومن خواصه: أن لحمه يعقل البطن ويزيد في الباه.

الطيهوج: بفتح الطاء طائر شبيه بالحجل الصغير، غير أن عنقه أحمر، ومنقاره ورجلاه حمر، مثل الحجل، وما تحت جناحيه أسود وأبيض، وهو خفيف مثل الدراج.

وحكمه: الحل.

الخواص: لحم الطيهوج كثير الحرارة والرطوبة. قاله يوحنا. وقيل: معتدل، قلت: وهو الصواب، وقيل: إنه في الدرجة الثالثة في الهضم، وأجوده السمين الرطب الخريفي ينفع للزيادة في الباه، ويعقل البطن لكنه يضر بمن يعالج الأثقال، ويدفع ضرره طبخه في الهرائس، وهو يولد دماً معتدلاً، ويوافق الأمزجة المعتدلة من الصبيان، وأجوده ما أكل في زمن الربيع، لاسيما في البلاد الشرقية، والطيهوج والدراج والحجل متقاربة في ترتيب الأغذية في الاعتدال واللطافة والطيهوج أولاً، ثم الدراج ثم الحجل وتقدم في الضاد إنه الدريس والله أعلم.

بنت طبق وأم طبق: السلحفات، وقد تقدم ذكرها في باب السين، وقيل: هي حية عظيمة من شأنها أن تنام ستة أيام ثم تستيقظ في اليوم السابع، فلا تنفخ في شيء إلا أهلكته وقد تقدم ذكر النوعين في بابيهما. ومنه قيل للداهية: إحدى بنات طبق، ومنه قولهم: قد طرقت بنكدها أم طبق.

الأمثال: قالوا: «جاء فلان بإحدى بنات طبق»[1] يضرب للرجل يأتي بالأمر عظيم.

باب الظاء المعجمة

الظبي: الغزال والجمع أظب وظباء وظبي، والأنثى ظبية، والجمع ظَبَيات بالتحريك وظباء، وأرض مظباة أي كثيرة الظباء، وظبية اسم امرأة تخرج قبل الدجال تنذر المسلمين به، قاله ابن سيده. قال الكرخي: الظباء ذكور الغزلان، والأنثى: الغزال، قال الإمام: وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه، قال الإمام النووي: الذي قاله الإمام هو المعتمد. وقول صاحب التنبيه: فإن أتلف ظبياً ماخضاً، قال النووي: صوابه ظبية ماخضاً، لأن الماخض الحامل، ولا يقال في الأنثى إلا ظبية، والذكر ظبي وجمعت الظَبْيَة على ظباء، كركوة وركاء لأن ما كان على فعلة بفتح أوله من المعتل، فجمعه ممدود، ولم يخالف هذا إلا القرية فإنها جمعت على قرى على غير قياس، فجاء مخالفاً للباب، فلا يقاس عليه، قاله الجوهري. وتكنى الظبية أم الخشف وأم شادن وأم الطلا.

والظباء مختلفة الألوان، وهي ثلاثة أصناف: صنف يقال له الآرام وهي ظباء بيض خالصة البياض، الواحد منها ريم ومساكنها الرمال، ويقال: إنها ضأن الظباء، لأنها أكثر لحوماً وشحوماً، وصنف يسمى العفر وألوانها حمر، وهي قصار الأعناق، وهي أضعف الظباء عدواً تألف المواضع

---

(١) المستقصى: ٢/٣٦.

المرتفعة من الأرض، والأماكن الصلبة. قال الكميت:

وكنـا إذا جبـارُ قـومٍ أرادنـا بكيـد حملنـاه عـلى قـرن أعفـرا

يعني نقتله ونحمل رأسه على السنان، وكانت الأسنة فيما مضى من القرون. وصنف يسمى الأدم، طوال الأعناق والقوائم، بيض البطون. وتوصف الظباء بحدة البصر، وهي أشد الحيوان نفوراً ومن كيس الظبي، أنه إذا أراد أن يدخل كُناسه يدخل مستديراً ويستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه وخشفانه، فإن رأى أن أحداً أبصره حين دخوله لا يدخل وإلا دخل. ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاق. قال ابن قتيبة: ولد الظبية أول سنة طلا بفتح الطاء وخشف بكسر الخاء المعجمة ثم في السنة الثانية جذع ثم في الثالثة ثني ثم لايزال ثنيا حتى يموت. وذكر ابن خلكان، في ترجمة[1] جعفر الصادق، أنه سأل أبا حنيفة رضي الله تعالى عنهما ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟ فقال: يا ابن بنت رسول الله ﷺ لا أعلم ما فيه. فقال: إن الظبي لا يكون رباعياً وهو ثني أبداً! كذا حكاه كشاجم، في كتاب المصايد والمطارد.

وقال الجوهري في مادة س ن ن في قول الشاعر، في وصف الإبل:

فجـاءتْ كسنِّ الـظبي لم أرَ مثلَهـا شفـاءَ عليـلٍ أو حلوبـةَ جـائـعِ

أي هي ثنيات لأن الثني هو الذي يلقي ثنيته، والظبي لا تثبت له ثنية قط، فهو ثني أبداً. وقال ابن شبرمة: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق، فقلت: هذا رجل فقيه من العراق، فقال: لعله الذي يقيس الدين برأيه، أهو النعمان بن ثابت؟ قال: ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم، فقال له أبو حنيفة: نعم أنا ذلك أصلحك الله، فقال له جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ قال: أنا خير منه فأخطأ بقياسه فضل. ثم قال له: أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ قال: لا. قال جعفر: فأخبرني لم جعل الله الملوحة في العينين، والمرارة في الأذنين، والماء في المنخرين، والعذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل الله ذلك؟ قال: لا أدري. قال جعفر: إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين، وخلق الملوحة فيهما مناً منه على ابن آدم، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا. وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه. وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل، ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم والمشرب. ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان؟ قال: لا أدري. قال جعفر: هي كلمة لا إله إلا الله. فلو قال: لا إله، ثم سكت كان شركاً. ثم قال: ويحك، أيما أعظم عند الله إثماً: قتل النفس التي حرم الله بغير حق، أو الزنا؟ قال: بل قتل النفس. قال جعفر: إن الله تعالى قد قبل في قتل النفس شهادة شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا شهادة أربعة فأنى يقوم لك القياس؟ ثم قال: أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة؟ قال: الصلاة. قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ اتق الله يا عبد الله، ولا تقس الدين برأيك، فإنا نقف غداً ومن

---

(١) وفيات الأعيان: ١/٣٢٧. ووفاة جعفر الصادق سنة ١٤٠ هـ.

خالفنا بين يدي الله، فنقول: قال الله وقال رسول الله، وتقول أنت وأصحابك: سمكنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء. والجواب في أن الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلباً للستر، وفي أن الحائض لا تقضي الصلاة دفعاً للمشقة، لأن الصلاة متكررة في اليوم والليلة خمس مرات، بخلاف الصوم، فإنه في السنة مرة والله أعلم.

وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وجعفر أحد الأئمة الإثني عشر، على مذهب الإمامية، من سادات أهل البيت. ولقب الصادق لصدقه في مقالته. وله مقال في صنعة الكيمياء والزجر والفال وتقدم في باب الجيم، في الجفرة. عن ابن قتيبة أنه قال في كتابه أدب الكاتب: إن كتاب الجفر جلد جفرة كتب فيه الإمام حعفر الصادق لأهل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة. وكذا حكاه ابن خلكان عنه أيضاً.

وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو وهم، والصواب أن الذي وضعه جعفر الصادق كما تقدم. وأوصى جعفر ابنه موسى الكاظم فقال: يا بني احفظ وصيتي تعش سعيداً، وتمت شهيداً، يا بني إن من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره. يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بني قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه.

وروي أنه قيل لجعفر الصادق: ما بال الناس في الغلاء يزداد جوعهم، بخلاف العادة في الرخص؟ فقال: لأنهم خلقوا من الأرض وهم بنوها، فإذا أقحطت أقحطوا، وإذا أخصبت أخصبوا. ولد جعفر رحمة الله عليه سنة ثمانين من الهجرة، وقيل سنة ثلاث وثمانين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

وفي الحديث أن النبي ﷺ مر هو وأصحابه وهم محرمون بظبي واقف في ظل شجرة فقال: يا فلان لأحد أصحابه «قف ههنا، حتى يمر الناس لا يريبه أحد بشيء»، أي لا يتعرض له. وفي المستدرك عن قبيصة بن جابر الأسدي، قال[1]: «كنت محرماً، فرأيت ظبياً فرميته فأصبته فمات، فوقع في نفسي من ذلك شيء، فأتيت عمر أسأله، فوجدت إلى جنبه رجلاً أبيض رقيق الوجه، وإذا هو عبد الرحمن بن عوف فسألت عمر فالتفت إلى عبد الرحمن، فقال: ترى شاة تكفيه؟ قال: نعم، فأمرني أن أذبح شاة». فلما قمنا من عنده قال صاحب لي: إن أمير المؤمنين لم يحسن أن يفتيك حتى سأل الرجل! فسمع عمر بعض كلامه، فعلاه بالدرة ضرباً، ثم أقبل علي ليضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين إني لم أقل شيئاً إنما هو قاله، فتركني ثم قال: أردت أن تفعل الحرام

(١) الموطأ: حج ٢٣١.

ونتعدى في الفتيا ثم قال: إن في الإنسان عشرة أخلاق تسعة حسنة وواحد سيء فيفسدها ذلك السيء. ثم قال: إياك وعثرات اللسان.

وحكى المبرد عن الأصمعي أنه قال: حدثت أن رجلاً نظر إلى ظبية ترد الماء، فقال له أعرابي: أتحب أن تكون لك؟ قال: نعم، قال: فاعطني أربعة دراهم حتى أردها إليك فأعطاه فخرج يمحص في أثرها فجدت وجد حتى أخذ بقرنيها فأعطاه إياها وهو يقول:

وهي على البعد تلوي خدّها — تزيغ شدّي وأزيغ شدّها
كيف ترى عدوى غلام ردها — وكلما جدت تراني عندها

وذكر ابن خلكان، أن كثير عزة[1]، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: هل رأيت أحداً أعشق منك؟ قال: نعم، بينا أنا أسير في فلاة، إذا أنا برجل قد نصب حبالة، وهو جالس، فقلت له: ما أجلسك ههنافقال: أهلكني وقومي الجوع، فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيئاً ولنفسي، قلت: أرأيت إن أقمت معك؟ أتجعل لي جزأ من صيدك؟ قال: نعم. فبينما نحن كذلك، إذ وقعت ظبية في الحبالة، فبدرني إليها، فحلها وأطلقها، فقلت: ما حملك على ذلك قال: رق قلبي لها لشبهها بليلى وأنشد يقول[2]:

أيا شبهَ ليلى لا تراعي فإنني — لك اليوم من وحشيةٍ لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها — فأنتِ لليلى ما حييتُ طليق

وفي كتاب ثمار القلوب للثعالبي، في الباب الثالث عشر منه، أن الملك بهرام جور، لم يكن في العجم أرمى منه، ومن غريب ما اتفق له، أنه خرج يوماً يتصيد على جمل، وقد أردف جارية يعشقها، فعرضت له ظباء، فقال للجارية: في أي موضع تريدين أن أضع السهم من هذه الظباء؟ فقالت: أريد أن تشبه ذكرانها بإناثها وإناثها بذكرانها! فرمى ظبياً ذكراً بنشابة ذات شعبتين، فاقتلع قرنيه، ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين. ثم سألته أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة، فرمى أصل أذن الظبي ببندقة، فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحك، رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه، ثم أهوى إلى الجارية مع هواه لها فرمى بها إلى الأرض، وأوطأها الجمل بسبب ما اشتطت عليه، وقال: ما أرادت إلا إظهار عجزي فلم تلبث إلا يسيراً وماتت.

فصل: يلتحق بهذا النوع غزال المسك، ولونه أسود ويشبه ما تقدم في القدودقة القوائم وافتراق الأظلاف غير أن لكل منها نابين أبيضين خفيفين خارجين من فيه في فكه الأسفل، قائمين في وجهه كنابي الخنزير، كل واحد منها دون الفتر، ويقال إنه يسافر من التبت إلى الهند، فيلقي ذلك المسك هناك فيكون رديئاً. وحقيقة ذلك المسك دم يجتمع في سرتها في وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء، وهذه السرة جعلها الله تعالى معدناً للمسك، فهي تثمر كل

---

(١) كثيّر عَزّة: كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر متيمّ أكثر اقامته في مصر، أحب عزّة بنت جميل الصخرية حبّاً عفيفاً وتغزل بها. مات بالمدينة سنة ١٠٥ هـ.

(٢) وفيات الأعيان ١٠٨/٤.

سنة كالشجرة التي ﴿تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها﴾[1] وإذاحصل ذلك الورم مرضت له الظباء، إلى أن يتكامل. ويقال إن أهل التبت يضربون لها أوتاداً في البرية، تحتك بها ليسقط عندها. وذكر القزويني في الأشكال، أن دابة المسك تخرج من الماء كالظباء تخرج في وقت معلوم، والناس يصيدون منها شيئاً كثيراً فتذبح. فيوجد في سررها دم وهو المسك، ولا يوجد له هناك رائحة حتى يحمل إلى غير ذلك الموضع من البلاد انتهى. وهذا غريب! والمعروف ما تقدم.

وفي مشكل الوسيط لابن الصلاح، عن ابن عقيل البغدادي، أن النافجة في جوف الظبية، كالأنفحة في جوف الجدي، وأنه سافر إلى بلاد المشرق، حتى حمل هذه الدابة، إلى بلاد المغرب لخلاف جرى فيها، ونقل في كتاب العطر له عن علي بن مهدي الطبري، أحد أئمة أصحابنا، أنها تلقيها من جوفها كما تلقي الدجاجة البيضة انتهى. قلت: والمشهور أنها ليست مودعة في الظبية بل هي خارجة ملتحمة في سرتها كما تقدم والله أعلم.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال[2]: «كانت امرأة من بني اسرائيل قصيرة، تمشي مع امرأتين طويلتين، فاتخذت رجلين من خشب، وخاتماً من ذهب، وحشته مسكاً والمسك أطيب الطيب، فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها، فقالت بيدها هكذا ونفض شعبة يده». قال النووي: دل الحديث على أن المسك أطيب الطيب وأفضله، وأنه طاهر يجوز استعماله في البدن والثوب ويجوز بيعه، وهذا كله مجمع عليه. ونقل أصحابنا عن الشيعة فيه، مذهباً باطلاً، وهم محجوجون بإجماع المسلمين وبالأحاديث الصحيحة، في استعمال النبي ﷺ، واستعمال الصحابة رضي الله تعالى عنهم، قال أصحابنا وغيرهم: وهو مستثنى من القاعدة المعروفة أن ما أبين من حي فهو ميتة. قال: وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب حتى مشت بين الطويلتين، فلم تعرف فحكمه في شرعنا أنها إن قصدت به مقصوداً شرعياً لتستر نفسها لئلا تعرف فتقصد بالأذى ونحو ذلك فلا بأس به. وإن قصدت به التعاظم أو التشبه بالكاملات، وتزويراً على الرجال وغيرهم، فهو حرام.

فائدة: روى الدارقطني والطبراني في معجمه الأوسط، عن أنس بن مالك، والبيهقي في شعبه عن أبي سعيد الخدري، قال: مر رسول الله ﷺ على قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسطاط فقالت: يا رسول الله إني وضعت ولي خشفان، فاستأذن لي أن أرضعهما ثم أعود إليهم فقال ﷺ: «خلوا عنها حتى تأتي خشفيها ترضعهما وتأتي إليكم». قالوا: ومن لنا بذلك يا رسول الله فقال ﷺ: «أنا» فأطلقوها، فذهبت فأرضعتهما ثم عادت إليهم فأوثقوها فقال ﷺ: «أتبيعونيها» قالوا: هي لك يا رسول الله، فخلوا عنها، فأطلقها. وفي رواية عن زيد بن أرقم، قال: لما أطلقها رسول الله ﷺ رأيتها تسبح في البرية وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. وروى الطبراني عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ في الصحراء، فإذا منادٍ ينادي: يا رسول الله، فالتفت فلم ير أحداً، ثم التفت فإذا ظبية موثوقة، فقالت: ادن مني يا رسول الله فدنا منها، فقال: ما حاجتك؟ فقالت: إن لي خشفين في هذا الجبل، فحلني حتى أذهب إليهما فأرضعهما ثم أرجع

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٢٥.

(٢) رواه مسلم: ألفاظ ١٩. وابن حنبل ٣ - ٦٨.

إليك! فقال ﷺ: «وتفعلين»؟ قالت: عذبني الله عذاب العشار إن لم أفعل! فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت. فأوثقها. وانتبه الأعرابي فقال: ألك حاجة يا رسول الله؟ قال: «نعم تطلق هذه»، فأطلقها. فخرجت تعدو وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وفي دلائل النبوة للبيهقي، عن أبي سعيد، قال: مر النبي ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء، فقالت: يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي، ثم أرجع فتربطني فقال ﷺ: «صيد قوم وربيطة قوم»، فأخذ عليها فحلفت له فحلها، فما مكثت إلا قليلاً حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها، فربطها رسول الله ﷺ، ثم أتى إلى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له، فحلها، ثم قال ﷺ: «لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً أبداً» وفي ذلك يقول صالح الشافعي من قصيدة له:

وجاء امرؤٌ قد صادَ يوماً غزالةً ... لها ولدٌ خشفٌ تخلّف بالكذا
فنادتْ رسولَ الله والقومُ حضر ... فأطلقَها والقومُ قد سمعوا النّدا

وسيأتي إن شاء الله تعالى، في العشراء بيتان آخران.

الحكم: يحل أكلها بجميع أنواعها، ووقع لجماعة من الأصحاب أنهم قالوا: يجب على المحرم في قتل الظبي عنز. كذا قاله الإمام وارتضاه الرافعي وصوبه النووي. وهو وهم، فإن الظبي ذكر والعنز أنثى، فالصواب أن في الظبي ثنياً. وأما المسك فطاهر، وكذا فأرته في الأصح، لكن شرط طهارتها انفصالها حال حياة الظبية. وقيد المحاملي في كتاب اللباب المسك بالظبي، فقال: والمسك من الظبي طاهر، أي المسك المأخوذ من الظبي، احترز بذلك عن المسك التبتي المأخوذ من الفارة الآتي ذكرها في باب الفاء إن شاء الله تعالى. وهو نجس ويستدل به على منع أكلها إذ لو كانت مأكولة، لالتحق مسكها بمسك الظبية. والطيبيون يسمون المسك التبتي المسك التركي، وهو عندهم أجود المسك، وأغلى ثمناً وينبغي التحرز من استعماله لنجاسته. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء ما قاله الجاحظ في فأرة المسك.

ونقل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، عن القفال الشاشي، أن فأرة المسك، يعني النافجة، تدبغ بما فيها من المسك فتطهر طهارة المدبوغات. وذكر بعض شراح غنية ابن سريج، أن الشعر الذي على فأرة المسك، يعني النافجة نجس بلا خلاف. لأن المسك يدبغ ما لاقاه من الجلد المحاذي له فيطهر، وما لم يلاقه من أطراف النافجة نجس. وهذا الذي قاله ظاهر إلا قوله إن شعرها نجس بلا خلاف، فليس بظاهر، لأن في طهارة الشعر تبعاً للجلد المدبوغ خلافاً عندنا. وهي رواية الربيع الجيزي، عن الشافعي. واختاره السبكي وغيره، وصححه الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني والروياني وابن أبي عصرون وغيرهم كما تقدم في باب السين المهملة، في الكلام على السنجاب.

وذكر الأزرقي، في تعظيم صيد الحرم عن عبد العزيز بن أبي رواد، أن قوماً انتهوا إلى ذي طوى ونزلوا بها، فإذا ظبي من ظباء الحرم قد دنا منهم، فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه، فقال له أصحابه: ويلك أرسله، فجعل يضحك، وأبى أن يرسله فبعر الظبي وبال، ثم أرسله، فناموا

في القائلة، فانتبه بعضهم فإذا هو بحية منطوية على بطن الرجل الذي أخذ الظبي، فقال له أصحابه: ويحك لا تتحرك فلم تنزل الحية عنه حتى كان من الحدث مثل ما كان من الظبي.

ثم روى عن مجاهد، قال: دخل مكة قوم تجار من الشأم في الجاهلية، بعد قصي بن كلاب، فنزلوا بوادي طوى، تحت سمرات يستظلون بها، فاختبزوا على ملة لهم، ولم يكن معهم أدم، فقام رجل منهم إلى قوسه، فوضع عليها سهماً ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم، وهي حولهم ترعى، فقاموا إليها فسلخوها وطبخوها، ليأتدموا بها، فبينما هم كذلك، وقدرهم على النار تغلي بها، وبعضهم يشوي إذ خرجت من تحت القدر، عنق من النار عظيمة، فأحرقت القوم جميعاً ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرات التي كانوا تحتها.

الأمثال: قالوا: «آمن من ظباء الحرم»(١) وقالوا: «ترك الظبي ظله»(٢). وهو كقولهم: اتركه ترك الغزال ظله، يضرب للرجل النفور. وظله كناسه الذي يستظل به من شدة الحر. وهو إذا نفر منه لا يعود إليه أبداً. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الغين أيضاً.

الخواص: قال ابن وحشية: قرنه ينحت ويبخر به البيت يطرد الهوام. ولسانه يجفف في الظل، ويطعم للمرأة السلطة، تزول سلاطتها. ومرارته تقطر في الأذن الوجعة، يزول وجعها. وبعره وجلده يحرقان ويسحقان، ويجعلان في طعام الصبي، فيأكله فينشأ ذكياً فصيحاً حافظاً ذلقاً. ومسكه يقوي البصر، وينشف الرطوبات، ويقوي القلب والدماغ، ويجلو بياض العين وينفع من الخفقان. وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث تصفير الوجه. ومن خواص المسك أن استعماله في الطعام يورث البخر.

فصل: المسك حار يابس، وأجوده الصفدي المجلوب من تبت، إلّا أنه يضر بالأدمغة الحارة. ودفع ضرره استعماله بالكافور. وتوافق رائحته الأمزجة الباردة والشيوخ. قال الرازي: لحم الظبي حار يابس، وهو أصلح لحوم الصيد وأجوده الخشف. وهو نافع للقولنج والفالج والأبدان الكثيرة الفضول، لكنه يجفف الأعضاء ويدفع ضرره الأدهان والحوامض، وهو يولد دماً حاراً وأصلح ما أكل في الشتاء.

فائدة: نوافج التبتي نوع رقاق والجرجاري ضده في الرقة والرائحة، والقينوي متوسط بينهما، والصنوبري دون ذلك. ويجلب في قوارير متفرقاً في نوافجه، وكلما بعد حيوانه عن البحر كان مسكه ألذ وأذكى.

التعبير: الظبي في المنام امرأة حسناء عربية، فمن رأى أن يملك ظبية بصيد، فإنه يملك جارية بمكر وخديعة، أو يتزوج امرأة. ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية. ومن رمى ظبية لغير الصيد، فإنه يقذف امرأة. ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد، نال مالاً من امرأة. ومن رأى أنه صاد ظبياً أصابته لذاذة في الدنيا، ومن رأى أنه أخذ ظبياً نال ميراثاً وخيراً كثيراً. ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة. ومن رأى ظبياً وثب عليه، فإن امرأته تعصيه في جميع أموره. وقال

---

(١) المستقصى: ١/٩. (٢) جمهرة الأمثال: ١/٢١١.

جاماسب: من رأى أنه يمشي في أثر ظبي، زادت قوته، ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها، فهي أموال من قبل النساء.

خاتمة: المسك في المنام حبيب أو جارية، ومن حمل المسك من اللصوص، فإنه يمسك لأن الرائحة الذكية تنم على صاحبها وحاملها وتفشي سره، ويدل أيضاً على المال، لأنه أكثر ثمناً من الذهب وغيره، ويدل على طيب عيش وخير طيب يرد على من شمه أو ملكه ويدل على براءة المتهمين. وقيل: هو ولد وقيل هو امرأة والله تعالى أعلم.

فائدة: رأيت في مختصر الإحياء، للشيخ شرف الدين بن يونس شارح التنبيه، في باب الاخلاص، أن من أخلص لله تعالى في العمل، ولم ينوبه مقابلاً، ظهرت آثار بركته عليه، وعلى عقبه إلى يوم القيامة. كما قيل: إنه لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض، جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره، فكان يدعو لكل جنس بما يليق به. فجاءته طائفة من الظباء، فدعا لهن ومسح على ظهورهن، فظهر فيهن نوافج المسك، فلما رأى بواقيها ذلك، قلن: من أين هذا لكن؟ فقلن: زرنا صفي الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا، فمضى البواقي إليه فدعا لهن، ومسح على ظهورهن، فلم يظهر بهن من ذلك شيء. فقلن: قد فعلنا كما فعلتن فلم نر شيئاً مما حصل لكن، فقيل: أنتن كان عملكن لتنلن كما نال إخوانكن. وأولئك كان عملهن لله من غير شيء فظهر ذلك في نسلهن وعقبهن إلى يوم القيامة انتهى. وهذه من زياداته على الإحياء، وقد تكلمنا على الإخلاص والرياء، في كتاب الجوهر الفريد، في الجزء الرابع فلينظر هناك.

الظربان: بفتح الظاء المشالة مثل القطران، دويبة فوق جرو الكلب، منتنة الريح كثيرة الفسو، وقد عرف الظربان ذلك من نفسه فجعل ذلك سلاحاً له، كما عرفت الحبارى ما في سلحها من السلاح، إذا قرب الصقر منها. كذلك الظربان يقصد جحر الضب، وفيه حسوله وبيضه، فيأتي أضيق موضع فيه فيسده بذنبه ويحول دبره إليه، فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب، فيأكله ثم يقيم في جحره، حتى يأتي على آخر حسوله. وتزعم الأعراب أنها تفسو في ثوب أحدهم، إذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب.

فائدة: سأل أبو علي الفارسي(١) الطبيب، أحمد بن الحسين المتنبيء(٢) الشاعر، وكان مكثراً من نقل اللغة، هل لنا في الجمع على وزن فعلى؟ فقال في الحال: حجلى وظربى. قال أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال، فلم أجد لهما ثالثاً. وقد تقدم هذا في باب الحاء المهملة. والظربان على قدر الهرة والكلب القلطي، وهو منتن الريح ظاهراً أو باطناً، له صماخان بغير أذنين قصير اليدين، وفيهما براثن حداد، طويل الذنب ليس لظهره فقار، ولا فيه مفصل بل عظم واحد من مفصل الرأس إلى مفصل الذنب. وربما ظفر الناس به، فيضربونه بالسيوف، فلا تعمل فيه حتى تصيب طرف أنفه، لأن جلده مثل القد في الصلابة. ومن عادته أنه إذا رأى الثعبان دنا منه

---

(١) الفارسي: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الفارسي الأصل، أبو علي، إمام في العربية والنحو، له تصانيف كثيرة في العربية وغيرها. مات سنة ٣٧٧ هـ.

(٢) المتنبي: أحمد بن الحسين الجعفي شاعر عصره، مات مقتولاً سنة ٣٥٤ هـ.

ووثب عليه، فإذا أخذه تضاءل في الطول، حتى يبقى شبيهاً بقطعة حبل، فينطوي الثعبان عليه، فإذا انطوى عليه، نفخ ثم زفر زفرة يتقطع منها الثعبان قطعاً قطعاً، وله قوة في تسلق الحيطان في طلب الطير. فإذا سقط نفخ بطنه، فلا يضره السقوط، ويتوسط الهجمة من الإبل، فيفسو فيها فتتفرق تلك الإبل، كتفرقها من مبرك فيه قردان، فلا يردها الراعي إلا بجهد. ولهذا سمته العرب مفرق النعم وهو كثير ببلاد العرب والهجمة مائة من الإبل.

وحكمه: تحريم الأكل، لاستخباثه ولا يدفع ذلك قول ابن قتيبة: العرب تصيد الظربان فيفسو في أكمامهم لأنهم لا يسمون صيداً إلا المأكول.

الأمثال: قالوا: «فسا بينهم الظربان»[1] إذا تقاطع القوم. قال الشاعر:

ألا أبلغا قيساً وجندبَ أنني ... ضربتُ كثيراً مضربَ الظربانِ

الظليم: ذكر النعام، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب النون وكنيته أبو البيض وأبو ثلاثين وأبو الصحاري وجمعه ظلمان كوليد وولدان قال زهير:

من الظلمان جؤجؤه هواء

وقال تعالى: ﴿ويطوفُ عليهم ولدانٌ مخلدون﴾[2] ونظيرهما قضيب وقضبان وعريض وعرضان وفصيل وفصلان. ذكر سيبويه هذه الألفاظ سوى الولدان. وقال: إنه قليل. وحكى غيره القري وهو مجرى الماء والجمع قريان وسرى وسريان وصبي وصبيان وخصي وخصيان.

خاتمة: يقال: عار الظليم يعار عراراً، بكسر العين المهملة، وهو صوته قال ابن خلكان، وغيره: ومنه أخذ اسم عرار وهو عِرار بن عمرو[3] بن شاس الأسدي الذي قال[4] فيه أبوه:

أرادتْ عِراراً بالهوانِ ومن يُرد ... عِراراً لعمري بالهوانِ فقد ظلمْ
فإنْ عراراً إن يكن غير واضح ... فإني أحبُّ الجونَ ذا المنكب العمم

وكان والده له امرأة من قومه، وابنه عرار هذا كان من أمة، وكان قد وقع بين عرار وبين امرأة أبيه عداوة، فاجتهد أبوه عمرو على أن يصلح بينه وبين امرأته، فلم يمكنه فطلقها، ثم ندم وكان عِرار فصيحاً عاقلاً، توجه عن المهلّب بن أبي صفرة[5] إلى الحجاج بن يوسف الثقفي[6] رسولاً في بعض المهمات، فلما مثل بين يديه لم يعرفه وازدراه، فلما استنطقه أبان عن فضل وأعرب إلى أن

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/ ١٨٠. (٢) سورة الواقعة: آية ١٧.
(٣) عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي أبو عِرار، شاعر مخضرم أدرك الإسلام وأسلم. توفي سنة ٢٠ هـ.
(٤) وفيات الأعيان ٤/ ٤١٨.
(٥) المهلّب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد، أمير بطّاش كريم ولي البصرة لمصعب بن الزبير، قاتل الأزارقة وظفر بهم، ثم تولى خراسان لعبد الملك بن مروان ومات فيها سنة ٨٣ هـ.
(٦) الحجّاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد سفّاك. قاتل ابن الزبير وقضى على خلافته وأخذ العراق بالشدة والعنف أيام عبد الملك بن مروان. مات سنة ٩٥ هـ. الأبيات في وفيات الأعيان ٤/ ٤١٨.

بلغ الغاية فأنشد الحجاج متمثلاً:

أرادت عـراراً بـالهـوان ومن يـرد عـراراً لعمـري بـالهوان فقـد ظلم

فقال عرار: أيدك الله أنا عرار، فأعجب به.

وبذلك الاتفاق قلت: وهذه الحكاية نظير ما رواه الدينوري في المجالسة، وقال الحريري في الدرة: إن عبيد بن شرية الجرهمي، عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم، ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشأم، وهو خليفة، فقال له: حدثني بأعجب ما رأيت، قال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم، فلما انتبهت إليهم، اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول[1] الشاعر:

يـا قلبُ إنـك من أسـماءَ مغـرورُ فـاذكـر وهـل ينفعَنـك اليـومَ تـذكـيرُ
قـد بحتَ بالحبِ مـا تخفيه من أحـدٍ حتى جـرت لـك إطـلاقـاً محـاضـير
فلست تـدري ومـا تـدري أعـاجلهـا أدنى لـرشـدك أم مـا فيـه تـأخـير
فـاستقـدرِ الله خيـراً وارضَـينَ بـه فـبينـما العسرُ إذا دارتْ ميـاسـير
وبينـما المـرءُ في الأحيـاءِ مغـتبطٌ إذ هـو الـرمسُ تعفـوه الأعـاصير[2]
يبكي الغـريبُ عليـه ليس يعـرفـه وذو قـرابـتِـه في الحـي مسرورُ

قال: فقال لي رجل: أتعرف من يقول هذه الأبيات؟ قلت: لا والله إلا أني أرويها منذ زمان. فقال: والذي تحلف به، إن قائلها صاحبنا الذي دفناه آنفاً الساعة، وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره أمس الناس به رحماً، وهو أسرهم بموته كما وصف. فعجبت لما ذكره من شعره، والذي صار إليه من قوله، كأنه ينظر من مكانه إلى جنازته. فقلت: «إن البلاء موكل بالمنطق»[3]، فذهبت مثلاً. فقال له معاوية: لقد رأيت عجباً! فمن الميت؟ قال: هو عثير بن لبيد العذري.

باب العين المهملة

العاتق: قال الجوهري: هو فرخ الطائر فوق الناهض، يقال أخذت فرخ قطاة عـاتقاً، وذلك إذا طار واستقل. قال أبو عبيدة: نرى أنه من السبق، كأنه يعتق، أي يسبق انتهى. وقال ابن سيده: العاتق الناهض من فرخ القطا، وهو أول ما ينحسر ريشه الأول، وينبت له ريش جديد. وقيل: العاتق من الحمام، ما لم يسن ويستحكم. والجمع عواتق، والفرس العتيق الرائع الكريم. وامرأة عتيقة أي جميلة كريمة. وفي صحيح البخاري، عن ابن مسعود أنه كان يقول في سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء، «أنهن من العتاق الأول، وهو من تلادي». أراد بالعتاق جمع عتيق. والعرب تسمي كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقاً، يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء، وأخبار الأمم. والتلاد ما كان قديماً من المال، يريد

(١) الأبيات في وفيات الأعيان ٤/٤١٧.
(٢) الرمس: القبر.
(٣) مجمع الأمثال: ١/١٧ وأول من قاله أبو بكر الصديق.

أنها من أوائل السور المنزلة في أول الإسلام، لأنها مكية وأنها من أول ما قرىء وحفظ من القران.

العاتك: الفرس والجمع العواتك قال الشاعر:

نُتبعُهم خيلاً لنا عَواتكا في الحربِ جرداً تركبُ المهالكا

فائدة: روى عبد الباقي بن قانع في معجمه، والحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي من حديث سيانة بن عاصم، وسيانة بسين مهملة ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف نون ثم هاء، له صحبة أن النبي ﷺ قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك من سليم». العواتك ثلاث نسوة من بني سليم، كن من أمهات النبي ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان السلمية، وهي أم عبد مناف بن قصي، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن الفالج السلمية، وهي أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية، وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ. فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة. وبنو سليم تفخر بهذه الولادة، ولبني سليم مفاخر أخرى: منها أنها آلفت مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، أي شهد معه منهم ألف. وأن رسول الله ﷺ قدم لواءهم يومئذ على الألوية، وكان أحمر.

ومنها أن عمر رضي الله تعالى عنه كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام، أن ابعثوا إلي من كل بلد أفضله رجلاً. فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمي، وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمي، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمي، وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمي. كذا قاله جماعة. والصواب أن بني سليم، كانوا يوم الفتح تسعمائة فقال لهم النبي ﷺ: «هل لكم في رجل يعدل مائة فيوفيكم ألفاً؟» قالوا: نعم فوفاهم بالضحاك بن سفيان، وكان رئيسهم، وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس عيلان.

عتاق الطير: هي الجوارح. قاله الجوهري.

العتلة: هي الناقة التي لا تلقح، فهي أبداً قوية قاله أبو نصر. وسيأتي إن شاء الله تعالى لفظ الناقة في باب النون.

العاضة والعاضهة: حية يموت الذي تلسعه من ساعته، وقد تقدم لفظ الحية في باب الحاء المهملة.

العاسل: الذئب، والجمع العسل والعواسل والأنثى عسلى، وقد تقدم لفظ الذئب في باب الذال المعجمة.

العاطوس: دابة يتشاءم بها وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرها في باب الفاء في الفاعوس.

العافية: كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر، مأخوذ من عفوته إذا أتيته تطلب معروفه.

فائدة: في الحديث(1): «من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وما أكلت العافية منها فهو له

---

(1) رواه البخاري في الحرث ١٥. وأبو داود: إمارة ٣٧.

صدقة». وفي رواية العوافي وهي جمع عافية، رواه النسائي والبيهقي وصححه ابن حبان من رواية جابر بن عبد الله، وفي صحيح مسلم من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[1]: «تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي». يريد عوافي السباع والطير. «ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينقعان بغنمهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما». قال الإمام النووي: المختار ان هذا الترك للمدينة، يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة. ويوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما، حين تدركهما الساعة، وهما آخر من يحشر، كما ثبت في صحيح البخاري انتهى.

وقال القاضي عياض: هذا مما جرى في العصر الأول وانقضى، وهو من معجزاته ﷺ. فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة منها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا، أما الدين فلكثرة العلماء بها، وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها. قال: وذكر الأخباريون، في بعض الفتن التي جرت بالمدينة، وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس، وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها، قال: وحالها اليوم قويب من هذا وقد خرب أطرافها.

العائذ: بالذال المعجمة الناقة التي معها ولدها، وقيل: الناقة إذا وضعت وبعدما تضع أياماً حتى يقوى ولدها. وفي الحديث «إن قريشاً خرجت لقتال رسول الله ﷺ ومعها العوذ المطافيل[2]. وهي جمع عائذ يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمداً وأصحابه في زعمهم. ووقع في نهاية الغريب أن العوذ المطافيل يريد بها النساء والصبيان، وإنما قيل للناقة عائذ وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأنها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وإن كان مربوحاً فيها، لأنها في معنى نامية وزاكية. وكذلك عيشة راضية لأنها في معنى صالحة.

العبقص والعبقوص: دويبة قاله ابن سيده.

العبور: الجذعة من الغنم أو أصغر، وعين اللحياني ذلك للصغير، فقال: هي بعد الفطم والجمع عبائر قاله ابن سيده أيضاً.

العترفان: بضم العين الديك وقد تقدم لفظ الديك في باب الدال المهملة. قال عدي بن زيد[3]:

ثـلاثـةُ أحـوالٍ وشهـراً محـرمـاً ... أقضى كعـينِ العـترفـانِ المحـاربِ

العتود: بفتح العين: الصغير من أولاد المعز إذا قوي ورعى وأتى عليه حول، والجمع أعتدة وعدان أصله عتدان، فأدغم. روى مسلم عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ «أعطاه غنماً

---

(١) رواه البخاري: مدينة ٥. (٢) رواه البخاري: شروط ١٥. وابن حنبل ٤ ـ ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ـ ٣٢٩.
(٣) عدي بن زيد بن حمّاد بن التميمي، شاعر من الدهاة، جاهلي، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى.

يقسمها بين أصحابه فبقي عتود، فقال: ضح به أنت»[1]، قال البيهقي، وسائر أصحابنا: كانت هذه رخصة لعقبة بن عامر خاصة كأبي بردة هانىء بن نيار البلوي. وروى البيهقي أن النبي ﷺ، قال لعقبة بن عامر: «ضح بها أنت ولا رخصة لأحد فيها بعدك». وفي سنن أبي داود، أن النبي ﷺ «رخص في مثل ذلك لزيد بن خالد»[2]، فالذين خصوا بذلك ثلاثة: أبو بردة وعقبة بن عامر وزيد بن خالد.

العثة: ضم العين وتشديد الثاء المثلثة دويبة تلحس الثياب والصوف. والجمع عث وعثث، وأكثر ما تكون في الصوف. وقال في المحكم: هي دويبة تعلق بالإهاب تأكله. هذا قول ابن الأعرابي. وقال ابن دريد: العث بغير هاء دويبة تقع في الصوف، فدل هذا على أن الجمع عث. وقال ابن قتيبة: إنها دويبة تأكل الأديم، وغاير بينها وبين الأرضة، وقال الجوهري: العثة السوسة التي تلحس الصوف.

وحكمها: تحريم الأكل.

الأمثال: قالوا: «عثيثة تقرم جلداً أملس»[3] يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في الشيء فلا يقدر عليه. قاله الأحنف بن قيس[4] لحارثة بن زيد، لما طلب من علي رضي الله تعالى عنه أن يدخله في الحكومة. وفي الفائق أن الأحنف قاله لرجل هجاه كما قيل:

فإنْ تشتمونا على لومكم ... فقد تقرمُ العثُّ مُلسَ الأدم

العثمثمة: الشديدة من النوق والذكر عثمثم والعثمثم الأسد. قاله الجوهري، قال: ويقال ذلك من ثقل وطئه قال الراجز:

خبعثن مشيته عثمثم

العثمان: بضم العين وإسكان الثاء المثلثة وبالميم والنون بينهما ألف، فرخ الحبارى وفرخ الثعبان والحية أو فرخها.

العثوثج: بثاءين مثلثتين مفتوحتين بينهما واو وأوله عين وآخره جيم، البعير الضخم.

العجروف: بضم العين، دويبة ذات قوائم طوال، وقيل: هي النملة الطويلة الأرجل.

العجل: ولد البقرة، والجمع العجاجيل، والأنثى عجلة وبقرة معجل، أي ذات عجل.

فائدة: قيل: سمي عجلاً لاستعجال بني إسرائيل عبادته، وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوماً، فعوقبوا في التيه أربعين سنة، فجعل الله كل سنة في مقابلة يوم. وروى أبو منصور الديلمي، في مسند الفردوس، من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «لكل أمة عجل

---

(١) رواه البخاري وكالة ١، أضاحي ٧، شركة ١٢. ومسلم أضاحي ١٥، والترمذي أضاحي ٧.

(٢) رواه أبو داود أضاحي ٤، وابن حنبل ٥. (٣) جمهرة الأمثال: ٤٨/٢.

(٤) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري، سيد تميم، يضرب به المثل في الحلم. مات سنة ٧٢ هـ.

وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم». قال حجة الإسلام الغزالي: وكان أصل عجل قوم موسى، من حلية الذهب والفضة. وقال الجوهري: قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿عجلاً جسداً﴾[1] أي من ذهب أحمر انتهى.

والسبب في عبادة بني إسرائيل العجل، أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله تعالى له ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فلما عبر بهم البحر في يوم عاشوراء، بعد مهلك فرعون، وقومه، مروا على قوم لهم أوثان يعبدونها من دون الله تعالى. على تماثيل البقر، قال ابن جريج: وكان ذلك أول شأن العجل، فقال بنو إسرائيل لما رأوا ذلك: يا موسى اجعل لنا إلهاً أي تمثالاً نعبده كما لهم آلهة. ولم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى. وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله، وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة، وكان ذلك لشدة جهلهم. كما قال تعالى: ﴿إنكم قومٌ تجهلون﴾[2] وكان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل، وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون. فلما فعل الله ذلك لهم، سأل موسى ربه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوماً، فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فمه، فاستاك بعود خروب، وقيل: أكل من لحاء شجرة، فقالت له الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك، فأتمها بعشر، فلما مضت ثلاثون، كانت فتنتهم في العشر التي زادها.

وكان السامري من قوم يعبدون البقر، وكان قد أظهر الإسلام، وفي قلبه من حب عبادة البقر شيء، فابتلى الله به بني إسرائيل، فقال لهم السامري، واسمه موسى بن ظفر: ائتوني بحلي بني إسرائيل، فجمعوا له، فاتخذ لهم منه عجلاً جسداً، له خوار، وألقى في فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل، فتحول عجلاً جسداً لحماً ودماً له خوار وهو صوت البقر. كذا قاله ابن عباس والحسن وقتادة، وأكثر أهل التفسير، وهو الأصح كما في البغوي وغيره. وقيل: كان جسداً مجسداً من ذهب لا روح فيه، وكان يسمع منه صوت. وقيل: إنه ما خار إلا مرة واحدة، فعكف عليه القوم للعبادة، من دون الله تعالى، يرقصون حوله ويتواجدون. وقيل إنه كان يخور كثيراً، كلما خار سجدوا له، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم، وقال وهب: كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك. وقال السدي: كان يخور ويمشي، والجسد بدن الإنسان، ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية جسد وقد يقال للجن أجساد، فكان عجل بني إسرائيل جسداً يصيح، كما تقدم. ولا يأكل ولا يشرب، قال الله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾[3] أي حب العجل. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فجاءَ بعجلٍ سمينٍ﴾[4] قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر. واختار سميناً زيادة في إكرامهم. وقال القرطبي: العجل في بعض اللغات الشاة، ذكره القشيري.

وكان عليه الصلاة والسلام مضيافاً، وحسبك أنه وقف للضيافة أوقافاً تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها. قال عون بن شداد: مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه، فقام مسرعاً حتى لحق بأمه.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٨.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٣٨.
(٣) سورة البقرة: آية ٩٣.
(٤) سورة الذاريات: آية ٢٦.

ومما يحكى من محاسن القاضي محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة، ووفاته سنة ثلاثين وثلثمائة أن العباس بن المعلى الكاتب، كتب إليه: ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية، فولدت ولداً، جسمه للبشر ووجهه للبقر، وقد قبض عليهما فما يرى القاضي فيهما؟ فكتب الجواب بديهاً: هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود فإنهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الرأس مع الرجل ويسحبا على الأرض، ويُنادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام.

فائدة أخرى: نقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي رحمهما الله تعالى، أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤون شيئاً من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر، فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فأجاب مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر كلامه.

قلت: وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا، وهو أنه قال: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً، له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل. وإنما كان مجلس النبي ﷺ مع أصحابه، «كأنما على رؤوسهم الطير»[1] من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين.

فائدة أخرى: روي أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له، سواه، فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحوله إلى قرية أخرى، فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب بثأره، وجاء بناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام فادعى عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك، فدعا الله، فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة.

وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح، وله طفل له عجلة، فأتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر، ومات الرجل. فصارت العجلة في الغيضة عواناً، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن، وكان باراً بأمه، كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث: يصلي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، وكان إذا أصبح، انطلق فاحتطب على ظهره، وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي أمه ثلثه. فقالت أمه له يوماً: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا وكذا، فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك. وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها.

---

(١) رواه البخاري جهاد ٣٧. وأبو داود طب ١، سنة ٢٤. أنظر أيضاً. جمهرة الأمثال ٢/ ١٢١.

فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن تأتي، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وأقبل يقودها، فتكلمت العجلة بإذن الله تعالى وقالت: أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت خذ بعنقها. فقالت: وإله بني إسرائيل لو ركبتني لما قدرت علي أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله، وينطلق معك لفعل، لبرك بأمك. فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك، ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة إذا ذاك ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله إليه ملكاً ليري خلقَه قدرتَه، وليختبر الفتى كيف بره بوالدته، وكان الله عليماً خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي، فقال له الملك: فإني أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك! فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا والدتي! ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت له: ارجع وبعها بستة دنانير، على رضا مني، فانطلق بها إلى السوق فأتاه الملك فقال له: استأمرت أمك؟ فقال له الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها، فقال له الملك: فإني أعطيك اثني عشر ديناراً، على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى ورجع إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت له: إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليجربك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بني إسرائيل، فلا تبيعيها إلا بملء مسكها ذهباً، أي جلدها دنانير، فأمسكوها. وقدر الله عز وجل، على بني إسرائيل، ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه، فضلاً منه ورحمة فمازالوا يستوصفون، حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها.

واختلف العلماء في لونها فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شديدة الصفرة، وقال قتادة: لونها صاف، وقال الحسن البصري: الصفراء السوداء. والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع، وإنما يقال أصفر فاقع، وأسود حالك، وأحمر قان، وأخضر ناضر، وأبيض يقق، للمبالغة. فلما ذبحوها، أمرهم الله أن يضربوا القتيل ببعضها، واختلف في ذلك البعض فقال ابن عباس وجمهور المفسرين: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقبل. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: بعجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق. وقال الضحاك: بلسانها لأنه آلة الكلام، وقال عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن. وقيل: بعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك، فقام القتيل حياً بإذن الله تعالى، وأوداجه تشخب دماً وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه، فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة واسم القتيل عاميل. قاله البغوي وغيره.

قال الزمخشري وغيره: روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة، فأتى بها الغيضة، وقال: اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر، فكبر الولد وكان باراً بأمه، فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهباً. وكانت البقرة إذ ذاك

بثلاثة دنانير.

وذكر الزمخشري وغيره أن بني إسرائيل، كانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو اعترضوا أي بقرة كانت فذبحوها لكفتهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم».

وعن بعض الخلفاء، أنه كتب إلى عامله، أن يذهب إلى قوم، فيقطع أشجارهم، ويهدم دورهم، فكتب إليه: بأيهما أبدأ؟ فقال: إن قلت لك بقطع الشجر، سألتني بأي نوع منها أبدأ.

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه كتب إلى عامله قال: إذا أمرتك أن تعطي فلاناً شاة، سألتني أضأن أم معز؟ فإن بينت لك، قلت: أذكر أم أنثى؟ فإن أخبرتك قلت: أسوداء أم بيضاء؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني فيه.

تتمة: فيما يتعلق بهذه الفائدة من الأحكام، إذا وجد قتيل في مكان، ولم يعرف قاتله، فإن كان ثم لوث على إنسان، واللوث ما يغلب على القلب صدق المدعي، بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء، ثم تفرقوا عن قتيل، يغلب على الظن أن القاتل منهم، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء القتيل، لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على القلب أنهم قتلوه وادعى الولي فيحلف المدعي خمسين يميناً، على من يدعي عليه، فإن كان الأولياء جماعة، توزع الأيمان عليهم، ثم بعد الأيمان تؤخذ الدية من عاقلة المدعى عليه، إن ادعى عليه قتل خطأ. وإن ادعى عليه قتل عمد، فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين.

وقال عمر بن عبد العزيز: يجب القود، وبه قال مالك وأحمد. وإن لم يكن ثم لوث، فالقول قول المدعى عليه مع يمينه، وهل يحلف يميناً واحدة أم خمسين يميناً؟ قولان أحدهما يميناً واحدة كما في سائر الدعاوى، والثاني خمسين يميناً تغليظاً لأمر الدم. وعند أبي حنيفة لا حكم للوث، ولا يبتدأ بيمين المدعي، بل إذا وجد قتيل في محلة أو قرية، يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها ويحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها. والدليل على البداءة بيمين المدعي، عند وجود اللوث، ما روى الشافعي عن سهل بن أبي خيثمة، أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا لخيبر فتفرقا لحاجتهما، فقتل عبد الله بن سهل، فانطلق محيصة بن مسعود وعبد الرحمن أخو القتيل، وحويصة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فذكروا له قتل عبد الله بن سهل، فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يميناً وتستحقون دم صاحبكم»(١) فقالوا: يا رسول الله وكيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فزعم أن النبي ﷺ عقله من عنده.

قال البغوي، في معالم التنزيل: وجه الدليل من الحديث أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين لقوة جانبهم باللوث، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلاً في خيبر، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وبين أهل خيبر، وكان يغلب على الظن أنهم قتلوه. واليمين أبداً تكون حجة لمن يقوي جانبه،

---

(١) رواه البخاري: جزية ١٢، مناقب الأنصار ٢٧، ومسلم: قسامة ١، ٣، ٦.

وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه حيث إن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه انتهى.

الخواص: قال القزويني: خصية العجل تجفف وتشرب بعد حرقها تهيج الباه وتعين على كثرة الجماع حتى يرى عجباً، وقضيب العجل إذا جفف وأجيد سحقه واستف منه إنسان وزن درهم، فإنه يمكن الشيخ العاجز من افتضاض البكر. فإن سحق وألقي على البيض النيمرشت، وتحسى منه فإنه يزيد في الباه زيادة لم ير مثلها. وقال غيره: خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقة تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع، وقضيبه إذا أحرق وسحق وشرب نفع من وجع الأسنان. وإذا شرب مع السكنجبين منع الطحال.

التعبير: العجل في المنام ولد ذكر. وإذا كان مشوياً فهو أمن من الخوف، لقصة إبراهيم ﷺ قال تعالى: ﴿فما لبثَ أنْ جاءَ بعجلٍ حنيذ﴾[1] إلى قوله ﴿لا تخف﴾.

خاتمة: بنو عجل قبيلة كبيرة من العرب شهيرة، ينسبون إلى عجل بن لجيم، بضم اللام وفتح الجيم، وكان عجل المذكور يعد من الحمقى من أجل أنه كان له فرس جواد، فقيل له: إن لكل فرس جواد اسماً، فما اسم فرسك؟ فقال: لم اسمه بعد، فقيل له: سمه ففقأ إحدى عينيه، ثم قال: سميته الأعور، وفيه قال[2] بعض شعراء العرب:

رمتني بنو عجلٍ بداءِ أبيهم ... وهل أحدٌ في الناسِ أحمقُ من عجلِ
أليس أبوهم عارَ عينَ جوادِهِ ... فسارتْ به الأمثالُ في الناسِ بالجهلِ

يقال عار عينه بالمهملة إذا فقأها.

العجمجمة: الشديدة من النوق. قال الجوهري: مثل العثمثمة، وأنشد:

بات يباري ورشاتٍ كالقطا ... عجمجماتٍ خشفا تحت السّرى

أم عَجلان: طائر معروف قاله الجوهري.

العجوز: الأرنب والأسد والبقر والثور والذئب والذئبة والرخم والرمكة والضبع وعانة الوحش والعقرب والفرس والكلب.

عدس: البغل. سموه بزجره قال الشاعر:

إذا حملت بزتي على عدسْ ... على الذي بين الحمارِ والفرسْ
فما أبالي من عدا ومن جلس

وعدس زجر البغل. قال يزيد بن مُفرِّغ[3]:

---

(١) سورة هود: آية ٦٩.
(٢) وفيات الأعيان ١/٢٠٩ دون عزو.
(٣) يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بمفرغ الحميري، أبو عثمان، شاعر غزل، وهجّاء مقذع، توفي سنة ٦٩ هـ. والبيت في الأغاني مع ترجمته ١٨/٢٧٠.

عَـدَسْ مـا لعبّـادٍ عـليـكِ إمـارةٌ نـجـوتِ وهــذا تحـمـلين طـليــقُ

العذفوط: بالضم دويبة بيضاء ناعمة يشبه بها أصابع الجواري.

العربج: كلب الصيد كذا قاله في المداخل.

عرار: مثل قطام، اسم بقرة، وفي المثل «باءت عرار بكحل». وهما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً.

العريض: الجدي. كذا قاله في المداخل. وقد تقدم لفظ الجدي في باب الجيم.

العسجدية: ركاب الملوك، قال الجوهري: وهي إبل كانت تزين للنعمان.

العربد: مثال سلفد، ملحق بجرد حل، حية تنفخ ولا تؤذي. وقد تقدم ذكرها في الحيات، والعربدة سوء الخلق. وقولهم رجل معربد مأخوذ من هذا، قاله ابن قتيبة وغيره.

العربض والعرباض: البقر القوي الكلكل قاله ابن سيده.

العرس: لبوة الأسد والجمع أعراس، قال مالك بن خويلد الخناعي:

ليثٌ هــزبــرٌ مــدل عنــد خيستــه بــالــرقمتــين لــه أجــرٌ وأعــراسُ

العريقصة: بالصاد المهملة دويبة عريضة كالجعل.

العريقطة والعريقطان: بالطاء المهملة دويبة عريضة.

العزة: بالفتح بنت الطيبة، وبها سميت المرأة عزة. قاله الجوهري.

العسا: بفتح العين المهملة، الأنثى من الجراد، وقد تقدم لفظ الجراد في باب الجيم.

العساعس: بفتح العين القنافذ الكبيرة سميت بذلك لكثرة ترددها في الليل.

العساس: الذئب وقد تقدم في باب الدال المعجمة.

العساهيل: الإبل المهزولة الواحدة عسهول.

العسبار: بكسر العين وبالسين الساكنة، والأنثى عسبارة ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر.

وحكمه: تحريم الأكل، لأنه متولد بين مأكول وغير مأكول.

العسبور: ولد الكلب من الذئبة. والعسبار ولد الذئب، أو ولد الضبع من الذئب كما تقدم. قال الجوهري في ع و ل قال الكميت[1]:

---

(١) الكُمَيْت بن زيد الأسدي، من شعراء العصر الأموي، عاش في الكوفة ومدح الهاشميين. توفي سنة ١٢٦ هـ.

كما خامرتْ في حضنها أمُّ عامرٍ لذي الحبلِ حتى عال أوسُ عيالَها(١)

أشار بذلك إلى أن الضبع إذا صيدت، ولها ولد من الذئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر، وقد تقدم ذلك في لفظ أوس.

العسلق: كل سبع جريء، والعسلق الظليم، وقيل الثعلب، حكاه ابن سيده.

العسنج: كعملس الظليم أيضاً، وقد تقدم لفظ الظليم في باب الظاء المشالة المعجمة.

العشراء: الناقة التي أتى عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر، وزال عنها اسم المخاض، ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعدما تضع أيضاً، يقال: ناقتان عشراوان، ونوق عشار، وليس في الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء جمع على عشار، ونفساء جمع على نفاس.

فائدة: قال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان، في كتاب المستغيثين بخير الأنام: حديث حنين الجذع الذي كان يخطب إليه النبي ﷺ، حنين العشار. متواتر، رواه من أصحاب النبي ﷺ العدد الكثير، والجم الغفير. منهم جابر بن عبد الله، وابن عمرو من طريقهما أخرجه البخاري، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وسهل بن سعد الساعدي، وأبو سعيد الخدري، وبريدة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة. قال جابر في حديثه: فصاحت الخشبة صياح الصبي، فضمها إليه. وفي حديثه أيضاً: «سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار»(٢). وفي رواية ابن عمر، رضي الله تعالى عنهما، «فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه فمسح بيده عليه»(٣). وفي بعض الروايات: «والذي نفسي بيده، لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة»، تحزناً على رسول الله ﷺ. وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث، بكى وقال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه، وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. ونظم صالح الشافعي في ذلك فقال:

وحنَّ إليه الجذعُ شوقاً ورقةً ورجعَ صوتاً كالعشارِ مرددا
فبادره ضماً فقر لوقته لكلِّ امرىءٍ من دهرِه ما تعوّدا

وحنين الجذع إليه، وتسليم الحجر عليه، لم يثبت لواحد من الأنبياء إلا له ﷺ.

العصاري: بضم العين وفتح الصاد المهملة والراء في آخره بعدها ياء مثناة من تحت نوع من الجراد أسود شبيه بالخنافس.

وحكمه: حل الأكل. حكى أبو عاصم العبادي، عن أبي طاهر الزيادي، أنه قال: كنا

(١) البيت في الحيوان للجاحظ ١/١٩٨.
(٢) رواه البخاري: جمعة ٢٦، مناقب ٢٥.
(٣) رواه البخاري: مناقب ٢٥. والترمذي: جمعة ١٠.

نراه حراماً ونفتي بتحريمه، حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسَرجِسي[١]، فقال: إنه حلال فبعثنا منه جراباً للبادية، وسألنا عنه العرب؟ فقالوا: هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه.

العصفور: بضم العين وحكى ابن رشيق في كتاب الغرائب: والشذوذ عصفور بالفتح، والأنثى عصفورة قال الشاعر:

كعصفورة في كفِّ طفلٍ يسومُها حياضَ الردى والطفلُ يلهو ويلعبُ

وكنيته أبو الصعو وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب. قال حمزة: سمي عصفوراً لأنه عصى وفر. وهو أنواع: منها ما يطرب بصوته ويعجب بصوته وحسنه وسيأتي إن شاء الله تعالى. والعصفور الصرار، وهو الذي يجيب إذا دعى، من الصيرورة. وعصفور الجنة وهو الخطاف، وقد تقدم ذكرهما في بابيهما. وأما العصفور الدوري البيوتي، فإن في طباعه اختلافاً، وذلك أن فيه من طبائع السباع، وهو أكل اللحم، ولا يزق فراخه ومن البهائم أنه ليس بذي مخلب ولا منسر، وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابرة، وسائر أنواع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين، ويأكل الحب والبقول. ويتميز الذكر منها بلحية سوداء كما للرجل والتيس والديك. وليس في الأرض طائر من سبع ولا بهيمة أحنى من العصفور على ولده، ولا أشد له عشقاً، وذلك مشاهد عند أخذ فراخها. ووكره في العمران تحت السقوف خوفاً من الجوارح، وإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها، فإذا عادوا إليها عادت العصافير. والعصفور لا يعرف المشي، إنما يثب وثباً. وهو كثير السفاد، فربما سفد في الساعة الواحدة مائة مرة، ولذلك قصر عمره فإنه لا يعيش في الغالب أكثر من سنة. ولفرخه تدرب على الطيران، حتى إنه يدعى فيجيب. قال الجاحظ: بلغني أنه رجع من فرسخ.

ومن أنواعه عصفور الشوك، وأكثر مأواه السياج. وزعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوة، لأن الحمار إذا كان به دبر، حكه في الشوك الذي يأوي إليه هذا العصفور فيقتله. وربما نهق الحمار، فتسقط فراخه أو بيضه من جوف وكره، فلذلك هذا العصفور، إذا رأى الحمار رفرف فوق رأسه، وعلى عينيه وآذاه بطيرانه وصياحه.

ومن أنواعه: القبرة وستأتي إن شاء الله تعالى، في باب القاف. ومن أنواعه حسون، وقد تقدم في باب الحاء، والبلبل والصعو والحمرة والعندليب والمكاكي والصافر والتنوط والوصع والبراقش والقبعة، وكلها في أماكنها مذكورة.

وفي الأذكياء لابن الجوزي، أن رجلاً رمى عصفوراً فأخطأه، فقال له رجل: أحسنت فغضب وقال: أتهزأ بي؟ قال: لا، ولكن أحسنت إلى العصفور إذا لم تصبه. ورأيت في بعض التعاليق، أن المتوكل رمى عصفوراً فلم يصبه وطار، فقال له ابن حمدان: أحسنت، فقال له

---

(٥) الماسرجِسي: أبو الحسن، محمد بن علي بن سهل بن مصلح النيسابوري، فقيه محدث شافعي، مات سنة ٣٨٤ هـ.

المتوكل: كيف أحسنت؟ قال: أحسنت إلى العصفور، ويروى عن الجنيد، أنه قال: أخبرني محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الجمال قال: فلما دخلنا البادية، وسرنا منازل، إذ بعصفور يحوم حولنا، فرفع أيوب رأسه إليه وقال له: قد جئت إلى هنا! فأخذ كسرة خبز ففتها في كفه فانحط العصفور وقعد على كفه، فأكل منها ثم صب له ماء فشربه، ثم قال له: اذهب الآن فطار العصفور، فلما كان من الغد، رجع العصفور، ففعل أيوب مثل فعله في اليوم الأول، فلم يزل كل يوم يفعل به مثل ذلك، إلى آخر السفر. ثم قال أيوب: أتدري ما قصة هذا العصفور؟ قال: لا. قال: إنه كان يجيئني في منزلي كل يوم، فكنت أفعل به في ما رأيت، فلما خرجنا تبعنا يطلب منا ما كنت أفعل به في المنزل.

روى البيهقي وابن عساكر، بسندهما إلى أبي مالك، قال: مر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله؟ قال: يخطبها لنفسه، ويقول: تزوجيني أسكنك أي قصور دمشق شئت. قال سليمان: وإنه عرف أن قصور دمشق مبنية بالصخر، لا يقدر أن يسكنها، لكن كل خاطب كذاب. وسيأتي إن شاء الله تعالى له نظير، في باب الفاء، في الفاختة، وكان سليمان عليه السلام يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها، ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها كما تقدم في باب الطاء المهملة، في الطيطوي. قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿يا أيها الناسُ علمنا منطق الطير﴾[1] وكذلك كان يعرف لغات ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات.

فائدة: روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت، حين توفي صبي من الأنصار، بين أبوين مسلمين: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال النبي ﷺ: «أو غير ذلك أن الله تعالى خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[2] ومن الناس من قدح في هذا الحديث بأنه من رواية طلحة بن يحيى وهو متكلم فيه. والصواب صحته وهو في صحيح مسلم ولكنه ﷺ نهانا عن المسارعة إلى القطع، أو أنه قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة كذا. قال بعضهم: وليس بصحيح لأن سورة الطور مكية ودلت على تبعيتهم، أو أن قطع عائشة بذلك قطع بايمان أبويه، ويحتمل أن يكونا منافقين، فيكون الصبي ابن كافرين. وروى ابن قانع، في ترجمة الشريد بن سويد الثقفي، أن النبي ﷺ قال[3]: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، فقال: يا رب عبدك قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة». وروى في حديث آخر أن رجلاً من أهل الصفة استشهد، فقالت له أمه: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة، هاجرت إلى رسول الله ﷺ، وقتلت في سبيل الله. فقال النبي ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره».

وروى البيهقي في الشعب، عن مالك بن دينار، قال: مثل قراء هذا الزمان، مثل رجل نصب فخاً، فجاء عصفور فوقع في فخه فقال: ما لي أراك مغيباً في التراب؟ قال: للتواضع،

---

(١) سورة النمل: آية ١٦.
(٢) رواه مسلم: قدر ٣٠، ٣١. والنسائي: جنائز ٥٨.
(٣) رواه النسائي: ضحايا ٤٢. وابن حنبل ٤ ـ ٣٨٩.

قال: فمم حنيت؟ قال: من طول العبادة. قال: فما هذه الحبة في فيك؟ قال: أعددتها للصائمين. فلما أمسى تناول الحبة فوقع الفخ في عنقه فخنقه. فقال العصفور: إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير في العباد اليوم. وفيه أيضاً عن الحسن، أن لقمان قال لابنه: يا بني حملت الجندل والحديد، وكل حمل ثقيل فلا أجد شيئاً أثقل من الجار السوء، وذقت المرار كله فلم أذق شيئاً أمر من الفقر، يا بني لا ترسل رسولاً جاهلاً فإن لم تجد حكيماً، فكن رسول نفسك. يا بني إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، وعما قليل يقلي صاحبه. يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تأكل شبعاً على شبع، فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله. يا بني لا تكن حلواً فتبلع، ولا مراً فتلفظ.

ورأيت في بعض المجاميع عن الحسن، أن لقمان قال لابنه: يا بني اعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك، أو راهب منك، فأما الراهب منك الخائف فأدن مجلسه وتهلل في وجهه، وإياك والغمز من ورائه، وأما الراغب فيك فاظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له، وأبدأه بالنوال قبل السؤال، فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعفي ما تعطيه. وأنشدوا على هذا:

إذا أعطيتني بسؤالِ وجهي فقد أعطيتني وأخذتَ مني

يا بني ابسط حملك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وصل أقاربك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك، لم تعبهم ولم يعيبوك ا هـ.

وقد أذكرني هذا، ما حكاه بعض أشياخي أن الاسكندر وجه رسولاً إلى بعض ملوك الشرق فعاد رسوله برسالة، شك الاسكندر في حرف منها، فقال له الاسكندر: ويحك إن الملوك لا يخاف عليها إلا إذا مالت بطانتها، وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ، بينة العبارة، غير أن فيها حرفاً ينقصها، فعلى يقين أنت منه أم شاك فيه؟ فقال الرسول: على يقين. فأمر الاسكندر أن تكتب ألفاظها حرفاً حرفاً، وتعاد إلى الملك مع رسول آخر، فتقرأ عليه وتترجم له. فلما قرىء الكتاب على الملك، مر بذلك الحرف فأنكره، فقال للمترجم: ضع يدك على هذا الحرف، فوضعها وأمر أن يقطع ذلك الحرف، فقطع من الكتاب، وكتب إلى الاسكندر رأس المملكة صحة فطنة الملك، ورأس الملك صدق لهجة رسوله، إذا كان عن لسانه ينطق، وإلى اذنه يؤدي وقد قطعت ما لم يكن من كلامي، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلاً. فلما جاء الرسول بهذا إلى الاسكندر، دعا الرسول الأول، وقال له: ما حملك على كلمة أردت بها الفساد بين ملكين؟ فأقر الرسول أن ذلك لتقصير رآه من الموجه إليه، فقال له الاسكندر: ما أراك سعيت إلا لنفسك لا لنا، فلما فاتك ما أملت، جعلت لك ثأراً في الأنفس الخطيرة الرفيعة. ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه. وقال يحيى بن خالد بن برمك: ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال: الهدية والرسول والكتاب.

وسمع أبو الأسود الدؤلي رجلاً ينشد:

إذا كنت في حاجة مرسِلاً فأرسل حكيماً ولا توصِهْ

فقال: قد أساء قائل هذا أيعلم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم ما في نفسه؟ هلا قال:

إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولاً ... فأفهمْه وأرسلْه أديبا
ولا تتركْ وصيتَه بشيءٍ ... وإنْ هو كان ذا عقلٍ أريبا
فإنْ ضيعتَ ذاك فلا تلمه ... على أن لم يكن علمَ الغيوبا

وفي تاريخ ابن خلكان وغيره من التواريخ، أن الزمخشري(١) كان مقطوع الرجل، فسُئل عن ذلك. فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله، فأفلت من يدي وأدركته وقد دخل في خرق من الجدار، فجذبته فانقطعت رجله بالخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله! فلما وصلت إلى سن الطلب، رحلت إلى بخارى لطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عملاً أوجب قطعها.

وفي الحلية للحافظ أبي نعيم، في ترجمة زين العابدين، قال أبو حمزة اليماني: كنت عند علي بن الحسين، فإذا عصافير يطرن حوله ويصرخن، فقال: يا أبا حمزة هل تدري ما تقول هذه العصافير؟ قلت: لا. قال: إنها تقدس ربها جل وعلا، وتسأله قوت يومها.

وفي الصحيحين وسنن النسائي وجامع الترمذي، من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن أبي بن كعب وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم فقال: أنا أعلم، فعتب الله تعالى عليه إذا لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إلى موسى، أن عبداً من عبادي، بمجمع البحرين هو أعلم منك»(٢).

وفي الرواية الأخرى أنه قيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا فأوحى الله تعالى إلى موسى، بل عبدنا خضر. فقال: يا رب وكيف به؟ فقال له: احمل حوتاً في مكتلك، فإذا فقدته فهو، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً في مكتل، حتى إذا كانا عند الصخرة، وضعا رؤوسهما، فناما وانسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى ولفتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما حتى أصبحا، فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى شيئاً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به. فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت. قال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً، فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل مسجى بثوب أو قال: تسجى بثوبه فسلم موسى.

وفي الرواية الأخرى وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال الخضر: وأني بأرضك السلام فقال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. ثم قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما

---

(١) الزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، إمام في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، صاحب التصانيف، ترجمته في وفيات الأعيان ١٦٨/٥ وفاته سنة ٥٣٨ هـ.

(٢) رواه البخاري: علم ٤٤، أنبياء ٢٧، تفسير سورة ١٨ ـ ٢ ـ ٤.

علمت رشداً؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت! وإنك على علم علمكه الله لا أعلمه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فقال: فرأيا سفينة فكلموهما أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلا كنقرة هذا العصفور. وفي الرواية الأخرى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. وعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها! قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً. فكانت الأولى من موسى نسياناً، فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير حق لقد جئت شيئاً نكراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال ابن عيينة: وهذا أوكد. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه الخضر بيده، فقال موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً، قال: هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.

قال[1] النبي ﷺ: «يرحم الله أخي موسى لوددنا أن لو صبر حتى يقص الله علينا من أنبائهما» وفي الرواية الأخرى «يرحم الله موسى لو كان صبر، لقص علينا من أمرهما». وعن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر. قال: كذب عدو الله. حدثني أبي بن كعب، وذكر الحديث، وذكر قصة موسى والخضر بطولها، قال: وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نقر في البحر، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. قال العلماء: لفظ النقص ليس هنا على ظاهره، وإنما معناه إنما علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله كنسبة ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. قلت: وهذا على التقريب للإفهام، وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر.

وحكمه: حل الأكل، قال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفورة فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها»[2]. قيل: يا رسول الله وما حقها؟ قال: «أن يذبحها فيأكلها، وأن لا يقطع رأسها فيرمي به». رواه النسائي.

وروى الحاكم عن خالد بن معدان عن أبي عبيدة بن الجراح، قال: إن النبي ﷺ قال: «إن قلب ابن آدم مثل العصفور يقلب في اليوم سبع مرات». ومن أحكام العصافير أنها على اختلاف أنواعها جنس واحد في باب الربا، والبطوط جنس والكركي جنس والحبارى جنس والأوز جنس والدجاج جنس والحمام جنس، وتقدم في بابه.

---

(١) رواه البخاري: أنبياء ٢٧، تفسير سورة ١٨ ـ ٢ ـ ٤، ورواه مسلم: فضائل ١٧٠.

(٢) رواه النسائي: ضحايا ٤٢، صيد ٢٤. والدارمي أضاحي ١٦.

ومن أحكامها أنه لا يجوز عتقها على الأصح، وقيل: يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبي الدرداء، أنه كان يشتري العصافير من الصبيان، ويرسلها. قال ابن الصلاح: والخلاف فيما يملك بالاصطياد، أما البهائم الأنسية فإن أعناقها من قبيل سوائب الجاهلية وذلك باطل قطعاً وقال الشيخ أبو اسحاق الشيرازي، في كتاب عيون المسائل، أن ذرق العصافير غير معفو عنه والمشهور أن فيه الخلاف الذي في بول يؤكل لحمه.

الأمثال: قالوا: «أخف حلماً من عصفور»[1]. قال[2] حسان رضي الله تعالى عنه:

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عظمٍ جسم البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

وقال قعنب:

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً مني وما سمعوا من صالحٍ دفنوا
مثلُ العصافيرِ أحلاماً ومقدرةً لو يوزنون برقِّ الريشِ ما وزنوا

وقالوا: «صاحت عصافير بطنه» إذا جاع. قال الأصمعي: العصافير هنا الأمعاء. قال الجوهري: والمصير المعي وهو فعيل، والجمع المصران، مثل رغيف ورغفان، ثم المصارين جمع الجمع. ونقله في المحكم، عن سيبويه، سميت مصارين لصيرورة الطعام فيها. وقالوا: «أسفد من عصفور»[3].

الخواص: لحم العصافير حار يابس، أصلب من لحم الدجاج، وأجودها الشتوية السمان، وأكلها يزيد في المني والباه، لكنه يضر أصحاب الرطوبات الأصلية، ويدفع ضررها دهن اللوز، وهي تولد خلطاً صفراوياً، يوافق من الإنسان الشيوخ. ومن الأمزجة الباردة ومن الأزمان الشتاء.

قال المختار بن عبدون: يكره أكل لحم العصافير لأن اليسير من عظامها إذا سبق في أكل شيء منها أحدث شحماً في المريء والمعي، وإذا اتخذ من فراخها عجة بالبيض والبصل، زادت في الباه وأمراقها تحل الطبع، ولحومها تعقله، ولاسيما إذا كانت مهزولة هزالاً فاضحاً. وأضر العصافير ما سمن في البيوت وقال غيره: إذا أخذ دماغ العصفور، وأضيف إلى ماء السذاب، وشيء من عسل، وشرب على الريق، فإنه نافع لأوجاع البواسير. وإذا خلط ذرق العصافير بلعاب الإنسان، وطلي به على الثآليل قلعها، مجرب. وإذا أخذ عصفور وذوب دماغه بشيرج، وسقي لمن يحب شرب النبيذ، فإنه يبغضه وهو عجيب مجرب. وإذا أكل عصفور الشوك مشوياً ومملوحاً فتت الحصى الذي في المثانة والكلى. وقال مهراريش: إذا ذبح العصفور، وقطر دمه على دقيق العدس، وجعل بنادق وجفف، فإنه يهيج الباه وإذا أخذت منه بندقة، وخلطت بزيت وطلي بها الاحليل، ولا يطأ على الأرض فإنه يطأ ما شاء.

فائدة: قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أربعة أشياء تزيد في الجماع: أكل العصافير،

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٧. (٢) ديوان حسّان: ٢٧٠. (٣) المستقصى: ١/١٦٩.

وأكل الإطريفل الأكبر، وأكل الفستق، وأكل الجوز. وأربعة أشياء تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام، واستعمال السواك، ومجالسة الصالحين، والعمل بالعلم. وأربعة أشياء تقوي البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان. وأربعة أشياء توهن البدن وتسقمه: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق، وكثرة أكل الحموضة.

فائدة أخرى: من أكثر من الجماع وجعله دأبه، أورثه حكة في بدنه، وضعفاً في قوته وبصره، وعدم لذة المجامعة، وشاب عاجلاً. ومن دافع البول والغائط، ولم يقم إذا دعياه، ضعفت مثانته، وغلظ جلده، وأورثه حرق البول، والرمل والحصا، وضعف البصر. ومن أكثر من حك رجليه بالنخالة والملح، أحد بصره وعوفي من ضعفه. ومن بصق في بوله، وأدمن على ذلك، أمن من وجع الصلب. قاله القزويني نقلاً عن أبقراط وغيره، وذكر أنه امتحنه وجربه.

التعبير: العصفور في المنام رجل قاص، صاحب لهو وحكايات، يضحك الناس. وقيل: إنه ولد ذكر فمن رأى أنه ذبح عصفوراً، وله ولد مريض خشي عليه من الموت. وربما دل على رجل شيخ ضخم، كثير المال يحتال في الأمور، كامل في رياسته مدبر. وربما دل على امرأة حسناء شفيقة، وأصوات العصافير كلام حسن أو دراسة في العلم. والعصافير الكثيرة، أموال لمن حواها في المنام، وتعبر العصافير بالأولاد والصبيان.

ومن الرؤيا المعبرة أن رجلاً أتى ابن سيرين، فقال له: رأيت كأني آخذ العصافير فأدق أجنحتها وأجعلها في حجري فقال ابن سيرين: أتعلم كتاب الله أنت؟ قال: نعم. فقال: اتق الله في أولاد المسلمين. وأتاه رجل فقال: رأيت كأن في يدي عصفوراً وقد هممت بذبحه. فقال: لا يحل لك أن تأكلني! فقال له ابن سيرين: أنت رجل تتناول الصدقة ولست مستحقها، فقال له الرجل: تقول لي ذلك؟ فقال: نعم، ولو شئت قلت لك كم هي درهم. فقال: كم هي؟ فقال ابن سيرين: ستة دراهم. فقال الرجل: هاهي في كفي، وأنا تائب لا أعود إلى تناول الصدقة. فقيل له: من أين أخذت ذلك؟ فقال: العصفور ينطق في الرؤيا بالحق، وهو ستة أعضاء، فبقوله: لا يحل لك أن تأكلني، علمت بذلك أنه يتناول ما لا يستحق. ومن الرؤيا المعبرة أيضاً، عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه، أنه أتاه رجل، فقال: رأيت كأن في يدي عصفوراً، فقال له جعفر: تنال عشرة دنانير، فمر الرجل فوقع في يده تسعة دنانير، فأتى إلى جعفر وأخبره بذلك، فقال: اقصص عليّ الرؤيا ثانياً، فقال: رأيت كأن بيدي عصفوراً، وأنا أقلبه فلم أر له ذنباً، فقال له جعفر: لو كان له ذنب، لكانت الدنانير عشرة والله أعلم.

العضل: بضم العين وفتح الضاد المعجمة الجرذ والجمع العضلان. وقد تقدم ذكر الجرذ في باب الجيم.

العرفوط: بكسر العين دويبة لا خير فيها. تذكر العرب أنها لا تبول إلا شغرت ببولها إلى صوب القبلة، والحيات تأكلها.

العريقطة: دويبة عريضة، وهي العريقطان. قاله الجوهري.

العضمجة: الثعلبة وقد تقدم ذكر الثعلب وما فيه في باب الثاء المثلثة في أول الكتاب.

العضرفوط: العضاءة الذكر، وتصغيره عضيرف وعضريف. قاله الجوهري.

فائدة: قال ابن عطية في تفسير قوله[1] تعالى: **﴿قلنا يا نارُ كوني بَرداً وسلاماً على إبراهيم﴾** روي أن الغراب كان ينقل الحطب إلى نار ابراهيم، وأن الوزغة كانت تنفخ النار عليه لتضرم. وكذلك البغل. وروي أن الخطاف والضفدع والعضرفوط، كن ينقلن الماء ليطفئن النار فأبقى الله على هذه وقاية وسلط على تلك النوائب والأذى ا هـ.

وقد أفادني بعض الأشياخ أن يكتب لسائر الحميات: قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً سلاماً سلاماً، على ثلاث ورقات، ويشرب المحموم كل يوم ورقة منها على الريق، أو عندما تأخذه الحمى، فإنها تذهب بإذن الله تعالى. وهو عجيب مجرب وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً أن العظاءة هي السحلية وهي مباركة.

عطار: قال القزويني في الأشكال: إنه صنف من الدواب الصدفية، يوجد ببلاد الهند في المياه القائمة ويوجد أيضاً بأرض بابل، وهو من أعجب الحيوانات، له بيت صدفي يخرج منه وله رأس وأذنان وعينان وفم، فإذا دخل في بيته يحسبه الإنسان صدفة، فإذا خرج منه ينساب في الأرض ويجر بيته معه، فإذا جفت الأرض في الصيف يجتمع ورائحته عطرة.

ومن خواصه: أنه إذا بخر به ينفع من الصرع، وإذا أحرق فرماده يجلو الأسنان، وإذا وضع على حرق النار وترك حتى يجف نفعه نفعاً بيناً.

العطاط: بالفتح الأسد، وقال صاحب الكامل في تفسير خطبة الحجاج، لأهل الكوفة: العطاط بضم العين وقيل بفتحها، ضرب من الطير معروف.

العطرف: بالكسر الأفعى الكبيرة، وقد تقدم لفظ الأفعى في باب الهمزة.

العظاءة: بالظاء المعجمة المفتوحة والمد: دويبة أكبر من الوزغة، ويقال في الواحدة عظاية أيضاً والجمع عظاء وعظايا. قال عبد الرحمن بن عوف[2]:

كمثل الهر يلتمس العظايا

وقال الأزهري: هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً، تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه، ولا تؤذي وتسمى شحمة الأرض، وشحمة الرمل، وهي أنواع كثيرة، منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وكلها منقطة بالسواد، وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال ومنها ما يسكن قريباً من الماء والعشب، ومنها ما يألف الناس وتبقى في جحرها أربعة أشهر لا تطعم شيئاً، ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها.

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٦٩.

(٢) عبد الرحمن بن عوف، أبو محمد الزهري القرشي، صحابي من العشرة المبشرين بالجنة مات سنة ٣٢ هـ.

ومن خرافات العرب قالوا: إن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست العظاءة عند التفرقة حتى نفد السم، وأخذ كل حيوان قسطه منه على قدر السبق إليه، فلم يكن لها فيه نصيب. ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف، ويقال: إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف، على ما فاتها من السم وهذه تسمى بأرض مصر السحلية.

وهي محرمة الأكل: وقد تقدم ذكرها في باب السين.

الخواص: من علق عليه يدها اليمنى، ورجلها اليسرى في خرقة، جامع ما شاء، وإن علقت في خرقة سوداء على من به حمى الربع المزمنة أبرأته. وقلبها إذا علق على امرأة منعها أن تلد، مادام عليها، وإن طبخت بسمن البقر حتى تتهرى، ومسح بها الملسوع أبرأه وإن جعلت في قارورة وملئت زيتاً وجعلت في الشمس حتى تتهرى، كان ذلك الزيت سماً قاتلاً.

وهي في الرؤيا تدل على التلبيس واختلاف الأسرار والله أعلم.

العفر: ولد الأروية.

وفي المثل: «أوقل من عفر»[1] والعِفر بالكسر الخنزير الذكر، والعفر الرجل الخبيث المداهن، والمرأة عفرة. يقال عفرية نفرية، كما يقال عفريت نفريت.

العفريت: القوي المارد من الشياطين، والتاء فيه زائدة قال[2] تعالى: ﴿**قال عفريتٌ من الجنّ أنا آتيك به**﴾ قرأ أبو رجاء العطاردي وعيسى الثقفي عفرية ورويت عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وقرأت فرقة عفر، وكل ذلك لغات. وقال وهب: اسم هذا العفريت كوذا، وقيل ذكوان، وقال ابن عباس: هو صخر الجني.

واختلفوا في غرض سليمان عليه الصلاة والسلام في استدعاء عرش بلقيس، فقال قتادة وغيره: لأنه أعجبه وصفه، لما وصفه الهدهد بالعظم فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام. وقال الأكثرون: إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها، فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها. وقال ابن زيد: استدعاه ليريها القدرة، التي هي من عند الله، وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها. وروي أن عرشها كان من فضة وذهب، مرصعاً بالياقوت والجوهر، وأنه كان في جوف سبعة أبيات، عليه سبعة أغلاق. وفي الكشف والبيان للثعلبي، أن عرشها كان سريراً ضخماً حسناً، وكان مقدمه من ذهب، منضداً بالياقوت الأحمر، والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة مكللاً بأنواع الجواهر، وله أربع قوائم: قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أصفر، وقائمة من زبرجد أخضر، وقائمة من در أبيض، وصفائح السرير من ذهب. وكانت قد أمرت به، فجعل في آخر سبعة أبيات، بعضها في بعض في آخر قصر من قصورها، على كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً،

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٧٥.

(٢) سورة النمل: آية ٣٩.

وارتفاعه في الهواء ثلاثين ذراعاً. وقال مقاتل: كان ثمانين في ثمانين. وقيل: كان طوله ثمانين ذراعاً، وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان سليمان عليه السلام مهيباً، لا يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فرأى ذات يوم وهجا قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا عرش بلقيس. فقال: يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟ قال عفريت من الجن: ﴿أنا آتيكَ به قبلَ أن تقومَ من مقامكِ﴾[1].

وكان سليمان يجلس في مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر، وإني عليه أي على الإتيان به لقوي على حمله، أمين لا أختلس منه شيئاً. قال الذي عنده علم من الكتاب، قال البغوي وغيره والأكثرون: على أنه آصف بن برخيا، وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى: ﴿أنا آتيكَ به قبلَ أنْ يرتدّ إليكَ طرْفُك﴾[2]. قال سعيد بن جبير: يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه ومعناه أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك. وقال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر.

وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً. وقال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك. وقيل: إن الذي عنده علم من الكتاب اسمه اسطوم، وقيل هو جبريل، وقيل هو سليمان نفسه. قال له عالم من بني إسرائيل، قيل اسمه اسطوم، آتاه الله معرفة وفهماً: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك. قال سليمان: هات. قال: أنت النبي وابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك. فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك. قال: صدقت.

والعلم الذي أوتيه، قيل هو الاسم الأعظم. وفي الكلام حذف تقديره فدعا باسم الله الأعظم، وهو يا حي يا قيوم، يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت. وقيل: يا ذا الجلال والإكرام. قيل: شقت الأرض بالعرش فغار في الأرض، حتى نبع بين يدي سليمان. قاله الكلبي. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فبعث الله الملائكة، فحملوا السرير من تحت الأرض، يخدون الأرض خدّاً، حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان، وقيل: جيء به في الهواء، وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجد، فلما رآه مستقراً عنده، جعل يشكر نعمة الله تعالى، بعبارة فيها تعليم للناس، وعرضة للاقتباس، ثم قال: نكروا لها عرشها. أراد بالتنكير تجربة تمييزها ونظرها، وليزيد في الإغراب عليها.

وروت فرقة أن الجن، لما أحست من سليمان، أنه ربما يتزوج بلقيس، فتفشي له أخبار الجن، لأن أمها كانت جنية، وأنها ربما تلد ولداً، فينقل الملك إليه، فلا ينفكون من تسخير سليمان وولده من بعده، فأساؤوا الثناء عليها وظلموها عنده، ليزهدوه فيها، فقالوا: إنها غير عاقلة ولا مميزة وإن رجليها كحافر فرس، وقيل: كحافر حمار، وإنها شعراء الساقين. فجرب

(١) سورة النمل: آية ٣٩.

(٢) سورة النمل: آية ٤٠.

عقلها بتنكير العرش، واختبر أمر رجليها بالصرح لتكشف عن ساقيها، وتنكيره بأن يزيد فيه وينقص منه. والقصة في ذلك مشهورة في كتب التفسير، ولما أسلمت وأذعنت وأقرت على نفسها بالظلم، روي أنه تزوجها وردها إلى ملكها باليمن، وكان يأتيها على الريح في كل شهر مرة، فولدت له غلاماً فسماه داود ومات في حياته. وقيل: إنه جعل يعني لما زاد في العرش ونقص منه، مكان الجوهر الأخضر أحمر ومكان الأحمر أخضر، فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو. وقيل: عرفته. ولكنها شبهت عليهم، كما شبهوا عليها، قاله مقاتل.

وقال عكرمة: كانت بلقيس حكيمة لم تقل نعم خوفاً من أن تكذب، ولم تقل لا خوفاً من التنكيت عليها، بل قالت: كأنه هو، فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر. وقيل: إنه اشتبه عليها أمر العرش، لأنها لما أرادت الشخوص إلى سليمان، دعت قومها وقالت لهم: والله ما هذا ملك، وما لنا به من طاقة، ثم أرسلت إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي، حتى أنظر ما أمرك، وما الذي تدعو إليه من دينك. ثم أمرت بعرشها وكان من ذهب وفضة، مرصعاً بالياقوت والجوهر، فجعلته في جوف سبعة أبيات، عليه سبعة أغلاق كما تقدم، ووكلت به حراساً يحفظونه، ثم قالت لمن خلفته على سلطانها: احتفظ بما قبلك لا يخلص إليه أحد، ولا ترينه أحداً حتى آتيك. وشخصت إلى سليمان باثني عشر ألف قيل من أقيال اليمن، تحت كل قيل ألوف كثيرة، فلما جاءت، قيل: أهكذا عرشك؟ فاشتبه عليها أمر العرش، فقالت: كأنه هو. ثم قيل لها: ادخلي الصرح.

قيل: إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً، وقيل: الصرح الصحن في الدار، وأجرى تحته الماء، وألقي فيه شيئاً كثيراً من دواب البحر، كالسمك والضفادع وغيرها، ثم وضع سرير سليمان في صدره، فكان الصرح إذا رآه أحد حسبه لجة ماء. قيل: إنه إنما بنى الصرح، لأنه أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها، من غير أن يسألها كشفها. وقيل: أراد أن يختبر فهمها كما فعلت هي بالوصفاء والوصائف، وقد تقدم ذكر ذلك في باب الدال المهملة، في الدود. فجلس سليمان عليه السلام على السرير، ودعا بلقيس، فلما جاءت، قيل لها: ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة، وهي معظم الماء، وكشفت عن ساقيها لتخوضها إلى سليمان، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا شعر الساقين، فلما رأى سليمان ذلك، صرف بصره عنها وناداها: إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء، ثم دعاها إلى الإسلام. وكانت قد رأت حال العرش والصرح. فأجابت. وقيل: إنها لما بلغت الصرح وحسبته لجة، قالت في نفسها: إن سليمان يريد أن يغرقني، وكان القتل أهون علي من هذا، فقولها ظلمت نفسي يعني بذلك الظن.

وقيل: إنه عليه السلام لما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها، فسأل الإنس ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى. قالت: لا تمسني حديدة قط. وكره سليمان الموسى، وقال: إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين، فقالوا: إنا نحتال لك حتى يكونا كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام ومن يومئذ ظهرت النورة والحمامات، ولم تكن قبل ذلك.

فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً، وأقرها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا لها بأرض

اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وهي سيلحين وبينون وغمدان. ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشأم إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشأم على الريح، وولدت له غلاماً سماه داود فمات في حياته.

وبلقيس هي بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكاً هو آخرهم، وكان ملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي وأبى أن يتزوج منهم، وأنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس. ولم يكن له ولد غيرها. وقد جاء في الحديث ما يؤيد هذا، وهو قوله إن أحد أبوي بلقيس كان جنياً، فلما مات أبوها، طمعت في الملك، وطلبت من قومها أن يبايعوها، فأطاعها قوم وعصاها آخرون، وملكوا عليهم رجلاً، وافترقوا فرقتين: كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته، حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته، ويفجر بهن، فأراد قومه خلعه، فلم يقدروا على ذلك، فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة، فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال: ما منعني أن أبتدئك بالخِطبة إلا اليأس منك، فقال: لا أرغب عنك وأنت كفء كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم، فجمعهم فخطبها إليهم، فذكروا لها ذلك فقالت: أجبت، فزوجوها به، فلما زفت إليه ودخلت عليه، سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه، ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، وأمرت بنصب رأسه على باب دارها، فلما رأى الناس ذلك علموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها، فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم.

وفي الحديث عن أبي بكرة قال: إن النبي ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال[1]: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» رواه البخاري.

تذنيب: اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار، فمن منافعه أنه يوسع المسام، ويستفرغ الفضول، ويحلل الرياح، ويحبس الطبيعة، من هيضة ورطوبة، وينظف البدن من الوسخ والعرق، ويذهب الحكة والجرب والاعياء، ويلين الجسد، ويجيد الهضم، ويعد البدن لاستعداد الغذاء، وينشط الأعضاء المتشنجة، وينضج النزلات والزكام، وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها. قلت: إذا دبر ذلك طبيب حاذق.

ومن مضاره تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة، ويرخي البدن ويضعف الحرارة الغريزية، والأعضاء العصبية ويضعف الباه، ووقته بعد الرياضة، وقبل الغذاء إلا المتخلخلي الأبدان الكثيري المرار، وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك، وإذا أردت الخروج، فاخرج إلى المسلخ متدرجاً، وأفرغ عليك ثوباً نظيفاً مبخراً، واجتنب النساء يوماً وليلة. وتكره المجامعة في الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضاً رديئة. ويكره للانسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والمجامعة والحمام والأكل، فإن ذلك مضر جداً، وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة.

---

(١) رواه البخاري: مغازي ٨٢، فتن ١٨. والترمذي: فتن ٧٥.

وأما النورة فهي حارة يابسة، قال الغزالي في الإحياء: إن النورة بعد الحمام أمان من الجذام، وغسل الرجلين بالماء البارد في الصيف، أمان من النقرس، وبولة في الحمام من قيام في الشتاء أنفع من شربة دواء. قال: ويكره إلصاق الظهر إلى حائط الحمام انتهى. ومعناه أن يطلي جسده بالنورة أولاً، قبل أن يسكب على جسده الماء، ثم يستحم بعد ذلك. وينبغي أن يستعمل قبل النورة الخطمي ليأمن من حرقها، ثم يغتسل بالماء البارد، وينشف البدن منه. وإن أحب استعمال النورة أولاً ليأمن من الجذام، كما قاله الغزالي وغيره فليأخذ على أصبعه شيئاً من النورة، ويشمها ويقل صلى الله على سليمان بن داود، ويكتب ذلك على فخذه الأيمن، فإنه يعرق قبل النورة، فيمسح العرق ويطلي، ويكون ذلك في البيت الحار، ليعرق سريعاً. ويستعمل بعد هذا العصفر وبزر البطيخ ودقيق الأرز، ويعجن ذلك بماء الآس والتفاح وماء الورد ويسخن في إناء ويطلى به الجسد مع العسل، فإن ذلك ينقي البدن وينفي عنه ثلاثين داء كالجذام والبرص والبهق والبثر والنفاطات ونحوها.

قال القزويني: إذا طرح في النورة زرنيخ ورماد الكرم وطلي به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلاء وبزر البطيخ مراراً، فإن الشعر يضعف حتى لا يكاد أن يعود. وقال الإمام العلامة فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه: النورة التي قبل الزرنيخ ربما أحدثت كلفاً ويدفع ضررها بالأرز والعصفر طلاء، وأن تعجن للمحرورين بماء الشعير والأرز والبطيخ والبيض وللمبرودين بماء المرزنجوش أو النمام، وينبغي أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن من الحكة والبثر والله أعلم.

خاتمة: روى مالك في الموطأ، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت، ليلة أسري بي، عفريتاً من الجن يطلبني بشعلة من نار، كلما التفت رأيته»[1] فقال جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن فتنطفىء شعلته ويخر لفيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى» فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير، يا رحمن. وقد تقدم في باب الجيم في الجن حديث العفريت الذي تفلت على رسول الله ﷺ يريد أن يقطع عليه صلاته، «فخنقه النبي ﷺ وأراد أن يربطه في سارية من سواري المسجد»[2].

العفر: بالكسر والضم قاله ابن الأثير في النهاية وهو الجحش والأنثى عفرة.

العقاب: طائر معروف، والجمع أعقب لأنها مؤنثة. وأفعل بناء يختص به جمع الإناث مثل عناق وأعنق وذراع وأذرع، والكثير عقبان وعقابين جمع الجمع. قال الشاعر:

عقابين يوم الجمع تعلو وتسفل

وكنيته أبو الأشيم وأبو الحجاج وأبو حسان وأبو الدهر وأبو الهيثم، والأنثى أم الحوار وأم

---

(١) رواه ابن حنبل ٣/٤١٩. (٢) رواه البخاري: صلاة ٧٥، أنبياء ٤٠، ومسلم: مساجد ٣٩.

الشعو وأم طبلة وأم لوح وأم الهيثم. والعرب تسمى العقاب الكاسر، ويقال لها الخدارية للونها، وهي مؤنثة اللفظ. وقيل: العقاب يقع على الذكر والأنثى. وتمييزه باسم الإشارة. وقال في الكامل: العقاب سيد الطيور والنسر عريفها. والعقاب، قال ابن ظفر: حاد البصر، ولذلك قالت العرب «أبصر من عقاب»[١]. والأنثى منه تسمى لقوة.

قال البطليوسي، في الشرح: قال الخليل: اللَّقوة واللِّقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران انتهى. وتسمى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتي من مكان بعيد، وليس هو العنقاء الآتي ذكرها، وبهذا فسر قول أبي العلاء المعري[٢]:

أرى العنقاءَ تكبرُ أن تصادا ... فعاندْ من تطيقُ له عنادا[٣]
وظنّ بسائرِ الاخوانِ شراً ... ولا تأمنْ على سرٍّ فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري ... لما طلعتْ مخافةَ أن تُصادا
وكم عينٍ تؤملُ أنْ تراني ... وتفقدُ عند رؤيتي السوادا

وله من قصيدة قد أبدع فيها[٤]:

فإن كنتَ تهوى العيشَ فابغِ توسطا ... فعند التناهي يقصرُ المتطاولُ
توافي البدورُ النقصَ وهي أهلة ... ويدركها النقصانُ وهي كوامل

وفي المعنى لابن العفيف التلمساني[٥]:

أيسعدني يا طلعةَ البدرِ طالعٌ ... ومن شقوتي خط بخديك نازلُ
نعم قد تناهى في الجفاءِ تطاولاً ... وعند التناهي يقصرُ المتطاولُ

وتقدم أن العقاب، إذا صاحت، تقول: في البعد عن الناس راحة. وهي نوعان عقاب، وزمج فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر، ومنها ما يأوي الجبال وما يأوي الصحاري وما يأوي الغياض وما يأوي حول المدن، ويقال: إن ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوي شيئاً. وقال ابن خلكان، في آخر ترجمة العماد الكاتب: ويقال إن العقاب جميعه أنثى، وأن الذي يسافده طير آخر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب يسافده. قال: وهذا من العجائب. ولابن عُنين[٦] الشاعر في هجو شخص يقال له ابن سيده:

ما أنت إلا كالعقابِ فأمّه ... معروفةٌ وله أبٌ مجهولُ

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٦ - ١٩٤.

(٢) أبو العلاء المعري: أحمد بن عبدالله بن سليمان، لغوي شاعر متفلسف، مات سنة ٤٤٩ هـ.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان ١/٤٥٠. (٤) وفيات الأعيان: ١/٤٥٠.

(٥) ابن العفيف التلمساني: محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله، المعروف بالشاب الظريف، شاعر مترقّق، لا بأس بشعره، وكان والده شاعراً. توفي الشاب الظريف سنة ٦٨٨ هـ.

(٦) ابن عُنين: أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عُنين الأنصاري، الكوفي الأصل الدمشقي المولد، شاعر متفنن. مات سنة ٦٣٠ هـ. والبيت في وفيات الأعيان ٥/١٥٣.

والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب، وتحضنها ثلاثين يوماً، وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوماً، فإذا خرجت فراخ العقاب، ألقت واحداً منها لأنه يثقل عليها طعم الثلاث، وذلك لقلة صبرها، والفرخ الذي تلقيه، يعطف عليه طائر آخر، يسمى كاسر العظام، ويسمى المكلفة فيربيه. ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع.

والعقاب، إذا صادت شيئاً، لا تحمله على الفور إلى مكانها، بل تنقله من موضع إلى موضع، ولا تقعد إلا على الأماكن المرتفعة، وإذا صادت الأرانب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار. وهي أشد الجوارح حرارة، وأقواها حركة، وأيبسها مزاجاً، وهي خفيفة الجناح، سريعة الطيران، تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن، وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء، وحليتها في الصيف، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت، حملتها الفراخ على ظهرها ونقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها عيناً صافية بأرض الهند، على رأس جبل فتغمسها فيها، ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها، وينبت لها ريش جديد، وتذهب ظلمة بصرها، ثم تغوص في تلك العين فإذا هي قد عادت شابة، كما كانت. فسبحان القادر على كل شيء، اللهم كل نفس هداها.

قال التوحيدي: ومن عجيب ما ألهمته، أنها إذا اشتكت أكبادها، أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ. وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها، والطيور إلا قلوبها، ويدل لهذا قول امرىء القيس[1]:

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً ... لدى وَكرها العنابُ والحشفُ البالي[2]

ومنه قول طرفة بن العبد[3]:

كأنّ قلوبَ الطير في عُشها ... نوى القسْبِ ملقى عند بعضِ المآدب[4]

وقيل لبشار بن برد الأعمى الشاعر: لو خيرك الله أن تكون حيواناً ماذا كنت تختار؟ قال: العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير ولا تعاني الصيد إلا قليلاً، بل تسلب كل ذي صيد صيده. ومن شأنها أن جناحها لايزال يخفق قال عمرو بن حزام:

لقد تركتْ عفراءُ قلبي كأنه ... جناحُ عقابٍ دائم الخفقانِ

وفي عجائب المخلوقات، في ذكر الأحجار، أن حجر العقاب يشبه نوى التمر هندي إذا حرك يسمع منه صوت، وإذا كسر لا يوجد فيه شيء يوجد في عش العقاب. والعقاب يجلبه من أرض الهند وإذا قصد الإنسان عشه، يرمي إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع، فكأنه عرف أن قصدهم إياه لخاصيته. فمن خواصه أنه إذا علق على من بها عسر الولادة، تضع سريعاً. ومن جعله تحت

---

(١) امرؤ القيس بن حجر الكندي، شاعر جاهلي، كان والده ملكاً في نجد، وهو من الفحول.

(٢) الحشَف: أردأ التمر، والبيت في ديوانه ١٤٥.

(٣) طرفة: عمرو بن العبد، وطرفة لقبه، شاعر جاهلي مقدّم، دبّر عمرو بن هند مقتله.

(٤) القسْب: التمر اليابس.

لسانه، فإنه يغلب الخصم في المقاولة، ويبقى مقضي الحاجة. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب النون نظير هذا، في لفظ النسر.

وأول من صاد بها وأدبها أهل المغرب، يحكى أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك فارس عقاباً، وكتب إليه علمها فإنها تعمل عملاً لا يدركه أكثر الصقور، فأمر بها فعلمت وصاد بها فأعجبته ثم جوعها ليصيد بها، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته. فقال كسرى: غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش. ثم أهدى كسرى إليه نمراً أو فهداً، وكتب إليه: قد بعثت إليك بما تقتل به الظباء وما قرب منها من الوحش، وكتم عليه ما صنعته العقاب، فأعجب به قيصر، إذ وافقت صفته ما وصف، فغفـل عنه يوماً، فافترس فتى من بعض فتيانه. فقال: صادنا كسرى فإن كنا قد صدناه فلا بأس، فلما بلغ ذلك كسرى قال: أنا أبو ساسان.

وذكر ابن خلكان، في ترجمة[1] جعفر بن يحيى البرمكي وغيره، عن الأصمعي قال: لما قتل الرشيد جعفراً، طلبني ليلاً فجئته وأنا خائف، فأومأ إليّ بالجلوس فجلست، فالتفت إليّ وقال: أبيات أحببتُ أن تسمعها، قلت: إن شاء أمير المؤمنين فأنشدني:

لـو أن جعفرَ خـافَ أسبابَ الـردى ... لـنـجـا بـه منهـا طـمـرَ مـلجـم
ولكـان من حـذرِ المنيـةِ حيث لا ... يـرجـو اللحـاقَ بـه العقـابُ القشعمُ
لـكـنـه لمـا أتـاه يـومُـه ... لم يـدفـعِ الحـدثـانَ عنـه منجمُ

فعلمت أنها له فقلت: إنها أحسن أبيات. فقال: الحق الآن بأهلك. ففكرت فلم أعرف لذلك معنى إلا أنه أراد أن يسمعني شعره وأحكيه.

وقد حكى أهل التاريخ، في سبب قتل جعفر حكايات مختلفة، منها ما روي عن أبي محمد اليزيدي، أنه قال: من قال إن الرشيد قتل جعفـراً بغير سبب يحيى بن عبـد الله العلوي فلا تصدقه، وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه، ثم إن جعفر بن حسن، دعا به ليلة من الليالي، وسأله عن أمره فأجابه، ثم إن يحيى قال له: اتق الله فيّ يا جعفر، ولا تتعرض إلى دمي، فيكون رسول الله ﷺ خصمك يوم القيامة، فوالله ما أحدثت حدثاً، ولا آويت محدثاً. فرق له جعفر وأطلقه بعد أن استحلفه أن لا يحدث حدثاً، وبعث معه من أوصله إلى مأمنه. فنقل ذلك إلى الرشيد، فقال لجعفر: ما فعل بيحيى بن عبد الله؟ قال: على حاله يا أمير المؤمنين في السجن، والأكبال الثقيلة، فقال: بحياتي؟ فأحجم لها جعفر. وكان من أصح الناس فكراً، فهجس في نفسه أنه قد علم شيئاً من أمره. فقال: لا وحياتك يا أمير المؤمنين، بل أطلقته، لعلمي أن لا مكروه لديه، فأظهر الرشيد الاستحسان لذلك، وأسرها في نفسه، وقال: نعم ما فعلت، ما عدوت عما كان في خاطري. فلما خرج، أتبعه الرشيد بصره، وقال: قتلني الله بسيوف العدا على الضلالة إن لم أقتلك.

---

(١) وفيات الأعيان: ١/٣٢٨. والأبيات دون عزو في وفيات الأعيان ١/٣٣٩.

وفي تاريخ صاحب حماه[1] وغيره، أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدي، فقال لجعفر: أزوجكها ليحل لك النظر إليها، ولا تمسها فكانا يحضران مجلسه، ثم يقوم الرشيد من المجلس، فيمتلئان من الشراب وهما شابان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها فحملت وولدت غلاماً، وخافت الرشيد فوجهت المولود مع خواص لها إلى مكة، ولم يزل الأمر مستوراً، حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر، فأنهت أمر الصبي، وأخبرت بمكانه ومن معه من جواريها وما معه من الحلي. فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبي وخواصه فوجد الأمر صحيحاً فأوقع بالبرامكة.

وقيل: إنما قتل الرشيد جعفراً لأنه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه، وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل: هذا لجعفر، فلم يزل كذلك حتى جنى جعفر على نفسه، بأن وجه فقطع رأس بعض الطالبين من غير أن يكون أمر بقتله، فاستحل الرشيد بذلك دمه. وقيل: كان سبب قتله أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها وفيها هذه الأبيات[2]:

قل لأمين الله في أرضه ... ومن إليه الحلُّ والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا ... مثلك ما بينكما حدُّ
أمرك مردودٌ إلى أمرِه ... وأمره ليس له ردُّ
وقد بنى الدارَ التي ما بنى الـ ... ـفرس لها مثلاً ولا الهند
والدرُّ والياقوتُ حصباؤُها ... وتربها العنبرُ والنّد[3]
ونحن نخشى أنه وارثُ ... ملكك إنْ غيبك اللحد
ولن يباهي العبدُ أربابَه ... إلا إذا ما بطرَ العبدُ

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له الشر وأوقع به. وقيل: بل أرادت البرامكة إظهار الزندقة وفساد الملك، فأوقع بهم وقتلهم. قلت: وهو قول بعيد لا أعتقد صحته.

وقيل: إن مسروراً قال: سمعت الرشيد سنة حج وهي سنة ست وثمانين ومائة، يقول في الطواف: اللهم إنك تعلم أن جعفراً قد وجب عليه القتل، وأنا أستخيرك في قتله فخر لي. وإن الرشيد لما عاد إلى الأنبار، بعث إليه بمسرور وحماد فوافياه، والمغني يغنيه[4]:

فلا تبعدْ فكلّ فتى سيأتي ... عليه الموت يطرقُ أو يغادي

فقال مسرور: لذلك جئت، قد والله طرقك الأمر، أجب أمير المؤمنين، فتصدق بأمواله، وأعتق عبيده، وأبرأ الناس من حقوقه. ثم أتى به إلى المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيده بقيد حمار، وأخبر الرشيد. فقال: ائتني برأسه! فعاوده فيه مرتين، فشتمه وصاح عليه. فدخل عليه واحتز رأسه وجاء به إليه. وذلك في مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة، وهو ابن سبع

---

(١) إسماعيل بن علي المتوفي سنة ٧٣٢ هـ.
(٢) وفيات الأعيان: ١١/٣٣٥.
(٣) النّد: البخور.
(٤) وفيات الأعيان: ١/٣٣٨.

وثلاثين سنة. ثم صلب رأسه على الجسر وصلب كل قطعة على جسر، فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد عند خروجه إلى خراسان، فقال: ينبغي أن يحرق هذا فأحرق. ولما قتله أحاط بجميع البرامكة وأتباعهم، ونودي أن لا أمان لهم إلا لمحمد بن خالد بن برمك وولده وجماعته، لما عرف من براءة محمد بن خالد وولده وجماعته.

وقيل: إن علية بنت المهدي قالت للرشيد: لأي شيء قتلت جعفر؟ فقال: لو علمت أن قميصي يعلم سبب قتل جعفر لأحرقته! ولما صلب جعفر وقف عليه يزيد الرقاشي وقال[1] من أبيات:

أمـا والله لـولا خـوفُ واشٍ ... وعـينٌ لـلخـليـفـةِ لا تـنـامُ
لـطفنا حـولَ جـذعـكِ واستلمنا ... كـما لـلنـاسِ بـالحجَـرِ استـلام
فـما أبصـرتُ قبلك يـا ابن يحيى ... حسـامـاً فَلّه السـيفُ الحسـامُ
عـلى اللذاتِ والـدنيـا جميـعـاً ... لـدولـةِ آلِ بـرمـك الـسـلامُ

فبلغ الرشيد مقالته فأحضره، وقال: ما حملك على ما فعلت وقد بلغك ما توعدنا به كل من يقف عليه أو يرثيه؟ قال: كان يعطيني كل سنة ألف دينار، فأمر له الرشيد بألفي دينار، وقال: هي لك منا مادمنا في قيد الحياة.

ويروى أن امرأة وقفت على جعفر ونظرت إلى رأسه معلقاً، فقالت: أماوالله لئن صرت اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية ثم أنشدت تقول[2]:

ولـما رأيت السيفَ خـالطَ جـعفـرا ... ونـادى مـنـادٍ للخـليفـةِ في يحيى
بكيتُ عـلى الـدنيـا وأيقنـتُ أنمـا ... قصـارى الفتى يومـاً مفـارقـةُ الـدنيـا
ومـا هـي إلا دولـةٌ بـعـد دولـةٍ ... تخـولُ ذا نـعمى وتعـقبُ ذا بـلوى
إذا أنـزلـتْ هـذا مـنـازلَ رفعـةٍ ... من الملكِ حطّتْ ذا إلى الغايةِ السفلى

ثم مرت كأنها الريح ولم تقف.

ولما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر، وما نزل بالبرامكة حول وجهه إلى القبلة، وقال: اللهم إن جعفراً كان قد كفاني مؤونة الدنيا فاكفه مؤونة الآخرة. وكان جعفر من الكرم والعطاء على جانب عظيم، وأخباره في ذلك مشهورة، وفي الدفاتر مسطورة، ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها جعفر من الرشيد، وكان الرشيد يسميه أخاً، ويدخله معه في ثوبه، وأن الرشيد، لما قتل جعفراً، خلد أباه يحيى في السجن. وكانت البرامكة في الغاية من الجود والكرم كما هو مشهور عنهم. وكانت مدة وزارتهم للرشيد سبع عشرة سنة.

---

(١) الرقاشي فلعله الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الذي مدح البرامكة ورثاهم. وكان شاعراً مجيداً بصرياً. ومات سنة ٢٠٠ هـ. والأبيات في وفيات الأعيان: ١/٣٤٠.

(٢) الأبيات في وفيات الإعيان: ١/٣٤٠. ونسبها إلى دعبل الخزاعي.

وذكر ابن إسحاق قال: قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية، التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لأجلها حتى اختطفها العقاب:

عجبتُ لما تصويتِ العقابُ ... إلى الثعبانِ وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحياناً يكون لها وِثابُ[1]
إذا قمنا إلى التأسيسِ شدتْ ... فهبنا للبناءِ وقد تهابُ
فلما أنْ خشينا الزجرَ جاءتْ ... عقابُ حلقتْ ولها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيانَ ليس له حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والترابُ
غداةَ نرفعُ التأسيسَ منه ... وليس على مساوينا ثيابُ
أعزّ به المليكُ بني لؤي ... فليس لأصلِه منه ذهاب
وقد حشدت هناك بني عدي ... ومرة قد تعهدها كلاب
فبوأنا المليكُ بذاك عزاً ... وعند الله يُلتمسُ الثواب

وذكر ابن عبد البر، في التمهيد عن عمرو بن دينار، أنه قال: لما أرادت قريش بناء الكعبة، خرجت منها حية، فحالت بينهم وبينها، فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد. كذا في بعض نسخ التمهيد. وفي بعضها طائر أبيض.

فائدة: روى ابن عباس أن سليمان بن داوود عليهما السلام، لما فقد الهدهد، دعا بالعقاب سيد الطير، وأحزمه وأشده بأساً، فقال: عليّ بالهدهد الساعة، فرفع العقاب نفسه نحو السماء، حتى التصق بالهواء، فصار ينظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي الرجل، ثم التفت يميناً وشمالاً فرأى الهدهد مقبلاً نحو اليمن، فانقض عليه، فقال الهدهد: أسألك بحق الذي أقدرك علي وقواك إلا ما رحمتني. فقال له: الويل لك، إن نبي الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك. ثم أتى به فلقيته النسور وعساكر الطيور، فخوفوه وأخبروه بتوعد سليمان، فقال الهدهد: ما قدري وما أنا أو ما أستثنى نبي الله قالوا: بلى. قال: أو ليأتيني بسلطان مبين، قال الهدهد: نجوت إذن. فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان. فقال له سليمان: أين غبت عن خدمتك ومكانك؟ لأعذبنك عذاباً شديداً، أو لأذبحنك. فقال الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله بمنزلة وقوفي بين يديك. فاقشعر جلد سليمان وارتعد، وعفا عنه. وسيأتي إن شاء الله تعالى، نظير هذا في باب الهاء في الهدهد.

الحكم: يحرم أكل العقاب لأنه ذو مخلب، واختلف في أنه هل يستحب قتله أم لا؟ فجزم الرافعي والنووي في الحج باستحباب قتله، وجزم في شرح المهذب بأنه من القسم الذي لا يستحب قتله ولا يكره وهو الذي فيه نفع ومضرة، قلت: وهذا الذي جزم به القاضي أبو الطيب الطبري[2] وهو المعتمد.

---

(١) كشيش الأفعى: صوتها من جلدها. (٢) أبو الطيب الطبري طاهر بن عبدالله، متوفى سنة ٤٥٠ هـ.

الأمثال: قالوا: «أمنع من عقاب الجو»[1]. قاله عمرو بن عدي لقصير بن سعد في قصة الزباء المشهورة. وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته:

واخترمَ الوضاح من دون التي ... أملها سيفُ الحمامِ المنتضى
وقد سما عمرو إلى أوتارِه ... فاحتطَّ منها كلَّ عالي المنتهى
فاستنزلَ الزباءَ قسراً وهي من ... عقابِ لوحِ الجوِّ أعلى منتهى

جعلها لامتناعها بمنزلة لوح الجو، واللوح الهواء بين السماء والأرض. والجو أيضاً ما بينهما.

والقصة في ذلك ما ذكره الأخباريون: ابن هشام وابن الجوزي وغيرهم، قالوا وقد دخل كلام بعضهم في بعض: إن جذيمة الأبرش، كان ملكاً على الحيرة، وما حولها من السواد، ملك ستين سنة، وكان شديد السلطان قد خافه القريب، وهابه البعيد، وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه، وأول من نصب المجانيق في الحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق. فغزا مليح بن البراء، وكان ملكاً على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي ذكره عدي بن زيد بقوله[2]:

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلةُ تُجبى إليه والخابورُ
شادَه مرمرا وجلَّله كلـ ... ـسا فللطير في ذُراه وُكور
لم يهبه ريبُ المنونِ وبادَ الـ ... ـملكُ عنه فَبابه مهجورُ

فقتله جذيمة وطرد بنته الزباء، فلحقت بالروم.

وكانت الزباء عاقلة أديبة عربية اللسان، حسنة البيان شديدة السلطان، كبيرة الهمة. قال ابن الكلبي: ولم يكن في نساء عصرها أجمل منها، وكان اسمها فارعة وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لذلك. قال: وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى ابن مريم عليهما السلام، فبلغت بها همتها أن جمعت الرجال، وبذلت الأموال، وعادت إلى ديار أبيها ومملكته، فأزالت جذيمة عنها وابتنت على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين في شرقي الفرات وغربيه، وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات، فكانت إذا رهقتها الأعداء أوت إليه وتحصنت. وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول.

وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم في ذلك، فسكت القوم وتكلم قصير، وكان ابن عمه، وكان عاقلاً لبيباً، وكان خازنه، وصاحب أمره، وعميد دولته، فقال: أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب في مال ولا جمال، ولها عندك ثار، والدم لا ينام وإنما هي تاركتك رهبة وحذراً، والحقد دفين، في سويداء القلب له كمون، ككمون النار في الحجر، إذ قدحته أورى، وإن تركته توارى، وللملك في بنات الملوك الاكفا متسع، ولهن فيه منتفع، ولقد رفع الله قدرك عن الطمع،

(١) جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٣٤.

(٢) الشعر والشعراء: ١٣٠.

فيمن هو دونك، وعظم الرب شأنك، فما أحد فوقك. هكذا حكاه ابن الجوزي وغيره.

وذكر ابن هشام، شارح الدريدية وغيره، أن الزباء، هي التي أرسلت إليه تخطبه، وتعرض عليه نفسها، ليتصل ملكه بملكها، فدعته نفسه إلى ذلك، فاستشار وزراءه، فكل واحد منهم رأى ذلك مصلحة، إلا قصيراً فإنه قال: أيها الملك هذه خديعة ومكر، فلم يسمع منه. قال: ولم يكن قصيراً ولكن سمي به ا هـ.

قال ابن الجوزي: فقال جذيمة: يا قصير، الرأي ما رأيته وقلته، ولكن النفس تواقة، وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة، ولكل امرىء قدر لا مفر منه ولا وزر، ثم وجه إليها خاطباً وقال له: اذكر لها ما ترغبها فيه، وتصبو إليه، فجاءها خطيبه فلما سمعت كلامه، وعرفت مراده، قالت: أنعم بك عيناً وبما جئت به. وأظهرت له السرور والرغبة فيه، وأكرمت مقدمه، ورفعت موضعه، وقالت: قد كنت أضربت عن هذا، مخافة أن لا أجد كفؤاً! ولكن الملك فوق قدري، وأنا دون قدره قد أجبت إلى ما سأل، ورغبت فيما قال، ولولا أن السعي في مثل هذا الأمر بالرجال أمثل، لسرت إليه، ولنزلت عليه.

وأهدت له هدية سنية، ساقت إليه فيها العبيد والإماء، والكراع والسلاح، والأموال والإبل والغنم، وغير ذلك من الثياب والأمتعة والجواهر شيئاً عظيماً. فلما رجع إليه خطيبه، أعجبه ما سمع من الجواب، وأبهجه ما رأى من اللطف، الذي تحير فيه عقول ذوي الألباب، وظن أن ذلك منها لحصول رغبة، فأعجبته نفسه، وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته، وأهل مملكته، وفيهم قصير خازنه، وقد استخلف على مملكته عمرو بن عدي اللخمي، وهو أول من ملك الحيرة من لخم، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة، وهو الذي اختطفته الجن وهو صبي ثم ردته وقد شب وكبر. فألبسته أمه طوقاً من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة، فلما رأى جذيمة لحيته والطوق في عنقه قال: «شب عمرو عن الطوق»[1]، فأرسلها مثلاً. وقال ابن هشام: إنه ملك مائة وثماني عشرة سنة.

قال ابن الجوزي: فاستخلفه وسار إلى الزباء فوصل إلى قرية على الفرات، يقال لها نيفة فنزل بها، وتصيد وأكل وشرب. واستعاد المشورة والرأي من أصحابه، فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال: أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى أين يكون كونه؟ فلا تثق بزخرف قول لا محصول له، ولا تقذف الرأي بالهوى فيفسد، ولا الحزم بالمنى فيبعد، والرأي عندي للملك أن يعتقب أمره بالتثبت، ويأخذ حذره بالتيقظ، ولولا أن الأمور تجري بالمقدر، لعزمت على الملك عزماً بتاً أن لا يفعل. فأقبل جذيمة على الجماعة، وقال: ما عندكم أنتم في هذا الأمر؟ فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك، وصوبوا رأيه وقووا عزمه، فقال جذيمة: الرأي مع الجماعة، والصواب ما رأيتم. فقال قصير: «أرى القدر يسابق الحذر، فلا يطاع لقصير أمر». فأرسلها مثلاً، ثم سار جذيمة، فلما قرب من ديار الزباء، أرسل إليها يعلمها بمجيئه، فأظهرت السرور به، والرغبه فيه وأمرت بحمل الميرة إليه، وقالت لجندها، ولخاصة أهل مملكتها، وعامة أهل دولتها

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٤٨.

ورعيتها: تلقوا سيدكم وملك دولتكم فعاد الرسول إليه بالجواب، وأخبره بما رأى وسمع.

فلما أراد جذيمة أن يسير، دعا قصيراً وقال: أنت على رأيك؟ قال: نعم، وقد زادت بصيرتي فيه، أفأنت على عزمك؟ قال: نعم، وقد زادت رغبتي فيه. فقال قصير: «ليس الدهر بصاحب لمن لم ينظر في العواقب»(١) فأرسلها مثلاً. ثم قال: «وقد يستدرك الأمر قبل فوته، وفي يد الملك بقية، هو بها مسلط على استدراك الصواب، فإنك إن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة وأعوان، فإنك قد نزعت يدك من سلطانك، وفارقت عشيرتك وأعوانك، وألقيتها في يد من لست آمن عليك مكره وغدره، فإن كنت ولا بد فاعلاً، ولهواك تابعاً، فإن القوم أن يلقوك غداً رزدقاً واحداً، وقاموا لك صفين، حتى إذا توسطتهم أطبقوا عليك من كل جانب، وأحدقوا بك فقد ملكوك، وصرت في قبضتهم. وهذه العصا لا يسبق غبارها. (وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح، يقال لها العصا)، فإذا رأيت الأمر كذلك فتجلل ظهرها، فهي ناجية بك إن ملكت ناصيتها»، فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه. وسار وكانت الزباء، لما رجع رسول جذيمة من عندها، قالت لجندها: «إذا أقبل جذيمة غداً فتلقوه بأجمعكم، وقوموا له صفين، عن يمينه وعن شماله، فإذا توسط جمعكم، فانقضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به، وإياكم أن يفوتكم».

وسار جذيمة وقصير عن يمينه، فلما لقيه القوم رزدقاً واحداً، قاموا له صفين، فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب فعلم أنهم قد ملكوه، وكان قصير يسايره، فأقبل جذيمة عليه وقال: صدقت يا قصير، فقال: هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها، فأنف جذيمة من ذلك، وسارت به الجيوش، فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأمر، وأيقن بالقتل، جمع نفسه ووثب على ظهر العصا، وقال ابن هشام: إن قصيراً قدم العصا إلى جذيمة، فشغل عنها جذيمة بنفسه، فركبها قصير وأعطاها عنانها، وزجرها فذهبت تهوي في هوي الريح، فنظر إليه جذيمة وهي تطاول به، وأشرفت عليه الزباء من قصرها، فقالت له: ما أحسنك من عروس تجلى علي وتزف إلي حتى دخلوا به على الزباء، ولم يكن معها في قصرها إلا جوار أبكار، وهي جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة، كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي، وهي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم.

وقال ابن هشام: وكانت الزباء قد ربت شعر عانتها حولاً، فلما دخل عليها جذيمة، تكشفت له وقالت: أمتاع عروس ترى؟ فقال: بل متاع أمة بظراء! فأمرت به فأجلس على نطع، وقيل: إنه لما أدخل عليها أمرت بالانطاع فبسطت وقالت لوصائفها: خذن بيد سيدكن، وبعل مولاتكن، فأخذن بيده وأجلسنه على الانطاع، بحيث تراه ويراها، وتسمع كلامه ويسمع كلامها، ثم أمرت الجواري فقطعن رواهشه(٢)، ووضعن الطست بين يديه، فجعلت دماؤه تشخب في الطست فقطرت قطرة على النطع، فقالت لجواريها: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: لا يحزنك دم أراقه أهله. فقالت: والله ما وفى دمك، ولا شفى قتلك، ولكنه «غيض من

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٢٠٠.

(٢) الرواهش: عروق ظاهر الكف.

فيض»[1]، فأرسلتها مثلاً فلما قضى أمرت به فدفن.

وأما عمرو فكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر، ويقتفي من خاله الأثر، فخرج ذات يوم، فإذا فارس قد أقبل، تهوي به الفرس هوي الريح، فقال عمرو بن عدي: أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالبهيمة «لأمر ما جاءت العصا»، فأرسلها مثلاً، فأشرف قصير فقال: ما وراءك؟ قال: سعى القدر بالملك إلى حتفه، على الرغم من أنفي وأنفه. ثم قال لعمرو بن عدي: أطلب بثأرك من الزباء، فقال عمرو: وأنى يطلب من الزباء وهي «أمنع من عقاب الجو»[2] فأرسلها مثلاً. فقال له قصير: قد علمت نصحي لخالك، وكأن الأجل طالبه، وأنا والله لا أنام عن الطلب بدمه، ما لاح نجم أو طلعت شمس، أو أدرك به ثأراً، أو تخترم نفسي فأعذر. ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه. وقال ابن هشام: إن قصيراً قال لعمرو: اجدع أنفي واقطع آذاني، واضرب ظهري حتى يؤثر فيه، ودعني وإياها، ففعل به عمرو ذلك. وذكر الاخباريون أن عمراً أبى عليه ففعل هو بنفسه ذلك، فقيل: «لأمر ما جدع قصير أنفه»[3].

قال ابن الجوزي: ثم إن قصيراً لحق بالزباء هارباً من عمرو بن عدي، فقيل لها: هذا قصير ابن عم جذيمة، وخازنه وصاحب أمره، قد أتاك هارباً، فأذنت له وقالت: ما الذي جاء بك إلينا يا قصير، وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقال: يا ابنة الملوك العظام، لقد أتيت فيما يأتي فيه مثلي إلى مثلك، ولقد كان دم الملك، يعني أباها، يطلب جذيمة حتى أدركه، وقد جئتك مستجيراً من عمرو بن عدي، فإنه اتهمني بخاله لمشورتي عليه في المسير، إليك فجدع أنفي، وأخذ مالي، وجلد ظهري، وقطع آذاني، وحال بيني وبين أهلي، وتهددني بالقتل، وإني خشيت على نفسي، فهربت منه إليك، وأنا مستجير بك، ومستند إلى كنف عزك. فقالت له: أهلاً وسهلاً، لك حق الجوار، وذمة المستجير.

وأمرت به فأنزل، وأجرت له النفقات ووصلته وكسته وأخدمته، وزادت في إكرامه. فأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه، وهو يطلب الحيل عليها، وموضع الفرصة منها، وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به، فلا يقدر أحد عليها، فقال لها قصير يوماً: إن لي في العراق مالاً كثيراً، وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك، فإذا أذنتني في الخروج إلى العراق، وأعطيتني شيئاً أتعلل به في التجارة، واجعله سبباً إلى الوصول إلى مالي، أتيتك بما قدرت عليه من ذلك. فأذنت له وأعطته مالاً فقدم به إلى العراق، وأخذ مالاً جزيلاً، ثم رجع إلى الزباء، وقد استصحب من ظرائف العراق ولطائفها وزادها مالاً كثيراً إلى مالها.

قال: فلما قدم عليها، أعجبها ذلك وأبهجها وعظمت منزلته عندها، ثم إنه عاد إلى العراق ثانية، وقدم عليها بأكثر من النوبة الأولى، وزادها أضعافاً من الجوهر والخز والبز والقز والديباج، فازداد مكانه منها، وعظمت منزلته عندها، ورغبتها فيه ولم يزل قصير يتلطف في الحيلة، حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات، والطريق إليه. ثم خرج ثالثة، فقدم بأكثر من المرتين الأولين ظرائف ولطائف، فبلغ مكانة عظيمة منها، حتى إنها كانت تستعين به في مهماتها،

(١) المستقصى: ٢/١٧٨. (٢) جمهرة الأمثال: ١/٢٣٤. (٣) مجمع الأمثال: ٢/١٩٦.

واسترسلت إليه وعولت في أمورها عليه.

وكان قصير رجلاً حسن العقل والوجه، أديباً لبيباً، فقالت له يوماً: إني أريد أن أغزو البلد الفلانية من أرض الشأم، فاخرج إلى العراق وائتني بكذا وكذا من الدروع والكراع، والعبيد والثياب، فقال قصير: لي ببلاد عمرو بن عدي ألف بعير، وخزانة من المال، وخزانة من السلاح، فيها كذا وكذا، وما لعمرو بها من علم، ولو علم بها لأخذها، واستعان بها على حرب الملكة، وقد كنت أتربص به ريب المنون، وها أنا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم فآتي الملكة بذلك، مع الذي سألت، فأعطته من المال ما أراد، وقالت: يا قصير الملك يحسن بمثلك، وعلى يد مثلك يصلح أمره، وقد بلغني أن جذيمة كان إيراده وإصداره إليك، وما أقصر بك عن شيء تناله يدي، ولا يقعد بك حال تنهض بي. فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال: إنه أسد خادر، وليث ثائر، قد تحفز للوثبة.

ولما عرف قصير مكانه منها، وتمكنه من قلبها، قال: الآن طاب الخداع، وخرج من عندها، فأتى عمرو بن عدي فقال: قد أصبت الفرصة من الزباء، فقال له عمرو: قل أسمع ومر اقبل، فأنت طبيب هذه القرحة. فقال: الرجال والأموال. فقال عمرو: حكمك فيما عندي مسلط، فعمد إلى ألفي رجل من فتاك قومه، وصناديد أهل مملكته، فحملهم على ألف بعير، في الغرائر السود بالأسلحة، وجعل ربطها من داخل الجوالق. وكان عمرو منهم، وساق الخيل والكراع والسلاح والإبل محملة.

قال ابن هشام: فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار، وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائماً وقاعداً وراكباً، وغمي عليها أمر قصير، فسألت عنه فقيل: أخذ الغوير. فقالت: «عسى الغوير أبؤسا»[1]، فأرسلتها مثلاً. وعسى، في المثل، بمعنى صار، ولذلك أتى الخبر بغير الفعل، فلما قدم قصير دخل على الزباء وكان قد تقدم على العير، فقال لها: قفي وانظري إلى العير، فصعدت على سطح قصرها وجعلت تنظر إلى العير مثقلة بحمل الرجال فقالت: يا قصير:

ما للجمالِ مشيها وئيدا أجندلاً يحملنَ أم حديدا[2]
أم صرَفاناً بارداً شديداً أم الرجالُ جُثَّماً قعودا

وكان قصير قد وصف لعمرو الزباء، وشأن النفق، فلما دخلت العير المدينة، وكان على باب الزباء بوابون من النبط، وفيهم رجل بيده مخصرة، فطعن جوالقاً، فأصابت المخصرة رجلاً منهم فضرط، فقال البواب بالنبطية: بشا بشا أي الشر الشر، فاستل قصير سيفه وضرب به البواب فقتله. وكان عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل وحل الرجال الجوالق، فظهروا في المدينة، ووقف عمرو على باب النفق، فلما رأت الزباء عمراً، عرفته بالصفة، فمصت خاتماً في يدها مسموماً، وقالت: بيدي لا بيد عمرو، فماتت. ويقال: إن عمراً قتلها بالسيف، وقال ابن الجوزي: إن الزباء، لما رأت الإبل تتهادى بأحمالها، ارتابت بها، وكان قد وشى بقصير إليها،

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٤٥.
(٢) جندل: صخر.

فقدح ما رأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها في نفسها، مع ما عندها من قول الواشي به فقالت:

أرى الجمال مشيها وئيدا

إلا أنه ذكر عوض «أم الرجال جثماً قعوداً» أم «الرجالُ في الغرار السودا». ثم قالت لجواريها: «أرى الموت الأحمر في الغرائر السود» فذهبت مثلاً، وذكر القصة إلى آخرها، فاحتوى عمرو على بلادها.

والزباء اسمها نائلة في قول[1] محمد بن جرير الطبري، ويعقوب بن السكيت واستشهد ابن جرير الطبري بقول الشاعر:

أتعرفُ منزلاً بين النقاءِ وبينَ ممرِ نائلةَ القديمِ

وميسون في قول ابن دريد، وفارعة في قول ابن هشام وابن الجوزي وغيرهما كما تقدم. قلت:

وفي النهاية لابن الأثير، أن قوماً من الجن تذكروا عيافة بني أسد، ووصفهم بها، فأتوهم فقالوا: ضلت لنا ناقة، فلو أرسلتم معنا من يعيف؟ فقالوا لغلام لهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم، ثم ساروا فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعر الغلام وبكى، فقالوا: ما لك يا غلام؟ فقال: كسرت جناحاً ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً، ما أنت بإنسي ولا تبغي لقاحاً، وقالوا: «أطير من عقاب[2] الجو» و«أبصر من عقاب وأحزم»[3]. فإن قيل: ما حزمه؟ قيل: إنه يخرج من بيضته على رأس جبل عال، فلا يتحرك حتى يتكامل ريشه، ولو تحرك لسقط. ويقال أيضاً: «أسمع من فرخ عقاب»[4] «وأعز من عقاب[5] الجو».

عجيبة: نقل ابن زهر، عن ارسطاطاليس، أن العقاب تصير حدأة والحدأة عقاباً يتبادلان في كل سنة.

الخواص: قال صاحب عين الخواص: قال عطارد[6] بن محمد: إن العقاب يهرب من الصبر، وإذا شم رائحته غشي عليه. وريش العقاب إذا دخن به البيت ماتت حياته. ومرارته تنفع من الظلمة، والماء الذي في العينين اكتحالاً قاله القزويني.

التعبير: العقاب تدل رؤيته لمن هو في حرب على النصر والظفر على الأعداء، لأنها كانت راية النبي ﷺ. والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده. ومن رأى أنه ملك عقاباً أو نسراً، وتحكم عليه، نال عزاً وسلطاناً ونصرة على عدوه، وعاش عمراً طويلاً. فإن كان الرائي من أهل الجد والاجتهاد، انقطع عن الناس واعتزلهم، وعاش منفراً لا يأوي إلى أحد. وإن كان ملكاً، اصطلح مع الأعداء، وأمن من شرهم ومكايدهم، وانتفع بما عندهم من السلاح والمال، لأن أرياشها السهام، وهي أموال أيضاً، وصغارها أولاد زنا. قاله ابن المقري.

---

(١) تاريخ الطبري: ١/٦١٩. والبيت للقعقاع بن الدرماء الكلبي. (٢) جمهرة الأمثال: ٢/٢١.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/١٣٦، ١/٣٢٨. (٤) المستقصى: ١/١٧٣.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/٥٧. (٦) عطارد بن محمد البابلي البغدادي، عالم بالنجوم مات سنة ٢٠٦ هـ.

وقال المقدسي: من رأى عقاباً ضربه بمخالبه، ناله شدة في ماله. وأكل لحم العقاب يدل على الحرص، وربما دلت رؤيته، أعني العقاب، على رجل صاحب حرب، لا يأمنه قريب ولا بعيد. وإذا رؤي على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت. ومن ركب عقاباً في منامه، وكان فقيراً نال خيراً، وإن كان غنياً أو من أشراف الناس، فإنه يموت، لأن في الزمان المتقدم، كانوا يصورون صورة الميت من الأغنياء والأمراء، على صورة عقاب. ومن رأى من النساء، كأنها ولدت عقاباً، اتصل ولدها بالملك في خدمة أو صراع، والله أعلم.

العَقِد: الجمل الصغير القوائم، الطويل السنام، فإذا مشى مع الجمال، قصر عن طولها، وإذا برك معها طالها لطول سنامه، ولذلك يقول ثعلبة:

أرسلتُ فيها جملاً لكالكا　　　يقصر مشياً ويطول باركا

العقال: القَلوص الفتية، والعقال زكاة العام من الإبل والغنم. قال الشاعر:

سعى عِقالا فلم يترك لنا سَبَداً　　　فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

العقرب: دويبة من الهوام تكون للذكر والأنثى بلفظ واحدة، واحدة العقارب. وقد يقال للأنثى: عقربة وعقرباء ممدود غير مصروف، ويصغر على عقيرب، كما تصغر زينب على زيينب والذكر عُقرُبان بضم العين والراء، وهو دابة له أرجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب قال[1] الشاعر:

كأن مرعى أمكم إذ غدتْ　　　عقربةٌ يكومُها عقربانُ

أي ينزو عليها. ومكان معقرِب بكسر الراء، ذو عقارب، وصدغ معقرَب بفتح الراء، أي معطوف. وكنيتها أم عريط وأم ساهرة، واسمها بالفارسية الرشك كما تقدم. ومنها السود والخضر والصفر، وهن قواتل وأشدها بلاء الخضر. وهي مائية الطباع، كثيرة الولد، تشبه السمك والضب. وعامة هذا النوع، إذا حملت الأنثى منه، يكون حتفها في ولادتها، لأن أولادها إذا استوى خلقها، تأكل بطنها وتخرج، فتموت الأم. وأنشدوا قول[2] الشاعر:

وحاملةٍ لا يحملُ الدهرُ حملَها　　　تموتُ وينمى حملُها حين تعطبُ

والجاحظ لا يعجبه هذا القول، ويقول: قد أخبرني من أثق به، أنه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل أولادها على ظهرها، وهي على قدر القمل كثيرة العدد. قلت: والذي ذهب إليه الجاحظ هو الصواب. والعقرب أشد ما تكون، إذا كانت حاملاً، ولها ثمانية أرجل، وعيناها في ظهرها. ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا النائم، حتى يتحرك شيء من بدنه، فإنها عند ذلك تضربه. وهي تأوي إلى الخنافس وتسالمها، وربما لسعت الأفعى فتموت، وهي يلسع بعضها بعضاً فتموت، قاله الجاحظ. وفي كتاب القزويني، أن العقرب إذا لسعت الحية فإن أدركتها

(١) الحيوان للجاحظ: ٢/٢٨٦، والبيت لإياس بن أرت الطائي.
(٢) الحيوان للجاحظ: ٥/٣٥٨.

وأكلتها برئت، وإلا ماتت. وقد أشار إلى ذلك الفقيه عمارة اليمني في أبياته بقوله[1]:

إذا لم يسالمك الزمانُ فحاربْ ... وباعدْ إذا لم تنتفعْ بالأقارب
ولا تحتقرْ كيدَ الضعيفِ فربما ... تموتُ الأفاعي من سمومِ العقارب
فقد هدم عرشَ بلقيس هدهدٌ ... وخربَ فأرٌ قبلَ ذا سدَّ مأرب
إذا كان رأسُ المالِ عمركَ فاحترزْ ... عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليلِ والصبحِ معركٌ ... يكر علينا جيشُه بالعجائب

وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة[2] الفقيه عمارة بن علي بن زيدان اليمني، أن قاسم بن هاشم، صاحب مكة، وجهه رسولاً إلى الديار المصرية، فدخلها في ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة، وصاحبها يومئذ الفائز، والوزير الصالح بن رزيك، فأنشدهما قصيدته الميمية التي أولها:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم

وفي آخرها:

ليت الكواكبَ تدنو لي فأنظمَها ... عقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كلمي
خليفةٌ ووزيرٌ مدّ عدلهما ... ظلاً على مفرقِ الاسلام والأممِ
زيادةُ النيلِ نقصٌ عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى منةُ الديم

فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته، وعاد إلى مكة، ثم إلى زبيدة ثم أعاده صاحب مكة رسولاً إلى مصر أيضاً، فاستوطنها وأحسن الصالح وبنوه إليه. فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، مدحه ومدح جماعة من أهل بيته، ثم إنه شرع في الاتفاق، مع جماعة من الرؤساء، على إعادة دولة المصريين ووافقهم جماعة من أمراء الملك الناصر، واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن سواحل الشام إلى ديار مصر، على شيء يبذلونه لهم، من المال والبلاد، فعلم صلاح الدين بذلك فقبض عليهم وسألهم عن ذلك، فأقروا. فصلبهم في رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وهذا التاريخ مناقض لما تقدم، من أنه كان رسولاً لصاحب مكة في سنة خمسين وخمسمائة.

قلت: والصواب أن صلبهم كان في سنة تسع وستين يوم السبت الثاني من شهر رمضان، وكان القبض عليهم في يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة. وكان عمارة شافعياً، وينسب إليه بيت قاله، أو وضع عليه والله أعلم بذلك:

قد كان أولُ هذا الدين من رجلٍ ... سعى إلى أنْ دعوه سيّدَ الأممِ

فأفتى فقهاء مصر بقتله، ولم يتعرض السلطان صلاح الدين إلى من نافق عليه من أجناده، ولا أظهر لهم أنه علم بشيء من أمرهم. ومن العجيب أن الفقيه عمارة قال قبل صلبه بأيام قلائل في مصلوب:

---

(١) وفيات الأعيان: ٤٣٤/٣.

(٢) وفيات الأعيان: ٤٣١/٣، والأبيات مع ترجمته.

ورأتْ يـداه عـظيـمَ مـا جنـتـا ... فـفـررنَ ذي شرقـا وذي غـربـا
وأمـالَ نـحـو الـصـدرِ منـه فـما ... لـيـلومَ في أفـعـالـهِ الـقـلبـا

فكأنه كان لسان حاله.

ومن شأنها، أنها إذا لسعت الإنسان، فرت فرار مسيء يخشى العقاب. قال الجاحظ: ومن عجيب أمرها أنها لا تسبح ولا تتحرك، إذا ألقيت في الماء سواء كان الماء ساكناً، أو جارياً، قال: والعقارب تخرج من بيوتها للجراد، لأنها حريصة على أكله، وطريق صيدها أن تشبك الجرادة في عود، ثـم تدخل في جحرها، فإذا عاينتها العقرب تعلقت فيها. ومتى أدخل الكراث في جحرها وأخرج، فإنها تتبعه أيضاً. وربما ضربت الحجر والمدر، ومن أحسن ما قيل في ذلك:

رأيـت عـلى صـخـرةٍ عـقـربـا ... وقـد جـعـلت ضربهـا ديـدنـا
فـقـلـت لهـا: إنها صـخـرة ... وطبـعُـكِ من طـبـعِـهـا ألـيـنـا
فـقـالـت: صـدقـت ولـكـنـني ... أريـدُ أعـرفـهـا مـن أنـا

والعقارب القاتلة تكون في موضعين بشهرزور وبعسكر مكرم، وهي جرارات تلسع فتقتل كما تقدم. وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى، حتى إنه لا يدنو منه أحد إلا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه. ومن لطيف أمرها أنها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها.

ومن نوع العقارب الطيارة، قـال القزويني والجـاحظ: وهذا النـوع يقتل غـالباً. قـال الرافعي: وحكى العبادي وجهاً أنه يصح بيع النمل بنصيبين، لأنه يعالج به العقارب الطيارة، التي بها. وسيأتي إن شاء الله تعالى، هذا أيضاً في باب النون، في حكم النمل ولعل مراده أن النمل يعمل مع أدوية، ويعالَج بها لدغتها.

وبنصيبين عقارب قتالة، يقال إن أصلها من شهرزور، وإن بعض الملوك حاصر نصيبين، فأتى بالعقارب منها وجعلها في كيزان الفقاع، ورمى بها في المجانيق. قال الجاحظ: وكان في دار نصر بن حجاج السلمي[1] عقارب، إذا لسعت قتلت، فدب ضيف لهم، إلى بعض أهل الدار فضربته عقرب في مذاكيره فقال[2] نصر يعرض به:

وداري إذا نـام سـكـانها ... أقـام الحـدودَ بهـا الـعـقـربُ
إذا غـفـلَ الـنـاسُ عـن دينهـم ... فـإن عـقـاربَهـا تـضـربُ
فـلا تـأمـنـنْ سرى عـقـربٍ ... بـلـيـلٍ إذا أذنـبَ المـذنـبُ

فدخل حوالي الدار وقال: هذه عقارب تسقى من أسود سالخ، ونظر إلى موضع في الدار، وقال: احفروا ههنا، فحفروا فوجدوا أسودين: ذكراً وأنثى.

---

(١) ابن حجّاج: نصر بن حجّاج بن عِلاط السلمي شاعر من أهل المدينة، كان وسيماً جيلاً يستهوي النساء، عاش زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٢) الحيوان للجاحظ: ٤/٢١٨.

وروى الطبراني وأبو يعلى الموصلي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي بن أبي طالب على رسول الله ﷺ وهو يصلي، فقام إلى جنبه فصلى بصلاته، فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله ﷺ ثم تركته، وذهبت نحو علي فضربها بنعله حتى قتلها، فلم ير رسول الله ﷺ بقتلها بأساً. في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف.

وروى ابن ماجه، عن أبي رافع، أن النبي ﷺ «قتل عقرباً وهو يصلي»[1]. وفيه أيضاً، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: لدغت النبي ﷺ عقرب، وهو في الصلاة، فقال: «لعن الله العقرب ما تدع مصلياً ولا غير مصل اقتلوها في الحل والحرم»[1].

وروى الحافظ أبو نعيم، في تاريخ أصبهان، والمستغفري في الدعوات، والبيهقي في الشعب، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لدغت النبي ﷺ عقرب، وهو في الصلاة فلما فرغ من صلاته، قال: «لعن الله العقرب ما تدع مصلياً ولا غيره، ولا نبياً ولا غيره، إلا لدغته». وتناول نعله فقتلها به، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها، ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين.

وفي تاريخ نيسابور، عن الضحاك بن قيس الفهري، قال: قام رسول الله ﷺ من الليل يتهجد، فلدغته عقرب في أصبعه فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله العقرب ما تكاد تدع أحداً»[2]، ثم دعا بماء في قدح، وقرأ عليه قل هو الله أحد الله الصمد ثلاث مرات، ثم صبه على أصبعه، ثم رؤي ﷺ، بعد ذلك على المنبر عاصباً أصبعه من لدغة العقرب.

وفي عوارف المعارف، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: «لدغت رسول الله ﷺ عقرب في إبهامه، من رجله اليسرى فقال: «علي بذاك الأبيض الذي يكون في العجين»، فجئنا بملح فوضعه ﷺ في كفه، ثم لعق منه ثلاث لعقات، ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه.

وروى ابن أبي شيبة، عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ خطب الناس، وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال: «إنكم تقولون لا عدوى، ولاتزالون تقاتلون عدواً حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، صهب الشعاف، من كل حدب ينسلون وكأن وجوههم المجان المطرقة»[3].

غريبة: في تاريخ شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى، في حوادث سنة تسع وخمسمائة ذكر أن بعض الملوك قال له منجموه: إنه يموت في الساعة الفلانية في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني من سنة كذا من عقرب تلدغه، فلما كانت الساعة المذكورة تجرد من جميع ثيابه سوى ما يستر عورته، وركب فرساً بعد أن غلسه ونظفه وسرح شعره، ودخل به البحر حذاراً مما ذكر له منجموه، فبينما هو كذلك عطست الفرس فخرج من أنفه عقرب فلدغته، فمات. فما أغناه الحذر عن القدر.

وعن معروف الكرخي قال: بلغنا أن ذا النون المصري، خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه، فإذا هو بعقرب قد أقبل عليه، كأعظم ما يكون من الأشياء، قال: ففزع منها فزعاً شديداً،

---

(١) رواه ابن ماجه إقامة ١٤٦.
(٢) رواه ابن ماجه إقامة ١٤٦، وابن حنبل ٥ ـ ٢٧١.
(٣) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٢٧١.

واستعاذ بالله منها فكفي شرها. فأقبلت حتى وافت النيل، فإذا هي بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره، وعبر بها إلى الجانب الآخر.

فقال ذو النون: فاتزرت بمئزري ونزلت في الماء، ولم أزل أرقبها إلى أن أتت إلى الجانب الآخر، فصعدت ثم سعت وأنا أتبعها إلى أن أتت شجرة كثيرة الأغصان، كثيرة الظل، وإذا بغلام أمرد أبيض نائم تحتها، وهو مخمور، فقلت: لا قوة إلا بالله، أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى، فإذا أنا بتنين قد أقبل يريد قتل الفتى، فظفرت العقرب به ولزمت دماغه، حتى قتلته ورجعت إلى الماء. وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر فأنشد ذو النون يقول:

يا راقداً والجليلُ يحفظه ... من كل سوءٍ يكون في الظُّلَمِ
كيف تنامُ العيونُ عن ملك ... تأتيك منه فوائدُ النعمِ

قال: فانتبه الفتى على كلام ذي النون، فأخبره الخبر فتاب ونزع لباس اللهو، ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله تعالى.

واسم ذي النون ثوبان بن ابراهيم، وقيل: الفيض بن ابراهيم. ومن كلامه رحمه الله تعالى: حقيقة المحبة أن تحب ما أحبه الله، وتبغض ما أبغضه الله، وتطلب رضاه وترفض جميع ما يشغلك عنه، وأن لا تخاف فيه لومة لائم، وأن تعزل نفسك عن رؤيتها وتدبيرها. فإن أشد الحجاب رؤية النفس وتدبيرها. وقال رحمه الله: لايزال العارف مادام في الدنيا، بين الفخر والفقر، فإذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه افتقر. وقال: ليس بذي لب من جد في أمر دنياه وتهاون في أمر آخرته، ولا من سفِه في مواطن حلمه، ولا من تكبر في مواطن تواضعه، ولا من فقدت منه التقوى في مواطن طمعه، ولا من غضب من حق إن قيل له، ولا من زهد فيما يرغب العقلاء فيه، ولا من رغب فيما يزهد العقلاء فيه، ولا من طلب الإنصاف من غيره لنفسه، ولا من نسي الله تعالى في مواطن طاعته، وذكر الله في مواطن الحاجة إليه، ولا من جمع العلم ليعرف به ثم أثر عليه هواه بعد تعلمه، ولا من قل منه الحياء من الله تعالى، على جميل ستره، ولا من أغفل الشكر على اظهار نعمه، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه، ولا من جعل مروأته لباسه، ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرفاً وتزيناً في مجلسه، ثم قال: استغفر الله العظيم، إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع.

وحكى لي بعض أشياخي عن ذي النون أنه قال لبعض الرهبان: ما معنى المحبة؟ فقال: لا يطيق العبد حمل محبتين: من أحب الله لا يحب الأغيار، ومن أحب الأغيار لا يحب الله خالصاً، فتفكر في حالك من أي القبيلين أنت؟ قال: قلت: صف لي المحبة. فقال: المحبة عقل ذاهب، ودمع ساكب، ونوم طريد، وشوق شديد، والحبيب يفعل ما يريد. قال ذو النون: فعمل هذا الكلام معي، فعلمت أنه خرج من المعدن وأن الراهب مسلم. ثم فارقته فبينما أنا أطوف بالكعبة، وإذا بالراهب يطوف وقد نحل، فقال لي: يا أبا الفيض، تم الصلح وانفتح باب المؤانسة، ومن الله علي بالاسلام وحملني ما عجزت عنه السموات والأرض. قال ذو النون: حمل نفسه محبة الله تعالى التي عجزت عنها السموات والأرض، وصم الجبال، وحملها أجلاد الرجال

بلطائف الأحوال. وأنشد يقول:

حبُّك يا سؤلي ويا منيتي قد أنحلَ الجسمَ وقد كدّهْ
لو أنّ ما في القلبِ من حبّكم بالجندلِ الصّلدِ لقد هدّه

ثم قال ذو النون: لا أحياء ولا أموات، ولا صحاة ولا سكرى، ولا مقيمون ولا ظاعنون، ولا مفيقون ولا صرعى، ولا أصحاء ولا مرضى، ولا منتبهون ولا نيام، فهم كأصحاب الكهف، في فجوة الكهف لا يدرون ما يفعل بهم، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال. قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي: ذو النون رحمه الله تعالى، أصله من النوبة وكان من أهل اخميم، فنزل مصر وسكنها، ويقال اسمه الفيض وذو النون لقب.

وقال الإمام أبو القاسم القشيري، في رسالته: كان ذو النون قد فاق أهل هذا الشأن، وصار واحد وقته علماً وورعاً وأدباً وحالاً، وكانت وفاته بالجيزة لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين. قال ابن خلكان: ودفن بالقرافة الصغرى.

وأما معروف فهو ابن قيس الكرخي، كان مشهوراً بإجابة الدعوة، وأهل بغداد يستسقون بقبره، ويقولون: قبر معروف ترياق مجرب. وكان سري السقطي تلميذه، وقيل لمعروف في مرض موته: أوص، فقال: إذا مت، فتصدقوا بقميصي فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً. ومر معروف رحمه الله تعالى يوماً بسقاء، وهو يقول: يرحم الله من يشرب، وكان صائماً فتقدم وشرب، فقيل له: ألم تكن صائماً؟ قال: بلى. ولكن رجوت دعاءه. توفي رحمه الله تعالى سنة ثلثمائة.

وقال الزمخشري، في ربيع الأبرار: زعموا أن أرض حمص لا تعيش فيها العقارب، وزعم أهلها أن ذلك لطلسم هناك، قالوا: وإن طرحت فيها عقرب غريبة، ماتت من ساعتها. وحمص مدينة معروفة من مشارق الشام، لا تنصرف للعلمية والعجمة والتأنيث، وهي من المدن الفاضلة. وفي حديث ضعيف أنها من مدن الجنة. وكانت في أول الأمر أشهر بالفضل من دمشق. وذكر الثعلبي أنه نزلها سبعمائة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فائدة: رقية العقرب جائزة، لما روى(١) مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، قال: لدغت رجلاً عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله ارقيه؟ قال ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل». وفي رواية(٢) فجاء آل عمر بن حزم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، فقال ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم»، فعرضوها عليه، فقال ﷺ: «ما أرى بها بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه». وفي رواية: «اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شيء». فالرقى جائزة بكتاب الله أو بذكره، ومنهي عنها إذا كانت بالفارسية أو بالعجمية، أو بما لا

(١) رواه مسلم: سلام ٦٠، وابن حنبل ٣٨٢/٣.
(٢) رواه مالك في الموطأ: عين ١٣، سلام ٦٢، ٦٣.

يدري معناه، لجواز أن يكون فيه كفر. واختلفوا في رقية أهل الكتاب، فجوزها أبـو حنيفة، وكرهها مالك خوفاً أن تكون مما بدلوا.

فمن الرقى النافعة المجربة، أن يسأل الراقي الملدوغ إلى أين انتهى الوجع من العضو؟ ثم يضع على أعلاه حديدة، ويقرأ العزيمة ويكررها، وهو يجرد موضع الألم بالحديدة من فوق حتى ينتهي في جرد السم إلى أسفل الوجع، فإذا اجتمع في أسفله، جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم، ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك. وهي هذه: سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين، من حاملات السم أجمعين، لا دابة بين السماء والأرض إلا ربي آخذ بناصيتها أجمعين، كذلك يجزي عباده المحسنين، إن ربي على صراط مستقيم، نوح نوح قال لكم نوح: من ذكرني لا تأكلوه، إن ربي بكل شيء عليم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ورأيت بخط ابن الصلاح، في رحلته رقية للعقرب، قال: ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا تلدغه عقرب، وإن أخذها بيده لا تلدغه، وإن لدغته لا تضره. وهي بسم الله وبالله وبسم جبريل وميكائيل كازم كازم ويزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يشتامر ايشتامر اهوذا هوذاهى لمظا أنا الراقي والله الشافي.

صفة خاتم: نافع للسع العقرب، ولإفاقة المجنون وللرعاف، ولوجع العين، إذا كان من ريح باردة، ينقش على خاتم بلور أحمر هذه الأسماء: خطلسلسه كطوده دل صحوه أوسطظا أبي مه بيدهى سفاهه. فللعقرب يغمس في ماء نظيف، ويجعل في موضع اللسع، وللمجنون يديم النظر إلى الخاتم فإنه يفيق بإذن الله تعالى، وللرعاف يكتب على الجبهة، وللحمى يكتب عـلى ورق الزيتون ويعلق، وللريح يجعل الخاتم في موضع الريح ويمسحه.

ومما يكتب للحمى أيضاً على ثلاث ورقات ويبخر بها المحموم:

الأولى	الثانية	الثالثة
ااا ط لا	ااا ط ط	ااا لح لو م
كـــو	كـــو	كـــو

وللحمى أيضاً يكتب على ثلاث ورقات، ويأكل كل يوم ورقة إذا حم. الأولى بسم الله نارت واستنارت، الثانية بسم الله في علم الغيب غارت، الثالثة بسم الله حول العرش دارت.

ومما يكتب للرعاف أيضاً، وللنزيف لوطا لوطا لوطا يكتب ثلاثة أسطر. وذكر صاحب عين الخواص: تكتب هذه الأسماء في ورقة، أو على طاسة اسبادرية صحيحة غير مشعوبة، أو قصعة جوز بلا شعب، ويكتب اسم أبيه وأمه، ويسقى للموعوك، وإن سقيت للملسوع أفاق لوقته وهي هذه: «سارا سارا إلى سارا مالى يرن يرن إلى بامال واصال باطوطو كالعوماراساب يافارس اردبباب ها كانا ما أبين لها نارا أناركاس متمرنا كاطن صلوبير ص صاروب اناوين ودى». هذا لمسلوع الحية. قال: وهو مما جرب، فوجد نافعاً وقد تقدم، في باب الحاء المهملة، في الحية ما

يقرب من هذا. وقال بعض العلماء المتقدمين: من قال في أول الليل وأول النهار، عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق، بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق.

وروى مالك والجماعة، إلا البخاري، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ فقال[1] ﷺ: «أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك إن شاء الله تعالى». وفي كامل ابن عدي، في ترجمة وهب بن راشد الرقي، أن الرجل المذكور بلال. وفي رواية[2] للترمذي: «من قال حين يمسي، ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة». قال سهيل: فكان أهلنا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً. وقال: هذا حديث حسن.

كلمات الله القرآن. ومعنى تمامها أن لا يدخلها نقص ولا عيب، كما يدخل كلام الناس. وقيل: هي النافعات الكافيات عن كل ما يتعوذ به. قال البيهقي: وإنما سماها تامة لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه تعالى نقص أو عيب كما يكون في كلام الآدميين. قال: وبلغني عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الهامة.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد، عن سعيد بن المسيب قال: بلغني أن من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين، لم تلدغه عقرب. وقال عمرو بن دينار: إن مما أخذ على العقرب، أن لا تضر أحداً قال في ليل أو نهار: سلام على نوح في العالمين.

وفي التمهيد، لابن عبد البر في ترجمة يحيى بن سعيد الأنصاري، في بلاغاته في الثاني عشر، قال ابن وهب وأخبرني ابن سمعان قال: سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون: إذا لدغ الإنسان، فنهشته حية أو لدغته عقرب، فليقرأ الملدوغ هذه الآية[3]: **﴿نوديَ أنْ بوركَ مَن في النارِ ومَن حولَها وسبحانَ الله ربِّ العالمين﴾**.

وقال الشيخ أبو القاسم القشيري، في تفسيره في بعض التفاسير: إن الحية والعقرب، أتتا نوحاً عليه الصلاة والسلام، فقالتا: احملنا، فقال نوح: لا أحملكما فإنكما سبب للبلاء والضرر، فقالتا: احملنا ونحن نعاهدك ونضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فعاهدهما وحملهما. فمن قرأ ممن كان يخاف مضرتهما حين يمسي وحين يصبح: **﴿سلامٌ على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين﴾**[4] ما ضرتاه.

ثم روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن نوحاً عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين. وكان طولها ثلثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وسمكها ثلاثين ذراعاً، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون: في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن

---

(١) رواه مسلم: ذكر ٥٥.
(٢) رواه الترمذي: طب ٢٠.
(٣) سورة النمل: آية ٨.
(٤) سورة الصافات: آيات ٧٩، ٨٠، ٨١.

الثاني: وهو الأوسط، الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما احتاج إليه من الزاد.

وروينا عن الشيخ الإمام الحافظ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوريزي، نزيل مكة المشرفة، أنه قال: كنت أقرأ بمكة الفرائض، على الشيخ تقي الدين الحوراني، فبينما نحن جلوس، وإذا بعقرب تمشي، فأخذها الشيخ بيده، وجعل يقلبها في يده، فوضعت الكتاب من يدي، فقال: اقرأ، فقلت: حتى أتعلم هذه الفائدة، فقال: هي عندك، قلت: ما هي؟ قال: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «من قال حين يصبح وحين يمسي: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء وقد قلتها أول النهار». ومما يدفع شر الحية والعقرب، أن يقرأ عند النوم ثلاث مرات: أعوذ بربِّ أوصافُه سمية من كل عقرب وحية، سلام على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزي المحسنين، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

فائدة: يقال: لدغته العقرب تلدغه لدغاً وتلداغاً فهو ملدوغ ولديغ.

قال أبو داود الطيالسي، في قوله[2] ﷺ «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»: معناه أن المؤمن لا يعاقب على ذنبه في الدنيا، ثم يعاقب عليه في الآخرة. والذي قال فيه النبي ﷺ ذلك، هو أبو عزة الجمحي الشاعر، واسمه عمر ووقع في الأسر يوم بدر، ولم يكن معه مال، فقال: يا رسول الله إني ذو عيلة، فأطلقه لبناته الخمس، على أن لا يرجع للقتال. فرجع إلى مكة ومسح عارضيه، وقال: خدعت محمداً مرتين، ثم عاد عام أحد مع المشركين. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تفلته». فلم يقع في الأسر غيره، فقال: يا محمد إني ذو عيلة فأطلقني. فقال ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين». وأمر بقتله. والحديث المذكور رواه الشافعي ومسلم وابن ماجه. وقوله لا يلدغ يروى بضمن الغين على الخبر، يعني أن المؤمن حازم لا يخدع مرة بعد مرة، ولا يفطن لذلك. وقيل: أراد به الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا. ويروى بكسر الغين نهياً، أي لا يؤتى من جهة الغفلة، وهذا يصح أن يتوجه إلى أمر الدنيا والآخرة أيضاً.

ويؤيد ما قاله أبو داود الطيالسي، ما رواه النسائي، في مسند علي، عن أبي سخيلة أنه سمع علياً رضي الله تعالى عنه يقول: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى؟ قالوا: بلى. قال: قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[3]. قال لي رسول الله ﷺ: يا علي ما أصابك من بلاء، أو عقوبة، أو مرض في الدنيا، فبما كسبت يداك. والله أكرم من أن يثني على عبده في الآخرة العقوبة، وما عفا الله عنه في الدنيا، فالله أكرم وأحلم من أن يعود بالعقوبة بعد عفوه انتهى. ولذلك قال الواحدي: إن هذه الآية أرجى آية في القرآن،

---

(١) رواه أبو داود: وتر ٣٢.

(٢) رواه البخاري: أدب ٨٣، ومسلم: زهد ٦٣. وأبو داود: أدب ٢٩. وابن ماجه: فتن ١٣. وابن حنبل: ٢ ـ ١١٥.

(٣) سورة الشورى: آية ٣٠.

لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفره بالمصائب، وصنف عفا عنه، وهو جل وعلا كريم لا يعود في عفوه.

فائدة أخرى: يقال: لسعته العقرب والحية تلسعه لسعاً فهو ملسوع وما أحسن قول الأول:

قالوا: حبيبُك مسلوعٌ، فقلتُ لهم: ... من عقربِ الصّدغ أم من حيّةِ الشعرِ
قالوا: بلى من أفاعي الأرضِ، قلت لهم: ... وكيف تسعى أفاعي الأرضِ للقمرِ

ويقال في الحية: عضت تعض، ونهشت تنهش، ونشطت تنشط، ونكزت بأنفها تنكز. وأنشدني شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى قال: أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين أبو حيان قال: أنشدنا الحافظ رضي الدين أبو عبد الله الشاطبي قال: أنشدنا أبو الربيع سليمان بن سالم الناقد قال: أنشدنا أبو عبد الله بن رافع القيسي قال: أنشدنا أبو القاسم بن حبيش قال: أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الفراء الضرير الخطيب بقصبة المرية لنفسه:

يا حسنا مالك لم تحسن ... إلى نفوس في الهوى مُتعبهْ
رقمتَ بالوردِ وبالسوسنِ ... صفحةَ خدّ بالسنا مذهبهْ
وقد أبى صَدغُك إن أجتني ... منه وقد ألدغني عقرَبه
يا حسنَه إذ قال: ما أحسني ... ويا لذاك اللفظ ما أعذَبه
قلت له: كلك عندي سنا ... وكلّ ألفاظِك مستعذَبه
ففوق السهم ولم يخطني ... ومذْ رآني ميتاً أعجبه
وقال كم عاشَ وكم حبني ... وحبه إياي قد أتعبهْ
يرحمه الله على أنني ... قتلي له لم أدر ما أوجبه

قال الحريري في درة الغواص: السوسن بفتح السين، وقد أذكرني السوسن أبياتاً أنشدنيها علي بن عبد العزيز الأديب المغربي، لأبي بكر بن القوطية الأندلسي، يصف فيها الورد والسوسن، مما أبدع فيه وأحسن فأوردتها على وجه التسديد لسمط هذا الفصل، والتأسي بمن درج من أهل الفضل وهي:

قمْ فاسقنيها على الوردِ الذي نعما ... وباكرِ السوسنَ الغضّ الذي نجما
كأنما ارتضعا خلفي سماءِهما ... فأرضعتْ لبنا هذا وذاك دما
جسمانِ قد كفّر الكافورُ ذاك وقد ... عقّ العقيقُ احمرارا ذا وما ظلما[1]
كان ذا طليةٍ نصّت لمعترضٍ ... وذاك خدٌّ غداةَ البينِ قد لطما
أولا فذاك أنابيبُ اللجينِ وذا ... جمرُ الغضى حركته الريحُ فاضطرما[2]

وقالت العرب: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعاً من الزنبور، فإذا هو هي. وقالوا

---

(١) العقيق: حجر كريم. (٢) اللجين: الفضة.

أيضاً: فإذا هو إياها، وهذا الوجه هو الذي أنكره سيبويه، لما سأله الكسائي، بحضرة يحيى بن خالد البرمكي، فقال له الكسائي: إن العرب ترفع كل ذلك وتنصبه، فقال له يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فقال له الكسائي: هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين، فيُحضرون ويُسألون، فأحضروا وسئلوا فوافقوا الكسائي. فأمر يحيى لسيبويه بعشرة آلاف درهم. ورحل سيبويه من فوره إلى بلاد فارس فأقام بها حتى مات في سنة ثمانين ومائة، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة، وقيل اثنتان وثلاثون سنة.

ويقال: إن العرب علموا منزلة الكسائي عند الرشيد، فقالوا: القول قول الكسائي، ولم ينطقوا بالنصب وإن سيبويه قال ليحيى: مرهم أن ينطقوا بذلك، فإن ألسنتهم لا تطاوعهم على النطق به. وقد أشار إلى ذلك حازم في منظومته بقوله:

والعربُ قد تحذفُ الأخبارَ بعد إذا ... إذا عنت فجأة الأمر الذي دهما
وربما نصبوا بالحالِ بعد إذا ... وربّما رفعوا من بعدها ربما
فإن توالى ضميرانِ اكتسى بهما ... وجه الحقيقة من أشكاله عمما
لذلك أعيتْ على الأفهام مسألة ... أهدتْ إلى سيبويه الحتفَ والغمما
قد كانت العقربُ العرجاءُ أحسبُها ... قِدْما أشدّ من الزنبورِ وقعَ حما
وفي الجوابِ عليها هل إذا هو هي ... أو هل إذا هو إياها قد اختصما
فخطأ ابنِ زيادٍ وابنِ حمزةَ في ... ما قالَ فيها أبا بشر وقد ظلما
وغاظَ عمرا علي في حكومته ... يا ليته لم يكن في أمره حكما
كغيظِ عمرو عليا في حكومتِه ... يا ليته لم يكن في أمره حكما(١)
وفجعَ ابن زياد كل منتخبٍ ... من أهله إذا غدا منه يفيضُ دما
وأصبحتْ بعده الأنفاسُ باكيةً ... في كلِّ طِرسٍ كدمعٍ سحَّ وانسجما
وليس يخلو امرؤٌ من حاسد أضم ... لولا التنافسُ في الدنيا لما أضما
والغبنُ في العلمِ أشجى محنة علمت ... وأترحُ الناسِ شجواً عالمٌ هضما

الحكم: يحرم أكل العقرب وبيعها، وتقتل في الحل والحرم، وإذا ماتت في مائع نجسته على المشهور. وقيل: لا تنجسه كالوزغة. ونقل الخطابي عن يحيى بن أبي كثير، أن العقرب إذا ماتت في الماء نجسته، ثم قال: وعامة أهل العلم على خلافه.

الأمثال:

قال الشاعر:

ومَنْ لم يكن عقربا يُتقى ... مشتْ بين أثوابهِ العقربُ

وقالوا: «في النصح لسع العقارب»(٢) وقالوا: «أعدى من العقرب»(٣)، وهو من العداوة.

---

(١) قصد عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب يوم صفين وما جرى بين الحكمين.

(٢) مجمع الأمثال: ٢/٧٨.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٥٩.

وقالوا: «العقرب تلدغ وتصي» يضرب للظالم في صفة المتظلم. وقالوا: «تحككت العقرب بالأفعى» يضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شراً. يقال: تحكك به، إذا تعرض لشره، وقولهم: «أتجر من عقرب»[1] و«أمطل من عقرب»[2]. هو اسم تاجر كان بالمدينة، وكان من أكثر الناس تجارة، وأشدهم تسويفاً، حتى ضربوا بمطله المثل. فاتفق أن الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب، وكان من أشد الناس اقتضاء، عامله، فقال الناس: ننظر الآن ما يصنعان، فلما جاء المال لزم الفضل باب عقرب، وشد حماره ببابه، وقعد يقرأ القرآن، فأقام عقرب على المطل غير مكترث به، فعدل الفضل عن ملازمة بابه إلى هجاء عرضه، فمما سار عنه قوله فيه:

كـلُّ عـدوٍ كـيـدُه في اسـتِـه	فـغـيرُه لـيس الأذى ضـائـرَه
قـد تجـرتْ في سـوقِـنـا عـقـربٌ	لا مـرحبـاً بـالعقـربِ التـاجـره
كـلُّ عـدوٌ يُـتـقـى مـقـبـلاً	وعـقـرب يخشى مـن الـدابـره
إن عـادتِ الـعقـربُ عـدنـا لهـا	وكـانـتِ الـنـعـلُ لهـا حـاضره

وقد أذكرني قوله: إن عادت العقرب عدنا لها البيت، ما حكاه الشيخ كمال الدين الأُدفُوي[3]، في كتابه «الطالع السعيد» أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد[4]، كان في صباه يلعب الشطرنج مع زوج أخته الشيخ تقي الدين بن الشيخ ضياء الدين، فأذن بالعشاء فقاما فصليا، ثم قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: أما تعود؟ فقال صهره:

إن عـادتِ الـعقـربُ عـدنـا لهـا	وكـانـت الـنـعـلُ لهـا حـاضـرَهْ

فانف الشيخ تقي الدين من ذلك فلم يعد يلعبها إلى أن مات.

فائدة: قال ابن خلكان، في ترجمة أبي بكر الصولي[5] الكاتب المشهور، أنه كان أوحد أهل زمانه في لعب الشطرنج، والناس إلى الآن، يضربون المثل به في ذلك. وزعم كثير من الناس أنه الذي وضع الشطرنج، وهو غلط، وواضعه رجل يقال له صِصَّة، بصادين مهملتين، الأولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وضعه لملك الهند شِهرام بكسر الشين المعجمة، وكان أردشير بن بابك، أول ملوك الفرس المؤرخة به، قد وضع النرد، ولذلك قيل له النردشير، نسبوه إلى واضعه المذكور، وجعله مثالاً للدنيا وأهلها. فجعل الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر، وجعل الفصوص مثل القضاء والقدر وتقلبه في الدنيا،

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٢٢٧. (٢) جمهرة الأمثال: ٢/٢٣٤.

(٣) الأدفوي: جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين، مؤرخ له علم بالأدب والفقه، له مصنفات. مات في القاهرة سنة ٧٤٨ هـ.

(٤) ابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقي الدين، قاض عالم بالأصول، تولى قضاء مصر، ومات بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ.

(٥) الصولي: أبو بكر، محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس، الصولي الشطرنجي أديب فاضل، له تصانيف هامة منها «الوزراء». مات بالبصرة سنة ٣٣٦ هـ. وفيات الأعيان ٤/٣٥٦.

فافتخرت الفرس بوضع النرد، فوضع صِصّة الهندي الحكيم الشطرنج، لملك الهند، فقضت حكماء ذلك العصر بترجيح الشطرنج على النرد. وأردشير بالراء المهملة، وقيل بالزاي، هو الذي أباد ملوك الطوائف، ومهد لنفسه الملك. وهو جد ملوك الفرس الذين أخرجهم يذدجرد بكسر الجيم. وانقرض ملكهم في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة انتهى.

والصواب أن الملك الذي وضع له الشطرنج بلهيت، كما قاله شيخنا اليافعي[1] وغيره، وأنه لما قدمه للملك وأراه طريقة اللعب به، أعجب الملك إعجاباً عظيماً، وقال له: تمن علي فقال: أتمنى عليك أيها الملك أن يوضع درهم في أول بيوت الرقعة، ويضاعف إلى آخرها، فقال له الملك: ما هذا القدر أفسدت علينا ما صنعت! فقال الوزير: مهلاً أيها الملك، فإن خزائنك وخزائن ملوك أهل الأرض تنفددون ذلك! وقد أغفل ابن خلكان من وصف النرد أشياء منها: أن الاثني عشر بيتاً التي في الرقعة مقسومة أربعة، على عدد فصول السنة، ومنها أن الثلاثين قطعة بيض وسود كالأيام والليالي. ومنها أن الفصوص مسدسة، إشارة إلى أن الجهات ست لا سابع لها. ومنها أن ما فوق الفصوص وتحتها كيفما وقعت سبع نقط عدد الأفلاك، وعدد الأرضين، وعدد السموات، وعدد الكواكب السيارة. ومنها أنه جعل تصرف اللاعب في تلك الأعداد لاختياره وحسن التدبير بعقله. كما يرزق العاقل شيئاً قليلاً فيحسن التدبير فيه، ويرزق المفرط شيئاً كثيراً فلا يحسن التصرف فيه، فالنرد جامع لحكم القضاء والقدر وحسن التصرف لاختيار لاعبه، والشطرنج مفوض لاختيار اللاعب وعقله وتصرفه، والجيد أو الرديء. وتفضيل الشطرنج على النرد فيه نظر.

والسطرنج بكسر السين المهملة على وزن جردحل، وهو الضخم من الإبل وقد جوز في الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة، لجواز اشتقاقه من المشاطرة وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن اشتق من التسطير، عند التعبية قاله في درة الغواص. ومما قيل في الشطرنج:

وخيلٍ قد رأيتُ إزاءَ خيلٍ يساقُ بها كأكياسِ الرياحِ
بميمنةٍ وميسرةٍ وقلبٍ كتعبيةِ الكتائبِ للبطاحِ
إذا ما قتلوا نشروا وعادوا صحاحاً لم يصابوا بالجراح
بغيرِ عداوةٍ كانتْ قديماً ولكنْ للتلذذِ والمزاحِ

إشارة: لعب الشطرنج مكروه كراهة تنزيه، وقيل: حرام، وقيل: مباح، والأول أصح. وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد: إنه حرام. ووافقهم من أصحابنا الحليمي والروياني. وروى البيهقي أن محمد بن سيرين، وهشام بن عروة بن الزبير، وبهز بن حكيم، والشعبي وسعيد بن جبير، كانوا يلعبون بالشطرنج، وقال الشافعي: كان سعيد بن جبير يلعب بالسطرنج استدباراً من وراء ظهره. وروى الصعلوكي تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه،

(١) اليافعي: أبو بكر بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم قاضي يمني شهير، مات سنة ٥٥٢ هـ.

وأبي اليسر وأبي هريرة والحسن البصري والقاسم بن محمد وأبي قلابة وأبي مجلز وعطاء والزهري وربيعة بن عبد الرحمن وأبي الزناد رحمهم الله تعالى. والمروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من اللعب به، مشهور في كتب الفقه.

وروى الصولي في جزء، قد جمعه في الشطرنج، أن أبا هريرة وعلي بن الحسين زين العابدين وسعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر والأعمش وناجية وعكرمة وأبا اسحاق السبيعي، وابراهيم بن سعد وابراهيم بن طلحة بن عبد الله بن معمر، كانوا يلعبون بالشطرنج. وقد ذكرت الأسانيد عن هؤلاء، وتكلمت على أدلة المخالفين، بكلام يشفي النفس، ويذهب اللبس، في جزء أفردته في الشطرنج والنرد، نحو عشرين كراسة، فاعلم ذلك والله تعالى أعلم.

قال أصحابنا: ولأن الشطرنج فيها تدبير الحروب، فأشبهت اللعب بالحراب ولم يثبت عن النبي ﷺ نهي صحيح عن اللعب به، وأقوى ما يحتج به القائلون بالتحريم، ما روي عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج، فقال: هي شر من النرد. قالوا: والنرد حرام. فيكون الشطرنج كذلك. قال الإمام تاج الدين السبكي، في الجواب عن هذا الأثر: إنا لا نعلم مذهب ابن عمر في النرد، ولعله كان يقول بحله. وهو وجه لأصحابنا ولا يلزم حينئذ من كون الشطرنج شراً من الحلال، باعتبار ما أن يكون حراماً. وأيضاً فإن المسألة مسألة اجتهادية. ولعل ابن عمر كان يذهب إلى التحريم، ورأي الشافعي معروف.

وعلى قول من قال: إن قول الصحابي حجة يشترط فيه أن لا يعارضه قول صحابي آخر، وهذا قد عارضه قول جماعة من الصحابة بالجواز، وأيضاً هذا الأثر لم يقل بظاهره أحد من العلماء، وذلك أن ظاهره أن الشطرنج شر من النرد، سواء اشتمل على عوض أم لا، وبعض العلماء قال: إن الشطرنج شر من النرد، لكن شرط فيه أن يكون مشتملاً على عوض، وأما إذا لم يكن مشتملاً على عوض، فلم نعلم أن أحداً من العلماء قال إنه في هذه الحالة شر من النرد. وإذا كان الأثر مردود الظاهر بالاجماع، سقط الاحتجاج به انتهى.

وروى الآجري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بالأزلام الشطرنج والنرد فلا تسملوا عليهم». هذا حديث ضعيف، لأن في سنده سليمان اليماني، وقد قال ابن معين فيه: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث، فلا تحل الرواية عنه. وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: هو منكر الحديث، لا أعلم له حديثاً صحيحاً انتهى. فأما إذا انضم إليه اشتغال عن صلاة أو غيرها، فالتحريم إذ ذاك ليس للشطرنج نفسه، وهو مكروه إذا لم يواظب عليه، فإن واظب عليه فإنه يصير صغيرة، كما ذكره الغزالي في كتاب التوبة من الإحياء. لكن ذكر ابن الصباغ، في الشامل خلافه. وأما النرد فحرام على الأصح، لقوله[1] ﷺ: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله». ولقوله[2] ﷺ: «مثل الذي يلعب النرد ثم يقوم فيصلي، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي». ومن محاسن

---

(١) رواه أبو داود: أدب ٥٦ وابن ماجه أدب ٤٣.
(٢) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٣٧٠.

شعر الإمام العلامة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي[1] رحمه الله تعالى في التشبيه:

حلتْ عقاربُ صدغِهِ من خدّه ... قمرا يجلُّ به عن التشبيه
ولقد عهدناه يحلُّ ببرجِها ... ومن العجائبِ كيف حلتْ فيه

وقد تقدم ذكر وفاته، وطرف من أخباره في باب الحاء المهملة في الحمام. وقد أجاد أبو المحاسن[2] يوسف بن الشواء في وصف غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر فقال:

أرسلَ صدغاً ولوى قاتلي ... صدغاً فأعيا بهما واصفَه
فخلت ذا في خده حيةً ... تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذا ألفٌ ليستْ لوصلٍ وذا ... واو ولكنْ ليستِ العاطفه

ومن محاسن شعره رحمه الله أيضاً:

قالوا: حبيبك قد تضوعَ نشرُه ... حتى غدا منه الفضاءُ معطرا
فأجبتُهم والخالُ يعلو خدَّه ... أو ما ترى النيرانَ تحرقُ عنبرا

الخواص: قال صاحب عين الخواص: العقرب إذا رأت الوزغة ماتت ويبست من ساعتها. وقيل: إن العقرب إذا أحرقت ودخن بها البيت، هربت العقارب منه، وإذا طبخت بزيت ووضع على لدغ العقارب سكن الوجع، ورماد العقارب يفتت الحصى. وإن أخذت عقرب وقد بقي من الشهر ثلاثة أيام، وجعلت في إناء، وصب عليها رطل زيت، وسد رأس الإناء، وترك حتى يأخذ الزيت قوتها، ثم ادهن به من به وجع الظهر والفخذين، فإنه ينفعه ويقويه. وإن شرب بزر الخس بشراب أمن شاربه من لسع العقارب، وإن طرحت قطعة من فجل، على قدر لم يدب عليها عقرب إلا ماتت من وقتها. وإذا ديف ورق الخس بدهن، وطلي به على لسعة العقرب أبرأها، وإن طبخت العقرب بسمن البقر، وطلي به موضع لسعتها سكنها من وقته.

وقال ابن السويدي: إذا وضعت العقرب في إناء فخار، وسد رأسه، ثم وضع في تنور إلى أن تصير رماداً وسقي من ذلك الرماد من به الحصى نفعه وفتتها. وإذا بخر البيت بعقرب اجتمعت فيه العقارب، كذا قال أرسطو، وقال غيره: تهرب منه العقارب. وإذا غرزت شوكة العقرب في ثوب إنسان، لم يزل سقيماً حتى تزول منه. وإن دقت العقارب وألصقت على لسعتها أبرأتها. وإن وقعت في ماء وشرب منه إنسان وهو لا يعلم، امتلأ جسده قروحاً. وإن بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب.

---

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، حجّة الإسلام، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، المتكلم والمتصوف، صاحب التصانيف. مات سنة ٥٠٥ هـ بطوس.
والبيتان مع ترجمته في وفيات الأعيان ٤/٢١٨.

(٢) ابن الشوّاء: أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي، كوفي الأصل حلبي المولد أديب فاضل شاعر مجيد، له ديوان كبير. مات سنة ٦٣٥ هـ. والأبيات مع ترجمته في وفيات الأعيان ٧/٢٣٤.

وقال القزويني والرافعي: من شرب مثقالين من حب الأترج، بعد دقه ناعماً، أبرأ ذلك من لسعة العقرب والحية وغيرهما من ذوات السموم، وهو عجيب مجرب. وفي عجائب المخلوقات، أنه إذا علق شيء من عروق شجرة الزيتون، على من لسعته العقرب برىء من وقته، وشجر الرمان إذا بخر بحطبه طردها، وشحم الماعز والسمن البقري والزرنيخ الأصفر، وحافر الحمار، والكبريت، ورش البيت بالماء المنقوع فيه الحلتيت، ووضع قشور الفجل في البيت، كل ذلك يطردها وهو عجيب أيضاً مجرب. ذكر ذلك في المنتخب، وفي الموجز الفجل المشدوخ وعصارته إذا أمسكت وورقه والباذروج يطردها، وإن وضع الفجل المقطوع على جحرها لم تجرأ على الخروج، وفيها أن تفل الصائم يقتل الحيات والعقارب.

وفي المنتخب أن تفل الحار المزاج، يفعل مثل ذلك، ورؤية السها تؤمن من لسعة العقرب والسارق، وقد ذكر ذلك الرئيس أبو علي بن سينا في أرجوزته. وقيل: إنها لابن شيخ حطين، وهي تشتمل على خواص مجربة وأسرار من علم الطب فلنأت بها بكمالها لتتم الفائدة وهي هذه:

بدأتُ بسمِ الله في نظمٍ حسنٍ … أذكرُ ما جربتُ في طولِ الزمن
ما هو بالطبعِ وبالخَواصِ … لكلٍ عامٍ ولكلِ خاص
في شوكةِ العقربِ نجمٌ توأمٌ … تراه عينُ مَنْ يراه يعلمُ
إذا تراآه امرآن اصطحبا … واتفقا وذا وذا تحابيا
لا سيِّما إنْ قيلَ ذا محببٌ … بعضٌ لبعضٍ كوكبان كوكبُ
وتوأمٍ نجمانِ في سعدِ بلعْ … رؤيتُه لكلٍ ودٌّ قد جمعْ
ومثلُه أيضاً لسعد الذابحْ … رؤيتُه لكلٍ ود صالحْ
تخبرُ مَنْ شِئتَ به فيعجبْ … ثم يقولُ كوكبان كوكبْ
فينشأ الود بإذن الله … بينهما فلا تكنْ باللاهي
كف الخضيبِ فرقةٌ إلى الأبد … لكائنٍ مَنْ كانَ مِنْ كلٍ أحد
ينظره الإنسان أو جماعه … يفترقوا إلى قيامِ الساعه
نجمُ السُّها مأمنةٌ من سارقْ … ومن سمومِ عقربٍ وطارقْ
ومَنْ رأى عشيةً نجمَ السُّها … لم تدنُ منه عقربٌ يمسها
وقيلَ لا يدنو إليه سارقْ … في سفر ولا بسوءِ طارقْ
الطخ على الحزازِ دهنُ القمح … مع وسخِ الأسنانِ بعد المسح
فإنه يذهب منها سعيها … كالنارِ فيها ثم يوري نقيها
أكو رؤوس كل ثؤلول يرى … بعودتين قد حرقت أخضرا
ومثله رؤوس قش الحلبه … تذهب بالثؤلولِ منه الرعبهْ
تخطيطُك الأظفار بعد الصبح … بكزلك عرضا مزيل القلح(1)

---

(١) القلح: صُفرة الأسنان.

وطبقك الأضراس في التثاؤب   يمنع من هذا لذي التجارب
أعني عروضَ القلحِ إن تقرحتْ   كذاك إن تحفَّرتْ واصطلمتْ
يغرغرُ العليلُ ذو الخناق   بمرقِ الضبارِ كالتِّرياقْ
لاسيما إن شابه كشوث   لذي الخلاطِ نفعُه موروثْ
ابلع من الصابون وزنَ درهمْ   تنجُ من القولنجِ غير المحكمْ
وامسح على الأضراسِ والأسنان   لو كالَها بطرفِ اللسانْ
وقد حرمت الأكل من لحمِ الفرس   شهراً ولا من هندبا تبغي الحرس
وذاك عند رؤيةِ الهلال   فتأمنَ الأضراسُ من أعلال
كذاك في كلِّ هلال يجتلى   فإنها مأمنة مِنَ البلا
لا تغسلَن ثيابَك الكتانا   ولا تصدْ فيها كذا حيتانا
عند اجتماعِ النيرين تبلى   وفي السرارِ فاتخذه أصلا
اتخذ البرمةَ من زجاجْ   من غيرِ تلوينٍ ولا عِلاج
والنارُ جزلٌ إن تشا أو فحم   ينضجُ فيها اللحمُ ثم الشحم
وكررِ الطبخَ بها أياما   وأشهرا إن شئتَ أو أعواما
وذاك سهلٌ ليس بالعسير   من غيرِ تقتيرٍ ولا تكثير
وتتخذ كحلا جديدا محرقا   منعما مصوَّلا مروقا
ومثله من حجرِ الهنود   ذي الخاصة الجاذبةِ الحديد
مطيبا بالمسكِ طيبَ الإثمد   واكحل به من شئتَ فرد مردود(1)
ثم اكتحلْ منه على مر المدى   لأنه لم يتخذ كحلا سدى
واكحل المحبوبَ بالحديد   يهواك في الوقتِ بلا مزيد
فيسحر العينين منه فيرى   وجهك شمساً باهيا أو قمرا
ولا يكاد يستطيعُ صبرا   عنكَ ولو حرقتَ منه الصدرا
نشادرُ الدخانِ بالحمام   ينضحهُ الفخارُ من مسام
فريحُه يقتلُ الأفاعي   من الهوام والدبيب الساعي
ووزنُ مثقالٍ إذا ما شربا   مع وزنه من الرجيعِ انتخبا
يخلص المسمومَ من مماتِهْ   من بعد يأس الأمر من حياتِهْ
هذا إذا دبر بالإتقان   بالسحق والترويق في الأواني
وكلُّ ما جادَ بسحقٍ فاعتبر   وفيه يا هذا تفهمْ واختبرْ
مرارةُ الحية سمٌّ قاتلُ   وهي لملدوغ بها تقابل
إذا سقي المسمومُ منها حبه   نجا من السم بتلك الشّربه

(١) الإثمد: كحل العين.

وإن سقي منها صحيح ماتا   من يومه وفارقَ الحياتا

التعبير: العقرب في المنام رجل نمام، فمن نازعته عقرب فإنه ينازع رجلاً نماماً، ومن أخذ عقرباً في منامه، فألقاها على زوجته، فإنه يأتيها في الدبر، وإن سيبها على الناس فإنه رجل لوطي، ومن قتل عقرباً خرج منه مال وعاد إليه، والعقرب في السراويل رجل فاسق، يداخل امرأة من ورائها في سروايله، ومن أكل لحم عقرب مطبوخاً، فإنه يرث مالاً، وإن كان نيئاً اغتاب رجلاً فاسقاً، وكذلك كل حيوان لا يؤكل إذا أكل لحمه في المنام، والعقرب رجل يظهر ما في بطنه لسانه، والعقارب في البطن أولاد أعداء، ونزول العقرب من الدبر ولد عاق، وربما دلت رؤية العقرب على الافتتان، بمن يشبه العقرب بصدغه إذا بدا فيه الشعر، والله تعالى أعلم.

العقربان: دويبة تدخل الأذن، وهي هذه الطويلة الصفراء الكثيرة القوائم، قاله ابن سيده.

العقف: الثعلب. قال حميد بن ثور الهلالي:

كأنه عقفٌ تولّى يهرب   من أكلبٍ تعقّفهن أكلبُ

يقال: عقفت الشيء فانعقف، أي عطفته فانعطف.

العقعق: كثعلب ويسمى كندشاً بالشين المعجمة، وصوته العقعقة وهو طائر على قدر الحمامة، وهو على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحي الحمامة، وهو ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب، ويقال له القعقع أيضاً. وهو لا يأوي تحت سقف ولا يستظل به بل يهيء وكره في المواضع المشرفة، وفي طبعه الزنا والخيانة، ويوصف بالسرقة والخبث والعرب تضرب به المثل في جميع ذلك، وإذا باضت الأنثى أخفت بيضها بورق الدلب خوفاً من الخفاش، فإنه متى قرب من البيض مذر وفسد وتغير من ساعته.

حكى الزمخشري وغيره في تفسير قوله[1] تعالى: ﴿وكأيِّنْ من دابةٍ لا تحملُ رزقَها الله يرزقُها﴾ عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس شيء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنمل والفأر والعقعق. وعن بعضهم أنه قال: رأيت البلبل يحتكر، ويقال إن للعقعق مخابىء، إلا أنه ينساها. وفي طبعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلي. فكم من عقد ثمين اختطفه من شمال ويمين قال الشاعر:

إذا باركَ الله في طائر   فلا باركَ الله في العقعقْ
قصير الذنابي طويل الجناحِ   متى ما يجد غفلة يسرق
يقلبُ عينيه في رأسِه   كأنهما قطرتا زئبقْ

فائدة: اختلفوا في سبب تسميته عقعقاً فقال الجاحظ: لأنه يعق فراخه فيتركهم بلا طعام،

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٠.

وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان، لأن جميعها يفعل ذلك. وقيل: اشتق له هذا الاسم من صوته.

الحكم: في حله وجهان: أحدهما يؤكل كغراب الزرع، والثاني يحرم وهو الأصح في الروضة تبعاً للبغوي والبوسنجي. وسئل الإمام أحمد عنه فقال: إن لم يأكل الجيف فلا بأس به. وقال بعض الصحابة: إنه يأكلها فيكون على قوله محرماً.

فائدة: حكى الجوهري أن العرب تتشاءم به وبصياحه، لأنهم كانوا يشتقون في الطيرة مما يسمعون ويشاهدون، فكانوا إذا سمعوا العقعق اشتقوا منه العقوق، وإذا سمعوا العقاب اشتقوا منه العقوبة، وإذا رأوا شجر الخلاف، وهو الصفصاف، اشتقوا منه الخلاف. والخلاف بتخفيف اللام ضد الوفاق، وكذلك الخلاف الذي هو الصفصاف، بتخفيف اللام أيضاً. وحكى الرافعي الخلاف عن الحنفية، فيمن خرج لسفر فسمع صوت عقعق فرجع، هل يكفر أم لا؟ قيل: إنه يكفر، وكذلك رأيته في فتاوى قاضي خان. قال النووي: الصحيح أنه لا يكفر عندنا بمجرد ذلك.

الأمثال: قالوا: «ألص من عقعق»(1) و«أحمق من عقعق»(2) لأنه كالنعامة التي تضيع بيضها وأفراخها وتشتغل ببيض غيرها وإياها عنى هدبة بقوله:

كتاركةٍ بيضها بالعراء ... وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

الخواص: إذا جعل دماغه على قطنة، وألصق على موضع النصل، أو الشوكة الغائصين في البدن، أخرجها بسهولة. ولحمه حار يابس رديء الكيموس.

التعبير: العقعق في الرؤيا رجل لا أمان له ولا وفاء، ومن رأى أنه كلمه عقعق جاءه خبر من غائب، والعقعق رجل حكار يطلب الغلاء والله أعلم.

العقيب: طائر، لا يستعمل إلا مصغراً.

العُكّاش: كرُمّان ذكر العنكبوت عن كراع.

العكرشة: بكسر العين والراء المهملتين وبالشين المعجمة في آخره، الأرنب الأنثى. وفي الحديث، أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: عنت لي عكرشة، وأنا محرم، فقتلتها، فقال: فيها جفرة.

العكرمة: بكسر العين والراء المهملتين الأنثى الحمام، وسمي بها الإنسان أيضاً، كعكرمة مولى ابن عباس، أحد أوعية العلم، ولما مات مولاه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، كان عكرمة رقيقاً لم يعتقه، فباعه ولده علي بن عبد الله بن عباس لخالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فقال عكرمة لعلي: بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار! فاستقال خالداً فأقاله ثم أعتقه. مات عكرمة وكثير عزة الشاعر في يوم واحد بالمدينة سنة خمس ومائة، وصلي عليهما في

---

(1) جمهرة الأمثال: ٢/١٨٣.

(2) جمهرة الأمثال: ١/٣١٧.

مكان واحد. فقال الناس: مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى.

قال[1] ابن خلكان وغيره: وكثير عزة أحد شعراء العرب ومتيميها، وكان كيسانياً والكيسانية فرقة من الروافض يعتقدون إمامة محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وهو المعروف بمحمد ابن الحنفية. ويقولون: إنه مقيم بجبل رضوى، ومعه أربعون نفراً من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر، ويقولون: إنهم أحياء يرزقون، وإنه سيرجع إلى الدنيا ويملؤها عدلاً وفي ذلك يقول[2] كثير عزة:

وسبطٍ لا يذوق الموتَ حتى ... تعودَ الخيلُ يقدمُها اللواءُ
يغيب فلا يرى فيهم زماناً ... برضوى عنده عسلٌ وماءُ[3]

قلت: الصواب أنهما للحميري. قال: وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين من الهجرة والله تعالى أعلم.

العلج: بكسر العين واسكان اللام، حمار الوحش السمين القوي، والرجل من كفار العجم، والجمع علوج واعلاج ومعلوجاء وعلجة.

العل: بالفتح القراد المهزول.

العلجوم: بضم العين وسكون اللام وضم الجيم الضفدع الذكر، وقيل: البطة الذكر كذا حكاه ابن سيده.

العلام: بضم العين وتشديد اللام وبالميم في آخره الباشق.

العِلَّوش: بكسر العين وفتح اللام المشددة على وزن سنور: ابن آوى والذئب ودويبة وضرب من السباع. قال ابن رشيق في كتاب الغرائب والشذوذ: قال الخليل: ليس في كلام العرب كلمة تجتمع فيها شين ولام إلا والشين قبل اللام إلا العلوش، فإن اللام فيه تقدمت على الشين وهو مفرد في الكلام.

العلهان: كالكروان: الظليم وقد مر.

العلُس: محركة القراد الضخم، لأنه أول ما يكون قمقامة ثم يصير حمنانة ثم حلمة ثم علسا. ومن الألغاز القديمة أيجب في العلس زكاة، إذا بلغ خمسة أوسق أو أكثر منها؟ قال: لا وإذا علم بذلك الساعي أعرض عنها.

العلامات: قال ابن عطية: حدثني أبي، رحمه الله تعالى، أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرق يقول: إن في بحر الهند حيتاناً طوالاً رقاقاً كالحيات في ألوانها وحركتها، وأنها تسمى العلامات، وذلك أنها علامات الوصول إلى بلاد الهند، وإمارات النجاة من المهالك، لطول ذلك البحر وصعوبته، وأن بعض الناس قال: إنها المراد بقوله تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنجمِ هم

---

(1) وفيات الأعيان ٤/١٠٦. (2) الشعر والشعراء: ٣٤٤. (3) رَضْوى: جبل بالمدينة المنورة.

يهتدون﴾[1] قال: وأما من شاهد تلك العلامات في البحر، فحدثني منهم عدد كثير. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: العلامات معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية بالليل. وقال الكلبي: هي الجبال. وقال مجاهد والنخعي: هي النجوم منها ما يسمى علامات ومنها ما يهتدى به.

العلهز: بكسر العين وإسكان اللام وكسر الهاء قبل الزاي: القراد الضخم، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام، لما دعا على قريش بقوله[2]: «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف»، أكلوا العلهز. وقيل: المراد به الوبر المخلوط بالدم.

العلعل: كهدهد الذكر من القنابر.

العلق: بفتح العين واللام دود أسود وأحمر، يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية، لامتصاصه الدم الغالب على الإنسان. الواحدة علقة، وفي حديث عامر[3] «خير الدواء العلق والحجامة». والعليق الشجرة التي آنس موسى عليه الصلاة والسلام منها النار، قاله ابن سيده. وقيل: إنها العوسج، والعوسج، إذا عظم، قيل له الغرقد. وفي الحديث أنه شجر اليهود، فلا ينطق، يعني إذا نزل عيسى عليه السلام، وقتل اليهود فلا يختبىء أحد منهم خلف شجرة، إلا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق.

فائدة: ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى: **﴿أن بورِك من في النارِ ومن حولَها وسبحان الله ربِّ العالمين، يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾**[4]. عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري يعني قدس من في النار، وهو الله سبحانه وتعالى عنى به نفسه. قال: وتأويل هذا القول إنه كان فيها لا على سبيل تمكن الأجسام، بل على أنه جل وعلا نادى موسى عليه الصلاة والسلام، وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها، فالشجرة مظهر لكلامه تعالى. وهو كما روي أنه مكتوب في التوراة جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، فمجيئه من سيناء بعثه موسى عليه السلام منها، واشراقه من ساعير بعثه عيسى عليه السلام منه، واستعلانه من جبال فاران بعثه المصطفى ﷺ منها.

وفاران مكة المشرفة، وقيل: كانت النار نوره عز وجل. وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه ناراً، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر. وقال سعيد بن جبير: كانت هي النار بعينها وهي أحد حجبه تعالى. وقيل: بورك من في النار سلطانه وقدرته، وفيمن حولها، وتأويلي هذا القول، إنه عائد إلى موسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام. ومجاز الآية أن بورك من في طلب النار وقصدها، وبالقرب منها.

---

(١) سورة النحل: آية ١٦.

(٢) رواه البخاري: تفسير سورة ٤٤. ورواه مسلم: منافقين ٤٠. وابن حنبل ١/ ٣٨٠.

(٣) رواه ابن ماجه: طب ٢٢.

(٤) سورة النمل: آية ٨، ٩.

ومعنى الآية أن بورك فيك يا موسى، وفي الملائكة الذين حول النار، وهذه تحية من الله عز وجل لموسى عليه السلام، وتكرمة له. كما حيا إبراهيم عليه السلام، على ألسنة الملائكة، حين دخلوا عليه، فقالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، فحمد نفسه تعالى بواسطة فعله. قلت: وكذلك إذا ذكر العبد ربه أو حمده فما ذكر الله إلا الله، ولا حمد الله إلا الله، لأنه تعالى ذكر نفسه وحمدها، بواسطة فعله. والعبد آلة ليس له شيء. قال[1] تعالى: ﴿ليس لك من الأمرِ شيءٌ﴾وقال تعالى: ﴿وإليه يـرجعُ الأمـرُ كلّه﴾[2] ففعل العبـد ينسب إلى الله خلق وايجاد. قال تعالى: ﴿واللهُ خلقَكم وما تعملون﴾[3] وينسب إلى العبد نسبة كسب وإسناد ليعاقب عليه أو يثاب، والله تعالى أعلم. وقال بعضهم: هذه البركة راجعة إلى النار نفسها.

وأما وجه قوله تعالى: ﴿بوركَ من في النارِ﴾[4] فإن العرب تقول بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك، أربع لغات. قال الشاعر:

فبـوركتَ مـولـوداً وبـوركتَ نـاشئـاً   وبـوركتَ عند الشيبِ إذ أنت أشيبُ

وأما الكلام المسموع من الشجرة، فاعلم أن مذهب أهل الحق، أن الله تعالى مستغن عن الحد والكلام والمكان والجهة والزمان، لأن ذلك من أمارات الحدوث، وهي خلقه وملكه، وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات، أو يحد بالصفات، أو تحصيه الأوقات، أو تحويه الأماكن والأقطار، ولما كان جل وعلا كذلك، استحال أن توصف ذاته بأنها مختصة بجهة، أو متنقلة من مكان إلى مكان، أو حالة في مكان.

روي أن موسى عليه السلام، لما كلمه الله تعالى، سمع الكلام من سائر الجهات، ولم يسمعه من جهة واحدة، فعلم بذلك أنه كلام الله تعالى. وإذا ثبت هذا لم يجز أن يوصف تعالى بأنه يحل موضعاً أو ينزل مكاناً، كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض، ولا يوصف كلامه بحرف ولا صوت، خلافاً للحنابلة الحشوية، بل هو صفة قائمة بذاته تعالى، يوصف بها فينتفي عنه بها آفات الخرس والبكم، وما لا يليق بجلاله وكماله، ولا تقبل الانفصال والفراق بـالانتقال إلى القلوب والأوراق. وأما الإفهام والإسماع، فيجوز أن يكون في موضع دون موضع، ومكان دون مكان، وحيث لم يقع إحاطة ولا إدراك بالوقوف على كنه ذاته، قال تعالى: ﴿ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميع البصير﴾[5] وأما الهاء في قوله[6] تعالى: ﴿يا موسى إنه﴾ فهو عماد وليس بكناية.

فائدة أخرى: اختلف في أن نبينا محمداً ﷺ هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا؟ فذهب ابن عباس وابن مسعود وجعفر الصادق وأبو الحسن الأشعري وطائفة من المتكلمين إلى أنه ﷺ كلم الله بغير واسطة، وذهب جماعة إلى نفي ذلك. واختلف في جواز الرؤيـة، فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها في الدنيا والآخرة، وأكثر أهـل السنة والسلف على جوازهـا فيهما،

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٢٨.
(٢) سورة هود: آية ١٢٣.
(٣) سورة الصافات: آية ٩٦.
(٤) سورة النمل: آية ٨.
(٥) سورة الشورى: آية ١١.
(٦) سورة النمل: آية ٩.

ووقوعها في الآخرة. واختلف العلماء من السلف والخلف في أنه هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه تعالى أم لا؟ فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف، وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين، وأجازه جماعة من السلف وأنه ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه، وهو قول ابن عباس وأبي ذر وكعب الأحبار والحسن البصري والشافعي وأحمد بن حنبل. وحكي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي هريرة، والمشهور عنهما الأول، وبهذا القول الثاني قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه، وهو الأصح، وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اختص موسى بالكلام، وابراهيم بالخلة ومحمد ﷺ بالرؤية. وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف، وقالوا: ليس عليه دليل قاطع نفياً ولا إثباتاً، ولكنه جائز عقلاً. وصححه القرطبي وغيره.

قلت: رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية، أما العقلية فمعروفة في علم الكلام، وأما النقلية فمنها سؤال موسى عليه السلام رؤية الله تعالى. ووجه التمسك بذلك علم موسى بذلك، ولو علم استحالة ذلك لما سأله، ومحال أن يجهل موسى جواز ذلك، إذ يلزم منه أن يكون مع علو منصبه في النبوة وانتهائه إلى أن اصطفاه الله تعالى على الناس، وأسمعه كلامه بلا واسطة جاهلاً بما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز، وملتزم هذا كافر. نعوذ بالله من اعتقاد ذلك.

ومنها امتنانه تعالى على عباده بالنظر إلى وجهه في الدار الآخرة بقوله تعالى: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ، إلى ربها ناظرةٌ**﴾(١) وإذا جاز أن يروه في الدار الآخرة، جاز أن يروه في الدنيا لتساوي النظر بالنسبة إلى الأحكام. ومنها ما تواترت به الأحاديث من أخباره ﷺ برؤية الله تعالى في الدار الآخرة، ووقوع ذلك كرامة للمؤمنين. فهذه الأدلة دالة على جواز رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة.

وأما استدلال عائشة رضي الله تعالى عنها على عدم الرؤية بقوله تعالى: ﴿**لا تدركُه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾(٢) ففيه بعد إذا يقال بين الإدراك والابصار فرق، فيكون معنى لا تدركه الأبصار، أي لا تحيط به مع أنها تبصره. قاله سعيد بن المسيب وغيره وقد نفى الإدراك مع وجود الرؤية، في قوله تعالى: ﴿**فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا**﴾(٣) أي لا يدركونكم. وأيضاً فإن الإبصار عموم، وهو قابل للتخصيص فيختص المنع بالكافرين، كما قال تعالى عنهم: ﴿**كلا إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾(٤) ويكرم المؤمنين أو من شاء الله منهم بالرؤية كما قال تعالى: ﴿**وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ، إلى ربها ناظرةٌ**﴾(١) وبالجملة فالآية ليست نصاً ولا من الظواهر الجلية في عدم جواز الرؤية، فلا حجة فيها والله أعلم. ولهذه المسألة أسرار وأغوار تركناها، لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب، فمن أراد تحقيق هذه المسألة وغيرها من المسائل المهمة فعليه بكتابنا الجوهر الفريد، فإنا ذكرنا فيه اختلاف الفرق، وأقوال علماء الظاهر والباطن، وما اخترناه وما أبدناه وهو كتاب مهم عمدة في هذا الشأن، لا يستغني عنه

---

(١) سورة القيامة: آية ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٣.
(٣) سورة الشعراء: آية ٦١، ٦٢.
(٤) سورة المطففين: آية ١٥.

طالب، وهو في ثمان مجلدات ضخمة جداً وبالله التوفيق.

فائدة أخرى: قوله تعالى: ﴿اقرأ باسمِ ربِّك الذي خلقَ، خلقَ الإنسانَ من عَلَقٍ﴾(1) هذه السورة أول ما نزل من القرآن كما ثبت في الصحيحين، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها. قيل: وجه المناسبة بين الخلق من علق، والتعليم بالقلم، وتعليم العلم، أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً، فكأنه سبحانه وتعالى امتن على الإنسان، بنقله من أخس المراتب، وهي العلقة، إلى أعلاها، وهي العلم.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قال: من علق وإنما خلق من علقة واحدة، كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة؟ قلت: لأن الإنسان في معنى الجمع، كقوله تعالى: ﴿إنّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ﴾(2) والأكرم هو الذي له الكمال في زيادة تكرمه على كل كريم، ينعم على عباده النعم التي لا تحصى، ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، مع كفرهم وجحودهم لنعمه، وركوبهم المناهي، وإطراحهم الأوامر، ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقترافهم العظائم. فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العظيمة تكرم، حيث قال: ﴿الأكرمُ، الذي علّم بالقلمِ، علّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾(3) فدل على كمال كرمه، بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل الكتابة، لما فيها من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو. وما دونت العلوم الأول، ولا قيدت الحكَم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة. ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به.

فائدة أخرى: سئل شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء، التي أخرجت من قلب النبي ﷺ في صغره، حين شق فؤاده، وقول الملك هذا حظ الشيطان منك، فأجاب بقوله: تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها، فأزيلت من قلبه عليه الصلاة والسلام فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطان فيه شيئاً. هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه ﷺ حظ قط، وإنما الذي نفاه الملك أمر هو في الجبلات البشرية، فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في قلبه عليه الصلاة والسلام. فقيل له: لم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة، وكان يمكنه أن لا يخلقه فيها؟ فقال: لأنه من جملة الأجزاء الإنسانية فخلقه تكملة للخلق الإنساني فلا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت بعده انتهى.

الحكم: يحرم أكل العلق ويجوز بيعه لما فيه من المنفعة ويستثنى بيع القرمز من عدم جواز بيع الحشرات كما تقدم.

فرع: العلقة فيها وجهان: أحدهما أنها نجسة لأنها دم خارج من الرحم كالحيض. والثاني أنها طاهرة، لأنها دم غير مسفوح، فهي كالكبد والطحال، نقله أبو حامد عن الصيرفي، وصرح

---

(1) سورة العلق: آية ١، ٢. (2) سورة العصر: آية ٢. (3) سورة العلق: الآيات ٣، ٤، ٥.

بتصحيحه الشيخ أبو حامد والمحاملي والرافعي في المحرر، وهو الأصح كما صرح به في المنهاج.

والعلقة هي المني إذا استحال في الرحم، فصار دماً غليظاً، فإذا استحال بعد، فصار قطعة لحم فهو مضغة. قال النووي، في شرح المهذب: إن المذهب القطع بطهارة المضغة. وقيل: على وجهين. والصواب خلاف ما في شرح المهذب، لأن المضغة إما كميتة الآدمي، وفيها قولان في الجديد، أو كجزئه المنفصل، وفيه طريقان: حاكية للخلاف وقاطعة بالنجاسة. وحكى الرافعي فيها وجهين أصحهما الطهارة. نعم يشترط في المضغة والعلقة على قاعدة الرافعي أن يكونا من الآدمي، فإن مني غيره نجس عنده، فالعلقة والمضغة أولى بالنجاسة من المني، ويدل عليه تردده في المنهاج، في نجاستهما مع جزمه فيه بطهارة المني. قال شيخنا: ولك أن تمنع كونهما أولى بالنجاسة من المني بأنهما صارا أقرب إلى الحيوانية منه وهو أقرب إلى الدموية منهما والله تعالى أعلم.

الأمثال: قالوا: «أعلق من العلق».

الخواص: العلق ينفع تعليقاً على صاحب الأعضاء الضعيفة التركيب، مثل الأماق والوجنات والمواضع المؤلمة، لأنها تقوم مقام الحجامة، في امتصاصها الدم الفاسد، لاسيما في الأطفال والنساء وأهل الرفاهية. وهي تمص الدم الفاسد من الأجفان وغيرها. وربما كان العلق في الماء فيشربه الإنسان فينشب بحلقه. وطريق إخراجه من الحلق أن يبخر بوبر الثعلب، فإذا أصابه دخانه سقط في الحال. وكذلك إذا بخر بظلف الإبل يموت، مجرب، ذكر ذلك في المنتخب.

وقال القزويني وصاحب الذخيرة الحميدة: إذا كان العلق في الحلق، يتغرغر بخل خمر، وبوزن درهم من الذباب الذي في الباقلاء، فإن العلق يسقط. وإذا أرادوا إخراج دم من موضع مخصوص، أخذوا هذا الدود في قطعة طين، وقربوه من العضو، فإنه ينشب به ويمص الدم منه، فإذا أرادوا سقوطه عنه، رشوا عليه ماء الملح، فإنه يسقط في الحال.

وقال صاحب عين الخواص: إذا يبس العلق في الظل، وسحق مع نشادر وطلي به موضع داء الثعلب، نبت الشعر عليه. وقال غيره: إذا بخر البيت بالعلق، هرب ما فيه من البق والبعوض وأمثالها. وإذا ترك العلق في قارورة حتى يموت، ثم يسحق ويفتت الشعر ويطلى به، فإنه لا ينبت أبداً. ومن الخواص المجربة النافعة أن تؤخذ العلق الكبار، التي تكون في الأنهار والأماكن الندية فتقلى بالزيت الطيب، ثم تسحق بالخل حتى تصير مثل المرهم، وتؤخذ في صوفة ويتحمل بها صاحب البواسير فيبرأ. وقيل: إنه يبرىء من القطى. ومن خواصه العجيبة أنه إذا بخر به حانوت زجاج تكسر جميع ما فيه. وإذا أخذ العلق وهو رطب ودهن به الإحليل، فإنه يكبر من غير وجع.

التعبير: العلق في الرؤيا بمنزلة الدود، وهم أولاد لقوله[1] تعالى: ﴿خلقَ الإنسانَ من عَلَقٍ﴾ فمن رأى علقة دم خرجت من أنفه، أو ذكره أو دبره أو بطنه أو فمه، فإن امرأته تسقط ولداً قبل كمال خلقه. وقيل: العلق والقراد والدلم والنمل وما أشبه ذلك، تدل على الأعداء

---

(١) سورة العلق: آية ٢.

والحساد الأخساء. ومن الرؤيا المعبرة أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، أتاه رجل فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ، رأيت كأن في يدي كيساً، وأنا أفرغ ما فيه حتى لم يبق فيه شيء، فخرج منه علقة، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أخرج من بين يدي فخرج من بين يديه ومشى خطوات فرمحته دابة فقتلته، فأخبر بذلك أبو بكر فقال: والله ما وددت أن يموت بين يدي، فنزل الكيس بمنزلة الآدمي، والدراهم بمنزلة العمر، والعلقة بمنزلة الروح، لقوله تعالى: ﴿خلقَ الإنسان من عَلَق﴾[1] والله تعالى أعلم.

العلهب: تيس الجبل. كذا قاله صاحب كتاب المداخل في اللغة أحمد بن يحيى.

العمروس: بضم العين الخروف، والجمع عماريس. قال الشاعر:

وكان كذئبِ السوءِ إذ قالَ مرةً ... لعمروسة والذئبُ غرثان مرملُ
أأنتِ التي من غير ذنبٍ شتمتني ... فقالتْ: متى ذا؟ قال: ذا عام أول
فقالت: ولدت الآن بل رمت غدرة ... فدونك كلني لا هنا لك مأكل

العَمَلّس: بفتح العين والميم وتشديد اللام، الذئب الخبيث والكلب الخبيث. وأما قولهم: «أبر من العملس»[2] فإنه رجل كان باراً بأمه، يحملها على عاتقه، ويحج بها على ظهره كل سنة، فضربوا به المثل، ليتأسى به البنون في بر الأمهات. وأشرت إلى ذلك في المنظومة بقولي:

وضربوا الأمثال بالعَمَلّس ... في البركى به البنون تأتسي

العميثل: الأسد، قاله أبو زيد، في كتاب الإبل، وبه كني عبد الله بن خليد الشاعر البليغ، وكان يفخم الكلام ويعربه، وكان كاتب عبد الله بن طاهر[3] وشاعره. وكان عارفاً باللغة فمن شعره في عبد الله المذكور:

يا مَنْ يحاولُ أن تكون صفاتُه ... كصفاتِ عبد الله انصت واسمع
فلأنصحنَّك في المشورةِ والذي ... حجّ الحجيجُ إليه فاسمع أو دع
اصدقْ وعفّ وبر واصبرْ واحتملْ ... واصفحْ وكاف ودارِ واحلمْ واشجعْ
والطفْ ولِن وتأنّ وارفقْ واتئدْ ... واحزمْ وجدْ وحامِ واحملْ وادفع
فلقد نصحتُك إنْ قبلتَ نصيحتي ... وهديتَ للنهجِ الأسدّ المهيعِ

وقبّل يوماً كف عبد الله بن طاهر، فاستخشن مس شاربه، فقال أبو العميثل في الحال: شوك القنفذ لا يؤلم كف الأسد، فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنية. وصنف أبو العميثل كتباً مفيدة في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين. وقال الأصمعي: العميثل

---

(١) سورة العلق: آية ٢.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/١٩٧.
(٣) ابن طاهر: عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مُصعب بن رُزيق بن ماهان الخزاعي كان قائداً شجاعاً ممدّحاً، أيام المأمون العباسي. مات بمرو سنة ٢٢٨ هـ.

الذيال بذنبه. وقال الخليل: العميثل البطيء الذي يسيل ثيابه كالوادع الذي يكفي العمل انتهى.

العَناق: الأنثى من ولد المعز والجمع أعنق وعنوق. روي عن الأصمعي أنه قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن، إذا أنا بغلام واقف في الطريق، في أذنيه قرطان، في كل قرط جوهرة، يضيء وجهه من ضوء الجوهرة، وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر وهي هذه:

يا فاطرَ الخلقِ البديعِ وكافلا	رزقَ الجميعِ سحابُ جودِك هاطلُ
يا مسبغَ البرِّ الجزيلِ ومسبلَ الـ	ـسترِ الجميلِ عميمْ طَوْلك طائلُ[1]
يا عالمَ السرِّ الخفي ومنجزَ الـ	ـوعدِ الوفي قضاءُ حكمِك عادلُ
عظمتْ صفاتُك يا عظيمُ فجلَّ أن	يُحصي الثناءُ عليك فيها قائلُ
الذنبُ أنت له بمنِّك غافرٌ	ولتوبةِ العاصي بحلمكِ قابلُ
ربٌّ يربي العالمين ببره	ونوالُهُ أبداً إليهم واصلُ
تعصيه وهو يسوقُ نحوكَ دائماً	ما لا تكون لبعضِه تستاهلُ
متفضلٌ أبداً وأنت لجودِه	بقبائحِ العصيانِ منكَ تقابلُ
وإذا دجا ليلُ الخطوبِ وأظلمتْ	سبلُ الخلاصِ وخابَ فيها الأملُ
وأيستْ من وجهِ النجاةِ فما لها	سببٌ ولا يدنو لها متناولُ
يأتيكَ من ألطافِه الفرجُ الذي	لم تحتسبْه وأنتَ عنه غافلُ
يا موجدَ الأشياءِ من ألقى إلى	أبوابِ غيرك فهو غرٌّ جاهلُ
ومن استراحَ بغيرِ ذكرِك أو رجا	أحداً سواكَ فذاك ظلٌّ زائلُ
رأي يلم إذا عَرَتْه ملمةٌ	بسوى جنابِكَ فهو رأي مائلُ
عملٌ أريدَ به سواكَ فإنه	عملٌ وإن زَعمَ المرائي باطلُ
وإذا رضيتَ فكل شيء هينٌ	وإذا حصلتَ فكل شيء حاصلُ
أنا عبد سوءٍ آبقٌ كلٌّ على	مولاه أوزارَ الكبائرِ حاملُ
قد أثقلتْ ظهري الذنوبُ وسوّدَتْ	صحفي العيوبُ وسترُ عفوكِ شاملُ
ها قد أتيتُ وحسن ظني شافعي	ووسائلي ندمٌ ودمعٌ سائلُ
فاغفرْ لعبدِك ما مضى وارزقه تو	فيقاً لما ترضى ففضلك كاملُ
وافعلْ به ما أنتَ أهلُ جميله	والظنُّ كلُّ الظنِ أنكَ فاعلُ

قال: فدنوت منه وسلمت عليه فقال: ما أنا براد عليك حتى تؤدي من حقي الذي يجب لي عليك! قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب ابراهيم الخليل عليه السلام، لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم، حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف. فأجبته إلى ذلك، فرحب بي، وسرت معه حتى قربنا من خيمته، فصاح: يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة بالبكاء، فقال: قومي

(١) مسبغ البر: واسع البر أي الخير. الطَّوْل: الغنى والسعة والفضل.

إلى ضيفنا فقالت الجارية: حتى أبدأ بشكر الله الذي ساق لنا هذا الضيف، ثم قامت فصلت ركعتين شكراً لله تعالى. قال: فأدخلني الشاب الخيمة، وأجلسني ثم أخذ الغلام الشفرة وعمد إلى عناق فذبحها، قال: فلما جلست في الخيمة، نظرت إلى الجارية، فإذا هي أحسن الناس وجهاً، فكنت أسارقها النظر، ففطنت لبعض لحظاتي إليها، فقالت لي: مه أما علمت أنه نقل عن صاحب طيبة عليه السلام، أنه قال: إن زنا العينين النظر، أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك، ولكني أردت أن أؤدبك لكي لا تعود إلى مثل هذا.

قال: فلما كان النوم بت أنا والغلام خارج الخيمة، وباتت الجارية من داخلها، فكنت أسمع دوي القرآن إلى السحر، بأحسن صوت يكون وأرقه، ثم سمعت أبياتاً من الشعر بأعذب لفظ، وأشجى نغمة وهي هذه:

أبى الحبُّ أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندي قد أناخ وطنبا[1]
إذا اشتدّ شوقي هام قلبي بذكرِه ... وإن رمت قرباً من حبيبي تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكرِه ... ويسعدني حتى ألذّ وأطربا

قال: فلما أصبحت قلت للغلام: صوت من كان ذلك؟ قال: تلك أختي، وهذا شأنها كل ليلة، فقلت: يا غلام كنت أنت أحق بهذا العمل من أختك، إذ أنت رجل وهي امرأة. قال: فتبسم وقال: ويحك أما علمت أنه موفق ومخذول ومقرب ومبعد! قال الأصمعي: فودعتها وانصرفت.

وحكمها: الحل، وتفدى بها الأرنب إذا قتلها المحرم لقضاء الصحابة بذلك. ولا تجزىء في الأضحية لما روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الأضحى، بعد الصلاة، فقال[2]: «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقال أبو بردة بن نيار، وهو خال البراء بن عازب: يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، فأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي، فذبحتها وتغديت قبل أن آتي الصلاة. فقال ﷺ: «شاتك شاة لحم». قال: يا رسول الله فإن عندي عناقاً هي أحب إلي من شاتين أفتجزىء عني؟ فقال ﷺ: «نعم ولن تجزىء عن أحد بعدك»[3].

ووقع في أصل الروضة، أن العناق الأنثى من المعز، من حين تولد إلى أن ترعى. والجفرة الأنثى من ولد المعز حين تفطم وتفصل عن أمها، فتأخذ في الرعي وذلك بعد أربعة أشهر. والذكر جفر. وقال في لغات التنبيه ودقائق المنهاج: العناق الأنثى من ولد المعز ما لم تستكمل سنة. ونقل مثل هذا عن الأزهري، في تهذيب الأسماء واللغات، وكلام الأزهري لا يوافق ذلك.

وروى[4] الحاكم بإسناد صحيح، وأبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب، عن قيس بن

---

(١) طنّب: أقام.
(٢) رواه البخاري: عيدين ٨، ١٠، ١٧، أضاحي ١٠، ١١. ومسلم: أضاحي ٧.
(٣) رواه البخاري عيدين ٢٣.
(٤) رواه ابن حنبل ١ ـ ٣٧٩. ٥ ـ ٧٣.

النعمان رضي الله تعالى عنه، قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله تعالى عنه مستخفيين، مرا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه من اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء وما بقي لها لبن. قال ﷺ: «ادع بها». فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها حتى أنزلت. وجاء أبو بكر بمجن فحلب رسول الله ﷺ فيه وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب ﷺ. فقال الراعي: بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط؟ قال: «أوتراك تكتم علي حتى أخبرك» قال: نعم. قال: «فإني محمد رسول الله». قال: أنت الذي تزعم قريش أنك صابىء؟ قال: «إنهم ليقولون ذلك». قال: أشهد أنك نبي، وأن ما جئت به حق، وأنا متبعك. قال ﷺ: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا».

خاتمة: روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد، وكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق كقطامِ، وكانت صديقة له، وإنه كان واعد رجلاً من الأسارى بمكة، أن يأتيه فيحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة، في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط، فلما انتهت إلي، قالت: مرثد؟ قلت: مرثد. قالت: مرحباً وأهلاً وسهلاً هلم فبت عندنا الليلة. فقلت: يا عناق قد حرم الله الزنا. قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراركم. قال: فتبعني ثمانية رجال، وسلكت الخندمة، فانتهيت إلى غار أو كهف، فجاؤوا حتى وقفوا على رأسي وبالوا، فظل بولهم ينزل على رأسي وأعماهم الله عني.

فرجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت به إلى الأذخر، ففككت عنه أكبله، وجعلت أحمله ويعييني، حتى قدمت به المدينة، فأتيت به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ فأمسك ولم يرد علي شيئاً حتى نزلت: **﴿الزاني لا ينكحُ إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحُها إلا زانٍ أو مشركٌ﴾**[1] فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد **﴿الزاني لا ينكحُ إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحُها إلا زانٍ أو مشركٌ﴾**[1] فلا تنكحها». قال الخطابي: هذا خاص بهذه المرأة، إذ كانت كافرة فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها صحيح لا ينفسخ. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: قال عكرمة: معنى الآية أن الزاني لا يريد ولا يقصد إلا نكاح زانية. قال: والأشبه ما قاله سعيد بن المسيب أن هذه الآية منسوخة، نسخها قوله[2] تعالى: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾**وهي من أيامى المسلمين.

الأمثال: قالوا[3]: «لا تنفط في هذا الأمر عناق». أي لا تعطس، والنفيط من العناق مثل العطاس من الإنسان. وهو كقولهم: «لا ينتطح فيها عنزان»[4]. وسيأتي إن شاء الله تعالى في محله.

عناق الأرض: دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شيء حتى الطير، وهو التفه الذي تقدم ذكره، في باب التاء المثناة فوق. وقال في نهاية الغريب: قال قتادة: عناق الأرض من

(١) سورة النور: آية ٣.
(٢) سورة النور: آية ٣٢.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٣١٤.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٣١٣.

الجوارح دابة وحشية أكبر من السنور، وأصغر من الكلب، والجمع عنوق. يقال في المثل[1]: «لقي عناق الأرض وأدنى عناق أي داهية». يريد أنها من الحيوان الذي يصاد به إذا علم.

العنبس: الأسد، وبه سمي الرجل وهو فنعل من العبوس. والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم ستة: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص.

العنس: الناقة القوية الصلبة ويقال هي التي اعنونس ذنبها، أي وفر. قاله الجوهري. والعنسة أيضاً اسم للأسد علم مشتق من العنوس قاله ابن سيده.

العنبر: سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلودها الترس. ويقال للترس عنبر. وقد تقدم ذكرها في باب الباء الموحدة.

روى[2] البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ، وأمر علينا أبا عبيدة، نلتقي عيراً لقريش، وزودنا جراباً فيه تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يطعمنا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله.

فانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا شيء كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: فقال أبو عبيدة: إنها ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلثمائة، حتى سمنا، يعني تقوينا، وزال ضعفنا، وإلا فما كانوا سماناً قط، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيها بالقلال الدهن ونقتطع القطعة قدر التور. ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في عينها، وأخذ ضلعاً من أضلاعها فأقامه، ثم رحل أعظم بعير معنا فمرَ من تحتها، وتزودنا من لحمها. فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه فتطعمونا»؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

وسرية أبي عبيدة هذه يقال لها سرية الخبط. وكانت في رجب سنة ثمان من الهجرة، وكان فيها عمر بن الخطاب وقيس بن سعد مع أبي عبيدة رضي الله تعالى عنهم. وحديثها رويناه في الغيلانيات وهو أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه، في سرية فيها المهاجرون والأنصار، ثلثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بجزور، يوفيني الجزور ههنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول: واعجباً لهذا الغلام لا مال له يدين في مال غيره! فوجد رجلاً من جهينة، فقال له قيس: يعني جزوراً أوفيكه وسقاً من تمر المدينة. فقال الجهني: والله ما أعرفك، فمن أنت؟ فقال: أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم. فقال الجهني: ما أعرفني بنسبك، وذكر كلاماً، فابتاع منه خمس

---

(١) المستقصى: ٢/٢٨٣.

(٢) رواه البخاري: ذبائح ١٢، مغازي ٦٥، صيد ١٨، والنسائي صيد ٣٥.

جزائر، كل جزور بوسق من تمر، يشترط عليه البدوي تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم، فيقول قيس: نعم. قال: فاشهد لي قال: فأشهد له نفراً من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين. قال قيس: إنما أشهد من تحب، وكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال عمر: ما أشهد على هذا بدين، ولا مال له، إنما المال لأبيه، فقال الجهني: والله ما كان سعد ليبخس في وسقة من تمر، وإني أرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفة. فكان بين عمر وقيس كلام، حتى أغلظ عمر لقيس، ثم أخذ الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة، كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع، نهاه أميره وقال له: أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ قال: فأقبل أبو عبيدة ومعه عمر، فقال: عزمت عليك أن لا تنحر، فقال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، ولا يقضي عني وسقة من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله؟ فكاد أبو عبيدة أن يلين له، وجعل عمر يقول: اعزم عليه، فعزم عليه وبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة فقال: إن يكن قيس كما أعرف، فسينحر للقوم، فلما قدم قيس لقيه سعد فقال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نهيت. قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري. قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لأبيك! فقلت: إن أبي يقضي عن الأباعد، ويحمل الكَل، ويطعم في المجاعة، ولا يصنع هذا بي؟ قال: تلك أربع حوائط أدناها حائطاً نجذ منه خمسين وسقاً. قال: وقدم البدوي مع قيس فأوفاه وسقته، وحمله وكساه. فبلغ ذلك النبي ﷺ من فعل قيس فقال: «إنه من قلب جود».

والعنبر المشموم، قيل: إنه يخرج من قعر البحر، يأكله بعض دوابه لدسومته، فيقذفه رجيعاً، فيوجد كالحجارة الكبار، فيطفو على الماء، فتلقيه الريح إلى الساحل، وهو يقوي القلب والدماغ، نافع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ. وقال ابن سيده: العنبر يخرج من البحر، وأجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود. قال: وكثيراً ما يوجد في أجواف السمك الذي يأكله ويموت. وزعم بعض التجار أن بحر الزنج يقذفه كجمجمة الإنسان، وأكبرها وزنه ألف مثقال. وكثيراً ما تأكله الحيتان فتموت، والدابة التي تأكله تدعى العنبر.

الحكم: قال الماوردي والروياني في كتاب الزكاة: لا زكاة في العنبر والمسك. وقال أبو يوسف: فيهما الخمس. وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز وعبد الله العنبري واسحاق: يجب الخمس في العنبر. واحتج الشافعي عليهم بقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في العنبر، إنما هو شيء دسره البحر، أي لفظه، وليس بمعدن حتى يجب فيه الخمس. وروي عنه صريحاً أنه قال: لا زكاة فيه.

وروى جابر أن النبي ﷺ قال: «العنبر ليس بغنيمة»، وهذا ينفي وجوب الزكاة فيه. قالا، أي الماوردي والروياني: وأكثر الفقهاء على أن العنبر طاهر، وقال الشافعي: سمعت من قال: رأيت العنبر نابتاً في البحر، ملتوياً مثل عنق الشاة. وقيل: إن أصله نبت في البحر وله رائحة ذكية. وفي البحر دويبة تقصده لذكاء رائحته، وهو سمها، فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر، فيخرج العنبر من بطنها.

وقالا في كتاب السلم: يجوز السلم في العنبر، ولا بد من بيان أنواعه ووزنه، فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود ولا يجوز حتى يسمى ذلك. وقال الشافعي: يجوز بيع العنبر، وقال أهل العلم به: إنه نبات والنبات لا يحرم منه شيء. قال: وحدثني بعضهم، أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه، فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة، فإذا ثمرها عنبر، قال: فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه، فهبت الريح فألقته في البحر. قال الشافعي: والسمك ودواب البحر تبتلعه أول ما يقع منه، لأنه لين، فإذا ابتلعته قلما تسلم منه إلا قتلها لفرط الحرارة فيه، فإذا أخذ الصياد السمكة، وجده في بطنها فيقدر أنه منها، وإنما هو ثمر نبت.

وأما خواصه: فقال المختار بن عبدون: العنبر حار يابس، وهو دون المسك، وأجوده الأشهب الخفيف الدسم، وهو يقوي القلب والدماغ، ويزيد في الروح وينفع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ، ويولد شجاعة، لكنه يضر من اعتاده الباسور، وتدفع مضرته بالكافور وشم الخيار. ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة والمشايخ، وأجوده ما استعمل في الشتاء. قالوا: والعنبر جماجم أكبرها ألف مثقال، تبرز من عيون في البحر وتطفو على الماء، فيسقط عليها الطير فتأكلها فتهلك. وقيل: إنه روث دابة، وقيل: إنه من غثاء البحر، وأجوده الأشهب وضده الخمري وله زهومة لابتلاع السمك، ويتصفى منه عند عمله رمل والله تعالى أعلم.

العنتر: الذباب الأزرق، وقيل: مطلق الذباب. وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، في حديثه الطويل المشتمل على كرامات ظاهرة للصديق رضي الله تعالى عنه، ومعناه أن الصديق ضيف جماعة، وأجلسهم في محله، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فتأخر رجوعه، فلما رجع قال: أعشيتموهم؟ قالوا: لا. فأقبل على ابنه عبد الرحمن وقال: يا عنتر، فجدع وسب ومعناه دعا عليه بقطع الأنف ونحوه. وجاء يا عنيتر مصغراً شبهه بذلك تحقيراً له، وقيل: شبهه بالذباب الأزرق لشدة أذاه. وروي بالغين المعجمة وبالثاء المثلثة وهو الأكثر، ومعناه: يا لئيم. وعنترة اسم رجل وهو عنترة بن شداد بن معاوية العبسي، وهو أحد فرسان العرب وشعرائها ومتيميها، وهو من أبطال الجاهلية، ويضرب المثل بشجاعته. قال سيبويه: نون عنترة ليست زائدة.

العندليب: الهزار بفتح الهاء، والجمع العنادل لأنك ترده إلى الرباعي ثم تبني منه الجمع والتصغير، والبلبل يعندل إذا صوت. وما أحسن قول(1) أبي سعيد المؤيد بن محمد الأندلسي الشاعر المجيد في وصف طنبور:

وطنبور مليح الشكل يحكي ... بنغمته الفصيحة عندليبا
روى لما ذوى نغما فصاحا ... حواها في تقلبه قضيبا
كذا من عاشر العلماء طفلا ... يكون إذا نشا شيخاً أديبا

ومن محاسن شعره قوله:

---

(1) وفيات الأعيان: ٥/٣٤٧.

أحبُّ العذولَ لتكراره حديثَ الحبيبِ على مسمعي
وأهوى الرقيبَ لأنَّ الرقيبَ يكون إذا كان حبي معي

ومما يستجاد من محاسن شعره أيضاً:

احذر صديقاً ما ذقا مزج المرارة بالحلاوة
يحصي الذنوبَ عليك أيام الصداقة للعداوة

وما أحسن قوله:

ونهايةُ الدنيا وغايةُ أهلِها ملكٌ يزول وسترُ قومٍ يهتكُ
تحلو فتعقبُ غصةً ومرارةً وتحب وهي بنا تصول وتفتك

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

وحكمه: حل الأكل لأنه من الطيبات.

وهو في الرؤيا يدل على ولد ذكي والله أعلم.

العندل: البعير الضخم الرأس يستوي فيه الذكر والأنثى.

العنز: الأنثى من المعز، والجمع أعنز وعنوز. روى البخاري وأبو داود، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، من عامل يعمل بخصلة منها، رجاء ثوابها، وتصديقاً بموعودها، إلا أدخله الله الجنة»(١)، قال حسان بن عطية الراوي، عن أبي كبشة: فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام، وتشميت العاطس، واماطة الأذى عن الطريق، ونحوه، فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة. قال ابن بطال: لم يذكر النبي ﷺ الخصال في الحديث. ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان عالماً بها لا محالة، إلا أنه ﷺ لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، وذلك والله أعلم، خشية أن يكون التعيين لها، زهداً في غيرها، من أبواب المعروف وسبل الخير. وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام، من الحث والحض على أبواب من الخير والبر، ما لا يحصى كثرة. قال: وقد بلغني عن بعض أهل عصرنا، أنه تتبعها في الأحاديث، فوجدها تزيد على أربعين خصلة ثم ذكرها إلى آخرها.

قلت: وتشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة، فالأول إشارة إلى جمع الشمل، لأن العرب تقول: أشمتت الإبل، إذا اجتمعت في المرعى، وقيل: معناه الدعاء لشوامته، وهو اسم للأطراف، والثاني إشارة إلى أن يرزق السمت الحسن. قلت: وقد روى صاحب الترغيب والترهيب، في باب قضاء حوائج المسلمين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء أو

---

(١) رواه البخاري: هبة ٣٥، وأبو داود: زكاة ٤٢.

العفو يغفر زلته ويرحم عبرته ويستر عورته ويقيل عثرته ويقبل معذرته ويرد غيبته ويديم نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضته ويشهد منيته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافىء صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ويقضي حاجته ويشفع مسألته ويقبل شفاعته ولا يخيب مقصده ويشمت عطسته وينشد ضالته ويرد سلامه ويطيب كلامه ويزيد إنعامه ويصدق أقسامه وينصره ظالماً أو مظلوماً، أما نصره ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصره مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ويواليه ولا يعاديه ويسلمه ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة». ثم قال علي رضي الله تعالى عنه: إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس، فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه. فهذه مع ما عده حسان بن عطية يجتمع منها أكثر من أربعين خصلة.

فائدة: روى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبري، في كتاب الدعوات، باسناده عن سويد بن غفلة، قال: أصابت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فاقة فقال لفاطمة رضي الله تعالى عنها: لو أتيت النبي ﷺ فاتته وكان عند أم أيمن فدقت الباب، فقال النبي ﷺ لأم أيمن: «إن هذا الدق لدق فاطمة، ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها فقومي فافتحي لها الباب». قال: فقامت أم أيمن ففتحت لها الباب، فلما دخلت قال ﷺ: «يا فاطمة لقد أتيتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها». فقالت: يا رسول الله هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتقديس، فما طعامنا؟ فقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما اقتبس في آل محمد نار منذ ثلاثين يوماً، وقد أتتنا أعنز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنز، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل آنفاً». قالت: بل علمني الخمس التي علمك جبريل. قال ﷺ: «قولي يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين». قال: فانصرفت حتى دخلت على علي بن أبي طالب، فقالت: ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة، وذكرت له ذلك، فقال: خير أيامك خير أيامك.

وفي كتاب صفوة التصوف للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، أن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما دخل على رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر هؤلاء الأعنز إحدى عشرة عنزاً في الدار أحب إليك أم كلمات علمنيهن جبريل آنفاً يجمعن لك خير الدنيا والآخرة»؟ فقال: يا رسول الله، والله إني لمحتاج، وهذه الكلمات أحب إلي فقال ﷺ: «قل اللهم إنك البر خلاق عليم، اللهم إنك عفور حليم، اللهم إنك تواب رحيم، اللهم إنك رب العرش العظيم، اللهم إنك الجواد الكريم، اغفر لي وارحمني واجبرني ووفقني وارزقني واهدني ونجني وعافني واسترني ولا تضلني وأدخلني الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين». قال: فطفق يرددهن حتى حفظتهن. ثم قال ﷺ: «تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك». ثم قال ﷺ: «يا جابر استبقهن معك». قال: فاستبقتهن معي. وفي تفسير القشيري وغيره، أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما هاجر بولده اسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، مر على قوم من العماليق، فوهبوا لإسماعيل عليه الصلاة والسلام عشرة أعنز، فجميع أعنز مكة من نسلها. وهذا نظير ما تقدم في حمام الحرم، وأنه من نسل

الحمامتين اللتين عششتا على النبي ﷺ في الغار.

فائدة أخرى: قال النبي ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان»[١]. والسبب في ذلك أن امرأة من خطمة، كان يقال لها عصماء بنت مروان من بني أمية، كانت تحرض على المسلمين وتؤذيهم، وتقول الشعر، فجعل عمير بن عدي عليه نذراً لله عز وجل لئن رد الله رسوله سالماً من بدر ليقتلنها. فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر، عدا عليها عمير في جوف الليل فقتلها، ثم لحق بالنبي ﷺ معه الصبح، فلما قام ﷺ ليدخل مجلسه، قال لعمير بن عدي: «أقتلت عصماء»؟ قال: نعم فهل علي في قتلها من شيء؟ فقال ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان». فأول ما سمعت هذه الكلمة منه ﷺ، وهي من الكلام الموجز البديع المفرد الذي لم يسبق إليه. وكذلك قوله ﷺ: «حمي الوطيس[٢]، ومات حتف أنفه، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[٣]، ويا خيل الله اركبي، والولد للفراش وللعاهر الحجر[٤]، وكل الصيد في جوف الفرا[٥]، والحرب خدعة[٦]، وإياكم وخضراء الدمن[٧]، وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً[٨] أو يلم، والأنصار كرشي وعيبتي[٩]، ولا يجني على المرء إلا يده[١٠]، والشديد من غلب على نفسه عند الغضب[١١]، وليس الخبر كالمعاينة[١٢]، والمجالس[١٣] بالأمانة، واليد العليا خير من اليد السفلى[١٤]، والبلاء موكل بالمنطق[١٥]، والناس كأسنان المشط[١٦]، وترك الشر صدقة، وأي داء أدوأ من البخل[١٧]، والأعمال بالنيات[١٨]، والحياء خير كله[١٩]، واليمين الفاجرة تدع الديار[٢٠] بلاقع، وسيد القوم خادمهم، وفضل العلم

---

(١) جمهرة الأمثال: ٣١٤/٢. (٢) رواه مسلم: جهاد ٧٦.
(٣) رواه البخاري: أدب ٨٣.
(٤) رواه البخاري: بيوع ٣، ١٠٠، خصومات ٦. ومسلم رضاع ٣٦.
(٥) جمهرة الأمثال: ١٣٦/٢.
(٦) رواه البخاري: جهاد ١٥٧، ومسلم: زكاة ١٥٣.
(٧) جمهرة الأمثال: ٢١/١.
(٨) رواه البخاري: جهاد ٣٧. ومسلم: زكاة ١٢١.
(٩) رواه البخاري: مناقب الأنصار ١١. ومسلم: فضائل كل الصحابة ١٧٦.
(١٠) رواه الترمذي: فتن ٢.
(١١) رواه البخاري: أدب ٧٦. ومسلم: بر ١٠٧، ١٠٨.
(١٢) رواه ابن حنبل: ٢١٥/١.
(١٣) رواه أبو داود: أدب ٣٢. والترمذي بر ٣٩.
(١٤) رواه البخاري: وصايا ٩، رقاق ١١، زكاة ١٨، وورواه مسلم: زكاة ٩٤، ٩٧.
(١٥) مجمع الأمثال: ١٧/١ وأول من قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
(١٦) جمهرة الأمثال: ٤٢٦/١.
(١٧) رواه البخاري: خمس ١٥، مغازي ٧٣.
(١٨) رواه البخاري: بدء الوحي ١، عتق ٦، مناقب ٤٥، إيمان ٢٣، طلاق ١١. ومسلم إمارة ١٥٥.
(١٩) رواه مسلم: إيمان ٦١. وابن حنبل ٤٢٦/٤.
(٢٠) رواه ابن حنبل: ٧٩/٥.

خير من فضل العبادة[١]، والخيل معقود في نواصيها[٢] الخير، وأعجل الأشياء عقوبة البغي[٣]، وإن من الشعر لحكمة[٤]، والصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس[٥]، ونية المؤمن خير من عمله، ونية المنافق شر من عمله، والولد للوطء، واستعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان. فإن كل ذي نعمة محسود، والمكر والخديعة في النار[٦]، ومن غشنا ليس منا[٧]، والمستشار مؤتمن[٨]، والندم توبة[٩]، والدال على الخير كفاعله[١٠]، وحبك الشيء يعمي ويصم[١١]، والعارية مؤدّاة[١٢]، والأيمان قيد الفتك[١٣]».

وأمثال ذلك من كلامه ﷺ، وإنما خص رسول الله ﷺ العنز دون سائر الغنم، لأن العنز إنما تشام العنز ثم تفارقها وليس كنطاح الكباش وغيرها.

وروى ابن دريد أن عدي بن حاتم، لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه، قال: لا ينتطح فيها عنزان. فلما كان يوم الجمل فقئت عينه فقيل له: لا ينتطح في قيل عثمان عنزان؟ قال: بلى وتفقأ عيون كثيرة، كذا ذكر هذا الخبر ابن اسحاق والدمياطي وغيرهما. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: حدثني الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ: «أن أول خصم يقضى عليه يوم القيامة عنزان ذات قرن وغير ذات قرن». رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

وحكمها: الحل ويفدى بها الغزال إذا قتله المحرم وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

الأمثال: قد تقدم في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام «لا ينتطح فيها عنزان[١٤]» أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس والكباش لا العنوز، وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقالوا: «فلان أضرط من عنز[١٥]». وقالوا: «عنز بها كل داء» يضرب للكثير العيوب من الناس والدواب. قال الفزاري: للعنز تسعة وتسعون داء. والعنز العقاب الأنثى في قول الشاعر:

إذا ما العنز من ملقٍ تدلت ... ضحيا وهي طاوية تحوم[١٦]

---

(١) رواه الدارمي: مقدمة ٢٩.
(٢) رواه البخاري: مناقب ٢٨. مسلم: زكاة ٢٥.
(٣) رواه ابن ماجه: زهد ٢٣.
(٤) رواه البخاري: أدب ٩٠. والترمذي: أدب ٦٩.
(٥) رواه البخاري: رقاق ١. والترمذي: زهد ١٠.
(٦) رواه البخاري: بيوع ٦٠.
(٧) رواه مسلم: إيمان ١٦٤. وأبو داود بيوع ٥٠.
(٨) رواه أبو داود: أدب ١١٤، والترمذي زهد ٣٩، أدب ٥٧.
(٩) رواه ابن ماجه: زهد ٣٠. وابن حنبل ١/ ٤٢٣.
(١٠) رواه مسلم: إمارة ١٣٣. وأبو داود أدب ١١٥.
(١١) رواه أبو داود: أدب ١١٦. ابن حنبل ٥/ ١٩٤.
(١٢) رواه أبو داود ٨٨. الترمذي وصايا: ٥.
(١٣) رواه أبو داود: جهاد ١٥٧. ١/ ١٦٦.
(١٤) جمهرة الأمثال: ٢/ ٣١٤.
(١٥) جمهرة الأمثال: ٢/ ١٠.
(١٦) طاوية: جائعة.

فمراده بالعنز هنا العقاب الأنثى.

الخواص: مرارة العنز، إذا خلطت بنوشادر، ونتف شعر من مكان في البدن، وطلي به الموضع، لم ينبت فيه شعر البتة. وقال ارسطو: مرارة العنز، إذا خلطت بكراث، وطلي بها مكان الشعر المنتوف، لم ينبت فيه شعر البتة. وإذا غسلت ساقها وسقي من به سلس البول أبرأه. وإن كتبت بلبنها على قرطاس، لم تبن كتابته فإن ذر عليه رماد ظهرت الكتابة.

وقال هرمس: إذا أخذ من دماغ العنز ومن دم الضبع، وزن دانق من كل واحد، وزن حبتين من كافور، وعجن باسم شخص، تولد فيه روحانية المحبة إذا طعم ذلك. ومن أخذ من مرارتها وزن دانق، ومثله من دمها، ومن دماغ سنور أسود نصف دانق، وأطعمه إنساناً قطع عنه شهوة الجماع ولا يصل إلى امرأة حتى يحل عنه. وحله أن يسقى أنفحة ظبية في لبن عنز، ويكون سخناً والله تعالى أعلم.

العنظب: الذكر من الجرادة وفتح الظاء لغة فيه. قال الكسائي: يقال العنظب والعنظاب والعنظوب والأنثى عنظوبة، والجمع في المذكر عناظب قال الشاعر:

رؤوس العناظب كالعنجد

والجمع في المؤنث عنظوبات. وفي كتاب سيبويه العنظباء بالمد والضم.

العنظوانة: الجراد الأنثى والجمع عنظوانات. وقد تقدم ذكر الجراد وما فيه في باب الجيم.

عنقاء مغرب ومغربة: من الألفاظ الدالة على غير معنى. قال بعضهم: هو طير غريب يبيض بيضاً كالجبال، ويبعد في طيرانه. وقيل: سميت بذلك لأنه كان في عنقها بياض كالطوق. وقيل: هو طائر يكون عند مغرب الشمس. وقال القزويني: إنها أعظم الطير جثة، وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر، وكانت في قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها، إلى أن سلبت يوماً عروساً بحليها فدعا عليها حنظلة النبي عليه السلام، فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط، وراء خط الاستواء. وهي جزيرة لا يصل إليها الناس، وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع وجوارح الطير.

وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لأجنحتها دوي كدوي الرعد القاصف والسيل، وتعيش ألفي سنة. وتتزاوج إذا مضى لها خمسمائة سنة، فإذا كان وقت بيضها، يظهر بها ألم شديد. ثم أطال في وصفها. وذكر ارسطاطاليس، في النعوت، أن عنقاء مغرب قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب. قال: وكيفية صيدها أنهم يوقفون ثورين ويجعلون بينهما عجلة، ويثقلونها بالحجارة العظام، ويجعلون بين يدي العجلة بيتاً، يختبىء فيه رجل معه نار، فتنزل العنقاء على الثورين لتخطفهما. فإذا نشبت أظفارها في الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة، ولم تقدر على الاستقلال لتخلص مخالبها، فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها. قال: والعنقاء لها بطن كبطن الثور، وعظام كعظام السبع، وهي من أعظم سباع الطير انتهى.

وقال الإمام العلامة أبو البقاء العكبري، في شرح المقامات: إن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ، صاعد في السماء قدر ميل، وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهي عظيمة الخلق لها وجه كوجه الإنسان، وفيها من كل حيوان شبه. وهي من أحسن الطيور، وكانت تأتي هذا الجبل في السنة مرة، فتلتقط طيوره، فجاعت في بعض السنين، وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به، ثم ذهبت بجارية أخرى، فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان عليه السلام، فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت. وكان حنظلة بن صفوان عليه السلام في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انتهى.

وذكر غيره أن الجبل يقال لـه فتح وسميت العنقـاء لطول عنقهـا، ثم إنهم قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى. وذكر السهيلي، في التعريف والأعلام، في قوله[1] تعالى: ﴿**وبئر معطلة وقصر مشيد**﴾ أن البئر هي الرس، وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة، يقال له العلس، وكانت البئر تسقي المدينة كلها، وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك، وكانت لهم بركات كثيرة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأوان من رخام، وهي شبه الحياض كثيرة يملأ الناس منها وآخر للدواب، والقوم عليها يستقون الليل والنهار يتداولون ذلك.

ولم يكن لهم ماء غيرها وطال عمر الملك، فلما جاءه الموت، طلوه بدهن لتبقى صورته ولا يتغير، وكذلك كانوا يفعلون بموتاهم، إذا كانوا ممن يكرم عليهم، فلما مات شق عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد، وضجوا بالبكاء، فاغتنمها الشيطان منهم، فدخل في جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة وأخبرهم أنه لم يمت ولا يموت أبداً. ثم قال: ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم. ففرحوا أشد الفرح، وأمر خاصته أن يضربوا له حجاباً بينه وبينهم، ليكلمهم من ورائه كي لا يعرف الموت في صورته. فنصبوه صنماً من وراء حجاب، وأخبرهم أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يموت أبداً وأنه لهم إله. وكان ذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه، فصدق كثير منهم ذلك وارتاب بعضهم، وكان المؤمن المكذب له أقل من المصدق له، وكان كلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر، وفشا الكفر فيهم وأقبلوا على عبادته، فبعث الله إليهم نبياً، كان ينزل الوحي عليه في النوم دون اليقظة، اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له، وأن الشيطان قد أضلهم وأن الله سبحانه لا يمثل بالخلق، وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكاً لله تعالى، ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته، فآذوه وعادوه وهو يعظهم وينصح لهم حتى قتلوه وطرحوه في بئر. فعند ذلك حلت عليهم النقمة، فباتوا شباعاً رواء من الماء، فأصبحوا والبئر قـد غار ماؤها، وتعطلت رشاؤها، فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان، وأخذهم العطش وبهائمهم حتى عمهم الموت، وشملهم الهلاك وخلفهم في أرضهم السباع، وفي منازلهم الثعالب والضباع، وتبدلت جناتهم بالسدر وشوك القتاد، فلا يسمع فيها إلا عزيف الجن، وزئير الأسد. نعوذ بالله من سطواته، ومن الاصرار على ما يوجب نقماته.

قال: وأما القصر المشيد، فقصر بناه شداد بن عاد بن أرم، ولم يبن في الأرض مثله فيما

(١) سورة الحج: آية ٤٥.

ذكر، وحاله كحال هذه البئر، في ايحاشه بعد الأنس، وافقاره بعد العمران، فلا يستطيع أحد أن يدنو منه على أميال لما يسمع من عزيف الجن والأصوات المنكرة، بعد النعيم والعيش الرغد، وانتظام الأهل كالسلك، فبادوا وما عادوا. فذكرهم الله تعالى في هذه الآية موعظة وذكرى وتحذيراً من غب المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك.

وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول الناس دخولاً الجنة يوم القيامة عبد أسود» وذلك أن الله تعالى بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا ذلك العبد الأسود، ثم إن أهل تلك القرية عدوا على ذلك النبي فحفروا له بئراً، فألقوه فيها، ثم ألقوا عليه حجراً ضخماً، فكان ذلك العبد الأسود يذهب ويحتطب على ظهره، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طعاماً وشراباً، ثم يأتي إلى تلك البئر، فيرفع تلك الصخرة، ويعينه الله عليها، ثم يدلي إليه طعامه وشرابه، ثم يرد الصخرة كما كانت. فمكث كذلك ما شاء الله. ثم ذهب يحتطب يوماً، كما كان يصنع، فجمع حطبه وحزم حزمته، وفرغ منها فلما أراد أن يحملها، أخذته سنة من النوم، فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين، ثم إنه هب فتمطى لشقه الآخر، فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين، ثم إنه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام إلا ساعة من نهار، فجاء إلى القرية فباع حزمته، ثم إنه اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع، ثم ذهب إلى البئر والتمس النبي فلم يجده، وقد كان بدا لقومه ما بدا، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه، فكان النبي يسألهم عن ذلك العبد الأسود ما فعل به فيقولون: لا ندري حتى قبض الله ذلك النبي، وأهب الله ذلك العبد الأسود من نومته بعد ذلك. فقال النبي ﷺ: «إن ذلك العبد الأسود لأوّل من يدخل الجنة».

قلت: وقد ذكر في هذا الحديث أنهم آمنوا بنبيهم الذي استخرجوه من الحفرة، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله تعالى: ﴿وأصحاب الرس﴾[1] لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس، أنه دمرهم تدميراً إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها، بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به، فيكون ذلك وجهاً.

قال ابن خلكان: ورأيت في تاريخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني نزيل مصر أن العزيز بن نزار ابن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان، ما لم يجتمع عند غيره، فمن ذلك العنقاء، وهو طائر جاءه من صعيد مصر، في طول البلشون، لكنه أعظم جسماً منه، له لحية وعلى رأسه وقاية، وفيه عدة ألوان ومشابهة من طيور كثيرة، وقد تقدم، عن الزمخشري، أن العنقاء انقطع نسلها، فلا توجد اليوم في الدنيا.

وفي آخر ربيع الأبرار، في باب الطير عن ابن عباس، قال: إن الله تعالى خلق، في زمن موسى عليه الصلاة والسلام، طائراً يسمى العنقاء، لها أربعة أجنحة من كل جانب، ووجه كوجه الإنسان، وأعطاها الله تعالى من كل شيء قسطاً، وخلق لها ذكراً مثلها، وأوحى إلى موسى أني خلقت طائرين عجيبين، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس، وجعلتهما زيادة فيما

---

(١) سورة ق: آية ١٢.

وصلت به بني إسرائيل فتناسلا وكثر نسلها. فلما توفي موسى عليه الصلاة والسلام، انتقلت فوقعت بنجد والحجاز، فلم تزل تأكل الوحوش، وتخطف الصبيان إلى أن نبيء خالد بن سنان العبسي من بني عبس، قبل النبي ﷺ، فشكوا إليه ما يلقون منها فدعا الله عليها، فانقطع نسلها وانقرضت، فلا توجد اليوم في الدنيا.

وفي كتاب البدء، لابن أبي خيثمة، ذكر خالد بن سنان العبسي، وذكر نبوته، وذكر أنه كان وكل به من الملائكة، مالك خازن النار وأنه كان من أعلام نبوته، أن ناراً يقال لها نار الحدثان، كانت تخرج على الناس من مفازة، فتأكل الناس والدواب، ولا يستطيعون ردها، فردها خالد بن سنان، فلم تخرج بعد ذلك. وذكر شراح الفصوص لابن عربي له قصة غريبة بعد موته، وستأتي إن شاء الله تعالى الإشارة إلى شيء من ذلك في لفظ العير.

وروى الدارقطني أن رسول الله ﷺ قال: «كان نبياً ضيعه قومه». يعني خالد بن سنان. وذكر غيره من العلماء أن ابنته أتت النبي ﷺ فبسط لها رداءه، وقال: «أهلاً ببنت خير نبي» أو نحو ذلك. وذكر الكواشي والزمخشري وغيرهما أنه كان بين عيسى ومحمد ﷺ أربعة أنبياء: ثلاثة من بني إسرائيل، وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي. وذكر البغوي أنه لا نبي بينهما، والله أعلم. وكان القاضي الفاضل ينشد(١) كثيراً:

وإذا السعادةُ لاحظتكَ عيونُها ... نم فالمخاوفُ كلهن أمانُ
واصطد بها العنقاءَ فهي حبالةٌ ... واقتد بها الجوزاءَ فهي عنان

وتقدم في العقاب أنه مراد أبي العلاء المعري بقوله(٢):

هي العنقاء تكبر أن تصادا ... فعانِدْ من تطيقُ له عنادا

الأمثال: يقال: «حلقت به عنقاء مغرب»(٣). يضرب لمن يئس منه. قال الشاعر:

الجودُ والغولُ والعنقاء ثالثةٌ ... أسماءُ أشياءَ فلم توجد ولم تكن

وسيأتي، إن شاء الله تعالى، ذكر هذا البيت في الغول أيضاً.

التعبير: العنقاء في المنام رجل رفيع مبتدع لا يصحب أحداً، ومن رأى العنقاء كلمته نال رزقاً من قبل الخليفة، وربما يصير وزيراً، ومن ركب العنقاء غلب شخصاً لا يكون له نظير، ومن صادها فإنه يتزوج بامرأة جميلة وربما تعبر العنقاء بولد ذكر شجاع لمن أخذها وله امرأة حامل والله أعلم.

العنكبوت: دويبة تنسج في الهواء، وجمعها عناكب، والذكر عنكب وكنيته أبو خيثمة وأبو

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/١٦١. والشعر لابن مكنة وهو أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن الحسين القرشي الاسكندري.

(٢) وفيات الأعيان: ١/٤٥٠.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٢٠١.

قَنْعم، والأنثى أم قشعم ووزنه فعللوت وهي قصار الأرجل كبار العيون للواحد ثمان أرجل وست عيون، فإذا أراد صيد الذباب لطأ بالأرض، وسكن أطرافه، وجمع نفسه، ثم وثب على الذباب، فلا يخطئه. قال أفلاطون: أحرص الأشياء الذباب، وأقنع الأشياء العنكبوت. فجعل الله رزق أقنع الأشياء في أحرص الأشياء، فسبحان اللطيف الخبير. وهذا النوع يسمى الذباب ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب، وله في رأسه أربع إبر ينهش بها وهو لا ينسج بل يحفر بيته في الأرض، ويخرج في الليل كسائر الهوام. ومنها الرتيلاء، وقد تقدم الكلام عليها في باب الراء المهملة. وقال الجاحظ: ولد العنكبوت أعجب من الفروج الذي يخرج إلى الدنيا كاسباً كاسياً، لأن ولد العنكبوت، يقوى على النسج ساعة يولد، من غير تلقين ولا تعليم، ويبيض ويحضن، وأول ما يولد دوداً صغاراً ثم يتغيرَ ويصير عنكبوتاً، وتكمل صورته عند ثلاثة أيام، وهو يطاول السفاد، فإذا أراد الذكر الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط، فإذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله، فلايزالان يتدانيان حتى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى.

وهذا النوع من العناكب حكيم، ومن حكمته أنه يمد السدى، ثم يعمل اللحمة، ويبتدىء من الوسط ويهيىء موضعاً لما يصيده من مكان آخر كالخزانة، فإذا وقع شيء فيها نسجه وتحرك، عمد إليه وشبك عليه حتى يضعفه، فإذا علم ضعفه، حمله وذهب به إلى خزانته، فإذا خرق الصيد من النسج شيئاً عاد إليه ورمه، والذي ينسجه لا يخرجه من جوفه بل من خارج جلده. وفمه مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائماً مثلث الشكل، وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه.

فائدة: أسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت، فإن تركه في البيت يورث الفقر. وفي مراسيل أبي داود، عن يزيد بن مزيد، أن النبي ﷺ قال: «إن العنكبوت شيطان فاقتلوه»[1]. وهو في كامل ابن عدي، في ترجمة مسلمة بن علي الخشني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، ولفظه أن النبي ﷺ قال: «العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه». وهو حديث ضعيف ويزيد بن مزيد الهمداني الصنعاني الدمشقي، أدرك عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وهو القائل: والله لو أن الله تعالى توعدني، إن أنا عصيت، أن يسجنني في الحمام لكان حرياً أن لا تجف لي عين. وطلبوه للقضاء فقعد يأكل في السوق فتخلص بذلك منهم.

وروى أبو نعيم، في الحلية، في ترجمة مجاهد أنه قال في قوله[2] تعالى: ﴿أينما تكونوا يدركْكُمُ الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ﴾ أنه قال: كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير، فولدت جارية فقالت لأجيرها: اقتَبس لنا ناراً فخرج فوجد بالباب رجلاً، فقال له الرجل: ما ولدت هذه المرأة؟ فقال: جارية. فقال: أما أن هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمائة رجل ويتزوج بها أجيرها، ويكون موتها بالعنكبوتِ. فقال الأجير في نفسه: فأناوالله ما أريد هذه بعد أن تبغي بمائة، لأقتلنها! فأخذ شفرة ودخل فشق بطن الجارية وخرج على وجهه، فركب البحر فخيط بطن

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل: ٢٣١٧/٦.
(٢) سورة النساء: آية ٧٨.

الصبية، وعولجت فشفيت وشبت وطلعت من أجمل نساء عصرها، وكانت تبغي فأتت ساحلاً من سواحل البحر، وأقامت هناك تبغي.

ولبث الرجل ما شاء الله، ثم قدم ذلك الساحل، ومعه مال كثير، فقال لامرأة من أهل ساحل البحر: ابتغي لي أجمل امرأة في القرية أتزوجها، فقالت: ههنا امرأة من أجمل الناس ولكنها بغي! فقال: ائتيني بها. فأتتها فقالت: قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا. فقالت: إني قد تركت البغاء، ولكن إن أراد تزوجته. قال: فتزوجها فوقعت منه موقعاً عظيماً، وأحبها حباً شديداً، فبينما هو يوماً عندها، إذ أخبرها بأمره، فقالت: أنا تلك الجارية، وأرته الشق في بطنها. ثم قالت: وقد كنت أبغي، فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر. قال: فإنه قد قال لي يكون موتها بالعنكبوت، فبنى لها برجاً في الصحراء وشيده، فبينما هو وإياها يوماً في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف، فقال: هذا عنكبوت، فقالت: هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط، فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه، فشدخته فساح سمه بين أظفارها ولحمها، فاسودت رجلها وماتت. فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] ﴿أينما تكونوا يدرككُّمُ الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ﴾. وقال أكثر المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. فرد الله عليهم بقوله[1] ﴿أينما تكونوا يدرككُّمُ الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ﴾.

والبروج: الحصون، والقلاع المشيدة: المرفوعة المطولة. قال قتادة: معناه في قصور محصنة. وقال عكرمة: مجصصة، والمشيد المجصص. ويكفي العنكبوت فخراً وشرفاً نسجها على رسول الله ﷺ، في الغار، والقصة في ذلك مشهورة في كتب التفاسير والسير وغيرها.

ونسجت أيضاً على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، لما بعثه النبي ﷺ لقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعرنة، فقتله، ثم احتمل رأسه ودخل في غار، فنسجت عليه العنكبوت. وجاء الطلب، فلم يجدوا شيئاً، فانصرفوا راجعين. ثم خرج فسار إلى رسول الله ﷺ والرأس معه، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أفلح الوجه»[2]. قال: وجهك يا رسول الله، ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر، فدفع إليه النبي ﷺ عصا كانت بيده وقال: «تخطر بهذه في الجنة». فكانت عنده إلى أن حضرته الوفاة، فأوصى أهله أن يدفنوها في كفنه ففعلوا. وكانت مدة غيبته ثمان عشرة ليلة.

وفي الحلية للحافظ أبي نعيم عن عطاء بن ميسرة، قال: نسجت العنكبوت مرتين على نبيين، على داود حين كان جالوت يطلبه وعلى النبي ﷺ في الغار.

وفي تاريخ الإمام الحافظ أبي القاسم بن عساكر، أن العنكبوت نسجت أيضاً على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، لما صلب عرياناً في سنة إحدى وعشرين ومائة، فأقام مصلوباً أربع سنين، وكانوا وجهوه لغير القبلة، فدارت خشبته إلى القبلة،

---

(١) سورة النساء: آية ٧٨.

(٢) رواه ابن حنبل: ٣ - ٤٩٦.

ثم أحرقوا خشبته وجسده رحمه الله. وكان قد بايعه خلق كثير، وحارب متولي العراق يوسف بن عمران، عم الحجاج بن يوسف الثقفي، فظفر به يوسف ففعل به ذلك. وكان ظهوره في أيام هشام بن عبد الملك، ولما خرج أتاه طائفة كثيرة من أهل الكوفة، وقالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر، حتى نبايعك، فأبى، فقالوا: إذن نرفضك. فمن ذلك سموا الرافضة. وأما الزيدية فقالوا: لا نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما، وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية. وروى زيد عن أبيه زين العابدين وجماعة، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

تتمة: ذكر ابن خلكان، في ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقي، أنه وقف بالقاهرة على كراريس من شعره، ورأى فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلها على الحقيقة وهما[1]:

ألقني في لظى فإن أحرقتني ... فتيقنْ إن لست بالياقوتِ
جمعَ النسجَ كلّ من حاكَ لكن ... ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ

قال: فعمل يعقوب بن صابر في جوابها هذه الأبيات[2]:

أيها المدعي الفخار دعِ الفخـ ... ـرَ لذي الكبرياءِ والجبروتِ
نسجُ داودَ لم يفد ليلةَ الغا ... ر وكان الفخارُ للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ... ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعامُ يلتقم الجمـ ... ـرَ وما الجمرُ للنعام بقوتِ

وقد تقدم في السمندل الإشارة إلى هذه الأبيات.

وحكم العنكبوت: تحريم الأكل لاستقذارها.

الأمثال: قالوا: «أغزل من عنكبوت»[3] وقالوا: «أوهن من بيت العنكبوت»[4] قال[5] الله تعالى: ﴿مثلُ الذين اتخذوا من دونِ الله أولياءَ كمثَلِ العنكبوتِ اتخذتْ بيتاً وإن أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون إنّ الله يعلمُ ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيزُ الحكيم، وتلك الأمثالُ نضربُها للناسِ وما يعقلُها إلا العالمون﴾. فضرب الله ببيتها المثل لمن اتخذ من دونه آلهة لا تضره ولا تنفعه، فكما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً ولا قصد أحد إليها، فكذلك ما اكتسبوه من الكفر، واتخذوه من الأصنام، لا يدفع عنهم غداً شيئاً. والعالمون كل من عقل عن الله عز وجل، وعمل بطاعته، وانتهى عن معصيته، فهم يعقلون صحة هذه الأمثال وحسنها وفائدتها. وكان جهلة قريش يقولون: إن رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، وما علموا أن الأمثال تبرز المعاني الخلفية في الصور الجلية.

---

(١) وفيات الأعيان: ٧/٤١.
(٢) وفيات الأعيان: ٧/٤١.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٧٦.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٢٧٦.
(٥) سورة العنكبوت الآيات: ٤١، ٤٢، ٤٣.

الخواص: إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية، في ظاهر البدن حفظها بلا ورم، ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه، وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها. والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف، إذا علق على المحموم يبرأ بإذن الله تعالى. وإن لف في خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفعه وأذهبها، وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حي، ومرخ به صاحب الحميات أذهبها. وإذا بخر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت، قاله صاحب عين الخواص.

التعبير: العنكبوت في المنام رجل قريب العهد بالزهد، وقيل: العنكبوت امرأة ملعونة تهجر فراش زوجها. وبيت العنكبوت ونسجها وهن في الدين للآية الكريمة المتقدم ذكرها في الأمثال. وقيل: العنكبوت في الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلاً نساجاً أو امرأة والله أعلم.

العود: المسن من الإبل وهو الذي قد جاوز في السن البازل والخلف وجمعه عودة، والناقة عودة. ويقال في المثل: «زاحم بعود أودع»[1]، أي استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة، فإن رأي الشيخ المسن خير من رأي الغلام ومعرفته. والعود المطافيل، تقدم ذكرها في أول الباب، في لفظ عائذ. قال الجوهري: يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرة أيام أو خمسة عشر يوماً ثم هي مطفل بعد والجمع مطافيل ومطافل.

العواساء: بفتح العين ممدود الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة.

العوس: بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسي.

العومة: بالضم دويبة تسبح في الماء، كأنها فص أسود مد ملكة والجمع عوم. قاله الجوهري.

العوهق: الخطاف الجبلي ويقال للغراب الأسود، ويقال للبعير الأسود الجسيم العوهق الطويل يستوي فيه الذكر والأنثى.

العلا: القطا وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

العلام: الباشق، وقد تقدم ذكره في باب الباء.

العيثوم: الضبع حكاه الجوهري عن أبي عبيدة، وقال غيره: العيثوم أنثى الفيل.

العير: الحمار الوحشي والأهلي أيضاً والجمع أعيار ومعيوراء وعيور. روى[2] ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد الله السلمي أن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين» ورواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وروى النسائي في عشرة النساء، من حديث عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليلق على نفسه ثوباً ولا يتجردا تجرد العيرين»[2]. وروى

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٠٩.
(٢) رواه ابن ماجه: نكاح ١٢٨.

أبو منصور الديلمي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا يقعن أحدكم على أهله كما يقع الحمار وليكن بينهما رسول» قالوا: وما الرسول؟ قال: «القبلة والكلام اللين».

وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافيه يوم القيامة كأنه عير»[1]. شبه لعظم ذنوبه بالحمار الوحشي، وقيل: أراد الجبل الذي بالمدينة اسمه عير وكان النبي ﷺ يكرهه، فكان يضرب به المثل في المكروهات غالباً. وعير العين جفنها قال الشاعر:

زعموا أن كلّ من ضربَ العـ ... ـيرَ موالٍ لنا وأنّى الولاءُ

قال أبو عمرو بن العلاء: ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت.

فائدة: روي أن خالد بن سنان العبسي، لما حضرته الوفاة، قال لقومه: إذا أنا دفنت فإنه سيجيء عانة من حمير يقدمها عير فيضرب قبري بحافره، فإذا أنتم رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخرج فأخبركم بعلم الأولين والآخرين، فلما مات واتفق ما قاله لقومه أرادوا أن يخرجوه، فكره ذلك بعض ولده وقالوا: إنا نخاف أن ينسب إلينا إنّا نبشنا قبر أبينا. ولو فعلوا لخرج إليهم وأخبرهم لكن أراد الله غير ذلك. وقد تقدم أن ابنته أتت النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقال لها: أهلاً بينت خير نبي أو نحو ذلك. وروي أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾[2] فقالت: كأن أبي يقرأ هذا. وروي أن النبي ﷺ قال: «ذاك نبي أضاعه قومه». وقال الشاعر يهجو رجلاً:

لو كنتَ سيفاً كنتَ غير عضب ... أو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عذب
أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كلب ... أو كنتَ عيرا كنتَ غيرَ ندب

أي غير صريع في الحاجات.

الأمثال: قالت العرب: «معيوراء تكادم الأعيار»[3] جمع عير، والتكادم التعارض، يضرب مثلاً للسفهاء تتهارش. وقالوا[4]: «نجي عيراً سمنه» قال أبو زيد: زعموا أن حمراً كانت هزالاً فهلكت في جدب، ونجا منها حمار، كان سميناً فضرب به المثل في الحزم قبل وقوع الأمر. أي انج قبل أن لا تقدر على ذلك. ويضرب أيضاً لمن خلصه ماله من مكروه. وقالت العرب: قد حيل بين العير والنزوان يضرب لمن أيس منه. قال[5] الشاعر:

أهم بأمرِ الحزمِ لو أستطيعه ... وقد حيلَ بين العيرِ والنزوان

وذكر ابن خلكان في ترجمة أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري من ذلك شيئاً ينبغي الوقوف عليه. قال: كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بأبي أحمد العسكري ولا يجد إليه سبيلاً، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه: إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج إلى أن أكشفها بنفسي، فأذن له في ذلك فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره فكتب

---

(١) رواه ابن حنبل: ٤/ ٨٧.
(٢) سورة الإخلاص: آية ١.
(٣) المستقصى: ٢/ ٣٤٦.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٤٥.
(٥) وفيات الأعيان: ٢/ ٨٣ ونسبته إلى أبي أحمد العسكري.

الصاحب إليه[1]:

ولما أبيتُم أن تزوروا وقلتم ضعفنا فلم نقدرْ على الوخدانِ
أتيناكم من بعضِ أرضٍ نزورُكم وكم منزلٍ بكرٍ لنا وعوان
نسائلُكم هل من قِرىً لنزيلِكم بملءِ جفونٍ لا بملءِ جِفانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر، فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور وهو:

أهم بأمرِ الحزمِ لو أستطيعهُ وقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ

فلما وقف الصاحب على الجواب، عجب من اتفاق هذا البيت له، وقال: والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت، لما كتبت إليه على هذا الروي. وهذا البيت لصخر أخي الخنساء. وهو من جملة أبيات مشهورة. وكان صخر المذكور قد حضر محاربة بني أسد، فطعنه ربيعة بن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه، وبقي مدة حول في أشد ما يكون من المرض، وأمه وزوجته سليمى يمرضانه. فضجرت زوجته منه، فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله، فقالت: لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى فسمعها صخر فأنشد[2]:

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمري لقد نبهتِ مَن كان نائماً وأسمعتِ مَن كانت له أذنان
وأي امرىءٍ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا شقا وهوان
أهم بأمرِ الحزمِ لو أستطيعهُ وقد حيلَ بين العيرِ والنزوان
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها معرسُ يعسوبٍ برأسِ سنان

وقالوا: «كل شواء العير جوفان»[3]، قيل: اجتمع فزاري وثعلبي وكلبي في سفر، فاشتووا حماراً وحشياً، فغاب الفزاري في بعض حاجاته، فأكل صاحباه العير، واختبآ له غرموله، فلما جاء قدماه له وقالا: هذا قد اختبأناه لك، فجعل يأكل ولا يسيغه فضحكا منه، فاخترط سيفه وقال: لأقتلنكما إن لم تأكلاه! فأبى أحدهما، فضربه بالسيف، فأبان رأسه. وكان اسمه مرقمة، فقال صاحبه: طاح مرقمة! فقال الفزاري: وأنت إن لم تلقمه أراد إن لم تلقمها طرحت رأسك. وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة في ذلك[4]:

لا تأمنن فزارياً خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيارِ
لا تأمننه ولا تأمنْ بوائقَه بعد الذي امتل اير العير بالنار
أطعمتم الضيفَ جوفانا مخاتلة فلا سقاكم إلهي الخالقُ الباري

(1) وفيات الأعيان: ٢/٨٣.
(2) وفيات الأعيان: ٢/٨٤.
(3) مجمع الأمثال: ٢/١٥١.
(4) وفيات الأعيان: ٦/٣٢١.

وقالوا: «أذل من عير». قيل: المراد به الوتد، لأنه يشج رأسه أبداً. وقيل: المراد به الحمار، وقال الشاعر:

ولا يقيمُ على خسفٍ يرادُ به ... إلا الأذلانِ عيرُ الحي والوتد
هذا على الخسف مربوطٌ برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحدُ

وقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، عند موته: لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ثم ها أنا أموت حتف أنفي كما يموت العير، لا نامت أعين الجبناء.

العِير: بالكسر الإبل التي تحمل الميرة، ويجوز أن تجمعه على عيرات. وفي الحديث أنهم كانوا يترصدون عيرات قريش.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿واسألِ القريةَ التي كُنّا فيها والعِيرَ التي أقبلنا فيها﴾[1] قال ابن عطية: القرية مصر. قاله ابن عباس وغيره، وهو مجاز، والمراد أهلها. وكذلك قوله والعير هذا قول الجمهور وهو الصحيح. وحكى أبو المعالي في التلخيص، عن بعض المتكلمين، أنه قال: هذا من الحذف، وليس من المجاز، قال: وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ما هي له، وحذف المضاف هو غير المجاز، هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر، وليس كل حذف مجازاً. ورجح أبو المعالي في هذه الآية أنه مجاز، وحكى أنه قول الجمهور، أو نحو هذا. وقالت فرقة: بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة من حيث هو نبي فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة، قال: وهذا وان جوز فبعيد.

فائدة أخرى: أول من قال: «لا في العير ولا في النفير»[2] أبو سفيان بن حرب، وذلك أنه لما أقبل بعير قريش، وكان النبي ﷺ تحين انصرافها من الشأم، فندب المسلمين للخروج معه وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة، وقد خاف خوفاً شديداً، فقال للمجد بن عمرو: هل أحسست بأحد من أصحاب محمد؟ فقال: ما رأيت أحداً أذكره إلا راكبين أتيا إلى هذا المكان، وأشار إلى مكان عدياً وبسيساً عيني رسول الله ﷺ، فأخذ أبو سفيان أبعاراً من أبعار بعيريهما وفركها فإذا فيها نوى، فقال: علائف يثرب، هذه عيون محمد فضرب وجوه عيره عن يسار بدر، وقد كان بعث إلى قريش يخبرهم بما يخافه من النبي ﷺ، فأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبت قريش أن ترجع، ومضت إلى بدر ورجع بنو زهرة منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان فقال: يا بني زهرة «لا في العير ولا في النفير»[2]. قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع. ومضت قريش إلى بدر، فأظهر الله نبيه ﷺ عليهم ولم يشهد بدراً من بني زهرة أحد. قال الأصمعي: يضرب هذا المثل للرجل يحط أمره ويصغر قدره، والله تعالى أعلم.

عير السراة: طائر كهيئة الحمامة.

---

(١) سورة يوسف: آية ٨٢.

(٢) جمهرة الأمثال: ٢/٣١١.

العيس: بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء، ويقال هي كرام الإبل وما أحسن قول الأول:

ومن العجائبِ والعجائبُ جمة ... قربَ الحبيبِ وما إليه وصولُ
كالعيسِ في البيداء يقتلها الظما ... والماءُ فوقَ ظهورِها محمول

وفي حديث سواد بن قارب «وشدت العيس بأحلاسها».

العَيساء: بفتح العين الأنثى من الجراد، وقد تقدم ما في الجراد في باب الجيم.

العيلام: والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع وفي الحديث، أن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر، والعيلام ذكر الضباع، والياء والألف زائدتان قاله في نهاية الغريب.

العيثوم: الضبع عن أبي عبيدة، وقد تقدم قبل ذلك بورقة، وقال الغنوي: والعيثوم الأنثى من الفيلة وأنشد[1] الأخطل:

تركوا أسامةَ في اللقاءِ كأنما ... وطئتْ عليه بخفِّها العيثومُ

العين: من الألفاظ المشتركة، قال بعض أهل اللغة ممن تكلم على الألفاظ المشتركة: إن العين طائر أصفر البطن والظهر في حد القمري.

العيهل: الناقة السريعة، قال أبو حاتم: ولا يقال جمل عيهل.

عيجلوف: كحيزبون اسم النملة المذكورة في القرآن، وسيأتي إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء في اسمها في باب النون في لفظ النمل.

ابن عِرس: وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب وهي دابة تسمى بالفارسية راسو، وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين، تجمع على بنات عرس وبني عرس، حكاه الأخفش. قال القزويني: هو حيوان دقيق يعادي الفأر، يدخل جحره ويخرجه، ويعادي التمساح فإن التمساح لايزال مفتوح الفم، وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها، ويخرج ويعادي الحية أيضاً، ويقتلها. وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه.

وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة، فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن، ولم يبق لها مهرب، فنزلت على ورقة وعضت طرفها، وعلقت نفسها بها، فعند ذلك صاح ابن عرس، فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التي كانت تحت الشجرة.

وقال عبد اللطيف البغدادي: وأظنه الحيوان المسمى بالدلق، وإنما يختلف لونه ووبره

---

(١) ديوان الأخطل: ٣١٠.

بحسب البلاد قال في طبعه: إنه يسرق ما وجد من فضة وذهب، كما يفعل الفأر وربما عادى الفأر فقتله، ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه. قال: وهو كثير الوجود في منازل أهل مصر، قال: وقد حكي من فطنته، أن رجلاً صاد فرخاً منها وحبسه في قفص بحيث تراه أمه، فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفي فمها دينار، فألقته بين يديه كأنها تفتدي ولدها فلم يتركه لها، فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمساً، فلما رأت أنه لا يطلقه ذهبت وعادت بخرقة كأنها تشير إلى فراغ حاصلها فلم يكترث بها، فلما رأت ذلك منه عادت إل دينار منها لتأخذه، فخشي الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها. وقد تقدم في باب الجيم في الجرذ حديث ضباعة بنت الزبير، أن المقداد بن الأسود ذهب يقضي حاجته فإذا جزذ يخرج من جحره ديناراً ثم ديناراً ثم لم يزل كذلك، إلى أن أخرج سبعة عشر ديناراً، ثم أخرج خرقة حمراء قد بقي فيها دينار واحد، فكانت ثمانية عشر، فذهب بها إلى رسول الله ﷺ فأخبره وقال: خذ صدقتها. فقال عليه الصلاة والسلام: «هل هويت إلى الجحر بيدك؟[1]» فقال: لا. فقال له عليه الصلاة والسلام: «بارك الله لك فيها». قال الجاحظ: ابن عرس نوع من الفأر وأنشد[2] قول الشمقمق:

نزل الفاراتُ بيتي رفقةً من بعدِ رفقه[3]

ثم قال[4]:

وابنُ عِرس رأسُ بيتي صاعدا في رأسِ طبقه

ثم قال[5] يصفه:

صبغةٌ أبصرتُ منها في سوادِ العينِ زُرقه
مثل هذا في ابنِ عرسٍ أغبشَ تعلوه بلقه[6]

فوصفه بكونه أغبش أبلق، وأنه من الفأر. وهو أنواع ثلاثة عشر ستأتي في أماكنها، إن شاء الله تعالى. وقال أرسطاطاليس، في نعوت الحيوان، والتوحيدي في الامتاع والمؤانسة: إن الأنثى من بنات عرس، تلقح من أفواهها وتلد من أذنابها. وقال في كفاية المتحفظ: ابن عرس هو السرعوب، ويقال له النمس، وهو غلط. والذي قبله قريب منه. والجمع بينه وبين كلام الجاحظ عسر لأن النمس ليس من جنس الفأر، والصواب ما قاله الجاحظ من أنه نوع من الفأر. وقال الشيخ قطب الدين السنباطي: بنات عرس هي هذه التي في بيوت مصر، وفيما قاله قصور، فإن بنات عرس أنواع كما يأتي عن الرافعي قريباً.

الحكم: قيل: يحرم أكله لأنه كالفأر، والمشهور حله، بل قال في شرح المهذب: يحل بلا

---

(١) رواه ابن ماجه: لقطة ٣.

(٢) الحيوان للجاحظ: ٢٦٧/٥. وأبو الشمقمق هو مروان بن محمد، شاعر هجّاء من أهل البصرة. مات سنة ٢٠٠ هـ.

(٣) الرفقة: الجماعة. وفي الحيوان: «نزل الفار ببيتي».

(٤) في الحيوان: ... «في رأس نبقة».

(٥) في الحيوان: «صفقة أبصرت».

(٦) في الحيوان: «زرقةٌ مثلَ ابن عِرس».

خلاف، وفيه وجه حكاه الماوردي أنه يحرم. وحكى في الشرح الصغير الوجهين، وقال: الأظهر الحل، وهذه المسألة ساقطة من الشرح الكبير والروضة، والأشبه أنه من صنيع النساخ، وإلا فكلام الشرح لا يستقيم إلا بذكرها، ولذلك كتبها فيه، كما في الشرح الصغير، الشيخ عز الدين النشائي على حاشية نسخته. وقال الرافعي، في كتاب الحج: إن بنات عرس أنواع. والغزالي قال: إنه يشبه الثعلب، وكلام الغزالي يقتضي أن ابن عرس هو النمس، لأنه يشبه الثعلب بأسنانه وطول ذنبه، وإن كان أصغر منه جثة. وقال القاضي أبو الطيب: لا أعلم خلافاً بين الأصحاب في حل ابن عرس، لأنه لا يتقوى بنابه، وكذا ذكر صاحب البحر. والمشهور الحل، كما في الشرح الصغير والمختصرات المشهورة كالتنبيه والوجيز والحاوي الصغير.

الخواص: دماغه يكتحل به فينفع من ظلمة العين، وإن جفف وشرب بخل نفع من الصرع، ولحمه يستعمل ضماداً لوجع المفاصل، وشحمه يطلى به السن تقع سريعاً، ومرارته إن شربت، وهي حارة، قتلت من وقتها. ودمه يطلى به الخنازير يحللها. وإن خلط دمه بدم الفأر، ومزج بماء، ورش في بيت، وقعت الخصومة بين أهله، وإن دفن ابن عرس وفأرة في بيت، فعل كما يفعل الدم، وزبله يجعل على الجراحات يقطع الدم، وإن أخذ كفاه وعلقتا على امرأة لم تحبل مادام ذلك عليها والله تعالى أعلم.

وهو في الرؤيا: يدل على الزواج للأعزب بامرأة صبية والله تعالى أعلم.

أم عجلان: طائر، قاله الجوهري، وقال ابن الأثير: طائر أسود، يقال له قوبع، وقيل: طائر أسود أبيض الذنب، يكثر تحريك ذنبه يقال له الفتاح.

أم عزة: الظبية وعزة ابنتها.

أم عويف: دويبة صغيرة، ضخمة الرأس مخضرة، لها ذنب طويل، وأربعة أجنحة، إذا رأت الإنسان قامت على ذنبها، ونشرت أجنحتها، وهي لا تطير. ويقال لها ناشرة برديها، يلعب بها الصبيان ويقولون لها:

أمَّ عويف انشري برديك ثمت طيري بين صحراويك
إن الأميرَ خاطبٌ بنتيك بجيشِه وناظرٌ إليك

كذا قاله في المرصع. وهذه تشبه أن تكون أم حبين المتقدمة في باب الحاء المهملة.

أم العيزار: السبيطر، ووقع في المهذب، في باب الهدنة أن عاقر ناقة صالح اسمه العيزار بن سالف، وهو تصحيف بلا خلاف، وإنما عاقر الناقة اسمه قُدار بضم القاف، ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ والقصص والأسماء وأهل اللغة كالجوهري وغيره ونبه عليه النووي رحمه الله تعالى.

باب الغين المعجمة

الغاق: والغاقة: نوع من طير الماء معروف مشهور.

الغداف: غراب القيظ وجمعه غِدفان، بكسر الغين المعجمة، وربما سموا النسر الكثير الريش غدافاً. وكذلك الشعر الأسود الطويل، وقال ابن فارس: الغداف هو الغراب الضخم. وقال العبدري وغيره من أئمة أصحابنا: هو غراب صغير أسود لونه كلون الرماد.

الحكم: أباح الشعبي أكل الغراب الأسود الكبير، الذي يأكل الحبوب والزرع، فأشبه الحجل. وقال أبو حنيفة: الغربان كلها حلال. وروى هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: «إني لأعجب ممن يأكل الغراب وقد أذن النبي ﷺ في قتله للمحرم وسماه فاسقاً، والله ما هو من الطيبات»[1] وأما مذهب الشافعي، فحاصل ما في الروضة أن الغداف يحرم أكله، والذي في الرافعي أنه حلال، وهذا هو المعتمد في الفتوى، كما نبه عليه شيخنا في المهمات.

الخواص: قال القزويني: إذا أخذت شحم الغداف مع دهن ورد، ودهنت به وجهك، ودخلت على السلطان قضى حاجتك.

الغذي: السخلة والجمع غذاء، مثل فصيل وفصال، ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لعامل الصدقة: احتسب عليهم بالغذاء، ولا تأخذهامنهم. وأنشد الأصمعي:

لو أنني كنت من عاد ومن إرم ... غذى بهم ولقمانا وذا جدن

ورواه خلف الأحمر غذى بالتصغير حكاه الجوهري وغيره.

الغراب: معروف، وسمي بذلك لسواده. ومنه قوله تعالى: ﴿وغرابيب سود﴾[2] وهما لفظان بمعنى واحد. ومن أحاديث راشد بن سعد أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبغض الشيخ الغربيب» فسره راشد بن سعد بالذي يخضب بالسواد. وجمعه غربان وأغربة وأغرب وغرابين وغرب. وقد جمعها ابن مالك في قوله:

بالغربِ أجمعْ غُراباً ثم أغربة ... وأغرُب وغَرابين وغِربان

وكنيته أبو حاتم وأبو جحادف وأبو الجراح وأبو حذر وأبو زيدان وأبو زاجر وأبو الشؤم وأبو غياث وأبو القعقاع وأبو المرقال قال الشاعر:

إن الغرابَ وكان يمشي مشيةً ... فيما مضى من سالفِ الأجيالِ
حسدَ القطاةَ ورامَ يمشي مشيها ... فأصابه ضربٌ من العقال
فأضلّ مشيتَه وأخطأ مشيها ... فلذاك سموه أبا المرقالِ

ويقال له ابن الأبرص وابن بريح وابن داية، وهو أصناف: الغداف والزاغ والأكحل،

---

(١) رواه البخاري: صيد ٧، وبدء الخلق ١٦. ورواه مسلم: حج ٦٦، ٦٩، ٧٧، ٧٩.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٧.

وغراب الزرع والأورق. وهذا الصنف يحكي جميع ما يسمعه. والغراب الأعصم عزيز الوجود. قالت[1] العرب: «أعز من الغراب الأعصم».

وقال ﷺ: «مثل المرأة الصالحة في النساء، كمثل الغراب الأعصم في مائة غراب». رواه الطبراني من حديث أبي أمامة.

وفي رواية ابن أبي شيبة، قيل: يا رسول الله وما الغراب الأعصم؟ قال: «الذي إحدى رجليه بيضاء». وروى الإمام أحمد والحاكم في مستدركه، عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران، فإذا بغربان كثيرة، فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب، في هذه الغربان»[2] وإسناده صحيح. وهو في السنن الكبرى للنسائي. قال في الإحياء: الأعصم أبيض البطن. وقال غيره: الأعصم أبيض الجناحين. وقيل: أبيض الرجلين أراد عليه الصلاة والسلام قلة الصالحة في النساء، وقلة من يدخل الجنة منهن، لأن هذا الوصف في الغربان عزيز قليل.

وفي وصية لقمان لابنه: يا بني اتق المرأة، فإنها تشيبك قبل المشيب، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر. وقال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار. وقال عمر رضي الله تعالى عنه: خالفوا النساء، فإن في خلافهن البركة. وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن. وفي السيرة، في قصة حفر زمزم لما رأى عبد المطلب قائلاً يقول له: احفر طيبة، قال: وما طيبة؟ قال: زمزم. قال: وما علامتها؟ قال: بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم. قال السهيلي: في ذلك إشارة إلى أن الذي يهدم الكعبة صفته كصفة الغراب، وهو ذو السويقتين. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[3]: «يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة». وفي البخاري، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال[4]: «كأني به أسود أفحج، يقلعها حجراً حجراً». وفي حديث حذيفة الطويل، «كأني بحبشي أفحج الساقين، أزرق العينين، أفطس الأنف، كبير البطن، وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً، ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر». يعني الكعبة. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي، وذكر الحليمي أن هذا يكون في زمن عيسى عليه السلام. وفي الحديث: «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة».

وغراب الليل، قال الجاحظ: هو غراب ترك أخلاق الغربان، وتشبه بأخلاق البوم، فهو من طير الليل. وسمعت بعض الثقات يقول: إن هذا الغراب يشاهد كثيراً في الليل. وقال ارسطاطاليس، في النعوت: الغربان أربعة أجناس، أسود حالك، وأبلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب، وأسود طاوسي براق الريش، ورجلاه كلون المرجان، يعرف بالزاغ، وفي

---

(1) جمهرة الأمثال: ٢/٥٦.
(2) رواه ابن حنبل: ٤/١٩٧ ـ ٢١٥.
(3) رواه البخاري: حج ٤٩. ومسلم: فتن ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٥. والنسائي مناسك ١٢٥. وابن حنبل ٢ ـ ٢٢٠.
(4) رواه البخاري: حج ٤٩.

الغراب كله الاستتار عند السفاد، وهو يسفد مواجهة، ولا يعود إلى الأنثى بعد ذلك لقلة وفائه. والأنثى تبيض أربع بيضات وخمساً، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها، لأنها تخرج قبيحة المنظر جداً، إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤوس والمناقير، جرداء اللون، متفاوتة الأعضاء، فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه، فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشه إلى أن يقوى وينبت ريشه، فيعود إليه أبواه. وعلى الأنثى أن تحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم. وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد، بل إن وجد جيفة، أكل منها وإلا مات جوعاً، ويتقمقم كما يتقمقم ضعاف الطير، وفيه حذر شديد وتنافر. والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكله، ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه، يحمل الذكر والأنثى في أرجلهما حجارة، ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه.

قال الجاحظ: قال صاحب منطق الطير: الغراب من لئام الطير، وليس من كرامها، ولا من أحرارها ومن شأنه أكل الجيف والقمامات، وهو إما حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله في الناس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيباً ومزاجاً، كمن بردت بلاده ولم تنضجه الأرحام، أو ثخنت بلاده فأحرقته الأرحام، وإنما صارت عقول أهل بابل فوق العقول، وكمالهم فوق الكمال، لأجل ما فيها من الاعتدال. فالغراب الشديد السواد، ليس له معرفة ولا كمال، والغراب الأبقع كثير المعرفة، وهو الأم من الأسود انتهى. والعرب تتشاءم بالغراب، ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب.

فائدة أجنبية: اسم الغربة مجموع من أسماء دالة على محصول اسم الغربة فالغين من غدر وغرور وغيبة وغم وغلة، وهي حرارة الحزن، وغرة وغول وهي كل مهلكة، والراء من رزء وردع وردى وهو الهلاك، والباء من بلوى وبؤس وبرح وهو الداهية، وبوار وهو الهلاك، والهاء من هوان وهول وهم وهلك، قاله محمد بن ظفر، في السلوان. وغراب البين الأبقع. قال الجوهري: هو الذي فيه سواد وبياض. وقال صاحب المجالسة: سمي غراب البين لأنه بان عن نوح، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لما وجهه لينظر إلى الماء، فذهب ولم يرجع. ولذلك تشاءموا به. وذكر ابن قتيبة أنه سمي فاسقاً، فيما أرى، لتخلفه حين أرسله نوح عليه السلام، ليأتيه بخبر الأرض، فترك أمره ووقع على جيفة. قال عنترة:

ظعنَ الذين فراقهم أتوقع ... وجرى ببينهم الغرابُ الأبقعُ

وقال صاحب منطق الطير: الغربان جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحل والحرام، من الفواسق، اشتق لها ذلك الاسم من اسم إبليس، لما يتعاطاه من الفساد الذي هو شأن إبليس، واشتق ذلك أيضاً لكل شيء اشتد أذاه. وأصل الفسق الخروج عن الشيء، وفي الشرع الخروج عن الطاعة انتهى.

قال الجاحظ: غراب البين نوعان، أحدهما غراب صغير معروف باللؤم والضعف، وأما الآخر فإنه ينزل في دور الناس، ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها، وبانوا منها. قال: وكل غراب غراب البين، إذا أرادوا به الشؤم لا غراب البين نفسه الذي هو غراب صغير أبقع.

وإنما قيل: لكل غراب غراب البين، لأنه يسقط في منازلهم إذا ساروا منها وبانوا عنها، فلما كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينونتهم عن منازلهم، اشتقوا له هذا الاسم من البينونة.

وقال المقدسي، في كشف الأسرار، في حكم الطيور والأزهار، في صفة غراب البين: هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب، وينعق بين الخلان والأحباب، إذا رأى شملاً مجتمعاً أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعاً عامراً بشر بخرابه، ودروس عرصاته، يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن، ويحذر الآكل غصة المآكل، ويبشر الراحل بقرب المراحل، ينعق بصوت فيه تحزين، كما يصيح المعلن بالتأذين وأنشد على لسان حاله:

أنوحُ على ذهابِ العمرِ مني ... وحقّ أنْ أنوحَ وأنْ أنادي
وأندب كلما عاينت ركبا ... حدا بهمو لو شك البين حادي
يعنفني الجهول إذا رآني ... وقد ألبست أثواب الحدادِ
فقلت له: اتعظ بلسان حالي ... فإني قد نصحتُك باجتهادِ
وها أنا كالخطيب وليس بدعا ... على الخطباء أثوابُ السوادِ
ألم ترني إذا عاينتُ ركبا ... أنادي بالنوى في كل ناد
أنوح على الطلولِ فلم يجبني ... بساحتها سوى خرسِ الجمادِ
فأكثر في نواحيها نواحي ... من البينِ المفتتِ للفؤادِ
تيقظ يا ثقيلَ السمعِ وافهم ... إشارة من تسير به العوادي
فما من شاهدٍ في الكونِ إلا ... عليه من شهودِ الغيبِ بادي
وكم من رائحٍ فيها وغاد[1] ... ينادي من دنوٍ أو بعادِ
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ... ولكن لا حياةَ لمن تنادي

فدل قوله: وقد ألبست أثواب الحداد، وليس بدعا على الخطباء أثواب السواد، أنه أسود. وقوله: فلم يجبني بساحتها سوى خرس الجماد، أنه يوجد عند مفارقة أهل المواضع لها، وأما قوله: وينغق بين الخلان والأحباب، فهو بالغين المعجمة، عند جمهور أهل اللغة، وهو الذي قاله ابن قتيبة، وجعل غيره خطأ.

ونقل البطليوسي، عن صاحب المنطق، أنه قال: نعق الغراب ونغق. قال: وهو بالغين المعجمة أحسن. وحكى ابن جني مثل ذلك. وقد أحسن الصاحب بهاء الدين زهير وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بقوله في البين من أبيات:

لقد ظلمتني واستطالتْ يدُ النوى ... وقد طمعتْ في جانبي كل مطمع[2]
إلى كم أقاسي فرقةً بعد فرقة ... وحتى متى يا بين أنت معي معي
وقالتْ علمنا ما جرى منك بَعدنا ... فلا تظلميني ما جرى غير أدمعي

---

(١) رائح وغاد: ذاهب في صباح مساء.
(٢) يد النوى: أراد المصائب.

وله ملغزاً في قفل وقد أجاد:

وأسـودَ عـارٍ أنحـلَ البـردُ جسمَـه ... ومازالَ من أوصافِهِ الحرصُ والمنعُ[1]
وأعجبُ شيءٍ كـونه الـدهـر حـارسـاً ... وليس لـه عـينٌ وليس لـه سـمـعُ

وله شعر جيد، وشعره عند أهلَ الصناعةِ يسمى السهل الممتنع. وكان متمكناً من الملك الصالح ولا يتوسط إلا بالخير، وكانت وفاته سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى.

ويقال: إذا صاح الغراب مرتين، فهو شر، وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد الحروف. ولما كان صافي العين حاد البصر سموه أعور. وقال الجاحظ: إنهم إنما سموه بالأعور تطيراً منه وتشاؤماً به وليس به عور. وقيل: إنما سموه أعور تفاؤلاً بالسلامة منه، كما سموا البرية بالمفازة، واليد الشمال باليسار.

والتطير أصله من الطير إذا مر بارحاً أو سانحاً أو قعيداً أو ناطحاً، فالبارح ما أتى من ناحية الميامن والسانح، بالنون والحاء المهملة ما أتى من ناحية المياسر، والناطح ما تلقاك والقعيد ما استدبرك. وإنما كان الغراب هو المقدم عندهم في باب الشؤم، لأنه لما كان أسود ولونه مختلفاً إن كان أبقع، ولم يكن على إبلهم شيء أشد من الغراب. وكان حديد البصر يخاف من عينيه كما يخاف من عين المعيان قدموه في باب الشؤم انتهى. وقيل: إنما سموه أعور لتغميض إحدى عينيه أبداً، من قوة بصره. قاله ابن الأعرابي، وسيأتي في الأمثال شيء من هذا.

فائدة: قال صاحب العشرات: اسم الغراب من الأسماء المشتركة، يقع على الثلج وعلى الضفيرة من الشعر وعلى المعول وعلى رأس الورك وعلى الغراب نفسه. قال: أنشدني أبو عبد الله المهلبي، يعني نفطويه كنى عنه لأنه كان في زمانه، عن ثعلب عن ابن الأعرابي:

يـا عـجـبـاً لـلعـجـبِ العـجـاب ... خمـسـةُ غـربـان عـلى غـراب

وقال ارسطاطاليس في النعوت: غراب البين جسمه أسود ومنقاره ورجلاه صفر، ومأكله من جميع النبات واللحوم. وفي الحديث أن النبي ﷺ «نهى عن نقرة الغراب»[2]. يريد بذلك تخفيف السجود، وأنه لا يمكث فيه، إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله. وروى البخاري في الأدب، والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب، وابن عبد البر وغيرهم عن عبد الله بن الحارث الأموي، عن أمه ريطة بنت مسلم، عن أبيها، أنه قال: شهدت مع النبي ﷺ حنيناً، فقال: «ما اسمك»؟ قلت: اسمي غراب. فقال ﷺ: «بل أنت مسلم»[3]. وإنما غير النبي ﷺ اسمه لأنه حيوان خبيث الفعل، خبيث المطعم، ولذلك أمر ﷺ بقتله في الحل والحرم.

وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ أتاه رجل فقال: «ما اسمك»؟ قال: أصرم. قال: «بل أنت زرعة». وإنما غيره لما فيه من معنى الصرم وهو القطع. قال أبو داود: وغير النبي ﷺ اسم

---

(1) البيتان في وفيات الأعيان ٢/٣٣٨ مع ترجمته.
(2) رواه أبو داود: صلاة ١٤٤، والنسائي تطبيق ٥٥.
(3) رواه أبو داود: أدب ٦٢.

العاص وعزيز وعقلة وشيطان والحكم وحباب وشهاب وأرض تسمى عفرة فسماها النبي ﷺ خضرة. فالعاص كرهه لمعنى العصيان، وإنما صفة المؤمن الطاعة والاستسلام. وعزيز إنما غيره لأن العزة لله تعالى وشعار العبد الذلة والاستكانة، وقد قال الله تعالى عندما قرع بعض أعدائه: ﴿ذُقْ إنكَ أنتَ العزيزُ الكريم﴾[1] وعقلة معناه الشدة والغلظة، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة. قال ﷺ: «المؤمنون هينون لينون». والشيطان اشتقاقه من البعد عن الخير. والحكم هو الحاكم الذي لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه وتعالى. والحباب اسم الشيطان، والشهاب اسم للشعلة من النار والنار عقوبة الله تعالى، وهي محرقة مهلكة، نسأل الله النجاة منها. وأما عفرة فهو نعت لأرض لا تنبت شيئاً، فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتزرع.

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن شبل، وليس له في الكتب الستة سواه أن النبي ﷺ «نهى المصلي عن نقرة الغراب»[2]. ورواه الحاكم بلفظ «نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان كما يوطنه البعير». يريد بنقرة الغراب تخفيف السجود، وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله.

وروى أبو يعلى الموصلي، والطبراني، في معجمه الأوسط، عن سلمة بن قيصر أن النبي ﷺ قال: «من صام يوماً ابتغاء وجه الله، باعده الله من النار كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرماً». وفي إسناده ابن لهيعة، وفيه كلام.

وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه مثله عن رسول الله ﷺ. ورواه الإمام أحمد في الزهد والبزار، وفيه رجل لم يسم، وقد تقدم في باب الحاء المهملة، في لفظ الحية، ما رواه الدارقطني عن أبي أمامة قال: دعا النبي ﷺ بخفيه ليلبسهما فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر ورمى به فخرجت منه حية فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما»[3] وفي إسناده هشام بن عمر، وذكره ابن حبان في الثقات وهو حديث صحيح إن شاء الله تعالى. وقد تقدم في الأسود السالخ حديث نظير هذا.

وروى الإمام أحمد في الزهد، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه كان إذا نعب الغراب قال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك. وروينا عن ابن طبرزد، بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن حطان عن الزهري، عن أبي واقد عن روح بن حبيب قال: بينما أنا عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه، إذ أتي بغراب، فلما رآه بجناحين حمد الله تعالى ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما صيد قط صيدٌ إلا بنقص من تسبيح، ولا أنبت الله تعالى نابتة إلا وكل بها ملكاً يحصي تسبيحها حتى يأتي به يوم القيامة، ولا عضدت شجرة ولا قطعت، إلا بنقص من تسبيح، ولا دخل على امرىء مكروه إلا بذنب، وما عفا الله عنه أكثر». يا غراب اعبد الله، ثم خلى سبيله. وسيأتي نظير هذا في لفظ القسورة، من كلام عمر رضي الله تعالى عنه.

---

(١) سورة الدخان: آية ٤٩.

(٢) رواه أبو داود: صلاة ١٤٤. وابن ماجه: إقامة ٢٠٤.

(٣) رواه ابن حنبل: ١ - ٢٩، ٢ - ٢٦١.

فائدة أخرى: قال أبو الهيثم: يقال: إن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره. والحكمة في أن الله تعالى بعث إلى قابيل، لما قتل أخاه هابيل، غراباً ولم يبعث له غيره من الطير، ولا من الوحش أن القتل كان مستغرباً جداً، إذ لم يكن معهوداً قبل ذلك فناسب بعث الغراب. قال الله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدمَ بالحقّ إذ قرّبا قربانا﴾[1] الآيات. قال المفسرون: كان قابيل صاحب زرع، فقرب أرذل ما عنده وأدناه، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أفضل كباشه فقربه. وكان دليل القبول أن تأتي نار تأكل القربان، فأخذت النار الكبش الذي قربه هابيل، فكان ذلك الكبش يرعى في الجنة، حتى أهبط إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام في فداء ولده إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وكان قابيل أسن ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

وروي أن آدم حج إلى مكة وجعل قابيل وصياً على بنيه فقتل قابيل هابيل فلما رجع آدم قال: أين هابيل؟ فقال: لا أدري. فقال آدم: اللهم العن أرضاً شربت دمه! فمن ذلك الوقت لم تشرب الأرض دماً.

ثم إن آدم بقي مائة عام لا يبتسم، حتى جاءه ملك الموت، فقال له: حياك الله يا آدم وبياك، قال: وما بياك؟ قال: أضحكك. وروي أن قابيل حمل أخاه هابيل ومشى به حتى أروح، ولم يدر ما يصنع به، فبعث الله غرابين، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث في الأرض بمنقاره ودفنه، فاقتدى به قابيل، فكان بعث الغراب حكمة كبرى ليرى ابن آدم كيف المواراة، وهو معنى قوله[2] تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره﴾ وروى أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «امتن الله تعالى على ابن آدم بالريح بعد الروح ولولا ذلك ما دفن حبيب حبيباً».

وقابيل أول من يساق إلى النار من ولد آدم قال[3] الله تعالى: ﴿ربّنا أرنا الذين أضلّانا من الجنّ والإنسِ﴾ وهما قابيل وإبليس.

وروى أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ سئل عن يوم الثلاثاء، فقال: «يوم الدم فيه حاضت حواء، وفيه قتل ابن آدم أخاه[4]». قال مقاتل: وكان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم، فلما قتل قابيل هابيل، هربت منه الطير والوحش، وشاكت الأشجار، وحمضت الفواكه، وملحت المياه، واغبرت الأرض. وروى أبو داود، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، أنه قال: يا رسول الله إن دخل علي إنسان في الفتنة، وبسط إلي يده فقال: «كن كخير ابني آدم»[5]. وتلا هذه الآية.

عجيبة: نقل القزويني عن أبي حامد الأندلسي أن على البحر الأسود، من ناحية الأندلس، كنيسة من الصخر، منقورة في الجبل، عليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح، وفي مقابل القبة مسجد يزوره الناس، يقولون: إن الدعاء فيه مستجاب، وقد شرط على القسيسين ضيافة

---

(١) سورة المائدة: آية ٢٧. (٢) سورة عبس: آية ٢١. (٣) سورة فصلت: آية ٢٩.
(٤) رواه البخاري: جنائز ٩٤، إيمان ٣٢، ومسلم: جنائز ٢٧، منافقين ٢٧، وأبو داود: طب ٨، والترمذي صوم ٤٣، ومناقب ٢٠، وابن ماجه جنائز ٦٥، وابن حنبل ١/ ٢٤٠.
(٥) رواه أبو داود: فتن ٢، وابن ماجه فتن ١٠.

من يزور ذلك المسجد من المسلمين، فإذا قدم زائر، أدخل الغراب رأسه في روزنة على تلك القبة، وصاح صيحة، وإذا قدم اثنان صاح صيحتين، وهكذا كلما وصل زوار صاح على عددهم، فتخرج الرهبان بطعام يكفي الزائرين. وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب، وزعم القسيسون أنهم مازالوا يرون غراباً على تلك القبة، ولا يدرون من أين يأكل أو يشرب.

عجيبة أخرى: قال أبو الفرج المعافى بن زكريا، في كتاب الجليس والأنيس له: كنا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه، وإذا أعرابي جالس كانت له حاجة، إذ وقع غراب على نخلة في الدار فصرخ ثم طار، فقال الأعرابي: إن هذا الغراب يقول: إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام، قال: فزجرناه فقام وانصرف، ثم خرج الإذن من القاضي إلينا فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتماً، فقلنا له: ما الخبر؟ فقال: رأيت البارحة في النوم شخصاً يقول:

منازلُ آلِ عبادِ بنِ زيد على أهليكِ والنعمِ السلامُ

وقد ضاق صدري لذلك، فدعونا له وانصرفنا. فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن. قال القاضي أبو الطيب الطبري: سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا أبي الفرج المذكور.

عجيبة أخرى: قال يعقوب بن السكيت: كان أمية بن أبي الصلت في بعض الأيام يشرب، فجاء غراب فنعب نعبة، فقال له أمية: بفيك التراب، ثم نعب أخرى، فقال له أمية: بفيك التراب. ثم أقبل على أصحابه، فقال: أتدرون ما يقول هذا الغراب؟ زعم أني أشرب هذا الكأس فأموت، وأمارة ذلك أنه يذهب إلى هذا الكوم فيبتلع عظماً فيموت. قال: فذهب الغراب إلى الكوم فابتلع عظماً فمات ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه ا هـ.

قلت: وأمية بن أبي الصلت الكافر مذكور في مختصر المزني والمهذب وغيرهما، في كتاب الشهادات. وسمع النبي ﷺ شعره الذي فيه حكمة واقراره بالوحدانية والبعث. واسم أبي الصلت عبد الله بن ربيعة بن عوف وكان أمية يتعبد في الجاهلية، ويؤمن بالبعث وينشد في ذلك الشعر الحسن وأدرك الإسلام ولم يسلم. وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضي الله تعالى عنه، قال: ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء»[1] قلت: نعم. فقال: «هيه» فأنشدته بيتاً، فقال: «هيه» ثم أنشدته بيتاً. فقال: «هيه» حتى أنشدته مائة بيت فقال ﷺ: «إن كاد ليسلم». وفي رواية: «لقد كاد أن يسلم بشعره» وإنما قال ﷺ ذلك لما سمع قوله:

لكَ الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربّنا فلا شيءَ أعلى منك حمداً وأمجد

وفي مسند الدارمي، من حديث عكرمة، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صدّق النبي ﷺ أمية بن أبي الصلت في أبيات من شعره في قوله[2]:

---

(١) رواه ابن ماجه: أدب ٤١. ومسلم: شعر ١، وابن حنبل ٤ ـ ٣٨٨.

(٢) العقد الفريد: ٥/٢٧٧. وكذلك البيت السابق والبيتان اللاحقان.

زحـل وثـور تحت رجلِ يمينـه والنسر لـلأخـرى وليث مـرصـد

فقال ﷺ: «صدق». قال:

والـشمسُ تـطلعُ كـلَّ آخـرِ ليلةٍ حمـراء يـصـبـح لـونها يـتـورد

فقال ﷺ: «صدق». قال:

تـأبى فـما تـطلع لـنـا في رسلهـا إلا مـعـذبـة وإلا تجـلد

فقال ﷺ: «صدق». قال السهيلي، في التعريف والاعلام، في قوله[1] تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتِنا فانسلخَ منها﴾ الآية. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنها نزلت في بلعام بن باعورا، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما: إنها نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي.

وكان قد قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية، وكان يعلم أنه سيبعث نبي من العرب فطمع أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر. وهو أول من كتب باسمك اللهم، ومنه تعلمت قريش، فكانت تكتب به في الجاهلية.

ولتعلم أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودي، وذلك أن أمية كان مصحوباً تبدو له الجن، فخرج في عير من قريش، فمرت بهم حية فقتلوها، فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها، وقالت: قتلتم فلاناً! ثم ضربت الأرض بقضيب، فنفرت الإبل فلم يقدروا عليها، إلا بعد عناء شديد، فلما جمعوها، جاءت فضربت ثانية فنفرت، فلم يقدروا عليها إلا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثة فنفرتها، فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشاً وعناء، وهم في مفازة لا ماء فيها. فقالوا لأمية: هل عندك من حيلة؟ قال: لعلها. ثم ذهب حتى جاوز كثيباً، فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه حتى أتى على شيخ في خباء، فشكا إليه ما نزل به وبصحبه، وكان الشيخ جنياً، فقال: اذهب فإن جاءتكم فقولوا: باسمك اللهم سبعاً. فرجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة فأخبرهم بذلك فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك، فقالت: تباً لكم من علمكم هذا؟ ثم ذهبت. وأخذوا إبلهم وكان فيهم حرب بن أمية بن عبد شمس، جد معاوية بن أبي سفيان، فقتله الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة وقالوا[2] فيه:

وقـبرُ حـربٍ بمـكـانٍ قـفـرٍ ولـيسَ قـربَ قـبرِ حـربٍ قـبرُ

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبي الصلت هذا، وأخبرت عنه بخبر، ذكره عبد الرزاق في تفسيره. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في هذا الكتاب، في باب النون، في الكلام على النسر ما يوافق ذلك.

الحكم: يحرم أكل الغراب الأبقع الفاسق، وأما الأسود الكبير وهـو الجبلي، فهـو حرام

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٥.

(٢) الحيوان للجاحظ: ٢٠٧/٦ ونسبته إلى الجن.

أيضاً، على الأصح، وبه قطع جماعة، وغراب الزرع حلال على الأصح. وقد تقدم حكم العقعق والغداف. وقال أبو حنيفة: الغربان كلها حلال. روى[1] البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على قاتلهن جناح: الغراب والحدأة والفأرة والحية والكلب العقور». وفي سنن ابن ماجه والبيهقي، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الحية فاسقة، والفأرة فاسقة، والغراب فاسق»[2]. وفي سنن ابن ماجه أيضاً قيل لابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أيؤكل الغراب[3] قال: ومن يأكله بعد قول رسول الله ﷺ فيه إنه فاسق؟. وهذه الفواسق الخمس لا ملك لأحد فيها ولا اختصاص، كذا نقله الرافعي في كتاب ضمان البهائم، عن الإمام وأقره. وعلى هذا فلا يجب ردها على غاصبها.

الأمثال: قال الشاعر:

ومن يكن الغرابُ له دليلاً ... يمرّ به على جيفِ الكلابِ

وقالوا: «لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب»[4]، أي لا أفعل أبداً، لأن الغراب لا يشيب أبداً.

روى الحافظ أبو نعيم في حليته، في ترجمة سفيان بن عيينة، عن مسعر بن كدام، أن رجلاً ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة، فمكث ثلاثة أيام لم ير أحداً، ولم يأكل ولم يشرب، فتمثل بقول القائل:

إذا شابَ الغرابُ أتيت أهلي ... وصار القارُ كاللبن الحليبِ

فأجابه صوت مجيب لا يراه:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه ... يكون وراءَه فرجٌ قريبُ

فنظر فإذا سفينةٌ قد أقبلت، فلوح إليهم فأتوه فحملوه، فأصاب خيراً كثيراً. وقالوا: «أبصر من غراب»[5]. زعم ابن الأعرابي أن العرب تسمي الغراب الأعور لأنه يغمض أبداً إحدى عينيه، ويقتصر على النظر بإحداهما من قوة بصره. وقال غيره: إنما سموه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل قال بشار بن برد الأعمى:

وقد ظلموه حين سمّوه سيداً ... كما ظلم الناسُ الغرابَ بأعورا

وقد تقدم عن أبي الهيثم، أن الغراب يبصر من تحت الأرض، بقدر منقاره. وقالوا: «أخيل من غراب»[6] «وأزهى[7] وأبكر من غراب[8]»، فإنه أشد الطير بكوراً. وقالوا: «أبطأ من غراب

(١) رواه البخاري: صيد ٧، وبدء الخلق ١٦، ورواه مسلم حج ٦٦، وأبو داود مناسك ٣٩ والترمذي: حج ٢١.

(٢) رواه ابن ماجه: ١٩، وابن حنبل ٦ ـ ٢٠٩.

(٣) رواه ابن ماجه: صيد ١٩.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢٩٣.

(٥) جمهرة الأمثال: ١٩٥/١.

(٦) جمهرة الأمثال: ٣٥٦/١.

(٧) جمهرة الأمثال: ٤١٣/١.

(٨) جمهرة الأمثال: ١٩٨/١.

نوح»[١]، وذلك أن نوحاً عليه الصلاة والسلام أرسله لينظر هل غرقت البلاد ويأتيه بالخبر، فوجد جيفة طافية على وجه الماء فاشتغل بها، ولم يأته بالخبر، فدعا عليه فعقلت رجلاه، وخاف من الناس. وقالوا[٢]: «كأنهم كانوا غراباً واقعاً»، يضرب فيما ينقضي سريعاً، فإن الغراب، إذا وقع لا يلبث أن يطير. وقالوا: «كالغراب والذئب»يضرب للرجلين بينهما موافقة فلا يختلفان، لأن الذئب إذا أغار على غنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه. وقالوا: «الغراب أعرف بالتمر»[٣]. وذلك أن الغراب لا يأخذ إلا الأجود منه، ولذلك يقال: «وجد تمرة الغراب»[٤]، إذا وجد شيئاً نفيساً.

وقالوا: «أشأم من غراب البين»[٥]، وإنما لزمه هذا الاسم لأنه إذا بان أهل الدار للنجعة، وقع في موضع بيوتهم يلتمس ويتقمقم فيتشاءموا به، ويتطيروا منه، إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا، فلذلك سموه غراب البين. وقال فيه شاعرهم:

وصاحَ غرابٌ فوقَ أعوادِ بانة ... بأخبار أحبابي فهيمني الفكرُ
فقلت: غرابٌ باغترابٍ وبانة ... ببين النوى تلك العيافةُ والزجر
وهبّتْ جنوبٌ باجتنابي منهم ... وهاجتْ صبا قلتُ: الصبابةُ والهجر

وقالوا: «أحذر من غراب»[٦]. حكى المسعودي، عن بعض حكماء الفرس، أنه قال: أخذت من كل شيء أحسن ما فيه، حتى انتهى بي ذلك إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب، قيل له: فما أخذت من الكلب؟ قال: ألفه لأهله، وذبه عن صاحبه. قيل: فما أخذت من الهرة؟ قال: حسن تأنيها، وتملقها عند المسألة. قيل: فما أخذت من الخنزير؟ قال: بكوره في حوائجه. قيل: فما أخذت من الغراب؟ قال: شدة حذره. وقالوا: «أغرب من غراب»[٧]، و«أشبه بالغراب من الغراب»[٨].

غريبة: رأيت في كتاب الدعوات، للإمام أبي القاسم الطبراني، وفي تاريخ ابن النجار، في ترجمة أبي يعقوب يوسف بن الفضل الصيدلاني، وفي الإحياء، في كتاب آداب السفر، عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: بينما عمر رضي الله تعالى عنه جالس يعرض الناس، إذ هو برجل معه ابنه فقال له: ويحك ما رأيت غراباً أشبه بغراب من هذا بك قط! قال: يا أمير المؤمنين، هذا ما ولدته أمه إلا وهي ميتة! فاستوى عمر جالساً وقال له: حدثني حديثه، قال: يا أمير المؤمنين خرجت لسفر، وأمه حامل به، فقالت: تخرج وتتركني على هذا الحال حاملاً مثقلة؟ فقلت: استودع الله ما في بطنك. ثم خرجت فغبت أعواماً ثم قدمت فإذا بابي مغلق. فقلت: ما فعلت فلانة، قالوا: ماتت. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم انطلقت إلى قبرها، فبكيت عندها، ثم رجعت فجلست إلى بني عمي، فبينما أنا كذلك، إذ ارتفعت لي نار من بين القبور، فقلت لبني عمي: ما هذه النار؟ فقالوا: ترى على قبر فلانة كل ليلة! فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما

---

(١) مجمع الأمثال: ١/١١٩.
(٢) مجمع الأمثال: ٢/١٤٧.
(٣) مجمع الأمثال: ٢/٦٣.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٢٦٣.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٤٥٧.
(٦) جمهرة الأمثال: ١/٣١٨.
(٧) جمهرة الأمثال: ٢/٧٦.
(٨) جمهرة الأمثال: ١/٥٥.

والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة، انطلقوا بنا إليها فانطلقنا، فأخرت الناس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح، وإذا هي جالسة، وهذا الولد يدور حولها، وإذا مناد ينادي: أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك. أما والله لو استودعت أمه لوجدتها! فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين. قال أبو يعقوب: فحدثت بهذا الحديث في الكوفة، فقالوا: نعم هذا الرجل كان يقال له خزين القبور.

وقريب من هذا الخبر في غريب اتفاقه، ولطيف مساقه، ما حكاه الحافظ المزني في تهذيبه، في ترجمة عبيد بن واقد الليثي البصري، أنه قال: خرجت أريد الحج، فوقفت على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة، وأكثرهم حركة، فقلت: من هذا؟ ومن يكون؟ قال: ابني. وسأحدثك عنه. خرجت مرة حاجاً، ومعي أم هذا الغلام، وهي حامل به، فلما كنا في بعض الطريق، ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت. وحضر الرحيل، فأخذت الصبي، فلففته في خرقة، وجعلته في غار، وبنيت عليه أحجاراً، وارتحلت وأنا أرى أنه يموت من ساعته. فقضينا الحج، ورجعنا فلما نزلنا ذلك المنزل، بادر بعض أصحابي إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبي يلتقم إبهاميه فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما. فاحتملته معي فهو الذي ترى.

الخواص: إذا علق منقار الغراب على إنسان حفظ من العين، وكبده تذهب الغشاوة اكتحالاً، وإذا علق طحاله على إنسان هيج الشبق، وإذا سقي إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لا يرجع يشربه، وبيضه إذا طرح في النورة نفع مستعمله. ودمه إذا جفف وحشي به البواسير أبرأها. وقلبه ورأسه إذا طرحا في النبيذ وسقي الإنسان منه من يريد محبته، فإن الشارب يحب الساقي محبة عظيمة. ولحم المطوق إذا أكل مشوياً، نفع القولنج. ومرارة الغراب إذا طلي بها إنسان مسحور بطل عنه السحر. وإذا غمس الغراب الأسود بريشه في الخل وطلي به الشعر سوده. وزبل الغراب الأبلق الذي يسمى اليهودي ينفع الخنازير والخوانيق. وإن صر في خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم، نفعه من السعال المزمن وقطعه. وإذا أكل الغراب الكتلة سقط ولم يقدر على الطيران، لاسيما في زمن الصيف.

التعبير: الغراب في المنام يدل على رجل مخامر غدار واقف مع حظ نفسه، وربما دل على الحرص في المعاش، وربما كان حفاراً. وممن يستحل قتل النفس، وربما دل على الحفر في الأرض ودفن الأموات، لقوله تعالى: ﴿فبعثَ اللهُ غُراباً يبحثُ في الأرضِ﴾[1] الآية. وربما دل الغراب على الغربة والتشاؤم بالأخبار، والغموم والأنكاد، وطول السفر، وعلى ما يوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه، أو سلطانه لسوء تدبيره.

وغراب الزرع يدل على ولد الزنا، والرجل الممزوج بالخير والشر، والغراب الأبقع يدل على رجل معجب بنفسه كثير الخلاف، وهو من الممسوخ. فمن صاد غراباً نال مالاً حراماً في ضيق بمكابدة. ولحم كل طير وريشه وعظمه مال لمن حواه في المنام. وإذا رأى الغراب على زرع أو شجر فإنه شؤم، ومن رأى غراباً في داره فإن فاسقاً يخونه في امرأته، ومن رأى غراباً يحدثه فإنه

(١) سورة المائدة: آية ٣١.

يرزق ولداً خبيثاً. وقال ابن سيرين: بل يغتم غماً شديداً، ثم يفرج عنه، ومن رأى كأنه يأكل لحم غراب، فإنه يأخذ مالاً من قبل اللصوص، ومن رأى غراباً على باب الملك، فإنه يجني جناية يندم عليها، أو يقتل أخاه ثم يندم على ذلك، لقوله تعالى: ﴿فأصبحَ مِنَ النادمين﴾[1] فإن رأى الغراب يبحث فالدليل قوي على قتل الأخ، ومن رأى غراباً خدشه، فإنه يهلك في البرية أو يناله ألم ووجع، ومن رأى كأنه أعطي غراباً، نال سروراً. وقال أرطاميدورس: الغراب الأبقع يدل على طول الحياة وبقاء المتاع، وربما دل على العجائز، وذلك لطول عمر الغراب وهن رسل النساء. ومن الرؤيا المعبرة أن رجلاً رأى كأن غراباً سقط على الكعبة، فقصها على ابن سيرين فقال: رجل فاسق يتزوج بامرأة شريفة، فتزوج الحجاج بابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الغر: بضم الغين ضرب من طير الماء أسود الواحدة غرة الذكر والأنثى في ذلك سواء قاله ابن سيده.

الغُرنيق: بضم الغين وفتح النون قال الجوهري والزمخشري: إنه طائر أبيض طويل العنق، من طير الماء، وقال في نهاية الغريب: إنه الذكر من طير الماء، ويقال له: غرنيق وغرنوق. وقيل هو الكركي. وعن أبي صبرة الأعرابي أنه إنما سمي بذلك لبياضه. قال الهذلي يصف غواصاً:

أجاز إليها لجةً بعدَ لجة ... أزل كغرنيقِ الضَّحولِ عموج

وإذا وصف به الرجال، فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وغرنوق بالضم فيهما. وقيل: الغرانيق والغرانقة طيور سود في قدر البط.

روى الطبراني بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال: مات ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بالطائف، فشهدنا جنازته، فجاء طائر لم ير مثله على خلقة الغرنيق، حتى دخل في نعشه ثم لم ير خارجاً منه. فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، لم ندر من تلاها ﴿يا أيتها النفسُ المطمئنة، ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيةً، فادخُلي في عبادِي، وادخُلي جنتي﴾[2] ثم روى مسلم عن عبد الله بن ياسين نحوه. إلا أنه قال: جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق. وفي رواية كأنه قبطية. والقبطية ثياب بيض من كتان نسج مصر، تنسب إلى القبط بالضم فرقاً بين الأيام والثياب والجمع القباطي.

قال القزويني: الغرنوق من الطيور القواطع وهي إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها، فعند ذلك تتخذ قائداً حارساً، ثم تنهض معاً فإذا طارت ترتفع في الهواء حتى لا يعرض لها شيء من السباع، فإذا رأت غيماً أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كي لا يحس بها العدو، وإذا أرادت النوم، أدخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه، لعلمه أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس، لما فيه من العين التي هي أشرف الأعضاء، والدماغ

---

(١) سورة المائدة: آية ٣٠. (٢) سورة الفجر: الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

الذي هو ملاك البدن، وينام كل واحد منها قائماً على إحدى رجليه، حتى لا يكون نومه ثقيلاً، وأما قائدها وحارسها فلا ينام، ولا يدخل رأسه في جناحه ولايزال ينظر في جميع الجوانب، فإذا أحس بأحد صاح بأعلى صوته.

ثم حكى عن يعقوب بن اسحاق السراج أنه قال: رأيت رجلاً من أهل رومية قال: ركبت بحر الزنج فألقتني الريح إلى بعض الجزائر، فوصلت منها إلى مدينة أهلها أناس قامتهم قدر ذراع، وأكثرهم عور، فاجتمع عَلَيَّ منهم جمع فأخذوني وانتهوا بي إلى ملكهم، فأمر بحبسي، فحبست في شبه قفص، ثم رأيتهم في بعض الأيام يستعدون للقتال، فسألتهم فقالوا: لنا عدو يأتينا في مثل هذه الأيام، فلم نلبث إلا وقد طلعت عليهم عصابة من الغرانيق، وكان عورهم من نقرها أعينهم، فأخذت عصا وشددت عليها فطارت وهربت فأكرموني لذلك.

فائدة: قال القاضي عياض وغيره: إن النبي ﷺ لما قرأ سورة والنجم وقال[1]: ﴿أفرأيتُم اللات والعُزّى، ومناةَ الثالثةَ الأخرى﴾ قال: (تلك الغرانيقُ العُلا وإن شفاعتهن لتُرتجى) فلما ختم السورة سجد، وسجد من معه من المسلمين والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم. ثم أنزل الله تعالى عليه: ﴿وما أرسلنا مِنْ قبلِك مِنْ رسولٍ ولا نبي إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيتِه﴾ الآية[2]. وأجابوا عنه بضعف الحديث، فإنه لم يخرج أحد من أهل الصحيح ولا رواه ثقة بإسناد صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون لكل صحيح وسقيم.

والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهيمه من جهة النقل، وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة، وأجمعت الأمة، على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذا، ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه، ولا على أحد من الأنبياء سبيلاً. وعلى تقدير صحة ما رووه، وقد أعاذنا الله من صحته، فالراجح في تأويله عند المحققين أنه عليه الصلاة والسلام كان كما أمره الله تعالى يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآيات تفصيلاً في قراءته، فمن ثم ترصد الشيطان لتلك السكتات، ودس كلاماً في تلك الكلمات محاكياً نغمة رسول الله ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قوله ﷺ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين.

بل روى محمد بن عقبة أن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقاها الشيطان في أسماع الكفار وعقولهم. وأيضاً فمجاهد والكلبي فسر الغرانيق العلا بأنها الملائكة، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله تعالى. كما حكاه جل وعلا عنهم ورده عليهم في السورة بقوله تعالى: ﴿ألكُم الذكرُ وله الأنثى﴾[3] فأنكر الله تعالى كل ذلك من قولهم. ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح. فلما تأوله المشركون على أن المراد به ذكر آلهتهم، ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم، وألقاه إليهم، نسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان، وأحكم آياته، ورفع تلاوة ما

---

(١) سورة النجم: آية ١٩، ٢٠. (٢) سورة الحج: آية ٥٢. (٣) سورة النجم: آية ٢١.

حاوله الشيطان، كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة. وفي نسخه حكم ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء، وما يضل به إلا الفاسقين، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض، والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذي أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

فائدة أخرى: روى الإمام محمد بن الربيع الجيزي، في مسند من دخل مصر من الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ أخدمه، فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب، فقالوا: استأذن لنا على رسول الله ﷺ، فانصرفت إليه فأخبرته بمكانهم فقال ﷺ: «ما لي ولهم يسألونني عما لا أدري إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي عز وجل» ثم قال ﷺ: «ابغني وضوءاً» فتوضأ. ثم قام إلى مسجد في بيته فركع ركعتين، فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر. ثم قال ﷺ: «اذهب فأدخلهم ومن وجدت من أصحابي بالباب فأدخله معهم» قال: فأدخلتهم، فلما رفعوا إلى رسول الله ﷺ قال: «إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا، وإن شئتم تكلموا به وأخبركم». فقالوا: بل أخبرنا قبل أن نتكلم قال ﷺ: «جئتم تسألونني عن ذي القرنين، وسأخبركم عما تجدونه مكتوباً عندكم إن أول أمره أنه غلام من الروم أعطي ملكاً، فسار حتى بلغ ساحل أرض مصر، فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية، فلما فرغ من بنائها، أتاه ملك فعرج به حتى استقله، فرفعه ثم قال له: انظر ماذا ترى تحتك، قال: أرى مدينتي وأرى مدائن معها، ثم عرج به وقال: انظر ماذا تحتك قال: قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا أعرفها، ثم زاد فقال: انظر فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى معها غيرها فقال له الملك: إنما تلك الأرض كلها، والذي ترى محيطاً بها هو البحر. وإنما أراد ربك عز وجل أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطاناً. وسوف يعلم الجاهل ويثبت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين، وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء، فبنى السد، ثم جاء يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوماً وجوههم وجوه الكلاب، يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم قطعهم فوجد قوماً قصاراً يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض» فقالوا: نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكرت وإنا نجده هكذا في كتبنا.

وروي أن ذا القرنين، لما بنى السد وأحكمه، انطلق يسير حتى وقع على أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، مقسطة مقتصدة يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مستقيمة، وطريقتهم مستوية، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس لبيوتهم أغلاق، وليس عليهم أمراء، ولا بينهم قضاة، ولا بينهم أغنياء ولا فقراء، ولا أشراف ولا ملوك، لا يختلفون ولا يتفاضلون، ولا يتنازعون ولا يتسابون، ولا يقتتلون ولا يضحكون، ولا يحزنون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعماراً، وليس

فيهم مسكين ولا فقير، ولا فظ غليظ.

فلما رأى ذلك ذو القرنين، عجب من أمرهم وقال: خبروني أيها القوم خبركم فإني قد أحصيت الدنيا كلها، برها وبحرها، شرقها وغربها، فلم أر أحداً مثلكم، فخبروني خبركم، قالوا: نعم فسل عما تريد، فقال: خبروني ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمداً فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولئلا يخرج ذكره من قلوبنا. قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أغلاق؟ قالوا: ليس فينا متهم وليس منا إلا أمين. قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا حاجة لنا بذلك. قال: فما بالكم ليس عليكم حكام؟ قالوا: لأنا لا نختصم قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لأننا لا نتكاثر بالأموال. قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لأنا لا نرغب في ملك الدنيا. قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا: لأنا لا نتفاخر. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من صلاح ذات بيننا. قال: فما بالكم لا تقتتلون؟ قالوا: من أجل أنّا سسنا أنفسنا بالحلم. قال: فما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: من قبل أنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً. قال: فأخبروني من أي شيء تشابهت قلوبكم واعتدلت سرائركم؟ قالوا: صحت نياتنا فنزع بذلك الغل من صدورنا، والحسد من قلوبنا. قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل إنّا نقتسم بالسوية. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ غليظ؟ قالوا: من قبل الذل والتواضع لربنا. قال: فلأي شيء أنتم أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى بالحق ونحكم بالعدل. قال: فلأي شيء لا تضحكون؟ قالوا: لئلا نغفل عن الاستغفار. قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من أجل أنّا وطنا أنفسنا للبلاء، مذ كنا أطفالاً، فأحببناه وحرصنا عليه. قال: فلأي شيء لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لأنا لا نتوكل على غير الله تعالى، ولا نعمل بالأنواء والنجوم.

قال: حدثوني هكذا وجدتم آباءكم؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون على من جهل عليهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أمانتهم، ويحفظون وقت صلواتهم، ويوفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، فأصلح الله بذلك أمرهم، وحفظهم ماداموا أحياء، وكان حقاً عليه أن يخلفهم بذلك في عقبهم. فقال ذو القرنين: لو كنت مقيماً عند أحد، لأقمت عندكم، ولكن لم أؤمر بالإقامة. وقد ذكرنا الاختلاف بين العلماء في نسبه واسمه ونبوته في باب السين المهملة في السعلاة.

الحكم: يحل أكل الغرانيق لأنها من الطيبات.

الخواص: زبل الغرنيق يسحق بالماء وتبل فيه فتيلة ويجعل في الأنف ينفع من كل قرحة تكون فيها والله أعلم.

الغِرغر: بالكسر الدجاج البري، الواحدة غرغرة وأنشد أبو عمرو لابن أحمر:

ألفهم بالسيفِ مِنْ كلّ جانب كما لفت العقبانُ حجلي وغرغرا

وفي كتاب الغريب، قال الأزهري: كان بنو إسرائيل، من أهل تهامة، أعز الناس على الله، فقالوا قولاً لم يقله أحد، فعاقبهم الله تعالى بعقوبة ترونها الآن بأعينكم، جعل رجالهم القردة، وبرهم الذرة، وكلابهم الأسود، ورمانهم الحنظل، وعنبهم الأراك، وجوزهم السرو، ودجاجهم الغرغر، وهو دجاج الحبش لا ينتفع بلحمه لرائحته.

وحكمه: حل الأكل، لأن العرب لا تستخبثه والله أعلم.

الغِرناق: بالكسر طائر حكاه ابن سيده.

الغزال: ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرناه، والجمع غزلة وغزلان، مثل غلمة وغلمان، والأنثى غزالة. كذا قاله ابن سيده وغيره. واستعمله الحريري في آخر المقامة الخامسة، كذلك في قوله: فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة أراد بالأول الشمس، وبالثاني الأنثى من أولاد الظباء، وقد غلطه في ذلك بعضهم. والصواب عدم تغليطه، فإنه مسموع مستعمل نظماً ونثراً. قال الصلاح الصفدي، في شرح لامية العجم: وما أحسن قول القائل:

غدوتُ مفكراً في سرِّ أفقٍ ... إذا ما العلمُ مبدؤه الجهالة
فما طويتُ له سبلَ الدراري ... إلى أنْ أظفرته بالغزالة

قال: وأنشدني لنفسه العلامة أبو الثناء محمود في وصف العقاب:

ترى الطيرَ والوحشَ في كفها ... ومنقارُها ذا عظامٍ مُزالة
فلو أمكنَ الشمس من خوفِها ... إذا طلعتْ ما تسمتْ غزالة

قال: وقد غلطوا الحريري في قوله: فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة، قالوا: لم تقل العرب الغزالة إلا للشمس، فلما أرادوا تأنيث الغزال، قالوا: الظبية. ثم هي بعد ذلك ظبية والذكر ظبي، قاله في التحرير، وقال: اعتمده، فقد وقع فيه تخليط في كتب الفقهاء.

قلت: وقد وقع هو في ذلك، في باب محرمات الاحرام. ووقع للرافعي أيضاً بعض اختلاف تقدم التنبيه على بعضه، في الكلام على حكم الظبي، وقد تنازع جمال الدين يحيى بن مطروح، وأبو الفضل جعفر(١) ابن شمس الخلافة في بيت كل منهما ادعاه وهو هذا:

وأقولُ: يا أختَ الغزالِ ملاحةً ... فتقولُ: لا عاشَ الغزالُ ولا بقى

وبها سميت المرأة غزالة، وهي امرأة شبيب(٢) بن يزيد الشيباني الخارجي، خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، والحجاج أمير العراق يومئذ، وخرج بالموصل وهزم عساكر الحجاج وحصره في قصر الكوفة، وضرب باب القصر بعموده فنقبه، وبقيت الضربة فيه إلى أن خرب قصر الإمارة، وكانت زوجته غزالة، نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين، تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل

---

(١) جعفر بن محمد بن مختار الأفضلي، شاعر من أهل مصر، توفي سنة ٦٢٢ هـ.

(٢) شبيب بن يزيد بن نعيم قيس الشيباني، أبو الضحاك، ثائر من قواد الخوارج الكبار، نادى لنفسه بالخلافة، مات سنة ٧٧ هـ.

عمران، ففعلت وكانت شجيعة وقيل[1] فيها:

وفتْ غزالةُ نذرَها يا ربّ لا تغفرْ لها

وهرب الحجاجُ في بعض حروبه مع شبيب من غزالة، فعيره عمران بن قحطان[2] السدوسي بقوله[3]:

أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامةٌ فتخاءُ تنفرُ من صفيرِ الصافرِ
هلا كررتَ إلى غزالةَ في الوغى بل كان قلبُكَ في جناحَي طائرِ

وحكي أن الحجاج، لما برز له شبيب الخارجي، في بعض أيام محاربته، أبرز إليه غلاماً له ألبسه لباسه المعروف به، وأركبه فرسه الذي لم يكن يقاتل إلا عليه، فلما رآه شبيب غمس نفسه في الحرب إلى أن خلص إليه، فضربه بعمود، وكان بيده، وهو يظنه الحجاج، فلما أحس الغلام بالضربة، قال: أخ بالخاء المعجمة، فعرف شبيب منه بهذه اللفظة، أنه عبد فانثنى عنه، وقال: قبح الله ابن أم الحجاج، أيتقي الموت بالعبيد؟.

قال الجوهري: والعرب إنما تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة، ولما عجز الحجاج عن شبيب، بعث إليه عبد الملك عساكر كثيرة من الشأم، فتكاثروا على شبيب فهرب فلما حصل على جسر دجلة بالأهواز، نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل، من درع ونحوه فألقاه في الماء، فقال له بعض أصحابه: أغرقاً يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك تقدير العزيز العليم، فلما غرق ألقاه دجلة إلى الساحل، فحملوه إلى الحجاج فشق بطنه واستخرج قلبه، فإذا هو كالحجر، إذا ضربت به الأرض نبا عنها، فشق فكان داخله قلب صغير كالكرة، فشق فأصيب فيه علقة من الدم. وكان شبيب إذا صاح على الجيش لا يلوي أحد على أحد. ولما غرق أحضر عبد الملك عتبان الحروري، وهو يرى رأي الخوارج، فقال: يا عدو الله ألست القائل[4]:

فإن يكُ منكم كابن مروانَ وابنه وعمرو ومنكم هاشمٌ وحبيبُ
فمنا حصينٌ والبطينُ وقعنبُ ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال: لم أقل ذلك يا أمير المؤمنين، وإنما قلت: ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ، فقبل قوله وعفا عنه. وهذا الجواب في نهاية الحسن، فإنه إذا كان قوله ومنا أمير المؤمنين شبيب مرفوعاً كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين، وإذا نصب، كان معناه ومنا يا أميرَ المؤمنين شبيب.

ولم يخرج عليهم أحد مثل شبيب، فإن أيامه طالت وهزم عساكر كثيرة وجبى الخراج وقال أبو يوسف الجوهري:

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/٤٥٤.

(٢) هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، خطيب شاعر من الصفرية الخوارج. مات سنة ٨٤ هـ.

(٣) البيتان في وفيات الأعيان: ٢/٤٥٥.

(٤) وفيات الأعيان: ٢/٤٥٦.

وإذا الغـزالـةُ في السـماءِ تـرفَّعت وبـدا الـنهـارُ لـوقتِـه يـترجـلُ
أبـدتْ لقرنِ الشمسِ وجهـاً مثلَه تلقى السماءَ بمثـلِ مـا تستقبـلُ

أراد بالغزالةِ الشمسَ وقتَ ارتفاعها فيقال: طلعت الغزالة، ولا يقال غربت الغزالة. وقد أبدع الصفي الحلي في غلام قلع ضرسه وأجاد حيث قال[1]:

لحى الله الـطبيبَ لقـد تـعدى وجـاء لقلع ضـرسِـك بـالمحـالِ
أعـاق الـظبي في كلتـا يـديـه وسط كـلبـتـين عـلى غـزالِ

وفي سنن أبي داود، ومن حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ لما قدم مكة، قال المشركون: إنه يقدم عليكم غداً قوم وهنتهم الحمى، فلما كان الغد جلسوا مما يلي الحجر، «فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جلدهم»[2]، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، هؤلاء كأنهم الغزلان، فإن قيل: هذا الحديث يعارضه ما في صحيح مسلم، عن ابن عمر وجابر رضي الله عنهم قالا: «إن النبي ﷺ رمل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه ثلاثة أطواف»[3]، فالجواب أن حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، كان في عمرة القضاء، سنة سبع قبل فتح مكة وكان أهلها مشركين حينئذ وحديث ابن عمر وجابر رضي الله تعالى عنهم كان في حجة الوداع، فيكون متأخراً فتعين الأخذ به، وهو الصحيح من المذهب.

وحكم الغزال الحل كما تقدم في باب الظاء، في لفظ الظبي، وفيه إذا قتله المحرم أو في الحرم عنز. كذا في المحرر والمنهاج والتنبيه والمناسك وغيرها. واستدلوا لذلك بقضاء الصحابة رضي الله عنهم فيه بذلك. والذي في زوائد الروضة، وصححه في شرح المهذب تبعاً للإمام أن الغزال اسم للصغير من ولد الظباء ذكراً كان أو أنثى إلى أن يطلع قرناه، ثم الذكر ظبي والأنثى ظبية، ففي الغزال ما في الصغار، فإن كان ذكراً فجدي وإن كان أنثى فعناق.

الأمثال: قالوا: «أنوم من غزال»[4] لأنه إذا رضع أمه فروى امتلأ نوماً، وقالوا: «تركت الشيء ترك الغزال لظله»[5] وظله كناسه الذي يستظل به من شدة الحر، وهو إذا نفر منه لا يعود إليه البتة، وقالوا: «أغزل من غزال»، ومغازلة النساء محادثتهن، ويوصف بالغزل غير الغزال من الحيوان كما قيل:

قـد ألـبسـتـني في الهـوى مـلابسَ الـصبِّ الـغـزلْ
انـسـانـة فـتـانـة بـدر الـدجـى منهـا خـجـل[6]

(١) فوات الوفيات: ٢/٣٥٠.
(٢) رواه البخاري: حج ٥٥، ومغازي ٤٣. ومسلم حج ٢٤٠، وأبو داود مناسك ٥٠.
(٣) رواه مسلم حج ٢٣٣، ٢٣٦، وأبو داود مناسك ٥٠.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٢٥٣.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٢١١.
(٦) قولِه: «إنسانة» شاذ لأن «إنسان» تطلق على الذكر والأنثى.

إذا زنتْ عيني بها فبالدموعِ تغتسلْ

وقد تقدم في الظبي قولهم ترك الغزال لظله ومن محاسن شعر المتنبي:

بدتْ قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وأنشد الثعالبي لبعض شعراء عصره:

رنا ظبيا وغنى عندليبا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

الخواص: دماغ الغزال، يداف بدهن الغار ويغلى، ثم يؤخذ منه فيداف بماء الكمون، ويشرب منه قدر جرعة، ينفع للسعال، ومرارته تخلط بقطران وملح، ويشرب منها صاحب السعال، الذي يقذف القيح والدم جزءاً بماء حار يبرأ بإذن الله تعالى. وشحمه إذا طلى به إنسان إحليله، وجامع امرأته لم تحب سواه. وقد تقدم في خواص الظبي، أن لحم الغزال حار يابس وأنه ينفع في القولنج والفالج، وأنه أصلح لحوم الصيد والله أعلم.

الغضارة: القطاة قاله ابن سيده وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

الغضب: الثور والأسد، وقد تقدما في باب الهمزة والثاء المثلثة.

الغضف: القطا الجوني شكل معروف عند العرب.

الغضوف: الأسد والحية الخبيثة، وقد تقدما في باب الهمزة والحاء المهملة.

الغضيض: ولد البقرة الوحشية، وقد تقدم لفظ البقرة الوحشية في باب الباء الموحدة.

الغطرب: الأفعى، عن كراع، وقال بعضهم: هذا تصحيف إنما هو بالعين المهملة والظاء المعجمة.

الغطريف: فرخ البازي، والذباب، والسيد الشريف والسخي، الجمع غطارفة.

الغطلس: كمعملس، الذئب وقد تقدم في باب الذال المعجمة.

الغطاطا: بالفتح ضرب من القطا غبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة، طوال الأرجل والأعناق، لطاف لا تجتمع أسراباً، وأكثر ما تكون ثلاثاً أو اثنتين، الواحدة غطاطة، كذا قاله الجوهري. وقال ابن سيده: الغطاط القطا. وقيل: القطا ضربان فالقصار الأرجل الصفر الأعناق السود القوادم الصهب الخوافي، هي الكدرية والجونية، والطوال الأرجل البيض البطون الغبر الظهور الواسعة العيون هي الغطاط. وقيل: الغطاط ضرب من الطير ليس من القطا.

الغفر: بالضم، ولد الأروية، والجمع أغفار. والغِفر بالكسر ولد البقرة الوحشية.

الغماسة: مشددة طائر ينغمس في الماء كثيراً، ولذلك عدوه من طير الماء، والجمع غماس.

الغنافر: بالضم الضبعان الكثير الشعر، وقد تقدم لفظ الضبع في باب الضاد المعجمة.

الغنم: الشاء لا واحد له من لفظه، والجمع أغنام وغنوم وأغانم وغنم مغنمة أي كثيرة، هذه عبارة المحكم. وقال الجوهري: الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس، يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً، وإذا صغرتها ألحقتها الهاء فقلت: غنيمة، لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، يقال: له خمس من الغنم ذكور فتؤنث العدد، وإن عنيت الكباش إذا كان يليه من الغنم ذكور لأن العدد يجري في تذكيره وتأنيثه على اللفظ، لا على المعنى. والإبل كالغنم في جميع ما ذكرناه، وقد أجاد الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه حيث يقول(١):

سأكتم علمي عن ذوي الجهلِ طاقتي ... ولا أنثرُ الدرَّ النفيسَ على الغنمِ
فإن يسّرَ الله الكريم بفضله ... وصادفتُ أهلاً للعلومِ وللحكم
بثثت مفيداً واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزونٌ لدي ومكتتمْ
فمن منحَ الجهالَ عِلماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

روى عبد بن حميد بسنده إلى عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: افتخر أهل الإبل وأهل الغنم عند رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «السكينة والوقار في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في أهل الإبل»(٢). وهو في الصحيحين بألفاظ مختلفة منها «السكينة والوقار في أهل الغنم والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر». وفي لفظ «الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أصحاب الشاء». أراد بالسكينة السكون، وبالوقار التواضع، وأراد بالفخر التفاخر بكثرة المال والجاه، وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا، وبالخيلاء التكبر والتعاظم. ومنه قوله تعالى: ﴿إنّ الله لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخور﴾(٣) ومراده بالوبر أهل الإبل لأنه لها كالصوف للضأن والشعر للمعز، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ومِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثاً ومَتاعاً إلى حِين﴾(٤) وهذا منه ﷺ إخبار عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل وأغلبه. وقيل: أراد به عليه الصلاة والسلام أي بأهل الغنم أهل اليمن، لأن أكثرهم أهل غنم، بخلاف ربيعة ومضر، فإنهم أصحاب إبل.

وروى(٥) مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً سأل النبي ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى قومه فقال: يا قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء رجل لا يخاف الفقر.

وقد تقدم في باب الدال المهملة في الكلام على الدجاج، الحديث الذي رواه ابن ماجه أن النبي ﷺ «أمر الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج»، وقال عند اتخاذ الأغنياء الدجاج: «يأذن الله بهلاك القرى»(٦). وقد بينا معناه، في شرح سنن ابن ماجه، وبينا أن في إسناده علي بن عروة الدمشقي، وأن ابن حبان قال: كان يضع الحديث.

---

(١) ديوانه: ٩٦.
(٢) رواه البخاري: مغازي ٧. ومسلم: إيمان ٩١، وابن حنبل ٢/٤٨٠.
(٣) سورة لقمان: آية ١٨.
(٤) سورة النحل: آية ٨٠.
(٥) رواه مسلم: فضائل ٥٨، وابن حنبل ٣ ـ ١٠٨.
(٦) رواه ابن ماجه: تجارات ٦٩.

والغنم على ضربين ضائنة وماعزة، قال الجاحظ: اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز. قلت: وصرح الأصحاب بذلك في الأضحية وغيرها واستدلوا على أفضليته بأوجه منها: أن الله تعالى بدأ بذكر الضأن في القرآن، فقال: ﴿ثمانية أزواجٍ مِنَ الضَّأنِ اثنين، ومِنَ المعزِ اثنين﴾[1]، ومنها قوله تعالى، حكاية على الخصمين: ﴿إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة﴾[2] ولم يقل تسع وتسعون غنزاً، ولي عنز واحدة. ومنها قوله تعالى: ﴿وفديناه بذبحٍ عظيمٍ﴾[3] وأجمعوا كما قال الحافظ أنه كبش. وسيأتي الكلام على ذلك، إن شاء الله تعالى، في باب الكاف.

ومنها أن الضأن تلد في السنة مرة وتفرد غالباً، والمعز تلد مرتين وقد تثنى وتثلث والبركة في الضأن أكثر. ومنها أن الضأن إذا رعت شيئاً من الكلأ فإنه ينبت وإذا رعت المعز شيئاً لا ينبت، وقد تقدم، لأن المعز تقلعه من أصوله والضأن ترعى ما على وجه الأرض. ومنها أن صوف الضأن أفضل من شعر المعز وأعز قيمة، وليس الصوف إلا للضأن. ومنها أنهم كانوا إذا مدحوا شخصاً قالوا: إنما هو كبش، وإذا ذموه قالوا: إنما هو تيس، وإذا أرادوا المبالغة في الذم قالوا: إنما هو تيس في سفينة. ومما أهان الله به التيس، أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر، بخلاف الكبش. ولهذا شبه النبي ﷺ المحلل بالتيس المستعار. ومنها أن رؤوس الضأن أطيب وأفضل من رؤوس المعز، وكذلك لحمها فإن أكل لحم الماعز يحرك المرة السوداء، ويولد البلغم ويورث النسيان، ويفسد الدم، ولحم الضأن عكس ذلك انتهى.

فائدة: قال أبو زيد: يقال لما تضعه الغنم من الضأن والمعز حال وضعه سخلة، ذكراً كان أو أنثى. والجمع سَخل بفتح السين، وسخال بكسرها، ثم لايزال اسمه ذلك مادام يرضع اللبن، ثم يقال للذكر والأنثى، بَهمة بفتح الباء والجمع بُهم بضمها، ويقال لولد المعز حين يولد سليل وسليط، فإذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأكل من البقل، فإذا كان من أولاد المعز فهو جفر. والأنثى جفرة والجمع جفار.

وذكر في كفاية المتحفظ، أن الجفر والجفرة يقعان على الطفل والطفلة من بني آدم حين يأكلان الطعام انتهى. فإذا قوي وأتى عليه حول فهو عريض بفتح العين المهملة وكسر الراء والياء المثناة التحتية، وبالضاد المعجمة في آخره وجمعه عرضان بكسر العين والعتود نوع منه وجمعه أعتدة وعتدان. وقال يونس: جمعه أعتدة وعتدة، وهو في كل ذلك جدي والأنثى عناق إذا كان من أولاد المعز، ويقال له إذا اتبع أمه تلو لأنه يتلو أمه، ويقال للجدي أمر بضم الهمزة وتشديد الميم وبالراء المهملة في آخره، ويقال له هلع وهلعة بضم الهاء وتشديد اللام، والبكرة العناق أيضاً، والعطعط الجدي، فإذا أتى عليه حول، فالذكر تيس والأنثى عنز، ثم يكون جذعاً في السنة الثانية والأنثى جذعة، فإذا طعن في السنة الثالثة فهو ثني، والأنثى ثنية، فإذا طعن في السنة الرابعة كان رباعياً والأنثى رباعية، ثم يكون خماسياً والأنثى خماسية، ثم يكون سداسياً والأنثى سداسية، ثم يكون ضالعاً والأنثى كذلك. ويقال ضلع يضلع ضلوعاً والجمع الضلع بتشديد الضاد واللام.

---

(١) سورة الأنعام: آية ١٤٣. (٢) سورة ص: آية ٢٣. (٣) سورة الصافات: آية ١٠٧.

قال الأصمعي: الحلان والحلام من أولاد المعز خاصة. وفي الحديث«في الأرنب يصيبها المحرم حلان». قال الجاحظ: وقد قالوا في أولاد الضأن، كما قالوا في أولاد المعز إلا في مواضع. قال الكسائي: هو خروف في العريض من أولاد المعز، والأنثى خروفة. ويقال له حمل والأنثى رخل بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة وجمعه رخال بضم الراء المهملة. وهو مما جمع على غير قياس كما قالوا في المرضع ظئر وظؤار، وفي ولد البقرة الوحشية فرير وفرار، وللشاة القريبة العهد بالنتاج ربى ورباب، وللعظم الذي عليه بقية من اللحم عرق وعراق، وللمولود مع قرينه توأم وتؤام، والبهمة للذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز جميعاً، ولايزال كذلك حتى يأكل ويجتر، ثم هو قرقر بقافين مكسورتين والجمع قرقار وقرقور. وهذا كله حين يأكل ويجتر. والجلام بكسر الجيم، الجدي أيضاً والبذج بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة وبالجيم في آخره من أولاد الضأن خاصة، والجمع بذجان.

روى ابن ماجه وشيخه ابن أبي شيبة، باسناد صحيح عن أم هانىء رضي الله تعالى عنها، أن النبي ﷺ قال[1] لها: «اتخذي غنماً فإن فيها بركة» وشكت إليه امرأة أن غنمها لا تزكو، فقال لها ﷺ: «ما ألوانها». قالت: سود. فقال: «عفري»، أي استبدلي، «أغناماً بيضاً فإن البركة فيها». وفي الحديث[2]: «صلوا في مرابض الغنم وامسحوا رغامها». والرغام ما يسيل من الأنف وقد تقدم، في البهيمة ما رواه أبو داود في أبواب الطهارة، عن لقيط بن صبرة أن النبي ﷺ، كانت له مائة شاة لا يريد أن تزيد، وكانت كلما ولدت سخلة ذبح مكانها شاة.

وروى مالك والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[3]. شعف الجبال، بفتح الشين المعجمة والعين المهملة رؤوسها وشعف كل شيء أعلاه قال ابن بطال: قال أبو الزناد: خص النبي ﷺ الغنم من بين سائر الأشياء حضاً على التواضع، وتنبيهاً على إيثار الخمول، وترك الاستعلاء والظهور، وقد رعى الأنبياء والصالحون الغنم. وقال[4] ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا رعى غنماً». وأخبر[5] ﷺ «أن السكينة في أهل الغنم». وروى الطبراني والبيهقي في الشعب، عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه خرج في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له، فوضعوا له السفرة فمر بهم راعي غنم، فسلم فقال له ابن عمر: هلم يا راعي فكل معنا، فقال: إني صائم. فقال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أتصوم في هذا اليوم الشديد الحر، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال له: إني والله أبادر أيامي هذه الخالية. فقال له ابن عمر يريد أن يختبر ورعه: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فتفطر عليه؟ فقال: إنها ليست لي، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: وما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدها؟ وقلت: أكلها الذئب! فولى الراعي

---

(١) رواه ابن ماجه: تجارات ٦٩. (٢) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٩٢.
(٣) رواه البخاري: إيمان ١٢، بدء الخلق ١٥، فتن ١٤. والنسائي: إيمان ٣.
(٤) رواه البخاري: إجارة ٢. (٥) رواه البخاري: بدء الخلق ١٥، مناقب ١، ومسلم: إيمان ٨٥.

عنه وهو يقول: فأين الله يرفع بها صوته ويشير بأصبعه إلى السماء! فجعل ابن عمر يردد قول الراعي ذلك. فلما قدم المدينة، اشترى العبد الراعي والغنم، وأعتق العبد ووهب منه الأغنام.

وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي اليسر عمرو بن كعب رضي الله تعالى عنه قال(١): والله إني لمع رسول الله ﷺ بخيبر عشية، إذ أقبلت غنم لرجل من اليهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم، إذ قال رسول الله ﷺ: «من يطعمنا من هذه الغنم» قلت: أنا يا رسول الله. قال: «فافعل». قال: فخرجت أشتد مثل الظليم، فلما نظر إلي رسول الله ﷺ مولياً قال: «اللهم أمتعنا به» فأدركت الغنم، وقد وصل أوائلها الحصن، فأخذت شاتين من آخرها، فاحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت بهما أشتد كأنه ليس معي شيء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما وأكلوهما.

وكان أبو اليسر رضي الله تعالى عنه من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً، وكان إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: امتعوني بعمري حتى صرت آخرهم موتاً انتهى. وكان أبو اليسر آخر البدريين موتاً رضي الله تعالى عنهم.

وفي الاستيعاب وغيره قصة إسلام الأسود الحبشي الذي كان يرعى غنماً لعامر اليهودي، أنه أتى النبي ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه الغنم فقال: يا رسول الله أعرض علي الإسلام فعرضه عليه فأسلم. ثم قال: يا رسول الله إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع فيها؟ فقال: «اضرب في وجوهها فسترجع إلى ربها». فقام الأسود، فأخذ حفنة من حصى، ورمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك بعدها أبداً، فرجعت الغنم مجتمعة، كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم يقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فأتي به إلى النبي ﷺ وقد سجي بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه. فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه؟ فقال ﷺ: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين، ينفضان التراب عن وجهه، ويقولان: ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك». قال أبو عمرو: إنما رد رسول الله ﷺ الغنم إلى الحصن، لأن ذلك كان مصالحاً عليه، أو كان قبل حل الغنائم.

وفي الحديث(٢) أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم». قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا». وثبت في صحيح البخاري، وسنن ابن ماجه، واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم». فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط»(٣). قال سويد: يعني كل شاة بقيراط.

وفي غريب الحديث للقعنبي، «بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو راعي غنم، وبعث داود عليه الصلاة والسلام وهو راعي غنم، وبعثت وأنا راعي غنم أهلي بأجياد». وفي الحديث

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣ ـ ٤٢٧. (٢) رواه البخاري: إجارة ٢. (٣) رواه ابن ماجه: تجارات ٥.

«آجر موسى عليه الصلاة والسلام نفسه بعفة فرجه، وشبع بطنه. فقال له ختنه شعيُب عليه السلام: إن لك في غنمي ما جاءت به قالب لون». جاء تفسيره في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها، كأن لونها قد انقلب.

والحكمة في أن الله تعالى جعل الرعي في الأنبياء تقدمة لهم، ليكونوا رعاة الخلق، ولتكون أممهم رعايا لهم. وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت غنماً سوداً دخلت فيها غنم كثير بيض». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العجم يشركونكم في دينكم وأنسابكم». قالوا: العجم؟ يا رسول الله قال: «لو كان الايمان معلقاً بالثريا لناله رجال من العجم». وفي رواية(١) قال ﷺ: «رأيت في المنام غنماً سوداً، يتبعها غنم عفر. يا أبا بكر عبرها» قال: هي العرب تتبعك ثم يتبعها العجم. فقال ﷺ: «هكذا عبرها الملك سحراً».

وقد رأى النبي ﷺ أنه ينزع في قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر، ثم جاء أبو بكر فنزع نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له، ثم جاء عمر فاستحالت غرباً يعني الدلو، فلم أر عبقرياً يفري فريه. فأولها الناس بالخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما، ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية، إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم. وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم في هذا الحديث. وذكره الإمام أحمد والبزار في مسنديهما وبه يصح المعنى.

ودخل أبو مسلم الخولاني على معاوية، فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقالوا: قل: السلام عليك أيها الأمير. فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقالوا: قل: السلام عليك أيها الأمير. فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقال لهم معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها، وداويت مرضاها، وحبست أولاها على أخراها، وقاك سيدها. وإن أنت لم تهنأ جرباها، ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها، عاقبك سيدها.

وفي رسالة القشيري، في باب الدعاء، أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى: إلهي لو كانت حاجته بيدي لقضيتها! فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أنا أرحم به منك، ولكنه يدعوني وله غنم، وقلبه عند غنمه، وأنا لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري. فذكر موسى للرجل ذلك، فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته.

وفي المجالسة للدينوري، من حديث حماد بن زيد، عن موسى بن أعين الراعي، قال: كانت الغنم والأسد والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، في موضع واحد، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك. قال: فحسبناه فوجدناه قد مات في تلك الساعة.

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٤٥٥.

وعن عبد الواحد بن زيد، قال: سألت الله ثلاث ليال أن يريني رفيقي في الجنة، فقيل لي: يا عبد الواحد رفيقك في الجنة ميمونة السوداء. فقلت: وأين هي؟ فقيل لي: هي في بني فلان في الكوفة. فذهبت إلى الكوفة أسأل عنها، فإذا هي ترعى غنماً، فأتيت إليها، فإذا غنمها ترعى مع الذئاب، وهي قائمة تصلي، فلما فرغت من صلاتها قالت: يا ابن زيد ليس هذا الموعد، إنما الموعد الجنة. فقلت لها: وما أدراك أني ابن زيد؟ فقالت: أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. فقلت لها: عظيني. فقالت: واعجباً لواعظ يوعظ؟ فقلت لها: ما لي أرى أغنامك ترعى مع الذئاب؟ قالت: إني أصلحت ما بيني وبين الله، فأصلح ما بيني وبين غنمي والذئاب.

فائدة: في الموطأ(١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وزيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، قالا: إن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: اقض بيننا يا رسول الله بكتاب الله تعالى، وقال الآخر: وكان أفقههما: أجل يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي أن أتكلم. فقال له: «تكلم» فقال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديته من غنمي بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته. فقال ﷺ: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى، أما غنمك وجاريتك فرد عليك ويجلد ابنك مائة ويغرب عاماً». وأمر ﷺ أنيساً الأسلمي «أن يأتي امرأة الآخر فإن اعترفت فليرجمها فاعترفت فرجمها». وهذا الحديث مذكور في الصحيحين.

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، وأخشى إن طال على الناس زمان، أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله.

والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف، والرجم نسخت تلاوته وبقي حكمه. وقال أبو حنيفة: التغريب منسوخ في حق البكر، وعامة أهل العلم على أنه ثابت لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ ضرب وغرب، وأن أبا بكر ضرب وغرب، وأن عمر ضرب وغرب. والمحصن من اجتمعت فيه أربعة أوصاف: العقل والبلوغ والحرية والإصابة، فإن زنى فحده الرجم مسلماً كان أو ذمياً. وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان، فلا رجم على الذمي عندهم. ودليلنا أنه صح عن رسول الله ﷺ أنه رجم يهوديين كانا قد أحصنا. وإن كان الزاني غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف الأربعة، نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنوناً، فلا حد عليه، وإن كان حراً بالغاً عاقلاً، غير أنه لم يصب بنكاح صحيح، فعليه جلد مائة وتغريب عام وإن كان عبداً، فعليه جلد خمسين. وفي تغريبه قولان: فإن قلنا يغرب فقولان: أصحهما نصف سنة، كما

(١) الموطأ: حدود ٦، ورواه البخاري: أحكام ٣٩، صلح ٥. ومسلم: جدود ٢٥.

يجلد خمسين. ولهذه المسألة تتمات مذكورة في كتب الفقه.

وذكر المفسرون في قوله[1] تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرثِ إذ نفشتْ فيه غنمُ القومِ﴾ الآية. عن ابن عباس وقتادة والزهري أن رجلين دخلا على داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن هذا تفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فأفسدته ولم تبق منه شيئاً. فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث. فخرجا من عنده، فمرا على سليمان عليه السلام، فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا. فدعاه داود فقال له: بحق النبوة والأبوة يا بني إلا ما حدثتني بالذي هو أرفق بالفريقين. فقال سليمان: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث، مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل، دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء كما قضيت.

وكان عمر سليمان يوم حكم بهذا الحكم إحدى عشرة سنة. والنفش الرعي بالليل، والهمل الرعي بالنهار. وهما الراعي بلا راع.

ونختم الكلام على الغنم بما في أول عجائب المخلوقات عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، أنه اجتاز بعين ماء، في سفح جبل، فتوضأ منها ثم ارتقي الجبل ليصلي، إذا أقبل فارس فشرب من ماء العين، وترك عندها كيساً فيه دراهم، وذهب ماراً، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى. ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس، وعلى رأسه حزمة حطب، فوضعها هناك ثم استلقى ليستريح، فما كان إلا قليل حتى عاد الفارس يطلب كيسه فلم يجده، فأقبل على الشيخ يطالبه به فأنكر، فلم يزالا كذلك حتى ضربه ولم يزل يضربه حتى قتله. فقال موسى: يا رب كيف العدل في هذه الأمور؟ فأوحى الله تعالى إليه إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس، وكان على الفارس دين لأبي الراعي مقدار ما في الكيس، فجرى بينهما القصاص وقضى الدين وأنا حكم عدل.

قال في كتاب المحكم والغايات: قال أصحاب التجارب: ومما يورث الغم المشي بين الأغنام، والتعمم جالساً ولبس السراويل قائماً، وقص اللحية بالأسنان، والقعود على أسكفة الباب، والأكل بالشمال، ومسح الوجه بالأذيال، والمشي على قشور البيض، والاستنجاء باليمين والضحك في المقابر.

الحكم: يحل أكل الغنم وبيعها بالنص والاجماع. ويجب في سائمتها الزكاة، ففي كل أربعين شاة شاة جذعة ضأن أو ثنية معز. وفي مائة وإحدى وعشرين شاتان، وفي مائتين وواحدة ثلاث شياه، وفي أربعمائة أربع شياه، ثم في كل مائة شاة شاة والسنة أن تقلد إذا جعلت هدياً إلى البيت العتيق، لما روى البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: كنت أفتل قلائد الهدى للنبي ﷺ، فقلد الغنم. وهذا الحديث حجة للشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور في

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٧٨.

مشروعية ذلك. وقال مالك وأبو حنيفة: لا تقلد الغنم، والظاهر أن الحديث لم يبلغهما.

فرع: فتح إنسان مراح غنم، فخرجت ليلاً ورعت زرعاً فإن كان الذي فتحه المالك، ضمن الزرع، وإن كان غير المالك لم يضمن. والفرق أن المالك يلزمه حفظها في الليل فإذا فتح عليها ضمن، وغير المالك لا يلزمه حفظها، فإذا فتح عليها لم يضمن. قاله في البحر وسيأتي في باب الميم، الإشارة إلى إتلاف الماشية.

وأما الأمثال: فقد تقدم بعضها في باب الجيم، وبعضها في باب الشين المعجمة، وكذلك الخواص وسيأتي طرف منها في المعز في باب الميم، إن شاء الله تعالى.

التعبير: الغنم في الرؤيا رعية صالحة طائعة، وتدل على الغنيمة والأزواج والأولاد والأملاك والزرع والأشجار الحافلة فالثمار، فذوات الصوف نساء كريمات جميلات ذوات مال وعرض مستور. والشعاري نساء صالحات فقيرات، ذوات عرض مبذول بكشف عوراتهن، خلافاً لذوات الصوف فإن عوراتهن مستورة بالألية. قاله ابن المقري.

وقال المقدسي: من رأى أنه يسوق معزاً وضأناً، فإنه يلي على عرب وعجم، فإن أخذ من ألبانها وأصوافها فإنه يجبي منهم أموالاً، ومن رأى غنماً واقفة في مكان، فإنهم رجال يجتمعون في ذلك الموضع، في أمر من الأمور. ومن رأى غنماً استقبلته فإنهم أعداء يظفر بهم، ومن رأى شاة تمشي أمامه، وهو يمشي ولا يدركها، تعطلت عليه معيشته، وربما تبع امرأة ولا تحصل له. وألية الغنم مال المرأة، ومن رأى كأنه يجز شعر الغنم فليحذر من الخروج من داره ثلاثة أيام، وقال جاماسب: من رأى قطيع غنم سر دائماً. ومن رأى شاة واحدة سر سنة. والنعجة امرأة، فمن ذبح نعجة افتض امرأة مباركة، لقوله تعالى: **﴿إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ﴾**(1) ومن رأى أن صورته تحولت على صورة غنمه نال غنيمة.

الغواص: طائر تسميه أهل مصر الغطاس وهو القرلي الآتي في باب القاف إن شاء الله تعالى.

قال القزويني في الأشكال: هو طائر يوجد بأطراف الأنهار، يغطس في الماء ويصطاد السمك، فيتقوت منه، وكيفية صيده أنه يغوص في الماء منكوساً بقوة شديدة، ويمكث تحت الماء، إلى أن يرى شيئاً من السمك فيأخذه، ويصعد به ومن العجائب لبثه تحت الماء، ويوجد كثيراً بأرض البصرة انتهى.

قال بعضهم: رأيت غواصاً غاص فطلع بسمكة، فغلبه غراب عليها، فأخذها منه، فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى، فأخذها منه الغراب، ثم الثالثة كذلك، فلما اشتغل الغراب بالسمكة. وثب الغواص فأخذ برجل الغراب، وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب، ثم خرج هو من الماء.

---

(1) سورة ص: اية ٢٣.

الحكم: قال القزويني: إن أكله حلال وهو المفهوم من كلام الرافعي وغيره.

الخواص: دمه يجفف ويسحق مع شعر إنسان، فإنه ينفع من الطحال، وكذلك عظمه يفعل به مثل ذلك والله أعلم.

الغوغاء: الجراد إذا احمر وبدت أجنحته، وهو يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف، واحدته غوغاءة وغوغاوة، وبه سميت سفلة الناس المتسبو إلى الشر المسرعو إليه. قال أبو العباس الروياني: الغوغاء من يخالط المفسدين والمجرمين، ويخاصم الناس بلا حاجة، ولذلك قالوا: أكثر من الغوغاء. وفي تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك، قال: قدمت على سفيان الثوري بمكة، فوجدته مريضاً شارب دواء فقلت له: إني أريد أن أسألك عن أشياء، قلت: أخبرني من الناس؟ قال: الفقهاء. قلت: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قلت: فمن الأشراف؟ قال: الأتقياء. قلت: فمن الغوغاء؟ قال: الذين يكتبون الحديث، يريدون أن يأكلوا به أموال الناس. قلت: فمن السفلة؟ قال: الظلمة انتهى. والغوغاء أيضاً شيء يشبه البعوض، إلا أنه لا يعض ولا يؤذي.

الغُول: بالضم، أحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين، وهم سحرتهم. قال الجوهري: هو من السعالي والجمع أغوال وغيلان، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والتغول التلون. قال[1] كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله تعالى عنه:

فما تدومُ على حالٍ تكون بها ... كما تلوّن في أثوابها الغولُ

ويقال: تغوّلت المرأة إذا تلونت. ويقال: غالته غول، إذا وقع في مهلكة. والغضب غول الحلم.

فائدة: سأل رجل أبا عبيدة عن قوله تعالى: ﴿طلعُها كأنه رؤوسُ الشياطين﴾[2] وإنما يقع الوعد والإيعاد، بما قد عرف مثله، وهذا لم يعرف فأجابه بأن الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم أما سمعت امرأ القيس كيف قال[3]:

أتقتلني والمشرفيُّ مُضاجعي ... ومسنونةٌ زرقٍ كأنيابِ أغوالِ

وهم لم يروا الغول قط، ولكنه لما كان يهولهم أوعدوا به، قال أبو عبيدة: ومن يومئذ عملت كتابي الذي سميته المجاز. وأبو عبيدة كنيته، واسمه معمر بن المثنى البصري النحوي العلامة، كان يعرف أنواعاً من العلوم، وكانت العربية وأخبار العرب وأيامها أغلب عليه، وكان مع معرفته يكسر الشعر إذا أنشده، ويلحن إذا قرأ القرآن، وكان يرى رأي الخوارج، وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام، لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان. قال الأصمعي: دخلت يوماً أنا وأبو عبيدة إلى المسجد، فإذا على الأسطوانة التي يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب[4]:

صلى الإله على لوطٍ وشيعتِه ... أبا عبيدةَ قلْ بالله آمينا

قال: فقال لي: يا أصمعي امح هذا. فركبت ظهره ومحوته. ثم قلت: بقيت الطاء فقال: هي شر

---

(١) ديوان كعب: ٦١.

(٢) سورة الصافات: آية ٦٥.

(٣) ديوانه: ١٤٢.

(٤) وفيات الأعيان: ٥/٢٤٢.

الحروف، الطامة في الطاء، امحها. وقيل: إنه وجدت ورقة في مجلس أبي عبيدة فيها هذا البيت وبعده[1]:

فـأنتَ عنـدي بـلا شـكٍّ بقيتهُـم ... منذ احتلمتَ وقد جاوزتَ تسعينا

وروي أن أبا عبيدة خرج إلى بلاد فارس قاصداً موسى بن عبد الرحمن الهلالي، فلما قدم عليه، قال لغلمانه: احترزوا من أبي عبيدة فإن كلامه كله دق، ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقاً، فقال له موسى: قد أصاب ثوبك مرق، وأنا أعطيك عوضه عشرة أثواب، فقال أبو عبيدة: لا عليك فإن مرقكم لا يؤذي، أي ما فيه دهن، ففطن لها موسى وسكت.

توفي أبو عبيدة في سنة تسع ومائتين، وهذا أبو عبيدة بالهاء والقاسم بن سلام أبو عبيد بغير هاء، وكلاهما من أهل اللغة. ومَعمَر بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة وآخره راء مهملة. وكان والد أبي عبيدة من قرية من أعمال الرقة، يقال لها باجروان، وهي القرية التي استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام، كذا قاله ابن خلكان وغيره، وتقدم في باب الحاء المهملة، في الحوت عن السهيلي أن القرية المذكورة في القرآن برقة، والله تعالى أعلم.

وروى الطبراني، في الدعوات والبزار برجال ثقات، من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[2]: «إذا تغولت لكم الغيلان، فنادوا بالأذان، فإن الشيطان إذا سمع النداء، أدبر وله حصاص». أي ضراط. قال النووي، في الاذكار: إنه حديث صحيح، أرشد ﷺ إلى دفع ضررها بذكر الله تعالى. ورواه النسائي، في آخر سننه الكبرى، من حديث الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، بلفظ أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان».

قال النووي رحمه الله تعالى: ولذلك ينبغي أن يؤذن أذان الصلاة، إذا عرض للإنسان شيطان، لما روى مسلم عن سهيل بن أبي صالح أنه قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعي غلام لنا أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط باسمه، فأشرف الذي معي على الحائط، فلم ير شيئاً، فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو شعرت أنك ترى هذا ما أرسلتك، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة أدبر».

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله، أنه قال إن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا غول»[3]. قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي جنس من الشياطين، تتراءى للناس وتتغول تغولاً أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق وتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب، من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها، قالوا: ومعنى لا غول، أي لا تستطيع

---

(١) وفيات الأعيان: ٥/٢٤٢.

(٢) رواه ابن حنبل ٣ ـ ٣٠٥ ـ ٣٨٢.

(٣) رواه مسلم: سلام ١٠٧، وابن حنبل ٣ ـ ٣٩٣.

أن تضل أحداً. ويشهد له حديث آخر: «لا غول ولكن السعالي»، قال العلماء: السعالي بالسين المهملة المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن كما تقدم.

ومنه ما روى[1] الترمذي والحاكم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كانت لي سهوة فيها تمر، فكانت تجيء الغول كهيئة السنور، فتأخذ منه فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «اذهب فإذا رأيتها فقل بسم الله أجيبي رسول الله». قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها، وجاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما فعل أسيرك»؟ قال: حلفت أن لا تعود. قال ﷺ: «كذبت وهي معاودة للكذب». قال: فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود فأرسلها، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما فعل أسيرك»؟ قال: حلفت أن لا تعود، قال ﷺ: «كذبت وهي معاودة للكذب» قال: فأخذها، وقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ، فقالت: «إني ذاكرة لك شيئاً آية الكرسي، اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره. فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: «ما فعل أسيرك»؟ فأخبره بما قالت، فقال ﷺ: «صدقت وهي كذوب». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وهذا روى مثله البخاري، فقال: قال عثمان بن الهيثم: حدثنا عوف عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، وذكر القصة، وفيها فقلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله. فقال ﷺ: «ما هي»؟ قلت: قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي كلها فإنه لايزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال ﷺ: «وأما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة»؟ قال: لا. قال ﷺ: «ذلك الشيطان». قال النووي رحمه الله: وهذا الحديث متصل، فإن عثمان بن الهيثم أحد شيوخ البخاري الذين روى عنهم في صحيحه.

وأما قول أبي عبد الله الحميدي في الجمع بين الصحيحين إن البخاري أخرجه تعليقاً، فغير مقبول، فإن المذهب الصحيح المختار عند العلماء، والذي عليه المحققون أن قول البخاري وغيره قال فلان، محمول على سماعه منه، واتصاله إذا لم يكن مدلساً. وكان قد لقيه، وهذا من ذلك، وإنما المعلق ما أسقط البخاري فيه شيخه أو أكثر، بأن يقول: في مثل هذا الحديث قال عوف أو قال محمد بن سيرين أو قال أبو هريرة.

وروى الحاكم في المستدرك وابن حبان عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه أنه كان له جرين تمر، وكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم، قال: فسلمت فرد علي السلام، فقلت: من أنت ناولني يدك؟ فناولني، فإذا يد كلب وشعر كلب! فقلت: أجني أم إنسي؟ فقال: بل جني. فقلت: إني أراك ضئيل الخلقة أهكذا خلق الجن؟ قال: لقد علمت الجن أن ما فيهم أشد مني! فقلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنك رجل تحب الصدقة، فأحببت أن أصيب من طعامك، فقلت: فما يجيرنا منكم؟ قال: تقرأ آية الكرسي، فإنك إن قرأتها غدوة، أجرت منا حتى تمسي، وإن قرأتها حين تمسي أجرت منا حتى تصبح. قال: فغدوت إلى

(١) رواه الترمذي: ثواب القرآن ٣. وابن حنبل ٥ ـ ٤٢٥.

رسول الله ﷺ، فأخبرته فقال: «صدقك الخبيث». ثم قال: صحيح الإسناد.

وروى الحاكم أيضاً عن أبي الأسود الدؤلي، قال: قلت لمعاذ بن جبل: حدثني عن قصة الشيطان، حين أخذته. فقال: جعلني رسول الله ﷺ على صدقة المسلمين، فجعلت التمر في غرفة، فوجدت فيه نقصاناً، فأخبرت النبي ﷺ فقال: هذا الشيطان يأخذ منه، قال: فدخلت الغرفة وأغلقت الباب علي، فجاءت ظلمة عظيمة، فغشيت الباب ثم تصور في صورة أخرى، ثم دخل لي من شق الباب، فشددت إزاري علي، فجعل يأكل من التمر فوثبت عليه فضبطته فالتفت يداي عليه، فقلت: يا عدو الله ما جاء بك ههنا؟ فقال: خل عني فإني شيخ كبير ذو عيال، وأنا فقير وأنا من جن نصيبين، وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم، فلما بعث أخرجنا منها فخل عني فلن أعود إليك، فخليت عنه. وجاء جبريل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما قال.

قال: فصلى رسول الله ﷺ الصبح، ثم نادى مناديه أين معاذ؟ فقمت إليه. فقال ﷺ: «ما فعل أسيرك يا معاذ»؟ فأخبرته، فقال: «أما انه سيعود». قال: فعدت فدخلت الغرفة، وأغلقت علي الباب، فجاء الشيطان، فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر، فصنعت به كما صنعت في المرة الأولى، فقال: خل عني فإني لن أعود إليك. فقلت: يا عدو الله ألم تقل في المرة الأولى لن أعود ثم عدت؟ قال: فإني لن أعود، وآية ذلك أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة، فيدخل أحد منا في بيته تلك الليلة. ثم قال: صحيح الإسناد.

وفي مسند الدارمي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فقال له: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علمتك آية، إذا قرأتها، حين تدخل بيتك، لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه الإنسي. وقال: إني أراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟ فقال: إني منهم لضليع، ولكن عاودني الثانية، فإن صرعتني علمتك، فصرعه الإنسي. فقال: تقرأ آية الكرسي، فإنها لا تُقرأ في بيت إلا خرج منه الشيطان له حبج كحبج الحمار، ثم لا يدخله حتى يصبح. فقيل لعبد الله: أهو عمر؟ قال: ومن عسى أن يكون إلا عمر!

قوله: الضئيل، معناه الدقيق النحيف، والشخيت الهزيل الخسيس المجفر الجنبين، والضليع الوافر الأضلاع، والحبج الضراط. وقوله إلا عمر بالرفع بدل من محل من، ومحله الرفع بالابتداء. وقد تقدم في باب الجيم في الكلام على لفظ الجن حديث في مسند الدارمي بهذا المعنى. والذي ذهب إليه المحققون أن الغول شيء يخوف به ولا وجود له كما قال(1) الشاعر:

الغولُ والخلُ والعنقاءُ ثالثةٌ أسماءُ أشياءَ لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعورا وهو كل شيء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وكالذي ينزل من الكوى في شدة الحر كنسج العنكبوت قال(2) الشاعر:

(1) معجم الأدباء: ٥٩/٥ ونسبته إلى أبي سعيد السيرافي.
(2) العقد الفريد: ٤٠٦/٣ ونسبته إلى الحارث بن عمرو الكندي.

كــلُّ أنثى وإنْ بـدا لـك منهـا   آيـةُ الحـبِّ حبُّـهـا خيـتعـورُ

وقال قوم: الغول ساحرة الجن، وهي تتصور في صور شتى. وأخذوا ذلك من قول[1] كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله تعالى عنه:

فــما تكـون عــلى حـالٍ تـدومُ بهـا   كـما تـلوّنُ في أثـوابِهـا الـغـولُ

وقد تقدم ذلك قريباً، وفي دلائل النبوة للبيهقي، في أواخره، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: إذا تغولت لأحدكم الغيلان، فليؤذن، فإن ذلك لا يضره. وتزعم العرب، أنه إذا انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة الإنسان، فلايزال يتبعها حتى يضل عن الطريق، فتدنو منه وتتمثل له في صور مختلفة، فتهلكه روعاً.

وقالوا: إذا أرادت أن تضل إنساناً، أوقدت له ناراً فيقصدها فتفعل به ذلـك. قالـوا: وخلقتها خلقة إنسان، ورجلاها رجلا حمار. قال القزويني: ورأى الغول جماعة من الصحابة، منهم عمر رضي الله تعالى عنه، حين سافر إلى الشام، قبل الإسلام، فضربها بالسيف. وذكر عن ثابت بن جابر الفهري أنه لقي الغول وذكر أبياته النونية في ذلك.

الأمثال: قالت العرب: «فلان أقبح من الغول»[2] ومن زوال النعمة، ومن قول بلا فعل، والله تعالى أعلم.

الغيداق: بفتح الغين، ولد الضب، وهو أكبر من الحسل، وقال خلف الأحمر: الغياديق الحيات.

الغيطلة: بالفتح أيضاً البقرة الوحشية. قاله ابن سيده. ويقـال لجماعـة البقر الـوحشي الربرب، بباءين موحدتين وراءين مهملتـين، وكذلـك الإِجِد، بكسر الهمـزة والجيم قالـه في الكفاية.

الغيلم: كديلم ذكر السلاحف، وقد تقدم ذكر السلاحف، في باب السين المهملة.

الغيهب: ذكر النعام، والغيهب: الذي لا عقل له. قاله السهيلي، في تفسير شعر مِكرَز بن حَفص[3]، في أوائل غزوة بدر والله تعالى أعلم

باب الفاء

الفاختة: واحدة الفـواخت، من ذوات الأطواق، وهي بفتح الفاء وكسر الخـاء المعجمة وبالتاء المثناة، في آخرها، قاله في الكفاية، ويقال للفـاختة: الصُّلصُـل أيضاً بضم الصـادين المهملتين انتهى.

وزعموا أن الحيات تهرب من صوتها، ويحكى أن الحيات كثرت في أرض فشكوا ذلك إلى

---

(١) ديوان كعب: ٦١.   (٢) جمهرة الأمثال: ٢/ ١١١.

(٣) مِكرَز بن حفص بن أخيف العامري، شاعر جاهلي فاتك. مات بعد سنة ٢ هـ.

بعض الحكماء، فأمرهم بنقل الفواخت إليها، ففعلوا ذلك، فانقطعت الحيات عنها. وهي عراقية وليست بحجازية، وفيها فصاحة وحسن صوت، وصوتها يشبه المثلث، وفي طبعها الانس بالناس وتعيش في الدور، والعرب تصفها بالكذب، فإن صوتها عندهم، هذا أوان الرطب، وتقول ذلك والنخل لم يطلع، قال الشاعر:

أكـذبُ مـن فـاختـة تـقـول وسط الـكـربِ
والـطلعُ لم يـبـدُهـا هـذا أوانُ الـرطـبِ

قلت: ويحتمل أنها إنما وصفت بالكذب، لما قاله الغزالي رحمه الله تعالى، في الإحياء، في أواخر كتابي الصبر والشكر، إن كلام العشاق الذين أفرط حبهم يستلذ بسماعه، ولا يعول عليه، كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها، فمنعته نفسها، فقال لها: ما الذي يمنعك عني؟ ولو أردت أن أقلب لك ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلت لأجلك؟ فسمعه سليمان عليه الصلاة والسلام، فاستدعاه وقال: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا نبي الله إني محب، والمحب لا يلام وكلام العشاق يطوى ولا يحكى، وهو كما قال الشاعر:

أريـدُ وصـالَـه ويـريـد هجـري فـاتـرك مـا أريـد لمـا يـريـد

وقد تقدم في العصفور نظير هذا.

فائدة: اعلم أن الناس قد كثر كلامهم، في وصف المحبة، ونعت العشق، فسلك كل منهم مذهباً أداه إليه نظره واجتهاده، وسأختصر من أقوالهم قدراً يسيراً كافياً.

قال عبد الرحمن بن نصر: أهل الطب يجعلون العشق مرضاً، يتولد من النظر والسماع، ويجعلون له علاجاً كسائر الأمراض البدنية، وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض.

فأول مرتبة منه تسمى الاستحسان، وهي المتولدة من النظر والسماع، ثم تقوى هذه المرتبة بطول الذكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، فتصير مودة، وهي الميل إليه والتألف بشخصه، ثم تتأكد المودة فتصير محبة، والمحبة هي الائتلاف الروحاني، فإذا قويت هذه المرتبة صارت خلة، والخلة من الآدميين هي تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه، حتى تسقط بينهما السرائر، فإذا قويت هذه المرتبة صارت هوى، والهوى هو أن المحب لا يخالطه في محبة محبوبه تغير، ولا يداخله تلون، ثم يزيد الحال فيصير عشقاً، والعشق هو إفراط المحبة حتى لا يخلو المعشوق من تخيل العاشق، وفكره وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس عن تنبيه القوى الشهوانية، فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال النفس عن تنبيه القوى الشهوانية، ويمتنع من الفكر والذكر والتخيل والنوم، لاستضرار الدماغ، فإذا قوي العشق صار تيماً، وفي هذه الحالة لا يوجد في قلبه فضل لغير صورة المعشوق، ولا ترضى نفسه سواها، فإذا تزايد الحال صار ولهاً، والوله هو الخروج عن الحدود والترتيب، فتتغير صفاته، ولا تنضبط أحواله، ويصير موسوساً لا يدري ما يقول، ولا أين يذهب فحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته، وتقصر آراؤهم عن معالجته، لخروجه عن الحد الضابط. وقد أجاد القائل حيث قال:

يقـولُ أنـاس لـو نعتَ لنـا الهـوى ووالله مـا أدري لهـم كيـفَ أنعـتُ
فـليس لشيءٍ مـنـه حـد أحـده وليس لشيء منـه وقتٌ مـوقت
إذا اشتـد مـا بي كـان آخـر حيلتي لـه وضع كفي فـوق خدي وأصمت
وأنضح وجه الأرضِ طور بعبْرتي وأقـرعهـا طـورا بـظفـري وأنكتُ
وقـد زعمَ الـواشـون أني سلوتُهـا فـما لي أراهـا مـن بعيـد فـأبهتُ

قال جالينوس: العشق من فعل النفس، وهو كامن في الدماغ والقلب والكبد، وفي الدماغ ثلاثة مساكن: التخيل في مقدمه، والفكر في وسطه، والذكر في مؤخره، فلا يكون أحد عاشقاً، إلا إذا كان بحيث إذا فارق معشوقه لم يخيل من تخيله وفكره وذكره، فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال قلبه وكبده، ومن النوم لاشتغال الدماغ بالتخيل والفكر للمعشوق، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به، ومتى لم يكن كذلك لم يكن عاشقاً، فإذا لها العاشق خلت هذه المساكن، فرجع إلى حال الاعتدال.

وقال أبو علي الدقاق: العشق تجاوز الحد في المحبة، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالعشق، لأنه لا يوصف بأن يجاوز الحد في محبة العبد، وإنما يوصف بالمحبة. كما قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾(١) فمحبة الله تعالى للعبد هي إرادته لإنعام مخصوص عليه، كما أن رحمته إرادة الإنعام. وقال قوم: محبة الله تعالى للعبد مدحه وثناؤه عليه، وقيل: بل محبة الله لعبده صفة من صفات فعله، فهي إحسان مخصوص يليق بالعبد، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم له، وايثاره رضاه، وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه والاستئناس بذكره.

وقد اختلف في اشتقاق المحبة والعشق، فقال بعضهم: الحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب، وقيل: هو مشتق من حَباب الماء بفتح الحاء، وهو معظمه، لأن المحبة معظم ما في القلوب من المهمات، وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير إذا برك فلم يقم، فكأن المحب لا ينزع قلبه عن ذكر محبوبه. وأما العشق فاشتقاقه من العشقة، وهو نبات يلتف بأصول الشجر التي يقاربها في منبتها، فلا تكاد تتخلص منه إلا بالموت، وقيل: إن العشقة نبات أصفر متغير الأوراق فسمي العاشق به لاصفراره وتغير حاله. وقيل: أعم حالات الحب وأشهرها وأعظم صفات الهوى وأظهرها ثلاثة أوصاف، ملازمة لا يستطيعون دفعها، وهي النحول والسقم والذبول، والله أعلم.

وهذا الطائر يعمر كثيراً، وقد ظهر منه ما عاش خمساً وعشرين سنة، وما عاش أربعين سنة، كما حكاه أبو حيان التوحيدي وأرسطو قبله.

الحكم: يحل أكلها وبيعها بالاتفاق.

الأمثال: قالوا(٢): «أكذب من فاختة». وقالوا(٣): «فلان الفاختة عنده أبو ذر».

الخواص: دمها ودم الحمام الأسود، إذا طلي بهما البرص غير لونه. وزبلها، إذا علق على

(١) سورة المائدة: آية ٥٤. (٢) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٤. (٣) مجمع الأمثال: ٢/٩١.

صبي بصرع أبرأه. ودمها، إذا قطر في العين أذهب الآثار المزمنة من ضربة أو قرحة أو غيرهما.

التعبير: قال ابن المقري: الفواخت والقماري والدبسي وما أشبهها، يدل ملكها في الرؤيا على العز والجاه وظهور النعم، لأنها لا تكون في الغالب إلا عند المتنعمين، وربما دلت على أهل العبادة، والانقطاع والقراءة والتسبيح والتهليل. قال الله تعالى: ﴿وإنّ من شيءٍ إلا يسبّحُ بحمدِهِ﴾[1] وربما دلت على المطربين، وأصحاب اللهو والغناء والرقص، وربما دلت على الزوجات والإماء. وقال المقدسي: الفاختة في المنام ولد كذاب، وقيل: الفاختة امرأة كذابة غير ألفة، وفي دينها نقص. وقال ارطاميدورس: الفاختة امرأة صاحبة مروءة وشكل، والله أعلم.

الفأر: بالهمز جمع فأرة ومكان فترأى: كثير الفأر، وأرض فئرة أي ذات فأر، وكنية الفأرة: أم خراب وأم راشد، وهي أصناف: الجرذ والفأر المعروفان وهما كالجاموس والبقر والبخاتي والعراب، ومنها: اليرابيع والزباب والخلد، فالزباب صُم والخلد عمي، وفأرة البيش، وفأرة الإبل وفأرة المسك، وذات النطق، وفأرة البيت وهي الفويسقة التي أمر النبي ﷺ بقتلها في الحل والحرم.

وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور، وبه سمي العاصي فاسقاً، وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن، وقيل: لخروجهن عن الحرمة في الحل والحرم، أي لا حرمة لهن بحال، وقيل: سميت بذلك لأنها عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه الصلاة والسلام، فقطعتها، روى الطحاوي في أحكام القرآن بإسناده عن يزيد بن أبي نعيم، أنه سأل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه لم سميت الفأرة الفويسقة؟ فقال: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة، وقد أخذت فأرة فتيلة السراج لتحرق على رسول الله ﷺ البيت، فقام إليها وقتلها وأحل قتلها للحلال والمحرم. وفي سنن أبي داود، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة، فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخمرة التي كان قاعداً عليها، فأحرقت منها موضع درهم. الخمرة: السجادة التي يسجد عليها المصلي، سميت بذلك لأنها تخمر الوجه، أي تغطيه.

ورواه الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال[2]: جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة، فذهبت الجارية تزجرها، فقال النبي ﷺ: «دعيها». فجاءت بها فألقتها بين يدي النبي ﷺ، على الخمرة التي كان قاعداً عليها، فأحرقت منها موضع درهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «إذا نمتم فأطفؤا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم». ثم قال: صحيح الإسناد. وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ «أمر بإطفاء النار عند النوم» وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم ناراً. وفي الصحيح أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون حتى تطفؤوها». قال النووي رحمه الله تعالى: هذا عام، يدخل فيه نار السراج وغيرها. وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها، فإن خيف حريق بسببها دخلت في

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.
(٢) رواه البخاري: بدء الخلق ١٦. أبو داود أدب ١٦١، الترمذي أدب ٧٤.

الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما هو الغالب، فالظاهر أنه لا بأس بتركها، لانتفاء العلة التي علل بها النبي ﷺ، وإذا انتفت العلة زال المنع، وقد تقدم في باب الصاد المهملة، في لفظ الصيد الكلام على الفواسق الخمس، وما ألحق بها مما يباح قتله للمحرم، وفي الحرم.

والفأر نوعان: جرذان وفئران، وكلاهما له حاسة السمع والبصر، وليس في الحيوانات أفسد من الفأر ولا أعظم أذى منه، لأنه لا يبقي على حقير ولا جليل، ولا يأتي على شيء إلا أهلكه وأتلفه، ويكفيه ما يحكى عنه في قصة سد مأرب، وقد تقدمت في باب الخاء المعجمة، في لفظ الخلد، ومن شأنه أنه يأتي القارورة الضيقة الرأس، فيحتال حتى يدخل فيها ذنبه، فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فيها شيئاً. ولا يخفى ما بين الفأر والهر من العداوة، والسبب في ذلك ما تقدم في أول خواص الأسد من حديث زيد بن أسلم رضي الله تعالى عنه، أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما حمل في السفينة، من كل زوجين اثنين شكا أهل السفينة الفأرة وأنها تفسد طعامهم، ومتاعهم فأوحى الله تعالى إلى الأسد، فعطس فخرجت منه الهرة فتخبأت الفأرة منها.

تذنيب: قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: اتخذ نوح السفينة في سنتين، وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج، وجعل لها ثلاثة بطون، فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد.

وروي أن الطبقة السفلى، كانت للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطير. فلما كثرت أرواث الدواب، أوحى الله تعالى إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل، ففعل فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث. فلما وقع الفأر بحرف السفينة جعل يقرضها وحبالها، فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عيني الأسد فضرب، فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر.

وعن الحسن قال: كان طول السفينة ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع. والمعروف ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن طولها ثلثمائة ذراع. وقال قتادة رضي الله تعالى عنه: كان بابها في عرضها، وقال زيد بن أسلم: مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها، ومائة عام يعمل الفلك. وقال كعب الأحبار: مكث نوح عليه السلام، في عمل السفينة ثلاثين سنة. وقيل: غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة.

وزعم أهل التوراة، أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج، وأن يضعه أزور، وأن يطليه بالقار من داخله ومن خارجه، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً، وعرضه خمسين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً. والذراع إلى المنكب، وأن يجعله ثلاث أطباق: سفلى ووسطى وعليا، وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمر الله تعالى.

وأما الزباب والخلد: فتقدما.

وأما اليربوع: فسيأتي في بابه، وقد تقدم في باب العين المهملة في لفظ العقعق، عن سفيان

بن عيينة، أنه قال: ليس شيء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنملة والفأرة والعقعق، وبه جزم في الإحياء في باب التوكل. وعن بعضهم قال: رأيت البلبل يحتكر. ويقال إن للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها. وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال[1]: «فقدت أمة من بني إسرائيل، ولا يدري ما فعلت، ولا أراها إلا الفأر ألا تراها إذا وضع لها لبن الإبل لم تشربه، وإذا وضع لها لبن الشاة شربته». قال النووي وغيره: ومعنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها، حرمت على بني إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها، فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل، دون لبن الغنم، على أنها مسخ من بني إسرائيل.

وأما فأرة البيش: وهو بكسر الباء الموحدة، وبالياء المثناة تحت وبالشين المعجمة في آخره وهو السم، فدويبة تشبه الفأرة، وليست بفأرة ولكن هكذا يسمى، وتكون في الغياض والرياض وهي تتخللها طلباً لمنابت السموم، فتأكلها فلا تضرها، وكثيراً ما تطلب البيش وهو سم قاتل كما تقدم هنا. وفي باب السين المهملة في لفظ السمندلي، قاله القزويني، في الأشكال.

وأما ذات النطاق: فهي فأرة منطقة ببياض، وأعلاها أسود، شبهوها بالمرأة ذات النطاق، وهي التي تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها، ثم ترسل الأعلى على الأسفل. قاله القزويني أيضاً.

وأما فأرة المسك: فهي غير مهموزة، لأنها من فار يفور، وهي النافجة كذا قاله الجوهري. وفي التحرير، فارة المسك مهموزة كفأر الحيوان، ويجوز ترك الهمز كما في نظائره. وقال الجوهري وابن مكي: ليست مهموزة وهو شذوذ منها. وقول الشاعر:

كأنَّ بين فكِّها والفك ... فارةُ مسكٍ ذبحتْ في سك

مراده شقت، والذبح أصله الشق والقطع، والسك ضرب من الطيب يركب من مسك وغيره. وقال الجاحظ: فارة المسك نوعان: النوع الأول دويبة تكون في بلاد التبت تصاد لنوافجها وسررها فإذا صيدت شدت بعصائب، وتبقى متدلية فيجتمع فيها دمها، فإذا أحكم ذلك ذبحت فإذا ماتت قورت السرة التي عصبت، ثم تدفن في الشعير حيناً حتى يستحيل ذلك الدم المختنق هناك الجامد بعد موتها، مسكاً ذكياً، بعد أن كان لا يرام نتناً. وما أكثر من يأكلها أي الفأرة عندنا!

قلت: وتعجبه من كثرة آكليها يدل على استطابتها، والفقهاء لم يتعرضوا لهذا النوع. ثم قال: والنوع الثاني جرذان سود، تكون في البيوت، ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمة، وهذا النوع رائحته كرائحة المسك، إلا أنه لا يؤخذ منه المسك، وقد تقدم في باب الظاء المشالة في لفظ الظبي، ذكر المسك وحكمه. قلت: والمشهور أن فأرة المسك سرر الظباء كما تقدم.

وأما فأرة الإبل فقال في الصحاح: هي أن تفوح منها ريح طيبة، وذلك إذا رعت العشب وزهره، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها، ففاحت منها رائحة طيبة فيقال لتلك

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٥، ومسلم: زهد ٦١، وابن حنبل ٢ ـ ٢٣٤.

الزائحة: فارة الإبل. عن يعقوب، قال(١) الراعي يصف إبلاً:

لها فارةٌ زفراءُ كلَّ عشيةٍ ... كما فتق الكافورُ بالمسك فاتقه

وأما الفأرة التي خربت سد مأرب: فهي الخلد، وقد تقدم ذكر قصتها، في باب الخاء المعجمة. وروى الحاكم والبيهقي عن مجاهد، في تفسير قوله(٢) تعالى: ﴿حتى تضعَ الحربُ أوزارَها﴾ يعني حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيسلم كل يهودي وكل نصراني وكل صاحب ملة، وتأمن الفأرة الهر والشاة الذئب ولا تقرض فأرة جراباً، وتذهب العداوة من الأشياء كلها وذلك ظهور الإسلام على الدين كله.

الحكم: يحرم أكل جميع أنواع الفأر إلا اليربوع، كما سيأتي في بابه، إن شاء الله تعالى، ويكره أكل سؤر الفأر، وقال ابن وهب عن الليث: كان ابن شهاب يعني الزهري يكره أكل التفاح الحامض، وسؤر الفأر، ويقول: إنهما يورثان النسيان، وكان يشرب العسل، ويقول إنه يورث الذكاء. وقد جمع الشيخ علم الدين السخاوي(٣) ما يورث النسيان في أبيات فقال:

نوقَ خصالاً خوفَ نسيانٍ ما مضى ... قراءة ألواح القبور تديمُها
وأكلكَ للتفاحِ ما كان حامضاً ... وكزبرة خضراء فيها سمومها
كذا المشي ما بين القطارِ وحجمك الـ ... ـقفاء ومنها الهمُّ وهو عظيمها
ومن ذاك بولُ المرءِ في الماء راكدا ... كذلك نبذُ القملِ لست تقيمها
ولا تنظرِ المصلوبَ في حاله صلبه ... وأكلكَ سؤر الفأرِ وهو تميمها

تتمة: روى البخاري عن ابن عباس، عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ قالت: إن فأرة وقعت في سمن فماتت، فسئل النبي ﷺ عنها، فقال(٤): «ألقوها وما حولها وكلوه». ورواه أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بمعناه. ورواه الترمذي عنه، ثم قال: وهو غير محفوظ. سمعت البخاري يقول: إنه خطأ، يعني من طريق أبي هريرة.

قلت: والصواب أنه صحيح، ورواه الطحاوي في بيان المشكل عنه، بلفظ: «إن كان جامداً فخذوها وما حولها فألقوه، وإن كان ذائباً فاستصبحوا به». وإنما لم يدخل البخاري في الحديث قوله ﷺ: «وإن كان مائعاً فأريقوه»، لأنه من رواية معمر عن الزهري، فاستراب بانفراد معمر بها.

والعلماء مجمعون على أن حكم السمن الجامد، تقع فيه الميتة أنها تلقى وما حولها، ويؤكل بقيته. وأما المائع، كالخل والزيت والسمن المائع واللبن والشيرج والعسل المائع، فلا خلاف أنه لا يؤكل، والمشهور جواز الاستصباح به لكن يكره، وقيل: لا يجوز، لقوله(٥) تعالى: ﴿والرُّجزَ

(١) ديوان الراعي: ١٩٠. (٢) سورة محمد: آية ٤.
(٣) السخاوي: علي بن محمد بن عبد الهمداني المصري، أبو الحسن علم الدين، عالم بالقرآن والأصول واللغة والتفسير وله شعر. توفي بمصر سنة ٦٤٣ هـ.
(٤) رواه البخاري: وضوء ٦٧. وأبو داود: اطعمة ٤٧. والترمذي: أطعمة ٨.
(٥) سورة المدثر: آية ٥.

فاهجر﴾. قال أبو العالية والربيع: الرجز بالضم والكسر: النجاسة والمعصية، وكل هذا في غير المساجد. فأما المساجد فلا يستصبح به فيها جزماً. ويحل دهن السفن به، وأن يتخذ صابوناً يغسل به ولا يباع. وقال أبو حنيفة والليث: يجوز بيع الدهن النجس، إذا بين نجاسته. وقال أهل الظاهر: لا يجوز بيع السمن، ولا الانتفاع به، إذا وقعت فيه الفارة، ويجوز بيع الزيت والخل والعسل وجميع المائعات، إذا وقعت فيها. قالوا: لأن النهي إنما ورد في السمن دون غيره.

الأمثال: قالوا[1]: «ألص من فارة» و«أكسب من فارة»[2] و«أسرق من ذبابة»[3]. وهي الفأرة البرية، تسرق كل ما تحتاج إليه وما تستغني عنه.

الخواص: قال في كتاب عين الخواص: رأس الفأرة يشد في خرقة كتان، ويعلق على رأس صاحب الصداع الشديد، يزول صداعه، وينفع من الصرع، وعين الفأر تشد في قلنسوة إنسان يسهل المشي عليه، وإن بخر البيت بزبل ذئب أو زبل كلب، هربت منه الفيران. وإن خلط العجين بزبل حمام وأكله الفأر، أو أي حيوان كان مات. وإن دق بصل الفأر وجعل على أبواب حجرتهن فأي فأر شم رائحته مات. وإن جعل على باب جحر الفأر ورق الدفلى مع القلقند لم تبق فيه فأرة. وإن دق عظم ساق الجمل دقاً ناعماً، ودیف بماء وسكب في جحرة الفيران، فإنه يقتلهن. وإن أخذت فأرة وقطع ذنبها ودفنت وسط البيت، لم يدخل ذلك البيت فأر مادامت فيه، وإذا بخر بكمون ولوز ونطرون عند جحرتهن متن من ساعتهن، وإن بخر البيت بحافر بغل أسود هرب منه الفأر. وإن علقت عين فأرة على من به حمى الربع أبرأته. وذنب الفأر إذا جعل في جلد حمار، وجعلا في خرقة حرير وعلق على اليد اليسرى، فمن يكون له حاجة فإنها تقضى عند الملوك وغيرهم. وبول الفأر يقلع الكتابة من الورق، وطريق أخذ بوله أن يصاد في مصيدة بحديدة، ويوضع إناء وتجعل المصيدة من ناحية الحديدة، على فم الإناء، ويرى الفأر السنور، فإنه يبول من ساعته لشدة خوفه، ويكتب للفأر على أربع صفائح قصدير، وتجعل في أوكار الفأر وهو هذا: يا ربيق يا سلويرا.

قلت: وقد أذكرني هذا ما يقلع الزيت وغيره، من الأدهان من القرطاس والجلد والريش، وغير ذلك أن يؤخذ التراب الذي يجعله النساء في رؤوسهن في الحمام الأزرق المحترق فيدق ناعماً كالكحل، ويوضع على القرطاس الذي أصابه الزيت، أو غيره ويثقل تثقيلاً جيداً يوماً وليلة، ثم يرفع، فإن القرطاس يصير نقياً ليس به أثر، وهو سر عجيب مجرب. وأما سم الفأر فهو التراب الهالك عند أهل العراق، وهو السك، يؤتى به من خراسان من معادن الفضة، وهو نوعان: أبيض وأصفر، إن جعل في عجين وطرح في البيت، وأكل منه الفأر مات. وكذلك كل فأرة تجد ريح تلك الفأرة حتى يموت الجميع.

التعبير: قال المعبرون: الفأرة في الرؤيا امرأة فاسقة، لأن النبي ﷺ قال[4]: «اقتلوا الفويسقة» وقيل: الفأرة امرأة يهودية نائحة ملعونة، أو رجل يهودي فاسق، أو لص نقاب. وربما دل الفأر على الرزق، فمن رأى فأراً في بيته كثيراً، كثر رزقه لأنه لا يكون إلا في مكان فيه رزق،

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٨٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٦.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٦، وفيه زبابة.
(٤) رواه البخاري: صيد ٧، بدء الخلق ١٦. ومسلم: حج ٦٦، ٦٩.

ومن خرج الفأر من منزله، قلّت بركته ونعمته، ومن ملك فأراً ملك خادماً، لأن الفأر يأكل مما يأكل الإنسان، وكذلك الخادم يأكل مما يأكل سيده. ومن رأى فأراً يلعب في داره نال خصباً في تلك السنة، لأن اللعب لا يكون إلا من الشبع، وأما الفأر الأبيض والأسود، فإنه يدل على الليل والنهار، فمن رآه يغدو ويروح فإنه يدل على طول حياته، ومن رأى الفأر كأنه يقرض في ثيابه، فهو معلن بما يمر من أجله، ومن رأى فأراً ينقب فإنه لص نقاب فليحذره والله تعالى أعلم.

الفادر: المسن من الأوعال.

الفازر: بالزاي قبل الراء، نمل أسود فيه حمرة.

الفاشية: الماشية، وجمعها فواش، وهي التي تفشو من المال كالإبل والبقر والغنم السائمة، لأنها تفشو أي تنتشر في الأرض. ويقال: أفشى الرجل، إذا كثرت مواشيه. روى مسلم في الأشربة، وأبو داود في الجهاد، من حديث أبي خيثمة عن أبي الزبير، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء». زاد أبو داود: «فإن الشياطين تعبث إذا غابت الشمس»[1]. وفحمة العشاء ظلمتها واسودادها، شبه سوادها بالفحم، وفسرها بعضهم باقبال أول ظلامه. وفي الحديث: «ضموا مواشيكم إذا دخل الليل». وسيأتي، في باب الميم، إن شاء الله تعالى ذكر هذا الكلام.

الفاعوس: كجاموس، الحية والوعل والأفعى. قاله ابن الأعرابي. وأنشد في ذلك:

قد يهلكُ الأرقمُ والفاعوسُ والأسد المدرَّعُ الهوس

قال: ولم يأت في الكلام فاعول لام الفعل منه سين، إلا الفاعوس، وهو الحية والوعل، والبابوس وهو الصبي الرضيع، والراموس وهو القبر، والقاموس وهو وسط البحر، والقابوس وهو الجميل الوجه، والعاطوس هو دابة يتشاءم بها، والفانوس وهو النمام، والجاموس وهو ضرب من البقر، والجاروس وهو الكثير الأكل.

وقال ابن دريد: والكابوس وهو الذي يقع على الإنسان في نومه، والناموس وهو صاحب سر الخير، والجاسوس وهو صاحب سر الشر. وفي الصحيحين أن ورقة بن نوفل قال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ﷺ.

قال النووي وغيره: اتفقوا على أن المراد به هنا جبريل عليه الصلاة والسلام. وسمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحي وعلم الغيب، وسيأتي هذا أيضاً في باب النون، إن شاء الله تعالى، في لفظ الناموس. والله تعالى أعلم.

الفاطوس: سمكة عظيمة تكسر السفن، والملاحون يعرفونها، فيتخذون خرق الحيض ويعلقونها على السفينة، فإنها تهرب منهم. قال القزويني: ولعل هذا هو حوت الحيض، وقد تقدم ذكره في باب الحاء المهملة.

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣ ـ ٣٨٦. والبخاري: بدء الخلق ١٥ ـ ١٦. ومسلم أشربة ٩٧.

الفالج: بالجيم في آخره الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من الهند، وهو الدهانج بفتح الدال وبالجيم في آخره، كما تقدم في باب الدال المهملة، وفي الحديث «أن فالجاً تردى في بئر».

فالية الأفاعي: بنات وردان، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في آخر باب الواو. وقيل هي ضرب من الخنافس رقط تألف العقارب في جحرة الضب.

الأمثال: قالت العرب: «آيتكم فالية الأفاعي». وجمعها الفوالي لأنها إذا خرجت، يعلم أن الضب خارج لا محالة، وإذا رؤيت في الجحر علم أن وراءها العقارب والحيات والأفاعي، يضرب لأول شر ينتظر بعده شر منه والله تعالى أعلم.

فتّاح: كصياح طائر يكنى أم عجلان، تقدم في آخر باب العين المهملة.

الفتع: دود أحمر يأكل الخشب قال الشاعر:

غـداةَ غـادرتُهـم قـتـلى كـأنهم ... خشبٌ تقصفُ في أجـوافهـا الفتـع

الواحدة فتعة قاله ابن سيده.

الفحل: الذكر من ذي الحافر والظلف والخف وغير ذلك من ذي الروح، وجمعه: أفحل وفحول وفحولة وفحال وفحالة. قال البخاري، في الجهاد: وقال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة من الخيل، لأنها أجرى وأجرأ. أي أسرع وأجسر.

وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، في بعض أسفاره، فرأينا منه عجباً جاء رجل فقال: يا رسول الله إنه كان لي حائط فيه عيشي وعيش عيالي، ولي فيه ناضحان فحلان وقد منعاني أنفسهما، وحائطي وما فيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما، فنهض نبي الله ﷺ حتى أتى الحائط، فقال لصاحبه: «افتح». فقال: إن أمرهما عظيم! فقال ﷺ: «افتح» فلما حرك الباب أقبلا ولهما رغاء وجلبة، فلما انفرج الباب ونظرا إلى رسول الله ﷺ بركا ثم سجدا، فأخذ النبي ﷺ برؤوسهما، ثم دفعهما إلى صاحبهما، وقال: «استعملهما وأحسن علفهما». فقال القوم: تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا بالسجود لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن السجودَ لا ينبغي إلا للحي القيوم، الذي لا يموت ولو أمرتُ أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أنْ تسجدَ لزوجها»(١).

ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: ورجاله ثقات، وروى الحافظ الدمياطي، في كتاب الخيل، عن عروة البارقي أنه قال: كانت لي أفراس، وفيها فحل شراؤه عشرون ألف درهم، ففقأ عينه دهقان، فأتيت عمر رضي الله تعالى عنه، فأخبرته، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه؛ أن خير الدهقان بين أن يعطيه عشرين ألفاً ويأخذ الفحل وبين أن يغرم ربع الثمن. فقال الدهقان: ما أصنع بالفحل؟ وغرم ربع الثمن. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا، في باب الحاء المهملة، في لفظ الحيوان. وفي الصحيحين وغيرهما:

(١) رواه ابن ماجه: نكاح ٤. وابن حنبل ٤ ـ ٣٨١، ٦ ـ ٧٦.

«يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل»[1]. وفي السنن: «يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل»[2].

وروى الشافعي رحمه الله تعالى في مسنده بإسناد على شرط مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إن لبن الفحل لا يحرم، ومعناه أن حرمة الرضاع لا تثبت بين المرتضع وبين زوج المرضعة الذي اللبن منه، وإنما تنتشر الحرمة إلى أقارب المرضعة لا غير. وروي هذا عن ابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم، وبه قال داود الأصم، وهو اختيار عبد الرحمن ابن بنت الشافعي.

والذي ذهب إليه الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة، أن حرمة الرضاع تثبت بين المرتضع وبين المرضعة، وبين زوجها الذي منه اللبن فتكون المرضعة أماً له وزوجها أباً له كما إذا ولدته من مائة، وكانا أبوين له، لحديث عائشة رضي الله تعالى عنها المتفق على صحته في قصة فلح بن أبي القعيس، وحديثها أيضاً المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[3]. وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين: أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين، لقوله[4] تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادَهن حولين كاملين﴾ ولقوله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما يفتق الأمعاء». وفي رواية[5] «لا رضاع إلا ما أنشر العظم وأنبت اللحم». وإنما يكون هذا في حال الصغر. وعند أبي حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهراً لقوله تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[6]. والشرط الثاني أن يكون خمس رضعات متفرقات، كل رضعة إلى الشبع. روي ذلك عن عائشة وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وبه قال مالك والشافعي وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم، وهو قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم. وروي عن سعيد بن المسيب، وإليه ذهب الثوري ومالك في إحدى الروايات، والأوزاعي وعبد الله بن المبارك وأبو حنيفة، فإن كان للرجل خمس بنات أو زوجات أو أمهات أولاد، فأرضعت كل واحدة رضعة واحداً جنينا واحداً، ففيه ثلاثة أوجه: أحدها لا يقع التحريم، والثاني يصير ابناً له ولا يصير ابناً للمرضعات، والثالث يصير ابناً له وللمرضعات، فإن وصل اللبن إلى جوفه بحقنة، ففيه قولان: وإن اختلط اللبن بمائع ووصل إلى جوفه ثبتت الحرمة، وإن كان مغلوباً على أصح القولين. وللمسألة فروع مبسوطة في كتب الفقه.

قلت: وقد أذكرني اللبن حديثاً رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال[7]: «لا أخاف على أمتي إلا اللبن فإن الشيطان بين الرغوة والضرع». وروى أيضاً من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «سيهلك من أمتي أهل اللبن». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال[8]: «أناس يحبون اللبن فيخرجون من الجماعات

---

(1) رواه البخاري: إجارة ٥، جهاد ٥. ومسلم: زكاة ٢٧.
(2) رواه البخاري: أدب ٤٣.
(3) رواه البخاري: شهادات ٧، نكاح ٢٠. ومسلم: رضاع ٩.
(4) سورة البقرة: آية ٢٣٣.
(5) رواه ابن حنبل: ٧ ـ ٤٣٢.
(6) سورة الأحقاف: آية ١٥.
(7) رواه ابن حنبل: ٢ ـ ١٧٦.
(8) رواه ابن حنبل: ٤ ـ ١٤٦ ـ ١٥٥.

ويتركون الجمعات». قال الحربي: أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعة، ويطلبون مواضع اللبن، في المراعي والبراري والبوادي. وقال غيره: أراد قوماً أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

وفي صحيح البخاري، من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ «نهى عن عسب الفحل»(١). والأشهر في تفسيره أنه ضراب الفحل كما قال الشاعر:

ولولا عسبُه لرددتموه ... وشر منيحة فحل يعارُ

وقيل: المراد ثمن مائه، ففي رواية الشافعي وأحمد وأبي داود، في بعض نسخه، نهى عن ثمن عسب الفحل، وقيل: العسب أجرة ضرابه، فيحرم ثمن مائه. وكذا أجرته في الأصح.

الأمثال: قال العسكري: ومن الأمثال المستحسنة قولهم: «ذلك الفحل لا يقدع أنفه». وقد تمثل به ورقة بن نوفل في النبي ﷺ حين خطب خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها. ويقال: بل تمثل به أبو سفيان بن حرب حين خطب النبي ﷺ ابنته حبيبة رضي الله تعالى عنها. قال: وأصحاب الحديث يرونه «الفحل لا يقرع أنفه» بالراء، انتهى. قال الشماخ(٢):

إذ ما استافَهنّ ضربنَ منه ... مكان الرمحِ من أنفِ القدوعِ

قوله: استافهن يعني حماراً يستاف أنثى، فيرمحنه إذا استافهن، والسوف الشم. وقوله: مكان الرمح من القدوع أراد بالقدوع المقدوع، وهذا من الأضداد. يقال: طريق ركوب إذا كانت تركب، ورجل ركوب للدواب إذا كان يركبها، وناقة رغوث إذا كانت ترضع، وحوار رغوث إذا كان يرضع، وشاة حلوب إذا كانت تحلب، ورجل حلوب إذا كان يحلب الشاة، والقدوع هنا البعير قدع أنفه، وهو أن يريد الناقة الكريمة، ولا يكون كريماً فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع. يقال: قدع أنفه عن كذا، أي منع عنه، وأنشد الشيخ شرف الدين الدمياطي في أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب لعبد الله بن يزيد الهلالي:

ما أنجبتْ نجيبةٌ من فحل ... بجبل نعلمه أو سهلْ
كستْه من بطنِ أمِّ الفضل ... زوجةُ المصطفى ذي الفضل
خاتمُ الأنبياءِ وخيرُ الرسل ... أكرمْ بها من كهلةٍ وكهل

وقالوا: الفحل يحمي شوله معقولاً، والشول تقدم في باب الشين المعجمة أنها النوق، التي جف لبنها وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة، والشول: جمع على غير قياس. ومعقولا نصب على الحال، أي أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ أهله وحريمه، وإن كان به علة، وقد تمثل بذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أخي سعد بن أبي

---

(١) رواه البخاري: إجارة ٢١. وأبو داود: بيوع ٤٠.

(٢) الشمّاخ بن ضرار بن حرملة بن سنان الذبياني، شاعر مخضرم أدرك الإسلام، شعره جيد، مات سنة ٢٢ هـ والبيت في الحيوان للجاحظ ٥/٢٨١.

وقاص، حين فقئت عينه باليرموك، وهو الذي افتتح جلولا من بلاد فارس، وهزم الفرس. وكانت جلولا تسمى فتح الفتوح، وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكانت معه الراية وهو على الرجالة وقتل يومئذ وهو يقول[1]:

أعورُ يبغي أهله محلا قد عالجَ الحياةَ حتى ملا
لا بدّ أن يفلّ أو يفلا

فقطعت رجله يومئذ، وهو يقاتل من دنا منه وهو بارك، ويقول: «الفحل يحمي شوله معقولا». وفيه يقول أبو الطفيل عامر[2] بن واثلة رضي الله عنه:

يا هاشمَ الخيرِ جزيتَ الجنه قاتلتَ في الله عدوّ السنه

ومن أحكام الفحل، أن من غصب فحلاً وأنزاه على شاته، فالولد للغاصب، ولا شيء عليه للإنزاع، لكن إذا نقص الفحل بذلك، غرم أرش نقصه. وإنْ غصب شاة وأنزى عليها فحلاً فالولد لصاحب الشاة.

تذنيب: قال يونس: جميع الألبان معتدلة، وقال الرازي: الحلو حار، وأجوده ما كان من ضأن فتى، وهو ينفع الصدر والرئة، ويضر أصحاب الحميات، وهو يولد غذاء جيداً، ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والصبيان وأجود أكله في الربيع. وأما اللبن الحامض، فبارد رطب، وأجوده الكثير الزبد، وهو ينفع لتسكين العطش، ويضر بالأسنان واللثة، ويدفع ضرره التمضمض بماء العسل، ويولد خلطاً محموداً، يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والغلمان، وأجود استعماله في الصيف ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوماً، ويختلف بحسب صفته، فالمطبوخ مع الحنطة والأرز، يوافق أصحاب الأمزجة الحارة، وما نزع زبده ومائيته، ويقال له الودع ينفع الأمزجة الحارة، وإذا ألقى في اللبن الحصا المحمى حتى تذهب مائيته نفع من الذرب، والذي أخرج غلظه بالأنفحة، إذا خلط بالسكنجبين السكري نفع من الحكة والجرب، ولبن الاتن ينفع من السل والدق، ولبن اللقاح نافع من الاستسقاء إذا خلط مع أبوالها، وما خثر من اللبن فهو بارد يمسك الطبع، ويولد خلطاً غليظاً وسدداً، وحجارة في الكلى انتهى.

تتمة: اللبن في المنام فطرة الإسلام، وهو مال حلال يناله بلا تعب لقوله تعالى: ﴿لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾[3] وأما الرائب فهو مال حرام لحموضته، وخروج دسومته، ولبن الغنم مال شريف، ولبن البقر غنى، ولبن الخيل ثناء حسن، ولبن الثعلب شفاء من مرض، ولبن البغل عسر وهول، ولبن النمر عدو يظهر، ولبن الأسد مال من سلطان، ولبن حمار الوحش شك في الدين، ولبن الخنزير مصيبة في العقل والمال لمن شربه في المنام، وقيل: إصابة مال عظيم، لكن

---

(١) العقد الفريد: ٤/٣٤٠ والشعر لمعاوية.

(٢) عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو، أبو الطفيل الليثي، شاعر فارسي من كنانة، مات سنة ١٠٠ هـ، وهو آخر من مات في مكة من الصحابة.

(٣) سورة النحل: آية ٦٦.

يخشى على عقل شاربه، ولبن ابن آدم زيادة في المال، إذ هو زاد في الثدي، ولا يحمد لمن رضعه فإنه يدل على داء مكروه. قال محمد بن سيرين: لا أحب الراضع ولا المرضع، فإن شربه المريض، شفي من مرضه، لأن به كان نشؤه وقوته ومن بدد اللبن فقد ضيع دينه، ومن رأى اللبن يخرج من الأرض، فإنها فتنة يراق فيها الدم على قدر ذلك اللبن، ولبن الكلاب والذئاب والسنانير خوف أو مرض. وقيل: إن لبن الذئب مال من سلطان، ورياسة على قوم. ولبن الهوام، من شربه فإنه يصالح أعداءه، والله تعالى أعلم.

القُدس: بالضم العنكبوت، والجمع قدسة كفردة.

الفرأ: الحمار الوحشي، والجمع الفراء، مثل جبل وجبال، وفي المثل[1] «كل الصيد في جوف الفرا». قاله النبي ﷺ لأبي سفيان بن الحارث. وقيل: لأبي سفيان بن حرب، كذا قاله أبو عمر بن عبد البر، وقال السهيلي: الصحيح أنه ﷺ قاله لابن حرب يتألف به، وذلك أنه استأذن على النبي ﷺ، فحجب قليلاً ثم أذن له، فلما دخل قال: ما كدت تأذن لحجارة الجلهمتين، وهما جانبا الوادي، فقال النبي ﷺ: «يا أبا سفيان أنت كما قيل: «كل الصيد في جوف الفرا»، قال له النبي ﷺ ذلك يتألفه عن الإسلام، يعني إذا حجبتك منع كل محجوب، وقال في كلامه على فتح مكة، الأصح أن النبي ﷺ قاله لأبي سفيان بن الحارث، وكان رضيع النبي ﷺ أرضعتهما حليمة، وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه، فلما بعث ﷺ كان أبعد الناس وأهجاهم له، إلى أن أسلم، فكان أصح الناس إيماناً، وألزمهم لرسول الله ﷺ، وأصل هذا المثل أن جماعة ذهبوا إلى الصيد، فصاد أحدهم ظبياً، والآخر أرنباً، والآخر حمار وحش، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا على الثالث فقال الثالث: «كل الصيد في جوف الفرا»، أي الذي رزقت وظفرت به مشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس فيما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش. ثم اشتهر ذلك المثل واستعمل في كل حاو لغيره وجامع له قال الشاعر:

يقولون كافاتُ الشتاءِ كثيرةٌ ... وما هي إلا واحد غير ممتري
إذا صحّ كاف الكيسِ فالكل حاصلٌ ... لديكَ وكل الصيدِ في جوفِ الفرا

الفراش: دواب مثل البعوض، واحدتها فراشة، وهي التي تطير وتتهافت في السراج لضعف أبصارها، فهي بسبب ذلك تطلب ضوء النهار، فإذا رأت فتيلة السراج بالليل ظنت أنها في بيت مظلم، وأن السراج كوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فلاتزال تطلب الضوء وترمي بنفسها إلى النار، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة، ولم تقصدها على السداد، فتعود إليها مرة بعد مرة، حتى تحترق.

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي: ولعلك تظن أن هذا لنقصان فهمها وجهلها، ثم قال: فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الإنسان في الاكباب على الشهوات، والتهافت فيها، أعظم جهالة منها، لأنه لا يزال يرمي بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكاً

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٣٥.

مؤبداً. فليت جهل الآدمي كان كجهل الفراش، فإنها باغترارها بظاهر الضوء، إن احترقت، تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد، أو مدة مديدة، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم»(١). انتهى. ولقد أجاد مهلهل بن يموت(٢) في قوله(٣):

جلّتْ محاسنه عن كلّ تشبيه ... وجلّ عن واصفٍ في الحسنِ يحكيه
انظر إلى حسنه واستغن عن صفتي ... سبحانَ خالقه سبحان باريه
النرجسُ الغضُّ والوردُ الجني له ... والأقحوانُ النضيرُ الغض في فيه
دعا بألحاظِه قلبي إلي عطبي ... فجاءه مسرعا طوعا يلبيه
مثل الفراشة تأتي إذا ترى لهبا ... إلى السراجِ فتلقي نفسَها فيه

وقال(٤) عون الدين العجمي(٥):

لهيبُ الخدِّ حين بدا لطرفي ... هوى قلبي عليه كالفراشِ
فأحرقَه فصار عليه خالا ... وها أثرُ الدخانِ على الحواشي

فائدة: قال الله تعالى: ﴿يومَ يكونُ الناسِ كالفراشِ المبثوثِ﴾(٦) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والتطاير إلى الداعي، من كل جانب كما يتطاير الفراش. روى مسلم عن جابرٍ رضي الله تعالى عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مثلي ومثلكم كمثَلِ رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفلتون من يدي»(٧) وروى مسلم أيضاً عن ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به ومن فوقها، فيقبض منها، قال تبارك وتعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾(٨) قال: فراش من ذهب. وروى البيهقي، في الشعب عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال(٩): «ما لي أراكم تتهافتون في الكذب، تهافت الفراش في النار، كل الكذب مكتوب إلا الكذب في الحرب، والكذب في إصلاح ذات البين، وكذب الرجل على امرأته ليرضيها».

---

(١) رواه ابن حنبل: ٦/٤٥٤.
(٢) ابن يموت: مهلهل بن يموت بن المزرع العبدي، من شعراء مصر أيام الدولة الأخشيدية. توفي سنة ٣٣٤ هـ.
(٣) الأبيات في وفيات الأعيان: ٧/٥٩.
(٤) الأبيات في وفيات الأعيان: ٦/٢٥٢.
(٥) عون الدين أبو الربيع سليمان بن بهاء الدين عبد المجيد بن العجمي الحلبي المتوفي سنة ٦٥٦ هـ.
(٦) سورة القارعة: آية ٤.
(٧) رواه البخاري: أنبياء: ٤٠. ومسلم: فضائل ١٧، ١٨، ١٩.
(٨) سورة النجم: آية ١٦.
(٩) رواه ابن حنبل: ٦ ـ ٤٥٤.

الحكم: تحريم الأكل.

الأمثال: قالوا: «أطيش من فراشة[1] وأضعف[2] وأذل وأجهل[3] وأخف[4] وأخطأ[5] من فراشة»، لأنها تلقي نفسها في النار، كما قالوا: «أخطأ وأجهل من ذباب»[6]، لأنه يلقي نفسه في الطعام الحار وفيما يهلكه، قال الشاعر:

سفـاهـةُ سنـور وحلمُ فـراشـة   وأنـك من كلب المهـارش أجهـل

التعبير: الفراش في المنام عدو ضعيف مهين عظيم الكلام، وقال ارطاميدروس: الفراش للفلاحين يدل على البطالة والله أعلم.

الفرافصة: بالضم اسم للأسد، وبالفتح اسم لرجل وقيل: كل فرافصة في العرب، فهو بالضم إلا فرافصة أبا نائلة صهر عثمان رضي الله تعالى عنه، فإنه بالفتح، وهو الذي ذكره مالك في الموطأ، في أبواب الصلاة عن يحيى بن سعيد عن ربيعة بن عبد الرحمن عن القاسم بن محمد أن الفرافصة بن عمير الحنفي قال: ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها.

الفرخ: ولد الطائر، هذا الأصل وقد استعمل في كل صغير من الحيوان والنبات، والأنثى فرخة وجمع القلة أفرخ وأفراخ، والكثرة فراخ. روى أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين، عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً ثم أتاهم فقال[7]: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»، ثم قال ﷺ: «ادعوا إلى بني أخي». فجيء بنا كأننا أفرخ، فقال ﷺ: «ادعوا إلي الحلاق»، فأمره فحلق رؤوسنا.

وروى البزار، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ، كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون، إذ أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه، حتى سقط على أيدي الذين أخذوا الفرخ، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال[8] ﷺ: «والله لله أرحم بعباده من هذا الطير بفرخه».

وفي سنن أبي داود، في أوائل كتاب الجنائز، من حديث عامر الرام أخي الخُضر بضم الخاء وإسكان الضادين المعجمتين، وهو فرد في الأسماء، قال[9]: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد لف عليه طرف كسائه، فقال: يا رسول الله إني لما رأيتك أقبلت، فمررت بغيضة شجر، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن، فلففتها معهن،

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢١.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢/٨.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٢٧٠.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٦.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٣٥٧.
(٦) جمهرة الأمثال: ١/٣٥٧.
(٧) رواه البخاري: مرضى ١٦، ومسلم: حج ٨٦، وأبو داود: مناسك ٧٨.
(٨) رواه أبو داود: جنائز ١.
(٩) رواه أبو داود: جنائز ١.

وهـا هن فيه معي. فقـال ﷺ: «ضعهن عنك». فـوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن، فقـال النبي ﷺ لأصحابه: «أتعجبون لرحمة أم الفراخ فراخها»؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال ﷺ: «فوالذي بعثني بالحق نبياً لله أرحم بعباده من أم هؤلاء الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن». فرجع بهن وأمهن ترفرف عليهن.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[1]: «إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فبها يعطف الرجل على ولده، والطير على فراخه، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق». قال أبو أيوب السجستاني: إن رحمة الله قسمها في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام، وإني لأرجو من تسع وتسعين رحمة، ما هو أكثر من ذلك.

وروى[2] مسلم أيضاً والنسائي والترمذي، عن ثابت عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت، وفي رواية الترمذي: قد جهد فصار مثل الفرخ، فقال له النبي ﷺ: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه»؟ قال: نعم. كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». قال: فدعا الله به فشفاه.

ومعنى قوله: مثل الفرخ أنه ضعف ونحل جسمه، وخفي كلامه. وتشبيهه له بالفرخ يدل على أنه تناثر أكثر شعره، ويحتمل أن يكون شبهه به لضعفه، والأول أوقع في التشبيه. ومعلوم أن مثل هذا المرض لا يبقى معه شعر ولا قوة. وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة، وفيه فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وفيه جواز التعجب بقول: سبحان الله، وقوله ﷺ: «إنك لا تطيقه»، يعني أن عذاب الآخرة لا يطيقه أحد في الدنيا لأن نشأة الدنيا ضعيفة لا تحتمل العذاب الشديد، والألم العظيم، بل إذا عظم على الإنسان هلك ومات. وأما نشأة الآخرة، فهي للبقاء إما في النعيم أو العذاب، إذ لا موت، كما قال الله تعالى: في حق الكفار ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[3] نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، ثم إن النبي ﷺ أرشده إلى أحسن ما يقال لأنها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والآخرة، وذلك أن النكرة في سياق الطلب عامة، فكأنه يقول: اعطني كل حالة حسنة في الدنيا والآخرة.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في الآية اختلافاً يدل على عدم التوفيق، وعلى قلة التـأمل لوضع الكلمة، فقيل: الحسنة في الدنيـا العلم والعبادة، وفي الآخـرة الجنة والمغفـرة، وقيل: العافية، وقيل: المال وحسن المآل، وقيل: المرأة الصالحة والحور العين.

والصحيح الحمل على العموم، قال النووي: وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة أنها في الدنيا

---

(١) رواه البخاري: رقاق ١٩، ومسلم توبة ١٨، ٢١.

(٢) رواه الترمذي: دعوات ٩٩، وابن ماجه: زهد ٣٥.

(٣) سورة النساء: آية ٥٦.

العبادة والعافية وفي الآخرة الجنة والمغفرة. وقيل: الحسنة نعيم الدنيا ونعيم الآخرة.

وفي تاريخ ابن النجار وعوالي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك الأنصاري قاضي البصرة وعالمها ومسندها، وهو من كبار شيوخ البخاري، من حديث الحسن بن أبي الحسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «كان فيمن قبلكم رجل يأتي وكر طائر، كلما أفرخ أخذ فراخه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به، فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه، فلما أفرخ ذلك الطير، خرج ذلك الرجل كما كان يخرج، فبينما هو في بعض الطريق سأله سائل فأعطاه رغيفاً كان معه يتغذاه، ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه، فقالا: ربنا إنك لا تخلف الميعاد، وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد، وقد عاد وأخذ فرخينا ولم تهلكه، فأوحى الله إليهما، ألم تعلما أني لا أهلك أحداً تصدق بصدقة في يومه بموتة سوء وقد تصدق».

فائدة: كانت رؤية فرخ الطائر سبباً لتمني حنة امرأة عمران الولد، وذلك أنها كانت عاقر لم تلد إلى أن عجزت، فبينما هي في ظل شجرة إذ رأت طائراً يزق فرخاً فتحركت نفسها للولد وتمنته ﴿فقالت: ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني مُحرّراً فتقبلْ مني إنك أنتَ السميعُ العليم﴾(١)، أي السميع لدعائي العليم بضميري، فنذرت أن تتصدق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمته، وكان ذلك في شريعتهم جائزاً فحملت بمريم، وهلك عمران وهي حامل ﴿فلما وضعتْها، قالتْ: ربِّ إني وضعتُها أنثى والله أعلمُ بما وضعتْ وليس الذكرُ كالأنثى وإني سميتُها مريمَ وإني أُعيذُها بك وذريتَها من الشيطان الرجيم، فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسن وأنبتها نباتاً حسناً﴾(٢) ووصفها بأنها أحصنت فرجها. قال الزمخشري: إحصاناً كلياً عن الحلال والحرام جميعاً. كما قال(٣) تعالى: ﴿ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغيًا﴾ وقال السهيلي: أحصنت فرجها، يريد فرج القميص، أي لم يتعلق بثوبها ريبة، فهي طاهرة الأثواب، وفروج القميص أربعة: الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن فكرك إلى غير هذا، وهذا من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنىً وأوجز لفظاً، وألطف إشارة، وأحسن عبارة، من أن يريد ما يذهب إليه وهم الجاهل، لاسيما والنفخ من روح القدس، بأمر القدوس، فأضف القدس إلى القدوس، ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس وبالله التوفيق.

فرع: ومن أحكام الفرخ أنه إذا غصب إنسان بيضاً فحضنه دجاجه، كانت الفراخ لصاحب البيض لأنها من عين المغصوب، وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: يضمن البيض ولا يرد الفراخ، واستدل على ذلك بأنه خلق سوى البيض، قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ثم أنشأناه خَلقاً آخر﴾(٤).

وفي كتاب التحفة المكية للقاضي نصر العمادي، عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال: بلغني أنه كان رجل من بني إسرائيل ذبح عجلا بين يدي أمه فأيبس الله يده، فبينما هو ذات

---

(١) سورة آل عمران: آية ٣٥.

(٢) سورة آل عمران: آية ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة مريم: آية ٢٠.

(٤) سورة المؤمنون: آية ١٤.

يوم جالس وإذا بفرخ طائر سقط من وكره فجعل ينظر ويبصبص إلى أبويه، وأبواه ينظران ويبصبصان إليه، فأخذه ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له فرحمه الله لرحمته لذلك الفرخ، ورد عليه يده بما صنع والله تعالى أعلم.

التعبير: الفراخ المشوية في المنام مال ورزق بتعب لمسه النار، فمن رأى أنه أكل لحم فرخ نيئاً فإنه يغتاب أهل بيت النبي ﷺ وأشراف الناس، ومن أكل لحم فراخ السباع من الطير كالشاهين والصقر والعقاب ونحوها، فإنه يغتاب أولاد الملوك أو ينكحهم، ومن اشترى فرخاً مشوياً فإنه يستأجر أجيراً والله تعالى أعلم.

الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس الذكر والأنثى في ذلك سواء، وأصله التأنيث، وحكى ابن جني والفراء فرسة. وقال الجوهري: هو اسم يقع على الذكر والأنثى، ولا يقال للأنثى فرسة، وتصغير الفرس فريس، وإن أردت الأنثى خاصة لم تقل إلا فُريسه بالهاء، ولفظها مشتق من الافتراس، لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها. وراكب الفرس فارس، وهو مثل لابن وتامر أي صاحب لبن وصاحب تمر، وفارس أي صاحب فرس، ويجمع على فوارس، وهو شاذ لا يقاس عليه. روى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يسمي الأنثى من الخيل فرساً، قال ابن السكيت: يقال لراكب ذي الحافر من فرس أو بغل أو حمار فارس. قال الشاعر:

وإني امرؤ للخيلِ عندي مزيةٌ على فارسِ البرذونِ أو فارسِ البغلِ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير: لا أقول لصاحب البغل فارس، ولكن أقول بغّال، ولا أقول لصاحب الحمار فارس، ولكن أقول حمّار. وكنية الفرس: أبو شجاع، وأبو طالب، وأبو مدرك، وأبو مضي، وأبو المضمار، وأبو المنجي. والفرس أشبه الحيوان بالإنسان، لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس، وعلو الهمة. وتزعم العرب أنه كان وحشياً، وأول من ذلله وركبه إسماعيل عليه السلام. ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث، مادام راكبه عليه. ومنها ما يعرف صاحبه، ولا يمكن غيره من الركوب عليه. وكان لسليمان عليه السلام خيل ذوات أجنحة.

والخيل نوعان: هجين وعتيق، والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس، وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون، والبرذون أحمل من الفرس، والفرس أسرع من البرذون، والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة، فالعتيق من الخيل ما أبواه عربيان، سمي بذلك لعتقه من العيوب، وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة، والعتيق الكريم من كل شيء، والخيار من كل شيء التمر والماء والبازي والشحم. وسميت الكعبة البيت العتيق لسلامتها من عيب الرق، لأنها لم يملكها ملك من الملوك الجبابرة قط. وسمي أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عتيقاً لجماله، ويقال لأن النبي ﷺ قال له: «أنت عتيق الرحمن من النار»[1]. ولم يزل بعين الرضا من الله. ويقال لأن أمه كان لا يعيش لها ولد، فلما عاش سمته عتيقاً لأنه عتق من الموت.

---

(١) رواه الترمذي: مناقب ١٦.

فائدة: قال الزمخشري، في تفسير سورة الأنفال: وفي الحديث «أن الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق، ولا دار فيها فرس عتيق». وروى الحافظ شرف الدين الدمياطي، في كتاب الخيل، حديثاً عزاه إلى ابن منده في كتاب الصحابة وإلى ابن سعد في الطبقات، وإلى ابن قانع في معجم الصحابة، من حديث عبد الله بن عريب المليكي، عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان لا يخبل أحداً في دار فيها فرس عتيق» انتهى. وكذلك رواه الحارث بن أبي أسامة، عن المليكي، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، ورواه الطبراني في معجمه، وابن عدي في كامله، في ترجمة سعيد بن سنان، ثم ضعفه.

وروى القاضي أبو القاسم علي بن محمد النخعي، في كتاب الخيل، وهو كتاب لطيف نسخته موقوفة بالفاضلية، قال: حدثنا الحسن بن علي بن عفان، قال: حدثنا الحسن بن عطية، عن طلحة بن زيد عن الوضين بن عطاء عن سليمان بن يسار، أن النبي ﷺ، قال في هذه الآية[1] ﴿وآخرين مِن دونهم لا تعلمونَهم الله يعلمُهم﴾ قال: هم الجن لا يدخلون داراً فيها فرس عتيق. وقال مجاهد، في تفسير هذه الآية: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن: هم المنافقون. وقيل: هم كفار الجن، كما تقدم. قال ابن عبد البر، في التمهيد: الفرس العتيق هو الفاره عندنا. وقال صاحب العين: هو السابق.

وفي المستدرك، من حديث معاوية بن حديج، بالحاء المهملة المضمومة، والدال المهملة المفتوحة، وبالجيم في آخره، وهو الذي أحرق محمد بن أبي بكر بمصر رضي الله تعالى عنهما، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال[2]: «ما من فرس عربي إلا يؤذن له كل يوم بدعوتين: يقول اللهم كما خولتني من خولتني فاجعلني من أحب ماله إليه». ثم قال: صحيح الإسناد.

ولهذا الحديث قصة، ذكرها النسائي، في كتاب الخيل من سننه، فقال: قال أبو عبيدة: قال معاوية بن حديج: لما افتتحت مصر، كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها دوابهم، فمر معاوية بأبي ذر رضي الله تعالى عنهما، وهو يمرغ فرساً له، فسلم عليه ثم قال: يا أبا ذر ما هذا الفرس؟ فقال: هذا فرس لا أراه إلا مستجاب الدعاء، قال: وهل تدعو الخيل وتجاب؟ قال: نعم، ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه، فيقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده، اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده. فمنها المستجاب، ومنها غير المستجاب، ولا أرى فرسي هذا إلا مستجاباً. وروى الحاكم عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، قال: إذا أردت أن تغزو، فاشتر فرساً أدهم محجلاً طلق اليمين، فإنك تغنم وتسلم. ثم قال: صحيح على شرط مسلم. والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية، والمقرف، وهو بضم الميم وإسكان القاف، وبالراء المهملة والفاء في آخره عكسه. وكذلك في بني آدم، وأنشد[3] أبو عبيد القاسم بن سلام لهند ابنة النعمان بن بشير:

---

(١) سورة الأنفال: آية ٦٠.

(٢) رواه النسائي: خيل ٩، وابن حنبل ٥ - ١٦٢ - ١٧٠.

(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٩٥.

وهــل هــنــدُ إلا مـهــرةٌ عــربـيــةٌ		ســليلةُ أفـراسٍ تجـلّلها بــغـلُ
فـإن نتجتْ مُهراً كـريماً فبـالحـري		وإن يـك أقـراف فمِن قِبلِ الفحلْ

قال البطليوسي في شرحه: هكذا رويناه: فمن قبل الفحل. والرواية الأخرى:

وإن يكُ أقرافُ فما أنجبَ الفحلُ

وقال: قد روي هذا الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير، وأنها قالته في الفيض بن عقيل الثقفي. فمن رواه لحميدة روى:

وما أنا إلا مهرةٌ عربيةٌ

وكانت حميدة في أول أمرها تحت الحارث بن خالد المخزومي فتركته وقالت فيه:

فـقـدتُ الـشـيـوخَ وأشـيـاعَـهـم		وذلــك مــن بــعـضِ أقــوالــيــه
تــرى زوجــةَ الشيـخِ مغـمـومـةً		وتمسي لــصــحــبــتــه قــالــيــه[1]

فطلقها الحارث وتزوجها روح بن زنباع فتركته وقلته وهجته فقالت[2] فيه:

بكى الخـزُّ من رَوحٍ وأنكـر جـلدَه		وعجتْ عجيجاً من جذامِ المطارفُ[3]
وقــال العبـاءُ نــحن كـنـا ثيـابَهـم		وأكـســيــةٌ مــطروحــةٌ وقــطـائــفُ

فطلقها روح، وقال: ساق الله إليك فتى يسكر ويقيء في حجرك، فتزوجها الفيض بن عقيل الثقفي، فكان يسكر ويقيء في حجرها. فكانت تقول: أجيبت في دعوة بن زنباع، وكانت تهجوه وتقول:

سمّيتَ فيضـاً ومـا شيءٌ تفيضُ بــه		إلا بسلحِــك بــين البــابِ والــدارِ
فتلك دعــوةُ روحِ الخـيرِ أعــرفُهــا		سقى الإلــه ثـراه الأوطف الســاري

قال البطليوسي: قد أنكر كثير من الناس رواية بغل بالباء، لأن البغل لا ينتَج. قالوا: والصواب نغل بالنون، وهو الخسيس من الدواب.

وفي سنن البيهقي، في كتاب البيوع، وأن عبد الرحمن بن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما، فرساً بأربعين ألفاً. والفرس الذي اشتراه النبي ﷺ من الأعرابي وشهد له به خزيمة اسمه المرتجز، واسم الأعرابي سواد بن الحارث المحاربي وكان النبي ﷺ ابتاعه منه، فاستتبعه ليقبض ثمنه منه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فساومه رجال لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه منه، فنادى الأعرابي إن كنت مبتاعاً هذا الفرس، وإلا بعته؟ فقال النبي ﷺ: «أوليس قد ابتعته منك»؟ فقال الأعرابي: لا والله. وطفق الأعرابي يقول: هلم بشهيد! فقال خزيمة: أنا أشهد، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «بم تشهد» قال: بتصديقك يا رسول الله،

---

(١) قالية: كارهة.	(٢) معجم الأدباء: ٣/٧٠.	(٣) الخز: الحرير، المطارف: المتاع الثمين.

فجعل رسول الله ﷺ «شهادة خزيمة بشهادة رجلين». أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم.

وفي رواية في الحديث «هل حضرتنا يا خزيمة»؟ قال: لا. قال: «فكيف تشهد بذلك»؟ فقال خزيمة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أصدقك على أخبار السماء، وما يكون في غد ولا أصدقك في ابتياعك هذا الفرس! فقال عليه الصلاة والسلام: «إنك لذو الشاهدتين يا خزيمة». وفي رواية صحيحة عند الطبراني أن النبي ﷺ، قال: «من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه». وقال السهيلي: وفي مسند الحارث زيادة، وهي أن النبي ﷺ رد الفرس على ذلك الأعرابي، وقال: «لا بارك الله لك فيها». فأصبحت من الغد شائلة برجليها، أي ماتت.

ومن أغرب ما اتفق لخزيمة رضي الله تعالى عنه، ما رواه(١) الإمام أحمد من عدة طرق، برجال ثقات أنه رأى في النوم أنه سجد على جبهة رسول الله ﷺ، فجاء النبي ﷺ، فذكر له ذلك، فاضطجع له النبي ﷺ فسجد خزيمة على جبهته.

وفي مسند الإمام أحمد، عن روح بن زنباع أنه روى عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه، أنه قال: إن النبي ﷺ قال(٢): «من نقى لفرسه شعيراً ثم جاء حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة». ورواه ابن ماجه بمعناه.

وفي كتب الغريب أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يحب الرجل القوي المبدي المعيد على الفرس». أي المبدي المعيد الذي أبدى في غزوه وأعاد، فغزا مرة بعد مرة، أي جرب الأمور طوراً بعد طور. والفرس المبدي المعيد الذي غزا عليه صاحبه مرة بعد أخرى، وقيل: هو الذي قد ريض وأدب وصار طوع راكبه. وفي الصحيح(٣) أن النبي ﷺ ركب فرساً معروراً لأبي طلحة، وقال: «إن وجدناه لبحراً». وفي الفائق، أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب ﷺ فرساً مقرفاً وركض في آثارهم، فلما رجع قال: «إن وجدناه لبحراً». قال حماد بن سلمة: كان هذا الفرس بطيئاً. فلما قال النبي ﷺ هذا القول، صار سابقاً لا يلحق.

وروى النسائي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي الجعد أخي سالم بن أبي الجعد، عن جعيل الأشجعي رضي الله تعالى عنه، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وأنا على فرس عجفاء، فكنت في آخر الناس، فلحقني النبي ﷺ فقال: «سر يا صاحب الفرس»، فقلت: يا رسول الله إنها فرس عجفاء ضعيفة، قال: فرفع ﷺ مخفقة كانت معه فضربها بها، وقال: «اللهم بارك فيها». فلقد رأيتني ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفاً.

وروي عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلة صهيلها. قال ابن محيريز: كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف، وإناث الخيل عند البيات والغارات.

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥/٢١٤.
(٢) رواه ابن حنبل: ٤/١٠٣.
(٣) رواه البخاري: جهاد ٥٥. ومسلم: فضائل ٤٨.

وروى البخاري عن سعيد المقبري، أنه قال: سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: قال[1] النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله تعالى إيماناً بالله عز وجل واحتساباً وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة». يعني حسنات.

وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال[2]: «الخيل لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر»، فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله تعالى، فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفاً أو شرفين كانت أبوالها وأرواثها له حسنات، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى منه كان ذلك له حسنات، فهي لذلك أجر، ورجل ربطها تغنياً وتعففاً ولم ينس حق الله تعالى في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك ستر، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر.

وسئل[3] ﷺ عن الحمر فقال: «ما أنزل الله علي فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فمَن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يرهُ ومَن يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره﴾[4] وقد تقدم قريب من ذلك. وروى ابن حبان، في صحيحه عن أبي عامر الهوزني، عن ابن كبشة الأنماري، واسمه عمرو بن سعد، أنه أتاه فقال: أطرقني فرسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أطرق فرساً فعقب له كان له كأجر سبعين فرساً حمل عليها في سبيل الله تعالى، وإن لم يعقب كان كأجر فرس حمل عليها في سبيل الله».

وفي طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور، بنفسه والمحبة لصاحبه، ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره، ومن علو همته أن أشقر مروان كان سائسه، لا يدخل عليه إلا بإذن وهو أن يحرك له المخلاة، فإن حمحم دخل، وإن دخل ولم يحمحم شد عليه، والأنثى من الخيل ذات شبق شديد، ولذلك تطيع الفحل من غير نوعها وجنسها. قال الجاحظ: والحيض يعرض للإناث منهن لكنه قليل، والذكر ينزو إلى تمام أربعين سنة، وربما عمر إلى تسعين. والفرس يرى المنامات كبني آدم، وفي طبعه أنه لا يشرب الماء إلا كدراً، فإذا رآه صافياً كدره. ويوصف بحدة البصر، وإذا وطىء على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك، ويخرج الدخان من جلده. قال الجوهري: ويقال إن الفرس لا طحال له، وهو مثل لسرعته وحركته. كما يقال: البعير لا مرارة له أي لا جسارة له.

وأفاد الإمام أبو الفرج بن الجوزي أن من واظب على البداءة في لبس النعل باليمين، والخلع باليسار أمن من وجع الطحال. وأفاد غيره أن سورة الممتحنة، إذا كتبت وغسلت أو سقي المطحول ماءها فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. ومما جرب أيضاً فوجد نافعاً أن تكتب هذه الحروف على

---

(١) رواه البخاري: جهاد ٣٧٤. والنسائي خيل ١١.

(٢) رواه البخاري: جهاد ٤٨، مساقاة ١٢، مناقب ٢٨. ومسلم: زكاة ٢٤.

(٣) رواه البخاري: جمعة ٢٨، جهاد ١٠٢. ومسلم: فضائل القرآن ٣٢.

(٤) سورة الزلزلة: آية ٧، ٨.

قطعة فروة، وتعلق على الجانب الأيسر وتترك بطول الجمعة وهذه صورة ما يكتب:

ا د ا ح ح هم مامل ملما	محد الى راى	١٨٩٧٣

صالح صح وصح م له صالح دون مانع من الى ان تنصره ومره

ومما جرب للطحال أيضاً أن يكتب ويعلق على العضد الأيسر وهو هذا:

٢٥٩٤٨١٩٢٣ ح ح د د صوع

ومما جرب للطحال أيضاً، أن يكتب في ورقة ويحرق في ملعقة على الطحال:

وعلم بضميرهم.

ومما جرب أيضاً أن يكتب في يوم السبت، قبل طلوع الشمس، ويربط بخيط صوف، ويعلق على الجانب الأيمن مثل تعليق السيف وهو هذا كما ترى:

ح ح ه دم ص ها ا ص
اح اا ح ماتت الى الابد

وروينا في كتاب المجالسة للدينوري المالكي، في آخر الجزء العاشر عن إسماعيل بن يونس، قال: سمعت الرياشي يقول عن أبي عبيدة وأبي زيد، أنهما قالا: الفرس لا طحال له، والبعير لا مرارة له، والظليم لا مخ له. قال أبو زيد: وكذلك طير الماء، وحيتان البحر لا ألسنة لها، ولا أدمغة. والسمك لا رئة له، ولذلك لا يتنفس وكل ذي رئة يتنفس. وروى الجماعة إلا ابن ماجه، من حديث مالك عن الزهري، عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر، عن أبيهما رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال[١]: «إن يكن الخير في شيء ففي ثلاث: المرأة والدار والفرس». وفي رواية[٢] «الشؤم في ثلاث: المرأة والدار والفرس» وفي رواية «الشؤم في أربع: المرأة والدار والفرس والخادم».

قلت: وقد اختلفت العلماء في معنى الحديث، فقيل: معناه على اعتقاد الناس في ذلك لا أنه خبر من النبي ﷺ عن إثبات الشؤم. وروي ذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها ففي مسند أبي داود الطيالسي، عنها أنه قيل لها: إن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس». فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله اليهود، يقولون: الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس». فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله انتهى.

قال البطليوسي: وهذا غير منكر أن يعرض لأنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر في مجالسة

(١) رواه ابن ماجه: نكاح ٥٥.   (٢) رواه ابن حنبل: ٢/٨٥.

الأخيار حكاية ويتكلم بما لا يريد به أمراً ولا نهياً، ولا أن يجعله أصلاً في دينه، وذلك معلوم من فعله، مشهور من قوله. وهذا نظير ما اتفق في قوله[1] ﷺ «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه». وفي الصحيحين لكن قالت عائشة رضي الله تعالى عنها إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية، وهم يبكون عليها فقال عليه الصلاة والسلام «إنهم يبكون وإنها لتعذب ببكاء أهلها عليها». وقال مالك وطائفة: قوله ﷺ «الشؤم في ثلاث» الحديث. على ظاهره، فإن الدار قد يجعل الله سكناها سبباً للضرر والهلاك، وكذلك المرأة والفرس والخادم، يجعل الله الهلاك أو الضرر عند وجودهم بقضاء الله وقدره.

وقال ابن القاسم: سئل مالك عن هذا، فقال: كم من دار سكنها قوم فهلكوا، ثم سكنها آخرون فهلكوا. يعني أنه عام على ظاهره. وقال الخطابي: وكثيرون هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي أن الطيرة منهي عنها، إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم يكره إقامتها، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه، وطلاق المرأة. وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها. وقيل: حرانها وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوى خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه، وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة.

واعترض بعض الملحدة بحديث «لا طيرة» على هذا، وأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هـذا مخصوص من حديث لا طيرة، أي لا طيرة إلا في هذه الثلاثة. قال الحافظ الدمياطي: ومن أغرب ما وقع لي في تأويله، ما رويناه بالإسناد الصحيح عن يوسف بن موسى القطان، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري عن سالم، عن أبيه رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال[2]: «البركة في ثلاث: في الفرس والمرأة والدر». قال يوسف: سألت سفيان بن عيينة عن معنى هذا الحديث، فقال سفيان: سألت عنه الزهري، فقال الزهري: سألت عنه سالماً، فقال سالم: سألت عنه أبي عبدالله بن عمر، فقال عبدالله بن عمر: سألت عنه النبي ﷺ فقال: «إذا كان الفرس ضروباً فهو مشؤوم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجاً غير زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤومة، وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد فلا يسمع فيها الأذان والإقامة فهي مشؤومة، وإذا كن بغير هذه الصفات فهن مباركات». وفي الموطأ أن رجلاً أخبر النبي ﷺ أنهم سكنوا داراً وعددهم كثير، ومالهم وافر فقل العدد وذهب المال فقال النبي ﷺ: «دعوها ذميمة»[3]. وأمرهم ﷺ بالخروج منها، لاعتقادهم ذلك فيها، وظنهم أن الذهاب للعدد والنفاد للمال، إنما كان منها، وليس كما ظنوا ولكن الباري سبحانه وتعالى جعل ذلك وقتاً لظهور قضائه وقدره، فيجهل الخلق ذلك، فينسبونه إلى الجماد الذي لا ينفع ولا يضر، وهذا كقوله[4] عليه الصلاة والسلام: «لا عدوى ولا طيرة ولا يورد ممرض على مصح». لأن الله تعالى يخلق الجرب في الصحيح فيعتقد المصح أن ذلك من

(١) رواه البخاري: جنائز: ٣٢. ومسلم: جنائز ١٦.
(٢) رواه ابن ماجه: تجارات: ٦٣.
(٣) رواه أبو داود: ٢٤. الموطأ: استئذان ٢٣.
(٤) رواه البخاري: طب ١٩. ومسلم: سلام ١٠٢.

الجرب فيتأذى قلبه ودينه. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وهذه الدار كانت دار الأسود بن عوف أخي عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وهو السائل.

وفي سنن أبي داود، من حديث فروة بن مسيك رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، أرض عندنا يقال لها أرض أبين، هي أرض ريفنا وميرتنا، وإنها وبيئة، أو قال: وباؤها شديد، فقال رسول الله ﷺ: «دعها عنك فإن من القرف التلف». قال ابن الأثير: القرف ملابسة الداء ومداناة المرض، والتلف الهلاك وليس هذا من باب العدوى، وإنما هو من باب الطب، فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان، وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام.

فائدة: قال السهيلي في الكلام على غزوة ذي قرد: في الفرس عشرون عضواً، كلّ عضو منها يسمى باسم طائر، فمنها النسر والنعامة والهامة والباز والسمامة والسعدانة، وهي الحمامة، والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والخرب، وهو ذكر الحبارى، والناهض، وهو فرخ العقاب، والخطاف، ذكرها وبقيتها الأصمعي. وروى فيها شعراً لجرير.

تتمة: روى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أبي الطفيل، أن رجلاً ولد له غلام على عهد رسول الله ﷺ، فأتى به النبي ﷺ فأخذ عليه الصلاة والسلام ببشرة جبهته[1] و«دعا له بالبركة»، فنبتت شعرة جبهته كهيئة غرة الفرس، وشب الغلام، فلما كان زمن الخوارج أحبهم، فسقطت الشعرة من جبهته، فأخذه أبوه فقيده وحبسه، مخافة أن يلحق بهم. قال: فدخلنا عليه فوعظناه، وقلنا له: ألم تر إلى بركة دعوة رسول الله ﷺ كيف وقعت من جبهتك؟ فمازلنا به حتى رجع عن رأيهم، فرد الله عز وجل الشعرة بعد في جبهته، وتاب ولم تزل إلى أن مات.

وروى الطبراني عن عائذ بن عمرو رضي الله تعالى عنه، قال: أصابتني رمية وأنا أقاتل مع رسول الله ﷺ يوم خيبر في وجهي فلما سالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري، سلت رسول الله ﷺ الدماء عني، ثم دعا لي فكان ذلك الموضع الذي أصابته يد رسول الله ﷺ في صدري له غرة سائلة كغرة الفرس.

وذكر ابن ظفر، في أعلام النبوة، أن حبراً يهودياً، أوطن مكة فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملأ من بني عبد مناف وبني مخزوم، فقال: هل ولد الليلة فيكم مولود؟ فقالوا: ما نعلمه. فقال: أما إذا أخطأكم، فاحفظوا ما أقول لكم: ولد الليلة نبي هذه الأمة الآخرة، وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء، حولها شعرات متتابعات، كأنهن عرف فرس، يمتنع من الرضاع ليلتين. فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله، فلما صاروا إلى منازلهم، أخبرهم نساؤهم أنه ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فلما التقوا في ناديهم، تحدثوا بذلك، وجاءهم اليهودي فأخبروه، فقال: اذهبوا بي إليه حتى أراه، فخرجوا به فدخلوا على آمنة، وقالوا: أخرجي إلينا ابنك، فأخرجته لهم، فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة، فأغمي على اليهودي، فلما أفاق سألوه، فقال:

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٤٥٦.

خرجت النبوة من بني إسرائيل. ثم قال: لا تفرحوا به فوالله ليسطون عليكم سطوة، يخرج خبرها إلى المشرق والمغرب.

وذكر الكلبي، في تفسير قوله تعالى: ﴿وقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ الله ذلك قولُهم بأفواهِهم﴾[1] الآية، أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة، بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون إلى القبلة، ويصومون رمضان، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجلٌ شجاع يقال له بولس، وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال يوماً لليهود: إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار، وكان له فرس يقال له العقاب، يقاتل عليه، فعرقب فرسه وأظهر الندامة، ووضع على رأسه التراب، فقالت له النصارى: من أنت؟ فقال: بولس عدوكم، وقد نوديت من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تتنصر، وقد تبت، فأدخلوه الكنيسة، فدخل بيتاً فيها، فأقام سنة لا يخرج منه لا ليلاً ولا نهاراً، حتى تعلم الإنجيل، ثم خرج، فقال: نوديت أن الله تعالى قد قبل توبتك، فصدقوه وأحبوه.

ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم نسطور، وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال لهم: لم يكن عيسى بإنس ولا بجنٍ ولكنه ابن الله، وعلم ذلك رجلاً يقال له يعقوب، ثم دعا رجلاً يقال له يعقوب، ثم دعا رجلاً يقال له ملكان، وقال له: إن الإله لم يزل ولايزال عيسى، فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً، وقال لكلٍ واحد منهم: أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني. وقال لكل واحد منهم: إني غداً أذبح نفسي فادع الناس إلى نحلتك، ثم دخل المذبح فذبح نفسه، وقال: إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى. فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته، فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس، فافترقت النصاري ثلاث فرق: نسطورية ويعقوبية وملكية، فاختلفوا واقتتلوا، فقال الله تعالى: ﴿وقالتِ النَّصاري المسيحُ ابنُ الله ذلك قولُهم بأفواهِهم﴾[1] الآية. قال أهل المعاني: لم يذكر الله تعالى قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زوراً.

وذكر الإمام ابن بليان والغزالي وغيرهما، أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم، إلا سفيان الثوري فإنه لم يأته، وكان بينه وبينه صحبة، فشق عليه ذلك، فكتب إليه الرشيد كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري، أما بعد يا أخي، فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك، ولم أقطع منها ودك، وإني منطو لك على أفضل المحبة، وأتم الإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى، لأتيتك ولو حبواً لما أجد لك في قلبي من المحبة، وأنه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك، إلا زارني وهنأني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال، وأعطيتهم المواهب السنية ما فرحت به نفسي، وقرت به عيني، وقد استبطأتك، وقد كتبت كتاباً

(١) سورة التوبة: آية ٣٠.

مني إليك، أعلمك بالشوق الشديد إليك، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعَجَل العجل. ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني، وأمره بايصاله إليه وأن يحصي عليه بسمعه وقلبه، دقيق أمره وجليله، ليخبره به.

قال عباد: فانطلقت إلى الكوفة، فوجدت سفيان في مسجده، فلما رآني على بعد، قام وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير، قال: فنزلت عن فرسي بباب المسجد، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلي، قال: فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض علي الجلوس، وقد علتني من هيبتهم الرعدة، فرميت بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب، ارتعد وتباعد منه، كأنه حية عرضت له في محرابه، فركع وسجد وسلم، وأدخل يده في كمه، وأخذه وقلبه بيده، ورماه إلى من كان خلفه، وقال: ليقرأ بعضكم فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده. قال عباد: فمد بعضهم يده إليه، وهو يرتعد كأنه حية تنهشه، ثم قرأه فجعل سفيان يبتسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته، قال: اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره، فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة، فلو كتبت إليه في بياض نقي لكان أحسن، فقال: اكتبوا للظالم في ظهر كتابه، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا! فقيل له: ما نكتب إليه؟ قال: اكتبوا له:

بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذي سُلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن، أما بعد، فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، وإنك قد جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك، بما هجمت على بيت مال المسلمين، فأنفقته في غير حقه وأنفذته بغير حكمه ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عني، حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك، فأما أنا قد شهدت عليك، أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل، يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها في أرض الله، والمجاهدون في سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن، وأهل العلم يعني العاملين، أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل، أم رضي بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جواباً، وللبلاء جلباباً، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل، فاتق الله في نفسك، إذ سُلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن، ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً، وللظالمين إماماً، يا هارون قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت ستوراً دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون، ويشربون الخمر ويحدون الشارب، ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق، ويقتلون ويقتلون القاتل، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم، قبل أن يحكموا بها على الناس! فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله: أحشروا الظلمة وأعوانهم!؟ فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك وانصافك، والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار، وكأني بك يا هارون وقد

أخذت بضيق الخناق ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيآت غيرك في ميزانك، على سيآتك بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون في رعيتك، واحفظ محمداً ﷺ في أمته، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا، تفعل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزود زاداً نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإياك ثم إياك، أن تكتب إلي بعد هذا فإني لا أجيبك، والسلام.

وألقى الكتاب منشوراً من غير طي ولا ختم، فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة بقلبي فناديت يا أهل الكوفة من يشتري رجلاً هرب إلى الله؟ فأقبلوا إليّ بالدراهم والدنانير، فقلت: لا حاجة لي بالمال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية، فأتيت بذلك فنزعت ما كان علي من الثياب، التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي، إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً، فهزأ بي من كان على الباب، ثم استؤذن لي، فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه، ويدعو بالويل والحرب، ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل! ما لي وللدنيا والملك يزول عني سريعاً! فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلي فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه، وهو يشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان، فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن، فجعلته عبرة لغيره، فقال هارون: اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه، والشقي والله حقاً من جالستموه، إن سفيان أمة وحده. ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكي حتى توفي رحمه الله تعالى.

وذكر ابن السمعاني وغيره أن المنصور كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه في عدم إقامة الحق، فتطلبه المنصور فهرب إلى مكة، فلما حج المنصور بعث بالخشابين أمامه، وقال: حيثما وجدتم سفيان فاصلبوه، فوصل الخشابون ونصبوا الخشب فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم، ورأسه في حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر سفيان بن عيينه، فقالا له خوفاً عليه وشفقة: لا تشمت بنا الأعداء، فقام ومشى إلى الكعبة والتزم أستارها عند الملتزم، ثم قال: ورب هذه البنية لا يدخلها يعني المنصور، فزلقت راحلته في الحجون، فوقع من على ظهرها، فمات لوقته. فخرج سفيان وصلى عليه. وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر شيء من مناقبه ووفاته في باب الحاء المهملة، في لفظ الحمار.

الحكم: قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: ما لزم اسم الخيل من العراب والمقاريف والبراذين، فأكلها حلال، وهو قول القاضي شريح والحسن وابن الزبير وعطاء وسعيد بن جبير وحماد بن زيد والليث بن سعد وابن سيرين والأسود بن يزيد وسفيان الثوري وأبي يوسف ومحمد بن الحسن وابن المبارك وأحمد واسحاق وأبي ثور وجماعة من السلف. وقال سعيد بن جبير: ما أكلت أطيب من معرقة برذون، ودليل هذا ما اتفق عليه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأرخص في لحوم الخيل»(١) وذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعي إلى أنها مكروهة، إلا أن كراهتها عند مالك كراهة

---

(١) رواه البخاري: جهاد ٣٠. ومسلم صيد ٢٦.

تنزيه لا كراهة تحريم. واستدلوا بما في سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه أن النبي ﷺ «نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير»[1]، لقوله[2] تعالى: ﴿والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة﴾ وقال صاحب الهداية من الحنفية: فإن قلت الآية خرجت مخرج الامتنان، والأكل من أعلى منافعها، والحكيم لا يترك الامتنان بأعلى النعم ويمتن بأدناها.

قلت: الجواب أن الآية خرجت مخرج الغالب لأن الغالب في الخيل إنما هو الزينة، والركوب دون الأكل، كما خرج قوله[3] ﷺ: «وليستنج بثلاثة أحجار»، مخرج الغالب لأن الغالب أن الاستنجاء لا يقع إلا بالأحجار انتهى.

وقال الشافعي ومن وافقه: ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، وأما الحديث الذي استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما، فقال الإمام أحمد: ليس له إسناد جيد وفيه رجلان لا يعرفان ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث.

وقد روى[4] الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل». وفي لفظ «أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر الأهلية». رواه الترمذي وصححه. وفي لفظ «سافرنا، يعني مع النبي ﷺ، فكنا نأكل لحوم الخيل، ونشرب ألبانها».

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أنها قالت[5]: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناها. وفي رواية: ونحن بالمدينة. وفي مسند الإمام أحمد: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناها نحن وأهل بيته. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: إن الفرس إذا التقت الفئتان تقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ولذلك كان له من الغنيمة سهمان.

وكذلك رواه عبد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ. ولا يعطى إلا لفرس واحد عربياً كان أو غير عربي، لأن الله سبحانه وتعالى قال[6]: ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباطِ الخيلِ﴾ ولم يفرق بين عربي وغيره، ولم يرد في شيء من الأحاديث تفرقة، بل الجمع مثل قوله[7] ﷺ: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» الأجر والغنيمة. وقال الإمام أحمد: لما سوى العربي سهم وللعربي سهمان لأثر ورد في ذلك عن عمر رضي الله تعالى عنه لكنه لم يصح عنه. ولا يعطى لفرس أعجف وما لا غناء به، لأنه كل على صاحبه.

---

(١) رواه أبو داود: أطعمة ٢٥. والنسائي صيد ٣٠. ابن ماجه ذبائح ١٤. وابن حنبل ٣٥٦/٣.
(٢) سورة النحل: آية ٨.
(٣) رواه البخاري: وضوء ٢١، ومسلم: طهارة ٥٧، ٥٨.
(٤) رواه البخاري: جهاد ٣٠ ومسلم: صيد ٢٦.
(٥) رواه البخاري: ذبائح ٢٤. النسائي: ضحايا ٣٣.
(٦) سورة الأنفال: آية ٦٠.
(٧) رواه البخاري: مناقب ٢٨. ومسلم زكاة ٢٥.

ويتعهد الإمام الخيل إذا دخل دار الحرب، ولا يدخل إلا فرساً شديداً، ويسهم للفرس المستعار والمستأجر، ويكون ذلك للمستعير والمستأجر. والأصح أنه يسهم للفرس المغصوب لحصول النفع به، والأصح أنه للراكب، وقيل للمالك ولو كان القتال في ماء أو حصن وأحضر فرس أسهم له، لأنه قد يحتاج إليه ولو أحضر اثنان فرساً مشتركاً بينهما فقيل: لا يعطيان سهم الفرس، لأنه لم يحضروا واحد منهما بفرس تام.

وقيل يعطى كل واحد منهما سهم فرس لأن معه فرساً قد يركبها، وقيل يعطيان سهم فرس مناصفة ولعل هذا هو الأصح. ولو ركب اثنان فرساً، وشهدا الوقعة، فعن بعض الأصحاب أنهما كفارسين لهما ستة أسهم، وعن بعضهم أنهما كراجلين لتعذر الكر والفر، وقيل لهما أربعة أسهم: سهمان لهما، وسهمان للفرس. واختار ابن كج وجهاً رابعاً حسناً، وهو أنه إن كان فيه قوة الكر والفر مع ركوبهما فأربعة أسهم، وإلا فسهمان.

فائدة أجنبية: قال في شرعة الإسلام: إن مقدم العسكر ينبغي له أن يتشبه بأصناف من الخلق فيكون في قلب الأسد، لا يجبن ولا يفر وفي كبر النمر لا يتواضع للعدو، وفي شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه، وفي الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل، وفي الغارة كالذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها، وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه، وفي الصبر كالحمار، إذ أثقله ضرب السيوف، وطعن الرماح، ونصول السهام، وفي الوفاء كالكلب إذا دخل سيده النار تبعه، وفي التماس الفرصة كالديك، وفي الحراسة كالكركي، وفي التعب كاليعر، وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والكد والشقاء، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الياء.

فرع: حمار نزا على فرس فأحبلها يكون لبن الفرس حلالاً طاهراً ولا حكم للفحل في اللبن في هذا الموضع بخلاف الأناسي لأن لبن الفرس حادث من العلف، فهو تابع للحمها ولم يسر وطء الفحل إلى هذا اللبن، فإنه لا حرمة هناك تنتشر من جهة الفحل، إلا إلى الولد خاصة، فإنه يكون منه ومن الأم فغلب عليه التحريم. وأما اللبن فلم يتكون بوطئه وإنما تكون من العلف لم يكن حراماً.

فائدة: كان للنبي ﷺ أفراس: السكب: اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشرة أواق بالمدينة، وكان أدهم وكان اسمه عند الأعرابي الضرس فسماه النبي ﷺ السكب، وهو من سكب الماء، كأنه سيل، والسكب أيضاً شقائق النعمان، وهو أول فرس غزا عليه رسول الله ﷺ. وسبحة هو الذي سابق عليه ﷺ فسبق ففرح بذلك. والمرتجز الذي تقدم ذكره، سمي بذلك لحسن صهيله. ولزاز، قال السهيلي: ومعناه أنه لا يسابق شيئاً إلا لزه أي أثبته. والظرب، واللحيف، قال السهيلي: كأنه يلحف الأرض بجريه، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخاري في جامعه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. والورد أهداه له تميم الداري فأعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحمل عليه في سبيل الله تعالى وهو الذي وجده يباع برخص هذه السبعة متفق عليها. وقيل: كان له ﷺ غيرها، وهي الأبلق وذو العقال والمرتجل وذو

اللمة والسرحان واليعسوب والبحر وكان كميتاً، والأدهم وملاوح والطرف بكسر الطاء المهملة والسحا والمراوح والمقدام ومندوب والضرير ذكره السهيلي في أفراسه ﷺ. فهذه خمسة عشر فرساً مختلف فيها، وقد بسط الكلام عليها الحافظ الدمياطي وغيره.

الأمثال: قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كفرسي رهان، كادت تسبق إحداهما الأخرى بأذنها»[١]. وقالوا: هما كفرسي رهان يضرب للإثنين يستويان في الشيء، وهذا التشبيه يقع في الابتداء لا في الانتهاء، لأن النهاية تجلي عن سبق أحدهما لا محالة. وقالوا: «أبصر من فرس»[٢] وأطوع[٣] وأشد[٤]. وقالوا: «فلان كالأشقر إن تقدم نحرَ وإن تأخر عقر»[٥]. لأن العرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر.

تتمة: ذكر في الإحياء، في الباب الثالث من كتاب أحكام الكسب، روي عن بعض الغزاة في سبيل الله، قال: حملت على فرسي لأقتل علجاً فقصر بي فرسي فرجعت، ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر بي فرسي، ثم حملت الثالثة فقصر بي فرسي، وكنت لا أعتاد منه ذلك فرجعت حزيناً، وجلست منكس الرأس منكسر القلب، لما فاتني من العلج، وما ظهر لي من خلق الفرس، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط، وفرسي قائم فرأيت في المنام كأن الفرس يخاطبني، ويقول لي: بالله عليك أردت أن تأخذ العلج على ثلاث مرات، وأنت بالأمس اشتريت لي علفاً، ودفعت في ثمنه درهماً زائفاً لا يكون هذا أبداً. فانتبهت فزعاً وذهبت إلى العلاف وأبدلت له ذلك الدرهم اهـ.

تتمة أخرى: روى ابن بشكوال، في كتاب المستغيثين بالله عز وجل، عن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه، أنه قال: خرجت إلى الجهاد ومعي فرس فبينا أنا في بعض الطريق إذ صرع الفرس، فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة، فقال: أتحب أن تركب فرسك؟ قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره، وقال: أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت. قال: فانتفض الفرس وقام، فأخذ الرجل بركابي وقال: اركب فركبت ولحقت بأصحابي، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا، فقلت: ألست صاحبي بالأمس؟ قال: بلى. فقلت: سألتك بالله من أنت؟ فوثب قائماً فاهتزت الأرض تحته خضراء، فإذا هو الخضر عليه السلام. قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه: فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفي بإذن الله تعالى.

الخواص: إذا علقت سن الفرس العربي على صبي سهل طلوع أسنانه بلا ألم، وإن وضعت سنه تحت رأس من يغط في النوم انقطع غطيطه، ولحمه يطرد الرياح، وعرقه يطلى به عانة الصبي وإبطه فلا ينبت فيهما شعر، وهو سم قاتل للسباع والثعابين جميعاً، وإذا أخذت شعرة من

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٣٣١.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/١٩٤.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٢٤.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/٤٦٤.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/١٢٨.

ذنب الفرس، وجعلت على باب بيت ممدودة، لم يدخل ذلك البيت بق مادامت الشعرة كذلك، وإن شربت امرأة دم برذون لم تحبل أبداً. ورماد حافر الفرس إذا خلط بزيت، وجعل على الخنازير أبرأها، وإذا سقيت امرأة لبن فرس، وهي لا تعلم أنه لبن فرس، وجامعها زوجها من ساعتها، حملت منه بإذن الله تعالى، وإن شربته بالعسل صارت مجامعتها لذيذة، وإذا سحق بصل الفأر ومسح به أسنان الفرس الحرون لان وذهبت صعوبته، وزبل الفرس إذا جفف وسحق وذر على الجراحات قطع دمها، وإن كحل به البياض العارض في العين أزاله وإن دخن به أخرج الولد من البطن.

فصل في صبغ البراذين: قال صاحب عين الخواص: إذا سخن الماء تسخيناً شديداً بحيث يذهب الشعر، وصب على البرذون فإنه يحلق شعره ذلك، وينبت له شعر مخالف لما ذهب عنه من اللون. قال: ومما يصير الأشهب أدهم أن يؤخذ مردارسنج وعفص وزنجار ونورة وزاج الأساكفة وطين خوري بالسوية، يدق الجميع ويعجن بماء حار ويصبغ به الفرس البرذون ويترك يوماً وليلة، ثم يغسل من الغد، فيصير أدهم. وإن طلي بعض جسده بذلك وترك بعضه كان أبلق، ومما يصير به الأدهم أبرش الحرض إذا طبخ مع ورق الدفلى، وصفي ماؤه ثم طبخ أيضاً مع القلى ومخ جوز سائل ثم يغسل به البراذين فتصير شهباء. ومما يصير الأشهب أدهم أيضاً، أن يؤخذ قشور الجوز الرطب وتطبخ مع الآس، ووسخ الحديد ثم يغسل به البرذون غسلاً نقياً ويطلى بذلك فيصير أدهم، ويبقى سواده ستة أشهر والله أعلم.

التعبير: الفرس في الرؤيا تعبر بالحامل بولد ذكر فارس، وتعبر برجل وتجارة وشريك وامرأة، فمن رأى فرساً مات في يده فذلك موت من ينسب إليه الفرس من الولد أو المرأة أو الشريك، والفرس الأبلق في الرؤيا أمير مشهور، وقد تقدم ذكره في باب الخاء المعجمة، في لفظ الخيل، والفرس الأسود والأدهم يدلان على المال، والأصفر والمريض يدلان على المرض لمن ركب أحدهما أو كليهما، والأشقر يدل على دين وحزن، وقيل فتنة.

وقال ابن سيرين رحمه الله: لا أحب الأشقر لشبهه بالدم، والأشهب يعبر برجل صاحب قلم، كذا عبره ابن سيرين وقال: ألا تراه سواداً في بياض؟ والكميت يدل على القوة واللهو وربما دل على الحرب والضرب، ومن ركب فرساً وأجراه حتى عرق فإنه يركب أمراً فيه هوى نفس، وتلف مال لمكان العرق، والعرق أيضاً تعب، وأما الركض فإنه ارتكاب هوى لقوله[1] تعالى: ﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ ومن نزل عن فرسه، ولم يكن له نية في الرجوع، فإنه يعزل إن كان والياً.

والفرس الجموح رجل مجنون، والحرون متهاون بطيء بطر. ومن رأى شعر ذنب فرسه كثيراً زاد ماله وأولاده، وإن كان سلطاناً كثر جيشه، ومن قطع ذنب فرسه فإنه لا يخلف ولداً، وإن كان له أولاد فإنهم يموتون وإن كان سلطاناً ذهب جيشه، وكذلك إذا كان منتوفاً تفرق الجيش الذي يتبع صاحب الفرس، ومن ركب فرساً وكان ممن يليق به ركوب الخيل، نال عزاً وجاهاً ومالاً،

(١) سورة الأنبياء: آية ١٣.

لقوله عليه الصلاة والسلام: «الخيل معقود في نواصيها الخير»[1]. وربما صادف رجلاً جواداً، وربما سافر لأن السفر مشتق من الفرس، فإذا كان حصاناً تحصن من عدوه، وإن كان مهراً رزق ولداً جميلاً، وإن كان اكديشاً ربما عاش زماناً، وإن كان برذوناً توسط حاله وعاش لا يستغني ولا يفتقر، وإن كان الفرس حجراً تزوج إن كان أعزب امرأة ذات جمال ومال ونسل، والأصيل شريف بالنسبة إلى غير الأصيل، وربما دلت الفرس على الدار الحسنة البناء. وقال ابن المقري: من رأى أنه ركب فرساً أشهب، نال عزاً ونصراً على العدا، لأنه من خيل الملائكة. والأدهم هم، والأغر المحجل علم وورع ودين، لقوله ﷺ: «إنكم ستردون على يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء»[2]. ومن ركب كميتاً ربما شرب خمراً لأنه من أسمائها ومن ركب فرساً لغيره، نال منزلته أو عمل بسنته خصوصاً إن كان مركوباً معروفاً يليق به انتهى.

ومن رأى أنه يقود فرساً، فإنه يطلب خدمة رجل شريف، ولا خير في ركوب الفرس في غير محل الركوب كالسطح والحائط والحبس، وربما دل الفرس الخصي على خادم واعتبر بكل مركوب ما يليق فالسرج للفرس، والكور للجمل وكذلك المحمل والهودج والمحفة للبغال والبرادع للحمير، فمن ركب حيواناً بما لا يليق به من العدة، تكلف أو كلف غيره ما لا يطيق، والدابة بلا لجام ولا مقود امرأة زانية، لأنها كيفما أرادت مشت. وكذلك الفرس العائز، ومن رأى أنه يأكل لحم فرس نال ثناء حسناً واسماً صالحاً، وقيل إنه مرض لصفرته، ومن نازعه فرسه خرج عليه عبده وإن كان تاجراً خرج عليه شريكه، ومن الرؤيا المعبرة أن رجلاً أتى ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه، فقال: رأيت كأني راكب على فرس قوائمه من حديد، فقال له ابن سيرين رحمه الله: توقع الموت والله تعالى أعلم.

فرس البحر: حيوان يوجد في نيل مصر، له ناصية كناصية الفرس، ورجلاه مشقوقتان كالبقر، وهو أفطس الوجه، له ذنب قصير، يشبه ذنب الخنزير، وصورته تشبه صورة الفرس، إلا أن وجهه أوسع وجلده غليظ جداً وهو يصعد إلى البر، فيرعى الزرع وربما قتل الإنسان وغيره.

وحكمه: حل الأكل لأنه كالخيل المتوحشة التي تعدو في غالب أحيانها.

الخواص: إذا أحرق جلده وخلط بدقيق كرسنة، وطلي به داء السرطان أبرأه في ثلاثة أيام. ومرارته إذا تركت في الماء ثلاثين يوماً ثم سحق واكتحل بها أربعة عشر يوماً، أو أربعة وعشرين يوماً بعسل لم تصبه النار، أذهبت الماء الأسود من العين. وسنه نافعة لوجع البطن، إذا علقت على من أشرف على الموت، من وجع المعدة من التخمة والامتلاء، يبرأ بإذن الله تعالى. وجلده إذا دفن في وسط قرية لم يقع فيها شيء من الآفات، وإذا أحرق وجعل على الورم أذهبه وسكن وجعه.

التعبير: الفرس البحري في الرؤيا يدلّ على كذب وأمر لا يتم.

فصل: والبحر في الرؤيا يعبر بملك وحبس لمن وقع فيه، ولم يمكنه الخروج منه وبرجل عالم

---

(١) رواه البخاري: مناقب ٢٨. ومسلم: زكاة ٢٥.

(٢) رواه البخاري: وضوء ٣، ومسلم: طهارة ٣٤.

وكريم، فيقال بحر علم وبحر كرم، ويعبر بالدنيا، فمن رأى كأنه قاعد على متن البحر أو مضطجع عليه فإنه يداخل ملكاً ويكون منه على خطر، لأن الماء لا يؤمن من الغرق فيه، ومن رأى أنه شرب من ماء البحر، نال مالاً من الملك فإن شربه كله نال مال الملك كله ومن رأى البحر من بعيد ولم يخالطه فإن ذلك أمر يفوته، ومن رأى أنه يشرب من مائه وله شريك، فإنه يفارقه لقوله تعالى: ﴿وإذ فرقنا بكم البحرَ﴾(١)، ومن رأى كأنه يمشي في البحر، وفي طريق يابس، فإنه يأمن من الخوف لقوله تعالى: ﴿فاضربْ لهم طريقاً في البحرِ يَبَساً لا تخافُ دَركاً ولا تخشى﴾(٢). ومن رأى أنه غاص في البحر، ليخرج شيئاً من الدر، فإنه يدخل في غامض العلم، ومن قطع البحر سبحاً إلى الجانب الآخر، فإنه ينجو من هول وغم، ومن سبح في البحر في زمن الشتاء، ناله هم من قبل ملك أو أصابه مرض أو يحبس أو يناله وجع من الرياح، وإذا دخل البحر إلى درب الناس، وبل القماش أو أكل وحشه طعام الناس، فإن الملك يظلم أهل تلك الناحية. وربما دل على طول الشقاء في تلك السنة، لاسيما إذا كان مضطرباً كثير الموج فإنه يدل على مضار كثيرة.

والبحيرة في الرؤيا تدل على القضاة والولاة والموالي الذين يفعلون الأشياء بالأمر، والبحيرة الصغيرة تدل على امرأة غنية، والبحر إذا كان هادئاً دل على البطالة، والبحيرة للمسافر تدل على تعذر السفر.

تتمة: وأما النهر في الرؤيا فإنه يدل على رجل جليل، فمن دخل في نهر فإنه يخالط رجلاً من الأكابر، ولا يحمد الشرب من النهر، وقيل: إنه يدل على سفر لمن دخله لأن ماءه منتقل مسافر، ومن رأى أنه وثب من النهر إلى الجانب الآخر، فإنه ينجو من هم وينصر على عدوه، والدخول في النهر دخول في عمل السلطان، وإذا جرى الماء في الأسواق، والناس يتوضؤون منه وينتفعون به، فذلك عدل من سلطان، فإن جرى فوق الأسطحة وبل قماش الناس في دورهم، فذلك جور من السلطان أو عدو يطغى على الناس، ومن رأى نهراً خرج من داره ولم يضر أحداً، فإنه معروف منه يصل إلى الناس، ومن رأى أنه صار نهراً فإنه يموت بنزف الدم.

فصل: وأما رؤية عين الماء، فإنها كرامة ونعمة وبلوغ أمنية إذا كان الرائي مستوراً، ومن رأى كأن عيناً نبعت من داره، دل على مشتري جارية، فإن خرجت من الدار إلى ظاهرها فإنه مال قد ذهب، والماء الراكد في الدار هم باق فإن كان صافياً فهم مع صحة جسم، ولا يكره من العيون إلا ما ركد ماؤه ولم يجر، ومن شرب من ماء عين أصابه هم، فإن كان بارداً فلا بأس به والله تعالى أعلم.

الفرش: صغار الإبل، وقيل: هو من الإبل والبقر والغنم ما لا يصلح إلا للذبح ومنه قوله تعالى: ﴿حمولة وفرشاً﴾(٣) قدم الحمولة على الفرش، لأنها أعظم في الانتفاع إذ ينتفع بها في الأكل والحمل. قال الفراء: ولم أسمع للفرش بجمع. قال: ويحتمل أن يكون مصدراً سمي به من قولهم فرشها الله تعالى فرشاً أي بثها بثاً.

---

(١) سورة البقرة: آية ٥٠. (٢) سورة طه: آية ٧٧. (٣) سورة الأنعام: آية ١٤٢.

الفرانق: بضم الفاء البر البريد وهو الذي ينذر بالأسد، وقد تقدم في باب الباء الموحدة.

الفرفر: كهدهد طير من طيور الماء صغير الجثة على قدر الحمام.

الفرفور: كعصفور طائر، قاله الجوهري ولعله الذي قبله.

الفَرَع: بفتح الفاء والراء المهملة وبالعين المهملة في آخره أول نتاج البهيمة. ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا فرع ولا عتيرة»[١]. وذلك أنهم كانوا يذبحونه ولا يأكلونه رجاء البركة في الأم وكثرة نسلها. والعتيرة بفتح العين المهملة ذبيحة كانوا يذبحونها في اليوم الأول من شهر رجب ويسمونها الرجبية.

الحكم: في كراهتها وجهان الصحيح الذي نص عليه الشافعي واقتضته الأحاديث، أنهما لا يكرهان بل يستحبان. وروى أبو داود بإسناد حسن أن النبي ﷺ «نهى عن معاقرة الأعراب»[٢]. وهي مفاخرتهم فإنهم كانوا يتفاخرون بأن يعقر كل واحد منهم عدداً من إبله فأيهم كان عقره أكثر كان غالباً، فكره النبي ﷺ لحمها لئلا يكون مما أهل به لغير الله تعالى.

وروى[٣] أبو داود أيضاً أن النبي ﷺ «نهى عن طعام المتبارين».

فائدة: حكى الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهاني وغيره، أن الفرزدق الشاعر المشهور، واسمه همام بن غالب كما تقدم، كان أبوه غالب رئيس قومه، وأن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فعقر غالب أبو الفرزدق المذكور لأهله ناقة وصنع منها طعاماً، وأهدى إلى قوم من بني تميم جفاناً من ثريد، ووجه جفنة منها إلى سحيم بن وثيل الرياحي رئيس قومه وهو القائل[٤]:

أنا ابن جلا وطلاعُ الثنايا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

وقد تمثل بذلك الحجاج في خطبته يوم قدم الكوفة أميراً، فكفأها سحيم وضرب الذي أتى بها وقال: أنا مفتقر إلى طعام غالب إذ نحر هو ناقة نحرت أنا أخرى، فوقعت المعاقرة بينهما فعقر سحيم لأهله ناقة، فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين، فعقر سحيم لأهله ناقتين، فلما كان اليوم الثالث عقر غالب لأهله ثلاثاً، فعقر سحيم لأهله ثلاثاً، فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً، وأسرها في نفسه. فلما انقضت المجاعة ودخل الناس الكوفة، قال بنو رياح لسحيم: جرزت علينا عار الدهر: هلا نحرت مثل ما نحر غالب، وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين، فاعتذر بأن إبله كانت غائبة. ثم عقر ثلثمائة ناقة! وقال للناس: شأنكم والأكل وكان ذلك في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، فاستفتي في حل الأكل منها فقضى بحرمتها. وقال: هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن

---

(١) رواه البخاري: عقيقة ٣، ٤. ومسلم: أضاحي ٣٨.

(٢) رواه أبو داود: أضاحي ١٤. (٣) رواه أبو داود: أطعمة ٧.

(٤) وفيات الأعيان: ١/١٦٥. وسحيم هو ابن وثيل بن عمرو الرياحي اليربوعي، شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام. مات سنة ٦٠ هـ.

المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة فألقيت لحومها على كناسة الكوفة. فأكلها الكلاب والعقبان والرخم.

الفرعل: كقنفذ ولد الضبع والجمع الفراعل. روى البيهقي عند عبد الله بن زيد قال: سألت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه، عن ولد الضبع، فقال: ذاك الفرعل فيه نعجة من الغنم قال أبو عبيد: الفرعل عند العرب ولد الضبع والذي يراد من هذا الحديث قوله نعجة من الغنم يعني أنها حلال بمنزلة الغنم. قال الكميت[1]:

وتسمع أصوات الفراعل حوله ... يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا

يعني حول الماء الذي وردوه.

الأمثال: قالوا: «أغزل من فرعل»[2] وهو من الغزل والمراودة. وقال الميداني: هو من الغزل بمعنى الخرق، يقال: غزل الكلب إذا تبع الغزال، فإذا أدركه ثغا الغزال في وجهه ففتر ودهش. ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده. فقالوا: «أغزل من فرعل» انتهى.

وقال ابن هشام: إن عكرمة بن أبي جهل، ألقى رمحه يوم الخندق وانهزم، فقال فيه حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

وفرّ وألقى لنا رمحَه ... لعلكَ عكرمُ لم تفعل
ووليتَ تعدو كعدو الظليـ ... ـم ما أن يجوز عن المعدل
ولم تبقِ ظهرَك مستأنساً ... كان قفاك قفا فرعل

الفرقد: ولد البقرة وأبو فرقد كنية الثور الوحشي.

الفرنب: بكسر الفاء قال ابن سيده: هو الفأر وقيل ولد الفأر من اليربوع.

الفرهود: كجلمود. ولد السبع وقيل: ولد الوعل ويقال أيضاً للغلام الغليظ وصرفوه. فقالوا تفرهد إذا سمن.

الفروج: الفتي من الدجاج والضم فيها لغة حكاها اللحياني والجمع الفراريج. أنشد الجوهري عن الأصمعي:

أقبلن من بثر ومن سواج ... والقوم قد ملّوا من الإدلاج[3]
يمشون أفواجاً على أفواج ... مشي الفراريج مع الدّجاج

وحكمه وخواصه: كالدجاج.

وأما تعبيره: فالفراريج في الرؤيا هي أولاد السبي، لأن الدجاج جوار ومن سمع أصوات

---

(١) الكميت بن زيد الأسدي، شاعر بني هاشم في العصر الأموي مات سنة ١٢٦ هـ.

(٢) جمهرة الأمثال: ٢/٧٧.

(٣) الإدلاج: المشي ليلاً.

الفراريج، فإنه يسمع كلام قوم فسقة، ومن أكل لحم الفراريج، أكل مالاً من رجل كريم. والفراريج تدل على أمر يتألف عاجلاً بلا تعب، لأن الفراريج لا تحتاج إلى كلفة التربية، والله تعالى أعلم.

الفرير والفرار: ولد النعجة والماعزة والبقرة، ويقال: هو من أولاد المعز ما صغر جسمه. وقيل: الفرير واحد والفرار جمع قاله ابن سيده.

فسافس: كخنافس حيوان كالقراد شديد النتن، قاله ابن سينا. وقال القزويني: يشبه أن يكون البق، إذا سحقت وجعلت في ثقبة الإحليل نفعت من عسر البول. وقد تقدم في باب الباء الإشارة إلى هذا.

الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن رضاع أمه، وهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول، والجمع فُصلان بضم الفاء وفصال بكسرها. روى الإمام أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه، قال: خرج النبي ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى، فقال ﷺ: «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال»[1]. وهو أن تحمى الرمضاء، وهو الرمل، فتبرك الفصال من شدة حرها واحراقها أخفافها. وروى الإمام أحمد أيضاً وأبو داود من حديث دكين بن سعيد الخثعمي قال: أتينا رسول الله ﷺ، ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عمر اذهب فأطعمهم»[2]. فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح ففتح الباب، فإذا في الغرفة من التمر شبه الفصيل الرابض، فقال: شأنكم فأخذ كل منا ما شاء من ذلك التمر، ثم التفت وإني لمن آخرهم فكأنما لم نرزأ منه تمره. وقال ابن عطية، في تفسير سورة الفلق: حدثني ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطاً أحمر، وقد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه في الحين فرضع.

فرع: دخل فصيل رجل في بيت رجل، ولم يمكن إخراجه إلا بنقض البناء، فإن كان بتفريط صاحب البيت، بأن غصبه وأدخله نقض، ولم يغرم صاحب الفصيل شيئاً، وإن كان بتفريط صاحب الفصيل، نقض البناء ولزمه أرش النقض، وإن دخل بنفسه نقض أيضاً، ولزم صاحب الفصيل أرش النقض على المذهب، وبه قطع العراقيون، وقيل: وجهان ثانيهما لا أرش عليه.

الأمثال: قالوا: «أتخم من فصيل»[3] لأنه يرضع أكثر مما يطيق، ثم يتخم، وقالوا: «كفضل ابن المخاض على الفصيل»[4]. أي الذي بينهما من الفضل قليل يضرب للمتقاربين في رجوليتهما. وقالوا: «استنت الفصال حتى القرعى»[5]. يضرب للذي يتكلم، مع الذي لا ينبغي له أن يتكلم بين يديه، لجلالة قدره، والقرعى: جمع قريع كمريض ومرضى، وهو الذي به قَرَع بالتحريك، وهو بثر أبيض يطلع في الفصال، ودواؤه الملح وحباب ألبان الإبل والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم: مسافرين ١٤٣. وابن حنبل ٤ ـ ٣٦٦.
(٢) رواه ابن حنبل: ٤ ـ ١٧٤.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/ ٢٣١.
(٤) مجمع الأمثال: ٢/ ١٤١.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/ ٩١.

التعبير: الفصيل في المنام ولد شريف، وكل صغير من الحيوان إذا مسّه الإنسان فهو هم والله تعالى أعلم.

الفلحس: كجعفر: الدب والكلب المسن، وفلحس رجل من رؤساء بني شيبان، كان إذا أعطي سهمه من الغنيمة، سأل سهماً لامرأته، وسهماً لناقته، فقيل: «أسأل من فلحس»[1].

الفلو: والفلو بضم الفاء وفتحها وكسرها المهر الصغير، والجمع افلاء. قال سيبويه: لم يكسروه على فعل كراهة الإخلال، ولا كسروه على فعلان كراهة الكسرة قبل الواو، وإن كان بينهما حاجز، لأن الساكن ليس بحاجز حصين. قاله ابن سيده، وقال الجوهري: الفلو بتشديد الواو المهر لأنه يفتلي عن أمه أي يفطم. وقد قالوا للأنثى: فلوة، كما قالوا عدو وعدوة والجمع أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى، مثل خطايا. وأصله فعائل. وقال أبو زيد: إذا فتحت الفاء شددت الواو، وإذا كسرت خففت. فقلت: فلو مثال جرو، وفلوته عن أمه وافتليته إذا فطمته، وفرس مفل ومفلية ذات فلو ا هـ.

وفي الصحيحين[2] وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب، إلا أخذه الرحمن بيمينه، وإن كان تمرة فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه، حتى تكون مثل الجبل أو أعظم». وفي رواية «فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل». قال الماوردي وغيره: هذا الحديث وشبهه إنما عبر به النبي ﷺ على ما اعتاده في خطابهم ليفهموا، فكنى هنا عن قبول الصدقة بأخذها بالكف، وعن تضعيف أجرها بالتربية. قال القاضي عياض: لما كان الشيء الذي يرتضى ويعز يتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا، واستعير للقبول والرضا إذ الشمال بضد ذلك في هذا. قال: وقيل: المراد بكف الرحمن هنا وبيمينه كف الذي يدفع إليه الصدقة ويمينه، واضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص، لتوضع هذه الصدقة فيها لله عز وجل. قال: وقد قيل في تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل، أن المراد بذلك تعظيم ذاتها ويبارك الله تعالى فيها، ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان. وهذا الحديث نحو قوله[3] تعالى: ﴿يمحقُ الله الرِّبا ويربي الصدقات﴾ وفي سنن أبي داود، من حديث[4] الزبير بن العوام أنه حمل على فرس يقال له غمر أو غمرة، فرأى مهراً أو مهرة من أفلائها تباع تنسب إلى فرسه فنهي عنها، أي نهي عن ابتياعها، وعن ادخالها في ملكه، بعد أن تصدق بها والله تعالى أعلم.

الفناة: البقرة والجمع فنوات.

الفنك: كالعسل دويبة يؤخذ منها الفرو، قال ابن البيطار: إنه أطيب من جميع الفراء يجلب كثيراً من بلاد الصقالبة، ويشبه أن يكون في لحمه حلاوة، وهو أبرد من السمور، وأعدل وأحر من السنجاب يصلح لأصحاب الأمزجة المعتدلة.

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٤.
(٢) رواه البخاري: زكاة ٨، توحيد ٣٣. ومسلم: زكاة ٦٣.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٧٦.
(٤) رواه ابن ماجه: صدقات ٢.

وحكمه: الحل، لأنه من الطيبات، ونقل الإمام أبو عمر بن عبد البر في التمهيد، عن أبي يوسف أنه قال في الفنك والسنجاب والسمور: كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس.

الفنيق: الفحل الكريم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم، وجمعه فنق وأفناق، ومنه حديث الحجاج لما حاصر ابن الزبير بمكة، ونصب المنجنيق عليها، وقال: خطاؤه كالجمل الفنيق.

الفهد: واحد الفهود، وفهد الرجل أشبه الفهد في كثرة نومه وتمرده، وفي حديث أم زرع: «إن دخل فهد». وزعم أرسطو أنه يتولد بين نمر وأسد، ومزاجه كمزاج النمر، وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في أدوائه ودوائه. ويقال: إن الفهدة إذا أثقلت بالحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود، ويواسيها من صيده، فإذا أرادت الولادة هربت إلى موضع قد أعدته لذلك. ويضرب بالفهد المثل في كثرة النوم، وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان في ركوبه. ومن خلقه الغضب، وذلك أنه إذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها، فيحمى لذلك وتمتلىء رئته من الهواء الذي حبسه فإذا أخطأ صيده رجع مغضباً وربما قتل سائسه.

قال ابن الجوزي: إن الفهد يصاد بالصوت الحسن قال: ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات، ولم يدركه غضب. ومن خلقه أنه يأنس لمن يحسن إليه. وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها، وأول من اصطاد به كليب بن وائل، وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني.

فائدة: سئل الكيا الهراسي الفقيه الشافعي عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة أم لا وهل يجوز لعنه أم لا؟ فأجاب أنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد في أيام عثمان رضي الله تعالى عنه، وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبي حنيفة ومالك وأحمد قولان: تصريح وتلويح. ولنا قول واحد: التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر؟ ومن شعره في الخمر قوله[1]:

أقولُ لصحبٍ ضمتْ الكأسُ شملهم ... وداعي صباباتِ الهوى يترنمُ
خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذةٍ ... فكلٌ وإن طال المدى يتصرم

وكتب فصلاً طويلاً أضربنا عن ذكره ثم قلب الورقة وكتب: ولو مددت ببياض لأطلقت العنان وبسطت الكلام في مخازي هذا الرجل. وقد أفتى الغزالي في هذه المسألة بخلاف ذلك، فإنه سئل عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصاً فيه؟ وهل كان يريد قتل الحسين، أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً ومن لعن المسلم فهو المعلون، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «المسلم ليس بلعان»[2]. وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهي عن ذلك؟ وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، بنص من النبي ﷺ، ويزيد صح إسلامه وما صح قتله للحسين رضي الله تعالى عنه ولا

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/٢٨٧.

(٢) رواه الترمذي: بر ٤٨. وابن حنبل ١ - ٤٠٥.

أمره ولا رضاه بذلك، ومهما لم يصح ذلك عنه لم يجز أن يظن ذلك به فإن إساءة الظن أيضاً بالمسلم حرام. قال[١] الله تعالى: ﴿يا أيّها الذينَ آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إنّ بعضَ الظنّ إثم﴾ وقال[٢] ﷺ: «إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء». ومن أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله لم يقدر على ذلك، وإذا لم يعلم وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به. ومع هذا لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً، فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل، فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه، فكيف من تاب من قتل؟ ولم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، فإذاً لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة: لم لم تلعن إبليس؟ ويقال للاعن: لم لعنت ومن أين عرفت أنه ملعون؟ والملعون هو المبعد من الله عز وجل، وذلك لا يعرف إلا فيمن مات كافراً فإن ذلك علم بالشرع، وأما الترحم عليه فجائز بل مستحب، بل داخل في قولنا: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنه كان مؤمناً. اهـ.

والكيا الهراسي هو أبو الحسن عماد الدين علي بن محمد الطبري، كان من رؤوس معيدي إمام الحرمين وثاني الغزالي، وتوفي في المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد، وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبي وقاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني مقدماً الطائفة الحنفية، وكان بينهما وبينه في حال الحياة منافسة، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال[٣] ابن الدامغاني:

وما تغني النوادب والبواكي ... وقد أصبحتَ مثل حديثِ أمسِ

وأنشد[٤] الزينبي:

عقمَ النساءُ فلا يلدنَ شبيهه ... إنّ النساءَ بمثله عقمُ

وقد تقدم في باب الحاء المهملة، في الحمام ذكر شيء من مناقب الإمام الغزالي ووفاته رحمه الله تعالى.

وذكر ابن خلكان أن الرشيد خرج مرة إلى الصيد، فانتهى به الطرد إلى موضع قبر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الآن، فأرسل فهوداً على صيد فتبعت الصيد إلى موضع قبره، ووقفت الفهود عند موضع القبر الآن، ولم تتقدم على الصيد، فتعجب الرشيد من ذلك! فجاءه رجل من أهل الخبرة وقال: يا أمير المؤمنين أرأيتك إن دللتك على قبر ابن عمك علي بن أبي طالب ما لي عندك؟ قال: أتم مكرمة. قال: هذا قبره. فقال له الرشيد: من أين علمت بذلك؟ قال: كنت أجيء مع أبي فيزور قبره، وأخبرني أنه كان يجيء مع جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فيزوره، وأن جعفراً كان يجيء مع أبيه محمد الباقر فيزوره، وأن محمداً كان يجيء مع أبيه علي زين

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.
(٢) رواه مسلم: بر ٣٢. وأبو داود أدب ٣٥ والترمذي بر ١٨.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/٢٨٩.
(٤) وفيات الأعيان: ٣/٢٨٩.

العابدين فيزوره، وأن علياً كان يجيء مع أبيه الحسين فيزوره، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر. فأمر الرشيد أن يحجر الموضع، فكان أول أساس وضع فيه، ثم تزايدت الأبنية فيه، في أيام السامانية، وبني حمدان وتفاقم في أيام الديلم أي أيام بني بويه. قال: وعضد الدولة هو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعمر المشهد هناك وأوصى أن يدفن فيه، وللناس في هذا القبر اختلاف متباين حتى قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله تعالى عنه. وأصح ما قيل إنه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة انتهى.

قلت: وعلي رضي الله تعالى عنه لا يعرف قبره على الحقيقة.

وعضد الدولة اسمه فناخسر وأبو شجاع بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي. وكان عضد الدولة أعظم بني بويه مملكة دانت له العباد والبلاد، وأطاعه كل صعب القياد، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام كما تقدم، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، ويلقب بتاج الملة أيضاً وكان محباً للعلوم وأهلها، وكان يحسن إليهم ويجلس معهم، ويفاوضهم في المسائل، فقصده العلماء والشعراء من كل بلد، وصنفوا له الكتب وامتدحوه وقد تقدم ذكر وفاته(١) في باب الهمزة في لفظ الأوز.

الحكم: يحرم أكله لأنه ذو ناب فأشبه الأسد لكنه يجوز بيعه للصيد به ولا خلاف في جواز إجارته.

الأمثال: قالوا: «أثقل رأساً من الفهد»(٢) و«أنوم(٣) من فهد، وأوثب(٤) من فهد، وأكسب(٥) من فهد» وذلك أن الفهود الهرمة التي تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتي، فيصيد لها في كل يوم شبعها.

الخواص: أكل لحمه يورث حدة الذهن وقوة البدن، ومن سقي من دمه غلبت عليه البلاهة، وبرئنه إذا ترك في موضع هرب منه الفأر. وقال صاحب عين الخواص: قرأت في بعض الكتب، أن بول الفهد إذا تحملت به امرأة لم تحبل، وربما تصير عاقراً.

التعبير: الفهد في المنام عدو مذبذب، لا يظهر العداوة ولا الصداقة، فمن نازعه نازع إنساناً كذلك. وقال ابن المقري: إن رؤيته تدل على العز والرفعة والدلال مع الصخب والعياط، وربما دل على ما يدل عليه الجارح من الوحش والله تعالى أعلم.

الفُور: بالضم الظباء وهو جمع لا واحد له من لفظه، يقال(٦): «لا أفعل كذا ما لألأت بأذنابها» أي حركتها، ويروى ما لألأت العفر بأذنابها وهي الظباء أيضاً.

الفولع: طائر أحمر الرجلين كأن رأسه شيب مصبوغ، ومنها ما يكون أسود الرأس وسائر خلقه أغبر حكاه ابن سيده.

---

(١) وفاته سنة ٣٧٢ هـ.
(٢) مجمع الأمثال: ١/١٥٨.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٢٥٢.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/١٣٦.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٦.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/٢٢٥.

الفيصور: كقيطون الحمار النشيط.

الفويسقة: الفأرة روى البخاري وأبو داود والترمذي، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[1]: «خمروا الآنية، وأوكئوا الأسقية، وأجيفوا الأبواب، وكفوا صبيانكم، فإن للجن سيارة خطفة وأطفئوا المصابيح عند الرقاد، فإن الفويسقة ربما أخذت الفتيلة وأحرقت أهل البيت». قيل: سميت فويسقة لخروجها عن الناس، واغتيالها إياهم في أموالهم بالفساد، وأصل الفسق الخروج، ومن هذا سمي الخارج عن الطاعة فاسقاً. يقال فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عنه.

الفياد: كصياد، ذكر البوم ويقال الصدى.

الفيل: معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة، قال ابن السكيت: ولا تقل أفيلة، وصاحبه فيال. قال سيبويه: يجوز أن يكون أصل فيل فعل، فكسر من أجل الياء كما قالوا: أبيض وبيض وكنيته أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو غفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم، والفيلة أم شبل. وفي ربيع الأبرار كنية فيل ابرهة ملك الحبشة أبو العباس واسمه محمود، وقد ألغز بعضهم في اسمه فقال:

ما اسم شيء تركيبه من ثلاث ... وهو ذو أربع تعالى الاله
قيل تصحيفه ولكن إذا ما ... عكسوه يصير لي ثلثاه

والفيلة ضربان: فيل وزندبيل، وهما كالبخاتي والعراب والجواميس والبقر والخيل والبراذين والجرذ والفأر والنمل والذر، وبعضهم يقول: الفيل الذكر، والزندبيل الأنثى، وهذا النوع لا يلاقح إلا في بلاده ومعادنه ومغارس اعراقه، وإن صار أهلياً. وهو إذا اغتلم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه، ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه، وربما جهل جهلاً شديداً، والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين، وزمان نزوه الربيع، والأنثى تحمل سنتين، وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين.

وقال عبد اللطيف البغدادي: إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة، وله عليها غيرة شديدة، فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها، لأنها لا تلد إلا وهي قائمة، ولا فواصل لقوائمها فتلد، والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات. ويقال: إن الفيل يحقد كالجمل، فربما قتل سائسه حقداً عليه، وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم. ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة من، وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فيه، ويقاتل بها ويصيح، وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي، وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه، من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر، في حالتي السلم والحرب وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضاً، والمقهور منهما يخضع للقاهر، والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة، من علو سمكه وعظم صورته، وبديع منظره،

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٦، استئذان ٤٩. وأبو داود أدب ١٦١. والترمذي أدب ٧٤.

وطول خرطومه، وسعة أذنيه، وثقل حمله، وخفة وطئه، فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته. ويطول عمره، فقد حكى أرسطو أن فيلاً ظهر أن عمره أربعمائة سنة، واعتبر ذلك بالوسم. وبينه وبين السنور عداوة طبيعية، حتى إن الفيل يهرب منه، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض، وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت.

وذكر القزويني أن فرج الفيلة تحت إبطها، فإذا كان وقت الضراب، ارتفع وبرز للفحل، حتى يتمكن من إيتانها، فسبحان من لا يعجزه شيء.

وفي الحلية، في ترجمة أبي عبد الله القلانسي[1]، أنه ركب البحر في بعض سياحاته، فعصفت عليهم الريح، فتضرع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور، إن نجاهم الله تعالى، وألحوا على أبي عبد الله في النذر، فأجرى الله على لسانه أن قال: إن خلصني الله تعالى مما أنا فيه، لا آكل لحم الفيل. فانكسرت السفينة وأنجاه الله تعالى وجماعة من أهلها إلى الساحل. فأقاموا به أياماً من غير زاد، فبينما هم كذلك، إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه، سوى أبي عبد الله، فلم يأكل منه وفاء بالعهد الذي كان منه. قال: فلما نام القوم، جاءت أم ذلك الفيل تتبع أثره وتشم الرائحة، فكل من وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله. قال: فقتلت الجميع، ثم أتت إلي فلم تجد مني رائحة اللحم، فأشارت إلي أن أركبها، فركبتها فسارت بي سيراً شديداً الليل كله، ثم أصبحت في أرض ذات حرث وزرع، فأشارت إلي أن أنزل، فنزلت عن ظهرها فحملني أولئك القوم إلى ملكهم، فسألني ترجمانه، فأخبرته بالقصة. فقال لي: إن الفيلة قد سارت بك في هذه الليلة مسيرة ثمانية أيام. قال: فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلي.

وفي كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي، قال: حدثني الأصبهاني من حفظه، قال: قرأت في بعض أخبار الأوائل، أن الاسكندر لما انتهى إلى الصين ونازلها، أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره، فقال له: إن رسول ملك الصين بالباب، يستأذن بالدخول عليك، فقال: ائذن له، فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض ثم قال: إن رأى الملك أن يخليني فليفعل، فأمر الاسكندر من بحضرته بالانصراف، فانصرفوا ولم يبق سوى حاجبه، فقال له الرسول: إن الذي جئت له، لا يحتمل أن يسمعه غير الملك، فأمر الاسكندر بتفتيشه، ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح، فوضع الاسكندر بين يديه سيفاً مصلتاً، وقال له: قف مكانك. وقل ما شئت، وأمر حاجبه بالانصراف، فلما خلا المكان قال له الرسول: اعلم أني أنا ملك الصين لا رسول له، وقد حضرت بين يديك، لأسألك عما تريد مني، فإن كان مما يمكن الانقياد له، ولو على أصعب الوجوه، أجبت إليه واغتنيت أنا وأنت عن الحرب. فقال له الاسكندر: وما آمنك مني؟ قال: لعلمي بأنك رجل عاقل، وأنه ليس بيننا عداوة متقدمة، ولا مطالبة بدخل، ولعلمي أيضاً أنك تعلم أن أهل الصين، متى قتلتني لا يسلمون إليك ملكهم، ولا يمنعهم عدمهم إياي أن ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيري، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم. فأطرق الاسكندر

---

(١) القلانسي: محمد بن الحسين بن بُندار مقرىء عراقي، مات سنة ٥٢١ هـ.

مفكراً في مقالته، ثم رفع رأسه إليه، وقد تبين له صدق قوله، وعلم أنه رجل عاقل. فقال له: أريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلاً، ونصف ارتفاعه في كل سنة. فقال له ملك الصين: هل غير هذا شيء؟ قال: لا. قال: قد أجبتك إلى ذلك. قال: فكيف يكون حالك حينئذ؟ قال: أكون قتيل أول محارب، وأكلة أول مفترس. قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنتين، كيف يكون حالك؟ قال: أصلح ما يكون ذلك مذهباً لجميع لذاتي. قال: فإن قنعت منك بالسدس. قال: يكون السدس موفراً، والباقي للجيش ولأسباب الملك. قال: قد اقتصرت منك على هذا، فشكره وانصرف. فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس، أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض كثرة، وأحاط بجيش الاسكندر، حتى خافوا الهلاك، فتواثبوا إلى خيولهم فركبوها واستعدوا، فبينما هم كذلك، إذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعليه التاج، فلما رأى الاسكندر، ترجل ومشى إليه، وقبل الأرض بين يديه، فقال الاسكندر: أغدرت؟ قال: لا والله. فقال: ما هذا الجيش؟ قال: أردت أن أعلمك أني لم أطعك من قلة ولا ضعف، وأن ترى هذا الجيش، وما غاب عنك أكثر منه، لكني رأيت العالم الأكبر مقبلاً عليك ممكناً لك، ممن هو أقوى مني ومنك، وأكثر عدداً، فعلمت أنه من حارب الاله غلب وقهر، فأردت طاعته بطاعتك، والذلة لأمره بالذلة لك. فقال له الاسكندر: ليس ينبغي أن يؤخذ من مثلك شيء، وما رأيت أحداً يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك، وأنا منصرف عنك. فقال له ملك الصين: أما إذ فعلت ذلك فإنك لا تخسر، ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف والالطاف، أضعاف ما قرره معه، ورحل الاسكندر عنه.

قلت: وقد أذكرتني هذه الحكاية، ما حكاه صاحب ابتلاء الأخبار، عن الاسكندر مع ملكة الصين الأقصى، قال: إن الاسكندر لما سار في الأرض، وفتح البلاد سمعت به ملكة الصين، فأحضرت من أبصر صورة الاسكندر، ممن يعرف التصوير، وأمرتهم أن يصوروا صورته، في جميع الصنائع، خوفاً منه، فصوروه في البسط والأواني والرقوم، ثم أمرت بوضع ما صنعوه بين يديها، وصارت تنظر لذلك، حتى أثبتت معرفته، فلما قدم عليها الاسكندر ونازل بلدها، قال الاسكندر للخضر يوماً: قد خطر لي شيء أقوله لك، قال: وما هو؟ قال: أريد أن أدخل هذه البلدة متنكراً، وأنظر كيف يعمل فيها؟ قال: افعل ما بدا لك.

فلما دخلها الاسكندر، نظرت إليه الملكة من حصنها، فعرفته بالصور التي عندها، فأمرت باحضاره فلما مثل بين يديها، أمرت به فوضع في مطمورة، لا يعرف الليل فيها من النهار، فبقي فيها ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب، حتى كادت قوته أن تسقط، واختبط عسكره لأجل غيبته، والخضر يسكنهم ويسليهم، فلما كان اليوم الرابع، مدت ملكة الصين سماطاً نحو مائة ذراع، ووضعت فيه أواني الذهب والفضة والبلور، وملأت أواني الذهب باللؤلؤ والزبرجد، وأواني الفضة بالدر والياقوت الأحمر والأصفر، وأواني البلور بالذهب والفضة، وما في ذلك شيء يؤكل، إلا أنه مال لا يعلم قدره إلا الله تعالى. وأمرت فوضع في أسفل السماط، صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء، وأمرت باخراج الاسكندر، وأجلسته على رأس السماط، فنظر إليه فأبهره ذلك! وأخذت تلك الجواهر ببصره ولم ير فيه شيئاً للأكل، ثم نظر فرأى في أدنى السماط إناءً فيه طعام، فقام من مكانه ومشى إليه وجلس عنده، وسمى وأكل، فلما فرغ من أكله، شرب من الماء

كفايته، ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولاً، فخرجت عليه، فقالت له: يا سلطان بعد ثلاثة أيام أما صد عنك هذا الذهب والفضة والجوهر سلطان الجوع؟ وقد أغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد؟ فمالك والتعرض إلى أموال الناس، وأنت بهذه المثابة؟ فقال لها الاسكندر: لك بلادك وأموالك، ولا بأس عليك بعد اليوم، فقالت له: أما إذا فعلت هذا فإنك لا تخسر، ثم إنها قدمت له جميع ما كانت قد أحضرته، وكان شيئاً يحير الناظر، ويذهل الخاطر، ومن المواشي شيئاً كثيراً. فنزل إلى عسكره، وقبل هديتها ورحل عنها. وذكر غيره أنه كان في الهدية ثلثمائة فيل، وأنه دعاها إلى الله تعالى فآمنت وآمن أهل مملكتها.

غريبة: ذكر صاحب النشوان أن خارجياً خرج على ملك الهند، فأنفذ إليه الجيوش، فطلب الأمان فأمنه فسار الخارجي إلى الملك، فلما قرب من بلد الملك، أمر الملك الجيش بالخروج إلى لقائه، فخرج الجيش بآلات الحرب، وخرجت العامة تنتظر دخوله، فلما أبعدوا في الصحراء، وقف الناس ينتظرون قدوم الرجل، فأقبل وهو راجل في عدة رجال، وعليه ثوب ديباج ومئزر في وسطه، جريا على زي القوم، فتلقوه بالإكرام، ومشوا معه حتى انتهى إلى فيلة عظيمة، قد أخرجت للزينة، وعليها الفيالون، وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه، ويركبه في بعض الأوقات، فقال له الفيال لما قرب منه: تنح عن طريق فيل الملك، فلم يبد له جواباً، فأعاد عليه القول، فلم يبد له جواباً، فقال له: يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك، فقال له الخارجي: قل لفيل الملك يتنحى عن طريقي، فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به، فغضب الفيل وعدا إلى الخارجي، ولف خرطومه عليه، وشاله الفيل شيلاً عظيماً، والناس يرونه ثم خبط به الأرض، فإذا هو قد وقع منتصباً على قدميه قابضاً على خرطوم الفيل، فزاد غضب الفيل فشاله الثانية، أعظم من الأولى، وعدا ثم رمى به الأرض فإذا هو قد حصل مستوياً على قدميه، منتصباً قابضاً على الخرطوم، ولم ينح يده عنه فشاله الفيل الثالثة، وفعل به مثل ذلك فحصل على الأرض منتصباً قابضاً على الخرطوم، وسقط الفيل ميتاً، لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفس فقتله. فأخبر الملك بذلك، فأمر بقتله، فقال له بعض وزرائه: يجب أيها الملك أن يستبقى مثل هذا، ولا يقتل فإن فيه جمالاً للمملكة، ويقال إن للملك خادماً، قتل فيلاً بقوته وحيله، من غير سلاح، فعفا عنه واستبقاه.

وذكر الطُّرطُوشي[1] وغيره أن الفيل دخل دمشق، في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما، فخرج أهل الشام لينظروه لأنهم لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك، وصعد معاوية سطح القصر للفرجة، فلاحت منه التفاتة، فرأى رجلاً مع بعض حظاياه في بعض حجر القصر، فنزل مسرعاً إلى الحجرة، فطرق بابها فقيل: من؟ قال: أمير المؤمنين، ففتح الباب، إذ لا بد من فتحه طوعاً أو كرهاً، فدخل أمير المؤمنين معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه، وقد خاف خوفاً عظيماً، فقال له معاوية: يا هذا ما الذي حملك على ما صنعت من دخولك قصري،

---

(١) الطرطوشي: محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الأندلسي، أبو بكر، أديب فقيه من الحفاظ. وفاته سنة ٥٢٠ هـ.

وجلوسك مع بعض حرمي؟ أما خفت نقمتي؟ أما خشيت سطوتي؟ أخبرني يا ويلك، ما الذي حملك على ذلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، حملني على ذلك حلمك. فقال له معاوية: أرأيت إن عفوت عنك تسترها علي، فلا تخبر بها أحداً؟ قال: نعم. فعفا عنه ووهب له الجارية، وما في حجرتها وكان شيئاً له قيمة عظيمة. قال الطرطوشي: فانظر إلى هذا الدهاء العظيم والحلم الواسع كيف طلب الستر من الجاني انتهى.

فائدة: لما كان أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين، وكان النبي ﷺ يومئذ حملاً في بطن أمه، حضر أبرهة الأشرم ملك الحبشة يريد هدم الكعبة، وكان قد بنى كنيسة بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من بني كنانة، فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك، وحلف ليهدمن الكعبة، فخرج ومعه جيش عظيم، ومعه فيله محمود، وكان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيره، وقيل: ثمانية. فلما بلغ المغمس، وهو على ثلثي فرسخ من مكة، مات دليلة أبو رغال هناك، فرجمت العرب قبره. والناس يرجمونه إلى الآن. وروى أبو علي بن السكن، في سننه الصحاح، أن النبي ﷺ كان إذا كان بمكة، وأراد أن يقضي حاجة الإنسان، خرج إلى المغمس.

ثم إن أبرهة بعث خيلاً له إلى مكة، فأخذت مائتي بعير لعبد المطلب، فهم أهل الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه. وبعث أبرهة إلى أهل مكة يقول لهم: إني لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم! فقال عبد المطلب لرسوله: والله لا نريد حربه، وما لنا من حاجة، هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم ﷺ فهو يحميه ممن يريد هدمه.

ثم خرج عبد المطلب إلى أبرهة، وكان عبد المطلب جسيماً وسيماً ما رآه أحد إلا أحبه، وكان مجاب الدعوة، فقيل لأبرهة: هذا سيد قريش الذي يطعم الناس في السهل، ويطعم الوحش والطير في رؤوس الجبال، فلما رآه أجله وأجلسه معه على سريره. ثم قال لترجمانه: قل له: سل حاجتك. فقال: حاجتي أن يرد الملك علي مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك، قال له أبرهة: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلم تكلمني فيه؟ فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه منك. قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني. فقال عبد المطلب: أنت وذاك. فرد أبرهة على عبد المطلب إبله، ثم انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله تعالى ثم قال[1]:

لا هـمّ أن المـرءَ يمـنـ ـعُ رحـلَه فـامـنـع حـلالَـك
وانصر عـلى آل الـصـلـيـ ـب وعـابـديـه الـيـومَ آلـك
لا يـغـلـبـن صـلـيـبـهـم ومحـالـهـم أبـداً محـالـك

(١) الحيوان للجاحظ ١٩٨/٧.

ثم أرسل حلقة الباب، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال، ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها، فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر، فأصبح أبرهة متهيئاً لدخول مكة وهدم البيت، وقدم فيله محموداً أمام جيشه، فلما وجه الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب، كذا في سيرة ابن هشام.

وقال السهيلي: نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك، فأخذ بأذن الفيل وقال: ابرك محموداً وارجع راشداً فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل فضربوه بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى! فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول، فوجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى مكة فبرك. فعند ذلك أرسل الله تعالى عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فتساقطوا بكل طريق، وهلكوا على كل منهل، وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع قلبه عن صدره، وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه، حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر، فخر ميتاً بين يديه. وإلى هذه القصة أشار النبي ﷺ بقوله في الحديث(1) الصحيح: «إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين».

وفي صحيح(2) البخاري وسنن أبي داود والنسائي، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله تعالى عنهما، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه، قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل». الخلاء في الإبل كالحران في الخيل، والمعنى في التمثيل بحبس الفيل أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لو دخلوا مكة لوقع بينهم وبين قريش قتال في الحرم، وأريق فيه دماء وكان منه الفساد ولعل الله سبحانه وتعالى قد سبق في علمه، ومضى في قضائه، أنه سيسلم جماعة من أولئك الكفار، وسيخرج من أصلابهم قوم مؤمنون، فلو استبيحت مكة لانقطع ذلك النسل وتعطلت تلك العواقب والله أعلم.

قيل: كان أبرهة المذكور جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ، وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل، بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوماً، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة.

وروي أن عبد الملك بن مروان، قال لقباث بن أشيم الكناني: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد ﷺ عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل وهو أخضر، وأنا أعقله. قال السهيلي: قوله فبرك الفيل، فيه نظر، لأن الفيل لا يبرك، فيحتمل أن يكون فعل فعل البارك، الذي يلزم موضعه، ولا يبرح، فعبر بالبروك عن ذلك. ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض، لما دهمه من أمر الله سبحانه وتعالى.

---

(1) رواه البخاري: علم ٣٩، لقطة ٧. ومسلم: حج ٤٤٧.

(2) رواه البخاري: شروط ١٥. وأبو داود جهاد ١٥٦.

قال: وقد سمعت من يقول: إن في الفيلة صنفاً يبرك كما يبرك الجمل، فإن صح، وإلا فتأويله كما قدمناه. قال: وقول عبد المطلب: لاهم... الخ. إن العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقي. والحلال متاع البيت، وأراد به سكان الحرم. ومعنى محالك كيدك وقوتك.

والكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء تسمى القليس، مثل القبيط سميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس، يقال: تقلس الرجل وتقلنس إذا لبس القلنسوة، وتقلس طعاماً إذا ارتفع من معدته إلى فيه.

وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنائها، وكلفهم فيها أنواعاً من السخر وكان ينقل إليها الرخام المجزع، والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة، من قصر بلقيس صاحبة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة، ومنابر من العاج والآبنوس، وكان يشرف منها على عدن.

وكان حكمه في العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس، قبل أن يعمل قطع يده، فنام رجل من العمال ذات يوم حتى طلعت الشمس، فجاءت أمه معه، وهي امرأة عجوز، فتضرعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا قطع يده، فقالت: اضرب بمعولك اليوم، فاليوم لك وغداً لغيرك! فقال: ويحك ما قلت؟ قالت: نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك، فهو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك! فأخذته موعظتها، وعفا عن ولدها وأعفى الناس من السخر فيها.

فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق، أقفر ما حول هذه الكنيسة، وكثر حولها السباع والحيات، وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئاً أصابته الجن، فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير مقنطرة من الأموال إلى زمن أبي العباس السفاح. فذكروا له أمرها وما يتهيب من جنها، فلم يرعه ذلك، وبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن، ومعه أهل الحزم والجلادة، فخربها واستأصلها، وحصل منها مالاً كثيراً، وباع منها ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها. فخفي بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها. وكان الذي يصيبهم من الجن، ينسبونه إلى كعيب وامرأته وهما صنمان كانت الكنيسة بنيت عليهما، فلما كسر كعيب وامرأته، أصيب الذي كسرهما بالجذام، فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم، وذكر أبو الوليد الأزرقي أن كعيباً كان من خشب وكان طوله ستين ذراعاً.
وإلى قصة أبرهة أشرت بقولي في المنظومة في أول كتاب السير:

فجاءهم أبرهةُ بالفيَله ... وبجيوشٍ أقبلتْ محتلفه
وأمهم في عسكرٍ كالليل ... مستظهراً برجلِه والخيل
وقد أتى الأسود نحو الحرم ... واستاق ما كان به من نِعم
فأم ذاك الوقت عبد المطلب ... أبرهة والسعي في الخير طلبْ
فمذ رأى أبرهة وجهاً سما ... مهابة عظمه ربُّ السَما
انحطّ عن سريره منهبطا ... وقعدا على بساط بسطا
وقال: سل ما شئت من أمور ... فقال رد مائتي بعير

قد أخذتْ من جملةِ الأموالْ — فقال: قد هونتَ في السؤال
لو قلت لي لا تهدمَن البيتا — وارجع وعدْ من حيثما أتيتا
قابلت ما قلت بالامتثال — من غير إمهال ولا إهمال
فقال: هذي إبلي وهذا — بيت له خالقه أعاذا
لا أسأل اليوم سواء فيه — إن له رباً علا يحميه
ثم أتى شيبة بابَ الكعبة — فقال: إذ يسأل فيه ربه
يا ربّ لا أرجو لهم سواكا — يا ربّ فامنع عنهم حماك
إنّ عدوَّ البيتِ من عاداك — فامنعهم أنْ يخربوا قراكا
فأجلبوا برجلهم والخيل — وأقبلوا كقطعٍ من ليل
محمودُه من فوقه مذموم — بهيمة سواده بهيم
يرومُ هدمَ البيتِ ذي الأركان — وقتل ما فيه من السكان
ويستحلُّ الحرمَ المعظما — ويستبيحُ البلدَ المحرما
فقام يدعو الله عبد المطلب — بدعوات جيشهن ما غلب
في يده حلقته الوثقى التي — ما خاب من أمسكها في أزمة
فأنجز الله له ما طلبه — وأنجح الربُّ العظيمُ مطلَبه
وفيلهم محمودُ ليلُ داج — وكان يكنى بأبي الحجاج
وقال قوم بأبي العباس — وكان معروفاً بعظم الباس
أمسكه بأذنه نُفيل — قال له وشاعَ هذا القِيل:
ابركْ أو ارجعْ راشداً محمود — فإنّ هذا بلدٌ محمود
فأوجعوه بالحديدِ ضربا — للسيرِ نحو البيتِ وهو يأبى
وأن يوجه لسواه يبتدر — ثم عَليه أحد لم يقتدر
فأرسل الله على الذي فجر — طيراً أبابيلَ رمتْ جنسَ الحجر
مهيئاً للقومِ مِن سجّيل — فهم كعصفٍ بعدها مأكول
والملكُ المطاعُ عضواً عضوا — مُزّق ثم لم ينل مرجوا
وكان عامَ الفيل عامَ المولد — لأحمدَ خيرِ الورى محمد

فائدة أخرى: إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ: كهيعص حم عسق، وعدد حروف الكلمتين عشرة، يعقد لكل حرف أصبعاً من أصابعه، يبدأ بإبهام يده اليمنى، ويختم بإبهام يده اليسرى، فإذا فرغ عقد جميع الأصابع، قرأ في نفسه سورة الفيل، فإذا وصل إلى قوله تعالى ﴿ترميهم﴾[1] كرر لفظ ترميهم عشر مرات، يفتح في كل مرة إصبعاً من الأصابع المعقودة، فإذا فعل ذلك، أمن شره وهو عجيب مجرب.

---

(١) سورة الفيل: آية ٤.

ومن الفوائد المجربة: ما أفادنيه بعض أهل الخير والصلاح، أن من قرأ سورة الفيل، ألف مرة، في كل يوم مائة مرة، عشرة أيام متوالية، ويقصد من يريده بالضمائر، وفي اليوم العاشر، يجلس على ماء جار، ويقول: اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر، اللهم عَزّ الظالم وقل الناصر، وأنت المطلع العالم، اللهم إنّ فلاناً ظلمني وأذاني، ولا يشهد بذلك غيرك، اللهم إنّك مالكه فأهلكه، اللهم سربله سربال الهوام، وقمصه قميص الردى، اللهم اقصفه. يكرر هذه اللفظة عشر مرات، ثم يقول: ﴿**فأخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق**﴾[1] فإن الله يهلكه ويكفيه شره. وهو سر لطيف مجرب.

وروي أن عمرو بن معد يكرب[2] رضي الله تعالى عنه حمل يوم القادسية على رستم، وهو الذي كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين، فاستقبل عمرو رستم وكان رستم على فيل عظيم، فحذف عمرو قوائمه بضربة، فسقط رستم وسقط الفيل عليه، مع خرج كان عليه، فيه أربعون ألف دينار، فقتل رستم وانهزمت العجم. وهذه الضربة لم يسمع بمثلها في الجاهلية ولا في الإسلام. وروي أن الروم حملت القوائم المذكورة، وعلقوها في كنيسة لهم. فكانوا إذا عيروا بانهزام، يقولون: لقينا قوماً هذه ضربتهم، فيترجل أبطال الروم فيرونها، ويتعجبون من ذلك. وذكر أبو العباس المبرد، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال يوماً: من أجود العرب؟ قيل له: حاتم. قال: فمن فارسها؟قيل: عمرو بن معد يكرب. قال: فمن شاعرها؟ قيل: امرؤ القيس. قال: فأي سيوفها أمضى؟ قيل: صمصامة عمرو بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه.

وأفاد السهيلي أن صمصامة عمرو بن معد يكرب كانت حديدة، وجدت عند الكعبة، من دفن جدهم أو غيره، وأن ذا الفقار سيف رسول الله ﷺ، كان من تلك الحديدة أيضاً. قال: وإنما سمي ذا الفقار لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان قبله ﷺ للعاص بن منبه، سلبه منه يوم بدر.

الحكم: يحرم أكل الفيل على المشهور، وعلله في الوسيط، بأنه ذو ناب مكادح أي مغالب مقاتل. وفي وجه شاذ حكاه الرافعي عن أبي عبد الله البوشنجي، وهو من أئمة أصحابنا أنه حلال. وقال الإمام أحمد: ليس الفيل من أطعمة المسلمين، وقال الحسن: وهو منسوخ، وكرهه أبو حنيفة، ورخص في أكله الشعبي، ويصح بيعه لأنه يحمل عليه ويقاتل به وعليه، وراكبه يرضخ له من الفيء أكثر من راكب البغل. ولا يطهر الفيل عندنا بالذبح، ولا يطهر عظمه بالتنقية، سواء أخذ منه بعد ذكاته، أو بعد موته، ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة، وهو قول أبي حنيفة، ومن وافقه لكن المذهب نجاستها مطلقاً.

وعند مالك أن عظمه يطهر بصقله، كما تقدم في باب السين المهملة، في لفظ السلحفاة. ولا

---

(١) سورة غافر: آية ٢١.

(٢) عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبدالله الزبيدي، فارس يمني، شاعر من أبطال اليرموك والقادسية. مات سنة ٢١ هـ.

يجوز بيعه ولا يحل ثمنه، وبهذا قال طاوس وعطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد العزيز ومالك وأحمد. وقال ابن المنذر: خص فيه عروة بن الزبير وابن سيرين وابن جريج. وفي الشامل أن جلد الفيل لا يؤثر فيه الدباغ لكثافته.

وفي صحة المسابقة على الفيل وجهان: وقيل قولان أصحهما أنها تصح لما روى الشافعي وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، وصححه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل»[1] والسبق بفتح الباء ما يجعل للسابق على سبقه من جعل، وجمعه أسباق، وأما السبق بإسكان الباء، فهو مصدر سبقت الرجل أسبقه، والرواية الصحيحة في هذا الحديث لا سبَق بفتح الباء، وأراد به أن الجعل والعطاء لا يستحق إلا في سباق الخيل والإبل والنصال، لأن هذه الأمور عدة في قتال العدو، وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد ولم يذكر الشافعي الفيل، وقال أبو اسحاق: تجوز المسابقة عليه لأنه يلقي عليه العدو كما يلقي على الخيل، ولأنه ذو خف والصورة النادرة تدخل في العموم، على الأصح عند الأصوليين.

ومن الأصحاب من قال: لا تصح المسابقة عليه، وبه قال أحمد وأبو حنيفة، لأنه لا يحصل الكر والفر عليه، فلا معنى للمسابقة عليه، فإن قال قائل: فالإبل كالفيل في هذا المعنى، فالجواب أن العرب تقاتل على الإبل أشد القتال، وذلك لهم عادة غالبة والفيل ليس كذلك. ومن قال بالأول، قال: إنه يسبق الخيل في بلاد الهند والله أعلم.

تذنيب: في سنة تسعين وخمسمائة سار نيارس أكبر ملوك الهند، وقصد بلاد الإسلام فطلبه الأمير شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، فالتقى الجمعان على نهر ماجون، قال ابن الأثير: وكان مع الهندي سبعمائة فيل ومن العسكر ألف ألف نفس، فصبر الفريقان، وكان النصر لشهاب الدين الغوري، وكثر القتل في الهنود حتى جافت منهم الأرض، وأخذ شهاب الدين تسعين فيلاً، وقتل ملكهم نيارس، وكان قد شد أسنانه بالذهب، فما عرف إلا بذلك. ودخل شهاب الدين بلاد نيارس، وأخذ من خزائنه ألفاً وأربعمائة حمل من المال، وعاد إلى غزنة. قال: وكان من جملة الفيلة التي أخذها شهاب الدين الغوري فيل أبيض، حدثني بذلك من رآه انتهى.

الأمثال: قالوا: «آكل[2] من فيل وأشد[3] من فيل وأعجب من خلق فيل». روي أنه كان في مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، جماعة يأخذون عنه العلم، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، فإنه لم يخرج، فقال له مالك: لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، ولم أجيء لأنظر إلى الفيل. فأعجب به مالك رضي الله تعالى عنه، وسماه عاقل أهل الأندلس، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرياسة بها. وبه اشتهر مذهب مالك في تلك البلاد، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى وكان معظماً

---

(١) رواه أبو داود: جهاد ٦٠. والترمذي: جهاد ٢٢. والنسائي: خيل ١٤. وابن ماجه جهاد ٤٤.

(٢) جمهرة الأمثال: ١٦٤/١.   (٣) جمهرة الأمثال: ٤٦٤/١.

عند الأمراء، وكان مجاب الدعوة. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين، وقبره بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة يستسقى به.

ونظير هذه الحكاية ما اتفق لأبي عاصم النبيل، واسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك، فإنه كان بالبصرة فقدمها فيل، فذهب الناس ينظرون إليه، فقال له ابن جريج: ما لك لا تخرج تنظر إلى الفيل؟ فقال: لأني لا أجد منك عوضاً! فقال له: أنت النبيل. فكان إذا أقبل، يقول ابن جريج: جاء النبيل. قال البخاري: سمعت أبا عاصم يقول: منذ عقلت أن الغيبة حرام، ما اغتبت أحداً قط. وقالوا: «أثقل من فيل». قال[1] الشاعر:

أنت يا هذا ثقيلٌ وثقيل ثقيل
أنت في المنظر إنسا ن وفي الميزانِ فيل

الخواص: من سقي من وسخ أذن الفيل ينام سبعة أيام، ومرارته يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام، فإنه يذهب. وعظمه يعلق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإذا علق العاج، الذي هو عظمه، على شجرة لم تثمر تلك السنة. وإذا بخر الكرم والزرع والشجر بعظمه لم يقرب ذلك المكان دود، وإن دخن به في بيت فيه بق مات البق. ومن سقي من نشارة العاج في كل يوم، وزن درهمين بماء وعسل جاد حفظه، وإن شربتها المرأة العاقر سبعة أيام، ثم جومعت بعد ذلك حبلت بإذن الله تعالى. وجلده إذا شد منه قطعة على من به حمى نافض تزول عنه، وإذا نام عليه صاحب التشنج يزول عنه، وإذا أحرق زبله وسحق بعسل وطلي به الأجفان التي سقط شعرها نبت، وإذ شربت المرأة بوله، وهي لا تعلم، ثم جومعت لم تحبل. وزبله إذا علق عليها لم تحبل أيضاً، مادام عليها. ودخان جلده يبرىء البواسير.

التعبير: الفيل في المنام ملك أعجمي مهاب، بليد القلب حامل الأثقال عارف بالحرب والقتال، فمن ركب فيه فيلاً أو ملكه أو تحكم عليه، اتصل بسلطان ونال منه منزلة سنية، وعاش عمراً طويلاً في عز ورفعة، وقيل: إن الفيل رجل ضخم أعجمي، فمن ركب فيلاً وكان ذا طوع له، فإنه يقهر رجلاً ضخماً أعجمياً شحيحاً. ومن ركب فيلاً في نومه بالنهار فإنه يطلق زوجته، لأنه كان في الزمن المتقدم في بلاد الفيلة من طلق زوجته أركب فيلاً، وطيف به حتى يعلم الناس، ومن ركب من الملوك فيلاً وهو في حرب فإنه يهلك لقوله[2] تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ إلى آخر السورة، ومن ركب فيلاً بسرج، تزوج بنت رجل ضخم أعجمي، وإن كان تاجراً عظمت تجارته، ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان، وإن كان مريضاً مات ومن رعى فيلة فإنه يواخي ملوك العجم وينقادون له، ومن حلب فيلة فإنه يمكر برجل أعجمي. وينال منه مالاً، وقالت اليهود: الفيل في المنام ملك كريم لين الجانب ذو مدارة صبور، ومن ضربه فيل بخرطومه نال خيراً، ومن ركبه نال وزارة وولاية، ومن أخذ شيئاً من ورثة استغنى. ويدل أيضاً على قوم صالحين. وقيل: من يرى الفيل يرى أمراً شديداً، ثم ينجو منه. وقالت النصارى: من رأى فيلاً ولم يركبه أصابه نقصان في بدنه أو خسران في ماله. ومن رأى فيلاً

(١) العقد الفريد: ٢/٢٩٦.
(٢) سورة الفيل: آية ١.

مقتولاً في بلدة، مات ملكها، أو يقتل رجل مذكور. ومن قتل فيلاً قهر رجلاً أعجمياً، ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه، فإنه يموت، وإذا رؤي الفيل في غير بلاد النوبة، فإنه يدل على فتنة، وذلك لقبح لونه وسماجته. وإن رؤي في البلاد التي يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس. والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد لها ذلك، على أي صفة رأته. وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر، وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم، وإذا ركب الفيل في بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة، والله تعالى أعلم.

فصل في فضل العقل وزينه، وقبح الجهل وشينه:

قال بعض الحكماء: العقل ما عقل به عن السيئات، وحض القلب على الحسنات، والعقل معقل عن الدنيات، ونجاة من المهلكات، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب، والوقوف عند مقادير الأشياء، قولاً وفعلاً، لقوله[1] ﷺ: «أعقلها وتوكل». وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء، أن جميع الأمور كلها، قليلها وجليلها، محتاجة إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجربة، وقالوا: العقل سلطان وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح، لأن به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل.

وفي الحديث: «ما قسم الله لعباده خيراً من العقل» وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام، أتى آدم عليه السلام فقال: إني أتيتك بثلاث: فاختر واحدة منها، فقال: وما هي؟ فقال: الحياء والعقل والدين. فقال آدم عليه السلام: قد اخترت العقل. فخرج جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الحياء والدين، فقال: ارجعا فقد اختار العقل عليكما. فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان. وقال بعضهم: من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب. والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة، ويبصر به الفضل من الضلالة، ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل، وما شيء أحسن من عقل زانه أدب، ومن علم زانه ورع، ومن حلم زانه رفق، ومن رفق زانه تقوى.

وروي أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة. فقال: «وما هي»؟ فقال[2]: ﴿**خذِ العفوِ وأمرْ بالعرفِ وأعرضْ عنِ الجاهلين**﴾، وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك، واعطاء من حرمك، وصلة من قطعك، وإحسانك إلى من أساء إليك، واستغفارك لمن اغتابك، ونصحك لمن غشك، وحلمك عمن أغضبك. فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق، في الدنيا والآخرة. وأنشد بعضهم في معنى ذلك فقال:

خذِ العفوَ وأْمر بعرفٍ كما ... أمرتَ وأعرضْ عن الجاهلين
ولِن في الكلامِ لكلِّ الأنام ... فمستحسن من ذوي الجاهِ لين[3]

---

(١) رواه الترمذي: قيامة ٦٠. وجمهرة الأمثال: ٤٢/٢.
(٢) سورة الأعراف: آية ١٩٩.
(٣) الأنام: الناس.

ومن طرق العقل الحميدة: القناعة وهي كنز لا يفنى، والصدقة وهي عز باق، وتمام عز الرجل استغناؤه عن الناس. ومن طرقه أيضاً الحياء، وقد قيل:

إذا قـلَّ مـاءُ الـوجـهِ قـلَّ حيـاؤُه ... ولا خـيرَ في وجـهٍ إذا قـلَّ مـاؤُه

ومن طرقه أيضاً حسن الخلق. روي عنه ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»(1). وروي أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي عيسى ابن مريم عليهما السلام فتبسم عيسى في وجهه، فقال يحيى: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن! فقال عيسى: ما لي أراك عابساً كأنك آيس! فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا وحي. فأوحى الله تعالى إليهما: أحبكما إلي أحسنكما خلقاً.

تتمة: ذكر الغزالي وابن بلبان وغيرهما، أن أبا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة، وكان يخرج سحَراً فيطوف بالبيت، فخرج ذات ليلة سحراً فبينما هو يطوف، إذ سمع قائلاً يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فهرول المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه، ثم رجع لدار الندوة، وقال لصاحب الشرطة: إن بالبيت رجلاً يطوف فائتني به. فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلاً عند الركن اليماني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فلما دخل عليه، قال: ما الذي سمعتك آنفاً تشكو إلى الله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني!

فقال له: يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله، وامتلأت بلاد الله بذلك بغياً وفساداً أنت! فقال المنصور: ما هذا؟ أو قال: ويحك كيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء ببابي، وملك الأرض في قبضتي؟! فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين، وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك؟ استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم، فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، واتخذت بينك وبين رعيتك حجاباً من الجص والآجر، وحجبة معهم السلاح، وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، نفراً استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الجائع ولا العاري ولا أحد إلا وله في هذا المال حق! فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، تجمع الأموال ولا تقسمها، قالوا: هذا قد خان الله ورسوله، فما لنا لا نخونه؟ فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أمور الناس إلا ما أرادوا، فصار هؤلاء شركاءك في سلطانك، وأنت غافل عنهم، فإذا جاء المظلوم إلى بابك، وجدك قد أوقفت ببابك رجلاً ينظر في مظالم الناس، فإن كان الظالم من بطانتك، علل صاحب المظالم بالمظلوم، وسوّف به من وقت إلى وقت، فإذا جهد وظهرت أنت، صرخ بين يديك، فيضرب ضرباً شديداً ليكون نكالاً لغيره! وأنت ترى ذلك ولا تنكر، ولقد كانت الخلفاء قبلك، من بني أمية، إذا انتهت إليهم الظلامة أزيلت في الحال.

ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين فقدمته مرة، فوجدت الملك الذي به قد فقد سمعه فبكى، فقال له وزراؤه: ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عيناً؟ فقال: والله ما بكيت لمصيبة

---

(1) رواه أبو داود: سنة ١٤. وابن حنبل: ٢ ـ ٢٥٠.

نزلت بي، وإنما أبكي لمظلوم يصرخ بالباب، فلا أسمع صوته. ثم قال: إن كان سمعي قد ذهب فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس أن لا يلبس أحداً ثوباً أحمر إلا مظلوماً. وكان يركب الفيل طرفي النهار، ويدور في البلد لعله يجد أحد لابساً ثوباً أحمر، فيعلم أنه مظلوم فينصفه، هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين! فكيف لا تغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله ﷺ؟! يا أمير المؤمنين: إنما تجمع المال لإحدى ثلاث: إن قلت: إنما أجمع المال للولد، فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد، فلم يغن ذلك عنه، بل ربما مات فقيراً ذليلا حقيراً، إذ قد يسقط الطفل من بطن أمه وليس له مال، ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فلم يزل يلطف الله تعالى بذلك الطفل، حتى تعظم رغبة الناس فيه، ويحوي ما حوته تلك اليد الشحيحة، ولست بالذي تعطي، وإنما الله المعطي. وإن قلت: إنما أجمعه لمصيبة تنزل بي، فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة في الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك، ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع، حين أراد الله بهم ما أراد. وإن قلت: إنما أجمعه لغاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة، لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

فبكى المنصور بكاء شديداً ثم قال: كيف أعمل والعلماء قد فرت مني، والعباد لم تقرب مني، والصالحون لم يدخلوا علي؟ فقال: يا أمير المؤمنين افتح الباب، وسهل الحجاب، وانتصر للمظلوم، وخذ من المال ما حل وطاب، وأقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك! فقال المنصور: نفعل إن شاء الله تعالى. وجاءه المؤذنون فآذنوه بالصلاة، فقام وصلى. فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده. فقال لصاحب الشرطة: علي بالرجل الساعة فخرج يتطلبه، فوجده عند الركن اليماني، فقال له: أجب أمير المؤمنين. فقال له: ليس إلى ذلك سبيل. فقال: إذا يضرب عنقي! فقال: لا، ولا إلى ضرب عنقك من سبيل. ثم أخرج من مزود كان معه رقاً مكتوباً، فقال: خذه فإن فيه دعاء الفرج، من دعا به صباحاً، ومات من يومه مات شهيداً، ومن دعا به مساء، ومات من ليلته مات شهيداً، وذكر له فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً.

فأخذه صاحب الشرطة، وأتى المنصور فلما رآه قال له: ويلك أوتحسن السحر! قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ثم قص عليه فأمر المنصور بنقله، وأمر له بألف دينار. وهو هذا: اللهم كما لطفت في عظمتك وقدرتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك، فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، فانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لي من كل غم وهم أصبحت أو أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً، اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك، مما قصرت فيه فصرت أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، فإنك المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي، فيما بيني وبينك تتودد إلي بالنعم، وأتبغض إليك بالمعاصي، فلم أجد كريماً أعطف منك على عبد لئيم مثلي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك، فجد اللهم بفضلك وإحسانك علي، إنك أنت الرؤوف الرحيم. وروي أن الرجل المذكور كان الخضر عليه السلام.

الفينة: طائر يشبه العقاب، إذا خاف البرد انحدر إلى اليمن، قاله ابن سيده. والفينات الساعات يقال لقيته الفينة بعد الفينة، أي الحين بعد الحين، وإن شئت حذفت الألف واللام، فقلت: لقيته فينة بعد فينة، فكأن هذا الطائر لما كان في حين ينحدر إلى اليمن، وفي حين آخر يذهب عنها سمي باسم الزمان.

أبو فراس: كنية الأسد، يقال: فرس الأسد فريسته يفرسها فرساً وافترسها، أي دق عنقها وأصل الفرس هذا ثم كثر حتى قيل لكل قتلٍ فرسٍ، وبه سمي أبو فراس بن حمدان، أخو سيف الدولة بن حمدان، وكان ملكاً جليلاً وشاعراً مجيداً حتى قيل: بدىء الشعر بملك، وختم بملك: بدىء بامرىء[1] القيس واسمه حندج، وختم بأبي فراس[2]. ونظير ذلك قولهم: بدئت الرسائل بعبد الحميد[3]، وختمت بابن العميد[4] والله تعالى أعلم.

باب القاف

القادحة: الدودة، يقال: قدح الدود في الأسنان والشجر قدحاً. قاله الجوهري.

القارة: الدبة.

القارية: كسارية، هذا الطائر القصير الرجلين، الطويل المنقار، الأخضر الظهر، تحبه العرب وتتيمن به، ويشبهون به الرجل السخي. وهي مخففة قال الشاعر:

أمِن ترجيعِ قاريةٍ تركتم ... سباياكُم وأُبتم بالعناقِ

قال ابن الأعرابي: معنى البيت أفزعتم لما سمعتم ترجيع هذا الطائر وتركتم سباياكم ورجعتم بالخيبة؟ فالعناق هنا الخيبة، والجمع القواري. قال يعقوب: والعامة تقول: قاريّة بالتشديد. كذا قاله الجوهري. وقال البطليوسي، في الشرح: العرب تتيمن بالقواري وتتشاءم بها، فأما تيمنهم بها فإنها تبشر بالمطر، إذا جاءت. والسماء خالية من السحاب. قال النابغة الجعدي[5]:

ولازال يسقيها ويسقي بلادَها ... من المزنِ زحاف يسوقُ القواريا

وأما تشاؤمهم بها، فإن أحدهم إذا لقي منها واحدة من غير غيم ولا مطر خاف ورجع. وقال ابن سيده: القاريّة طير خضر يحبها الأعراب، ويشبهون الرجل السخي بها، وذلك لأنها تنذر بالمطر.

---

(١) امرؤ القيس بن حجر الكندي: شاعر جاهلي كان أبوه ملكاً، ويقال إن امرؤ القيس هو أول من وقف على الأطلال واستوقف.

(٢) أبو فراس: الحارث بن سعيد بن حمدان، أمير شاعر. مات سنة ٣٥٧ هـ.

(٣) عبد الحميد بن يحيى الكاتب، عالم أديب كاتب مترسل أهم كتاب العصر الأموي. مات سنة ١٣٢ هـ.

(٤) ابن العميد: محمد بن الحسين العميد بن محمد، أبو الفضل، وزير ركن الدولة البويهي، كاتب عظيم الشأن مات سنة ٣٦٠ هـ.

(٥) النابغة الجعدي: قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة، أبو ليلى، شاعر مخضرم من الصحابة، وكان ممن هجروا عبادة الأوثان في الجاهلية. توفي سنة ٥٠ هـ.

قال بعضهم: ومن ذلك قول النبي ﷺ: «الناس قواري الله في الأرض». أي شهوده، لأن بعضهم يتبع أحوال بعض، فإذا شهدوا الإنسان بخير أو شر فقد وجب، والقواري واحدها قار وهو جمع شاذ.

قلت: ويدل لصحة هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أنتم شهداء الله في الأرض»[(1)].

وحكمها: الحل لأن العرب كانت تأكلها، قاله الصيمري وغيره، وقالوا في كتاب الحج: الحمام يفدى بشاة، وما دونه من القواري وغيرها يفدى بالقيمة. وهذا دليل على حل أكلها، وتصريح بأن القارية ليست من الحمام. وكلام أهل اللغة لا يساعده. فقد قال ابن السكيت، في إصلاح المنطق: القواري طيور خضر لها ترجيع. وقد تقدم تفسير هدير الحمام بالترجيع في صوته، وتقدم أن غير الحمام يشاركه في اللعب وإذا كان غير الحمام يشاركها في اللعب ألغى اعتباره، ووجب اعتبار الهدير وهو الترجيع، فوجب أن تكون القارية من الحمام، وأنها تفدى بشاة دون القيمة، كسائر الحمام وللنظر في هذا التعارض مجال.

القاق: طائر مائي طويل العنق.

وحكمه: حل الأكل كما تقدم.

القاقم: دويبة تشبه السنجاب، إلا أنه أبرد منه مزاجاً وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق، ويشبه جلده جلد الفنك، وهو أعز قيمة من السنجاب.

وحكمه: الحل لأنه من الطيبات.

القانب: الذئب العواء والمقانب الذئاب الضاربة، وقد تقدم لفظ الذئب في باب الذال المعجمة.

القاوند: طائر يتخذ وكره على ساحل البحر، ويحضن بيضه سبعة أيام في الرمل، ويخرج أفراخه في اليوم السابع، ثم يزقها سبعة أيام أيضاً، والمسافرون في البحر يتيمنون بهذه الأيام، ويوقنون بطيب الوقت وحلول أوان السفر. وقيل: إن الله تعالى إنما يمسك البحر عن هيجانه في زمن الشتاء، عن بيض هذا الطائر وفراخه، لبره بأبويه، عند كبرهما، وذلك أنهما إذا كبرا حمل إليهما قوتهما، وعالهما حياتهما إلى أن يموتا. وهذا الطائر المتخذ منه شحم القاوند المعروف، وهو يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة. وفي المفردات: دهن القاوند معروف كالسمن، يؤتى به من بلاد اليمن، ومن الحبشة والهند، ويقال إنه يستخرج من ثمر شجرة كالجوز، ويطحن في المعاصر، ويستخرج، ينفع الأمراض الباردة وأوجاع الأعصاب.

القبج: بفتح القاف وإسكان الباء الموحدة، وبالجيم في آخره، واحدة قبجة الحجل، والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى، حتى تقول: يعقوب، فيختص بالذكر، وكذلك

---

(1) رواه البخاري: جنائز ٨٥. ومسلم: جنائز ٦٠.

الدراجة حتى تقول حيقطان، والبومة حتى تقول صدي أوفياد، والحبارى حتى تقول خرب، وكذا النعامة حتى تقول ظليم، والنحلة حتى تقول يعسوب، ومثله كثير.

وقال كراع في المجرد: القبج فارسي معرب، لأن القاف والجيم أو الكاف لا يجتمعان في كلام العرب، كالجوالق وجلق والقبج والكليجة وهو مكيال صغير، وما كان نحو ذلك. وفراخ القبج تخرج كما الفراريج، كما تقدم، وإناثه تبيض خمس عشرة بيضة، والذكر يوصف بالقوة على السفاد، كما يوصف الديك والعصفور، ولكثرة سفاده يقصد موضع البيض، فيكسره لئلا تشتغل الأنثى بحضنه عنه، ولهذا، الأنثى إذا أتى أوان بيضها، تهرب وتختبىء رغبة في الفراخ، وهي إذا هربت بهذا السبب ضاربت الذكور بعضها بعضاً، وكثر صياحها، ثم إن المقهور يتبع القاهر، ويسفد القوي الضعيف، والقبج يغير أصواته بأنواع شتى، بقدر حاجته إلى ذلك، ويعمر خمس عشرة سنة، ومن عجيب أمرها ما حكاه القزويني: أنها إذا قصدها الصياد، خبأت رأسها تحت الثلج، وتحسب أن الصياد لا يراها، وذكورها شديدة الغيرة على إناثها، والأنثى تلقح من رائحة الذكر، وهذا النوع كله يحب الغناء والأصوات الطيبة، وربما وقعت من أوكارها عند سماع ذلك فيأخذها الصياد.

وحكمها: حل الأكل لأنها من الطيبات.

الخواص: قال عبد الملك بن زهر: مرارة الذكر منها، إذا اكتحل بها تنفع من نزول الماء، وإن خلطت مع ماء الرازيانج واكتحل بها أبرأت من العشى بالليل، وشحمه ينفع السكتة واللوقة سعوطاً، وقال أرسطو: مرارة القبج، إذا خلطت بدهن زنبق وسعط بها المحموم ساعة يحم، فإنه يبرأ. قال: وصفة صيدهن أن يعجن لهن دقيق الشعير بالخمر، ويوضع لهن حتى يأكلن، فإذا أكلنه سكرن. فيصيدن.

القبرة: بضم القاف وتشديد الباء الموحدة واحدة القبر، قال الجوهري: وقد جاء في الشعر قنبرة كما تقوله العامة، وقال البطليوسي، في شرح أدب الكاتب: وقنبرة أيضاً بإثبات النون، قال: وهي لغة فصيحة، وهو ضرب من الطير يشبه الحمرة، وكنية الذكر منه أبو صابر وأبو الهيثم، والأنثى أم العلعل قال[1] طرفة وكان يصطادها:

يا لكِ من قبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
قد رُفعَ الفخُّ فماذا تحذري ... ونقّري ما شئتِ أن تنقّري
قد ذهب الصيادُ عنكِ فابشري ... لابد من أخذكِ يوماً فاحذري

والسبب في قوله ذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بفخ له، فنصبه للقنابر وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً ثم حمل فخه وعاد إلى عمه، فحملوا ورحلوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب، فقال ذلك. قال أبو عمرو: والمراد بالجو هنا ما اتسع من الأودية، وحذف طرفة النون من قوله: فماذا تحذري، لوفاق القافية أو لالتقاء

(١) ديوان طرفة: ٧١.

الساكنين، قال أبو عبيدة: يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال[١] لابن الزبير، حين خرج الحسين رضي الله تعالى عنه إلى العراق:

خلا لكِ الجو فبيضي واصفري

ولطرفة بن العبد، قصة عجيبة مع عمرو بن المنذر بن امرىء القيس، لما كتب له وللمتلمس صحيفتين، ويقال له عمرو بن هند، وكان لا يبتسم ولا يضحك، وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه، فإنه ملك ثلاثاً وخمسين سنة، وكانت العرب تهابه هيبة شديدة. وقال السهيلي: إنه هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء، وهند أمه وسمي أبوه المنذر بابن ماء السماء لشدة جماله، وهو المنذر بن الأسود، ويعرف عمرو بمحرّق، لأنه حرق مدينة يقال لها ملهم، وهي عند اليمامة، وقال العتبي والمبرد: سمي محرقاً لأنه حرق مائة من بني تميم. ملك ثلاثاً وخمسين سنة.

وكان طرفة غلاماً معجباً فجعل يتخلج في مشيته بين يديه، فنظر إليه نظرة كادت تبتلعه من مجلسه، فقال له المتلمس حين قاما: يا طرفة إني أخاف عليك من نظرته إليك، فقال طرفة: كلا. ثم إنه كتب لهما كتابين إلى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان، فخرجا من عنده وسارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة، فإذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها وهو يتبرز ويقصع القمل، فقال له المتلمس: بالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف وأقل عقلاً منك! فقال له: وما الذي أنكرت علي؟ فقال: تتبرز وتأكل وتقصع القمل! قال: إني أخرج خبيثاً، وأدخل طيباً، وأقتل عدواً! ولكن أحمق مني وألأم حامل حتفه بيمينه، لا يدري ما فيه! فتنبه المتلمس، وكأنما كان نائماً، فإذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقي غنيمة له من نهر الحيرة، فقال له المتلمس: يا غلام أتقرأ؟ قال: نعم. قال: اقرأ هذه، فإذا فيها باسمك اللهم، من عمرو بن هند إلى المكعبر، إذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً. فألقى الصحيفة في النهر، وقال: يا طرفة معك والله مثلها. فقال: كلا، ما كان ليكتب لي مثل ذلك. ثم أتى طرفة إلى المكعبر، فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً. فضرب المثل بصحيفة المتلمس، لمن يسعى في حتفه بنفسه، ويغرر بها. وستأتي الإشارة إلى هذه القصة، في باب الكاف، في لفظ الكروان.

وكان سبب إحراق عمرو بن هند لبني تميم، كما قاله العتبي والمبرد أن عمراً كان له أخ، وهو أسعد بن المنذر، وكان مسترضعاً في بني دارم، فانصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ، فمر بابل لسويد بن ربيعة التميمي، فنحر منها بكرة فرماه سويد بسهم فقتله. فلما سمع عمرو بن هند بقتل أخيه خلف ليحرقن منهم مائة رجل، فأخذ منهم تسعة وتسعين رجلاً، فقذفهم في النار، ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم ليكمل العدد، فقالت: هلا فتى يفدي هذه العجوز بنفسه؟ ثم قالت: هيهات صارت الفتيان حمماً! ومر وافد البراجم، فاشتم رائحة اللحم، فظن أن الملك قد اتخذ طعاماً، فعرج إليه فأتى به إليه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا وافد البراجم، فقال[٢] له عمرو:

---

(١) معجم الأدباء: ٣٩٧/٤.

(٢) جمهرة الأمثال: ١٠٢/١.

«إن الشقي وافد البراجم»، فذهبت مثلاً ثم أمر به فقذف في النار، وقد أشار إلى ذلك ابن دريد في مقصورته بقوله:

ثم ابن هند باشرتْ نيرانُه يومَ أوارات تميما بالصَّلى

وأورات موضع، وهو جمع واحدة أوارة، وتميم قبيلة، والصلى وهج النار. والقبرة غبراء كبيرة المنقار كأنما على رأسها قبرة، وهذا الضرب من العصفور قاسي القلب، وفي طبعه أنه لا يهوله صوت صائح، وربما رمي بالحجر، فاستخف بالرامي ولطأ بالأرض، حتى يتجاوز الحجر، وبهذا السبب لايزال مأخوذاً أو مقتولاً، لأن الرامي يحمله الحنق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه، وهو يضع وكره على الجادة حباً للأنس.

روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، بإسناده عن داود بن أبي هند، قال: صاد رجل قبرة، فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك! فقالت: والله إني لا أسمن ولا أغني من جوع، وما أشفي من قرم، ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك، والثانية إذا صرت على الشجرة، والثالثة إذا صرت على الجبل. قال: نعم. فقالت وهي على يده: لا تأسفن على ما فاتك، فخلى عنها، فلما صارت على الشجرة قالت: لا تصدقن بما لا يكون، فلما صارت على الجبل، قالت: يا شقي لو ذبحتني لوجدت في حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالاً. قال: فعض على شفته وتلهف، ثم قال: هاتي الثالثة. فقالت: قد نسيت الثنتين الأوليين، فكيف أعلمك الثالثة؟ قال: وكيف؟ قالت: ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت علي، وقلت لك: لا تصدقن بما لا يكون؟ وقد صدقت فإنه لو جمعت عظامي وريشي ولحمي لم تبلغ عشرين مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي درة وزنها عشرون مثقالاً.

وحكى القشيري في رسالته، عن ذي النون المصري رحمه الله، أنه سئل عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في بعض الصحارى، ثم فتحت عيني فإذا أنا بقبرة عمياء سقطت من وكرها، فانشقت لها الأرض، وخرج منها سكرجتان إحداهما فضة والأخرى ذهب، في إحداهما سمسم والأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه، قال: فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني، وعلمت أن من لم يضيع القبرة لا يضيعني.

وحكمها: حل الأكل بالاجماع، ووجوب الجزاء على المحرم بقتلها.

الخواص: لحمها يحبس البطن ويزيد في الباه، وبيضها يفعل ذلك، وإذا ديف زبلها بريق إنسان وطلي به الثآليل قطعها، وإذا كرهت المرأة زوجها، فليطل ذكره بشحمها ويجامعها، فإنها تحبه.

تتمة: في الأسماء قنبر، بضم القاف وإسكان النون وفتح الباء الموحدة، جد سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، وسيبويه لقب له، وهي لفظة أعجمية معناها رائحة التفاح وقنبر بضمتين جد ابراهيم بن علي بن قنبر البغدادي، عن نصر الله القزاز وجد أبي الفتح محمد بن أحمد بن قنبر

البزاز وغيرهما، وأما قنبر بفتح القاف والباء فأبو الشعثاء قنبر، وهو يروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره ذكره ابن حبان في الثقات وقنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال ابن أبي حاتم: روي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه، وكان حاجبه.

قال الشيخ في المهذب، في كتاب القضاء: ولا يكره للإمام أن يتخذ حاجباً، لأن يرفأ كان حاجب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، والحسن كان حاجب عثمان رضي الله تعالى عنه، وقنبر كان حاجب علي رضي الله تعالى عنه. قال محمد بن السماك: من عرف الناس داراهم، ومن جهلهم ماراهم، ورأس المداراة ترك المماراة. قيل: جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوماً مع المتوكل، وكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد ولدا المتوكل فقال له: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك، فمات في ليلة الإثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين. ثم إن المتوكل أرسل لولده عشرة آلاف درهم، وقال: هذه دية والدك. كذا حكاه ابن خلكان في ترجمته[1]. ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير أنشد لولدي المتوكل وهو يعلمهما:

يُصـاب الفتى من عثـرةٍ بلسـانـه	وليس يُصاب المرءُ من عثرةِ الرجلِ
فعثـرتُـه بـالقـولِ تـذهبُ رأسـه	وعثـرتُـه بـالـرجـلِ تبرا عـلى مهـل

ومن محاسن[2] شعر ابن السكيت:

إذا اشتملتْ عـلى اليـأسِ القلوبُ	وضـاقَ لمـا بـه الصـدرُ الـرحيبُ
وأوطـنـت المـكـارهُ واسـتـقـرت	وأرسـتْ في أمـاكِـنـهـا الخـطـوب
ولم تـر لانـكـشـافِ الضرّ وجـهـاً	ولا أغـنى بـحـيـلـتِـه الأريـب[3]
أتـاكَ عـلى قـنـوطٍ مـنـكَ عـفـو	يمـن بـه الـلطيـفُ المسـتـجـيـب
وكـلُّ الحـادثـاتِ إذا تـنـاهـتْ	فـمـوصـولٌ بهـا فـرجٌ قـريـبُ

وعرف أبوه بالسكيت، لأنه كان كثير السكوت، طويل الصمت، وكل ما كان على فعيل أو فعليل فإنه مكسور الأول. وكان ابن السكيت، رحمه الله، إماماً في اللغة، مكثراً من نقل الغريب، وله تصانيف مفيدة.

القبعة: بضم القاف وتخفيف الباء الموحدة، والعين المهملة المفتوحتين، طير أبقع مثل العصفور، يكون عند حجرة الجرذان، فإذا فزع أو رمي بحجر انقبع فيها. ذكره ابن السكيت المذكور قبله. وقوله: انقبع فيها أي دخل الجحر فالتجأ فيه.

القبيط: كحمير طائر معروف.

---

(١) وفيات الأعيان: ٦/٣٩٩.
(٢) وفيات الأعيان: ٦/٣٩٩.
(٣) الأريب: العاقل.

القتع: بفتح القاف والتاء المثناة والعين المهملة، دود يكون في الخشب يأكله، الواحدة قتعة ينزو ثم يقع.

ابن قترة: ضرب من الحيات لا يسلم من لدغته، وقيل: هو ذكر الأفعى، وهو نحو من الشبر، وأبو قترة كنية إبليس قاله ابن سيده وغيره.

القدان: بكسر القاف وبالدال المهملة المشددة: البراغيث، قاله ابن سيده. وقال غيره: هو دويبة تقرب من البرغوث تقرص قال الراجز:

يا أبتا أرقني القدان فالنومُ لا تطعمه العينان

قاله أبو حاتم في كتاب الطير، وقيل: القدان يوجد كثيراً بالبلاد والطرق الرملة، والناس يسمونه الدلم يقرص الإبل وغيرها.

القراد: واحد القردان، يقال قرد بعيرك أي انزع منه القراد، وقد تقدم الكلام عليه في الحلم. وقد ذكرنا أن مذهبنا استحباب قتل القراد في الإحرام وغيره، وقال العبدري: يجوز للمحرم عندنا أن يقرد بعيره، وبه قال ابن عمر وابن عباس وأكثر الفقهاء، وقال مالك: لا يقرده. قال ابن المنذر: وممن أباح تقريد البعير عمر وابن عباس وجابر بن زيد وعطاء والشافعي وأحمد واسحاق وأصحاب الرأي، وكرهه ابن عمر ومالك. وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال في المحرم يقتل قرادة: يتصدق بتمرة أو تمرتين. قال ابن المنذر: وبالأول أقول. وتقريد البعير أن ينزع القراد منه، وفسره ابن الأثير وغيره بأنه الطبوع الذي يلصق بجسمه. وفي قصيدة كعب بن زهير رضي الله تعالى عنه:

يمشي القرادُ عليها ثم يزلقه عنها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ(1)

اللبان الصدر، والأقراب الخواصر، والزهاليل الملس. وفي حديث أبي جهل، أن محمداً نزل يثرب وأنه حنق عليكم، نفيتموه نفي القراد عن المسامع. يعني الآذان أي أخرجتموه من مكة إخراج استئصال، لأن أخذ القراد عن الدابة قلعه بالكلية، والأذن أخف الأعضاء شعراً، بل أكثرها لا شعر عليه، فيكون النزع منها أبلغ.

الأمثال: قالوا: «أسمع من قراد»(2)، وذلك أنه يسمع وطء أخفاف الإبل من مسيرة يوم، فيتحرك لها، قال أبو زياد الأعرابي: ربما رحل الناس عن ديارهم بالبادية وتركوها قفاراً، والقردان منتشرة في أعطان الإبل، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة، ولا يخلفهم فيها أحد سواهم، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافي فتتحرك لها، ولذلك قالت العرب: «أعمر من قراد»(3). وقال حمزة: العرب

---

(1) البيت في ديوان كعب: ٦٣.
(2) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٤.
(3) جمهرة الأمثال: ٢/٦٥.

تزعم أن القراد يعيش سبعمائة سنة، وهذا من أكاذيبهم، وإنما الضجر منهم به دعاهم إلى هذا القول فيه.

وهو في الرؤيا: يدل على الأعداء والحساد الأخساء، وإن رأى الدلم منتشراً في الأرض والرمل، فهو كذلك أيضاً والله تعالى أعلم.

القرد: حيوان معروف، وكنيته أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبو ربة وأبو قشة، وهو بكسر القاف وسكون الراء، وجمعه قرود، وقد يجمع على قردة، بكسر القاف وفتح الراء المهملة، والأنثى قردة بكسر القاف وإسكان الراء، وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء، مثل قربة وقرب. وهو حيوان قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة.

حكي أن ملك النوبة أهدى إلى المتوكل قرداً خياطاً، وآخر صائغاً. وأهل اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه، ويعلم السرقة فيسرق.

نقل الشيخان عن القاضي حسين أنه قال: لو علم القرد النزول إلى الدار وإخراج المتاع، فنقب وأرسل القرد فأخرج المتاع، ينبغي أن لا يقطع لأن للحيوان اختياراً. ونقل البغوي في باب حد الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قرداً فوطئها. فعليها ما على واطىء البهيمة فتعزر في الأصح، وتحد في قول، وتقتل في قول.

فائدة: قال ابن عباس وعكرمة رضي الله تعالى عنهم في قوله[1] تعالى: ﴿الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَه﴾ أي أتقنه وقالا: ليست است القرد حسنة، ولكنها متقنة محكمة، فجميع المخلوقات حسنة، وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن. قال الله تعالى: ﴿لقد خَلقْنا الإنسانَ في أحسنِ تقويمٍ﴾[2]. والقردة تلد في البطن الواحد العشرة، والإثني عشر، والذكر ذو غيرة شديدة على الإناث. وهذا الحيوان شبيه بالإنسان في غالب حالته، فإنه يضحك ويطرب ويقعي ويحكي، ويتناول الشيء بيده، وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظافر، ويقبل التلقين والتعليم، ويأنس بالناس، ويمشي على أربع مشيه المعتاد ويمشي على رجليه حيناً يسيراً، ولشفر عينيه الأسفل أهداب، وليس ذلك لشيء من الحيوان سواه.

وهو كالإنسان، وإذا سقط في الماء غرق كالآدمي الذي لا يحسن السباحة، ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الإناث، وهما خصلتان من مفاخر الإنسان وإذا زاد به الشبق، استمنى بفيه، وتحمل الأنثى أولادها، كما تحمل المرأة، ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة من هذا النوع، إذا أرادت النوم ينام الواحد في جنب الآخر، حتى يكونوا سطراً واحداً، وإذا تمكن النوم منها، نهض أولها من الطرف الأيسر، فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه، ويفعل كفعله حتى يكون هذا إلى آخرهم، يفعلون ذلك في الليل كله مراراً، وسبب ذلك أنه يبيت في أرض ويصبح في أخرى، وفيه من قبول التأديب والتعليم ما لا يخفى. ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار، وسابق به

(١) سورة السجدة: آية ٧.
(٢) سورة التين: آية ٤.

مع الخيل، وفيه يقول[1] يزيد لما سبق بأتان ركبها فارساً:

مَن مبلغِ القـردَ الـذي سبقت بـه   جـوادَ أمـيرِ المـؤمـنـين أتـان
تـعـلقْ أبـا قش بهـا إن ركبـتَـهـا   فـليس عليهـا إن هلكـت ضمـانُ

روى ابن عدي، في كامله، عن أحمد بن طاهر بن حرملة بن أخي حرملة بن يحيى، أنه قال: رأيت بالرملة قرداً يصوغ، فإذا أراد أن ينفخ، أشار إلى رجل حتى ينفخ له. وفيه، في ترجمة محمد بن يوسف بن المنكدر عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ «كان إذا رأى القرد خر ساجداً».

وهو في المستدرك، قبيل كتاب الجمعة. ذكره شاهداً، وفيه في ترجمة ضمام بن اسماعيل، أنه روى عن أبي قنبل، أن معاوية صعد المنبر يوم جمعة، فقال في خطبته: أيها الناس إن المال مالنا، والفيء فيؤنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا، فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثانية، قال كذلك فلم يجبه أحد. فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك، فقام إليه رجل فقال: كلا يا معاوية، ألا إن المال مالنا، والفيء فيؤنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا. فنزل معاوية، وأرسل إلى الرجل، فأدخل عليه، فقال القوم: هلك الرجل، ثم فتح معاوية الأبواب، فدخل عليه الناس، فوجدوا الرجل معه على السرير! فقال معاوية: أيها الناس إن هذا الرجل أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة»، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد علي أحد شيئاً، فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد علي أحد شيئاً، فقلت في نفسي أنت من القوم، فتكلمت في الجمعة الثالثة، فقام إلي هذا الرجل، فرد علي فأحياني، أحياه الله، فرجوت أن يخرجني الله منهم. ثم أعطاه وأجازه. ورواه ابن سبع، في شفاء الصدور كذلك، ورواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ورجاله ثقات.

وذكر القزويني في عجائب المخلوقات، أن من تصبح بوجه قرد، عشرة أيام، أتاه السرور ولا يكاد يحزن، واتسع رزقه وأحبته النساء حباً شديداً، وأعجبن به. وفيما قاله نظر ظاهر.

فائدة أخرى: روى الإمام أحمد، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ قال[2]: «إن رجلاً حمل معه خمراً في سفينة ليبيعه، ومعه قرد قال: فكان الرجل إذا باع الخمر، شابه بالماء ثم باعه، قال: فأخذ القرد الكيس، فصعد به فوق الدقل، فجعل يطرح ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه».

ورواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً بمعناه. ولفظه أن النبي ﷺ قال[3]: «لا تشربوا اللبن بالماء، فإن رجلاً كان فيمن قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء، فاشترى قرداً وركب البحر حتى إذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير، فأخذ وصعد الدقل ففتح الصرة، وصاحبها

---

(١) الحيوان للجاحظ: ٤/٦٦.
(٢) رواه ابن حنبل: ٢ ـ ٣٠٦، ٣٣٥.
(٣) رواه البخاري: أشربة ١٤.

ينظر إليه فأخذ ديناراً فرمى به في البحر وديناراً في السفينة، حتى قسمها نصفين، فألقى ثمن الماء في البحر وثمن اللبن في السفينة». قال: ومر أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بإنسان يحمل لبناً وقد خلطه بالماء، فقال له أبو هريرة: كيف بك يوم القيامة، حيث يقال لك خلص الماء من اللبن؟ وقد تقدم في باب الهمزة، في لفظ الأسود السالخ حديث يتعلق بهذا والله تعالى أعلم.

فائدة أخرى: روى الحاكم، في المستدرك عن الأصم، عن الربيع عن الشافعي، عن يحيى بن سليم عن ابن جريج، عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما، وهو يقرأ في المصحف، قبل أن يذهب بصره، ويبكي، فقلت له: ما يبكيك جعلني الله فداك؟ فقال: هذه الآية ﴿واسألهم عنِ القريةِ التي كانت حاضرةَ البحرِ﴾ الآية[1]. ثم قال: أتعرف أيلة؟ قلت: وما أيلة؟ قال: قرية كان بها أناس من اليهود، حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت، فكانت الحيتان تأتيهم في يوم سبتهم شرعاً بيضاً سماناً كأمثال المخاض، فإذا كان غير يوم السبت، لا يجدونها ولا يدركونها إلا بمشقة ومؤنة، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً يوم السبت، فربطه إلى وتد في الساحل، وتركه في الماء، حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ففعل ذلك أهل بيت منهم، فأخذوا وشووا، فوجد جيرانهم ريح الشواء، ففعلوا كفعلهم، وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقاً: فرقة أكلت، وفرقة نهت، وفرقة قالت: لم تعظون قوماً الله مهلكهم؟! فقالت الفرقة التي نهت: إنا نحذركم غضب الله وعقابه، أن يصيبكم بخسف أو قذف، أو ببعض ما عنده من العذاب، والله ما نساكنكم في مكان أنتم فيه، وخرجوا من السور ثم غدوا عليه من الغد، فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فتسور إنسان منهم السور، فقال: قردة والله لها أذناب تتعاوى، ثم نزل ففتح الباب، ودخل الناس عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة! قال: فيأتي القرد إلى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلصق إليه، فيقول الإنسي: أنت فلان؟فيشير برأسه أن نعم، ويبكي وتأتي القردة إلى نسيبها وقريبها الإنسي، فيقول: أنت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكي. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فاسمع الله يقول[2]: ﴿أنجينا الذينَ ينهوْنَ عنِ السّوءِ وأخذْنا الذينَ ظَلَموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يفسُقون﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة، فكم قد رأينا من منكر ولم ننه عنه.

قال عكرمة: فقلت: ما ترى، جعلني الله فداكَ أنهم قد أنكروا وكرهوا، حين قالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً؟ فأعجبه قولي ذلك، وأمر لي ببردين غليظين، فكسانيهما. ثم قال: هذا صحيح الإسناد. وأيلة بين مدين والطور على شاطىء البحر. وقال الزهري: القرية طبرية.

وفي معالم التنزيل، قال عكرمة: فقلت له: جعلني الله فداك، ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه، وقالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً؟ وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم. فأعجبه قولي ورضي به، وأمر لي ببردين غليظين، فكسانيهما وقال: نجت الساكتة.

---

(1) سورة الأعراف: آية ١٦٣.
(2) سورة الأعراف: آية ١٦٥.

وفي المستدرك **أيضاً**: عن مسلم الزنجي، عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ، قال: «رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص، ينزون على منبري، كما تنزو القردة». فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى مات. ثم قال: صحيح الإسناد على شرط مسلم. وروى الطبراني، في معجمه الأوسط، من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قرداً لأنه لا يؤمن بالقدر».

فائدة أخرى: اختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب أم لا؟ على قولين أحدهما نعم، وهو قول الزجاج والقاضي أبي بكر بن العربي المالكي، وقال الجمهور: لا يكون ذلك. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام، ولا يأكل ولا يشرب. واحتج الأولون بقوله ﷺ: «فقدت أمة من بني إسرائيل، لا أدري ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربها، وإذا وضع لها ألبان غيرها شربتها[1]». خرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. وبحديث الضب الذي رواه مسلم عن أبي سعيد وجابر قالا: إن النبي ﷺ أتي بضب فأبى أن يأكله، وقال[2]: «لا أدري لعله من القرود التي مسخت». قال أبو بكر بن العربي المالكي: وفي البخاري عن عمر بن ميمون، أنه قال: رأينا في الجاهلية قردة قد زنت، فرجموها ورجمتها معهم. ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط من بعضها. والجواب عن ذلك أن الحميدي، في الجمع بين الصحيحين، قال: حكى أبو مسعود الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الأزدي في الصحيحين[3] حكاية من رواية حصين عنه، قال: رأيت في الجاهلية قردة قد زنت، اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم. كذا حكاه أبو مسعود، ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري.

فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها، مذكوراً في كتاب أيام الجاهلية، وليس في رواية الفربري أصلاً شيء من هذا الخبر في القردة، ولعلها من المقحمات في كتاب البخاري، والذي قاله البخاري في التاريخ الكبير، قال: قال لي نعيم بن حماد: أخبرنا هشيم، عن أبي المليح وحصين عن عمرو بن ميمون الأزدي، قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة، فرجموها ورجمتها معهم. وليس فيه قد زنت، فلئن صحت هذه الرواية، فإنما أخرجها البخاري دليلاً على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية، ولم يبال بظنه الذي ظنه، وذكر أبو عمر بن عبد البر، في الاستيعاب، عن عمرو بن ميمون، وقال: إنه معدود من التابعين من الكوفيين، قال: وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية بين القردة، إن صح ذلك، لأن رواته مجهولون.

وذكر البخاري، عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الأزدي مختصراً، قال: «رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها». فذكره، ثم قال: والقصة بطولها تدور على عبد

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٥. ومسلم: زهد ٦١.
(٢) رواه مسلم: صيد ٤٨. وابن حنبل ٣/٣٢٣.
(٣) رواه البخاري: مناقب الأنصار ٢٧.

الملك بن مسلم، عن عيسى بن حطان، وليسا ممن يحتج بهما. وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف، وإقامة الحدود على البهائم. ولو صح، لكانوا من الجن، لأن العبادات والتكليفات في الجن والإنس دون غيرهما ا هـ.

وعمرو بن ميمون المذكور، خرج له أصحاب الكتب الستة، وحج ستين حجة توفي في سنة سبع وخمسين. وكان من الذين إذا رووا ذكر الله تعالى. وأما حديث الضب والفأر فكان ذلك قبل أن يوحى إليه ﷺ أن الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلاً، فلما أوحى إليه، زال عنه ذلك المتخوف، وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ، فعند ذلك أخبرنا بقوله ﷺ، لمن سأله عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ؟ فقال ﷺ: «إن الله لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك»[1]. وهذا نص صريح، رواه عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. وقد أخرجه مسلم في كتاب القدر، وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته ﷺ، وعلى مائدته فلم ينكره. فدل ذلك على صحة ما قلناه.

وعن مجاهد في تفسير آية المسخ، في بني إسرائيل: إنما مسخت قلوبهم فقط، وردت أفهامهم كأفهام القردة. وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين.

الحكم: أكل القرد حرام عندنا. وبه قال عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية. وقال مالك وجمهور أصحابه: ليس بحرام. وأما بيعه فيجوز، لأنه يقبل التعليم فيمسك الشمعة، ويحفظ الأمتعة. وقال ابن عبد البر، في أوائل التمهيد: لا أعلم بين علماء المسلمين خلافاً في أن القرد لا يؤكل، ولا يجوز بيعه، لأنه مما لا منفعة فيه. وما علمت أحداً رخص في أكله. والكلب والفيل وذو الناب كله عندي مثله. والحجة في قول رسول الله ﷺ لا في قول غيره. وما يحتاج القرد ومثله إلى النهي عنه، لأنه ينهي عن نفسه بزجر الطباع والنفوس لنا عنه، ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله. وروي عن الشعبي، قال: إن النبي ﷺ، «نهى عن لحم القرد» لأنه سبع فيدخل في عموم الخبر.

الأمثال: منها قوله:

واسجد لقرد السوء في زمانه ... وداره مادمتَ في سلطانه

وقالوا: «أزنى[2] من قرد» و«أحكى[3] من قرد» لأنه يحكي الإنسان في أفعاله سوى المنطق قال أبو الطيب:

يرومون شأوي في الكلامِ وإنما ... يحاكي الفتى فيها خلا المنطقَ القرد[4]

وقالوا: «أقبح[5] من قرد» و«أولع[6] من قرد». لأنه إذا رأى الإنسان، تولع بفعل شيء أخذ بفعله مثله.

---

(1) رواه مسلم: قدر ٣٢، ٣٣. وابن حنبل: ١ ـ ٣٣، ٣٩.
(2) جمهرة الأمثال: ٤١٢/١.
(3) جمهرة الأمثال: ٣٢٥/١.
(4) ديوان المتنبي: ٩/٢. والشأو: الغاية.
(5) جمهرة الأمثال: ١١١/٢.
(6) جمهرة الأمثال: ٢٧٥/٢.

الخواص: قال الجاحظ: لحم القرد شبيه لحم الكلب، بل هو شر وأخبث. قال ابن السويدي: إذا علق سنه على إنسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل، وأكل لحمه يمنع من الجذام، وجلده إذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد، وإذا اتخذ من جلده غربال وغربل به الزريعة وزرعت فإنها تسلم من آفات الجراد، وإذا سقي إنسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته، وإذا رأى القرد طعاماً مسموماً خاف وصاح، وإذاجعل شعره تحت رأس نائم رأى أهوالاً تفزعه.

التعبير: القرد في المنام رجل فيه كل عيب مخالف، لأن الله تعالى نهاه فلم ينته فمسخه، ومن رأى قرداً يقاتله وغلب القرد فإن الرائي يمرض ويبرأ، فإن غلبه القرد فلا يرجى برؤه، ومن رأى أنه أكل لحم قرد فإنه يعالج داءً لا يرجى برؤه منه، وقالت النصارى: من أكل لحم قرد لبس جديداً، ومن وهب قرداً في منامه انتصر على عدوه، ومن رأى قرداً عضه خاصم إنساناً، ومن رأى قرداً في فراشه فإنه يهودياً يفجر بامرأته، وكذلك إذا أكل على مائدته، والقرد رجل زالت نعمته لكبيرة ارتكبها، ومن نكح قرداً ارتكب فاحشة، أو خاصم إنساناً، وقال ارطاميدورس: القرد رجل مكار خداع، ويدل على مرض المريض، وما يحدث من القمر، لأن القرد من حيوان القمر. وقال جاماسب: من صاد قرداً انتفع من جهة السحرة والكهنة، والله تعالى أعلم.

القردوح: الضخم من القردان، قاله ابن سيده.

القرش: بكسر القاف، وإسكان الراء المهملة، وبالشين المعجمة في آخره دابة عظيمة من دواب البحر، تمنع السفن من السير في البحر وتدفع السفينة، فتقلبها وتضربها فتكسرها. قال الزمخشري: سمعت بعض التجار بمكة، ونحن قعود عند باب بني شيبة، وهو يصف لي القرش، فقال: هو مدور الخلقة، وعظمه كما من مقامنا هذا إلى الكعبة. ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه مثل البرق، ولا يهاب شيئاً إلا النار، وبه سميت قريش قريشاً قال الشاعر:

وقـريشٌ هـيَ التي تـسكـنُ البحـ ـر بهـا سـميتْ قـريشُ قـريشـا
تـأكـلُ الـغثَّ والـسمـينَ ولا تتـ ـرك فيـه لـذي جنـاحـين ريشـا
هـكـذا في البـلادِ حـي قـريش يـأكلون البـلادَ أكـلاً كـميشـا
ولهـم آخـرَ الـزمـان نـبـي يكـثرُ القتـلَ فيهم والخمـوشـا

الخموش الخدوش، وأكلا كميشاً أي سريعاً، وقال ابن سيده: قريش دابة في البحر لا تدع دابة إلا أكلتها. فجميع الدواب تخافها، ثم أنشد البيت الأول، وقال المطرزي: هي سيدة الدواب البحرية. وأشدها، وكذلك قريش سادات الناس، وحكى أبو الخطاب بن دحية، في تسمية قريش، وفي أول من تسمى به عشرين قولاً.

فائدة أجنبية: قريش بن مالك بن النضر بن كنانة جد النبي ﷺ، هو الذي تنسب إليه قريش، ومن ولده بدر بن قريش الذي سميت به بدر بدراً وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة، تزوجها كنانة بعد موت أبيه خزيمة، فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله، إذا

مات الرجل خلفه على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها.

كذا قاله السهيلي رحمه الله تعالى، تبعاً للزبير بن بكار. قال: ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ولا تنكِحوا ما نكحَ آباؤكم من النساءِ إلا ما قدْ سَلَفَ﴾[1] أي من تحليل ذلك قبل الإسلام. وفائدة الاستثناء هنا لئلا يعاب نسب النبي ﷺ وليعلم أنه ﷺ، لم يكن في أجداده نكاح سفاح. ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن نحو: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾[2] ﴿ولا تقتلوا النفسَ﴾[3] ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها، إلا ما قد سلف إلا في هذه الآية. وفي الجمع بين الأختين، فإن الجمع بينهما كان مباحاً في شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين الأختين وهما راحيل وليا، فقوله تعالى: ﴿إلا ما قد سَلَفَ﴾[1] التفات إلى هذا المعنى. قال: وهذه النكتة من الإمام أبي بكر بن العربي، قال الحافظ قطب الدين عبد الكريم: ولما وقفت على هذا، أقمت مفكراً مدة لكون أن برة المذكورة كانت زوجاً لخزيمة، فخلف عليها كنانة بن خزيمة، فجاء له منها النضر بن كنانة وإن هذا وقع في نسب النبي ﷺ وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ولدني من سفاحِ أهلِ الجاهلية شيء، إنما ولدت من نكاح كنكاح الإسلام» إلى أن رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال، في كتاب له سماه بكتاب الأصنام: وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه، بعد وفاته، وهي برة بنت أد بن طابخة، جد كنانة بن خزيمة، ولم تلد لكنانة ولداً ذكراً ولا أنثى، ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مرة بن أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة، فولدت له النضر بن كنانة.

قال: وإنما غلط كثير من الناس، لما سمعوا أن كنانة خلفه على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما، وتقارب نسبهما، وهذا الذي عليه مشايخنا وأهل العلم والنسب. قال: ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب النبي ﷺ نكاح مقت، وقد قال ﷺ: «مازلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من بين أبي وأمي». ثم قال: ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر. قال: والحمد لله الذي نزهه عن كل وصم، وطهره تطهيراً انتهى.

قلت: وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه، وأن يتجاوز الله عنه ما سطره في كتبه، وأشرت إلى ذلك في أول كتاب السير من المنظومة بقولي:

محمد خيرُ جميعِ الخلق ... جاء من الحقِّ لنا بالحقْ
دعوةُ ابراهيمَ الخليل ... بشارةُ المسيحِ في التنزيل
الطيبُ الأصولِ والفروعِ ... الطاهرُ المحتِدِ والينبوع[4]
آباؤه قد طهرتْ أنسابا ... وشرفتْ بين الورى أحسابا
نكاحُهم مثلُ نكاحِ الاسلام ... كذا رواه النجباءُ الأعلام

---

(١) سورة النساء: آية ٢٢.
(٢) سورة الإسراء: ٣٢.
(٣) سورة الإسراء: آية ٣٣.
(٤) المحتد: الأصل.

ومن أبى أو شك في هذا كفرْ   وذنبه بما جناه ما اغتفر
نقلَ ذا الحافظُ قطبُ الدين   عن صاحبِ البيانِ والتبيين

الحكم: أفتى شيخنا الشيخ جمال الدين الأسنوي[1] رحمه الله تعالى بحل أكل القرش، وبه صرح الشيخ محب الدين الطبري شارح التنبيه، في الكلام على التمساح، ثم استشكل به تحريم التمساح، وهذا يدل على أنه لا خلاف فيه.

وفي نهاية ابن الأثير التصريح بحله، لكن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنه يأكل ولا يؤكل، ولعل مراده أنه يأكل الحيوانات البحرية، ولا يستطيع أحد منها أن يأكله. والقرش يوجد ببحر القلزم الذي غرق فيه فرعون، وهو عند عقبة الحاج، كما تقدم في باب السين المهملة، في الكلام على السقنقور، وإطلاق الجمهور ونص الإمام الشافعي والقرآن العزيز يدل على جواز أكل القرش، لأنه من السمك، ومما لا يعيش إلا في الماء. وقد ذكر النووي، في شرح المهذب، أن الصحيح أن كل ما في البحر حلال، ويحمل ما استثناه الأصحاب على ما يعيش في غير الماء.

التعبير: رؤيته في المنام تدل على علو الهمة والشرف في النسب، فإنه يعلو ولا يعلى عليه والله تعالى أعلم.

القرقس: بكسر القافين، البعوض، قال الأصحاب: يستحب قتل المؤذيات للمحرم وغيره، كالحية والعقرب والخنزير والكلب العقور والغراب والحدأة والذئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور والقراد والحلمة والقرقس وما أشبهها.

القرشام والقرشوم والقراشم: القراد الضخم.

القرعبلانة: دويبة عريضة محبنطئة الظهر والبطن، وأصله قرعبل فزيدت فيه ثلاث أحرف، لأن الاسم لا يكون على أكثر من خمسة أحرف وتصغيره قريعبة قاله الجوهري.

القرعوش: القراد الغليظ.

القرقف: كهدهد طير صغير.

القرقفنة: بالنون المشددة، كذا ضبطه في العباب، روى الدينوري في المجالسة، وابن الأثير، من حديث وهب، «إذا كان الرجل لا ينكر عمل السوء على أهله، طار طائر يقال له القرقفنة، فيقع على مشريق بابه، فيمكث هناك أربعين يوماً، فإن أنكر طار وذهب، وإن لم ينكر مسح بجناحيه على عينيه فصار قندعاً ديوثاً، فلو رأى الرجال مع امرأته، لم ير ذلك قبيحاً. فذلك القندع الديوث الذي لا ينظر الله تعالى إليه».

قال ابراهيم الحربي: مشريق الباب مدخل الشمس، والقندع الديوث الذليل الذي لا يغار

(١) الأسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي، أبو محمد، فقيه، اصولي عالم بالعربية مات سنة ٧٧٢ هـ.

ولا يفهم، وذكره الهروي بمعناه.

القرلي: بضم القاف وكسرها وفتحها ملاعب ظله، وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب الميم. قال الجواليقي: هو فارسي معرب، وقال الميداني: إنه طائر صغير الجرم، حديد البصر، سريع الاختطاف، لا يرى إلا فرقاً على وجه الماء على جانب كطيران الحدأة، يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعاً، ويرفع الأخرى إلى الهواء حذراً، فإن أبصر في الماء ما يستقل بحمله من السمك أو غيره، انقض عليه كالسهم المرسل، فأخرجه من قعر الماء، وإن أبصر في الهواء جارحاً مر في الأرض، ومن أسجاع ابنة الخس: كن حذراً كالقرلى، إن رأى خيراً تدلى، أو رأى شراً تولى، وقال حمزة: قد خالف رواة النسب هذا التفسير، فقالوا: إن قرلى اسم رجل من العرب، كان لا يتخلف عن طعام أحد، ولا يترك موضع طعم إلا قصد إليه، وإن صادف في طريق قد سلكه خصومة، ترك ذلك الطريق ولم يمر به، فذلك قالوا فيه: «أطمع من قرلى»[1] فهذا ما حكاه النسابون، في تفسير هذا المثل، ثم قال: وأنا أقول: إنه خليق أن يكون هذا الرجل تشبه بهذا الطائر وتسمى باسمه قال الشاعر:

يا من جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما رأيت ما لي قلا
إني أظنك تحكى بما فعلت القرلى

الحكم: يحل أكله لأنه من طير الماء.

الأمثال: قالوا: «أخطف[2] وأطمع[3] من قرلى» و«أحذر[4] وأحزم[5] من قرلى».

القرمل: ولد البختي والقرامل الإبل ذوات السنامين. وفي الحديث: تردى قرمل لبعض الأنصار على رأسه في بئر فلم يقدروا على نحره فسألوه ﷺ: فقال: «حرقوه ثم قطعوا أعضاءه». وأما قولهم في المثل: «دليل عاذ بقرملة» فهي شجرة ضعيفة لا شوك لها. قال[6] جرير:

كـأنَّ الفـرزدقَ إذ يعـوذُ بـخـالـه ... مثـلَ الـذليـلِ يعـودُ تحتَ القـرمـلِ

يضرب لمن استعان بضعيف لا نصرة له، لأن القرملة شجرة على ساق لا تكن ولا تظل.

القرميد: الأروية.

القرمود: بفتح القاف ذكر الوعول حكاه ابن سيده.

القرنبى: مقصور، دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء، أو أعظم منها بيسير. وقال

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ٣٢٩.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٣.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/ ٣١٨.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/ ٣٢٩.
(٦) ديوان جرير: ٣٥٩.

الميداني، في قولهم «ألزق من القَرَنْبى»(1): إنها الجعل، وقال في موضع آخر: مثل الخنفس منقطة الظهر طويلة القوائم. وفي أدب الكاتب أنها أكبر من الخنفساء، قال الأخطل يصف جارية وبعلها:

ألا يا عبادَ الله قلبي متيم | بأحسنَ من صلى وأقبحهم بعلا
ينامُ إذا نامتْ على عكناتها | ويلثم فاها كالسلافةِ أو أحلى
يدبّ إلى أحشائها كلّ ليلةٍ | دبيبَ القرنبى بات يعلو نقا سهلا

قال الجاحظ: إنها تقتات الروث وتطلبه كما يطلبه الجعل.

الأمثال: قالوا: «القرنبى في عين أمها حسناء»(2). وقالوا: «ألزق من قرنبى» لأن كل من بات بالصحراء، وكل من قام إلى الغائط تتبعه لأنها نوع من الجعل قال الشاعر:

ولا أطرقُ الجاراتِ بالليلِ قابعاً | قبوعَ القرنبى أخلفتْه مجاحرهْ

القرهب: كثعلب، الثور المسن، قاله الجوهري رحمه الله تعالى وغيره.

القزر: بكسر القاف وبالزاي نوع من السباع، قال(3) الحطيئة، لما حبسه عمر رضي الله تعالى عنه:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرح | حمر الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعرِ مظلمةٍ | فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنتَ الإمام الذي من بعد صاحبه | ألقى إليك مقاليدَ النُهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها | لكنْ لأنفسهم كانت لها الأثرُ
فامنن على صبيةٍ بالرملِ مسكنُهم | بين الأباطحِ يغشاها بها القزرُ
أهلي فداؤك كم بيني وبينهم | من عرضِ دوية ما يفنى بها الخبرُ

القرم: الفحل الكريم من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل، ويودع القحة، والجمع قروم، والقرم من الرجال السيد العظيم، المجرب للأمور، وعلى المثل من ذلك قال الشاعر:

إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمام | وليثِ الكتيبةِ في المزدحمِ

عطف صفة على صفة، لشيء واحد، كقولك: جاءني الظريف والعاقل، وأنت تريد شخصاً واحداً، روى مسلم والنسائي وأبو داود، من حديث ابن شهاب، أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب وقالا: لو بعثنا هذين الغلامين عبد المطلب بن ربيعة والفضل إلى رسول الله ﷺ، وكلماه فأمرهما على هذه الصدقات، فأديا ما يؤدي الناس وأصابا مما أصاب الناس، فبينما هما في ذلك، إذ جاء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فوقف عليهما فذكرا له ذلك، فقال: لا تفعلا، فوالله ما هو بفاعل. وألقى علي رداءه

(1) جمهرة الأمثال: 2/178. (2) مجمع الأمثال: 2/97. (3) ديوان الحطيئة: 164.

ثم اضطجع عليه وقال: أنا أبو حسن القرم، والله لا أبرح من مكاني حتى يرجع إليكما ابناكما، فلما رجعا قالا: ذهبنا إلى النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله أنت أبر الناس، وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح، وقد جئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات، فنؤدي إليك ما يؤدي الناس، ونصيب ما يصيبون. فسكت ﷺ طويلاً، ثم قال[1]: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس، ادعوا محمئة بن جزء ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب». قالا: فجاآه، فقال لمحمئة: «أنكح الفضل ابنتك» فأنكحه، وقال لنوفل بن الحارث: «أنكح عبد المطلب ابنتك». فأنكحه. وقال لمحمئة: «أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا». وكان رسول الله ﷺ استعمله على الأخماس انتهى.

ملخصاً قوله أنا أبو حسن القرم، هو بتنوين حسن، والقرم مرفوع، قال ذلك لأجل الذي كان عنده من علم ذلك. وكان رضي الله تعالى عنه يقول هذه الكلمة عند الأخذ في بيان قضية تشكل على غيره، وهو يعرفها. ولذلك جرى كلامه هذا مجرى المثل، حتى قالوا: «قضية ولا أبا حسن لها»، أي هذه قضية مشكلة وليس هناك من يبينها، كما كان يفعل أبو الحسن رضي الله تعالى عنه، الذي هو علي بن أبي طالب.

القرة: بالضم الضفدعة قاله الجوهري رحمه الله تعالى.

القسورة: الأسد، قال الله تعالى: ﴿كأنهم حمرٌ مستنفرةٌ فرّتْ من قَسْوَرَة﴾[2]. روى البزار بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: القسورة الأسد، قال الشاعر:

مُضمرٌ يحذُرُه الأبطالْ ... كأنه القسورةُ الرئبال

وروى ابن طبرزد، بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن خطاب عن الزهري عن أبي واقد، قال: لما نزل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الجابية، أتاه رجل من بني تغلب، يقال له روح بن حبيب بأسد في تابوت، حتى وضعه بين يديه، فقال رضي الله تعالى عنه: أكسرتم له ناباً أو مخلباً؟ قالوا: لا. قال: الحمد لله سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما صيد مصيد إلا بنقص في تسبيحه». يا قسورة اعبد الله، ثم خلى سبيله.

وقد تقدم في باب الغين المعجمة، أنه روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مثل ذلك في الغراب. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في القسورة: هو بلسان العرب الأسد، وبلسان الحبشة القسورة، وبلسان فارس سير، وبلسان النبط أرنا. وقيل القسورة فعولة من القسر، وهو القهر، سمي الأسد بذلك لأنه يقهر السباع، وقال ابن جبير: القسورة رجال القنص، وقيل القسورة الرجال الشداد، وقال ثعلب: القسورة سواد أول الليل خاصة لا آخره، والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء أشد نفاراً من حمر الوحش. واللفظة مأخوذة من القسر الذي هو الغلبة والقهر.

---

(١) رواه مسلم: زكاة ١٦٧، ١٦٨. أبو داود: إمارة ٢٠. النسائي: زكاة ٩٥.

(٢) سورة المدثر: آية ٥٠.

القشعمان: كالعقربان والثعلبان، النسر، قال الشاعر:

تـركتَ أبـاك قـد أطـلى ومـالت ... عـليـه القـشعـمـانُ من الـنـسـورِ

يقال أطلى الرجل أي مالت عنقه للموت أو لغيره.

القشبة: القردة قاله الجوهري رحمه الله تعالى، وقال الأصمعي: هي الصغيرة من أولادها.

الأمثال: قالوا: «أكيس من قشبة»[1]. يضرب مثلاً للصغار خاصة.

القصيري: مقصوراً مصغراً ضرب من الأفاعي.

القط: السنور والأنثى قطة، والجمع قطاط وقططة. قال ابن دريد: لا أحسبها عربية صحيحة. قلت: وهو محجوج بقوله ﷺ: «عرضت على جهنم فرأيت فيها المرأة الحميرية صاحبة القط الذي ربطته فلم تطعمه ولم تسرحه». كذا رواه الربيع الجيزي فيمن ورد مصر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ولما اتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد بن معاوية بمعاوية، وكانت ذات جمال باهر، وحسن غامر، أعجب بها معاوية رضي الله تعالى عنه، وهيأ لها قصراً مشرفاً على الغوطة، وزينه بأنواع الزخارف، ووضع فيه من أواني الفضة والذهب ما يضاهيه، ونقل إليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو لائق به، ثم أسكنها، مع وصائف لها، كأمثال الحور العين، فلبست يوماً أفخر ثيابها، وتزينت وتطيبت بما أعد لها، من الحلي والجوهر، الذي لا يوجد مثله، ثم جلست في روشنها، وحولها الوصائف، فنظرت إلى الغوطة وأشجارها، وسمعت تجاوب الطير في أوكارها، وشمت نسيم الأزهار وروائح الرياحين والنوار، فتذكرت نجداً، وحنت إلى أترابها وأناسها، وتذكرت مسقط رأسها، فبكت وتنهدت فقالت لها بعض حظاياها: ما يبكيك وأنت في ملك يضاهي ملك بلقيس؟ فتنفست الصعداء، ثم أنشدت:

لـبـيـتٌ تخـفـقُ الأرواحُ فـيـه ... أحـبُّ إلي مـن قصرٍ مـنـيـفِ
ولـبسُ عـبـاءةٍ وتـقـرُّ عـيـني ... أحبُّ إلي من لـبسِ الـشـفـوفِ
وأكـلُ كـسـيـرةٍ في كسر بـيـتي ... أحـبُّ إلي مـن أكـلِ الـرغـيـفِ
وأصـواتُ الـريـاحِ بـكـل فـجٍّ ... أحـبُّ إلي مـن نـقـرِ الـدفـوفِ
وكـلبٌ يـنـبـحُ الـطراقَ دوني ... أحـبُّ إلي مـن قِطّ ألـوفِ
وبكـرٌ يـتبـعُ الأظـعـانَ صـعـبٌ ... أحـبُّ إلي مـن بَـغـل زفـوفِ
وخِـرق مـن بني عـمي نـحيـف ... أحـبُّ إلي مـن عِـلجٍ عـنـوفِ

فلما دخل معاوية، عرفته الحظية بما قالت، وقيل: إنه سمعها، وهي تنشد ذلك، فقال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً، هي طالق ثلاثاً، مروها فلتأخذ جميع ما في القصر،

---

(1) المستقصى: ١/٢٩٧.

فهو لها. ثم سيرها إلى أهلها بنجد. وكانت حاملاً بيزيد فولدته بالبادية، وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية رضي الله تعالى عنه منها بعد ذلك. والأرواح جمع ريح قال ذو الرمة:

إذا هبتْ الأرواحُ من نحـو جـانبٍ   به أهـلُ حبي هـاجَ قلبي هبوبُهـا
هـوى تـذرفُ العينـان منـه وإنمـا   هـوى كلِّ نفسٍ حيثُ حـلّ حبيبُهـا

فقد أبدع وأحسن، فمن قال: هبت الأرياح فقد أخطأ ووهم، والصواب هبت الأرواح، كما قال ذو الرمة. وقد تقدم عن ميسون، والعلة في ذلك أن أصل ريح روح، لاشتقاقها من الروح. وروي هذا الخبر على غير هذا الوجه، فأوردته لتحصل منه الفائدة. وهو: قيل: لما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية، ونقلها من البدو إلى الشأم، كانت تكثر الحنين إلى أناسها، والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها معاوية ذات يوم، وهي تنشد الأبيات المتقدمة، فلما سمع معاوية الأبيات، قال: ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنوفاً، هي طالق.

وحكي ابن خلكان وغيره، في ترجمة الإمام أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي، أنه كان يوماً على سطح جامع مصر يأكل شيئاً، وعنده بعض أصحابه، فحضرهم قط، فرموا له لقمة، فأخذها في فيه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم فرموا له لقمة ثانية، فأخذها وذهب ثم عاد، فرموا له شيئاً فأخذه وذهب ثم عاد، ففعل ذلك مراراً كثيرة، وهم يرمون له وهو يأخذ ويغيب ثم يعودُ من فوره، فتعجبوا منه فتبعوه فإذا هـو يأخذ ذلك الطعام، ويدخل به إلى خربة، فيها شبه البيت الخراب، وفي سطح ذلك البيت قط أعمى، فإذا هو يضع الطعام بين يديه، فتعجبوا من ذلك. فقال الشيخ ابن بابشاذ: إذا كان هذا حيواناً أخرس، قد سخر الله له هذا القط، وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق، فكيف يضيع مثلي؟ ثم قطع الشيخ علائقه، وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكـلاً على الله تعـالى، إلى أن مات في شهـر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة. وبابشاذ كلمة أعجمية يتضمن معناها الفرح والسرور.

وحكمه: تقدم بعضه في باب السين المهملة، في لفظ السنور، وسيأتي إن شاء الله تعالى، بعضه في باب الهاء، في لفظ الهر.

وتعبيره: سيأتي إن شاء الله تعالى، أيضاً في باب الهاء.

القطا: طائر معروف، واحده قطاط، والجمع قطوات وقطيات، وممن ذكر أن القطا من الحمام الرافعي في كتاب الحج والأطعمة، ومن أهل اللغـة ابن قتيبة، وأنشـد قول(1) النـابغة الذبياني:

واحكم كحكمِ فتـاةِ الحي إذ نظرتْ   إلى حمـامِ شراعٍ واردِ الـثـمـدِ

قال الأصمعي: هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا. قال البطليوسي، في الشرح: وليس في بيت النابغة دليل على أنه أراد بالحمام القطا، وإنما علم ذلك بالخبر المروي عن زرقاء اليمامة، أنها نَظرت

(1) ديوان ذي الرمة (المكتب الإسلامي) ٩٢.

إلى قطا فقالت:

يـا لـيـتَ ذا الـقـطا لـنـا * ومـثـلَ نـصـفِـه مـعَـهْ
إلى قـطاةِ أهـلـنـا إذا لـنـا قـطـا مـائـه

قال: وقوله واحكم كحكم فتاة الحي، أي أصب في أمرك كإصابة فتاة الحي، فهو من الحكم الذي يراد به الحكمة لا من الحكم الذي يراد به القضاء، قال الله تعالى: ﴿ولما بلغَ أشدّه آتيناه حُكْماً وعِلماً﴾(1) أي حكمة. قال: وكان الأصمعي يروي شراع بالشين المعجمة، يريد الذي شرع في الماء. وروى غيره سراع بالسين المهملة، والثمد الماء القليل انتهى. وكانت عدة الحمام الذي رأته ستاً وستين فتمنت، أن يكون لها هذا الحمام، ومثل نصفه وهو ثلاثة وثلاثون، ومجموع ذلك تسع وتسعون، فإذا ضم إلى حمامتها كان مائة. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك، في باب الحاء المهملة في الحمام. ويقال للقطاة: أم ثلاث، لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات قال الشاعر:

وأمّ ثـلاثٍ إنْ شـبـبـنَ عـقـقـنَها وإن متنَ كان الصبرُ منها على نصبِ

يقول: إن شبّت فراخُها فارقتها، فكان ذلك عقوقاً لها، وإن متن لم تصبر إلا وهي حزينة قلقة. والنصب: التعب والبلاء، ويقال للقطا والحمام وأنواعها أمهات الجوازل، والجوازل فراخها الواحد جوزل قال(2) ذو الرمة:

سوى ما أصابَ الذئبُ منه وسربُه أطـافتْ بـه من أمهـاتِ الجـوازل

وقد تقدم قريب من هذا في باب الجيم. وسميت القطا بحكاية صوتها فإنها تقول ذلك، ولذلك تصفها العرب بالصدق، قال(3) الكميت في وصفها:

لا تكذبِ القولَ إن قالتِ القطا صدقتْ إذ كـلُّ ذي نسبـةٍ لا بـدّ ينتحـلُ

وأنشد أبو عمر بن عبد البر في التمهيد، قول(4) الشاعر. قال المبرد: وأظنه توبة بن الحمير:

كـأنّ الـقلبَ حـين يـقـال يغـدى بـلـيـلى الـعـامـريـة أو يـراح
قـطاةٌ غـرّهـا شـركٌ فـبـاتـت تجـاذبـه وقـد عـلقَ الجـنـاحُ
فـلا في الليـلِ نـالتْ مـا تـرجى ولا في الـصـبـح كـان لهـا بـراح

ثم قال: وقوله: غرها قد تصحف عليه، فقال: غرها من الغرور، وليس كذلك، إنما هو عزها أي غلبها، كما قالت العرب «من عز بز ومن غلب سلب»(5). وغلق الجناح بالغين المعجمة من قولهم: لا يغلق الرهن على راهنه وقد تصحف بالعين المهملة انتهى.

---

(1) سورة يوسف: آية ٢٢.
(2) ديوانه (المكتب الإسلامي) ٥٨٢.
(3) الحيوان للجاحظ: ٥٧٨/٥.
(4) الحيوان للجاحظ: ٥٧٧/٥، ونسبه إلى مجنون ليلى.
(5) جمهرة الأمثال: ٢٢٩/٢.

نكتة: ذكر الحريري في الدرة، أن ليلى الأخيلية، وهي المذكورة في الشعر كانت تتكلم بلغة بهراء، وذلك أنهم يكسرون حرف المضارعة، فيقولون أنت تِعلم، وأنها استأذنت على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي، فقال له: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في أن أضحكك منها؟ فقال: افعل. فلما استقر بها المجلس، قال لها الشعبي: يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون؟ فقالت له: ويحك أما نكتني؟ بكسر حرف المضارعة، فقال لها: لا والله، لو فعلت لاغتسلت! فخجلت من ذلك، واستغرق عبد الملك في الضحك. وفي غير رواية ابن هشام، في أبيات هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم:

نحن بنات طارقْ نمشي على النمارقْ

مشي القطا النواتق

كما ذكره الزبير بن بكار، وقاله السهيلي في الروض الأنف، والمراد بالطارق النجم تريد أن أبانا نجم في شرفه وعلوه، قال[1] الله تعالى: ﴿والسماءِ والطارق﴾ يعني النجم يطرق ليلاً ويخفى نهاراً. قال الثعلبي: أنشد أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر، قال: أنشدني أبو الحسن الكازروني، قال[2]: أنشدني ابن الرومي:

يا راقدَ الليلِ مسروراً بأوله ... إنّ الحوادثَ قد تطرقنَ أسحارا

لا تفرحَن بليلٍ طابَ أوله ... فربَّ آخرِ ليلٍ أججَ النارا

ثم فسره تعالى بأنه النجم الثاقب أي المضيء. قال أبو زيد: كانت العرب تسمي الثريا النجم الثاقب، وقيل: هو زحل سمي به لارتفاعه، وروى ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: الطارق نجم في السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء، هبط وكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زحل فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد، والنواتق الكثيرات الأولاد، كأنها ترمي بالأولاد رمياً والنتق الرمي والنفض والحركة، والقطا نوعان: كدري وجوني، وزاد الجوهري نوعاً ثالثاً وهو الغطاط، فالكدري غبر اللون رقش البطون والظهور صفر الحلوق قصار الأذناب، وهي ألطف من الجونية، والجونية سود بطون الأجنحة والقوادم، وظهرها أغبر أرقط تعلوه صفرة، وهي أكبر من الكدري تعدل جونية بكدريتين، وإنما سميت الجونية لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت، وإنما تغرغر بصوت في حلقها. والكدرية فصيحة تنادي باسمها. ولا تضع القطاة بيضها، إلا أفراداً، وفي طبعها أنها إذا أرادت الماء ارتفعت من أفاحيصها أسراباً لا متفرقة عند طلوع الفجر، فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل، فحينئذ تقع على الماء، فتشرب نهلاً، والنهل شرب الإبل والغنم أول مرة فإذا شربت، أقامت حول الماء متشاغلة، إلى مقدار ساعتين أو ثلاث ثم تعود إلى الماء ثانية، وهذا يبعد ما حكاه الواحدي المفسر في شرحه لديوان أبي الطيب المتنبي في قوله[3]:

وإذا المكارمُ والصوارمُ والقنا ... وبناتُ أعوجِ كلّ شيءٍ يجمع

---

(١) سورة الطارق: آية ١.
(٢) ديوان ابن الرومي: ٦/٥٠٨.
(٣) ديوانه: ٢٧١.

إن أعوج فحل كريم كان لبني هلال بن عامر، وإنه قيل لصاحبه: ما رأيت من شدة عدوه؟ فقال: ضللت في بادية وأنا راكبه، فرأيت سرب قطا يقصد الماء، فتبعته وأنا أغض من لجامه، حتى توافينا الماء دفعة واحدة اهـ. قلت: وهذا أغرب شيء يكون، فإن القطا شديد الطيران، وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها أكثر، ثم ما كفاه حتى قال: وأنا أغض من لجامه، ولولا ذلك لكان سبق القطا.

وتوصف القطا بالهداية، والعرب تضرب بها المثل في ذلك، لأنها تبيض في القفر، وتسقي أولادها من البعد في الليل والنهار، فتجيء في الليلة المظلمة، وفي حواصلها الماء، فإذا صارت حيال أولادها، صاحت: قطا قطا فلم تخط بلا علم ولا إشارة ولا شجرة، فسبحان من هداها لذلك قال الشاعر:

والناسُ أهدى في القبيح من القطا ... وأضلُّ في الحسنى من الغربانِ

وقال أبو زياد الكلابي: إن القطا تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة، وفوقها ودونها والجونية منها، تخرج إلى الماء قبل الكدرية قال[1] عنترة:

وأنت التي كلفتني دلجَ السرى ... وجونُ القطا بالجلهتين جُثومُ[2]

وقال[3] الشاعر في وصفها:

أما القطاةُ فإني سوف أنعتُها ... نعتاً يوافقُ معنى بعضِ ما فيها
سكاءُ مخضوبةٌ في ريشها طرفٌ ... سودٌ قوادمُها صهبٌ خوافيها[4]

وقال مزاحم[5] العقيلي في القطاة وفرخها:

فلما دعتْه بالقطاةِ أجابَها ... بمثلِ الذي قالت له لم تبدلِ[6]

وأنشد[7] ياقوت في معجم البلدان لأبي العباس الصيمري:

كم مريضٍ قد عاشَ من بعد يأسٍ ... بعد موتِ الطبيبِ والعوّادِ
قد يصادُ القطا فينجو سليماً ... ويحل القضاءُ بالصيادِ

ذكر أنه كان بين أبي الفضل المعروف بابن القطا الشاعر المشهور بالبغدادي، وبين الحيص بيص التميمي الشاعر مناظرات، منها أنهما حضرا على سماط الوزير، فأخذ أبو الفضل قطاة مشوية

---

(١) ديوان عنترة: ٢١٤.
(٢) دلج السُّرى: السير ليلاً.
(٣) الحيوان للجاحظ: ٥/٥٧٩، ونسبته إلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي.
(٤) سكّاء: صغيرة الأذن. القوادم والخوافي: الريشات في مقدم الجناح ومؤخره.
(٥) مزاحم العقيلي: مزاحم بن الحارث. شاعر غزل بدوي. مات سنة ١٢٠ هـ.
(٦) البيت في الحيوان للجاحظ: ٥/٥٧٨.
(٧) معجم الأدباء: ٥/٢٢٢، وفيه: أبو العنبس الصيمري، وكان هجّاءً مات سنة ٢٧٥ هـ.

وقدمها إلى الحيص بيص، فقال الحيص بيص للوزير: يا مولاي هذا الرجل يؤذيني، قال: كيف؟ قال: يشير إلى قول[1] الشاعر:

تميمُ بطرقِ اللؤمِ أهدى من القطا ... ولو سلكتْ سبلَ المكارمِ ضلتْ
أرى الليلَ يجلوه النهارُ ولا أرى ... جلالَ المخازي عن تميم تجلّتْ
ولو أن برغوثاً على ظهرِ قملةٍ ... يكرّ على صفي تميمٍ لولت

ولأبي الفضل نوادر منها: أنه قعد يوماً يأكل مع زوجته طعاماً فقال لها: اكشفي رأسك. ففعلت، فقرأ سورة الإخلاص، فقالت: ما الخبر؟ فقال: إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة، وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين، وأنا أكره الزحمة على المائدة.

فائدة: العرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها، ومشيها يشبه مشي النساء الخفرات بمشيتهن. ومن أحسن ما رأيت في ذلك قول هند بنت عتبة يوم أحد في غير رواية ابن هشام:

نحنُ بناتُ طارق ... نمشي على النمارقْ
مشي القطا النواتقْ

إلى آخر الرجز كما رواه الزبير بن بكار كما سبق. قال السهيلي، في الروض: يقال: إنها تمثلت بهذا الرجز وإنه لهند بنت طارق بن فياض الأودية، قالته في حرب الفرس لإياد، فعلى هذا يكون إنشاده بناتِ طارق بالنصب على الاختصاص. كما قال:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل.

وإن كانت أرادت النجم، فبنات مرفوع لأنه خبر مبتدأ، أي نحن شريفات رفيعات كالنجوم. قال: وهذا التأويل عندي بعيد لأن طارقاً وصف للنجم لطروقه، فلو أرادته لقالت: نحن بنات الطارق. إلا أني رأيت الزبير بن بكار قال، في كتاب أنساب قريش: حدثني يحيى بن عبد الملك الهرمزي، قال: جلست ليلة وراء الضحاك[2] بن عثمان الجذامي، في مسجد رسول الله ﷺ، وأنا متقنع، فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد نحن بنات طارق، ثم قالوا: ما طارق؟ فقلت: النجم فالتفت الضحاك وقال: يا أبا زكريا كيف ذلك؟ فقلت: قال الله تعالى: ﴿والسماءِ والطارق، وما أدراكَ ما الطارقُ، النجمُ الثاقِبُ﴾[3] كأنها قالت: نحن بنات النجم، فقال: أحسنت انتهى. ومرادها بالقطا النواتق الكثيرات الأولاد، قال الجوهري: نتقت المرأة إذا كثر ولدها، فهي ناتق ومنتاق. ومن هذا الحديث الذي رواه ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً، وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير»[4].

---

(١) وفيات الأعيان: ٦/٥٦. والأبيات للطرماح بن حكيم، شاعر الخوارج المتوفي سنة ١٢٥ هـ.
(٢) الضحاك بن عثمان بن الضحاك الحزامي، من علماء قريش بأخبار العرب توفي بمكة سنة ١٨٠ هـ.
(٣) سورة الطارق: الآيات ١، ٢، ٣.
(٤) رواه ابن ماجه: نكاح ٧.

وحكمها: حل الأكل بالإجماع، وعد الرافعي والأصحاب، في كتاب الحج، القطا من الحمام فأوجبوا على المحرم إذا قتل الواحدة، شاة وإن كان لا مثل لها من النعم. قال الشيخ محب الدين الطبري: وكذلك عدها من الحمام الجوهري والمشهور خلافه.

الأمثال: قالوا: «أنسب من قطاة»[1]. وهو من النسبة، وذلك أنها إذا صوتت فإنها تنتسب، لأنها تصوت باسم نفسها فتقول: قطا قطا. وقالوا: «أصدق من القطاة»[2] و«أقصر من إبهام القطاة». وقالوا: «لو ترك القطا ليلاً لنام»[3]. وسببه أن عمرو بن امامة نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلاً فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة طائرة، فنبهت زوجها فقال: إنما هذه القطا، فقالت: «لو ترك القطا ليلاً لنام». يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته. وقيل: قالته امرأة يقال لها حذام لما رأت القطا طار ليلاً قالت:

ألا يا قومَنا ارتحلوا وسيروا ... فلو تُركَ القطا ليلاً لنام

فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم. فقام فيهم رجل وقال[4]:

إذا قالتْ حَذامُ فصدِّقوها ... فإن القولَ ما قالتْ حَذامُ

فنفر القوم وارتحلوا والتجؤوا إلى واد قريب منهم، فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم. يضرب هذا البيت لمن ظهر منه الصدق. وحذام مبني على الكسر مثل أمس. وقالوا: «بيض القطا يحضنه الأجدل»[5] وقد تقدم. وقالوا[6]: «ليس قطا مثل قطى»، أي ليس الأكابر مثل الأصاغر.

الخواص: إذا أحرقت عظام القطا، وأخذ من رمادها وأغلي بالزيت الحار، وطلي به رأس الأقرع وموضع داء الثعلب أنبت الشعر. وقال ابن زهر: إنه جربه. ولحمها عسر الهضم رديء الغذاء، وإذا أخذ رأسها ويبس وصر في خرقة كتان جديدة، وعلق على فخذ امرأة وهي نائمة أخبرت بجميع ما في نفسها، وبما فعلته فإن خلطت في الكلام فارم به عنها، لئلا تتوسوس، وإذا شق بطن قطاتين ذكر وأنثى وطبخ بطنها وأخذ دسمها وجعل في قارورة ودهن به إنسان، وهو لا يعلم أحب الداهن حباً شديداً.

خاتمة: روى ابن حبان وغيره من حديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه، وابن ماجه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[7]: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة، بنى الله تعالى له في الجنة بيتاً». وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال[8]: «من بنى لله مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنة مثله». مفحص القطاة بفتح الميم موضعها الذي تجثم فيه، وتبيض كأنها تفحص عنه التراب، أي تكشفه، والفحص البحثُ والكشفُ، وخصصتِ القطاة

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٥٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٧٩.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/١٦١.
(٤) العقد الفريد: ٣/٨٣، ونسبته إلى لُجيم بن صعب.
(٥) مجمع الأمثال: ١/١٠٩.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/١٦٧.
(٧) رواه ابن ماجه: مساجد ١.
(٨) رواه ابن ماجه: مساجد ٢٤، ٢٥، زهد ٤٣، ٤٤. والبخاري: صلاة ٦٥.

بهذا لأنها لا تبيض في شجر ولا على رأس جبل، إنما تجعل مجثمها على بسيط الأرض دون سائر الطيور، فلذلك شبه به المسجد، ولأنها توصف بالصدق كما تقدم. فكأنه أشار بذلك إلى الإخلاص في بنائه، كما قال سيدي الشيخ، العارف بالله تعالى، أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: خالص العبودية الاندماج في طي الاحكام من غير شهوة ولا إرادة، وهذا شأن هذا الطائر. وقيل: إنما شبه بذلك لأن أفحوصها يشبه محراب المسجد في استدارته وتكوينه، وقيل: خرج ذلك مخرج الترغيب بالقليل عن الكثير، كما خرج التحذير بالقليل عن الكثير قوله[1] ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده». ولأن الشارع يضرب المثل في الشيء بما لا يكاد يقع كقوله ﷺ: «ولو سرقت فاطمة بنت محمد». وهي رضوان الله عليها لا يتوهم منها سرقة. وكقوله[2] ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا ولو عبداً حبشياً». يعني فأطيعوه، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال[3]: «الأئمة من قريش». وقيل: المراد طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبداً حبشياً.

التعبير: القطا في المنام يدل على الصدق والفصاحة والألفة والأنس، وربما دلت القطاة على امرأة معجبة بنفسها، وهي ذات جمال غير الفة والله تعالى أعلم.

القطا: بتشديد الطاء، قال القزويني: سمكة عظيمة ذكروا أن عظم ضلعها يتخذ منه قنطرة يعبر الناس عليها وشحمه إذا طلي به البرص يزول.

القُطامي: الصقر تضم قافه وتفتح وهو من أعظم الطيور التي يصاد بها وهو عزيز الوجود.

قطرب: طائر يجول الليل كله لا ينام، وقالوا: «أجول من قطرب»[4] و«أسهر[5] من قطرب». وقطرب لقب محمد بن المستنير النحوي صاحب المثلث وغيره، كان من أهل العربية، وكان حريصاً على الاشتغال والتعلم، فكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل! فبقي عليه هذا اللقب. توفي سنة ست ومائتين.

والقطرب والقطروب، قال ابن سيده: إنه الذكر من السعالي، وقيل: هما صغار الجن، وقيل: القطارب صغار الكلاب واحدها قطرب، والقطرب دويبة لا تستريح نهارها سعياً. وقال الإمام محمد بن ظفر: القطرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر، يظهر للمنفرد من الناس، فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعاً، وإلا لم ينته حتى ينكحه، فإذا نكحه هلك. وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا: أمنكوح أم مروع؟ فإن قال: منكوح أيسوا من حياته، وإن قال: مروع عالجوه. قال: وقد رأيت أهل مصر يلهجون بذكره انتهى.

والقطرب الفأر والذئب الأمعط والسفيه ونوع من الماليخوليا وفي الحديث «لا يلقين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار». وهذا من كلام ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. رواه عنه آدم بن أبي

---

(١) رواه البخاري: حدود ٧، ١٣. ومسلم حدود ٧.
(٢) رواه البخاري: أذان ٥٦.
(٣) رواه ابن حنبل: ٣، ١٢٩، ١٨٣، ٤، ٤٢١.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٧.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٧.

إياس العسقلاني في كتاب الثواب، موقوفاً عليه. وقيل: مرفوعاً وقالوا في معناه: إن القطرب لا يستريح في النهار، والمراد لا ينامن أحدكم الليل كله كأنه جيفة، ثم يكون بالنهار كأنه قطرب، لكثرة جولانه وطوفانه في أمر دنياه، فإذا أمسى، كان كالاًّ تعباً، فينام ليله كله حتى يصبح كالجيفة لا يتحرك.

القشعبان: كمهرجان دويبة كالخنفساء قاله في العباب.

القعود: من الإبل ما اتخذه الراعي للركوب وحمل الزاد، والجمع أقعدة وقعد وقعدان وقعائد، وقيل: القعود القلوص، وقيل البكر قبل أن يثني ثم هو جمل والقعود الفصيل.

القعيد: بفتح القاف الجراد الذي لم يستو جناحاه، والقعيد من الوحش الذي يأتيك من ورائك وهو خلاف النطيح.

القعقع: كفلفل طائر أبلق ضخم من طير الماء طويل المنقار قاله الجوهري رحمه الله تعالى. زاد ابن سيده: وفيه بياض وسواد.

القلو: بالكسر الحمار الخفيف في السير.

القلقاني: طائر كالفاختة. قاله الجوهري وغيره.

القلوص: من النوق الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها قلص وقلائص مثل قدوم وقدائم قال الراجز:

متى تقول القلصَ الرواسما ... يحملن أم قاسم وقاسما

نصب القلص كما ينصب بالظن وهي لغة سليم ومنه قول عمر بن أبي ربيعة[1]:

أما الرحيلُ فدون بعد غدٍ ... فمتى تقولُ الدارَ تجمعنا[2]

وقال العدوي: القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني، فإذا أثنت فهي ناقة وقد تقدم في باب العين المهملة في الكلام على العير قول[3] سالم بن دارة[4]:

لا تأمنن فزاريا خلوتَ به ... على قلوصِك واكتبها بأسيارِ

روى ابن المبارك، في الزهد والرقائق، عن القاسم مولى معاوية، قال: أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص له صعب، فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي ﷺ ليسأله: نفر به القلوص، وجعل أصحاب النبي ﷺ يضحكون، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم وقصه فقتله. فقيل: يا رسول الله

---

(١) عمر بن أبي ربيعة، أبو الخطاب شاعر الغزل في العصر الأموي. مات شهيداً سنة ٩٣ هـ.

(٢) البيت في ديوان عمر: ٣٦٢.

(٣) البيت في وفيات الأعيان: ٣٢١/٦.

(٤) سالم بن مسافع بن عقبة الجشمي الغطفاني، ابن دارة، شاعر مخضرم أدرك الإسلام، كان هجّاءً. مات سنة ٣٠ هـ.

إن الأعرابي قتله قلوصه، حين صرعه. فقال ﷺ: «نعم وأفواهكم ملأى من دمه». كذا رواه ابن المبارك مرسلاً، وهو في الإحياء في الآفة العاشرة من آفات اللسان.

وفي سنن أبي داوود عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث مرسلاً، أن النبي ﷺ «اشترى ببضعة وعشرين قلوصاً حلة فأهداها إلى ذي يزن»(١).

وفي كامل ابن عدي، في ترجمة عمارة بن زادان الصيدلاني، عن ثابت عن أنس بن مالك أن ذا يزن أهدى النبي ﷺ حلة، قومت بعشرين بعيراً، فلبسها ﷺ ثم كساها عمر رضي الله تعالى عنه، ثم قال: «إياك أن تخدع عنها». وروى الحاكم عن أبي الزبير عن جابر، قال: «استأجرت خديجة رضي الله تعالى عنها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش، كل سفرة بقلوص». ثم قال: صحيح الإسناد.

والمعروف من ذلك ما في طبقات ابن سعد. قال: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، قال له أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد علينا الزمان، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرها، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها، لأسرعت إليك. وبلغ ذلك خديجة، فأرسلت إليه ﷺ وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك. وفي رواية أن أبا طالب أتاها، فقال لها: هل لك أن تستأجرى محمداً، فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين، ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات؟ فقالت خديجة رضي الله عنها: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا، فكيف وقد سألت لحبيب قريب! فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك.

فخرج ﷺ مع غلامها ميسرة، وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدموا بصرى من الشام، فنزلا في ظل شجرة فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. قال السهيلي: يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي، لبعد العهد بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك. والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام. فتكون الشجرة على هذا مخصوصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وذكر أبو عمر بن عبد البر أن نسطوراً رآه، وقد أظلته غمامة، فقال: هذا نبي، وهو آخر الأنبياء. ثم باع رسول الله ﷺ سلعته، فوقع بينه وبين رجل تلاح، فقال: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: «ما حلفت بهما قط وإني لأمر بهما فأعرض عنهما». فقال الرجل: القول قولك. وكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس! وكان الله تعالى قد ألقى عليه المحبة من ميسرة رضي الله عنه، فكان كأنه عبد له، وباعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله ﷺ، وأخبر خديجة رضي الله تعالى عنها بالربح، ثم قدم ميسرة رضي الله عنه فأخبرها

---

(١) رواه أبو داود: جهاد ١١٣.

بذلك، وبما شاهده من رسول الله ﷺ، وبما قاله الراهب. فأضعفت لرسول الله ﷺ ما سمت له. وقد تقدم للقلوص ذكر في لفظ الفلو في قوله ﷺ: «إن الله يربي الصدقة للمتصدق كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه»[1]. والقلوص أيضاً الأنثى من النعام.

القليب: كالسكين، الذئب وكذلك القلوب كالخنوص قال الشاعر:

أيــا أمنـــا أبـكـى عــلى أمّ واهــب   أكـيـلة قِـلّوب بـــإحـــدى المـــذانــب

القمري: طائر مشهور، كنيته أبو زكرى وأبو طلحة، وهو حسن الصوت والأنثى قمرية والذكر ساق حر، والجمع قماري غير مصروف. قال ابن السمعاني في الأنساب: القمرة بلدة تشبه الجص لبياضها وأظنها بمصر، منها الحجاج بن سليمان بن أفلح القمري مصري روى عن مالك بن أنس والليث بن سعد وغيرهما، مات فجأة سنة ثمان وتسعين ومائة.

وروى عنه محمد بن سلمة المرادي وغيره. قال: والقمري طائر منسوب إلى هذه البلدة. هكذا ذكره صاحب المجمل. وقال ابن سيده: القمري طائر صغير من الحمام والأنثى قمرية وجمعها قماري وقمر. انتهى.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، لما طلق زوجته عاتكة بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ينشد[2]:

أعــاتـكُ لا أنســاكِ مـا ذرّ شــارقٌ   ومــا نــاحَ قمــريُ الحمام ِ المــطوقِ
ولم أرَ مثــلي طلق اليــوم ِ مثلهــا   ولا مثلهــا من غــير جــرم ٍ يــطلق
أعــاتــكُ قـلبي كــلَّ يــوم ٍ ولـيـلةٍ   إليــك بمــا تخفي النَفــوسُ معلق
لهــا خـلقٌ جــزلٌ ورأي ومـنـصــب   وخـلق ســوي في الحيــاةِ ومـنـطقُ

فرق له أبوه وأمره أن يراجعها. والقصة في ذلك حسنة طويلة جداً، مذكورة في الاستيعاب والتمهيد وغيرهما.

وقال القزويني: إذا ماتت ذكور القماري لم تتزاوج إناثها بعدها، وتنوح عليها إلى أن تموت، ومن العجب أن بيض القماري يجعل تحت الفواخت، وبيض الفواخت تحت القماري. وذكر أن الهوام تهرب من صوت القماري. روى أبو المظفر بن السمعاني عن والده، قال: أنشدنا سعيد بن المبارك النحوي لنفسه:

أرى الفضــلَ منــاحَ التــأخــر أهله   وجهـلُ الفتى يسعى لـه في التقــدم ِ
كــذاك أرى الخفـاشَ ينجيــه قبحـه   ويحـتبسُ القـمــري حســنُ الــترنم

فائدة: كان الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه جالساً بين يدي الإمام مالك بن أنس

---

(١) رواه البخاري: زكاة ٨، توحيد ٢٣. ومسلم: ذكاة ٦٣، ٦٤.
(٢) الأبيات في الحيوان للجاحظ: ١٩٩/٣.

رضي الله تعالى عنه، فجاء رجل فقال لمالك: إني رجل أبيع القماري، وإني بعت في يومي هذا قمرياً فرده علي المشتري، وقال: قمريك لا يصيح، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح، فقال له الإمام مالك: طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها! وكان الإمام الشافعي يومئذ ابن أربع عشرة سنة، فقال لذلك الرجل: أيما أكثر: صياح قمريك أم سكوته؟ فقال: لا بل صياحه، فقال: لا طلاق عليك. فعلم بذلك الإمام مالك، فقال: يا غلام من أين لك هذا؟ فقال: لأنك حدثتني عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال[1] ﷺ: «أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه». وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح، وقد قال ﷺ: «لا يضع عصاه» على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته، ولما كان صياح قمري هذا أكثر من سكوته، جعلته كصياحه دائماً. فتعجب الإمام رضي الله تعالى عنه من احتجاجه، وقال له: أفت فقد آن لك أن تفتي فأفتى من ذلك السن.

غريبة: ذكر ابن خلكان وابن الأثير، في تاريخهما، أن بعض الملوك بقلاع الهند، أهدى للسلطان محمود بن سبكتكين[2] هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمري، من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر، فإذا حك ووضع على الجراحات الواسعة يختمها. ذكر ذلك ابن الأثير في حوادث سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وذكره ابن خلكان، في ترجمة السلطان المذكور. ثم ذكر ابن خلكان في ترجمته، عن إمام الحرمين عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله الجويني[3]، أن السلطان المذكور كان حنفي المذهب، وكان مولعاً بعلم الحديث، وكان يسمع عنده الحديث، وكان يسأل عن معناه، فيجد أكثره موافقاً لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فجمع فقهاء المذهبين، والتمس منهما الكلام في ترجيح أحد المذهبين، فوقع الاتفاق على أن يصلي بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي، ثم على مذهب الإمام أبي حنيفة ركعتان، فينظر السلطان إلى ذلك، ويختار الأحسن.

فصلى القفال المروزي[4] بطهارة سابغة، وشرائط معتبرة من الطهارة، والسترة، واستقبال القبلة، وأتى بالأركان والهيآت، والسنن والأبعاض والآداب، على وجه الكمال، وكانت صلاة لا يجوز الشافعي دونها.

ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، فلبس جلد كلب كان مدبوغاً، ولطخ بعضه بالنجاسة، وتوضأ بنبيذ التمر، وكان ذلك في صميم الصيف، فاجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوؤه منكساً منعكساً، ثم استقبل القبلة، وأحرم بالصلاة من غير نية في

---

(١) رواه مسلم: رضاع ١٠٣، طلاق ٣٦.

(٢) محمود بن سُبكتِكين، أمير بخاري من بعد أبيه، كان كثير الجهاد والغارة على أطراف الهند، وكان حسن السيرة توفي سنة ٤٢٢ هـ. (وفيات الأعيان ٥/١٧٥).

(٣) الجويني: أبو محمد عبدالله بن يوسف، الجويني والد إمام الحرمين، إمام في التفسير والفقه والعربية مات سنة ٤٣٤ هـ. (وفيات الأعيان ٣/٤٧).

(٤) القفّال المروزي: أبو بكر عبدالله بن أحمد بن عبدالله الفقيه الشافعي. توفي سنة ٤١٧ هـ.

الوضوء، وكبر بالفارسية، ثم قرأ بها دو برك سبز ثم نقر كنقرات الديك، من غير فصل بينها، ومن غير طمأنينة، وتشهد وضرط في آخرهما، وخرج من غير نية السلام، وقال: أيها السلطان هذه صلاة أبي حنيفة! فقال السلطان: لو لم تكن هذه صلاة أبي حنيفة لقتلتك، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه الصلاة جائزة عند أبي حنيفة، فطلب القفال كتب أبي حنيفة، فأمر السلطان بإحضارها، وأمر نصرانياً أن يقرأ كتب المذهبين جميعاً، فوجدت الصلاة التي صلاها القفال جائزة عند أبي حنيفة، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنهما. وتوفي السلطان بغزنة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة. وتفسير دو برك سبز ورقتان خضراوتان، وهو معنى قوله[1] تعالى: ﴿مدهامّتان﴾ قلت: وقد ذكر أنه أتى بالسنن والأبعاض والآداب والهيآت، فقوله: لا يجوز الشافعي دونها غير مستقيم، والمشهور أنه أتى بما لا تصح الصلاة إلا به.

وحكمه: حل الأكل بالإجماع، كالحمام لأنه نوع منه كما تقدم.

التعبير: القمرية في المنام امرأة دينة، وقيل: القمري رجل قارىء لقصائد الشعر طيب الحنجرة. وقالت اليهود: من رأى قمرياً أو بلبلاً، أو ما أشبه ذلك، نال خيراً، وإن كان له مسافر قدم عليه، وإن كان في غم فرج الله تعالى عنه، وإن كانت له حاجة بعيدة قربت، ومن رأى هذه الأشياء، في زمن الربيع، قضيت حاجته، وإن رآها في غير زمن الربيع تأخرت حاجته إلى زمن الربيع. وتدل رؤيتها للحامل، على وضع ذكر. والله تعالى أعلم.

القمعة: بالتحريك ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر، يقال: الحمار يقمع أي يحرك رأسه. وقال الجاحظ: هو ضرب من ذباب الكلاب، قال في الكفاية: القمع ذباب أزرق عظيم.

القمعوط والقمعوطة: دويبة حكاه ابن سيده.

القمل: معروف واحدته قملة. ويقال لها أيضاً قمال. قاله ابن سيده، والقمل جمع قملة، وقد قمِل رأسه قملاً، وكنية القملة أم عقبة، وأم طلحة ويقال للذكر أبو عقبة، والجمع بنات عقبة وبنات الدروز والدروز الخياطة، سميت بذلك لملازمتها إياها. وقملة الزرع دويبة تطير كالجراد في خلقة الحلم، وجمعها قمل، قاله الجوهري. والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ إذا أصاب ثوباً أو بدناً أو ريشاً أو شعراً، حتى يصير المكان عفناً، وقال الجاحظ: ربما كان الإنسان قمل الطباع، وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب، كما عرض لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه، حتى استأذنا[2] رسول الله ﷺ في لبس الحرير، «فأذن لهما فيه» ولولا أنهما كانا في حد الضرورة، لما أذن لهما فيه، مع ما قد جاء في ذلك من التشديد. فلما كان في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه رأى على بعض بني المغيرة من أخواله قميص حرير، فعلاه بالدرة فقال المغيري: أوليس عبد الرحمن بن عوف لبس الحرير؟ قال عمر رضي الله تعالى عنه: وأنت مثل عبد الرحمن بن عوف لا أم لك؟

---

(١) سورة الرحمن: آية ٦٤.

(٢) رواه البخاري: جهاد ٩١. مسلم: لباس ٢٦. الترمذي لباس ٢.

قال: ومن طبع القمل أنه يكون في شعر الرأس الأحمر أحمر، وفي الشعر الأسود أسود، وفي الشعر الأبيض أبيض، ومتى تغير الشعر تغير إلى لونه. قال: وهو من الحيوان الذي إناثه أكبر من ذكوره، وقيل: إن ذكوره الصيبان، وقيل: الصيبان بيضه، كما تقدم في باب الصاد المهملة.

روى(١) الحاكم، في أوائل المستدرك، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أنه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال ﷺ: «الأنبياء». قال: ثم من؟ قال عليه الصلاة والسلام: «العلماء». قال: ثم من؟ قال عليه الصلاة والسلام: «الصالحون كان أحدهم يبتلي بالقمل حتى يقتله، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء». ثم قال: صحيح الإسناد على شرط مسلم.

والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام ويعرض للقردة. وأما قملة النسر، فهي التي تكون في بلاد الجبل، وتسمى بالفارسية دره، وهي إذا عضت قتلت، وهي أعظم من القمل، وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه.

فائدة: اختلف العلماء في القمل المرسل على بني إسرائيل، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هو السوس الذي يخرج من الحنطة. وقال مجاهد والسدي والكلبي رضي الله تعالى عنهم: هو الجراد الطيار الذي له أجنحة. وقيل: الدبا، وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له. وقال عكرمة رضي الله تعالى عنه: بنات الجراد، وقال أبو عبيد: هو الحمنان، وهو ضرب من القراد. وقال أبو زيدِ: البراغيث. وقال الحسن وسعيد بن جبير: دواب سود صغار. وقال عطاء الخراساني رضي الله تعالى عنه: هو القمل المعروف باسكان الميم.

روي أن موسى عليه الصلاة والسلام، مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس، فضربه بعصاه، فانتشر كله قملاً في مصر، فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم، فأكله ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه، وكان أحدهم يأكل الطعام، فيمتلىء قملاً، فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من ذلك القمل، فإنه أخذ بشعورهم وأبشارهم، وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم عيونهم وجلودهم، كأنه الجدري فمنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام: إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء، فدعا لهم موسى عليه السلام، فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام، من السبت إلى السبت. والقمل هو أحد الآيات الخمس، قال(٢) الله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقملَ والضفادعَ والدمَ آياتٍ مفصلاتٍ يتبعُ بعضُها بعضاً﴾ وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعاً، وبين كل عذابين شهر. قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق رضي الله تعالى عنهم، في تفسير هذه الآية: لما آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوباً، أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر، فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات.

---

(١) رواه الترمذي: زهد ٥٧. البخاري: مرضى ٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٣٣.

فلما أتاهم موسى بالآيات الأربع: اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات، أبوا أن يؤمنوا وأصروا على كفرهم. فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فقال: رب إن عبدك فرعون علا في الأرض وبغا وعتا، وإن قومه قد نقضوا عهدك، رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية وعبرة، فبعث الله عليهم الطوفان، وهو الماء أرسل الله عليهم السماء، وكانت بيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة ومختلطة، فامتلأت بيوت القبط، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، من جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة. وركد الماء على أراضيهم، لا يقدرون على حرث ولا غيره من الأعمال أسبوعاً من السبت إلى السبت، وقال مجاهد وعطاء رضي الله تعالى عنهما: الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة اليمن، وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهو أول ما عذب به، فبقي في الأرض.

قال نحاة الكوفة: الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان، وقال أهل البصرة: هو جمع واحده طوفانة.

فقالوا لموسى عليه السلام: ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء، فلئن كشف عنا هذا البلاء، لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان، وأنبت لهم في تلك السنة شيئاً لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر، وأخصبت بلادهم، فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصباً، فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية. فبعث الله تعالى عليهم الجراد، فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق الشجر، حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت، والخشب والثياب والأمتعة، ومسامير الأبواب من الحديد، حتى وقعت دورهم، وابتلوا بالجوع، فكانوا لا يشبعون، ولم يصب بني إسرائيل من ذلك شيء، فعجوا وضجوا إلى موسى عليه السلام، وسألوه رفع ذلك عنهم، فدعا له فكشف الله عنهم الجراد، بعدما أقام أسبوعاً من السبت إلى السبت.

روي أن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجعت الجراد من حيث جاءت. فأقاموا مصرين على كفرهم شهراً في عافية، ثم بعث الله تعالى عليهم القمل، وقد تقدم ذكره، فعجوا وضجوا، وسألوا رفع ذلك عنهم، وقالوا: إنا نتوب، فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه أن يرفع ذلك القمل فرفع الله تعالى عنهم القمل بعدما أقام عليهم أسبوعاً، من السبت إلى السبت، فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم، فأقاموا شهراً في عافية، فبعث الله عليهم الضفادع، فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم، وكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم، وأطعمتهم وآنيتهم، فلا يكشف أحد منهم طعاماً ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل يجلس في الضفادع إلى ذقنه، ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه. وكانت تلقي نفسها في القدر وهي تغلي، فتفسد طعامهم، وتطفىء نيرانهم، ولا يعجنون عجيناً إلا انشدخت فيه، وإذا اضطجع أحدهم تركبه الضفادع، حتى تكون عليه ركاماً، حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر. فلقوا منها أذى شديداً، فضجوا وصرخوا، وصاحوا وسألوا موسى عليه السلام، فقالوا: ادع لنا ربك يكشفها عنا، فدعا ربه فرفع الله تعالى عنهم الضفادع، بعدما أقامت عليهم أسبوعاً من السبت إلى السبت، فأقاموا شهراً في عافية، ثم نقضوا العهود وعادوا لكفرهم، فأرسل الله تعالى عليهم الدم، فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم دماً، فما يستقون من الآبار إلا دماً

عبيطاً أحمر، فشكوا إلى فرعون، فقالوا: ليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم.

وكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي على الإناء الواحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دماً، حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتي المرأة من بني إسرائيل، حين جهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك، فتصب لها من قربتها فيعود في الإناء دماً، حتى كانت تقول: اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجته في فيها صار دماً، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها، يصير ماؤها في فيه ملحاً أجاجاً، فمكثوا كذلك أسبوعاً من السبت إلى السبت لا يشربون إلا الدم. وقال زيد بن أسلم: الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه السلام، وقالوا: ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا لهم فرفع عنهم الدم، فلم يؤمنوا. فذلك قوله[1] قوله عز وجل: ﴿فلمّا كشفنا عنهم الرِّجز﴾ وهو ما ذكره الله من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وقال ابن جبير: الرجز الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفاً في يوم واحد.

روينا عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، أنه سمع أباه يسأل أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما: أسمعت رسول الله ﷺ يقول في الطاعون شيئاً؟ فقال أسامة: سمعت رسول الله ﷺ يقول[2]: «الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل أو على من قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه».

فسألوا موسى عليه السلام فدعا ربه فكشفه عنهم، فتمادوا في كفرهم وطغيانهم إلى أن أغرق الله تعالى فرعون وملأه في اليم وقد تقدم ذكر غرقه، في باب الحاء المهملة، في لفظ الحصان.

قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر: كان ملك فرعون أربعمائة سنة، وعاش ستمائة وعشرين سنة، لا يرى مكروهاً، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو حمى ليلة، أو وجع ساعة، لما ادعى الربوبية قط.

وقد ظفرت بهذه القصة مختصرة، فأوردتها عقب هذا، لتحصل الفائدة، وهو أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل، فضربه فانتشر كله قملاً في مصر، ثم إنهم قالوا: ادع لنا ربك في كشف هذا عنا فدعا فكشف عنهم، فرجعوا إلى طغيانهم، فبعث الله عليهم الضفادع، فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم، وإذا هم الرجل أن يتكلم دخلت الضفادع في فيه وتلقي نفسها في القدر، وهي تغلي. فقالوا: ادع لنا ربك يكشفها فكشف عنهم، فرجعوا إلى كفرهم، فبعث الله تعالى عليهم الدم، فرجع ماؤهم الذي كانوا يشربونه دماً، فكان الرجل منهم إذا استقى من البئر وارتفع إليه الدلو عاد دماً. وقيل: سلط الله تعالى عليهم الرعاف.

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٣٥.

(٢) رواه البخاري: أنبياء ٥٤، ومسلم: سلام ٩٣. والموطأ: مدينة ٢٣.

فائدة أخرى: «نهى النبي ﷺ أن تقصع القملة بالنواة» أي تقتل، والقصع الدلك بالظفر وإنما خص النوى لأنهم كانوا يأكلونه عند الضرورة، وقيل: لأن النواة كانت مخلوقة من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام. وفي الحديث: «أكرموا النخلة فإنها عمتكم». وفي حديث آخر «نعمت العمة لكم النخلة». وقيل: لأن النوى قوت الدواب، وقال الجوهري في الحديث: إنه نهى عن قصع الرطبة، وهو عصرها لتقشر.

الحكم: يحرم أكل القمل بالإجماع، وإذا ظهر على بدن المحرم أو ثيابه لم يكره له تنحيته، فإن قتله لم يلزمه شيء لكن يكره أن يفلي رأسه أو لحيته، فإن فعل وأخرج منهما قملة فقتلها تصدق ولو بلقمة. قال الأكثرون: هذا التصدق مستحب، وقيل: واجب لما فيه من إزالة الأذى عن الرأس واللحية، وليس هذا التصدق فداء للقمل، حتى يدل ذلك على حل الأكل، وإنما التصدق في مقابلة الترفه الحاصل للمحرم. وأفاد الترمذي الحكيم أنه إذا وجد الجالس على الخلاء قملة، لا يقتلها بل يدفنها. فقد روي أنه من قتل قملة وهو على رأس خلائه بات معه في شعاره شيطان فينسيه ذكر الله أربعين صباحاً. وقيل: من قتل قملة على رأس خلائه لن يكفي الهم ما عاش. وفي فتاوى قاضي خان، لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها.

فرع: يجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل، لأنه لا يقمل بالخاصية، ولذلك رخص النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما في لبسه لذلك، كما تقدم. رواه الشيخان والأصح أنه لا يختص بالسفر، وفي وجه اختاره الشيخ أبو محمد الجويني وابن الصلاح يختص به، لأن الرواية مقيدة بذلك. وقال مالك: لا يجوز لبسه مطلقاً لأن وقائع الأحوال عنده لا تعم وهو وجه بعيد عندنا.

فرع: إذا رأى المصلي في ثوبه قملة، أو برغوثاً؟ قال الشيخ أبو حامد: الأولى أن يتغافل عنها فإن ألقاها بيده أو أمسكها حتى يفرغ فلا بأس، فإن قتلها في الصلاة عفي عن دمها دون جلدها، وإن قتلها وتعلق جلدها بظفره أو بثوبه بطلت صلاته. قال: ولا بأس بقتلها في الصلاة كما لا بأس بقتل الحية والعقرب، فإن ألقى القملة بيده فلا بأس. قال القمولي: وينبغي أن يختص جواز إلقائها بغير المسجد، والذي قاله صحيح متعين لقوله[1] ﷺ: «إذا وجد أحدكم القملة في المسجد فليصرها في ثوبه حتى يخرج من المسجد». رواه أحمد في مسنده، بإسناد صحيح. وفي المسند أيضاً عن شيخ من أهل مكة من قريش، قال: وجد رجل في ثوبه قملة، فأخذها ليطرحها في المسجد، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تفعل ردها في ثوبك حتى تخرج من المسجد». وإسناده أيضاً صحيح. وقال البيهقي: إنه مرسل حسن. ثم روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه رأى قملة، على ثوب رجل في المسجد، فأخذها فدفنها في الحصا، ثم قال ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً﴾[2] قال: ويذكر نحو هذا عن مجاهد.

وعن ابن المسيب أنه يدفنها كالنخامة قال: وروينا عن مالك بن عامر، أنه قال: رأيت معاذ

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٤١٠، ٤١٩.

(٢) سورة المرسلات: آية ٢٥.

بن جبل رضي الله تعالى عنه يقتل البراغيث والقمل في الصلاة، وفي رواية رأيت معاذاً يقتل القمل في الصلاة ولكن لا يعبث.

وروى البزار والطبراني في معجمه الأوسط، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ قال: «إذا وجد أحدكم القملة في المسجد فليدفنها». وقال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد: وأما القملة والبرغوث فأكثر أصحابنا يقولون: لا يؤكل طعام مات فيه شيء منهما لأنهما نجسان، وهما من الحيوان الذي عيشه من دم حيوان، لا عيش لهما غير الدم، ولهما دم فهما نجسان. وكان سليمان بن سالم القاضي الكندي من أهل أفريقية يقول: إن ماتت القملة في ماء طرح ولا يشرب، وإن وقعت في دقيق، ولم تخرج في الغربال، لم يؤكل الخبز، وإن ماتت في شيء جامد طرحت وما حولها كالفأرة. وقال غيره من أصحابنا وغيرهم: إن القملة كالذباب سواء، وقال في التمهيد أيضاً: ذكر نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن المبارك بن فضالة، عن الحسن، أن النبي ﷺ «كان يقتل القمل في الصلاة أو قتل القمل في الصلاة». قال نعيم: هذا أول حديث سمعته من ابن المبارك.

الأمثال: قالت العرب: «غل قمل»[1] يضرب للمرأة السيئة الخلق. قال ابن سيده في الحديث: «النساء غل قمل» يقذفها الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو، وهذا بعض أثر. وفي الفائق في آخر باب الهاء مع الباء، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: النساء ثلاث هينة لينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش، ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وأخرى غل قمل يضعه الله في عنق من يشاء، ويكفه عمن يشاء. والرجال ثلاثة: رجل ذو رأي وعقل، ورجل إذا حز به أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشيداً، ولا يطيع مرشداً. وقال الأصمعي: كانوا يغلون الأسير بالقيد وعليه الوبر فإذا طال الغل عليه قمل فيلقى منه جهداً. يضرب لكل من يلقى في شدة، قال: وهذا هو السبب في قول حاتم الطائي: «لو غير ذات سوار لطمتني»، وذلك أنه مر ببلاد نميرة في بعض الأشهر الحرم، فناداه أسير لهم: يا أبا سفانة أكلني الإسار والقمل، فقال: ويحك أسأت إذ نوهت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القوم به ثم قال: أطلقوه واجعلوا يدي في الغل مكانه ففعلوا، فجاءته امرأة ببعير لتفديه، فقام فنحره فلطمته، فقال: لو غير ذات سوار لطمتني، يعني أني لا أقتص من النساء فعرف ففدى نفسه.

الخواص: قال الجاحظ: القمل يعتري ثياب غير المجذومين، قال ابن الجوزي: والحكمة في ذلك أنه لما تولع الجذام بأطرافهم صعب عليهم الحك، فمنع الله عنهم ذلك لطفاً بهم، كما أنه منع عن الأخرس السمع لطفاً به، وإذا ألقيت القملة وهي حية أورثت النسيان. كذا رواه ابن عدي في كامله، في ترجمة أبي عبد الله الحكم بن عبد الله الأيلي، أنه روى بإسناد صحيح، أن النبي ﷺ قال: «ست خصال تورث النسيان: أكل سؤر الفار، القاء القملة وهي حية، والبول في الماء الراكد، وقطع القطار، ومضغ العلك، وأكل التفاح الحامض، وبضد ذلك اللبان الذكر»[2]

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٧٤.

(٢) الكامل لابن عدي: ٢/٦٢٢.

وأشار إلى ذلك الجاحظ بقوله: وفي الحديث أن أكل التفاح الحامض، وسؤر الفأر، ونبذ القملة يورث النسيان.

قال: وفي حديث آخر «إن الذي يلقي القملة لا يكفى الهم». وقيل: إن قراءة ألواح القبور، والمشي بين المرأتين والنظر إلى المصلوب، وأكل الكزبرة الخضراء، وأكل الخبز الحار يورث النسيان، وأكل الحلوى وشرب العسل، وأكل الخبز البارد، يورث الذكاء، والعامة تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان.

وإذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل بذكر أم أنثى؟ فخذ قملة واحلب عليها من لبنها في كف إنسان، فإن خرجت القملة من اللبن فهي حامل بجارية، وإن لم تخرج فهي حامل بذكر! وإن احتبس على إنسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه، واجعلها في إحليله فإنه يبول من وقته. وإن غسلت المرأة أصول شعرها بماء السلق منع القمل. ودهن القرطم إذا دهن به إنسان مات قمله، وإن غسل البدن بخل وماء البحر قتل القمل، وإذا مسح الرأس والبدن بزئبق مقتول بدهن سمسم منع القمل من الرأس والثياب.

التعبير: القمل في المنام على وجوه: فإذا كان في قميص جديد فإنه مال وهو للسلطان جند وأعوان، وللوالي زيادة في ماله. ومن رأى القمل في ثوب خلق، فهو دين يخشى زيادته، والقمل على الأرض قوم ضعاف، فإن دب إلى جانب إنسان فإنه يخالطهم، ومن رأى القمل وكرهه فإنه يرى أعداء ولا يقدرون له على مضرة، ومن رأى أنه قرصه القمل، فإن قوماً ضعفاء يرمونه بكلام، ومن حكه القمل، فلا بد أن يطالب بدين. والقملة تعبر بامرأة، لأن ابن سيرين أتاه رجل، فقال: رأيت كأن إنساناً أخذ من كمي قملة فألقاها. فقال ابن سيرين: تطلق زوجتك على يده، فكان كذلك. ومن رأى قملة طارت من صدره فإن أجيره أو غلامه أو ولده قد هرب، والقمل الكثير مرض أو حبس، لأنها أكثر ما تحدث على هؤلاء القوم. وربما دلت رؤية القمل على العيال. وتعبر رؤية القمل للملك بجيشه وأعوانه وللوزير بشرطته، وللقاضي بالمتوصلين إليه. ومن رأى أنه رمى قملة، فإنه مخالف لسنة من السنن، لأن النبي ﷺ «نهى عن رمي القمل»[1] ومن أكل قملة فإنه يغتاب إنساناً فإن وجد لها دماً، فإنه يغتاب رجلاً ذا مال. والقمل يعبر بأقوام يمشون بالنميمة بين الأقرباء، وقتل القمل في المنام قهر الأعداء. وقال جاماست: من التقط القمل فإنه يكذب عليه كذب فاحش والله أعلم.

القمقام: صغار القردان، وضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر، الواحدة قمقامة، وتسميه العامة الطبوع وقد تقدم.

الأمثال: قالت العرب: «قمقامة حكت بجنب البازل». البازل من الإبل ما دخل في السنة التاسعة كما تقدم، وهو أقواها يضرب للضعيف الذليل يحتك بالقوي العزيز.

قندر: قال القزويني: هو حيوان بري بحري يكون في الأنهار العظام، يتخذ في البر إلى

(١) رواه ابن حنبل: ٥/٢٦٣.

جانب البحر بيتاً له بابان، يأكل لحم السمك. وخصيته تسمى الجندبادستر، وقد تقدم في باب الجيم، الكلام على ذلك.

القندس: قال ابن دحية: إنه كلب الماء، وفسر به حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، الذي رواه الجماعة، غير النسائي، أن النبي ﷺ قال: «تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر»(١). وفي رواية: «يلبسون الشعر، ويمشون في الشعر، وجوههم كالمجان المطرقة، حمر الوجوه، صغار الأعين ذلف الأنوف». قال ابن دحية: قوله يلبسون الشعر، إشارة إلى الشرابيش التي يدار عليها بالقندس، والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز، وذوات الصوف الضأن، وذوات الوبر والإبل انتهى. وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب الكاف حكم الكلب المائي. وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: بحثنا عن القندس فلم يتبين لنا أنه مأكول أو غيره، فينبغي أن يتورع عن الصلاة فيه، ولنا وجهان فيما أشكل من الحيوان فلم يعلم أنه مأكول أو غيره.

القنعاب: كسنجاب العظيم من الوعول السمين.

القنفذ: بالذال المعجمة وبضم الفاء وفتحها البري منه، كنيته أبو سفيان وأبو الشوك، والأنثى أم دلدل، والجمع القنافذ. ويقال لها: العساعس لكثرة ترددها بالليل، ويقال للقنفذ: أنقد وهو صنفان قنفذ يكون بأرض مصر قدر الفار، ودلدل يكون بأرض الشام والعراق في قدر الكلب القلطي، والفرق بينهما كالفرق بين الجرذ والفأر.

قالوا: إن القنفذ، إذا جاع يصعد الكرم منكساً، فيقطع العناقيد ويرمي بها، ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق، فإن كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده وهو لا يظهر إلا ليلاً قال الشاعر:

قنافذ هداجون حولَ بيوتهم ... بما كان إياهم عطية عودا

وهو مولع بأكل الأفاعي ولا يتألم لها، وإذا لدغته الحية أكل السعتر البري، فيبرأ وله خمسة أسنان في فيه، والبرية منها تستفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى.

وروى الطبراني في معجمه الكبير والحافظ بن منير الحلبي وغيرهما، عن قتادة بن النعمان، قال: كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر، فقلت: لو أني اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله ﷺ، ففعلت، فلما رآني قال ﷺ: «قتادة». قلت: لبيك يا رسول الله، ثم قلت: علمت أن شاهد الصلاة هذه الليلة قليل، فأحببت أن أشهدها معك. فقال رسول الله ﷺ: «إذا انصرفت فائتني». فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأعطاني عرجوناً كان في يده، وقال: «هذا يضيء أمامك عشراً ومن خلفك عشراً». ثم قال ﷺ: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون فاستضىء به حتى تأتي بيتك فتجده في زاوية البيت فاضربه بالعرجون». قال: فخرجت من المسجد، فأضاء العرجون مثل الشمعة نوراً، فاستضأت به وأتيت أهلي فوجدتهم قد

---

(١) رواه البخاري: جهاد ٩٥، ٩٦. ومسلم: فتن ٦٢.

رقدوا، فنظرت إلى الزاوية فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج. ورواه الإمام أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

فائدة: روى البيهقي، في أواخر دلائل النبوة، عن أبي دجانة واسمه سماك بن خرشة قال: شكوت إلى النبي ﷺ، أني نمت في فراشي، فسمعت صريراً كصرير الرحى ودوياً كدوي النحل، ولمعاً كلمع البرق، فرفعت رأسي فإذا أنا بظل أسود يعلو ويطول في صحن داري فمسست جلده، فإذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار. فقال ﷺ: «عامر دارك يا أبا دجانة». ثم طلب ﷺ دواة وقرطاساً، وأمر علياً رضي الله تعالى عنه أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من يطرق الدار من العمار والزوار، إلا طارقاً يطرق بخير أما بعد فإن لنا ولكم في الحق سعة فإن كنت عاشقاً مولعاً، أو فاجراً مقتحماً، فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون، ورسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أن مع الله إلهاً آخر، لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون حم لا ينصرون حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فسيكفيهم الله وهو السميع العليم.

قال أبو دجانة رضي الله عنه: فأخذت الكتاب، وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبت ليلتي، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات فبحق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات، فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب، قال أبو دجانة: فقلت: والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله ﷺ، قال أبو دجانة: فلقد طالت علي ليلتي بما سمعت، من أنين الجن وصراخهم وبكائهم، حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتي، وما قلت لهم؛ فقال رسول الله ﷺ: يا أبا دجانة ارفع عن القوم، فوالذي بعثني بالحق نبياً إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة. قال البيهقي: وقد ورد في حرز أبي دجانة رضي الله عنه حديث طويل، غير هذا موضوع، لا تحل روايته. وهذا الذي رواه البيهقي، رواه الديلمي الحافظ في كتاب الإنابة، والقرطبي في كتاب التذكار في أفضل الأذكار.

الحكم: قال الشافعي: يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه، وقد أفتى ابن عمر بإباحته وقال أبو حنيفة والإمام أحمد: لا يحل لما روى أبو داود وحده أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما سئل عنه، فقرأ: ﴿قل لا أجدُ فيما أوحيَ إلي محرماً﴾[1] الآية فقال شيخ عنده: سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: ذكر القنفذ عند رسول الله ﷺ، فقال: «خبيث من الخبائث»[2]. فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: إن كان قد قال رسول الله ﷺ هذا فهو كما قال. قلت: والجواب أن رواته مجهولون. قال البيهقي: ولم يرو إلا من وجه واحد ضعيف لا يجوز الاحتجاج به. وما روي عن سعيد بن جبير، أنه قال: جاءت أم حفيد رضي الله تعالى عنها بقنفذ إلى رسول الله ﷺ، فوضعته بين يديه، فنحاه رسول الله ﷺ، ولم يأكله فهو مرسل. وقد روي مسنداً

---

(1) سورة الأنعام: آية ١٤٥.

(2) رواه أبو داود: أطعمة ٢٩، وابن حنبل ٢، ٣٨١.

وليس فيه ذكر القنفذ. وقيل: أراد أنه خبيث الفعل دون اللحم، لما فيه من إخفاء رأسه عند التعرض لذبحه، وابداء شوكه عند أخذه، وسئل مالك عنه، فقال: لا أدري. وقال القفال: إن صح الخبر فهو حرام، وإلا رجعنا إلى العرب هل تستطيبه أم لا. وقال الرافعي: يقال إن له كرشاً ككرش الشاة.

الأمثال: قالوا: «أسرى من قنفذ»[1] وقالوا: «ذهبوا إسراء قنفذ»، يعني ذهبوا ليلاً، لأن القنفذ يسري في الليل كثيراً وقد تقدم هذا في باب الهمزة في لفظ أنقد.

الخواص: مرارة البري منه، إذا طلي بها موضع الشعر المنتوف، لا ينبت فيه شعر أبداً. وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين، وإذا خلطت بشيء من الكبريت وطلي بها البهق أزالته وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير، وإن خلطت بدهن ورد وقطر في أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياماً، ولحمه إذا أكل نفع من السل والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى، وإن مسح بشحمه ودمه وبراثنه المعقود عن النساء حله، وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال، بشراب العسل فإنه يبرئه، وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم، مسحوقا بماء الحمص الأسود، من به عسر البول فيبرأه سريعاً. وإن قتل قنفذ، وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان، وعلق على المجنون والمصروع والمختل أبرأه. وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حي وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة، من غير أن يعلم ما هو، مربوطاً في خرقة كتان، أبرأه. وعينه اليمنى تغلى بشيرج، وتجعل في إناء نحاس، فمن اكتحل به لم يخف عليه شيء في الليل، بل يراه كأنه نهار، وشطار العيارين يفعلون ذلك. وعينه اليسرى تغلى بزيت وترفع في قارورة، فإذا أردت أن تنوم إنساناً فخذ منه بطرف الميل، وادنه إلى أنفه، فإنه ينام من ساعته. وأظفار يده اليمنى يبخر بها المحموم، فتذهب حماه. وطحاله إذا شوي وأكله من به وجع الطحال أبرأه، والأول أسرع وهو ما تقدم. ومرارته تعجن بسمن عتيق، وتتحمل بها المرأة في قبلها، فإنها تلقي ما في جوفها. ودمه يطلى به على عضة الكلب، يسكن ألمها، ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام، وهو جيد لمن يبول في فراشه. وجميع أصناف القنافذ بيضها أصفر جداً لا يؤكل، وإذا أخذ بول القنفذ وسقي بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه. وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه، وإذا طلي المجذوم بشحمه نفعه.

وأما رؤيته في المنام فإنه يدل على المكر والخداع والتجسس، والاحتقار والشر، وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة، وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح، والله تعالى أعلم.

القنفذ البحري: قال القزويني: مقدمه يشبه مقدم القنفذ البري، ومؤخره يشبه السمك، طيب اللحم جداً. قال ابن زهر: ويعالج به عسر البول، وريشه لين يشبه الشعر.

القنفشة: دويبة معروفة عند أهل البادية حكاه ابن سيده.

القهبي: بالفتح اليعقوب وقيل: العنكبوت.

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٧.

القهيبة: طائر يكون بتهامة فيه بياض وخضرة، وهو نوع من الحجل، قاله ابن سيده أيضاً.

القوافر: الضفادع، وقد تقدم ما فيها في باب الضاد المعجمة.

القواع: بضم القاف الذكر من الأرانب.

القوب: الفرخ، ومنه قولهم في المثل «تخلصت قائبة من قوب»[1] فالقائبة قشر البيضة، قال الكميت:

لهنَّ وللمشيبِ ومن علاها   من الأمثالِ قائبةٌ وقوبُ

وقال أعرابي من بني أسد لتاجر استخفره: إذا بلغت بك مكان كذا وكذا فبرئت قائبة من قوب أي أنا بريء من خفارتك.

قوبع: بضم القاف وفتح الباء الموحدة، طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه. تقدم في آخر باب العين المهملة.

القوثع: بفتح الثاء المثلثة الظليم، وقد تقدم في باب الظاء المعجمة.

القوق: بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب.

قوقيس: قال القزويني: إنه طائر بأرض الهند، من شأنه أنه عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً في عشه، ولايزال الذكر منه يحك منقاره بمنقار الأنثى، حتى تأجج النار من حكهما في ذلك الحطب، وتشتعل ويحترقان فيها، فإذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود، ثم تنبت له أجنحة ثم يصير طيراً، ثم يفعل كفعل الأول من الحك والاحتراق.

قوقي: بضم القاف الأولى وكسر الثانية، صنف من السمك عجيب جداً، على رأسه شوكة قوية، يضرب بها. حكى الملاحون أن هذه السمكة، إذا جاعت رمت نفسها إلى شيء من الحيوان فيبتلعها، ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه. وربما تخرج من شق بطنه تتغذى منه هي وغيرها، وإذا قصدها قاصد في الماء، تضربه بالشوكة فيهلك، ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتخرقها، وتغرق أهلها وتأكل منهم، والملاحون يعرفون ذلك فيجعلون على السفينة جلد تلك السمكة، فإن شوكتها لا تعمل فيه كذا قاله القزويني.

قيد الأوابد: الفرس الجواد، قيل له ذلك لأنه يمنع الوحش الفوات لسرعته، والأوابد الوحوش. قال[2] امرؤ القيس:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

قيق: بكسر أوله طائر على قدر اليمامة، وأهل الشام يسمونه أبا زريق، وهو ألوف للناس

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٢٢٦.

(٢) ديوان امرىء القيس: ٥١.

فيه قبول للتعلم وسرعة إدراك لما يعلم. وقد تقدم في باب الزاي.

أم قشعم: بفتح القاف النسر والعنكبوت والضبع واللبوة والمنية والداهية والحرب والدنيا أيضاً. قال زهير[1]:

فشد ولم ينظرْ بيوتاً كثيرة ... إلى حيثُ ألقتْ رحلَها أم قشعم

قيل: أراد أحد هذه الأشياء وقال آخر:

فخر صريعاً لليدين وللفمِ ... إلى حيث ألقتْ رحلها أم قشعم

أبو قير: طائر معروف، قاله ابن الأثير وغيره، وقد تقدم.

أم قيس: هي بقرة بني إسرائيل، وقد تقدم ذكرها في باب الباء، وفي باب العين المهملة في العجل.

باب الكاف

الكاسر: العقاب، يقال له كسر الطائر يكسر كسراً وكسوراً، إذا ضم جناحيه يريد الوقوع وعقاب كاسر. قال الشاعر:

كأنه بعد كلالِ الزاجر ... ومسحه مر عقاب كاسر

ويعدى فيقال: كسر جناحيه، قال ابن سيده.

كاسر العظام: المكلفة وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم.

الكبش: فحل الضأن في أي سن كان، وقيل: إذا أثنى، وقيل: إذا أربع، والجمع أكبش وكباش.

روى الجماعة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما.

وروى[2] أبو داود وابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: ذبح النبي ﷺ يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوأين فلما وجههما قال ﷺ: «إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً». إلى قوله: «وأنا من المسلمين اللهم منك وإليك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر». ثم ذبح. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. قوله: أملحين الأملح الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: هو النقي البياض.

وفي الحديث الآخر، في صحيح مسلم: «يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد».

---

(١) ديوان زهير ٨٤.

(٢) رواه أبو داود: أضاحي ٤. والبخاري حج ٢٧، ١١٧، ١١٩. ومسلم: أضاحي ١٧، ١٨.

ومعناه أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود. ونقل عن أصحاب الحديث، أن معنى كونه ينظر في سواد ويبرك في سواد ويطأ في سواد أن ذلك يكون في ظل نفسه لسمنه.

وروى ابن سعد في طبقاته أن النبي ﷺ أهدي له ترس، فيه تمثال كبش، «فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال». وفي رواية أنه كان له ﷺ ترس، وفيه تمثال كبش. وفي رواية تمثال عقاب فكره النبي ﷺ مكانه، فأصبح وقد أذهبه الله تعالى.

وفي سنن أبي داود وابن ماجه، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون للناس صوف الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخادعون وبي يستهزؤون، لأتيحن لهم فتنة تدع الحكيم حيران»[1].

وروى البيهقي، في الشعب، عن عمر رضي الله تعالى عنه، قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش، قد تنطق به، فقال ﷺ: «أنظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلة اشتريت بمائتي درهم، فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون» انتهى.

وفي الصحيحين[2]، عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله عز وجل، فوقع أجرنا على الله فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم نجد له ما نكفنه به إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه خرج رأسه. فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، وأن نجعل على رجليه من الأذخر. ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهدبها أي يجتنيها. وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا، بعد وفاة رسول الله ﷺ.

والكبش هو الذبح العظيم الذي فدى الله به اسماعيل عليه الصلاة والسلام، وإنما سمي عظيماً لأنه رعى في الجنة أربعين عاماً، قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال: وهو الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه. قال: ولو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة ولذبح الناس أبناءهم، واستشهد أبو حنيفة رحمه الله تعالى بهذه القصة، على أن من نذر ذبح ولده، يلزمه ذبح شاة. ومنع الجمهور ذلك لقوله ﷺ: «لا نذر في معصية الله ولا نذر لابن آدم فيما لا يملك»[3].

وقد اختلف العلماء في الذبيح هل هو اسماعيل أو إسحاق عليهما الصلاة والسلام، فذهب قوم إلى أنه إسحاق منهم عمر وعلي وابن مسعود والعباس وكعب وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء والزهري والسدي، قالوا: كانت هذه القصة بالشام. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: أري ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر، في روحة واحدة، حتى

---

(١) رواه الترمذي: زهد ٦٠. (٢) رواه البخاري: جنائز ٢٧، مغازي ١٧.

(٣) رواه البخاري: أيمان ١٨، ٣١، وأبو داود: أيمان ٢١. والنسائي: أيمان ٣١.

أتى به المنحر في منى، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه، وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة، طويت لهما الأودية والجبال. واحتجوا أيضاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم[1] فلما بلغ معه السعي، قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك﴾. قالوا: وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى ما قال في سورة هود ﴿فبشرناها باسحاق﴾[2]. وممن ذهب إلى أنه إسحاق شيخ التفسير محمد بن جرير الطبري رحمة الله عليه وروي عن مالك.

وقالت فرقة: الذبيح إسماعيل، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحاق، بعد الفراغ من قصة الذبيح. فقال: ﴿فبشرناها باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[2] فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه؟ قال محمد بن كعب القرظي: سأل عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه رجلاً من علماء يهود، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل. ثم قال: يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب، على أن يكون أبوكم الذي أمر الله تعالى بذبحه، ويزعمون أنه إسحاق أبوهم، ومن الدليل عليه أن قرني الكبش، كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت، واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج. قال الشعبي رحمه الله: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: والذي نفسي بيده، لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وخش. يعني قد يبس. وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه.

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل، حمل على البراق فيغدو من الشام ويقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشأم، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أمر في المنام أن يذبحه، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روى في نفسه، أي فكر أمن الله هذا أم من الشيطان. فمن ثم سمي يوم التروية. فلما أمسى رأى ما رأى في المنام ثانياً، فلما أصبح عرف أنه من الله تعالى، فمن ثم سمي يوم عرفة، فهم بنحر ابنه ففداه الله تعالى بالكبش.

وروى البيهقي، في البعث والنشور، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما فدى إسحاق بالكبش قال الله عز وجل: إن لك دعوة مستجابة. فقال له إبراهيم: تعجل دعوتك لا يدخل الشيطان فيها شيئاً. قال إسحاق: اللهم من لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فاغفر له». وكنية جماعة من الصحابيات رضي الله تعالى عنهن أم كبشة، منهن أم كبشة بنت معد يكرب عمة الأشعث بن قيس.

روى الدارقطني عن معاوية بن حديج، بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره، أن أم كبشة هذه سألت النبي ﷺ أنها آلت أن تطوف بالبيت الحرام حبواً، فقال لها

---

(١) سورة الصافات: الآيات ١٠١ ـ ١٠٢. (٢) سورة هود: آية ٧١.

رسول الله ﷺ: «طوفي على رجليك سبعين: سبعاً عن يديك وسبعاً عن رجليك». قلت: والحكم المذكور غريب لم أر من صرح به من الفقهاء، فلذلك ذكرته هنا، وإن لم يكن له تعلق بالكتاب، ثم رأيته بعد ذلك في آخر باب النذر من المحرر لمجد الدين بن تيمية من الحنابلة. فقال: ومن نذر أن يطوف على أربع لزمه أن يطوف طوافين نص عليه. يعني الإمام أحمد، ثم رأيته في تاريخ مكة لأبي الوليد الأزرقي، مروياً من حديث عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل عن امرأة نذرت أن تطوف على أربع قال: تطوف عن يديها سبعاً وعن رجليها سبعاً.

فائدة: روى(١) البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة النار ثم يذبح، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وأنذرهم يومَ الحسرةِ إذ قُضي الأمر﴾(٢). وفي رواية الترمذي: «فيقال هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيضجع فيذبح، فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحاً». وإنما جيء بالموت على هيئة كبش، لما جاء أن ملك الموت عليه السلام أتى آدم عليه الصلاة والسلام في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعمائة جناح.

قال ابن عباس والكلبي ومقاتل في قوله تعالى: ﴿الذي خلقَ الموتَ والحياة﴾(٣) خلقهما جسمين، جعل الموت في هيئة كبش أملح لا يمر على شيء، ولا يجد ريحه شيء إلا مات. والحياة على هيئة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها، خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل، لا تمر على شيء ولا تطأ شيئاً، ولا يجد ريحها شيء إلا حي، وهي التي أخذ السامري من ترابها فألقاه على العجل انتهى.

وهذه هي الحكمة في فداء الذبيح بكبش ليكون فدى من الموت بشكل الموت، ولما سر بذبحه سر أهل الجنة أيضاً بذبحه منة عليهم. ونقل القرطبي عن كتاب خلع النعلين، أن الذابح للكبش بين الجنة والنار، يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، بين يدي رسول الله ﷺ إذ في اسمه إشارة إلى الحياة الأبدية. وذكر صاحب كتاب الفردوس، أن الذي يذبحه جبريل عليه السلام.

فائدة أخرى: قال ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وسعيد بن جبير والضحاك والحسن رضي الله تعالى عنهم، في قوله تعالى ﴿قُلْ كونوا حجارةً أو حديداً، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾(٤) إن الذي يكبر في صدورهم الموت. قال السهيلي: وهو تفسير يحتاج إلى تفسير. قال: وقال بعض المتأخرين: إن الموت الذي يستعظمونه سيفنى حين يذبح بين الجنة والنار، فكذلك أنتم تفنون. ورأيت في الحلية لأبي نعيم في ترجمة وهب بن منبه أنه قال: إن الله تعالى في

---

(١) رواه البخاري: رقاق ٥١، تفسير سورة ١٩. ومسلم: جنة ٤٠، ٤٣. والترمذي: زهد ٣٩.

(٢) سورة مريم: آية ٣٩. (٣) سورة الملك: آية ٢. (٤) سورة الإسراء: آية ٥٠، ٥١.

السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

فائدة أخرى: قال البوني في اللمعة النورانية، من السر البديع: إذا كان الإنسان يخاف على نفسه من قتل أو عذاب أو غيره، فليذبح كبشاً سميناً سليماً من العيوب، كما في الأضحية، يذبحه في موضع خال ذبحاً سريعاً موجهاً إلى القبلة، ويقول عند الذبح: اللهم هذا لك ومنك، اللهم إنه فدائي فتقبله مني. ويحفر لدمه حفرة، ويردمها بالتراب، حتى لا يطأ أحد على دمه، ويبضعه ستين جزءاً: الجلد جزء، والرأس جزء، والبطن جزء، إلى أن يأتي على الستين جزءاً، ولا يأكل منه شيئاً لا هو ولا من تجب عليه نفقته، ويفرقه على الفقراء والمساكين، فإنه يكون فداء له، ولا يناله مكروه من جهة الأمر الذي يخشاه. وهو متفق عليه، مجرب معمول به، والله تعالى المحسن لعبيده المنعم عليهم.

قال: وإن كان يخاف من أمر دون ذلك، فليطعم ستين مسكيناً من أفضل الطعام، ويشبعهم ويقول: اللهم إني أستكفي الأمر الذي أخافه بهم هؤلاء، وأسألك بأنفسهم وأرواحهم وعزائمهم، أن تخلصني مما أخاف وأحذر، فإنه يفرج عنه. وهذا أيضاً متفق عليه، معمول به مستفيض عند أهل الطريقة.

وحكم الكبش: تقدم، ومنه أنه تحرم المناطحة بالكباش، لما روى[1] أبو داود والترمذي، من حديث مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ: «نهى عن التحريش بين البهائم». والتحريش الإغراء وتهييج بعضها على بعض، كما يفعل بين الكباش والديوك وغيرها.

وفي الكامل، في ترجمة غالب بن عبد الله الجزري، من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى لعن من يحرش بين البهائم». قال الحليمي: وهو حرام ممنوع منه، لا يؤذن لأحد فيه، لأن كل واحد من المتهارشين يؤلم صاحبه ويجرحه، ولو أراد المحرش أن يفعل ذلك بيده ما حل له. وعن الإمام أحمد في ذلك روايتان: التحريم والكراهة.

الأمثال: قالوا: «عند النطاح يظهر الكبش الأجم»[2] وهو الذي لا قرن له، يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له. وكان الحسن يقول: يا ابن آدم السكين تحد، والتنور يسجر، والكبش يعتلف. وروى السهيلي وغيره أن عبد الله بن الزبير ولما ولد قال النبي ﷺ: «هو هو». فلما سمعت بذلك أمه أسماء بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما أمسكت عن ارضاعه فقال[3] لها النبي ﷺ: «أرضعيه ولو بماء عينيك، كبش بين ذئاب، وذئاب عليها ثياب، ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه». ومما قيل في ليالي صفين:

اللـيـلُ داج الـكـبـاشُ تـنـتـطح ... نـطاحَ أسـدٍ مـا أراهـا تصـطلح
فمَنْ يقـاتـلْ في وغـاهـا مـا نجـا ... ومَـنْ نـجـا بـرأسِـه فـقـد ربـحْ

---

(١) رواه أبو داود: جهاد ٥١. والترمذي: جهاد ٣٠. (٢) جمهرة لأمثال: ٢/٤٢.
(٣) رواه أبو داود: نكاح ٩، حدود ٢٤. مسلم: رضاع ٢٦، ٢٨. حدود ٢٣.

الخواص: خصية الكبش تشوى وتطعم، لمن يبول في الفراش، يبرأ من ذلك إذا داوم عليه، وإن تعسر على المرأة الولادة، فليؤخذ شحم كبش، وشحم بقر، وماء الكراث، وتخلط جميعاً، وتتحمل به المرأة فإنها تلد بسهولة، وكليته إذا نزعت بعروقها، وجففت في الشمس، وأذيبت بدهن الزئبق، وطلي به مكان نبت فيه شعر، ومرارته إذا طلي بها الثديان انقطع اللبن.

روى[1] الإمام أحمد، بإسناد صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «كان يصف من عرق النسا ألية كبش عربي أسود ليس بالعظيم ولا بالصغير، تجزأ ثلاثة أجزاء فيذاب ويشرب منه كل يوم جزء». ورواه الحاكم وابن ماجه ولفظها أن النبي ﷺ قال: «شفاء عرق النسا أن يؤخذ ألية كبش فتذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق ثلاثة أيام في كل يوم جزء». قال عبد اللطيف البغدادي: هذه المعالجة تصلح للأعراب الذين يعرض لهم هذا المرض من يبس.

التعبير: الكبش في الرؤيا، رجل شريف القدر، لأنه أشرف الدواب، بعد ابن آدم، لأنه كان فداء لاسماعيل عليه السلام. ومن رأى كبشاً ينطح فرج امرأة، فإنها تأخذ بالمقراض ما على فرجها من الشعر. ومن رأى أنه أخذ ألية كبش، أخذ مال رجل شريف القدر، أو يتزوج بابنته، لأن ألية الكبش مال الرجل. ومن يتبعه من عقبه. ومن ذبح كبشاً لغير الأكل، فإنه يقتل رجلاً عظيماً وإن ذبحه للأكل نجا من هم على يد رجل عظيم القدر، وإن كان مريضاً فإنه يبرأ من مرضه.

وقال ارطاميدورس: الكبش يدل على رجل رئيس لتقدمه على الغنم، وهو دليل خير لمن يركبه إذا كان الموضع مرتفعاً، والكبش الأجم معزول، ورجل ذليل أو خصي. ومن نكح كبشاً، فرق بينه وبين ماله رجل عظيم، ومن ركب كبشاً من مكان مستو من الأرض، وكان من الأوباش الخداعين، الذين يحبون الفتن والكلام، فإنه يصلَب لأن هذا الحيوان من حيوان عطارد، ومن حمل كبشاً على ظهره فإنه يتقلد مؤنة رجل ضخم. ومن رأى نعجته صارت كبشاً، فإن زوجته لا تحمل، فإن لم تكن له زوجه نال قوة ونصرة على عدوه. وكبش الإنسان سلطانه وأميره، وقد يكون كبشه كيسه، فإذا حدث فيه شيء فانسبه إلى الكيس.

أتى شخص إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال: رأيت كبشين يتناطحان على فرج امرأتي. فقال له: إن امرأتك قد أخذت بالمقراض شعر فرجها لتعذر الموسى. ومن ضحى بكبشين، فإنه ينجو من جميع الهموم، وإن كان مسجوناً خرج من السجن، وإن كان في حرب سلم، وإن كان عليه دين قضى، وإن كان مريضاً شفي، ومن رأى كبشين يتناطحان فإنهما ملكان يقتتلان، فأيهما هزم صاحبه فهو الغالب. وتنسب السود من الكباش إلى العرب، والبيض إلى العجم، وإن تساويا في الألوان، فانظر إلى الجهة التي كانت الثابت فيها، كان أهلها منصورين، ومهما أخذ الإنسان من أصوافها، أو قرونها فهو مال يناله، وقس على هذا والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥، ٢٨. ٣، ٢١٩.

الكبعة: بفتح الكاف وإسكان الباء الموحدة، دابة من دواب البحر، قاله ابن سيده.

الكُتفان: بضم الكاف وإسكان التاء* المثناة فوق، وبعدها فاء، الجراد أول ما يطير، الواحدة كتفانة، ويقال: هو الجراد بعد الغوغاء، أوله السرور ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان.

الكُتع: كرطب أردأ ولد الثعلب، والجمع كِتعان بكسر الكاف.

الكُدر: بضم الكاف وإسكان الدال المهملة، طير في ألوانها كدرة.

روى ابن هشام وغيره أن النبي ﷺ «غزا قرقرة الكدر، في النصف من المحرم، على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجرته ﷺ، وهي ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة، وحمل لواءه ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، فأخذ ﷺ نعمهم وقسم غنائمهم، وهي خمسمائة بعير فأخرج ﷺ خمسة، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين، فأصاب كل واحد منهم بعيرين، وكانوا مائتي رجل وصار يسار رضي الله تعالى عنه في سهم النبي ﷺ، فأعتقه حين رآه يصلي، وغاب ﷺ عن المدينة خمسة عشرة ليلة»، وقرقرة بفتح القافين أرض ملساء، وقال البكري: هي بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلها والمعروف في ضبطها الفتح.

الكركر: كجعفر طائر ببحر الصين، يطير تحت طائر يقال له شنة يتوقع ذرقه، لأن غذاءه منه. وخرشنة طائراً أكبر من الحمام وهو لا يذرق إلا وهو طائر، كذا ذكره القزويني.

الكركند: رأيت بخط اسماعيل بن محمد الأمير، ما مثاله: روي أنه في جزائر الصين والهند الكركند حيوان طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك، له ثلاثة قرون: قرن بين عينيه، وقرنان على أذنيه، يطعن الفيل فيأخذه في قرنه، ويبقى بين عينيه مدة، ويبقى ولد الكركند في بطن أمه أربع سنين، وإذا تم له سنة، يخرج رأسه من بطن أمه، فيرعى الشجر مما يصل إليه، وإذا تم له أربع سنين، وقع من بطن أمه وفر كالبرق، حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها، لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ، إذا لحسته أزالت لحمه عن عظمه في لحظة واحدة. وملوك الصين إذا عذبوا أحداً سلموه إلى الكركند يلحسه فيبقى عظاماً ليس عليه من اللحم شيء انتهى.

وسماه الجاحظ الكركدن، ويسمى الحمار الهندي، ويسمى الحريش كما تقدم، وهو عدو الفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة، وهو دون الجاموس، ويقال: إنه متولد بين الفرس والفيل، وله قرن واحد عظيم في رأسه، لا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه، وهذا القرن مصمت قوي الأصل، حاد الرأس، يقاتل به الفيل فلا يفيد معه ناباه، وإذا نشر قرنه طولاً، تخرج منه الصور المختلفة بياض في سواد كالطاوس والغزال، وأنواع الطير والشجر، وصور بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش، يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم، ويتغالون في أثمانها. وزعم أهل الهند أن الكركند، إذا كان بأرض لم يدع شيئاً من الحيوانات، إلا ما كان بينه وبينه مائة فرسخ، من جميع الجهات هيبة له وهرباً منه. ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه على قرنه، ويقال: إن الأنثى تحمل كأنثى الفيل ثلاث سنين أو سبع سنين، ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون، قوي

الحوافر. وقيل: إذا قاربت الأنثى أن تضع يخرج الولد رأسه منها، فيرعى أطراف الشجر ثم يرجع. وقد أنكر الجاحظ هذا. وليس في الحيوان ذو قرن مشقوق الطرف غيره، وهو يجتر كالبقر والغنم والإبل، ويأكل الحشيش، لكنه شديد العداوة للإنسان إذا شم رائحته، أو سمع صوته طلبه، فإذا أدركه قتله. ولا يأكل منه شيئاً، ويقال للأنثى كركندة قاله الزمخشري.

وأما حكمه فلم أر أحداً تعرض له مع التتبع الشديد، والسؤال العديد، والظاهر حله، لأكله الشجر ولكونه يجتر، ولا يمنع من ذلك كونه يعادي الإنسان، فالضبع يعاديه ويؤكل، فإن ثبت أنه متولد من الفرس والفيل حرم، وهو بعيد.

الخواص: على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن، وهي لها خواص عجيبة، وعلامة صحتها أن يرى منها شكل فارس، ولا توجد تلك الشعبة إلا عند ملوك الهند. ومن خواصها حل كل عقد، فلو أخذها صاحب القولنج بيده شفي في الحال. والمرأة التي ضربها الطلق، إن أمسكتها بيدها تلد في الحال، وإن سحق منها شيء يسير وسقي المصروع أفاق، وحاملها يأمن من عين السوء، ولا يكبو به الفرس، وإذا تركت في الماء الحار عاد بارداً، وعينه اليمنى تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها، ولا يقربه الجن ولا الحيات، واليسرى تنفع من النافض والحمى، ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف.

خاتمة: قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب الأمم: أشرف حلي أهل الصين من قرن الكركند فإن قرونها متى قطعت ظهر منها صور عجيبة مختلفة، فيتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعة آلاف مثقال ذهباً، والذهب عندهم هين عليهم، حتى يتخذوا منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم. قال: وأهل الصين بيض إلى الصفرة، فطس الأنوف، يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئاً منه، ويورثون الأنثى أكثر من الذكر، ولهم عيد عند نزول الشمس الحمل، يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام. واقليمهم واسع فيه نحو ثلثمائة مدينة، وفيه عجائب كثيرة. قال: والأصل في ذلك أن عامور بن يافث بن نوح عليه السلام نزلها، وابتنى بها المدائن هو وأولاده، وعملوا فيها العجائب، وكانت مدة ملك عامور ثلثمائة سنة، ثم ملك بعده ابنه صاين بن عامور مائتي سنة، وبه سميت الصين، فجعل حينئذ تمثالاً من ذهب على صورة أبيه على سرير من ذهب، وعكف هو وقومه على عبادته، وفعلوا بجميع ملوكهم ذلك، وهم على دين الصابئين. قال: ووراء الصين أمم عراة منهم أمة يلتحفون بشعورهم، وأمم لا شعر لهم، وأمم حمر الوجوه شقر الشعور، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون إليها إلى أن تغرب الشمس، وأكثر ما يأكلون نبات يشبه الكمأة وسمك البحر، ثم ذكر بعد هؤلاء يأجوج ومأجوج. قال: وأجمعوا على أنهم من ولد يافث بن نوح. ثم ختم الكتاب بأن النبي ﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج، هل بلغتهم دعوتك؟ فقال ﷺ: «مررت بهم ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا».

وأما تعبير رؤيته في المنام: فإنه ملك عظيم جائر، وقيل: إن رؤيته تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة أصله، وربما كان مسلطاً بماله وولده.

الكركي: طائر كبير معروف، والجمع الكراكي، وكنيته أبو عريان وأبو عينا وأبو العيزار

وأبو نعيم وأبو الهيصم، وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق، وهو أغبر طويل الساقين، والأنثى منه لا تقعد للذكر عند السفاد، وسفاده سريع كالعصفور، وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس، لأن في طبعه الحذر والتحارس في النوبة، والذي يحرس يهتف بصوت خفي، كأنه ينذر بأنه حارس، فإذا قضى نوبته قام الذي كان نائماً يحرس مكانه حتى يقضي كل ما يلزمه من الحراسة ولها مشات ومصايف، ومنها ما يلزم موضعاً واحداً ومنها ما يسافر بعيداً، وفي طبعه التناصر، ولا تطير الجماعة منه متفرقة، بل صفاً واحداً، يقدمها واحد منها، كالرئيس لها وهي تتبعه، يكون ذلك حيناً، ثم يخلفه آخر منها مقدماً، حتى يصير الذي كان مقدماً مؤخراً، وفي طبعه أن أبويه إذا كبرا عالهما، وقد مدح هذا الخلق أبو الفتح كشاجم حيث يقول مخاطباً لولده:

اتخذ في خلة الكراكي ... أتخذ فيك خلةَ الوطواطِ
أنا إنْ لم تبرني في عناء ... فبري ترجو جوازَ الصراطِ

ومعنى قوله خلة الوطواط، أنه يبر ولده فلا يتركه بمضيعة، بل يحمله معه حيثما توجه، وقد كذب المحدثون جميع بن عمير التيمي في قوله: إن الكراكي تفرخ في السماء ولا تقع فراخها، وله في السنن الأربعة ثلاثة أحاديث وحسن له الترمذي لكنه من عتق الشيعة.

قال القزويني: والكراكي لا يمشي على الأرض إلا بإحدى رجليه، ويعلق الأخرى، وإن وضعها وضعاً خفيفاً مخافة أن تخسف به الأرض. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في مالك الحزين طرف من هذا. وللملوك مصر وأمرائها في صيده تغال لا يدرك حده، وإنفاق مال لا يستطاع حصره وعده، فلذلك علت مملكتهم على كثير من الممالك، ولن يهلك على الله إلا هالك أو متهالك.

وفي مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وأبي موسى، أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان نقش خاتمه كركي له رأسان، قال ابن بطال: وهذا إن كان صحيحاً، فلا حجة فيه لإباحة ذلك لترك الناس العمل به، ولنهيه ﷺ عن التصوير.

فائدة: ذكر السهيلي عن رواية ابن إسحاق أن النبي ﷺ لما كان في بني سعد، نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه، ومج الآخر في فيه بمنقاره ثلجاً، أو برداً أو نحو هذا. قال: وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه. وفي أوائل المجالسة للدينوري، أنه «أقبل عليه ﷺ طيران أبيضان، كأنهما نسران». إلى آخره. وفي المستدرك: «فأقبل عليه ﷺ طيران أبيضان كأنهما نسران». وذكر الحديث بطوله.

وروى ابن أبي الدنيا وغيره، بإسناد يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت حتى استيقنت؟ قال ﷺ: «يا أبا ذر أتاني ملكان فوقع أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو. قال: فزنه برجل، فوزنني برجل فرجحته. ثم قال: زنه بعشرة فوزنني بعشرة فرجحتهم. ثم قال: زنه بمائة فوزنني فرجحتهم. ثم قال: زنه بألف فوزنني فرجحتهم. ثم قال أحدهما

لصاحبه: شق بطنه. فشق بطني، فأخرج قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم، ثم قال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاط بطني، وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن، ووليا عني فكأني أعاين الأمر معاينة» ا هـ.

قلت: وفي هذا الحديث من الفوائد أن خاتم النبوة لم يكن قبل ذلك، واختلف العلماء في صفته على عشرين قولاً حكاها الحافظ قطب الدين. ففي سيرة ابن هشام أنه كأثر المحجمة القابضة على اللحم. وفي الحديث أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود. وروي أنه كان كالتفاحة، وكزر الحجلة، مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقد تقدم في باب الحاء المهملة ما وقع فيه للترمذي. وروى أنه كان كبيضة الحمامة.

وروى الحاكم والترمذي في المناقب عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، قال[1]: خرج أبو طالب إلى الشأم، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب، هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد الخلق أجمعين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ قريش: ما أعلمك بهذا؟ فقال: إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً لله تعالى، وسلم على رسول الله ﷺ، ولا يفعل ذلك إلا لنبي وإني لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به لم يجده وكان ﷺ في رعية الإبل، فقال: ارسلوا إليه، فأرسلوا إليه فأقبل ﷺ وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس ﷺ مال فيء الشجرة عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، فاستقبلهم وقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أخبرنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه أناس، وإنا قد أخبرنا يقيناً أنه في طريقك هذا. فقال: هل خلفتم أحداً هو خير منكم؟ قالوا: لا وإنما اخترنا طريقك هذا لأجلك. قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس أن يرده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه، فبايعوه وأقاموا معه. ثم قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب، وبعث معه أبو بكر بلالاً رضي الله عنهما، وزوده الراهب من الكعك والزيت. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. ا هـ ورجال سنده جميعهم مخرج لهم في الصحيح.

قال الحافظ الدمياطي: في هذا الحديث وهمان، الأول قوله فبايعوه وأقاموا معه، والثاني قوله وبعث معه أبو بكر وبلالاً، ولم يكونا معه، ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر بعد، بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشرين سنة، ولم يملك بلالاً إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً.

---

(١) رواه الترمذي: مناقب ٣.

قال السهيلي: والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار، أنه ﷺ لما ملىء قلبه حكمة ويقيناً ختم عليه، كما يختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دراً. وأما وضعه أسفل من غضروف الكتف، فلأنه ﷺ معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم، لما روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، أن رجلاً سأل ربه سنة أن يريه موضع الشيطان منه، فأري جسداً كالبلور، يرى داخله من خارجه، والشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه، يحاذي قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة، قد أدخله إلى قلبه يوسوس له، فإذا ذكر الله العبد خنس. وقد تقدم هذا في باب الضاد المعجمة في الضفدع منقولاً عن الزمخشري.

قلت: وانشقاق الصدر حصل له ﷺ مرتين: إحداهما في صغره وهي هذه، والأخرى في كبره ليلة الإسراء. ففي الصحيحين[1] من حديث أنس وأبي ذر أنه ﷺ قال: «فرج عني سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطشت من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه».

وقال أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أنه ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينا أنا في الحطيم، وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان، إذ نزل علي رجلان، فأتيت بطشت من ذهب مملوء حكمة وإيماناً، فشق صدري من النحر إلى مراق البطن، واستخرج قلبي فغسل، ثم حشي ثم أعيد». وقال سعيد بن هشام: «ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملىء إيماناً وحكمة ثم أتيت بالبراق فركبته». الحديث بطوله. وقال قوم: عرج به ﷺ من دار أم هانىء أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

الحكم: يحل أكله بلا خلاف، وما أوهمه العبادي من جريان، خلاف طير الماء الأبيض فيه شاذ مردود. وقال الأصحاب: ما كان من الطيور المأكولة أكبر من الحمام كالبط والكركي، إذا قتلها المحرم أو قتلت في الحرم، فيه قولان: أحدهما إيجاب الشاة إلحاقاً بالحمام من باب أولى، لأنه أكبر شكلاً من الحمام، ويشهد له قول عطاء في عظام الطير شاة كالكركي والحبارى والأوز، والقول الثاني اعتبار القيمة، وهو القياس، فإن الشاة في الحمام لا تباع النقل. ويشهد له قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ما كان سوى حمام الحرم، ففيه ثمنه إذا أصابه المحرم.

الأمثال: قالوا: «فلان أحرس من الكركي» لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجليه كما تقدم. ومن أحسن ما يحكى عن الإمام الزاهد القدوة أبي سليمان الداراني أنه قال: اختلفت إلى مجلس قاص فتكلم فأحسن في كلامه فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقي في قلبي أثر كلامه في الطريق، ثم زال ثم عدت ثالثاً، فبقي في قلبي أثر كلامه حتى رجعت إلى منزلي، فلزمت الطريق. فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى. فقال «عصفوراً اصطاد كركياً» أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي أبا سليمان.

(١) رواه البخاري: صلاة ١، حج ٧٦، أنبياء ٥. ومسلم: إيمان ٢٦٣، وابن حنبل ١٢٢/٥.

الخواص: لحم الكركي بارد يابس لا دسم له أجوده صيد البازي، ينفع أصحاب الكد لكنه سيء الهضم، ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة، وهو يولد دماً غليظاً، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة، لاسيما الشباب، وأجود أكله في الشتاء، ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية، فإنها مما يسهل خروجه، ويجب أن لا يؤكل إلا بعد يوم أو يومين. وتشد في أرجلها الحجارة، وتعلق ليرخص لحمها، وتنضج في طبخها وتستمرىء عند أكلها، وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك غليظ عسر الاستمراء، لاسيما إناثها، ومرارته تنفع من القرع، وإذا خلطت مع دماغه بزنبق، وسعط بها الذي ينسى، فإنه يذكر ما ينساه. ومن أحب أن لا ينبت في بدنه من الشعر فليأخذ جزءاً من الذراريح، ومثله مخ كركي ويدفهما جميعاً ويطلي بهما أي موضع اختاره من بدنه، فإنه لا يطلع فيه شعر.

التعبير: الكركي في المنام تدل رؤيته على رجل مسكين غريب، ومن رأى كأنه راكب كركياً فإنه يفتقر، ومن رأى أنه ملك كثيراً منها أو وهب له، فإنه ينال رياسة ومالاً، ولحم الكركي لمن أراد المشاركة أو الزواج دليل خير، لأنها لا تفترق في طيرانها، وقيل: إن من رأى أنه أخذ كركياً صاهر قوماً سيئة أخلاقهم. وقالت النصارى والروم: من رأى كركياً سافر سفراً بعيداً، وإن رآه مسافراً رجع إلى بلده. وقال ارطاميدورس: الكركي في الشتاء تدل على اللصوص، وقطاع الطريق، وهي دليل خير من أراد الأولاد، لأنها تعين آباءها عند الكبر والله أعلم.

الكَروان: بفتح الكاف والراء المهملة طائر يشبه البط لا ينام الليل، سمي بضده من الكرى، والأنثى كروانة وجمع كروان كروان بكسر الكاف كورشان وورشان على غير قياس قال بكر[1] بن سوادة في خالد[2] بن صفوان:

عليمٌ بتنزيلِ الكتابِ ملقن ذكور بما أسداه أول أولا
ترى خطباءَ الناسِ يومَ ارتجاله كأنهم الكروانُ عاينَ أجدلا

وقال طرفة في أبياته التي كانت سبب قتله[3]:

لنا يومٌ وللكروانِ يوم تطير البابساتُ ولا نطيرُ
فأما يومُهن فيومُ سوء تطاردُهن بالحربِ الصقورُ
وأما يومُنا فنظلُّ ركباً وقوفاً ما نحلُّ ولا نسير

فكتب له عمرو بن هند وللمتلمس كتابين إلى عامله المكعبر بقتلها، فقتل طرفة وسلم المتلمس لما قرئت عليه الصحيفة، والقصة في ذلك مشهورة، وتقدمت الإشارة إليها في القبرة. ووقع ذكر هذه الصحيفة في سنن أبي داود في آخر كتاب الزكاة، وذلك أن عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن

---

(١) بكر بن سوادة بن شمامة الجذامي المصري. تابعي محدث. مات سنة ١٢٨ هـ.
(٢) خالد بن صفوان بن عبدالله بن عمرو بن الأهتم التميمي، من الفصحاء، كان يجالس الخلفاء مات سنة ١٣٣ هـ.
(٣) ديوان طرفة: ٧٤.

حابس التميمي قدما على النبي ﷺ، فسألاه، فأمر لهما عليه الصلاة والسلام بما سألاه. وأملى عليه الصلاة والسلام معاوية رضي الله تعالى عنه، فكتب لهما بما سألاه، فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته، وانطلق إلى قومه. وأما عيينه فأخذ كتابه وأتى به النبي ﷺ فقال: يا محمد أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً لا أدري ما فيه كصيحفة المتلمس؟ فقال ﷺ: «من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار»(١). قالوا: يا رسول الله وما الذي يغنيه؟ قال ﷺ: «قدر ما يغديه أو يعشيه» اهـ.

وحكمه: حل الأكل بالإجماع.

الأمثال: قالوا: «أجبن(٢) من كروان» لأنه إذا قيل له: «أطرق(٣) كروان النعام في القرى» التصق بالأرض، فيلقى عليه ثوب فيصاد، وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه، قال(٤) الشاعر:

أمير أبي موسى يرى الناس حوله ... كأنهم الكروان أبصرَ بازيا

وقالوا(٥) فيه:

شهدت بأن الخبز باللحمِ طيب ... وإن الحبارى خالةُ الكروان

يضرب عند الشيء يتمنى ولا يقدر عليه.

الخواص: قال القزويني: إن لحمه وشحمه يحركان الباه تحريكاً عجيباً.

الكسعوم: كحلقوم الحمار لغة حميرية والميم زائدة فيه، وكسع حي من حمير باليمن رماة منه قولهم: «ندمت ندامة الكسعي» وهو رجل من كسع اسمه مجاور بن قيس، رأى نبعة فرباها، حتى اتخذ منها قوساً فرمى الوحش عنها ليلاً فأصاب، وظن أنه أخطأ، فكسر القوس، فلما أصبح رأى ما أصمى من الصيد فندم. قال الشاعر:

ندمت ندامةَ الكسعي لما ... رأتْ عيناه ما صنعت يداه

روى الطبراني وغيره من حديث عبد الرحمن بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «لا زكاة في الكسعة والجبهة والنخة». فسره أبو عبيد وغيره، بأن الكسعة الحمير، والجبهة الخيل، والنخة العبيد. وقال الكسائي: إنما هو النخة بضم النون وهي البقر العوامل.

الكعيت: البلبل جاء مصغراً كما تقدم وجمعه كعتان.

عجيبة: ذكر الأزرقي، في تاريخ مكة أن طائراً أصغر من الكعيت، لونه لون الحبرة بريشة حمراء، وريشة سوداء، دقيق الساقين طويلهما، له عنق طويل، دقيق المنقار طويله، كأنه من طير البحر، أقبل يوم السبت، يوم سبع وعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائتين، حين طلعت الشمس، والناس إذ ذاك في الطواف، كثير من الحاج وغيرهم، وعبر من ناحية أجياد،

---

(١) رواه أبو داود: زكاة ٢٤.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٣.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/١٥٨.
(٤) الحيوان للجاحظ: ٦/٣٧٢ ونسبته إلى ذي الرمة.
(٥) الحيوان للجاحظ: ٦/٣٧٢.

حتى وقع في المسجد الحرام، قريباً من زمزم مقابل الحجر الأسود، فمكث ساعة طويلة ثم طار، حتى صدم الكعبة في نحو وسطها بين الركن اليماني والحجر الأسود، وهو إلى الحجر الأسود أقرب. ثم وقع على منكب رجل في الطواف عند الحجر الأسود، من الحاج من أهل خراسان محرم، فلبى وهو على منكبه الأيمن، فطاف به الرجل أسابيع، والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير مستوحش منهم، والرجل الذي هو عليه يمشي في الطواف في وسط الناس، وهم ينظرون إليه ويتعجبون، وعينا الرجل تدمعان على خديه ولحيته.

قال عبد الله بن ربيعة: رأيته على منكبه الأيمن، والناس يدنون منه وينظرون إليه، فلا ينقل منهم ولا يطير، فطفت أسابيع ثلاثة كل ذلك أخرج من الطواف فأركع خلف المقام، ثم أعود وهو على منكب الرجل. قال: ثم جاء إنسان من أهل الطواف، فوضع يده عليه فلم يطر، وطاف به بعد ذلك ثم طار هو من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام، ومكث ساعة طويلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه، والناس ينظرون إليه، فأقبل فتى من الحجبة فضرب بيده فيه فأخذه ليريه رجلاً منهم كان يركع خلف المقام، فصاح الطير في يده أشد صياح، بصوت لا يشبهه أصوات الطيور، ففزع منه وأرسله من يده فطار حتى أتى بين يدي دار الندوة، خارجاً من الظلال، قريباً من الأسطوانة الحمراء، واجتمع الناس ينظرون إليه، وهو مستأنس في ذلك كله غير مستوحش من الناس، ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان، وقد تقدم في باب الهمزة، في الأديم ما ذكره الأزرقي مما يشبه هذا.

الككم: طائر بأرض طبرستان حسن موشى حسن العينين جداً سمي باسم صياحه الذي يصيحه، وربما اصطاد العصافير وصغار الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها، لكن لا في جميع السنة بل في فصل الربيع، فإذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون في الآجام والمياه، وغيرها فتزقه من أول النهار فإذا كان آخر النهار أخذ واحداً منها فأكله، فذلك فعله في كل يوم إلى أن ينقضي فصل الربيع، فإذا انقضى انعكست عليه، فلاتزال تجتمع عليه وتطرده وتضربه، وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت، إلى فصل الربيع الآخر. وذكر علي بن زيد الطبري صاحب فردوس الحكمة أن هذا الطائر لا يكاد يرى قدماه على الأرض، بل يطأ على إحدى رجليه على البدن. وذكر الجاحظ أن الككم من عجائب الدنيا، وأنه لا يطأ على الأرض بقدميه جميعاً خشية أن تنخسف من تحته، كما تقدم في الكركي. ومثل هذا يأتي إن شاء الله تعالى في مالك الحزين والنحام.

الكلب: حيوان معروف، وربما وصف به فقيل للرجل كلب وللمرأة كلبة، والجمع أكلب وكلاب وكليب، مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز. والأكالب جمع أكلب قال ابن سيده: وقد قالوا في جمع كلب كلابات. قال الشاعر:

أحبّ كلبٍ في كـلابـاتِ النـاس إلي نهجـاً كـلبُ أمّ عـبـاس

وكلاب اسم رجل من أجداد النبي ﷺ وهو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكلاب إما منقول من المصدر، الذي هو في معنى المكالبة، نحو كالبت العدو مكالبة وكلاباً، وإما جمع كلب، وسموه بذلك طلباً للكثرة كما سموا سباع، وأنمار.

قيل لأبي الدقيش الأعرابي: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب؟ وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا. وكأنهم قصدوا بذلك التفاؤل بمكالبة العدد وقهره، والكلبة أنثى الكلاب، وجمعها كلبات ولا تكسر.

والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء، وهو لا سبع ولا بهيمة، حتى كأنه من الخلق المركب لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس، ولو تم له طباع البهيمية ما أكل لحم الحيوان، لكن في الحديث إطلاق البهيمة عليه. روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «بينما امرأة تمشي بفلاة من الأرض، اشتد عليها العطش، فنزلت بئراً فشربت ثم صعدت، فوجدت كلباً يأكل الثرى من العطش، فقالت: لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذي بلغ بي، ثم نزلت البئر فملأت خفها وأمسكته بفيها، ثم صعدت فسقته، فشكر الله لها ذلك، وغفر لها». قالوا: يا رسول الله أو لنا في البهائم أجر؟ قال: «نعم في كل كبد رطبة أجر»(1).

وهو نوعان: أهلي وسلوقي نسبة إلى سلوق، وهي مدينة باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية، وكلا النوعين في الطبع سواء، وفي طبعه الاحتلام، وتحيض إناثه وتحمل الأنثى ستين يوماً، ومنها ما يقل عن ذلك وتضع جراها عمياً، فلا تفتح عيونها إلا بعد اثني عشر يوماً، والذكور تهيج قبل الإناث وهي تنزو إذا كمل لها سنة، وربما تسفد قبل ذلك، وإذا سفد الكلبة كلاب مختلفة الألوان أدت إلى كل كلب شبهه. وفي الكلب من اقتفاء الأثر، وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات، والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض. ويأكل العذرة ويرجع في قيئه، وبينه وبين الضبع عداوة شديدة وذلك أنه إذا كان في مكان عال أو موضع مرتفع، ووطئت الضبع ظله في القمر رمى بنفسه عليها مخذولاً، فتأخذه فتأكله، وإذا دهن كلب بشحمها جن واختلط، وإذا حمل الإنسان لسان ضبع لم تنبح عليه الكلاب، ومن طبعه أن يحرس ربه ويحمي حرمه شاهداً وغائباً، ذاكراً وغافلاً، نائماً ويقظان، وهو أيقظ الحيوان عيناً في وقت حاجته إلى النوم، وإنما غالب نومه نهاراً عند الاستغناء عن الحراسة، وهو في نومه أسمع من فرس، وأحذر من عقعق، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها، وذلك لخفة نومه، وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة إلى دماغ الإنسان، ومن عجيب طباعه أنه يكرم الجلة من الناس وأهل الوجاهة، ولا ينبح أحداً منهم، وربما حاد عن طريقه وينبح الأسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال.

ومن طباعه البصبصة والترضي والتودد والتألف، بحيث إذا دعي بعد الضرب والطرد رجع، وإذا لاعبه ربه عضه العض الذي لا يؤلم، وأضراسه لو أنشبها في الحجر لنشبت، ويقبل التأديب والتلقين والتعليم، حتى لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له مأكول لم يلتفت إليه ما دام على تلك الحالة، فإذا أخذت المسرجة عن رأسه وثب إلى مأكوله، وتعرض له أمراض سوداوية في زمن مخصوص، ويعرض له الكلَب بفتح اللام وهو داء يشبه الجنون، وعلامة ذلك أن تحمر عيناه

(1) رواه البخاري: مساقاة ٩، مظالم ٢٣، أدب ٢٧. ومسلم: سلام ١٥٣.

وتعلوهما غشاوة، وتسترخي أذناه، ويندلع لسانه ويكثر لعابه، وسيلان أنفه، ويطأطىء رأسه وينحدب ظهره، ويتعوج صلبه إلى جانب، ولايزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشي خائفاً مغموماً كأنه سكران، ويجوع فلا يأكل، ويعطش فلا يشرب، وربما رأى الماء فيفزع منه، وربما يموت منه خوفاً، وإذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح، والكلاب تهرب منه، فإن دنا منها غفلة، بصبصت له وخضعت، وخشعت بين يديه، فإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له أمراض رديئة، منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشاً، ولايزال يستقي حتى إذا سقي الماء لم يشربه، فإذا استحكمت هذه العلة به، فقعد للبول خرج منه شيء على هيئة الكلاب الصغار.

قال صاحب الموجز في الطب: الكلب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب، ثم ذكر غالب ما تقدم، وقال غيره: الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شيء عضته إلا الإنسان، فإنه قد يعالج فيسلم. قال: وداء الكلب يعرض للحمار ويقع في الإبل أيضاً، فيقال: كلبت الإبل تكلب كلباً وأكلب القوم إذا وقع في إبلهم. ويقال: كلب الكلب واستكلب، إذا ضرى، وتعود أكل الناس انتهى.

وذكر القزويني، في عجائب المخلوقات، أن بقرية من أعمال حلب بئراً، يقال لها بئر الكلب، إذا شرب منها من عضه الكلب برىء، وهي مشهورة. قال: وقد أخبرني بعض أهل القرية، أن المكلوب إذا لم يجاوز أربعين يوماً، وشرب منها برىء أما إذا جاوز الأربعين فإنه يموت ولو شرب منها. وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين، شربوا منها فسلم اثنان، وكانا لم يبلغا الأربعين، ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين. وهذه البئر يشرب منها أهل الضيعة.

وأما السلوقي فمن طباعه أنه إذا عاين الظباء قريبة منه أو بعيدة عرف المقبل من المدبر، ومشي الذكر من مشي الأنثى، ويعرف الميت من الناس والمتماوت، حتى إن الروم لا تدفن ميتاً حتى تعرضه على الكلاب، فيظهر لهم من شمها إياه علامة تستدل بها على حياته أو موته، ويقال: إن هذا لايوجد إلا في نوع منها يقال له القلطي، وهو صغير الجرم قصير القوائم جداً، ويسمى الصيني. وإناث السلوقي أسرع تعلماً من الذكور، والفهد بالعكس كما تقدم، والسود من الكلاب أقل صبراً من غيرها.

وفي كتاب فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، لمحمد بن خلف المرزُبان[1] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه، قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً قتيلاً، فقال ﷺ: «ما شأنه»؟ قالوا: إنه وثب على غنم بني زهرة، فأخذ منها شاة، فوثب عليه كلب الماشية فقتله. فقال ﷺ: «قتل نفسه، وأضاع ديته، وعصى ربه، وخان أخاه وكان الكلب خيراً منه».

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كلب أمين خير من صاحب خؤون. قال: وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبة لهم، فخرج في بعض منتزهاته، ومعه

(١) محمد بن خلف المرزُبان بن بسام، أبو بكر المحوَّلي، مؤرخ مترجم أديب بغدادي. مات سنة ٣٠٩ هـ.

ندماؤه فتخلف منهم واحد، فدخل على زوجته، فأكلا وشربا ثم اضطجعا، فوثب الكلب عليهما فقتلهما. فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما قتيلين. فعرف الأمر فأنشأ يقول:

ومـا زال يـرعى ذمتي ويحـوطني ... ويحفظ عـرسي والخليـلُ يخـون[1]
فيـا عجباً للخـلّ يهتـكُ حـرمتي ... ويـا عجبـاً للكلبِ كيف يصـونُ

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي في بعض مصنفاته، أن رجلاً خرج في بعض أسفاره فمر على قبة مبنية أحسن بناء، بالقرب من ضيعة هناك، وعليها مكتوب: من أحب أن يعلم سبب بنائها، فليدخل القرية. فدخل القرية، وسأل أهلها عن سبب بناء القبة، فلم يجد عند أحد خبراً من ذلك، إلى أن دل على رجل قد بلغ من العمر مائتي سنة، فسأله فأخبره عن أبيه أنه حدثه أن ملكاً كان بتلك الأرض، وكان له كلب لا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا نوم ولا يقظة، وكانت له جارية خرساء مقعدة، فخرج ذات يوم إلى بعض منتزهاته وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه، وأمر طباخه أن يصنع له طعاماً من اللبن كان يهواه، وأن الطباخ صنعه وجاء به فوضعه عند الجارية والكلب وتركه مكشوفاً، وذهب فأقبلت حية عظيمة إلى الإناء، فشربت من ذلك الطعام وردته وذهبت.

ثم أقبل الملك من منتزهه، وأمر بالطعام فوضع بين يديه، فجعلت الجارية تصفق بيديها، وتشير إلى الملك أن لا يأكله فلم يعلم أحد ما تريد، فوضع الملك يده في الصفحة، وجعل الكلب يعوي ويصيح، ويجذب نفسه من السلسلة، حتى كاد أن يقتل نفسه، فتعجب الملك من ذلك وأمر بإطلاقه فأطلق فغدا إلى الملك وقد رفع يده باللقمة إلى فيه فوثب الكلب وضربه على يده فأطار اللقمة منها فغضب الملك، وأخذ خنجراً كان بجنبه، وهم أن يضرب به الكلب، فأدخل الكلب رأسه في الإناء، وولغ من ذلك الطعام، فانقلب على جنبه وقد تناثر لحمه. فعجب الملك ثم التفت إلى الجارية، فأشارت إليه بما كان من أمر الحية. ففهم الملك الأمر وأمر بإراقة الطعام، وتأديب الطباخ على كونه ترك الإناء مكشوفاً، وأمر بدفن الكلب وببناء القبة عليه، وبتلك الكتابة التي رأيتها. قال: وهي من أغرب ما يحكى.

وفي كتاب النشوان عن أبي عثمان المديني، أنه قال: كان في بغداد رجل يلعب بالكلاب، فتركه ومشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه بغير عدة فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فأدخلوه الدار ودخل الكلب معهم فقتلوا الرجل وألقوه في بئر وطموا رأس البئر، وضربوا الكلب، فأخرجوه وطردوه، فخرج يسعى إلى بيت صاحبه فعوى فلم يعبأوا به، وافتقدت أم الرجل ابنها، وعلمت أنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم وطردت الكلاب عن بابها، فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد فاجتاز يوماً بعض قتلة صاحبه بالباب، والكلب رابض، فلما رآه وثب عليه، فخمش ساقه ونهشه وتعلق به، واجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم، وارتفعت للناس ضجة عظيمة، وجاء حارس الدرب وقال: لم يتعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قصة؟

---

(١) العِرس: الزوجة.

ولعله هو الذي جرحه.

وسمعت أم القتيل الكلام فخرجت فحين رأت الكلب متعلقاً بالرجل، تأملت في الرجل، فتذكرت أنه كان أحد أعداء ابنها وممن يتطلبه، فوقع في نفسها أنه قاتل ابنها، فتعلقت به فرفعوهما إلى أمير المؤمنين الراضي بالله، فادعت عليه القتل، فأمر بحبسه بعد أن ضربه فلم يقر، فلزم الكلب باب الحبس، فلما كان بعد أيام أمر الراضي بإطلاقه، فلما خرج من باب الحبس، تعلق به الكلب كما فعل أولاً، فتعجب الناس من ذلك وجهدوا على خلاصه منه، فلم يقدروا على ذلك إلا بعد جهد جهيد، فأخبر الراضي بذلك فأمر بعض غلمانه أن يطلق الرجل، ويرسل الكلب خلفه ويتبعه فإذا دخل الرجل داره بادره، وأدخل الكلب معه فمهما رأى الكلب يعمل يعلمه بذلك، ففعل ما أمره به، فلما دخل الرجل داره بادره غلام الخليفة ودخل وأدخل الكلب معه، ففتش البيت فلم ير أثراً ولا خبراً وأقبل الكلب ينبح، ويبحث عن موضع البئر التي طرح فيها القتيل، فتعجب الغلام من ذلك، وأخبر الراضي بأمر الكلب، فأمر بنبش البئر فنبشوها، فوجدوا الرجل قتيلاً، فأخذوا صاحب الدار إلى بين يدي الراضي، فأمر بضربه فأقر على نفسه، وعلى جماعته بالقتل. فقتل وطلب الباقون فهربوا.

وفي عجائب المخلوقات، أن شخصاً قتل شخصاً بأصبهان وألقاه في بئر، وللمقتول كلب يرى ذلك، فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر، وينحي التراب عنه، ويشير إليها، وإذا رأى القاتل نبح عليه، فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر، فوجدوا القتيل بها، ثم أخذوا الرجل وقرروه فأقر فقتلوه به.

وفي الإحياء، عن بعض الصوفية، قال: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا باب الجهاد، وإذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال فقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة، رجع إلى البلد، ثم عاد ومعه نحو من عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية، ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكل إلى أن شبعت، وذلك الكلب قاعد ينظر إلى الميتة، حتى أكلت وبقيت العظام، فلما رجعت الكلاب إلى البلد، قام ذلك الكلب إلى العظام فأكل ما بقي عليها من اللحم ثم انصرف.

وفي الشعب للبيهقي وغيرها عن الفقيه منصور اليمني الشافعي الضرير، وله مصنفات في المذهب وشعر حسن أنه كان ينشد(١) لنفسه:

الكلبُ أحسنُ عشرة وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الريا سة قبل إبان الرياسه

ثم قال البيهقي: وكان الشيخ الإمام القاضي أبو الطيب الطبري يقول: «من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه». وقال شعيب بن حرب: «من رضي أن يكون ذنباً أبى الله إلا أن يجعله

---

(١) وفيات الأعيان: ٥/ ٢٩٠.

رأساً». ومن محاسن شعر الفقيه منصور اليمني المتقدم ذكره، ووفاته في سنة ست وخمسين وثلثمائة قوله[1]:

لي حيلةٌ فيمن ينم ... وليس في الكذابِ حيلهْ
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليله

ولقد أجاد علي بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الدلاء[2] في قوله:

مَن فاته العلمُ وأخطاه الغنى ... فذاك والكلبُ على حدّ سوا

وهذا البيت آخر قصيدة له في المجون، ذكر فيها من صنعة الغزل فنوناً، ولو لم يكن له سواه لكفاه، وهي طويلة طنانه عجز فحول الشعراء أن يزيدوا فيها بيتاً واحداً. وتوفي في رجب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة فجأة بشرقة لحقته عند الشريف البطحاوي.

وذكر ابن خلكان أن الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجاج الشاعر المشهور، لما حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن عند رجلي الإمام موسى بن جعفر أحد الأئمة الإثني عشر رضي الله عنهم على رأي الإمامية وأن يكتب على قبره ﴿وكلبُهم باسطٌ ذِراعَيْه بالوصِيد﴾[3]. قال: وابن الحجاج ذو خلاعة ومجون. وقيل: إنه دعي إلى دعوة وتأخر الطعام عنه فقال[4]:

يا ذاهباً في دارِهِ جائيا ... من غير معنى بل ولا فائده
قد جنّ أضيافُك من جوعِهم ... فاقرأ عَليهم سورةَ المائده

ودعوة الطعام بفتح الدال. وأما قول قطرب في مثلثته، فقلت: عندي دعوة بضم الدال فمردود عليه انتهى.

فائدة: ذكر ابن عبد البرّ في كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس، أنه قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه، وهو أحد الأئمة الإثني عشر: كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: خمسين سنة لأن النبي ﷺ رأى كأن كلباً أبقع ولغ في دمه، فأوّله بأن رجلاً يقتل الحسين ابن بنته رضي الله تعالى عنه. فكان الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين، وكان أبرص. فتأخرت الرؤيا بعده خمسين سنة، كما تقدم في باب الهمزة في الأوز.

وفي هذا الكتاب أشياء تصلح للمذاكرة، منها أن النبي ﷺ رأى في منامه أنه دخل الجنة، فرأى فيها عذقاً مدلى فأعجبه، فقال: «لمن هذا»؟ فقيل: هذا لأبي جهل. فشق عليه ﷺ ذلك. فقال: «ما لأبي جهل والجنة؟ والله لا يدخلها أبداً، فإنه لا يدخلها إلا نفس مؤمنة». فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه مسلماً، فرح به وقام إليه، وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه.

---

(١) وفيات الأعيان: ٥/٢٩٠.
(٢) صريع الدلاء: علي بن عبد الواحد ـ أبو محمد ـ أبو الحسن، شاعر بصري المنشأ، أقام ببغداد ثم بمصر ومات فيها سنة ٤١٢ هـ. والبيت مع ترجمته في وفيات الأعيان ٣/٤٨٤.
(٣) سورة الكهف: آية ١٨.
(٤) معجم الأدباء: ٣/١١١.

ومنها أن بعض الشاميين كان عاملاً لعمر رضي الله تعالى عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا، ومع كل واحد منهما فرقة من النجوم، فقال له: مع أيهما كنت؟ فقال: مع القمر. قال: مع الآية الممحوة، لا عملت لي عملاً أبداً، فعزله. وقتل ذلك الرجل مع معاوية رضي الله عنه بصفين.

ومنها أن عائشة رضي الله تعالى عنها، رأت ثلاثة أقمار سقطن في حجرها، فقال لها أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إنْ صدقت رؤياك، فإنه يدفن في بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض. فلما دفن ﷺ في بيتها قال لها أبو بكر رضي الله تعالى عنه: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها. وفيه أشياء كثيرة وكان الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، إمام عصره في الحديث والأثر وهو أحد نقلة المذاهب، وتوفي هو والإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق في سنة ثلاث وستين وأربعمائة. ومما ينشد[1] للشافعي رحمه الله تعالى:

لیتَ الكلابَ لنا كانت مجاورةً ... وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا
إن الكلابَ لتهدا في مرابِضها ... والناسُ ليس بهادٍ شرهم أبدا

وفي الميزان للذهبي، في ترجمة أحمد بن زرارة المدني بسند مظلم، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ قال: «كيف أنتم إذا كان زمن يكون الأمير فيه كالأسد، والحاكم فيه كالذئب الأمعط، والتاجر فيه كالكلب الهرار، والمؤمن بينهم كالشاة الولهاء بين الغنم ليس لها مأوى، فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلب!».

وفي أمالي أبي بكر القطيعي، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى مات. فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته، قال: «من الداعي على هذا الكلب آنفاً؟» فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. فقال: «ما قلت»؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام اكفني هذا الكب بما شئت. فقال[2] النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى» والحديث في السنن الأربعة وفي مسند الإمام أحمد وكتابي الحاكم وابن حبان بغير قصة الكلب.

وأفاد الطبراني، من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن هذه الصلاة كانت صلاة العصر يوم الجمعة، وأن الرجل المذكور الداعي على هذا الكلب سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه. فقال له النبي ﷺ: «يا سعد لقد دعوت في يوم وساعة بكلمات، لو دعوت بهن على من في السموات والأرض استجيب لك فأبشر يا سعد».

وروى الإمام أحمد في الزهد، عن جعفر بن سليمان، قال: رأيت مع مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه كلباً فقلت: ما تصنع بهذا يا أبا يحيى؟ فقال: هذا خير من جليس السوء!

(١) ديوان الشافعي: ٤٩.
(٢) رواه الترمذي: دعوات ٦٣. وابن ماجه: دعاء ٩.

وفي مناقب الإمام أحمد، أنه بلغه أن رجلاً من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية، فرحل الإمام أحمد إليه، فوجد شيخاً يطعم كلباً، فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام في نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه، فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب، التفت إلى الإمام أحمد، وقال له: كأنك وجدت في نفسك، إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟ قال: نعم. فقال الشيخ: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة». وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب، فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائي منه يوم القيامة. فقال الإمام أحمد: هذا الحديث يكفيني ثم رجع.

ويقرب من هذا ما في رسالة القشيري، في باب الجود والسخاء، أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، خرج إلى ضيعة له، فنزل على نخيل قوم، وفيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أتى الغلام بغدائه، وهي ثلاثة أقراص، فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله، ثم رمى إليه الثاني فأكله والثالث فأكله، وعبد الله بن جعفر ينظر، فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت هذا الكلب؟ فقال: إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب، وإنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت رده! فقال له عبد الله: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه: ألام على السخاء وهذا أسخى مني؟ ثم اشترى الغلام وأعتقه، واشترى الحائط وما فيه ووهب ذلك له.

وتقدم في باب الحاء المهملة، في الحمار، أن الحاكم روى عن جابر رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[1]: «إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، فإنها ترى ما لا ترون وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل، فإن الله تعالى يبث في الليل من خلقه ما شاء».

غريبة: في كتاب البشر بخير البشر، عن مالك بن نفيع أنه قال: ند بعير لي، فركبت نجيبة لي وطلبته حتى ظفرت به، فأخذته وانكفأت راجعاً إلى أهلي، فأسريت ليلتي حتى كدت أصبح، فأنخت النجيبة والبعير وعقلتهما، واضطجعت في ذرا كثيب رمل، فلما كحلني الوسن، سمعت هاتفاً يقول: يا مالك يا مالك، لو فحصت عن مبرك القعود البارك، لسرك ما هنا لك، قال: فثرت وأثرت البعير عن مبركه، وحفرت فعثرت على صنم في صورة امرأة من صفاة صفراء كالورس، مجلوّاً كالمرآة، فأخرجته ومسحته بثوبي ونصبته قائماً فما تمالكت أن خررت له ساجداً. ثم قمت فنحرت البعير له ورششته بدمه، وسميته غلاباً ثم حملته على النجيبة، وأتيت به أهلي، فحسدني عليه كثير من قومي، وسألوني نصبه لهم ليعبدوه معي، فأبيت عليهم وانفردت لعبادته، وجعلت على نفسي كل يوم عتيرة، وكانت لي ثلة من الضأن، فأتيت على آخرها، فأصبحت يوماً وليس لي ما أعتره، وكرهت الاخلال بنذري، فأتيته فشكوت إليه ذلك فإذا هاتف من جوفه يقول: يا مال يا مال، لا تأس على مال، سر إلى طوى الأرقم، فخذ الكلب الأسحم، الوالغ في

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣٠٦/٣/٣٥٥.

الدم ثم صد به تغنم. قال مالك: فخرجت من فوري إلى طوى الأرقم، فإذا كلب أسحم هائل المنظر، قد وثب على قرهب، يعني ثوراً وحشياً، فصرعه وأنا أنظر إليه، ثم بقر بطنه وجعل يلغ في دمه فتهيبته، ثم تجاسرت فتقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته، لم يلتفت إلي فشددت في عنقه حبلاً، ثم جذبته فتبعني فأتيت راحلتي فأثرتها وقدتها، إلى القرهب وأنختها فجررته وحملته عليها، ثم قدتها وسرت قاصداً إلى الحي والكلب يلوذ بي، فعنت لي ظبية فجعل الكلب يثب ويجاذبني الحبل، فترددت في إرساله ثم أرسلته، فمر كالسهم حتى اختطفها، فأتيته فجاذبته إياها، فأرسلها من يديه، فاستقر بي السرور، وأتيت إلى أهلي فعترت الظبية لغلاب، ووزعت لحم القرهب وبت بخير ليلة.

ثم باكرت به الصيد، فلم يفته حمار ولا ماطلة ثور، ولا اعتصم منه وعل، ولا أعجزه ظبي، فتضاعف سروري به، وبالغت في إكرامه وسميته سحاماً. فلبثت كذلك ما شاء الله. فإني لذات يوم أصيد به، إذ بصرت بنعامة على أدحيها، وهي قريبة مني فأرسلته عليها فأجفلت أمامه، وأتبعتها على فرس جواد، فلما كاد الكلب أن يثب عليها، انقضت عليه عقاب من الجو، فكر راجعاً نحوي، فصحت به فما كذب، وأمسكت الفرس فجاء سحام حتى دخل بين قوائمها، ونزلت العقاب أمامي على شجرة، وقالت: سحام! قال الكلب: لبيك. قالت: هلكت الأصنام، وظهر الإسلام، فأسلم تنج بسلام، وإلا فليست بدار مقام. ثم طارت العقاب وتبصرت سحاماً فلم أره وكان آخر عهدي به.

قوله طوى أرقم، الطوى بئر مطوية بالحجارة، والأسحم الأسود وبه سمي الكلب سحاماً، فهو فعال من ذلك. وقوله: بنعامة على أدحيها، أي الموضع الذي فيه بيضها وقوله ما كذب أي ما توقف ولا انثنى.

فائدة: روى الحاكم في المستدرك، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، قالت: قدمت امرأة من أهل دومة الجندل علي تبتغي رسول الله ﷺ، بعد موته بيسير، تسأله عن شيء دخلت فيه، من أمر السحر لم تعلم به، قالت: فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ، حتى إني لأرحمها من كثرة بكائها، وهي تقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت، فسألتها عن قصتها، فقالت: كان لي زوج قد غاب عني، فدخلت علي عجوز فشكوت لها حالي، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فإنه يأتيك بعلك! فقلت: إني أفعل. فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما، وتركت الآخر، فلم يكن بأسرع حتى وقفنا ببابل، فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا: ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السحر؟ فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري! وارجعي. فأبيت وقلت: لا أرجع. قالا: فاذهبي إلى التنور فبولي فيه، فذهبت إليه فاقشعر جلدي ففزعت منه، ولم أفعل فرجعت إليهما، فقالا لي: فعلت؟ قلت: نعم. قالا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعلي. ارجعي إلى بلادك لا تكفري، فأبيت فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت إليه فاقعشر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقالا لي: ما رأيت؟ إلى أن قالت: فذهبت في الثالثة فبلت فيه فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد، خرج مني حتى ذهب في السماء، فأتيتهما فأخبرتهما فقالا: صدقت، ذاك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما علمت شيئاً، ولا قالا لي شيئاً! فقالت لي: بلى لن تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فابذريه، فأخذته فبذرته. وقلت له: اطلع فطلع ثم قلت استحصد فاستحصد، ثم قلت: انطحن فانطحن، ثم قلت: انخبز فانخبز. فلما رأيت أني لا أقول شيئاً إلا كان سقط في يدي فندمت، والله يا أم المؤمنين ما فعلت قط ولا أفعله أبداً. فسألت أصحاب رسول الله ﷺ فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا لها: لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك. ثم قال الحاكم: صحيح انتهى.

قال هشام بن عروة، وهو راوي الحديث، عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنهم كانوا أي الصحابة رضي الله عنهم أهل ورع وخشية لله، وبعد من التكلف والجراءة على الله، فلذلك أمسكوا عن الفتيا لها ولو جاءتنا اليوم لوجدت الأمر بخلاف ذلك. قال بعض الحنابلة: قلت: فقد بان بهذا أن السحر والإيمان لا يجتمعان في قلب، ولا يصير ساحراً وفي قلبه إيمان، فاعتبر بحال هذه المرأة المسكينة كيف ألقاها الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء، في ورطة هلكة لا تجبر مصيبتها، وهذا دأب المعاصي تنكس الرؤوس وتوجب الحبوس، وتضاعف البؤس، ولقد أحسن القائل حيث قال:

إذا ما دعتك النفس يوماً لحاجة ... وكان عليها للخلاف طريقُ
فخالفْ هواها ما استطعت فإنما ... هواها عدو والخلافُ صديقُ

تذنيب: للسحر حقيقة وتأثير وقيل لا، والصحيح أن الصواب الأول، دل عليه ظاهر القرآن والسنة. قال المازري: اختلف العلماء في القدر الذي يقع به السحر، ولهم فيه اضطراب، فقال بعضهم: لا يزيد تأثيره على قدر التفريق بين المرء وزوجه، لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيماً لما يكون عنده، وتهويلاً له في حقنا فلو وقع به أعظم منه لذكره، لأن المثل لا يضرب عند المبالغة، إلا بأعلى أحوال المذكور. ومذهب الأشعريين أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال: وهذا هو الأصح، لأنه لا فاعل إلا الله تعالى، وما وقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى، ولا تفترق الأفعال في ذلك وليس بعضها أولى من بعض، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة، لوجب المصير إليه.

ولكن لا يوجد شرع قاطع بوجوب الاقتصار على ما قال القائل الأول، وذكر التفرقة بين الزوجين في الآية ليس بنص في منع الزيادة وإنما النظر في أنه ظاهر أم لا. فإن قيل: إذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر، فبماذا يتميز عن النبي؟ فالجواب أن العادة تنخرق على يد النبي والولي والساحر، لكن النبي يتحدى الخلق بها، ويستعجزهم عن الاتيان بمثلها، ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه، فلو كان كاذباً لم تنخرق على يديه، ولو خرقها الله على يد كاذب لخرقها على يد المعارضين للأنبياء، وأما الولي والساحر فلا يتحديان الخلق، ولا يستدلان على نبوة، ولو ادعيا شيئاً من ذلك، لم تنخرق العادة لهما.

وأما الفرق بين الولي والساحر، فمن وجهين أحدهما، وهو المشهور، اجماع المسلمين على أن

السحر لا يظهر إلا على يد فاسق، والكرامة لا تظهر إلا على يد ولي، ولا تظهر على يد فاسق، وبهذا جزم إمام الحرمين، وأبو سعيد المتولي وغيرهما. والثاني أن السحر يكون ناشئاً بفعل ومزج ومعاناة وعلاج، والكرامة لا تفتقر إلى ذلك وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقاً، من غير أن يستدعيه أو يشعر به والله تعالى أعلم.

وأما ما يتعلق بالمسألة من فروع الفقه، فتعلم السحر وتعليمه حرام على الصحيح. والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلمه، وقال القاضي حسين وإبراهيم المروزي: إن كان في تعليمه ترك طاعة لله عز وجل لا يجوز، وإن لم يكن فإن قصد بتعلمه دفع ضرر سحر الناس عن نفسه جاز، وإن قصد تعلمه ليسحر الناس لم يجز انتهى. والخلاف فيما إذا كان لا يتوقف على اعتقاد كفر أو مباشرة محظور كترك صلاة وغيرها، أما إذا توقف على ذلك فتعلمه حرام بالإجماع، والسحر من الكبائر.

ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد أن الساحر يكفر لقوله[1] تعالى: ﴿وما كفرَ سليمان﴾ لأنهم إنما نسبوا سليمان عليه السلام إلى السحر لا إلى الكفر. ولقوله تعالى حكاية عن الملكين ﴿إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر﴾[1] ومذهب الشافعي أنه لا يكفر إلا أن يكون فيه قول أو فعل يقتضي الكفر. قال الرافعي: من اعتقد إباحته فهو كافر. وقال ابن الصباغ: إن اعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة وإنها تجيب إلى ما يقترح منها، فهو كافر. وعن القفال أنه لو قال: أنا أفعل السحر بقدرتي دون قدرة الله تعالى فهو كافر. فلو تاب الساحر قبلت توبته عند الشافعي رحمه الله. وقال مالك رحمه الله: السحر زندقة، فإن قال: أنا أحسن السحر قتل، ولا تقبل توبته كما لا تقبل توبة الزنديق. وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله. وعن الإمام أحمد رحمه الله روايتان كالمذهبين. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: إن المرأة الساحرة تحبس ولا تقتل، وأما الساحر الذمي فلا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل لنقضه العهد. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يقتل مطلقاً، ويقال للرجل المسحور مطبوب. يقال طب الرجل إذا سحر، فكنوا بالطب عن السحر، كما كنوا بالسليم عن اللديغ. قال ابن الأنباري: الطب من الأضداد، يقال لعلاج الداء طب وللسحر طب، وهو من أعظم الأدواء، ورجل طبيب أي حاذق سمي طبيباً لحذقه وفطنته والله تعالى أعلم.

فائدة أدبية: دخل أبو العلاء المعري يوماً على الشريف المرتضى فعثر برجل، فقال له الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. فقربه المرتضى واختبره فوجده علامة. ثم جرى ذكر المتنبي يوماً فتنقصه الشريف المرتضى وذكر معايبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله[2]:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً وشرفاً، فغضب الشريف المرتضى وأمر بسحبه برجله وإخراجه من المسجد، ثم

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠٢.

(٢) ديوان المتنبي: ٣/٢٤٩.

قال لمن يحضر مجلسه: تدرون أي شيء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة وللمتنبي أجود منها ولم يذكره؟ قالوا: لا. قال: إنما أراد أن يذمني بقوله[1] فيها:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كاملُ

وسئل شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد[2] عن أبي العلاء المعري، فقال: هو في حيرة. وهذا أحسن ما قيل فيه.

فائدة أخرى: قال[3] أبو نواس محمد بن هانىء في طريدته:

أتعبَ كلباً أهلُه في كده ... قد سعدتْ جدودُهم بجدهْ
فكلُّ خير عندَهم من عنده ... وكلّ رفد نالَهم من رفدهْ
يظلُّ مولاه له كعبدِه ... يبيتُ أدنى صاحبٍ من فهده
إذا عرى جلله ببرده ... ذا غرة محجلًا بزنده
يلذُّ منه العينُ حسن قده ... يا حسنَ شِدقيه وطول خده

قيل: دخل أبو بكر الخالدي على الخليفة، فأنشده قصيدة امتدحه بها فأجازه، وكان بين يديه صحن يشم أزرق، فلمحه أبو بكر فأعطاه الخليفة إياه فخرج من عنده وهو مسرور، فمر على أبي الفتح بن خالويه فهناه أبو الفتح بذلك، فلما أصبح جاء إلى الخدمة، فقال له الخليفة: كيف حالك وكيف كان مبيتك؟ قال: بخير ودعا له، وقال: بتنا ندعوا لمولانا أمير المؤمنين، وبت أتفنن في الصحن وأتملى بحسنه، فأضفته إلى صدقات مولانا ورفده، وكلٍ خير عندنا من عنده، فتنمر أمير المؤمنين، واستشاط غضباً وزجره، فخرج من عنده حزيناً كئيباً، فمر على ابن خالويه فسأله عن السبب وما الخبر فأخبره بما قال، فقال له أبو الفتح: أو قلتها؟ فقال: نعم. فقال: أين أنت؟ أتجعل أمير المؤمنين كلباً أين ذهب عقلك؟ أو ما سمعت قول أبي نواس في طريدته:

فكلُّ خيرٍ عندَهم من عنده ... وكلّ رفدٍ نالهم من رفده

فكاد الخالدي أن يموت فزعاً ثم قال له: عرفني كيف المخلص؟ قال: تمارض مدة ثم أظهر أنك شفيت ثم تأتي أمير المؤمنين، فإذا سألك عن سبب مرضك، فقل له: طالعت طريدة أبي نواس، فلما فعل ذلك رضي عنه أمير المؤمنين.

فائدة أخرى: اختلفوا في قوله[4] تعالى: ﴿وكلبُهم باسطٌ ذراعيه بالوصيدِ لو اطلعتَ عليهم لولّيت منهم فِراراً ولمُلئتَ منهم رُعباً﴾ أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب. وروى عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي ﷺ دعا

---

(1) ديوان المتنبي: ٣/٢٦٠.
(2) محمد بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقي الدين، قاض، عالم بالأصول تولى القضاء بالقاهرة ومات فيها سنة ٧٠٢ هـ.
(3) ديوان أبي نواس: ٢٣٣.
(4) سورة الكهف: آية ١٨.

على عتبة بن أبي لهب «أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه» فأكله الأسد. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان كلباً أغبر.

وفي رواية عنه أحمر، واسمه قطمير. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: صفرته تضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: كان خلنجي اللون. وقيل: كان لونه لون السماء. وقيل: كان أبلق أبيض وأسود وأحمر. وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: اسمه ريان. وقال الأوزاعي: مشير.

وقال سعيد الحمال: حران. وقال عبد الله بن سلام: بسيط. وقال كعب الأحبار: صيهاً، وقال وهب: نقياً. وقصة الإمام مالك في ذلك مشهورة معروفة. وقال فرقة: كان رجلاً طباخاً لهم، حكاه الطبري. وقال فرقة: كان أحدهم. وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس، كما سمي النجم التابع للجوزاء كلباً، لأنه منها كالكلب من الإنسان. وهذا القول يضعفه بسط الذراعين، فإنه في العرف من صفة الكلب. وحكى أبو عمرو المطرزي في كتاب اليواقيت وغيره، أن جعفر بن محمد الصادق قرأ: (وكالبهم) فيحتمل أنه يريد هذا الرجل.

وقال خالد بن معدان: ليس في الجنة من الدواب سوى كلب أهل الكهف، وحمار العزيز، وناقة صالح وقد تقدم في أوائل باب السين المهملة في السبع الكلام على قوله[1] تعالى: ﴿سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم﴾ ونزيد هنا أن قوله[1] تعالى: ﴿قُل ربِّي أعلمُ بِعُدتِهم ما يعلمُهم إلاّ قليل﴾ أن المثبت في حق الله تعالى الأعلمية، وفي حق القليل العالمية، فلا تعارض بينهما. قال ابن عطية المفسر: حدثني أبي أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري، في سنة تسع وستين وأربعمائة، يقول: إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم. كلب أحب أهلَ فضلٍ وصحبهم، فذكره الله في القرآن معهم.

وأما الوصيد، فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الوصيد فناء الكهف، وهو قول مجاهد رضي الله تعالى عنه، وقال سعيد بن جبير: الوصيد التراب. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضاً. وقال السدي: الباب. وهو رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأنشد في ذلك:

بأرض فضاء لا يُسد وصيدُها ... علي ومعروفي بها غيرُ منكرِ

أي بابها وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: هو البناء الذي من فوقه ومن تحته، مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وآصدته. أي أغلقته وأطبقته ﴿لو اطلعت عليهم﴾[2] يا محمد ﴿لوليت منهم فراراً﴾[2]، أي هرباً ﴿ولملئت منهم رعباً﴾[2]، لما ألبسهم الله ومن الهيبة، حتى لا يصل إليهم واصل منعهم بالرعب، لئلا يراهم أحد. وقيل: إنما ذلك من وحشة المكان الذي هم فيه.

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٢.

(٢) سورة الكهف: آية ١٨.

الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقلت له: ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك، فقال[1] تعالى: ﴿لو اطّلعتَ عليهم لولّيتَ منهم فراراً ولمُلئتَ منهم رُعباً﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم. ثم بعث ناساً لينظروا، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فذهبوا فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

وذكر الثعلبي وغيره أن النبي ﷺ سأل الله أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم ولكن ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال النبي ﷺ لجبريل: «كيف أبعث إليهم»؟ فقال له جبريل عليه السلام: أبسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الطرف الثاني عمر، وعلى الطرف الثالث عثمان، وعلى الطرف الرابع علياً، ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان، فإن الله يأمرها أن تطيعك. ففعل ذلك ﷺ، فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجراً، فحمل عليهم الكلب، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص إليهم وأومأ إليهم برأسه، أن ادخلوا فدخلوا الكهف. فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله إلى الفتية أرواحهم، فقاموا بأجمعهم فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فقالوا: معشر الفتية، إن النبي محمد بن عبد الله ﷺ يقرأ عليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد السلام مادامت السموات والأرض، وعليكم بما أبلغتم،وقبلوا دينه، ثم قالوا: اقرؤوا على محمد ﷺ منا السلام، وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي، فيقال: إن المهدي يسلم عليهم، فيحييهم الله ويردون عليه السلام، ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة.

ثم ردتهم الريح فقال لهم النبي ﷺ: «كيف وجدتموهم»؟ فأخبروه الخبر فقال النبي ﷺ: «اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأنصاري، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وخاصتي».

واختلف في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن اسحاق: مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا، وأطغتهم الجن حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وكانت فيهم بقايا على دين المسيح، يعبدون الله، وكان ملكهم اسمه دقيانوس، وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي أفسوس، فهرب منه أهل الإيمان، وكان حين قدمها، أمر أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وعبادة الأصنام، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى فيقتل.

ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب، فحزن هؤلاء الفتية، وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء، وكانوا ثمانية من أشراف القوم، فعثر عليهم الملك فقال لهم: اختاروا: إما أن تعبدوا آلهتنا، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلمينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً هو ملك السموات والأرض، وهو أعظم وأجل من كل شيء، وهو المعبود، فلن ندعو من دونه إلهاً. فقال الملك: ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، وأحب أن أجعل لكم أجلاً

---

(1) سورة الكهف: آية ١٨.

لعلكم تتذكرون فيه، وتراجعون عقولكم.

فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله، فأتبعهم كلب كان لهم، وقال كعب: بل مروا بكلب، فنبح بهم فطردوه، فعاد فطردوه مراراً، وهو يعود فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء، كهيئة الداعي ونطق فقال: لا تخافوا مني فإني أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هربوا ليلاً، وكانوا سبعة، فمروا براع معه كلب فأتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله في الكهف، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تمليخا، فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة، وكان من أجملهم وأجلدهم، وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين، واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار، فلبثوا كذلك زماناً، ثم أخبرهم تمليخا أن الملك يتطلبهم، ففزعوا لذلك وحزنوا، فبينما هم كذلك عند غروب الشمس، يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم في جبل فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم، حتى يموتوا جوعاً وعطشاً وهو يظنهم أيقاظاً، أراد الله بذلك أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية لخلقه.

وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك، فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم، في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس، وجعلاه في البنيان.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مصورين ذوي ذوائب، وكان معهم كلب صيد فخرجوا في عيد لهم وأخرجوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها فقذف الله في قلوبهم الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره، وجاء من غير أن يظهر له ذلك، ثم خرج الآخرون واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة. فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم ههنا؟ ثم قالوا: ليخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفش كل واحد منهما أمره إلى صاحبه، فخرج فتيان فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره، فأقبلا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد، ثم فعلوا جميعاً كذلك فإذا هم جميعاً على الإيمان. فقال بعضهم لبعض: ائووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلبهم، فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً، فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم، في شهر كذا في سنة كذا، في مملكة فلان بن فلان. ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأن.

وقال السدي: لما خرجوا، مروا براع معه كلب، فقال الراعي: إني أتبعكم على أن أعبد الله معكم، قالوا: سر فسار معهم، وتبعهم الكلب فقالوا: يا راعي هذا الكلب ينبح علينا، وينبه بنا فما لنا به من حاجة. فطردوه فأبى إلا أن يلحق بهم، فرجموه فرفع يديه كالداعي، وأنطقه الله تعالى فقال: يا قوم لم تطردونني لم تضربونني لم ترجمونني؟ فوالله لقد عرفت الله قبل أن

تعرفوه بأربعين سنة فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى.

وقال محمد الباقر: كان أصحاب الكهف صياقلة، واسم الكهف حيوم، والقصة طويلة مشهورة في كتاب التفاسير والقصص مطولاً ومختصراً، وقد وقفت على جمل من ذلك. فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو اسحاق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، في كتابه الكشف والبيان في تفسير القرآن، وربما يتكرر شيء مما تقدم، فيما آتي به. قال: قوله[1] تعالى: ﴿أَمْ حسبتَ أنّ أصحابَ الكهفِ والرقيمِ كانوا من آياتِنا عَجَبا﴾ يعني ليسوا من أعجب آياتنا، فإن فيم خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم. والكهف هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، فقال وهب: حدثني[2] النعمان بن بشير الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يذكر الرقيم، قال: إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهليهم، فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف، فانحطت صخرة من الجبل، فانطبقت على باب الكهف، فأوصد عليهم، فقال قائل منهم: اذكروا أيكم عمل عملاً حسناً، لعل الله برحمته أن يرحمنا، فقال رجل منهم: إني قد عملت حسنة مرة، كان لي أجراء يعملون عملاً لي، استأجرت كل رجل منهم في نهاره بأجرة معلومة، فجاءني رجل منهم ذات يوم وسط النهار، فاستأجرته بشطر أجرة أصحابه، فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله، فرأيت علي من الذمام، أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه، لما رأيت من جهده في عمله.

فقال رجل منهم: أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا وسط النهار؟ فقلت: يا عبد الله لم أبخسك شيئاً من شرطك، وإنما هو مالي أحكم فيه بما شئت. فغضب وترك أجره فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله، ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر، فبلغت ما شاء الله، فمر بي بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه، فقال لي: إن لي عندك حقاً فذكرنيه حتى عرفته، قلت له: إياك أبغي، وهذا حقك وعرضتها عليه جميعاً، فقال: يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تصدق علي فأعطني حقي! قلت: والله ما أسخر بك إنها لحقك، مالي فيها شيء فدفعتها إليه جميعاً. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر، فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي فضل، وأصابت الناس شدة، فجاءتني امرأة تطلب مني معروفاً، فقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت علي وذهبت، ثم رجعت فذكرتني بالله عز وجل، والله مطلع عليها فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت علي وذهبت، وذكرت لزوجها فقال لها: أعطيه نفسك وأغيثي عيالك! فرجعت إلي ونشدتني بالله، فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك! فلما رأت ذلك، أسلمت إلي نفسها، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي، فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: إني أخاف الله رب العالمين! فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء! وتركتها وأعطيتها ما يحق علي بما كشفتها. اللهم إن كنت

---

(١) سورة الكهف: آية ٩.

(٢) رواه ابن حنبل: ٤ ـ ٢٧٤.

فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع حتى عرفوا وتبين لهم.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي أبوان شيخان كبيران، وكان لي غنم فكنت أطعم والدي وأسقيهما، ثم أرجع إلى غنمي، فأصابني يوماً غيث، فحبسني حتى أمسيت، فأتيت أهلي وأخذت محلبي، فحلبت غنمي وتركتها قائمة، ومضيت إلى أبوي، فوجدتهما قد ناما، فشق علي أن أوقظهما، وشق علي أن أترك غنمي، فما برحت جالساً ومحلبي على يدي، حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا. قال النعمان بن بشير: لكأني أسمع من رسول الله ﷺ يقول: «قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا».

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الرقيم واد بين عمان وأيلة دون فلسطين، وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف.

وقال كعب: هي قريتهم وهو على هذا التأويل من رقمة الوادي، وهو موضع الماء منه، تقول العرب: عليك بالرقمة ودع الضفة. والضفتان جانبا الوادي.

وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة. وقيل: من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف، وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أي الكتاب المرقوم. والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة. ثم ذكر صفتهم فقال[1] تعالى: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي رجعوا وصاروا إليه.

واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن اسحاق: مرج أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم، وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، متمسكين بعبادة الله وتوحيده.

فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم، يقال له دقيانوس، كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح، وكان ينزل قرى الروم فكان لا يترك فيها أحداً مؤمناً إلا فتنه، حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وهي أفسوس، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه، وهربوا في كل وجه.

وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتتبع أهل الإيمان في أماكنهم، فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار، من أهلها فجعلوا يتتبعون أهل الإيمان، في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس، فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت، فيخيرهم بين القتل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى فيقتل.

فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقطعون ويعلق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها، وعلى كل باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان منهم، من أقر فترك، ومنهم من صلب على دينه فقتل.

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠.

فلما رأى ذلك الفتية، حزنوا حزناً شديداً فصلوا وصاموا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى، وكانوا من أشراف الروم، وكانوا ثمانية فتفرقوا، وتضرعوا، وجعلوا يقولون[1]: ﴿ربُّنا ربُّ السمواتِ والأرضِ، لن ندعوَ مِنْ دونه إلهاً، لقد قُلنا إذاً شَطَطاً﴾، اللهم اكشف عن عبادك المؤمنين، هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك، الذين آمنوا بك، حتى يعلنوا عبادتهم إياك، فبينما هم على ذلك إذا أدركهم الشرطة، وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم، فوجدوهم سجداً على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى، ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته.

فلما رآهم أولئك الكفرة، قالوا لهم: ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه. ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس، فقالوا: نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون بك ويعصون أمرك! فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع، معفرة وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم؟ فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس، وإما أن أقتلكم؟ فقال مكسلمينا، وكان أكبرهم: إن لنا إلهاً ملأت السموات والأرض عظمته ﴿لن ندعوَ منْ دونهِ إلهاً، لقد قُلنا إذاً شَطَطاً﴾[1] ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً، ولكنا نعبد الله ربنا، له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصاً أبداً، إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبداً، اصنع ما بدا لك.

ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له، فلما قالوا ذلك أمر فنزع منهم الملبوس الذي كان عليهم من لبوس عظمائهم، وقال: إن فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم وأفرغ لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شباباً حديثة أسنانكم، فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلاً، تتذاكرون فيه وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم، لبعض أموره فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم، بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا بينهم، أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها، ثم يتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة، في جبل يقال له منحلوس، فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى، حتى إذا جاء دقيانوس، أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه، فأخذ نفقة فتصدقوا منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب كان لهم. حتى أتوا ذلك الكهف في الجبل فلبثوا فيه.

وقال كعب الأحبار: مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي فأنا أحب أحباب الله. فناموا حتى أحرسكم.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هربوا ليلاً من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم

---

(١) سورة الكهف: آية ١٤.

إلى عبادة الأصنام، وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب، فتبعهم على دينهم، فخرجوا من البلد فآووا إلى الكهف وهو قريب من البلدة، فلبثوا فيه، ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، يقال له تمليخا، فكان على طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان تمليخا يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثياباً كانت عليه حساناً، ويلبس كثياب المساكين، الذين يطعمون فيها، ثم يأخذ ورقة ثم ينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاماً وشراباً، ويسمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكر أصحابه بشيء أم لا ثم يرجع إلى أصحابه.

فلبثوا كذلك ما لبثوا، ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء، فذبحوا للطواغيت، ففزع لذلك أهل الإيمان، وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه الطعام والشراب، فرجع لأصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة، ليذبحوا الطواغيت، فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة، ثم إن تمليخا قال لهم: يا اخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا من رزق الله، وتوكلوا عليه، فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع، حزناً وخوفاً على أنفسهم، فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضاً، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم.

فلما كان الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم، فقال لبعض أصحابه: قد ساءني هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا ظنوا بي غضباً عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري، وما كنت لأجهل عليهم، ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهي.

فقال له عظماء المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، قد كنت أجلتهم أجلاً، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا. فلما قالوا له ذلك: غضب غضباً شديداً، ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم؛ ثم قال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني؟ فقالوا له: أما نحن فلن نعصيك، فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة، ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس، فلما قالوا له ذلك، خلى سبيلهم، وجعل ما يدري ما يفعل بالفتية، فألقى الله في نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم.

وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية، ويستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتون عطشاً وجوعاً، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبراً لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم. وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشيه ما غشيهم ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس، يكتمان إيمانهما، كان اسم أحدهما مندروس، والآخر دوماس، ائتمرا أن يكتبا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم، في لوح رصاص يجعلاه في تابوت من نحاس، ثم يجعلا التابوت في البنيان، وقالا: لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين، قبل يوم القيامة، فيعلم من فتح عليهم خبرهم، حين يقرأ هذا الكتاب. ففعلا ثم بنيا عليهم فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة، وخلفاء الملوك بعد الملوك.

وقال عبيد بن عمير: كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب[1]، وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم، في زي وموكب، وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وقد قذف الله في قلوب الفتية الإيمان، وكان أحدهم وزير الملك، فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن أخيه، فقالوا في أنفسهم، من غير أن يظهر بعضهم على بعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم، لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة، فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالساً وحده، فرجا أن يكون على مثل أمره، من غير أن يظهر له ذلك، فجلس إليه ثم خرج الآخرون فجاؤوا وجلسوا إليهما. واجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: ما جمعكم؟ وقال آخر: ما حملكم؟ وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه، مخافة على نفسه، ثم قالوا: ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منهما لصاحبه أمره، فخرج فتيان منهم، فتوافقا. ثم تكلما، فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما، فقالا: قد اتفقنا على أمر واحد، فإذا هم جميعاً على أمر واحد، وهو الإيمان، وإذا كهف في الجبل قريب منهم، فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف، ينشر لكم ربكم من رحمته، ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً، فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم، فناموا ثلثمائة سنة وازدادوا تسعاً.

وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم، فلما لم يقدروا عليهم، كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص: فلان وفلان أبناء ملوكنا، فقدناهم في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا: ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن.

وقال وهب بن منبه: جاء حواري عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها إلا سجد له، فكره أن يدخلها وأتى حماماً قريباً من تلك المدينة، فكان فيه وكان يؤاجر نفسه من الحمامي في حمامه، ويعمل فيه ورأى الحمامي في حمامه البركة، ودر عليه الرزق، فجعل يقوم عليه وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، حتى آمنوا بالله وصدقوه. وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة، وكان شرط على صاحب الحمام، أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد، ولا بين الصلاة، وكان على ذلك، حتى أتى ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فعيره الحمامي، وقال له: أنت ابن الملك

---

(١) الذوائب: خصلات من الشعر.

وتدخل مع هذه! فاستحيا وذهب، ثم رجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره، ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعاً فماتا معاً في الحمام.

فأتى الملك، فقيل له: صاحب الحمام قتل ابنك، فالتمس فلم يقدر عليه وهرب. فقال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل إيمانهم، فذكروا له أنهم التمسوا، فانطلق معهم، وكان معه كلب، حتى آواهم الليل إلى كهف، فقالوا: نبيت ههنا الليلة ثم نصبح، فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يطلبهم، فتبعوهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد الرجل منهم دخوله، أرعب فلم يطق أحد منهم أن يدخله، فقال قائل من أصحاب الملك: أليس لو كنت تقدر عليهم قتلتهم؟ قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف، واتركهم فيه يموتون جوعاً وعطشاً، ففعل ذلك.

قال وهب: فمكثوا بعد ما سد عليهم باب هذا الكهف، زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند باب الكهف، فقال في نفسه: لو فتحت باب هذا الكهف، وأدخلت فيه غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله عليهم أرواحهم من الغد، حين أصبحوا.

قال محمد بن اسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح، يقال له تاودوسيوس، فلما ملك بقي في ملكه ثمانياً وثمانين سنة، فتحزب الناس في ملكه، وكانوا أحزاباً، فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح، وشكا إلى الله وتضرع إليه، وحزن حزناً شديداً، لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فأما الجسد فتأكله الأرض، ونسوا ما في الكتاب.

فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيراً وأنه معه على الحق، فجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس، دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحاً، وجعل تحته رماداً ثم جلس عليه، فدأب ليلاً ونهاراً يتضرع إلى الله ويبكي مما يرى فيه الناس، ويقول: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث إليهم من يبين لهم.

ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يستجيب لعبده الصالح تاودوسيوس، وأن يتم نعمته عليه، وأن لا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين، فألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل ذلك الجبل، الذي به أهل الكهف أن يبني فيه حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلا ينزعان تلك الأحجار، ويبنيان بها تلك الحظيرة، حتى فرغ ما على فم الكهف، وفتح عليهم باب الكهف، وحجبهم الله عن الناس بالرعب، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم، من يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم،

إلى باب الكهف قائماً، فلما نزعت الحجارة، وفتح عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان، محيي الموتى، أن يجلسوا بين ظهراني الكهف، فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم، طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها، إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرى في وجوههم، ولا في أبشارهم، ولا في ألوانهم شيء يكرهونه، إنما هم كهيئتهم حين رقدوا، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم.

فلما قضوا صلاتهم، قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم: ائتنا يا أخي بالذي قال الناس في شأننا، عشية أمس عند الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس، وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض ﴿كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾(١) وكل ذلك في أنفسهم يسير، فقال لهم تمليخا: افتقدتم والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يأتي بكم اليوم، فتذبحون للطواغيت، أو يقتلكم، فما شاء الله بعد ذلك فعل. فقال لهم مكسلمينا: يا اخوتاه، اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً. ثم قال لتمليخا: انطلق إلى المدينة، فتسمع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي نذكر به عند دقيانوس، وتلطف ولا تشعرن بنا أحداً، وابتغ لنا طعاماً وائتنا به، فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذي تجيئنا به العادة، فإنه كان قليلاً وقد أصبحنا جياعاً.

ففعل تمليخا كما كان يفعل، وخرج ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ ورقاً من نفقتهم، التي كانت معهم، التي ضربت بطابع دقيانوس، وكانت كخفاف الربع، فانطلق تمليخا خارجاً، فلما مر بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف، فعجب منها، ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفياً، يصد عن الطريق تخوفاً من أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار، ولم يشعر بالعبد الصالح، وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة.

فلما رأى تمليخا باب المدينة، رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ممن يعرفه. ثم ترك ذلك الباب، وتحول إلى باب آخر من أبوابها، فرأى مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها، ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه، ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يتعجب منهم ومن نفسه، ويقول: يا ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة، ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة، لعلي حالم! ثم يرى أنه ليس بنائم.

فأخذ كساءه وجعله على رأسه، ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناساً كثيرين يحلفون بالله، ثم بعيسى ابن مريم فزاده عجباً! ورأى كأنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدران المدينة، ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا؟ أما عشية أمس فليس على

(١) سورة الكهف: آية ١٩.

وجه الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأما الغداة فأسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى ابن مريم ولا يخاف. ثم قال في نفسه: لعل هذه المدينة ليست التي أعرفها، أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم. والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا، ثم قام كالحيران لا يتوجه وجهاً، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال: يا فتى ما اسم هذه المدينة؟ فقال: افسوس. فقال في نفسه: لعل بي مساً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع إلى الخروج منها، قبل أن أخرج منها ويصيبني سوء فاهلك.

هذا الذي حدث به تمليخا أصحابه حين تبين له حالهم. ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة، قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطاها رجلاً منهم فقال: يا عبد الله بعني بهذه الورق طعاماً، فأخذها الرجل، ونظر إلى ضرب الورق ونقشها، وعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم، من رجل إلى رجل، وهم يعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون من أجله، ويقول بعضهم: إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً، وحزن حزناً عظيماً، وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه، وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه، فقال لهم، وهو شديد الفرق: اقضوني حاجتي، فقد أخذتم ورقي، وإلا فامسكوا طعامك فلا حاجة لي فيه.

فقالوا له: من أنت يا فتى وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا وشاركنا فيه، يخف عليك ما وجدت، فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى والله أنك لا تستطيع أن تكتم شيئاً وجدته، ولا تظن في نفسك أن ستخفى عليك. فجعل تمليخا لا يدري ما يقول، وما يرجع إليهم وفرق حتى ما يحير إليهم جواباً.

فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلاً، حتى سمع به كل من فيها. فقيل: أخذ رجل عنده كنز، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط وما نعرفه، فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم، مع ما سمع منهم. فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق وسكت ولم يتكلم، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق. وكان مستيقناً أن أباه وأخوته بالمدينة، وأن حسبه في أهل المدينة، من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه عشية أمس، كان يعرف كثيراً من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحد.

فبينما هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه من أهله إما أبوه أو بعض إخوته، فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، اسم أحدهما أرموس والآخر اصطفوس، فلما انطلق به إليهما، ظن تمليخا إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه. فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون

به، كما يسخرون من المجنون والحيران، وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إله السماء وإله الأرض، أفرغ علي اليوم صبراً، وأولج معي روحاً منك، تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل تمليخا يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأين يذهب به فلو أنهم يعلمون فيأتوني، فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإنا كنا توافقنا لنكونن معاً لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل، فرق بيني وبينهم فلم أرهم ولم يروني، وقد كنا توافقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبداً، يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا؟

هذا ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع إليهم، ثم انتهي به إلى الرجلين الصالحين أرموس واصطفوس، فلما رأى تمليخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أرموس واصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال له أحدهما: أين الكنز الذي وجدته يا فتى؟ فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً! فقال له تمليخا: ما وجدت كنزاً، ولكن هذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها. ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم! فقال أحدهما: من أنت؟ فقال له تمليخا: أما ما أرى، فإني كنت أرى أني من أهل هذه المدينة. فقالوا له: من أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه. فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق، فلم يدر تمليخا ما يقول لهم، غير أنه نكس رأسه إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا الرجل مجنون، وقال بعضهم: ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمداً، لكي يفلت منكم. فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك هذا مال أبيك، ونقش هذا الورق وضربها، أكثر من ثلثمائة سنة؟ وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا، ونحن شمط كما ترى، وحولك سراة[1] أهل المدينة، وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار. وإني لأظنني سآمر بك فتضرب وتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تقر بهذا الكنز الذي وجدت.

فلما قال له ذلك، قال له تمليخا: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم ما عندي؟ قالوا: سل لا نكتمك شيئاً. قال: فما فعل الملك دقيانوس؟ فقالوا له: ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، ولم يكن إلا ملكاً قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وقد هلكت بعده قرون كثيرة.

فقال لهم تمليخا: فوالله ما يصدقني أحد من الناس بما أقول: لقد كنا فتية الملك، وأنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهربنا منه عشية أمس، فنمنا، فلما انتبهنا خرجت لأشتري لأصحابي طعاماً وأتجسس لهم الأخبار، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل منحلوس، أريكم أصحابي، فلما سمع أرموس واصطفوس ما يقول تمليخا، قالا: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل، جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه

(١) سراة أهل المدينة: سادتها.

يرينا أصحابه كما قال. فانطلق معه أرموس واصطفوس، وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف، تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم، عن القدر الذي كان يأتيهم فيه، ظنوا أنه قد أخذ وذهب إلى ملكهم دقيانوس، الذي هربوا منه. فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذا سمعوا الأصوات، وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس، بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض، وقالوا: انطلقوا بنا إلى أخينا تمليخا، فإنه الآن بين يدي الجبار دقيانوس، ينتظر متى نأتيه. فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف فلم يروا إلا أرموس وأصحابه، وقوماً وقوفاً على باب الكهف، وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسألة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تمليخا أرموس، فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف ودعا رجالاً من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوباً فيهما: إن مكسلمينا وامليخا (أو تمليخا) مرطوكش ونوالس وسانيوس وبطنيوس وكشفوطط كانوا فتية، هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا في هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة، وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم.

فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله عز وجل، الذي أراهم آية البعث فيهم. ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرانيه ووجوههم مشرقة لم تبل ثيابهم. فخر أرموس وأصحابه سجداً لله تعالى وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار. ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله تعالى، جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نوراً وضياء وتصديقاً بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة.

فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التي كان عليها ورجع إليه عقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله تعالى، وقال: أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض، وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني برحمتك، فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطيطوس الملك، فلما أنبىء به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه، فلما رأوا الفتية تاودوسيوس، فرحوا به وخروا سجداً على وجوههم. وقام تاودوسيوس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض، يسبحون الله تعالى ويحمدونه، ثم قال الفتية لتاودوسيوس: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، حفظك الله ومد ملكك، ونعيذك بالله من

شر الجن والإنس. فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم فناموا، وتوفى الله أرواحهم.

وقام الملك فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكل واحد تابوت من ذهب. فلما أمسوا ونام، أتوه في المنام، وقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكنا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير. فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب، حتى يبعثنا الله، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوا فيه. وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه. وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة.

وقيل: إنهم لما أتوا باب الكهف، قال لهم تمليخا: دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشرهم، فإنهم إن رأوكم معي أرعبتموهم، فدخل فبشرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، وعمي عليهم فلم يهتدوا إليهم. فهذا حديث أصحاب الكهف.

ويقال إن النبي ﷺ سأل ربه أن يريه إياهم، فقال تعالى: إنك لن تراهم في دار الدنيا، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك. فقال رسول الله ﷺ لجبريل: كيف أبعث إليهم؟ فقال[1]: ابسط كساءك، واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث علياً، وعلى الرابع أبا ذر، ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام، فإن الله تعالى أمرها أن تطعيك. ففعل النبي ﷺ ما أمر به، فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً، فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء، وهر وحمل عليهم، فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه، وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف، فدخلوا فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد الله عليهم أرواحهم، فقاموا بأجمعهم، وقالوا: وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله ﷺ مادامت السموات والأرض، وعليكم بما بلغتم ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون، فآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دين الإسلام. وقالوا: اقرؤوا محمداً منا السلام، ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم، إلى آخر الزمان، عند خروج المهدي. ويقال إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة.

وقد رأيت في كتاب الشفاء، للإمام أبي الربيع سليمان بن سبع، ما نصه: روي أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة، ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه، لأنهم لم يحجوا. انتهى ما نقله ابن سبع.

ثم نرجع إلى سياق الثعلبي، قال: ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح، فهبط جبريل على النبي ﷺ وأخبره بما كان منهم. فلما أتوا النبي ﷺ قال ﷺ: كيف وجدتموهم وما الذي أجابوا؟ فقالوا: يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم، فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام، وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا، وشهدوا أنك رسول الله حقاً، وحمدوا الله على ما

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥، ٢٢١.

أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم. وهم يقرؤونك السلام. فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبابي، واغفر لمن أحبني، وأحب أهل بيتي وأحب أصحابي. فذلك قوله تعالى ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾[1] أي صار يضم الفتية. قال الثعلبي: كان أصحاب الكهف صيارفة.

قوله عز وجل ﴿إلى الكهف﴾ هو غار بجبل منحلوس. وقيل: بناحيوس واسم الكهف حرم، وقيل خدم. قوله[1] تعالى: ﴿فقالوا ربَّنا آتنا من لدنكَ رحمةً وهيىء لنا من أمرِنا رَشَدا﴾ أي يسر لنا ما نلتمس من رضاك، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: رشداً أي مخرجاً من الغار في سلامة، وقيل: صواباً. قوله[2] تعالى: ﴿فضربنا على آذانِهم في الكهف﴾ وهذا من فصاحات القرآن، التي أقرت العرب القصور عن الإتيان بمثله. ومعناه أنمناهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم. كما يقال ضرب الله فلاناً بالفالج، أي ابتلاه بـه وأرسله عليه. وقيـل: معناه حجبنـاهم عن السمع، وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم. وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هـو كقول العرب ضرب الأمير على يد الرعية، إذا منعهم من العبث والفساد، وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة، إذا منعه من التصرف. وقال الأسـود[3] بن يعفر، وكان ضريراً، في ذلك:

ومـن الحـوادثِ لا أبـالي أنـني ضربـتُ عـلى الأرضِ بـالأسـدادِ

قولَه[2] عز وجل ﴿سنين عددا﴾ أي معدودة وهي نعت السنين، والعد المصدر والعـدد الاسم المعدود كالنقض والنقض، والقص والقصص، والخبط والخبط.

وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر. قوله[3] تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ يعني من بعـد موتهم، ﴿لنعلمَ أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً﴾[4] وذلـك حين تنـازع المسلمون الأولـون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف، في قدر مدة لبثهم في الكهف. فقال المسلمون الأولون: لبثوا في الكهف ثلثمائة سنين وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل لبثوا كذا وكذا. فقال الأولون: الله أعلم بما لبثوا. فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم لنعلمَ أيّ الحزبين﴾[4] أي: أي الفريقين أحصى، أي أضبط وأحفظ، لما لبثوا، أي مكثوا في كهفهم نياماً أمداً، غاية. وقال مجاهد: عدداً. وفي نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثاني مفعول لبثوا.

قوله[5] عز وجل: ﴿نحنُ نقصُّ عليك﴾ أي نقرأ وننزل عليك ﴿نبأهم بالحق﴾[5]، أي خبر أصحاب الكهف. ﴿إنهم فتية﴾[5] أي شباب وأحداث ﴿آمنوا بربهم﴾[5]، حكم الله لهم بالفتوة، حين آمنوا بلا واسطة. لذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة بذل الندى، وكف

---

(١) سورة الكهف: آية ١٠. (٢) سورة الكهف: آية ١١.

(٣) الأسود بن يعفر النهشلي التميمي شاعر جاهلي، كان فصيحاً جواداً. مات حوالي ٢٢ ق. هـ.

(٤) سورة الكهف: آية ١٢. (٥) سورة الكهف: آية ١٣.

الأذى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة شيآن: اجتناب المحارم واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعي قبل الفعل، ولا يذكي نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى من يجوز على الصراط، وليس الفتى من يصبر على المسكين إنما الفتى من يطعم المسكين.
قوله[(١)] تعالى: ﴿وزِدْناهم هُدىً﴾ أي إيماناً وبصيرة وايقاناً. ﴿وربطنا﴾[(٢)] أي شددنا ﴿على قلوبهم﴾[(٢)] بالصبر، وألهمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفروا بدينهم إلى الكهف ﴿إذ قاموا﴾[(٢)] بين يدي دقيانوس ﴿فقالوا﴾[(٢)] حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم: ﴿ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً﴾[(٢)]، أي لا نعبد من دونه إلهاً، ﴿لقد قلنا إذا شططاً﴾[(٢)]، قال ابن عباس ومقاتل رضي الله تعالى عنهم: جوراً. وقال قتادة، رحمه الله تعالى: كذباً.

وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والافراط. ﴿هؤلاء قومنا﴾[(٣)]: بمعنى أهل بلدهم، ﴿اتخذوا﴾[(٣)] أي عبدوا ﴿من دونه آلهة﴾[(٣)] يعني من دون الله الأصنام يعبدونها. ﴿لولا﴾[(٣)] هلا ﴿يأتون عليهم﴾[(٣)] على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾[(٣)]، أي حجة واضحة ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[(٣)]، بزعم أن له شريكاً وولداً. ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾[(٤)]، يعني قومهم ﴿وما يعبدون إلا الله﴾[(٤)]، أي واعتزلتم أصنامهم التي يعبدونها من دون الله. وكذلك هو في مصحف عبد الله: وما يعبدون من دون الله.

﴿فأووا إلى الكهف﴾[(٤)] أي صيروا إليه ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾[(٤)] أي رزقاً رغداً. والمرفق ما يرتفق به الإنسان. وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء، وهي قراءة أهل المدينة والشأم وعاصم في بعض الروايات. ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهي قراءة الباقين. قوله[(٥)] تعالى: ﴿وترى الشمسَ إذا طلعتْ﴾ أي وترى يا محمد الشمس ﴿إذا طلعت تزاور﴾[(٥)] أي تتزاور. قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، وقرأ أهل الشأم ويعقوب: تزور، على وزن تحمر وكلها بمعنى واحد أي تميل وتعدل عن كهفهم، ﴿ذات اليمين﴾[(٥)] أي جانب اليمين. ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾[(٥)]. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: تدعهم. وقال مقاتل بن حيان: تجاوزهم. وأصل القرض القطع ﴿ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾[(٥)]. أي متسع من الكهف. وجمعها فجوات وأفجاء وفجاء.

أخبرنا الله بحفظه إياهم في مضجعهم، واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد، فأعلمنا أنه يراهم في فضاء من الكهف، مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية، فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها، وتغير من ألوانهم وتبلي ثيابهم، وأنهم في متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها، وتنفي عنهم كربة الغار وغمومه، ﴿ذلك﴾[(٥)] ما ذكرنا من أمر الفتية ﴿من آيات الله﴾[(٥)]، أي من عجائب صنع الله ودلالات قدرته.

قوله[(٥)] عز وجل: ﴿من يهدِ الله فهو المهتدِ ومن يضللْ فلن تجدَ له ولياً مُرشداً﴾ لأن التوفيق والخذلان بيد الله عزوجل، ﴿وتحسبهم﴾[(٦)] يا محمد ﴿أيقاظاً﴾[(٦)] منتبهين جمع يقظ ويقظ،

---

(١) سورة الكهف: آية ١٣.
(٢) سورة الكهف: آية ١٤.
(٣) سورة الكهف: آية ١٥.
(٤) سورة الكهف: آية ١٦.
(٥) سورة الكهف: آية ١٧.
(٦) سورة الكهف: آية ١٨.

مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد، ﴿وهم رقود﴾[1] يعني نيام، جمع راقد، مثل قاعد وقعود. ﴿ونقلبهم﴾[1] بالتخفيف والتشديد، ﴿ذات اليمين وذات الشمال﴾[1]، مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كانوا يقلبون في السنة مرة، من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم، ويقال: إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم، وقال أبو هريرة: كان لهم في السنة تقليبتان ﴿وكلبهم﴾[1]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كان أحمر. وقال مقاتل: كان أصفر. وقال القرطبي: من شدة صفرته يضرب إلى الحمرة. وقال الكلبي: لونه كالخلنج. وقيل: لون الحجر، وقيل: لون السماء.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: كان اسمه ريان. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قطمير. وقال الأوزاعي: مشير. وقال سعيد الحمال: حران. وقال عبد الله بن كثير: إن اسم كلبهم قطمور. وقال السدي. اسمه تون. وقال عبد الله بن سلام: بسيط. وقال كعب: صيهان. وقال وهب: اسمه نقيا. وقيل: قطفير. وقيل: قطيفير. وقال عروة: مما أخذ على العقرب، أن لا يضر بأحد في ليل ولا نهار، قال: ﴿سلام على نوح﴾[2] قال: ومما أخذ على الكلب أن لا يضر بأحد، ممن حمل عليه، إذ قال: ﴿وكلبُهم باسطٌ ذراعَيه بِالوصيدِ﴾[1] وقرأ جعفر الصادق: وكالبهم، يعني صاحب الكلب باسط ذراعيه بالوصيد. وقال مجاهد والضحاك: الوصيد فناء الكهف، وهي رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

وقال سعيد بن جبير: الوصيد الصعيد، وهو التراب وهي رواية عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وقال السدي: الوصيد الباب، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وأنشد قول الشاعر:

بأرضٍ فضاء لا يسد وصيدَها ... علي ومعروفي بها غيرُ منكرِ

أي بابها.

وقال عطاء: الوصيد عتبة الباب. وقال العتبي: الوصيد البناء، وأصله من قول العرب أصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقته وأطبقته. قوله تعالى: ﴿لو اطّلعتَ عليهم﴾[1] يا محمد ﴿لولّيت منهم فراراً﴾[1] لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة، حتى لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله، فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم، لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن يشاء من خلقه، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها ﴿ولمُلئتَ منهم رُعباً﴾[1] أي خوفاً. وقرأ أهل الكوفة: لملئت بالتشديد، قيل: إنما قال ذلك لوحشة المكان الذي هم فيه. وقال الكلبي وغيره: لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وهم نيام. وقيل: إن الله منعهم بالرعب، لئلا يراهم أحد.

---

(١) سورة الكهف: آية ١٨.

(٢) سورة الصافات: آية ٧٩.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم، فمروا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، الذين ذكرهم الله في القرآن فقال معاوية: لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم؟ فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس لك ذلك، قد منع الله ذلك من هو خير منك. قال الله تعالى: ﴿واطّلعتَ عليهم لولّيت فراراً ولمُلئتَ منهم رُعْباً﴾[1] فقال معاوية :لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً، فقال: اذهبوا فادخلوا الكهف، فانظروا ففعلوا. فلما دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً فأخرجتهم.

قوله[2] عز وجل ﴿وكذلك بعثناهم﴾ يعني كما أنمناهم في الكهف، ومنعنا من الوصول إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان، وثيابهم من العفن على ممر الأيام بقدرتنا، فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت، ﴿ليتساءلوا بينهم﴾[2] أي ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضاً، ﴿قال قائل منهم﴾[2]، يعني رئيسهم مكسلمينا: ﴿كم لبثتم﴾[2] في نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم. ويقال: إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة! فقال ذلك. ﴿قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾[2]، لأنهم دخلوا الكهف غدوة، فلما رأوا الشمس، قالوا: أو بعض يوم، توقياً من الكذب. وكان قد بقيت من الشمس بقية.

ويقال كان بعد زوال الشمس، فلما نظروا إلى أظفارهم وأبشارهم، تيقنوا أن لبثهم كان أكثر من يوم، فـ ﴿قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم﴾[2] ويقال: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم، قال ذلك: ﴿فابعثوا أحدكم﴾[2]، يعني تمليخا، ﴿بورقكم هذه إلى المدينة﴾[2]، والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، والدليل عليه أن عرفجة بن سعد أصيب أنفه يوم الكلاب، فاتخذ أنفاً من ورق وفيه لغات: بورقكم ساكنة الراء. وهي قراءة أبي عمرو وحمزة وخلف وأبي بكر. وبورقكم بكسر الراء وادغام القاف، وهي قراءة بعض، وبورقكم بفتح الواو وكسرا الراء، وهي قراءة أكثر القراء.

ورْق وورِق مثل كبْد وكبِد وكلْم وكلِمْ، والمدينة أفسوس، وقيل: طرسوس، ويقال: أرسوس كان اسمها في الجاهلية أفسوس، فلما جاء الإسلام سموها طرسوس. فلينظر أيها أزكى طعاماً.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه: أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوساً، ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم. وقال الضحاك: أطيب. وقال مقاتل وابن حيان: أجود، وقال ابن شهاب: أرخص. وقال قتادة: أخير. وقال عكرمة: أفضل، وأكثر. وأصل الزكاة: الزيادة والنماء. قال الشاعر:

قبائلنا سبعٌ وأنتم ثلاثةٌ كذا السبعُ أزكى من ثلاثٍ وأطيبُ

﴿فليأتيكم برزق منه﴾[2] أي قوت وطعام، ﴿وليتلطف﴾[2] أي وليرفق في الشراء، وفي طريقه وفي دخوله المدينة، ﴿ولا يشعرن﴾[2] ولا يعلمن ﴿بكم أحداً﴾[2] من الناس ﴿إنهم إن يظهروا

---

(١) سورة الكهف: آية ١٨.
(٢) سورة الكهف: آية ١٩.

عليكم فيعلموا بمكانِكم يرجوكم﴾[1] قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. ويقال: يقتلوكم ويقال: كان من عادتهم القتل بالرجم، وهو من أخبث القتل. ويقال: يضربوكم أو يعيدوكم في ملتهم أي دينهم الكفر، ولن تفلحوا إذاً أبداً إن عدتم إليهم.

قوله[2] عز وجل: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي اطلعنا عليهم، يقال: عثرت على الشيء: اطلعت عليه، وأعثرت غيري وأطلعته عليه ﴿ليعلموا أنّ وعْدَ الله حقّ﴾[2] يعني قوم تاودوسيوس، ﴿وأنّ الساعةَ لا ريبَ فيها إذ يتنازعون بينهم أمرَهم﴾[2] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يتنازعون في البنيان والمسجد، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً لأنهم من أهل نسبنا. وقال عكرمة: يتنازعون في الأرواح والأجساد.

فقال المسلمون: البعث للأجساد والأرواح، وقال المشركون: البعث للأرواح دون الأجساد. فبعثهم الله تعالى من رقادهم، وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح. وقيل: يتنازعون في عددهم ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم﴾[2]، تاودوسيوس الملك وأصحابه ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾[2].

قوله[3] عز وجل: ﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم﴾ وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما، من نصارى نجران، كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أهل الكهف، فقال السيد: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وكان السيد يعقوبياً، وقال العاقب: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم. فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعدما حكى قول النصارى فقال: ﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعُهم كلبُهم ويقولون خمسةٌ سادسُهم كلبُهم رَجْماً بالغيبِ﴾[3] أي قذفاً بالظن من غير يقين كقول الشاعر:

وأجعل قولَ الحقّ قولاً مرجّما

﴿ويقولون سبعةٌ وثامنُهم كلبُهم﴾[3] قال بعضهم: هذه واو الثمانية، وذلك أن العرب تقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد عندهم كان سبعة، كما هو اليوم عندنا عشرة. ونظيره قوله[4] تعالى: ﴿التائبونَ العابدونَ الحامدونَ السائحونَ الراكعونَ الساجدونَ الآمرونَ بالمعروفِ والناهونَ عن المنكرِ﴾ وقوله تعالى لأزواج النبي ﷺ: ﴿ثيّباتٍ وأبكارا﴾[5] وقال بعضهم: هذه واو الحكم والتحقيق، فإن الله حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله ﴿ويقولون سبعة﴾[3] ثم حكى أن ثامنهم كلبهم، الثامن لا يكون إلا بعد السبع. فهذا تحقيق قول المسلمين.

﴿قل ربي أعلمُ بعدّتِهم ما يعلمهم إلا قليل﴾[3] قال مجاهد وقتادة: قليل من الناس، وقال

---

(1) سورة الكهف: آية ٢٠.
(2) سورة الكهف: آية ٢١.
(3) سورة الكهف: آية ٢٢.
(4) سورة التوبة: آية ١١٢.
(5) سورة التحريم: آية ٥.

عطاء وقتادة أيضاً: يعني بالقليل أهل الكتاب. وقال ابن عباس، في قوله: ﴿ما يعلمُهم إلا قليل﴾[1] قال: أنا من أولئك القليل، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبنيونس وساربونس ودوانواس وكندسلططنوس، وهو الراعي. والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي، ودون الكردي. والقلطي كلب صيني.

قال محمد بن المسيب: وما بقي بنيسابور محدث إلا كتب عني هذا الحديث، إلا من لم يقدر له. وكتبه علي أبو عمر والجبري زاد الإمام أبو الحسن في روايته فقال: قلت: وصدق ابن المسيب. فقد رأيت في تفسير أبي عمرو الجبري هذا الحديث، مروياً عن ابن المسيب، ثم قال: أعني الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: إن الله عز وجل عدهم حتى انتهى إلى السبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعني أصحاب الكهف.

قال الثعلبي: قوله تعالى: ﴿فلا تمارِ فيهم إلا مِراءً ظاهراً﴾[1] وهو ما نص عليه، في كتابه العزيز من خبرهم، يقول تعالى: حسبُك ما قصصت عليك فلا تمارِ فيهم﴿ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً﴾[1] من أهلِ الكتاب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقولَن لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاءَ الله﴾[2] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يعني إن عزمت على أن تفعل غداً شيئاً، أو تحلف على شيء أنت فاعله غداً، فقل: إن شاء الله، فإن نسيت الاستثناء، ثم ذكرته فقله، ولو بعد سنة، وهذا تأديب من الله تعالى لنبيه ﷺ، حين سئل عن المسائل الثلاثة: أهل الكهف والروح وذي القرنين، فوعدهم أن يجيبهم غداً، ولم يقل إن شاء الله ولم يستثن.

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يتم إيمان العبد حتى يستثني في كل كلامه.

قوله عز وجل﴿واذكر ربَّك إذا نسيتَ﴾[3] قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن رضي الله تعالى عنهم: معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثن. وقال عكرمة رضي الله تعالى عنه: معناه واذكر ربك إذا غضبت. فقد روى وهب بن منبه، قال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، وإلا أمحقك فيمن أمحق. وإذا ظلمت فلا تنتصر، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك. وقال الضحاك والسدي: هذا في الصلاة لقوله[4] ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها، فليصلها متى ذكرها». وقال أهل الإشارة: معناه اذكر ربك، إذا نسيت غيره. ويؤيده قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى: من ذكر الله على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء، فإذا نسي في جنب ذكره كل شيء، حفظ الله له كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء. وقيل: معناه واذكر ربك، إذا تركت ذكره والنسيان هو الترك.

قوله[3] عز وجل ﴿وقل عسى أن يهديَني ربي لأقربَ مِنْ هذا رَشَدَاً﴾ أي يثبتني على طريق

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٢.
(٢) سورة الكهف: آية: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة الكهف: آية ٢٤.
(٤) رواه أبو داود: صلاة ١١. والنسائي: مواقيت ٥٣.

هو أقرب إليه وأرشد. وقيل: معناه لعل الله يهديني فيرشدني لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم، أنه سيكون إن هو شاء. وقيل: إن الله أمره أن يذكره إذا نسي شيئاً، ويسأله أن يذكره فيذكره ويهديه، لما هو خير له من تذكره ما نسيه.

ويقال: إن هؤلاء القوم، لما سألوه عن قصة أصحاب أهل الكهف، على وجه العناد، أمره الله أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته، وما دعاهم إليه من الحق زيادة على ما سألوه، ثم إن الله تعالى فعل ذلك به حيث آتاه من علم غيوب المسلمين، وخبرهم ما كان أوضح الحجج، وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف. وقال بعضهم: هذا شيء أمر ﷺ أن يقوله مع قوله: إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد ما نسيه، فإذا نسي الإنسان «إن شاء الله» فتوبته من ذلك وكفارته أن يقول: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً.

وقوله[1] تعالى: ﴿ولبثوا﴾ يعني أصحاب الكهف، ﴿في كهفهم ثلثمائةَ سنين وازدادوا تِسعاً﴾[1] قال بعضهم: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، وقالوا: لو كان خبراً من الله عن قدر لبثهم في الكهف، لم يكن لقوله[2] ﴿قلِ الله أعلمُ بما لبثوا﴾ وجه مفهوم، فقد أعلم الله خلقه قدر لبثهم. وهذا القول قول قتادة، يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود: فقالوا لبثوا في كهفهم. وقال مطر الوراق في هذه الآية: هذا شيء قالته اليهود، فرد الله عليهم، فقال: ﴿قل الله أعلمُ بما لبثوا﴾[2].

وقال آخرون: هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف، وقالوا: معنى قوله[2] تعالى: ﴿قل الله أعلمُ بما لبثوا﴾ أن أهل الكتاب على عهد رسول الله ﷺ، قالوا: إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين، فرد الله عليهم ذلك.

قال ﷺ: «الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه ذلك». وقال الكلبي: قالت النصارى، أهل نجران: أما الثلثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا علم لنا بها. فنزلت[2] ﴿قل الله أعلمُ بما لبثوا له غيبُ السمواتِ والأرضِ﴾ أي يعلم ما غاب فيهما من العباد.

واختلفوا في قوله[1] عز وجل: ﴿ثلثمائة سنين﴾ فقرأ أهلُ الكوفة بغير تنوين، بمعنى فلبثوا في كهفهم سنين ثلثمائة. وقال الضحاك ومقاتل: نزلت[1] ﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة﴾ فقالوا: أياماً أو أشهراً أو سنين. فلذلك قال: سنين. ولم يقل سنة انتهى. ما ساقه الإمام أبو اسحاق محمد بن أحمد الثعلبي، من قصة أصحاب الكهف، وقد ذكرها الحافظ أبو محمد بن جرير بن يزيد الطبري في تاريخه الكبير، وفيها زيادة فوائد فلنأت بها.

قال: ومما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله تعالى في كتابة العزيز من أمر الفتية، الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم، قال: وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم، كما وصفهم الله في تنزيله، فقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿أم حسبتَ أن أصحابَ الكهفِ والرقيمِ كانوا من

---

(١) سورة الكهف: آية ٢٥.

(٢) سورة الكهف: آية ٢٦.

آياتِنا عجباً﴾[1] والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم، كان الفتية كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه، أو نقروه في الجبل الذي أووا إليه، أو كتبوه في لوح وجعلوه في صندوق خلفوه عندهم، إذا أوى الفتية إلى الكهف.

وكان عدد الفتية فيما ذكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سبعة وثامنهم كلبهم. قال قتادة: ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من ذلك القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا ﴿سبعةً وثامنُهم كلبُهم﴾[2] وكان اسم أحدهم تمليخا وهو الذي كان يلي شراء الطعام لهم الذي ذكر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا. إذْ هبّوا من رقدتهم: ﴿فابعثوا أحدَكم بورِقِكم هذه إلى المدينة فلينظرْ أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾[3] قال مجاهد في قوله[3] تعالى ﴿فابعثوا أحدَكم بورِقِكم﴾ اسمه تمليخ.

وأما ابن اسحاق، فإنه قال: اسمه يمليخا. وكان ابن اسحاق يقول: عدد الفتية ثمانية فعلى قوله كان تاسعهم كلبهم. وإنه كان يسميهم فيقول: كان أحدهم، وهو أكبرهم، والذي كلم الملك عن سائرهم مكسلمينا، والآخر مجسلمينا، والثالث يمليخا، والرابع مرطوس، والخامس كفشطيوس، والسادس ينيونس، والسابع ميموس، والثامن بطنيوس، والتاسع طالوس، وكانوا أحداثاً.

وعن مجاهد قال: لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق، وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم فهداهم الله للإسلام، وكانت شريعتهم شريعة عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، في قول جماعة من سلف علمائنا.

وعن عمرو يعني بن قيس الملائي، في قوله[1] تعالى: ﴿إنّ أصحابَ الكهفِ والرقيمِ كانوا من آياتِنا عَجَباً﴾ قال: كانت الفتية على دين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وكان ملكهم كافراً، وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف، كان قبل المسيح، وأن المسيح أخبر قومه خبرهم وأن الله عز وجل بعثهم من رقدتهم، بعدما رفع المسيح عليه السلام في الفترة التي بينه وبين محمد ﷺ، والله أعلم، أي ذلك كان.

فأما الذي عليه علماء الإسلام، فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح. وأما أنه كان في أيام ملوك الطوائف، فإن ذلك لا يرفعه رافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة، وكان لهم في ذلك الزمن ملك يقال له دقيانوس، يعبد الأصنام فيما ذكر، فبلغه عن الفتية خلافهم إياه في دينه، فطلبهم فهربوا منه بدينهم، حتى صاروا إلى جبل لهم، يقال له منحلوس.

وكان سبب إيمانهم وخلافهم لقومهم ما ذكر عن وهب بن منبه، أنه قال: جاء حواري عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخل أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها. فأتى حماماً كان قريباً من تلك المدينة، فكان يعمل،

---

(١) سورة الكهف: آية ٩ .
(٢) سورة الكهف: آية ٢٢.
(٣) سورة الكهف: آية ١٩.

فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام، فرأى الرجل في حمامه البركة ودر عليه الرزق، فجعل يعرض عليه الإسلام، وجعل يسترسل إليه، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة حتى آمنوا بما يقوله وصدقوه، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة، وكان يشترط على صاحب الحمام، أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد، ولا بين الصلاة إذا حضرت، فكان على ذلك، حتى جاء ابن الملك بامرأة، فدخل بها الحمام، فعيره الحواري[1]، وقال له: أنت ابن الملك وتدخل معك هذه التي هي كذا وكذا. فاستحيا وذهب، فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، فسبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخل، ودخلت معه المرأة فماتا في الحمام جميعاً.

فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قد قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه، وهرب كل من كان يصحبه، فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فذكروا له أنهم التمسوا، فانطلق معهم ومعه الكلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوا وقالوا: نبيت ههنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم. فضرب على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أرعب، فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتون عطشاً وجوعاً. ففعل فغبر بعد ما بنى عليهم باب الكهف، زمان بعد زمان.

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح، فأدخل فيه غنمه، ورد الله تعالى إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاماً، فلما أتى باب مدينتهم لم ير شيئاً ينكره، حتى دخل على رجل فقال له: بعني بهذه الدراهم طعاماً، فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس فآوانا الليل حتى أصبحوا، فأرسلوني. فقال: هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان، فأنى لك بها؟ فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحاً، فقال: من أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا فلما أصبحوا أمروني أن أشتري لهم طعاماً. قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف. فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم، فلما رأوه ودنا منهم، ضرب الله على آذانه وآذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب، فلم يقدروا أن يدخلوا إليهم. فبنوا عنده كنيسة واتخذوها مسجداً يصلون فيه.

وعن قتادة عن عكرمة قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتعوذوا بدينهم واغتالوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على صماخهم فلبثوا دهراً طويلاً حتى هلكت أمتهم، وجاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، واختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: تبعث الروح والجسد جميعاً، وقال قائل: تبعث الروح لا غير، فأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئاً، فشق على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المسوح وجلس على

(١) الحواري: أحد الحواريين، وهم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام.

الرماد، ثم دعا الله تعالى فقال: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء، فابعث لهم ما يبين لهم.

فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه، ويعرف الطريق ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً فانطلق وهو مستخف، حتى أتى رجلاً يشتري منه الطعام، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها. قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الربع، يعني الإبل الصغار. فقال الفتى: أليس ملككم فلاناً؟ قال: لا بل ملكنا فلان. فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسأله الملك فأخبره الفتى خبر أصحابه. فبعث الملك في الناس فجمعهم، فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا الرجل من قوم فلان يعني ملكهم الذي مضى، فقال الفتى: انطلقوا معي إلى أصحابي، فلما أبصرهم ضرب على آذانه وآذانهم، فلما استبطؤوه دخل الملك ودخل معه الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها! فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم.

قال قتادة: وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة، فمروا بالكهف فإذا فيه عظام، فقال رجل: هذه عظام أهل الكهف. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة. وقال وهب والسدي وغيرهما: وأسماؤهم مكسلمينا وهو أكبرهم ورئيسهم، وأمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم، ومرطونس، ويوناس، وساربنوس، وبطنيوس وكندسلططنوس، وكلبهم قطمير يكتب ذلك للنوم ولبكاء الأطفال.

ومما يكتب لنوم الصبيان وبكائهم: أعوذ بكلمات الله التامات التي نام بها أصحاب الكهف والرقيم، الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، اللهم الق النوم والسكينة على حامل هذا الكتاب، بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فائدة أخرى: وقد تقدمت قبل ذلك، وهي عن عمرو بن دينار أنه قال: مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحداً في ليل أو نهار أن يصلي على نوح ﷺ. ومما أخذ على الكلب، أن لا يضر أحداً حمل عليه في ليل أو نهار، إذ قرأ ﴿وكلبُهم باسطٌ ذِراعَيه بالوصيد﴾[1] إلى هنا انتهى ما تقدم.

وقال القرطبي في كتاب التذكار في أفضل الأذكار: بلغنا عمن تقدم أن في سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان، وهي قوله تعالى: ﴿يا معشرَ الجنِّ والإنسِ إنِ استطعتم أنْ تنفُذوا من أقطارِ السّمٰواتِ والأرضِ فانفُذوا لا تنفذون إلا بسُلطان﴾[2] فإنه لا يؤذيه بإذن الله تعالى. وفي تاريخ الإسلام للذهبي في سنة ثلثمائة أن ممشاد الدينوري رحمه الله تعالى، خرج من داره فنبحه كلب، فقال: لا إله إلا الله فمات الكلب مكانه.

الحكم: يحرم أكل الكلاب بجميع أنواعها إلا ابن آوى، فإنه من جنس الكلاب وفيه خلاف سبق في باب الهمزة. وروى ابن عبد البر، في التمهيد، عن الشعبي، أنه سئل عن رجل

---

(١) سورة الكهف: آية ١٨. (٢) سورة الرحمن: آية ٣٣.

يتداوى بلحم الكلاب! فقال: لا شفاه الله. وعلى مقتني الكلب المباح اقتناؤه، أن يطعمه أو يرسله، أو يدفعه لمن يريد الانتفاع به، ولا يحل حبسه ليهلك جوعاً.

فرع: لو كان لإنسان كلب محترم مضطر، ومع غيره شاة، جاز له مكالبته عليها لإطعامه ويضمنها له.

فرع: لو عض كلب كلب شاة فكلبت نحرت، ولا يؤكل لحمها. قال أبو حيان التوحيدي من أصحابنا في كتاب الامتاع: إذا كلب الجمل نحر، ولا يؤكل لحمه انتهى. والظاهر أن ذلك خشية الإيذاء.

فرع: لو غصب نجاسة تنفع ككلب معلم، وجلد ميتة وسرجين، فهل له كسر بابه ونقب جداره، إذا لم يصل إليها إلا بذلك؟ الظاهر أنه يجوز له ذلك، كالمال لأنها حق، ويجوز الدفع عنها كالمال والله أعلم.

تنبيه: الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة وأحمد واسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره، ولا بين كلب البدوي والحضري لعموم الأدلة.

وفي مذهب مالك رحمه الله تعالى أربعة أقوال: طهارته، ونجاسته، وطهارة سؤر المأذون في اتخاذه دون غيره، وهذه الثلاثة عن مالك. والرابع عن عبد الملك بن الماجشون أنه يفرق بين البدوي والحضري، وقال الزهري ومالك وداود: إنه طاهر وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبداً. ويحكى هذا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير، محتجين بقوله[1] تعالى: ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ ولم يذكر غسل موضع إمساكها.

وبحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كانت الكلاب تقبل وتدبر في مسجد رسول الله ﷺ وتبول، فلم يكونوا يرشون شيئاً من ذلك ذكره البخاري في صحيحه. واحتج أصحابنا بحديث أبي هريرة رضية الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات، إحداهن بالتراب». قالوا: ولو لم يكن نجساً لما أمر بإراقته لأنه حينئذ يكون اتلاف مال. وأما حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، فقال البيهقي: أجمع المسلمون على أن بول الكلاب نجس، وعلى وجوب الرش من بول الصبي، والكلب أولى. فكان حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قبل الأمر بالغسل من ولوغ الكلب، أو أن بولها خفي مكانه فمن تيقنه لزمه غسله.

فرع: اختلف الأصحاب في موضع عض الكلب من الصيد، والأصح أنه لا يعفى عنه، كما لو أصاب ثوباً أو إناء، فلا بد من غسله وتعفيره. والثاني يعفى عنه، والثالث يكفي غسله بالماء مرة، والرابع أنه طاهر، والخامس يجب تقويره، والسادس إن أصاب عرقاً نضاخاً بالدم حرم

---

(١) سورة المائدة: آية ٤.

أكله، والنضاخ الفوار. قال[1] الله عز وجل: ﴿فيهما عينانِ نضّاختان﴾ وأحكام التريب وشروطه مبسوطة في كتب الفقه.

روى مسلم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، قال: قال[2] رسول الله ﷺ: «يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود». قيل لأبي ذر رضي الله تعالى عنه: ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يا ابن أخي سألتِ رسول الله ﷺ مثل ما سألتني، فقال: «الكلب الأسود شيطان». فحمله بعض العلماء على ظاهره، وقال: الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود. ولذلك قال ﷺ: «اقتلوا منها كل أسود بهيم»[3]. وقيل: لما كان الكلب الأسود أشد ضرراً من غيره وأشد ترويعاً، كان المصلي إذا رآه اشتغل عن صلاته، فانقطعت عليه لذلك. ولذلك تأول الجمهور قوله ﷺ «يقطع الصلاة المرأة والحمار» بأن ذلك مبالغة الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات. وذلك لأن المرأة تفتن، والحمار ينهق، والكلب الأسود يروع ويشوش الفكر، فلما كانت هذه الأمور، آيلة إلى القطع، جعلها قاطعة. وذهب ابن عباس وعطاء رضي الله تعالى عنهم، إلى أن المرأة التي تقطع الصلاة، إنما هي الحائض لما تستصحبه من النجاسة. واحتج أحمد رحمه الله بحديث الكلب الأسود على أنه لا يجوز صيده ولا يحل، لأنه شيطان. واختاره أبو بكر الصيرفي من أصحابنا. وقال الشافعي رحمه الله ومالك وأبو حنيفة وجماهير العلماء رحمة الله تعالى عليهم: يحل صيده كغيره. وليس المراد بالحديث، إخراجه عن جنس الكلاب، ولهذا إذا ولغ في إناء أو غيره وجب غسله وتعفيره كولوغ الكلب الأبيض.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه، قال: أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال[4] ﷺ: «ما بالهم وبالُ الكلابِ». ثم رخص ﷺ في كلب الصيد وكلب الغنم. فحمل الأصحاب الأمر بقتلها على الكلب الكَلِبِ والكلب العقور، واختلفوا في قتل ما لا ضرر فيه منها. فقال القاضي حسين وإمام الحرمين والماوردي، في باب بيع الكلاب، والنووي في أول البيع، من شرحي المهذب ومسلم: لا يجوز قتلها. وقال في باب المحرمات الإحرام: إنه الأصح، وإن الأمر بقتلها منسوخ. وعلى الكراهة اقتصر الرافعي في الشرح وتبعه في الروضة وزاد أنها كراهة تنزيه لا تحريم.

لكن، قال الشافعي في الأم، في باب الخلاف، في ثمن الكلاب: واقتلوا الكلاب التي لا نفع فيها حيث وجدتموها، وهذا هو الراجح في المهمات ولا يجوز اقتناء الكلب الذي لا منفعه فيه. وذلك لما في اقتنائها من مفاسد الترويع والعقر للمار. ولعل ذلك لمجانبة الملائكة لمحلها، ومجانبة الملائكة أمر شديد لما في مخالطتهم من الإلهام إلى الخير والدعاء إليه.

واختلف الأصحاب في جواز اتخاذ الكلب لحفظ الدرب والدور على وجهين: أصحهما

---

(١) سورة الرحمن: آية ٦٦.

(٢) رواه مسلم: صلاة، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١ ورواه البخاري: صلاة ١٠٢ ـ ١٠٥.

(٣) رواه أبو داود: أضاحي ٢١، ومسلم: مساقاة ٤٧. والترمذي: صيد ١٦، ١٧.

(٤) رواه مسلم: مساقاة ٤٥. وابن حنبل ٢، ١٤٤.

الجواز، واتفقوا على جواز اتخاذه للزراعة والماشية والصيد، لكن يحرم اقتناء كلب الماشية قبل شرائها، وكذلك كلب الزرع والصيد لمن لا يزرع ولا يصيد، فلو خالف واقتنى نقص من أجره كل يوم قيرطان. وفي رواية: قيراط، وكلاهما في الصحيح[1].

وحمل ذلك على نوع من الكلاب، إذ بعضها أشد أذى من بعض أو لمعنى فيها، أو يكون ذلك مختلفاً باختلاف المواضع، فيكون القيراطان في المدائن ونحوها، والقيراط في البوادي أو يكون ذلك في زمنين. فذكر القيراط أولاً ثم زاد في التغليظ، فذكر القراطين. والمراد بالقيراط مقدار معلوم عند الله عز وجل ينقص من أجر عمله. واختلفوا في المراد بما نقص منه. فقيل: مما مضى من عمله، وقيل: من مستقبله، وقيل: قيراط من عمل الليل، وقيراط من عمل النهار، وقيل: قيراط من عمل الفرض، وقيراط من عمل النفل.

وأول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام، روى القاسم بن سلمة، بإسناده عن علقمة عن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال: أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام، وذلك أنه قال: يا رب أمرتني أن أصنع الفلك وأنا في صناعته أصنع أياماً، فيجيئون في الليل فيفسدون كل ما عملت، فمتى يلتئم لي ما أمرتني به فقد طال علي أمدي؟ فأوحى الله إليه: يا نوح اتخذ كلباً يحرسك، فاتخذ نوح عليه السلام كلباً، وكان يعمل بالنهار وينام بالليل. فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل عمله نبحهم الكلب فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب لهم فيهربون منه. فالتأم له ما أراد.

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح، في مناسكه في قوله ﷺ: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس»: فإن وقع ذلك من جهة غيره، ولم يستطع إزالته فليقل: اللهم إني أبرأ إليك مما فعله هؤلاء، فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم ومعونتهم أجمعين. وأما قوله[1] ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة». فقال العلماء: سبب امتناعهم من البيت الذي فيه صورة، كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى وسبب امتناعهم من البيت الذي فيه الكلب كثرة أكله النجاسات، ولأن بعض الكلاب يسمى شيطاناً. كما جاء في الحديث و«الملائكة ضد الشياطين»، ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة الخبيثة، ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبركها عليه في بيته، ودفعها أذى الشياطين.

والملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة هم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار، وأما الحفظة والموكلون بقبض الأرواح فيدخلون في كل بيت، ولا تفارق الحفظة بني آدم في حال من الأحوال، لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها.

قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة، مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس اقتناؤه بحرام من كلب الصيد، والزرع والماشية، والصورة التي تمتهن في

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ٧ ـ ١٧، مغازي ١٢، لباس ٨٨. ومسلم: لباس ٨١.

البساط والوسادة وغيرهما، فلا يمتنع دخو الملائكة بسببه. وأشار القاضي إلى نحو ما قال الخطابي، قال النووي: والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة، وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث. ولأن الجرو الذي كان في بيت رسول الله ﷺ تحت السرير، كان له فيه عذر ظاهر، فإنه لم يعلم به ومن هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت بسببه، فلو كان العذر في وجود الكلب والصورة لا يمنعهم لم يمتنع جبريل عليه السلام.

قال الجاحظ: روي أن جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذهبوا إلى بيت رجل من الأنصار ليعودوه في مرض، فهرت في وجوههم كلاب من دار الأنصاري، فقال الصحابة: لا تدع هؤلاء من أجر فلان شيئاً، كل كلب من هؤلاء ينقص من أجره كل يوم قيراطاً. فدل هذا على أن القيراط يتعدد بتعدد الكلاب، وقد سئل الشيخ الإمام تقي الدين السبكي عن ذلك فأجاب بأنه لا يتعدد كما لو ولغت الكلاب في الإناء، فإن الأصح عدم تعدد الغسلات، وقد قالوا بتعدد القيراط إذا صلى على جنائز دفعة واحدة.

وقال الغزالي في منكرات الشرع من الإحياء: من كان له كلب عقور على باب داره، يؤذي الناس يجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه، بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق، أو يقعد قعوداً يضيق الطريق، فكلبه أولى بالمنع. ولا يصح بيع جميع الكلاب عندنا، خلافاً لمالك، فإنه أباح بيعها، حتى قال سحنون: ويحج بثمنها. وقال أبو حنيفة: يجوز بيع غير العقور. والأصح عدم صحة إجارة الكلاب المعلمة، لأن اقتناءها لهذه المنافع إنما جوز لأجل الحاجة، وما جوز للحاجة لا يجوز أخذ العوض عليه، ولأنه لا قيمة لعينه، فكذلك منفعته. وقال صاحب التلخيص: لا تجوز لأنها منفعة مقصودة، واختاره الروياني وابن أبي عصرون، وبناهما الماوردي على اختلاف أصحابنا في أن منفعة الكلب، هل هي مملوكة أو مستباحة؟ وفيها وجهان: فعلى الأول يجوز إجارته، وعلى الثاني لا.

ومن أحكامه: أن من كان في داره كلب عقور فاستدعى إنساناً فعقره وجب عليه ضمانه على الأصح في تصحيح النووي. وقيل: لا قطعاً، وهو المجزوم به في أصل الروضة، لأن للكلب اختياراً، ويمكن دفعه بعصا وغيرها، هذا إذا لم يعلم الداخل أنه عقور، فإن علم ذلك فلا ضمان جزماً، وكذلك لو كان مربوطاً فسار إليه المستدعي جاهلاً بحاله، فلا ضمان أيضاً، ومن له كلب عقور ولم يحفظه فقتل إنساناً في ليل أو نهار، ضمنه لتفريطه. وفي معناه الهرة المملوكة التي تأكل الطيور كما سيأتي، إن شاء الله تعالى في باب الهاء. وقيل: لا ضمان فيها لأن العادة لم تجر بربطها.

فرع: لو سرق قلادة من عنق كلب، أو سرقها مع الكلب، قطع وحرز الكلب كحرز الدواب. وإذا وقع في الغنيمة كلب ينتفع به للاصطياد، أو الماشية والزرع. حكى الإمام عن العراقيين أن للإمام أن يسلمه إلى واحد من المسلمين، لعلمه بحاجته إليه، ولا يحسب عليه، واعترض بأن الكلب منتفع به، فليكن حق اليد فيه لجميعهم كما لو مات وله كلب لا يستبد به بعض الورثة. الموجود في كتاب العراقيين، انه إن أراده بعض الغانمين أو أهل الخمس، ولم ينازعه

غيره سلم إليه، وإن تنازعوا فإن وجدنا كلاباً وأمكنت القسمة عدداً قسم، وإلا أقرع بينهم. وهذا هو المذهب، وههنا المعتبر قيمتها عند من يرى لها قيمة ويعتبر منافعها، كما في الوصية من الروضة.

تتمة: قوله تعالى: ﴿تعلمونَهن مما علّمكم الله﴾[1] أي من العلم الذي كان علمكم الله دل على أن للعالم فضيلة ليست للجاهل، لأن الكلب إذا علم تحصل له فضيلة على غير المعلم، والإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على غيره كالجاهل، لاسيما إذا عمل بما علم. كما قال علي رضي الله تعالى عنه: لكل شيء قيمة، وقيمة المرء ما يحسنه. وقال لقمان لابنه، واسمه ثاران: وقيل: أنعم يا بني لكل قوم كلب، فلا تكن كلب قومك. وروى الإمام أحمد، في مسنده، والبزار والطبراني، من حديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال[2]: «ضاف رجل رجلاً من بني إسرائيل، وفي داره كلبة مجح، فقالت الكلبة: لا والله لا أنبح ضيف أهلي! قال: فعوت جراؤها في بطنها فقيل: ما هذا؟ فأوحى الله إلى رجل منهم: هذا مثل أمة تكون من بعد يقهر سفاؤها حلماءها». والمجح بالجيم المكسورة قبل الحاء المهملة. قيل: هي الحامل التي قرب ولادتها.

وفي صحيح[3] مسلم وسنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ أتي بامرأة مجح على باب فسطاط، فقال النبي ﷺ: «لعله يريد أن يلم بها». فقالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له».

الأمثال: قال الله تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتِنا فانسلخَ منها فأتبعه الشيطانُ فكان من الغاوين لو شِئْنا لرفعناهُ بها ولكنه أخلدَ إلى الأرضِ واتبعَ هواهُ فمثلَه كَمثَل الكلبِ إنْ تحمل عليه يلهثْ أو تتركْه يلهثْ﴾[4] قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أجمعين: هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء، وقيل بلعام بن باعر، وقال عطية عن ابن عباس: أصله من بني إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين.

وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء، وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدي وغيرهما أن موسى ﷺ لما قصد حرب الجبارين، ونزل أرض كنعان من أرض الشأم، أتي قوم بلعم وكانوا كفاراً، وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم، وكان مجاب الدعوة، فقالوا له: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا، ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج وادع الله أن يردهم عنا.

فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم، وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي!؟ فراجعوه وألحوا عليه، فقال: حتى أؤامر ربي

---

(١) سورة المائدة: آية ٤.

(٢) رواه ابن حنبل: ٢ ـ ١٧٠.

(٣) رواه مسلم: طلاق ٢٩.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٧٥.

وكان لا يدعو بشيء، حتى ينظر ما يؤمر به في المنام، فوامر بالدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم. فقال لهم: إني قد آمرت ربي وإني نهيت. فأهدوا له هدية فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أؤامر ربي فآمره، فلم يجز إليه بشيء. فقال: قد وامرت فلم يجز إلي بشيء. فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم، لنهاك كما نهاك المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن. وركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلع منه على عسكر بني إسرائيل، يقال له حسان، فما سار عليها غير كثير حتى ربضت به فنزل عنها، وضربها حتى إذا أذلقها الضرب، قامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل ذلك، فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، فضربها حتى أذلقها، فأذن الله تعالى لها بالكلام، فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامي يردوني عن وجهي هذا أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين، تدعو عليهم؟ فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان، جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذي كان عنده، فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل في التيه.

فقال موسى: يا رب بأي ذنب أوقعتنا في التيه؟ قال تعالى: بدعاء بلعام. قال موسى عليه السلام: يا رب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائي عليه. فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم. فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها، فخرجت من صدره كحمامة بيضاء. قاله مقاتل.

وقال ابن عباس والسدي: لما دعا بلعام على موسى وقومه، قلب الله لسانه، فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو بشيء من الخير، إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: يا بلعم أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وعلينا! فقال: هذا ما أملك، هذا شيء قد غلب الله عليه، فنسي الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره. فقال لهم: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال عليهم، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبتعنها فيه، ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إنْ زنى واحد منهم كُفيتموهم. ففعلوا.

فلما أتى النساء العسكر، مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بني إسرائيل، يقال له زمري بن شلوم، رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام، فقال: إني أظنك ستقول هذا حرام علي! فقال موسى: أجل هي حرام عليك لا تقربنها. قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبة، فوقع عليها، فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت.

وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى عليه السلام، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق، وقوة في البطش وكان غائباً، حين صنع زمري بن شلوم ما صنع، فجاء الطاعون يجوس بني إسرائيل، فأخبر الخبر فأخذ حربته، وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان، فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى الحيية وكان بكر العيزار، فجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك، فرفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل بالطاعون فيما

بين أصْحاب زمري المرأة إلى أن قتلها فنحاص، فوجد قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار. فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها: القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى الحيية، والبكـر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار. ويقال: إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كانا في الحربة كحالهما في حالة الزنـا. فكان ذلك آية.

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، أن هذه الآية نزلت فـي أمية بن أبي الصلت، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولاً من العرب، فرجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله تعالى محمداً ﷺ حسده وكفر به، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة، وكان قصد بعض الملوك، فلما رجع مر على قتلى بدر، فسأل عنهم من قتلهم؟ فقيل قتلهم محمد ﷺ. فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه. وسيأتي إن شاء الله تعالى له ذكر في الوعل أيضاً.

وقـالت فرقـة: إنها نزلت في رجـل من بني إسرائيل، كـان قد أعـطي ثـلاث دعـوات مستجابات، وكانت له امرأة له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة، فقال: لك منها واحدة فما تريدين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها. فكانت كذلك. فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه، فغضب الزوج، ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا على هذا قرار، وقد صارت أمنا كلبة نباحة، والناس يعيروننا بها، ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليه، فدعا الله لها فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات كلها. والقولان الأولان أظهر.

وقال الحسن وابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ، كما يعرفون أبناءهم. وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله. قال الله تعالى: ﴿ولو شِئْنا لرفعناه بها﴾(١) أي وفقناه للعمل بها، فكنا نرفع بذلك منزلته في الدنيا والآخرة. ولكنه أخلد إلى الأرض، أي ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها.

قال الزجاج: خلد وأخلد واحد، وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام. يقال: أخلد فلان بالمكان، إذا أقام به. والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض. واتبع هواه انقاد إلى ما دعاه إليه الهوى، فعوقب في الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب، فشبه به صورة وهيئة. قال القتبي: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال التعب وحال الراحة، وفي حال الري وحال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذّب بآيات الله. فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال كالكلب، إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى.

واللهث تنفس بسرعة، وتحرك أعضاء الفم معه، وامتداد اللسان وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال. قال الواحدي وغيره: وهذه الآية من أشد الآي على ذوي العلم، وذلك أن الله

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٦.

تعالى أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم، والدعوات المستجابة والعلم والحكمة، فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه، والانسلاخ عنها. ومن الذي يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصمه الله تعالى! نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه. وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ قال[1]: «الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه». وفي رواية: «كمثل الكلب يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله».

قال عمر رضي الله تعالى عنه: حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده، فأردت أن أشتريه وظننت أن يبيعه برخص فسألت النبي ﷺ، فقال: «لا تشتره ولو باعكه بدرهم، ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته، كالعائد في قيئه». وقال الجاحظ: لكل جيفة كلب، ولكل قدر طالب، ولكل نحو راغب، ولكل وسخ حامل، ولكل صم جارع، ولكل طعام آكل، ولكل ساقط لاقط، ولكل ثوب لابس، ولكل فرج ناكح انتهى.

وقالت العرب: «آلف[2] من كلب» و«أبصر[3] وأبخل[4] وأطوع[5] وأفحش[6] وألأم[7] وأبول[8]» فيجوز أن يراد به البول نفسه ويجوز أن يراد به كثرة الجراء، فإن البول في كلام العرب يكنى به عن الولد. وبذلك عبر ابن سيرين رحمه الله تعالى عليه، رؤيا عبد الملك بن مروان لما رأى أنه بال في محراب مسجد رسول الله ﷺ أربع مرات، فكتب إليه: إن صدقت رؤياك، فسيقوم من أولادك أربعة في المحراب، ويتقلدون الخلافة بعدك فوليها أربعة خلفاء من صلبه: الوليد وسليمان وهشام ويزيد.

وقالوا: «سمن كلبك يأكلك»[9]، وهو قريب من قولهم: «اتق إساءة من أحسنت إليه»، وقالوا: «جوع[10] كلبك يتبعك»، يضرب في معاشرة اللئام، وقالوا: «الكلاب على البقر»[11]، برفعها ونصبها، فالنصب على إضمار فعل تقديره خل كلاب الصيد، أودع الكلاب على بقر الوحش لتصطادها، والرفع على الابتداء، وما بعده خبره. ومعنى المثل: «إذا أمكنتك الفرصة فاغتنمها». ويقال: معناه خل بين الناس خيرهم وشريرهم، واغتنم أنت طريق السلامة. وقد سئلت عن قول[12] الأخطل:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبَهم ... قالوا لأمِّهم بولي على النار
فتمسكُ البولَ بخلا أو تجودُ به ... وما تبولُ لهم إلا بمقدار
والخبزُ كالعنبرِ الورديِّ عندَهم ... والقمحُ سبعون أردبا بدينار[13]

---

(١) رواه البخاري: هبة ٣. ومسلم: هبات ٥، ٦.
(٢) مجمع الأمثال: ١/٨٧.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/١٩٥.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/٢٠١.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/٢٤.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/٩١.
(٧) جمهرة الأمثال: ٢/١٨١.
(٨) جمهرة الأمثال: ١/٢٠٥.
(٩) المستقصى: ٢/١٢١.
(١٠) مجمع الأمثال: ١/١٦٥.
(١١) جمهرة الأمثال: ٢/١٤١.
(١٢) ديوان الأخطل: ١٦٦.
(١٣) الإردب: مكيال للحبوب.

فقلت: هذا عكسُ قولِ شاعرِ[1] الأنصار حيث يقول:

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم ... يوماً بجلّقَ في الزمانِ الأولِ
أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهم ... قبر ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضَّلِ
يغشون حتى ما تهرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السوادِ المقبلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأول

ومن شعر العتابي[2] رحمه الله تعالى:

طافَ الخيالُ بنا ليلاً فحيّانا ... أهلاً به من ملمٍّ زارَ عجلانا
ما ضرّ زائرنا المهدى تحيته ... في النومِ إذ زارنا لو زارَ يقظانا
إني أهتدي وسوادُ الليلِ معتكرٌ ... على تباعدِ مسراهُ ومسرانا
إن الأماني قد خيلن لي سكناً ... ردتْ تحيته قلبي كما كانا
حتى إذا هو ولى وانتبهتُ له ... هاجتْ زيارتُه شوقاً وأحزانا

وقال علي بن محمد بن نصير في المعنى بيتاً مفرداً:

وكان خيالُها يشفي سقاماً ... فضنّتْ بالخيالِ على الخيالِ

وقالوا: «أشكر[3] من كلب».

حكى محمد بن حرب، قال: دخلت على العتابي فوجدته جالساً على حصير، وبين يديه شراب في إناء، وكلب رابض بالفناء بحياله، يشرب كأساً ويولغه أخرى، فقلت له: ما الذي أردت بما اخترت؟ فقال: أسمع أنه يكف عني أذاه، ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي، وهو من بين الحيوان خليلي. قال ابن حرب: فتمنيت والله أن أكون كلباً له لأحوز هذا النعت منه.

الخواص: لحمه يعلو شحمه، بخلاف لحم الشاة، فإن شحمها يعلو لحمها، فإذا ارتضعت الشاة من كلبة كان لحمها على صفة لحم الكلاب، وفي ذلك قصة شهيرة لربيعة ومضر وأنمار وإياد، تقدمت في باب الهمزة في الأفعى.

قال السهيلي: وفي الحديث «لا تسبوا ربيعة ومضر، فإنهما كانا مؤمنين». قال: وإنما سمي ربيعة الفرس لأنه أعطي من ميراث أبيه الخيل، وأعطي أخوه الذهب، فسمي مضر الحمراء. ولا تقول العرب إلا ربيعة ومضر ولا يقولون مضر وربيعة أصلاً.

---

(١) ديوان حسّان بن ثابت: ٣٦٤.

(٢) العتابي: كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو. كاتب مترسل، جيد الشعر من أهل الشام، سكن بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره. مات سنة ٢٢٠ هـ.

(٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٦٢.

ومن خواص الكلب العجيبة، أنه لا يلغ في دم مسلم. قال القاضي عياض، في الشفاء: أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري، وكان شاعراً ماهراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن أبي طالب، طلباً للمناظرة فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقتل ثم صلب منكساً، وأنزل وأحرق بالنار، ولما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي، استدارت وتحولت عن القبلة، وجاء كلب فولغ في دمه. فقال يحيى بن عمر: صدق رسول الله ﷺ فإنه قال: «لا يلغ الكلب في دم مسلم».

وإذا قطع لسان كلب أسود، وأخذه إنسان في يده، لم تنبح عليه الكلاب، وإن أخذت قرادة من أذن كلب، وأمسكها إنسان في يده خضعت له الكلاب كلها حتى ذلك الكلب المأخوذة منه. وإن علقت أسنانه على صبي، خرجت أسنانه من غير تعب، وأنيابه إذا علقت على من به عضة الكلب الكلب سكن عنه وجعها، وإذا علقت على من به اليرقان الظاهر نفعه، وإن حمل إنسان معه ناب الكلب لم تنبحه الكلاب. وذكره إذا جفف وعلق على الفخد هيج الباه. ومن كان يلقى من القولنج شدة، فليقم كلباً نائماً وليبل في مكانه، فإنه يزول عنه من وقته ويموت الكلب. ونابه إذا علق على من يتكلم في نومه سكن، ولبن الكلبة إذا طلي به الشعر حلقه، وإن شرب بالماء سكن من وقته السعالي. وبوله إذا طلي به على الثآليل قلعها، وقراده إذا نقع في نبيذ وشربه شارب سكر من وقته. وشعر الكلب الأسود البهيم، إذا علق على المصروع نفعه، ومن كان عنده عبد أبق وأحب أن لا يأبق، فليأخذ جرو كلب صغيراً فيحرقه ثم يسحقه بزيت، ويطلي به رأسه فإنه لا يأبق، مجرب، قاله القزويني وغيره. ولبن الكلبة إذا شرب نفع من السموم القاتلة، ويخرج الأجنة والمشيمة، ومن اكتحل بلبن كلبة سهر ليله كله. وزبله إذا سحق وعجن بماء الكزبرة، وطلي به الأورام الحادة نفعها بإذن الله تعالى.

التعبير: الكلاب في الرؤيا عند المسلمين عبيد، وفي الحديث «أن الكلب من الممسوخ»، وأوله المعبرون برجل سفيه مجترىء على العاصي، وإذا نبح فهو سفيه مشنع طمع، فمن رأى كلباً عضه أو خدشه، ناله من عدوه هم بقدر الألم، وربما مرض، وربما دلت رؤية الكلب على الانكلاب على الدنيا، مع عدم الادخار ورؤية كلب أهل الكهف في المنام، تدل على الخوف أو السجن أو الهرب أو الاختفاء، ورؤيته في البلد دليل على تجديد ولاية، وربما دل الكلب على الكفر والإياس من رحمة الله تعالى، لقوله[1] تعالى: ﴿فمثله كمثلِ الكلبِ﴾ الآية.

وكلب الصيد عز ورفعة ورزق، وكلب الماشية رجل صاحل غيور على الأهل والجار، قاله ابن المقري. ومن رأى كلباً مزق ثيابه، فإن سفيهاً يغتابه، وإن لم يسمع نباحه فهو عدو، وتزول عداوته بشيء يسير.

والكلب يعبر برجل من الأهل، فمن نازعه كلب نازعه رجل من أهله، وربما عبر بالمشنع إذا نبح، أو بسباع نواح، أو بفتح بيت الخلاء. والكلبة امرأة دنيئة من قوم معاندين، والجرو ولد

(١) سورة الأعراف: آية ١٧٦.

محبوب، فإن كان أبيض فهو مؤمن، وإن كان أسود فهو يسود قومه، وقيل: جرو الكلب لقيط سفيه، والكلب الكلِب سفيه أيضاً. ورؤية كلب الراعي تدل على فائدة من ملك أو والٍ، والكلب الذي يصاد به ملك وولاية، لمن رآه إذا كان أهلاً لذلك، أو يصير إليه شيء يستغني به لقوله[1] تعالى: ﴿وما علمتم من الجوارحِ مُكلبين﴾ والكلب الصيني يدل على مخالطة قوم من الأعجام غير مسلمين.

ومن رأى أنه يصيد بالكلاب، فإنه يعطى بغيته وينال مناه، وقال ارسطاميدورس: من رأى كلاب الصيد خارجة فهي دليل خير لطالب الرزق والخدمة، وإذا رآها داخلة من الصيد، فإنها تدل على البطالة. والكلب الحارس في المنام يدل على صيانة الزوجة والمال. وقيل: الكلاب في المنام تدل على قوم أذلة. ومن رأى أنه صار كلباً، فإن الله تعالى قد آتاه علماً فنسيه، لقوله تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتِنا فانسلخَ منها﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿فمثلُه كَمَثلِ الكلبِ﴾[3] الآية.

وقيل: الكلاب تعبر بغلمان الشرطة، والكلب عدو ضعيف لتحوله عن جوهر السباع، ثم يصير صديقاً بعد العداوة، لقصة آدم عليه السلام، لما أهبط إلى الأرض وقد تقدم طرف منها، فجعل في التأويل عدواً ثم يرجع صديقاً.

ومن الرؤيا المعبرة أن سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه،رأى كأن كلبة من مكة تهر على الناس، فلما دنوا منها، استلقت على ظهرها ودرت ثدياها لبناً، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال: «ذهب كلبهم، وأقبل درهم، وستلقونهم بعد ويسألونكم أرحامهم فإذا لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه». فلما قدم المسلمون لفتح مكة، قاتل بعضهم وكان ما أخبر النبي ﷺ. ومن الرؤيا المعبرة أيضاً أن رجلاً أتى ابن سيرين، فقال: رأيت كلبين يقتتلان على فرج زوجتي، فقال: إنها أخذت المقراض، وجزت شعر فرجها والله تعالى أعلم.

خاتمة: ومن الفوائد المجربة أن يكتب في إناء حديد، ويمسح بزيت، ويسقى للمكلوب، فإنه يشفى بإذن الله تعالى وهي هذه الأحرف: (ا ب ج م ا ع ه د باب اللد)، ويكتب أيضاً للحامل في إناء جديد، ويغسل بماء ويسقى فإنه نافع إن شاء الله تعالى والله أعلم.

كلب الماء: تقدم في القاف أنه القندس. وقال في عجائب المخلوقات: كلب الماء معروف، وهو حيوان مشهور يداه أطول من رجليه يلطخ بدنه بالطين، فيحسبه التمساح طيناً، ثم يدخل جوفه فيقطع أمعاءه ويأكلها، ثم يمزق بطنه ويخرج. قال: ومن خواصه أن من كان معه شحم كلب الماء، أمن من غائلة التمساح. وذكر بعضهم أن جلد الجندبادستر خصية هذا الحيوان. وقد تقدمت صفة ذلك في باب الجيم.

الحكم: سئل الليث بن سعد عن أكل لحم كلب الماء؟ فقال: لا بأس به، وقد تقدم في عموم السمك، أنها تحل إلا أربعة ليس هذا منها. وقيل: لا يؤكل لأن شبهه في البر لا يؤكل.

---

(١) سورة المائدة: آية ٤. (٢) سورة الأعراف: آية ١٧٥. (٣) سورة الأعراف: آية ١٧٦.

الخواص: دم كلب الماء يخلط بماء الكمون الكرماني ويشرب في الحمام ينفع من تقطير البول وعسره، ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالاً، ومرارته قدر عدسة منها، سم قاتل. وقال ابن سينا: إن خصيته تنفع من نهش الحيات، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يذهب عنه ذلك ويبرأ.

الكلثوم: الفيل قاله ابن سيده. وقد تقدم حكمه في باب الفاء.

الكلكسة: قال قوم: إنه ابن عرس، وقال قوم: إنه حيوان آخر غير ابن عرس، وزبله إذا سحق وديف بالخل، وطلي به مواضع النملة الظاهرة، نفع نفعاً بيناً. وفي كتاب دمقراطيس، أن الكلكسة تبيض من فيها.

الكميت: الفرس الشديد الحمرة، ولا يقال كميت، حتى يكون عرفه وغرته وذنبه سوداً، وإن كانت حمراً فهو أشقر، والورد فيما بين الكميت والأشقر، والجمع وردان. والكميت من أسماء الخمر، قال الشيخ صلاح الدين الصفدي[1]، وفيه تورية:

وحمراءَ لما ترشفتُها ... جنيتُ بها اللهو فيما جنيتُ
ونلتُ المسراتِ دون الورى ... لأني سبقتُهم بالكميت

الكندارة: سمكة لها سنام معروفة عند أهل البحر.

الكنعبة: الناقة العظيمة، وسيأتي إن شاء الله تعالى، حكم الناقة في باب النون.

الكَنعد والكنعد: كجعفر ضرب من السمك، قاله الجوهري وأنشد لجرير[2]:

قومٌ إذا جعلوا في صيرِهم بصلا ... ثم اشتووا كنعَداً من مالحٍ جدَفوا

الكندش: العقعق، قال[3] أبو المغطش الحنفي يصف امرأة:

منيتُ بزمردةٍ كالعصا ... ألصُّ وأخبثُ من كندشِ

ولفظ زمردة فارسي معرب أي امرأة الرجل.

الكهف: الجاموس المسن، وقد تقدم حكمه في باب الجيم.

الكودن: البرذون البطيء، وقال الجوهري: هو البرذون يوكف ويشبه به البليد، وقال ابن سيده: الكودن البرذون، وقيل: البغل. وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ «لم يعط الكودن شيئاً». وفي رواية: «أعطاه دون سهم العراب». رواه الطبراني. وفي إسناده أبو

---

(١) الصفدي: خليل بن أيبك بن عبدالله، صلاح الدين، أديب مؤرخ كثير التصانيف. مات في دمشق سنة ٧٦٤ هـ.

(٢) ديوان جرير (طبعة دار المعارف) جـ ١/١٧٧. وفيه: «واستوسقوا مالحاً من كنعدٍ جذفوا».

(٣) البيت في الحيوان للجاحظ ٣٩/٤ ونسبه إلى دعبل الخزاعي.

بلال الأشعري وهو ضعيف.

الكوسج: سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار، تفترس، وربما التقمت ابن آدم وقصمته نصفين، وهي القرش. ويقال لها: اللخم أيضاً، ويقال: إنها إذا صيدت بالليل وجدوا في جوفها شحمة طيبة، وإن صيدت نهاراً لم يجدوها.

وقال القزويني: الكوسج نوع من السمك، وهو في الماء شر من الأسد في البر، يقطع الحيوان في الماء بأسنانه، كما يقطع السيف الماضي. قال: ورأيته وهو سمكة مقدار ذراع أو ذراعين، وأسنانه كأسنان الناس، تنفر منه الحيوانات البحرية، وله أوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة.

وحكمه عند الإمام أحمد تحريم الأكل. وقال أبو حامد من أصحابه: لا يؤكل التمساح، ولا الكوسج لأنهما يأكلان الناس. ولأنه ذو ناب انتهى. ومقتضى مذهبنا أنه حلال، ومن ألحقه بالقرش أجرى عليه حكمه الذي تقدم في باب القاف.

الكهول: قال الأزهري: هو بفتح الكاف وضم الهاء العنكبوت، ومنه قول عمرو لمعاوية رضي الله تعالى عنهما: أتيتك وأمرك كحق الكهول. أي ضعيف كبيت العنكبوت. وضبطها الخطابي والزمخشري بغير ذلك، لكن قالا: إنها العنكبوت أيضاً.

باب اللام

لأي: على وزن لعي هو الثور الوحشي، والجمع ألآء على وزن ألعاء، مثل جبل وأجبال. والأنثى لأة. وقال الفارسي: يجوز أن تكون ألفه منقلبة عن ياء من اللاي. وقال في المحكم: ويجوز أن تكون منقلبة عن واو من اللاو، لأن الثور يوصف بالقوة كما قال ابن عقيل[1]:

يمشي بها دبُّ الزنادِ كأنه فتى فارسي من سراويلِ رامح

وقد تقدم في باب الباء الموحدة، في ذكر أدم أهل الجنة أن النبي ﷺ قال: «أدامهم بالام ونون»[2]. قالوا: ما هذا؟ قال: ثور وحوت. قال السهيلي، في أول الروض في لؤي: اسم جد النبي ﷺ قال ابن الأنباري: إنه تصغير اللأي، وهو الثور الوحشي. وقال أبو حنيفة: اللأي البقرة، قال: وسمعت أعرابياً يقول بكم لأك هذه.

اللباد: بضم اللام، قاله الزبيدي في الأبنية، اسم طائر يلبد في الأرض، ولا يكاد يطير، إلا أن يطار، ولبد آخر نسور لقمان، وهو ينصرف لأنه ليس بمعدول، وخبره يأتي في باب النون في النسر إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن عقيل: عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله بن محمد القرشي، ولد ونشأ في القاهرة، وهو من أئمة النحو. مات سنة ٧٦٩ هـ.

(٢) رواه مسلم: منافقين ٣٠. والبخاري: رقائق ٤٤.

الأمثال: قالوا: «أهرم[1] من لبد». قال[2] الشاعر:

إن معاذَ بن مسلمٍ رجلٌ ليس لميقاتِ عمرِه أمدُ
قد شابَ رأسُ الزمانِ واكتهل الـ ـدهر وأثوابُ عُمرِه جددُ
قلْ لمعاذَ إذا مررتَ به قد ضجّ من طول عمركَ الأبدُ
يا بكر حواءَ كم تعيشُ وكم تسحبُ ذيلَ الحياةِ يا لبد
مصححاً كالظليمِ ترفلُ في برديك مثلَ السعيرِ تتقدُ
صاحبتَ نوحاً ورضت بغلَة ذي الـ ـقرنين شيخاً لولدك الولد
فارحلْ ودعنا فإن غايتَك الـ ـموتُ وإن شد ركنك الجلدُ

اللبوءة: بضم الباء وبعدها همزة: أنثى الأسد، واللبأة واللبوة، ساكنة الباء، غير مهموزة لغتان فيها حكاهما ابن السكيت، ويقال لها: العرس أيضاً.

قال عون بن أبي شداد العبدي: بلغني أن الحجاج بن يوسف الثقفي، لما ذكر له سعيد بن جبير رحمة الله تعالى عليه، بعد قتل عبد الرحمن بن الأشعث[3]، أرسل إليه قائداً من أهل الشأم من خاصة أصحابه، فبينما هم يطلبون، إذا هم براهب في صومعة له، فسألوه عنه فقال الراهب: صفوه لي. فوصفوه له، فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي ربه تعالى بأعلى صوته، فدنوا منه وسلموا عليه فرفع رأسه، فأتم بقية صلاته، ثم رد عليهم السلام، فقالوا له:

إن الحجاج أرسل إليك فأجبه. فقال: ولا بد من الإجابة؟ فقالوا: لا بد. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قام يمشي معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم. فقال لهم: اصعدوا الدير، فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك، وأبى سعيد رضي الله عنه، أن يدخل الدير! فقالوا: ما نراك إلا تريد الهرب منا؟ قال: لا ولكني لا أدخل منزل مشرك أبداً. فقالوا: إن لا ندعك فإن السباع تقتلك.

قال سعيد: فإن معي ربي يصرفها عني، ويجعلها حراساً حولي تحرسني من كل سوء، إن شاء الله تعالى. قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكني عبد من عباد الله خاطىء مذنب. قالوا له: فاحلف لنا أنك لا تبرح. فحلف لهم. فقال لهم الراهب: اصعدوا الدير، وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح، فإنه كره الدخول علي في الصومعة، فدخلوا وأوتروا القسي فإذا هم بلبوة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد بن جبير، تحككت به وتمسحت به، ثم ربضت قريباً منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك، فلما رأى الراهب ذلك دخلت

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢٩٣/٢.
(٢) وفيات الأعيان: ٢١٨/٥، والأبيات لأبي السري سهل بن أبي غالب، وكان مقرّباً من هارون الرشيد.
(٣) ابن الأشعث: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، قائد شجاع، ثار على الحجّاج وقاتله، وانتهى الأمر بمقتله سنة ٨٥ هـ.

في قلبه هيبة، فلما أصبحوا نزلوا إليه، فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيه ﷺ فقرر له سعيد ذلك كله، فأسلم الراهب وحسن إسلامه.

وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل يصلون عليه، ويقولون: يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت. فقال سعيد: امضوا لشأنكم فإني لائذ بخالقي ولا راد لقضاء ربي.

فساروا حتى وصلوا إلى واسط، فلما انتهوا إليها، قال لهم سعيد رضي الله تعالى عنه: يا معشر القوم، قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد قرب وحضر، وأن المدة قد انقضت ودنت، فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، وما يحثى علي من التراب، فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون، فقال بعضهم: لا نريد أثراً بعد عين. وقال بعضهم: إنكم قد بلغتم أمنكم، واستوجبتم جوائزكم من الأمير، فلا تعجزوا عنه. وقال بعضهم: هو علي أدفعه إليكم إن شاء الله تعالى. فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه، وكان لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك، منذ لقوه وصحبوه، فقالوا بأجمعهم: يا خير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل لك، الويل لنا كيف ابتلينا بك! فاعذرنا عند خالقنا، يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر، والعادل الذي لا يجوز. فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة له ولهم، قال كفيله: أسألك بالله يا سعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لن نلقي مثلك أبداً.

فدعا لهم سعيد رضي الله تعالى عنه. ثم خلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه، وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت، ليله كله، وهم مختفون الليل كله فلما انشق عمود الصبح، جاءهم سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه فقرع الباب، فقالوا: صاحبكم ورب الكعبة، فنزلوا إليه فبكى وبكوا معه طويلاً، ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير، فلما مثل بين يديه قال له:

ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. فقال: بل أنت شقي بن كسير. قال سعيد: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. فقال الحجاج: شقيت أنت وشقيت أمك. فقال سعيد: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. قال: لو علمت أن بيدك لاتخذتك إلهاً. قال: فما قولك في محمد ﷺ؟ قال: نبي الرحمة. قال: فما قولك في علي أفي الجنة هو أم النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت أهلها عرفت من فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقه. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. قال: فما بالك لا تضحك؟ قال: أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب. قال: ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، وغير ذلك من الجواهر، فوضعت بين يدي سعيد، فقال سعيد رضي الله تعالى عنه: إن كنت جمعت هذا لتفدى به من فزع يوم القيامة، فصالح، وإلا ففزعة واحدة

تذهل كل مرضعة عما أرضعت، لا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بآلات اللهو، فضربت بين يدي سعيد فبكى سعيد. فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة، وأدخل النار. فقال: يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك بها؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة. قال: فتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو من الله فنعم، وأما منك أنت فلا. فقال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما أخرج من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده فقال: ما أضحكك وقد بلغني أن لك أربعين سنة لم تضحك؟ قال: ضحكت عجباً من جراءتك على الله، ومن حلم الله عليك، فأمر بالنطع فبسط بين يديه، وقال: اقتلوه.

فقال سعيد: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[1]. ثم قال: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين﴾[2]. قال: وجهوه لغير القبلة. فقال سعيد: ﴿فأيما تولوا فثمَّ وجهُ الله﴾[3] فقال: كبوه لوجهه. فقال: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدُكم ومنها نخرجُكم تارة أخرى﴾[4] فقال الحجاج: اذبحوه. فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. ثم قال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فذبح على النطع رحمة الله تعالى عليه، فكان رأسه يقول بعد قطعه: لا إله إلا الله مراراً. وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين. وكان عمر سعيد تسعاً وأربعين سنة، وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة، ولم يسلط على قتل أحد بعده.

ولما بلغ الحسن البصري[5] رضي الله تعالى عنه قتل سعيد بن جبير، قال: اللهم أنت على فاسق ثقيق رقيب، والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا في قتله، لكبهم الله تعالى في النار، والله لقد مات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى علمه. ونقل أن سعيداً رضي الله تعالى عنه كان يقول: وشى بي واشٍ، وأنا في بلد الله الحرام، أكله إلى الله، يعني خالد القسري.

وروي أن الحجاج لما حضرته الوفاة، كان يغيب ثم يفيق، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير. وقيل: إنه كان في مدة مرضه كلما نام، رأى سعيد بن جبير آخذاً بثوبه، وهو يقول: يا عدو الله فيم قتلتني فيستيقظ مذعوراً.

وروي أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، رآه بعد موته في المنام، وهو جيفة منتنة، وأنه قال له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة، وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتلة وقتله بسعيد سبعين قتلة؟ وقد قتل من هو أفضل من سعيد، وهو عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، لأنه صحابي،

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٥.
(٢) سورة الأنعام: آية ٧٩.
(٣) سورة البقرة: آية ١١٥.
(٤) سورة طه: آية ٥٥.
(٥) الحسن البصري: أبو سعيد بن يسار، إمام أهل البصرة في الفقه وله مواقف مشهودة مع الحجاج وقد سلّمه الله من أذاه. مات سنة ١١٠ هـ.

وسعيد بن جبير تابعي والصحابي أفضل من التابعي؟

فالجواب أن الحجاج لما قتل ابن الزبير، كان له نظراء في العلم من الصحابة، كابن عمرو وأنس بن مالك وغيرهما، ولما قتل سعيداً لم يكن له نظير في العلم، فضوعف عليه العذاب بسبب ذلك. ويشهد لهذا القول ما تقدم عن الحسن البصري، لا لكونه أفضل من ابن الزبير والله أعلم.

التعبير: اللبوة في المنام بنت ملك، فمن رأى أنه جامع لبوة نجا من شدة عظيمة، ويعلو شأنه ويظفر بأعدائه، فإن رأى ذلك ملك، وكان في حرب، فإنه يظفر بمن يحاربه ويملك بلاداً كثيرة. وقيل: إن اللبوة تعبيرها كالسبع والله أعلم.

اللجأ: بالجيم نوع من السلاحف يعيش في البر والبحر، ولها حيلة عجيبة وتوصل في صيد ما تصيده من طائر وغيره، وذلك أنها تغوص في الماء ثم تتمرغ في التراب، ثم تكمن للطير في مواضع شربها، فيختفي عليه لونها، فتمسكه وتغوص به في الماء حتى يموت.

ويقال: إن اللجأة تضع بيضها في البر، وأنها تحضنه بالنظر إليه. وقال أرسطاطاليس في النعوت: ما خرج من بيض اللجأة مستقبل البحر، صار إلى البحر، وما خرج منه مستقبل البر، صار إلى البر وكلهن يردن الماء، لأنهن من خلق الماء. قال: وهي تأكل الثعابين واللجأة البحرية لها لسان في صدرها من أصابته به من الحيوان قتلته. وقد تقدم ذكرها في باب السين.

الحكم: صرح بتحريمها وبعدم جواز أكلها البغوي والنووي في شرح المهذب.

الخواص: قال أرسطو: كبدها إذا أكل طرياً نفع من داء الكبد، ولحمها إذا طبخ بخل صفة السكباج وشرب من مرقته من به استسقاء نفعه، وأدبل بطنه، وهو يشد الفؤاد ويذهب الرياح السوداوية والله أعلم.

التعبير: اللجأة في المنام امرأة عفيفة، وسنة مقبلة ذات مال، وربما دلت على الوقاية من الأعداء، لاتخاذ الناس من ظهرها تجافيف يدفع الإنسان بها عن نفسه.

اللحكاء: قال الأزهري: هي بضم اللام وفتح الحاء المهملة والكاف، وبالألف والمد، ويقال له: اللحكة على مثال الهمزة واللمزة، وحكى ابن قتيبة، في أدب الكاتب، الحلكاء بفتح الحاء وإسكان اللام وبالمد، وحكى في المقصور والممدود، الحلكا بضم الحاء وفتح اللام المشددة وبالقصر، شحمة الأرض تغوص في الرمل كما يغوص طير الماء في الماء. وقال غيره: الحلكة بالهاء وهي فيما ذكروا دويبة كأنها سمكة تكون في الرمل، فإذا أحست بالإنسان، دارت في الرمل وغاصت فيه. وقال غير الأزهري: الحلكة بتقديم الحاء على اللام، وكذلك الحلكاء على مثال العنقاء.

وحكى صاحب جامع اللغة فيها القصر أيضاً. وقال الجوهري: اللحكة أظنها مقلوبة من الحلكة. قال ابن الصلاح[1]، في مشكل الوسيط الذي ضبطناه، عن الأزهري، صاحب كتاب

(١) ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الكردي، تقي الدين فاضل عالم في التفسير والفقه وأسماء الرجال درّس في القدس ودمشق ومات فيها سنة ٦٤٣ هـ.

تهذيب اللغة، الموثوق به: إنها مقصورة، وهي دويبة ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة، ويقال لها الحلْكة مثل الهمزة انتهى. وقال الماوردي، في الحاوي: اللحكاء تشبه السمك وهي عريضة من أعلى، دقيقة من أسفل. وقال ابن السكيت، في إصلاح المنطق: اللحكة دويبة شبيهة بالعظاءة، زرقاء تبرق وليس لها ذنب طويل كالعظاءة وقوائمها خفية. وهذا القول أحسن من الذي نقله ابن الصلاح عن تهذيب الأزهري.

وقد تقدم في حرف الحاء الحلكة. وقال الصيدلاني والروياني: إنها دويبة مثل الإصبع تجري في الرمل ثم تغوص فيه. وهذا يقوي قول الجوهري إنها مقلوبة من الحلكة، لأنه فسرها بهذا فعلى ما قاله الأزهري من كونها ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة حسن تشبيه العرب أصابع النساء بها، إلا أن الاشتقاق لا يساعده، لأن الحلكة فيها يظهر شدة السواد، مأخوذ من قولهم: أسود حالك، ولما كانت زرقاء لشدة سوادها سموها بهذا الاسم. والعرب تسميها بنات النقا لأنها تسكن نقيات الرمل.

الحكم: لا يحل أكلها لأنها من أنواع الوزغ.

اللخم: بضم اللام وإسكان الخاء المعجمة، ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج، وهو القرش كما تقدم. وأنشد ابن سيده لبعض الأدباء:

لصيدُ اللخمِ في البحر وصيدُ الأسْدِ في البر
وقضمُ الثلجِ في القُر ونقلُ الصخرِ في الحر
وإقدامٌ على الموت وتحويلٌ إلى القبر
لأشهى من طِلابِ العز ممن عاش في الفقر

وحكمه: حل الأكل فيما يظهر، وقد قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، في كتابه نهاية غريب الحديث ما نصه: في حديث عكرمة رضي الله تعالى عنه، اللخم حلال، وهو ضرب من سمك البحر يقال اسمه القرش ا هـ. وقد تقدم الكلام على القرش في باب القاف.

اللعوس: الذئب سمي بذلك لسرعة أكله.

اللعوة: بفتح اللام الكلبة، قالت العرب: «أجوع[1] من لعوة».

اللقحة: بالكسر والفتح، لغتان مشهورتان والكسر أشهر، والجمع لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك، وهي الناقة ذات اللبن، وقيل القريبة العهد من النتاج، وناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[2]: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة، والرجلان يتبايعان الثوب فلا يتبايعانه حتى تقوم الساعة، والرجل يليط حوضه فما يصدر حتى تقوم الساعة». وفيه من حديث النواس

(١) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٨. (٢) رواه مسلم: فتن ١٤٠.

بن سمعان في صفة الدجال: «ويبارك في الرسل يعني اللبن حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس». الفئام الجماعة الكثيرة مأخوذ من الكثرة، والفخذ بالذال المعجمة الجماعة من الأقارب، وهم دون البطن والبطن دون القبيلة. قال ابن فارس: الفخذ هنا باسكان الخاء المعجمة لا غير بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

وكان للنبي ﷺ عشرون لقحة بالغابة وهي على بريد من المدينة بطريق الشأم، كان يراح إليه ﷺ كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن، وكان أبو ذر رضي الله تعالى عنه فيها، وكان ﷺ يفرقها على نسائه وهي التي استاقها العرنيون وقتلوا راعيها يسارا ففعل رسول الله ﷺ بهم ما فعل.

وروى(1) الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أهدى إلى النبي ﷺ لقحة، فأثابه منها ست بكرات فتسخطها، فقال ﷺ: «من يعذرني من فلان؟ أهدى إلي لقحة فأثبته منها ست بكرات فتسخطها لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي» ثم قال: صحيح الإسناد.

وروى هو وأحمد والبيهقي، عن ضرار بن الأزور رضي الله تعالى عنه، قال: أهديت إلى النبي ﷺ لقحة، فأمرني أن أحلبها فحلبتها فجهدت حلبها، فقال ﷺ: «لا تفعل دع داعي اللبن». وروى البزار عن بريرة أن النبي ﷺ أمر بحلاب لقحة، فقام رجل فقال له ﷺ: «ما اسمك»؟ فقال: مرة. فقال ﷺ: «اقعد». فقام آخر، فقال له ﷺ: «ما اسمك»؟ قال: يعيش. فقال ﷺ له: «احلب».

ورواه مالك عن يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ قال للقحة تحلب: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل، فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك»؟ قال له الرجل: مرة. فقال له رسول الله ﷺ «اجلس». ثم قال: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل، فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك»؟ قال: حرب. قال: «اجلس». ثم قال ﷺ: «من يحلب هذه»؟ فقام رجل فقال له ﷺ: «ما اسمك»؟ قال: يعيش. فقال له ﷺ: «احلب».

ثم روى عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك؟ قال بحرة النار. قال: بأيها؟ قال: بذات لظى. فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: أدرك أهلك فقد احترقوا. قال: فكان كما قال عمر رضي الله تعالى عنه.

وفي السيرة أنه ﷺ لما خرج إلى بدر، مر برجلين فسأل عن اسمها، فقال له أحدهما: مسلخ والآخر مخذل، فعدل عن طريقهما، وليس هذا من الطيرة التي نهى ﷺ عنها، بل من باب كراهة الاسم القبيح. فقد كان ﷺ يكتب إلى أمرائه: «إذا أبردتم إلي بريداً، فأبردوه حسن

---

(1) رواه الدارمي: أضاحي ٢٥.

الاسم حسن الوجه». وفي حديث البزار ومالك زيادة، رواها ابن وهب وهي: فقام عمر فقال: لا أدري أقول أم أسكت؟ فقال له رسول الله ﷺ: «قل» قال: فكيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت؟ فقال ﷺ: «ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن».

وروى أبو داود والترمذي والحاكم وقال: صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[١]: «الطيرة شرك وما منا إلا من تطير ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل». قال الخطابي: معناه وما منا إلا من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه فحذفه اختصاراً للكلام، واعتماداً على فهم السامع. قال البخاري: كان سليمان بن حرب ينكر هذا، ويقول: هذا ليس من قول النبي ﷺ وكأنه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

قال الإمام عبد الصمد: لما رأيت في أطواق الذهب لجار الله العلامة أبي القاسم محمود الزمخشري قوله: رزق مبسوط ومقدر، وشرب صاف ومكدر، ورجل يحسو الماء القراح[٢]، وآخر درت له اللقاح، وما أوتي هذا من عجز ووهن، وما أوتي ذاك من فضل وذكاء ذهن، ولكن تقدير من بيده الملكوت، وإليه الكتاب الموقوت، ذكرت هذين البيتين:

لم أوتَ من طلب ولا جدٌّ ولا هم شريف
لكنه قدرٌ يزول من القوي إلى الضعيفِ

وما أحسن قول[٣] القائل حيث قال:

أنفقْ ولا تخشَ إقلالاً فقد قسمتْ على العبادِ من الرحمن أرزاقُ
لا ينفعُ البخلُ مع دنيا موليةٍ ولا يضرُّ مع الإقبال إنفاقُ

اللقوة: العقاب الأنثى، واللقوة بالكسر مثله. قال أبو عبيد: سميت لقوة لسعة أشداقها، وقيل: لاعوجاج منقارها، واللقوة مرض يميل به الوجه إلى جانب. واللقوة الناقة السريعة اللقاح، ولقوة لقب الحجاج بن يوسف الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر. روى عنه مسلم وأبو داود ووفاته سنة تسع وخمسين ومائتين.

اللقاط: بالتشديد طائر معروف، سمي بذلك لأنه يلقط الحب.

وحكمه: الحل، قال العبادي: اللقاط حلال، إلا ما استثناه النص. قال، في شرح المهذب: يعني به ذا المخلب وفيما قاله نظر، لأن المراد به ما يلقط الحب وذو المخلب، لم يدخل في اسم اللقاط حتى يصح استثناؤه منه، لكن يحتمل أنه أراد بالمستثنى الغراب الزرعي والاستثناء المنقطع لا تصح إرادته هنا، لأن الرافعي رحمه الله قد نقل بعد ذلك، عن البوشنجي، أن اللقاط حلال، بغير استثناء.

---

(١) رواه أبو داود: طب ٢٤. والترمذي سير ٤٦.
(٢) الماء القَراح: الماء الخالص.
(٣) البيتان لجحظة البرمكي كما في معجم الأدباء ٣١٩/١.

ولعل أبا عاصم أراد بالمستثنى بالنص غراب الزرع، والغداف الصغير فإنهم يلقطان الحب، ويأكلان الزرع. كما قاله الماوردي في الحاوي، وفيهما وجهان أصحهما في الروضة تحريم الغداف وحل الزرعي. وقد تقدم طرف من هذا في أحكام الغراب، لكن كلام الرافعي يقتضي حلهما، فمن قال بتحريمهما استثناهما من اللقاط، ولم يحمل الأمر الوارد بقتل الغراب على الأبقع وحده، بل عليه وعلى غيره.

ونقل الجاحظ هذا الاحتمال عن صاحب المنطق، فقال: قال صاحب المنطق: الغراب جنس من الأجناس التي أمر بقتلها في الحال والحرم، وهذا صريح في أن الجميع فواسق، وأن قتل جميعها مستحب.

وقد صرح في الحاوي باستحباب قتل الغراب الأسود الكبير، وألحقه بالأبقع وجعل النهي علة تحريمه، ومن قال: يحل اللقاط مطلقاً لم يستثن شيئاً، وحمل الأمر بقتل الغراب على الأبقع، لأنه قد ورد التقييد، في بعض الروايات بالغراب الأبقع. وهذا إنما يستقيم إذا قلنا: إنّ ذكر بعض أفراد العموم تخصيص، والصحيح أنه ليس بتخصيص. والغراب الأبقع، وإن كان يلقط الحب، فهو غير وارد على البوشنجي، لأن غالب أكله الخبائث، بخلاف الزرعي والغداف الصغير والله تعالى أعلم.

اللقلق: طائر أعجمي طويل العنق وكنيته عند أهل العراق أبو خديج، وعبر عنه الجوهري بالقاف، وهو اسم أعجمي قال: وربما قالوا: اللغلغ، والجمع اللقالق، وهو يأكل الحيات، وصوته اللقلقة، وكذلك كل صوت فيه حركة واضطراب. ويوصف بالفطنة والذكاء، قال القزويني، في الأشكال: قال الرئيس: من ذكاء هذا الطائر أنه يتخذ له عشين يسكن في كل واحد منهما بعض السنة، وأنه إذا أحسَّ بتغير الهواء عند حدوث الوباء، ترك عشه وهرب من تلك الديار، وربما ترك بيضه أيضاً. قال: ومما يتوصل به إلى طرد الهوام اتخاذ اللقلق، فإن الهوام تهرب من مكان هو فيه، لفزعها منه وإذا ظهرت قتلها.

الحكم: في حله وجهان: أحدهما، وبه قال الشيخ أبو محمد: يحل كالكركي ورجحه الغزالي، والثاني يحرم، وصححه البغوي وجزم به العبادي، واحتج بأنه يأكل الحيات، ويصف في الطيران. وقد قال ﷺ: «كل ما دفّ ودعْ ما صف». يقال: دف الطائر في طيرانه إذا حرك جناحيه، كأنه يضرب بهما، وصف إذا لم يتحرك، كما تفعل الجوارح. ومنه قوله[1] تعالى: ﴿أولم يرَوا إلى الطير فوقَهم صافات﴾. والأصح في شرح المهذب والروضة أنه حرام. واللقلق من طير الماء وقد تقدمَ استثناؤه.

الخواص: إذا ذبح فرخ من فراخه وطلي به بدن المجذوم نفعه نفعاً بيناً، وإذا أخذ من دماغه وزن دانق ومن أنفحة الأرنب مثله، وأذيبا على النار، فمن طعم منه باسم آخر هيج روحانية المحبة في قلبه. وقال هرمس: من حمل عظم اللقلق معه زال همه، وإن كان عاشقاً سلا ومن حمل

---

(١) سورة الملك: آية ١٩.

حبةُ عينه اليمنى لم ينم، ومن حمل حبة عينه اليسرى نام، ولم يتنبه ما لم تحل عنه، ومن حمل عينه ودخل الماء، لم يغرق، وإن لم يحسن السباحة.

التعبير: اللقلق في المنام يدل على قوم يحبون المشاركة فإذا رآها إنسان مجتمعة في مكان، فإنهم لصوص وقطاع طريق وأعداء محاربة، وقيل: رؤية اللقلق تدل على تردد. ومن رأى اللقالق متفرقة فإنها دليل خير إن كان مسافراً أو أراد السفر، لأنها تظهر في الصيف، وتدل رؤياها على قدوم المسافر إلى وطنه والمقيم على سفره والله أعلم.

اللهق: الثور الأبيض وقد تقدم ما في الثور في باب الثاء المثلثة.

اللهم: الثور المسن، وقد تقدم والجمع لهوم.

اللوب والنوب: الأول بضم اللام، والثاني بضم النون، جماعة النحل ومنه حديث ريان بن قسور رضي الله تعالى عنه قال: رأيت النبي ﷺ وهو نازل بوادي الشوحط، فكلمته فقلت: يا رسول الله إن معنا لوباً لنا، يعني نحلاً كانت في غيلم لنا، فيه طرم وشمع، فجاء رجل فضرب ميتين، فأنتج حياً وكفنه بالثمام، يعني قدح ناراً بالزندين، ونحسه يعني دخنه، فطار اللولب هارباً، وأدلى مشواره في الغيلم، فاشتار العسل فمضى به، فقال رسول الله ﷺ: «ملعون من سرق شرو قوم فأضربهم أفلا تبعتم أثره وعرفتم خبره». قال: قلت: يا رسول الله إنه دخل في قوم لهم منعة، وهم جيرتنا من هذيل. فقال رسول الله ﷺ: «صبرك صبرك ترد نهر الجنة، وإن سعته كما بين العقيقة والسحيقة يتسبب جرياً بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لوب ولا مجه نوب» انتهى.

الغيلم البئر وأراد بها ههنا الخلية.

والطرم العسل ذكره السهيلي في مقتل خبيب وأصحابه، بعد أحد. وذكره أبو عمر بن عبد البر وابن الأثير أبو السعادات، ونقلا عن ابن ماكولا، أنه قال: ذكره عبد الغني بن سعيد وغيره بإسناد ضعيف.

اللوشب: ككوكب الذئب، وقد تقدم ما في الذئب في باب الذال المعجمة.

اللياء: سمكة في البحر يتخذ من جلدها الترسة فلا يحيك فيها شيء من السلاح، ولا يقطع، وفي الحديث أن فلاناً أهدى لرسول الله ﷺ بودان لياء مقشى. ومنه حديث معاوية رضي الله تعالى عنه أنه دخل عليه وهو يأكل لياء مقشى.

الليث: الأسد، وجمعه ليوث. وهو أيضاً ضرب من العناكب يصطاد الذباب، وهو أصغر من العنكبوت. والليث من الرجل: الشجاع وبنو ليث بطن من العرب، وبه سمي ليث بن سعد بن عبد الرحمن بن الحارث، إمام أهل مصر في الفقه. ولد بقلقشندة وهي قرية في أسفل مصر سنة أربع وتسعين. قال الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وقال عثمان بن صالح: كان أهل مصر ينتقصون عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان رضي الله تعالى عنه. فكفوا عن ذلك.

وكان أهل حمص ينتقصون علياً رضي الله تعالى عنه، حتى نشأ فيهما اسماعيل بن عياش[1] فحدثهم بفضائل علي رضي الله تعالى عنه فكفوا عن ذلك.

وحج الليث، فقدم المدينة فبعث إليه الإمام مالك بن أنس بطبق رطب، فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه، وكان الليث رحمه الله يستغل في كل سنة عشرين ألف دينار فينفقها وما وجبت عليه زكاة قط. وقالت له امرأة: يا أبا الحارث إن لي ابناً عليلاً واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام اعطها مطراً من عسل، والمطر مائة وعشرون رطلاً. فقيل له في ذلك، فقال: سألت على قدر حاجتها، ونحن أعطيناها على قدر نعمتنا. واشترى قوم منه ثمره ثم استقالوه، فأقالهم وأعطاهم خمسين ديناراً، وقال: إنهم كانوا قد أملوا فيها أملاً فأحببت أن أعرضهم عن أملهم.

وكان رضي الله تعالى عنه حنفي المذهب، وولي القضاء بمصر وتوفي بها في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. وقبره في القرافة الصغرى مشهور. وقلقشندة بفتح القاف ولام وقاف وشين معجمة مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة وهاء آخرها بينها وبين مصر مقدار ثلاثة فراسخ كذا قاله ابن خلكان.

وحكى: عبدالله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلي، وكان شاعراً فحلاً فاتكاً قد أمر على أهل حجر وما يليها، فبلغ ذلك الحجاج، فكتب إلى عامله على اليمامة يوبخه ويلومه على تغلب جحدر في ولايته ويأمره بالتجرد في طلبه والبعث به إليه، إن ظفر به. فلما أتى العامل كتابه دس إليه فتية من قومه، ووعدهم أن يوفدهم معهم، فمكثوا لذلك أياماً حتى إذا أصابوا منه غرة شدوا عليه فأوثقوه، وقدموا به على العامل. فبعث به إلى الحجاج فلما جاوزوا بجحدر حجراً أنشأ يقول:

لقد ما هاجني فازددت شوقاً ... بكاءُ حمامتين تغردانِ
تجاوبتا بلحن أعجمي ... على غصنين من غربٍ وبان
فقلتُ لصاحبي وكنتُ أحزو ... ببعضِ القولِ ماذا تحزوانِ
فقالا: الدارُ جامعةٌ قريباً ... فقلتُ وأنتما متمنيان
فكان البان أنْ بانتْ سليمى ... وفي الغربِ اغترابٌ غير دانِ
إذا جاوزتما نخلاتِ حجر ... وأندية اليمامةِ فانعياني
وقولا جحدرُ أمسى رهيناً ... يعالجُ وقعَ مصقولٍ يماني
كذا المغرورُ بالدنيا سيردى ... وتهلكه المطامعُ والأماني

فلما قدم به على الحجاج، قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير. قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: جراءة الجنان، وكلب الزمان، وجفوة السلطان. قال: وما الذي بلغ من أمرك فيجرأ جنانك، ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان، وأهم الفرسان، وأما جراءة جناني فإني لم ألق فارساً قط، إلا كنت عليه في نفسي

---

(١) ابن عياش: إسماعيل بن عياش بن سليم العنبسي، عالم الشام ومحدّثها. مات سنة ١٨٢ هـ.

مقتدراً، فقال له الحجاج بن يوسف: إنا قاذفون بك في جب ليث، فإن هو قتلك كفانا مؤنتك، وإن أنت قتلته خلينا عنك وأحسنا جائزتك! قال: نعم، أصلح الله الأمير قربت المحنة، وأعظمت المنة، أنت أهل ذلك، إذا شئت فأمر به. فقيد وحبس.

وكتب إلى عامله على كسكر يأمره بالبعثة إليه بأسد ضار، فبعث إليه بأسد قد أضر بأهل كسكر، في صندوق يجره ثوران، فلما قدم به على الحجاج، أمر به فأدخل في جب وسد بابه وجوعه ثلاثة أيام، ثم أتى بجحدر وأمكن من سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما فلما نظر الأسد إلى جحدر، وقد أقبل ومعه السيف يرسف في قيوده، تهيأ وتمطى فأنشد جحدر يقول:

ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنَكِ ... كلاهما ذو أنفٍ وفتك[1]
وسورةٌ في وصلةٍ ومحك ... أنْ يكشفَ الله قناعَ الشكْ
من ظفري بحاجتي ودركي ... فذاك أحرى منزل بترك

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف، فضرب هامته ففلقها حتى خالط ذباب السيف لهواته، وتخضبت ثيابه من دمه، فوثب وهو يقول:

يا جملُ إنك لو رأيتَ كريهتي ... في يومِ هيجٍ مسدفٍ وعجاجِ[2]
وتقدمي لليثِ أرسفُ موثقاً ... كيما أكابرُه على الإحراج
جهمٌ كأن جبينَه لما بدا ... طبقُ الرحا متعجّر الأثباج
يسمو بناظرتين تحسبُ فيهما ... لما أجالَهما شعاعَ سراجِ
فكأنما خيطتْ عليه عباءة ... برقاءُ أو قطعٌ من الديباجِ
قرنان مختصران قد مخضْتهما ... أمُّ المنيةِ غير ذاتِ نتاج
ففلقتُ هامتَه فخر كأنه ... أطمٌ تساقطَ مائلَ الأبراج[3]
ثم انثنيتُ وفي ثيابي شاهدٌ ... مما جرى من شاخِب الأوداجِ[4]
أيقنتُ أني ذو حفاظٍ ماجد ... من نسل أملاك ذوي أتواج
مما يغار على النساءِ حفيظة ... إذ لا يثقن بغيرةِ الأزواجِ

فقال له الحجاج: يا جحدر إن أحببت المقام معنا فأقم، وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف. فقال: بل أختار صحبة الأمير والكينونة معه، ففرض له في شرف العطاء، وأقام ببابه فكان من خواص أصحابه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء في الهزبر ما قاله بشر بن أبي عوانة[5]، لما قتل الأسد، وقد أحسن إبراهيم بن محمد المغربي رحمه الله حيث قال:

---

(1) الضنك: الضيق.
(2) العجاج: الغبار.
(3) الهامة: الرأس، أو القامة.
(4) الأوداج: عروق الرقبة.
(5) بِشر بن عوانة العبدي، شاعر ذكره بديع الزمان الهمذاني وجعله بطلاً لقصة قتل الأسد. ويبدو أنّ هذا الاسم وهمي ولا وجود له على الحقيقة.

حملنـا من الأيـامِ مـا لا نـطيقـه كـما حملَ العظمُ الكثيرُ العصـائبـا[1]
ولـيـلٍ رجـونـا أن يـدبَّ عـذاره فـما اختطَّ حتى صار بـالفجرِ شـائبـا

الليل: ولد الكروان، قالوا: «فلان أجبن من ليل»[2]. وقال ابن فارس، في المجمل: يقال إن بعض الطير يسمى ليلاً، ولا أعرفه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في حرف النون أن النهار ولد الحبارى والله أعلم.

باب الميم

مارية: بتشديد المثناة التحتية القطاة الملساء، وبالتخفيف البقرة الوحشية. وأما قولهم[3]: «خذه ولو بقرطي مارية». فهي مارية بنت ظالم بن وهب. وقيل: أم ولد جفنة. قال[4] حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

أولادُ جـفـنـةَ حـولَ قـبرِ أبـيـهـم قـبرِ ابن مـاريـةَ الكريمِ المفضّـلِ

يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها، وعليهما درتان كبيضتي الحمام، لم ير الناس مثلهما، ولم يدروا قدرهما ولا قيمتهما. يضرب في الشيء الثمين، أي لا يفوتنك بأي ثمن يكون. وسيأتي إن شاء الله تعالى، بعد هذا بأوراق يسيرة، في ترجمة المقوقس، ذكر مارية القبطية، أم ولد النبي ﷺ وقريبها مابور.

المازور: طائر مبارك ببحر المغرب، يتيامن به أصحاب السفن، يبيض عند سكون البحر، على السواحل، فإذا رأوا بيضه، عرفوا أن البحر قد سكن. وهذا الطائر إذا كانت السفن قريبة من مكان مخوف، أو دابة مضرة يأتي فيطير أمام المركب، فيصعد وينزل كأنه يخبرهم حتى يدبروا أمرهم، والملاّحون يعرفونه. ذكره في تحفة الغرائب.

الماشية: الإبل والبقر والغنم، والجمع المواشي، سميت ماشية لرعيها وهي تمشي، وقيل لكثرة نسلها، يقال أمشى الرجل، إذا كثرت ماشيته، وفيه يقول الشاعر:

وكـلّ فـتى وإنْ أثـرى وأمشى سـتخـلفـه عـن الـدنـيـا المـنـونُ

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»[5]. وفي سنن أبي داود والترمذي، عن الحسن عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه، فإن أذن له فليحتلب وليشرب، وإن لم يكن فيها أحد فليصوت ثلاثاً، فإن أجابه أحد فليستأذنه، فإن لم يجبه أحد فليحتلب وليشرب ولا يحمل». قال الترمذي:

---

(١) البيتان في وفيات الأعيان: ٢٥٨/١ ونسبتها لإبراهيم الغزي الشاعر أبو إسحاق المتوفي سنة ٥٢٤ هـ.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢٦٣/١. (٣) مجمع الأمثال: ٢٣١/١. (٤) ديوان حسّان: ٣٦٥.
(٥) رواه مسلم: أشربة ٩٧. والبخاري: بدء الخلق ١٥، ١٦، أشربة ٢٢.

حسن صحيح والعمل عليه عند بعض أهل العلم، وبه قال أحمد واسحاق وقال علي بن المديني: سماع الحسن من سمرة صحيح.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال[1]: «لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه، فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه».

ومن أحكام الماشية أنها إذا أفسدت زرعاً لغير مالكها، ولم يكن معها، فإن كان ذلك بالنهار لم يضمن، وإن كان بالليل ضمن، لما روى أبو داود وغيره عن حرام بن سعيد ابن محيصة، قال: إن ناقة للبراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، دخلت حائط قوم فأفسدت، فقضى النبي ﷺ أن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار، وعلى أهل المواشي ما أصابته مواشيهم بالليل. وقد تقدم في الغنم فرع له تعلق بهذا.

تذنيب: إذا اشترك أهل الزكاة في ماشية زكوا زكاة الرجل الواحد، فلو كان أحدهم كافراً أو مكاتباً، فلا أثر لخلطته وهي تسمى خلطة ملك، وخلطة أعيان وخلطة اشتراك، وإذا خلطا مجاورة فكذلك الحكم لقوله[2] ﷺ: «لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة». ورواه البخاري ويشترط في هذه أن لا تتميز في المشرع والمسرح والمراح، وهو موضع الحلب بفتح اللام. وكذا الراعي والفحل على الصحيح، ولا تشترط النية على الصحيح، لأن خفة المؤنة واتحاد المرافق لا يختلف بالقصد وعدمه، والله تعالى أعلم.

مالك الحزين: قال الجوهري: إنه من طير الماء، وقال ابن بري، في حواشيه إنه البلشون. قال: وهو طائر طويل العنق والرجلين انتهى.

قال الجاحظ: من أعاجيب الدنيا أمر مالك الحزين لأنه لايزال يقعد بقرب المياه، ومواضع نبعها من الأنهار وغيرها، فإذا نشفت يحزن على ذهابها، ويبقى حزيناً كئيباً، وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً، خوفاً من زيادة نقصها بشربه منها. قال: وقريب من هذا دودة تضيء بالليل كضوء الشمع، وتطير بالنهار فيرى لها أجنحة، وهي خضراء ملساء غذاؤها التراب، لم تشبع منه قط، خوفاً أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعاً. قال: وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة.

وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التي انقطعت عن الجري، وصارت محزونة، سمي مالكاً، ولما كان يحزن على ذهابها سمي بالحزين، وهو عطف بيان لمالك، كما يقال: أبو حفص عمر. وقال التوحيدي، في كتاب الامتناع والمؤانسة: مالك الحزين ينشل الحيتان من الماء فيأكلها، وهي طعامه، وهو لا يحسن السباحة، فإن أخطأه الانتشال، وجاع طرح نفسه على شاطىء البحر وفي بعض ضحضاحاته، فإذا اجتمع إليه السمك الصغار، أسرع إلى خطف ما استطاع منها. ولا يحتاج إلى تزاوج ولا سفاد.

---

(١) رواه البخاري: لقطة ٨. ومسلم: لقطة ١٣.

(٢) رواه البخاري: زكاة ٣٤، حيل ٣.

وحكمه: حل الأكل.

ومن خواصه: أن لحمه غليظ بارد يولد إدمان أكله البواسير، وقد تقدم في خطبة الكتاب، أن ضبط هذا كان من جملة الأسباب الباعثة على تأليفه، خوفاً من تصحيف لفظه. وتحريفه، والله تعالى الموفق.

المتردية: هي التي وقعت في بئر، أو من مكان عال فماتت، ولا فرق بين أن تقع بنفسها أو بسبب آخر، فإنها متردية.

وحكمها: تحريم الأكل بالإجماع.

المجَثّمة: بفتح الجيم وتشديد الثاء المثلثة، هي التي تلقى على الأرض مربوطة، وتترك حتى تموت. قال القزويني: الجثوم للطير والناس بمنزلة البروك للبعير، ومنه قوله[1] تعالى: ﴿جاثمين﴾ أي بعضهم على بعض، وجاثمين باركين على الركب أيضاً، روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ: «نهى عن الجلالة، وعن المجثمة، وعن الخطفة»[2].

المثا: الفراش وقد تقدم ما فيه في باب الفاء.

المربح: طائر من طير الماء قبيح الهيئة، قاله ابن سيده.

المرء: الرجل تقول هذا مرء صالح، ورأيت مرءاً صالحاً، ومررت بمرء صالح، ولا يجمع على لفظه. وبعضهم يقول: المرؤون، وربما سموا الذئب مرءاً. وذكر يونس أن قول الشاعر:

وأنت امـرء تعدو عـلى كـلّ غـرةٍ ... فـتخـطىءُ فـيهـا تـارةً وتـصـيـبُ

يعني به الذئب، والله تعالى أعلم.

المرزم: من طير الماء طويل الرجلين والعنق، أعوج المنقار في أطراف جناحيه سواد، أكثر أكله السمك.

وحكمه: حل الأكل.

المرعة: بضم الميم وفتح الراء والعين المهملتين، كالهمزة. طائر حسن اللون، طيب الطعم، على قدر السماني، وجمعها مرع بضم الميم وفتح الراء. قاله ثعلب وابن السكيت وهي تشبه الدراجة.

وحكمها: حل الأكل.

الخواص: قال ابن زاهر: إذا شق جوفها، ووضع على الشوك والنصل الغائص في اللحم أخرجه من غير مشقة.

مسهر: قال هرمس: إنه طائر لا ينام الليل كله، وهو في النهار يطلب معاشه وله في الليل

---

(١) سورة الأعراف: آية ٧٨.

(٢) رواه البخاري: ذبائح ٢٥. وأبو داود: أشربة ١٤.

صوت حسن يكرره ويرجعه يلتذ به كل من يسمعه، ولا يشتهي النوم سامعه من لذة سماعه.

ومن خواصه: أنه إذا جفف دماغه في ظل، وأخذ منه وزن درهم، وسعط به إنسان مع دهن اللوز، لا ينام أصلاً، ويصيبه من الكرب أمر عظيم، حتى يظنه من يراه أنه شارب خمر ومن أمسك رأس هذا الطائر في يده أو علقه عليه، أذهب الوحشة والوسواس عنه، وأورثه من الطرب ما يخرجه إلى حد الرعانة.

المطية: الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها. وجمعها مطايا ومطي. وقال الجوهري: المطي واحد وجمع يذكر ويؤنث، والمطايا فعالى، وأصله فعائل، إلا أنه فعل به ما فعل بخطايا. قال أبو العميثل: المطية تذكر وتؤنث، ولما رأى الشيخ أبو الفضل الجوهري مدينة النبي ﷺ أنشد يقول:

رفع الحجابُ لنا فلاحَ لناظري ... قمرٌ تقطعُ دونَه الأوهامُ
وإذا المطي بنا بلغنَ محمداً ... فظهورُهن على الرجالِ حرام
قد زوّرتْنا خيرَ من وطيء الثرى ... فلها علينا حرمةٌ وذِمامُ

الذمام بالذال المعجمة: الحرمة. وقال السهيلي، في غزوة مؤتة:

وإذا المطي بنا بلغن محمداً

هو من شعر أبي نواس، قال: وقد أحسن في ذلك، وقد أساء الشماخ حيث قال[1]:

إذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

وعرابة هذا رجل من الأنصار، وكان من الأجواد. قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: رأيت رجلاً طائفاً بالبيت الحرام حاملاً أمه على ظهره وهو يقول:

إني لها مطيةٌ لا تذعرْ ... إذا الركابُ نفرتْ لا تنفرْ
ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلالِ أكبر

وذكر ابن خلكان وغيره، أن أمدح بيت قالته العرب، قول[2] جرير لعبد الملك بن مروان:

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا ... وأندى العالمين بطونَ راح

وأهجى بيت قالته العرب قول[3] الأخطل يهجو جريراً:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبَهم ... قالوا لأمهم: بولي على النارِ

وأحكم بيت قالته العرب قول[4] طرفة:

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تزوّدِ

---

(١) العقد الفريد: ٥/٣٤٠.
(٢) ديوانه: ٧٦.
(٣) ديوان الأخطل: ١٦٦.
(٤) ديوان طرفة: ٥٧.

وأحمقُ بيت قالته العرب، قول[1] القائل، وهو الأعشى أبو محجن الثقفي:

إذا متّ فادفني إلى جنبِ كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقُها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخافُ إذا ما متّ أن لا أذوقها

وروى في حديث معاوية رضي الله تعالى عنه، أنه قال لابن أبي محجن الثقفي: أبوك الذي يقول: إذا متّ فادفني، البيتين فقال[2]: أبي الذي يقول:

وقد أجودُ وما مالي بذي قنعٍ ... وأكتم السرّ فيه ضربةُ العنقِ

وأغزل بيت قالته العرب قول[3] جرير:

إنّ العيونَ التي في طرفِها حَوَرٌ ... قتلننا ثم لم تحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبِ حتى لا حِراك به ... وهنّ أضعفُ خلقِ الله إنسانا

فائدة: روى الطبراني في الدعوات، من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الجنة وبها ينجو من النار». وقال علي رضي الله تعالى عنه: لا تسبوا الدنيا ففيها تصلون، وفيها تصومون، وفيها تعملون، فإن قيل: كيف يجمع بين هذا، وبين قوله[4] ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً». فالجواب ما قاله شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، في آخر الفتاوى الموصيلة: إن الدنيا التي لعنت هي المحرمة التي أخذت بغير حقها أو صرفت إلى غير مستحقها. وقد تقدم في باب الباء الموحدة في ذكر البعوض، ما قاله الشيخ أبو العباس القرطبي في ذلك وهو حسن فراجعه.

وفي الحديث[5]: «بئس مطية الرجل زعموا» شبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه، ويتوصل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة، وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه. وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فذم من الحديث ما هذا سبيله.

وفي الكشاف وغيره أن النبي ﷺ قال: «زعموا مطية الكذب». وقال ابن عمر وشريح: لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا. قال ابن عطية: ولا يوجد زعم مستعملة في فصيح الكلام، إلا عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، وتبقى عهدته على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم، وقول سيبويه زعم الخليل كذا إنما يجيء فيما تفرد الخليل به.

تتمة: قال شيخ الإسلام النووي: روينا بالإسناد الصحيح، في جامع الترمذي وغيره، عن

---

(١) العقد الفريد: ٣٥٠/٦. وأبو محجن شاعر مخضرم ادرك الإسلام وشهد القادسية.
(٢) الحيوان للجاحظ: ١٨٢/٥.
(٣) ديوان جرير: ٤٩٢.
(٤) رواه الترمذي: زهد ١٤. وابن ماجه زهد ٣.
(٥) رواه أبو داود: أدب ٧٢. وابن حنبل ١١٩/٤. ٤٠١/٥.

أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة». قال الترمذي: حديث حسن. قال: وقد روي عن سفيان ابن عيينة أنه قال: هو مالك بن أنس انتهى.

والحديث المذكور رواه النسائي والحاكم، في أوائل المستدرك من حديث ابن عيينة، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[1]: «يوشك أن تضربوا أكباد الإبل فلا تجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة» ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه انتهى.

قلت: إنما لم يخرجه مسلم لأنه سأل البخاري عنه فقال: له علة وهي أن أبا الزبير، لم يسمع من أبي صالح، ولما روى النسائي، في السنن الكبرى هذا الحديث، من رواية ابن عيينة، عن ابن جريج عن أبي الزناد، عن أبي هريرة عقبه بقوله: هذا خطأ. والصواب عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة وقيل: عالم المدينة عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمري المدني الزاهد، روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما. وكان من أزهد أهل زمانه وأشدهم تخلياً للعبادة. وروي أن الرشيد قال: والله إني أريد الحج كل سنة، ما يمنعني من ذلك إلا رجل من ولد عمر رضي الله عنه يسمعني ما أكره يعني العمري. توفي العمري سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين وهو ابن ست وستين سنة.

قال عمر بن شبة: حدثنا أبو يحيى الزهري، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: بنعمة ربي أحدث، لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي، لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها، وكتب العمري إلى مالك وابن أبي ذئب وابن دينار وغيرهم بكتب، أغلظ لهم فيها، فجاوبه مالك جواب فقيه. قال ابن عبد البر، في التمهيد: كتب العمري العابد إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، ويرغبه به عن الاجتماع عليه في العلم، فكتب إليه مالك أن الله عز وجل قسم الأعمال، كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر. ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام.

وفي الإحياء، في الباب السادس من أبواب العلم، يحكى أن يحيى بن يزيد النوفلي، كتب إلى مالك بن أنس: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس، أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الرقاق، وتأكل الرقاق، وتجلس على الوطاء، وتجعل على بابك حجاباً، وقد جلست مجلس العلم، وضربت إليك آباط المطي، وارتحل إليك الناس، فاتخذوك إماماً ورضوا بقولك، فاتق الله يا مالك، وعليك بالتواضع. كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً، ما اطلع عليه إلا الله والسلام.

---

(١) رواه الترمذي: علم ١٨. وابن حنبل ٢/٢٩٩.

فكتب إليه مالك بن أنس: بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام عليك أما بعد فقد وصل إلي كتابك، فوقع مني موقع النصيحة من المشفق، أمتعك الله بالتقوى، وجزاك وخولك بالنصيحة خيراً، وسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأما ما ذكرت، من أني آكل الرقاق وألبس الرقاق وأجلس على الوطاء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، وقد قال سبحانه: ﴿قل من حرّم زينةَ الله التي أخرجَ لعبادِه والطيباتِ مِنَ الرّزقِ﴾[1] وإني لا أعلم أن ترك ذلك، خير من الدخول فيه، فلا تدعنا من كتابك فإنا ليس ندعك من كتابنا والسلام. وفيه أيضاً وروي أن الرشيد أعطاه ثلاثة آلاف دينار فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق، قال لمالك: ينبغي أن تخرج معنا فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ، كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن. فقال له: أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل، فإن أصحاب محمد ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم، وقد قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» وأما الخروج معك فلا سبيل إليه، قال ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». وقال[2] ﷺ: «المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد». وهذه دنانيركم كما هي، إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها. يعني إنما تكلفني الخروج معك، ومفارقة المدينة بما اصطنعته لدي. فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ. وهذا يدل على زهده في الدنيا رحمه الله تعالى.

وفيه أيضاً أن الشافعي رحمه الله، قال: شهدت مالكاً رحمه الله وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة؛ فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري وهذا يدل على أنه كان يريد بعلمه وجه الله تعالى، فإن من يريد غير وجه الله بعلمه لا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري. ولذلك قال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك البحر، وما أحد أمن علي من مالك.

وقيل: إن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره، ثم دس عليه من سأله؛ فروى عن ملأ من الناس: ليس على مكره طلاق. فضربه بالسياط. فانظر كيف اختار ضرب السياط، ولم يترك رواية الحديث.

وفي الحلية أن الشافعي رحمه الله، قال: قالت لي عمتي، ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجباً! فقلت لها: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قائلاً يقول لي: مات الليلة أعلم أهل الأرض. قال الشافعي: فحسبنا ذلك فإذا هي ليلة مات مالك بن أنس رحمه الله تعالى.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا أقدم على مالك أحداً. وكان مالك يقول: إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير، لم يكن للناس فيه خير. وفي الحلية أيضاً، قال مالك: ما بت ليلة إلا رأيت فيها رسول الله ﷺ انتهى.

وكان مالك رحمه الله إماماً عالماً عابداً زاهداً ورعاً عارفاً بالله تعالى، وكان مبالغاً في تعظيم علم الدين، لاسيما حديث رسول الله ﷺ، فإنه كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر

---

(١) سورة الأعراف: آية ٣٢.

(٢) رواه البخاري: المدينة ٢. ومسلم: حج ٤٨٧، ٤٨٨.

فراشه، وسرح لحيته وتمكن في الجلوس على وقار وهيبة، ثم حدث. فقيل له في ذلك، فقال: إني أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. وكان يقول: العلم نور يجعله الله حيث شاء، وليس هو بكثرة الرواية وقد مدحه بعض العلماء فقال(1):

يدعُ الكلامَ فلا يراجعُ هيبةً ... والسائلون نواكسُ الأذقانِ
سيما الوقارِ وعز سلطانِ التقى ... فهو المهيبُ وليس ذا سلطانِ

توفي الإمام مالك رحمه الله تعالى، في سنة تسع وسبعين ومائة.

المعراج: دابة عظيمة عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون، على رأسها قرن واحد أسود، لم يرها شيء من السباع والدواب إلا هرب. ذكرها القزويني في جزائر البحار.

المعز: بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان: نوع من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الشعور والأذناب القصار، وهو اسم جنس وكذلك المعيز والأمعوز والمعزى وواحد المعز ماعز، مثل صاحب وصحب، وتاجر وتجر، والأنثى ماعزة والجمع مواعز. وأمعز القوم كثرت معزاهم. وكنيتها أم السخال. وفي حديث علي رضي الله عنه: وأنتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوعة الأسد أي صوته، ووعوعة الناس ضجتهم.

وروى البزار وابن قانع أن النبي ﷺ قال: «احسنوا إلى المعزى، وأميطوا عنها الأذى، فإنها من دواب الجنة».

وفي الحديث: «استوصوا بالمعزى خيراً فإنه مال رقيق، وأنقوا عطنه». أي نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغير ذلك، وهي مع ذلك موصوفة بالحمق، وتفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد، وما نقص من ألية المعز، زاد في شحمه، ولذلك قالوا: ألية المعز في بطنه. ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه، ولما خلق جلد المعز ثخيناً قلل شعره، فسبحان اللطيف الخبير.

الخواص: لحمه يورث الهم والنسيان، ويولد البلغم، ويحرك السوداء، لكنه نافع جداً لمن به الدماميل، وقرن المعز الأبيض يسحق ويشد في خرقة ويجعل تحت رأس النائم، فإنه لا ينتبه مادام تحت رأسه. ومرارة التيس تخلط بمرارة البقر، وتلطخ بها فتيلة، وتجعل في الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء. وإذا اكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر الذي في باطن الجفن منع من انباته، ويمنع أيضاً من الغشاوة اكتحالاً، ومن العشا ويقلع اللحمة الزائدة التي يقال لها التوتة، وينفع طلاء من الورم الذي يقال له داء الفيل. وأكل مخه يورث الهم والنسيان ويحرك السوداء. قال الرئيس ابن سينا: بعر المعزى يحلل الخنازير بقوة فيه، وإذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الفرج ويقطع النزيف.

ابن مقرض: بضم الميم وكسر الراء وبالضاد المعجمة، دويبة كحلاء اللون، طويلة الظهر

---

(1) الحيوان للجاحظ: ٤٩١/٣، وهو لابن الخياط.

ذات قوائم أربع أصغر من الفأر، تقتل الحمام وتقرض الثياب، ولذلك قالوا: ابن مقرض.

الحكم: حكى الرافعي في حله الوجهين، في ابن عرس وقال: إنه الدلق، قال في المهمات: الصحيح على ما يقتضيه كلام الرافعي الحل. وقد وقعت المسألة في الحاوي الصغير، على الصواب فأباح ابن مقرض وحرم ابن عرس. وقد تقدم في باب الدال المهملة الكلام على الدلق مستوفى، والله الموفق.

المقوقس: طائر معروف مطوق سواده في البياض، كالحمام وهو لقب لجريج بن مينا القبطي ملك مصر، وكان من قبل هرقل، ويقال: إن هرقل عزله لما رأى ميله إلى الإسلام. وأهدى لرسول الله ﷺ فرساً يقال له الزاز، وبغلته الدلدل، وحماراً أو غلاماً خصياً اسمه مابور. وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم في أصحاب رسول الله ﷺ غلطاً في ذلك فإنه لم يسلم ومات على نصرانيته. ومنه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه. ومابور المذكور كان ابن عم مارية القبطية، وكان يأوي إليها فقال الناس: علج يدخل على علجة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث علياً ليقتله، فقال: يا رسول الله أقتله أم أرى رأيي فيه؟ فقال ﷺ: «بل ترى رأيك فيه» فلما رأى الخصي علياً، ورأى السيف في يده، تكشف فإذا هو مجبوب ممسوح فرجع علي إلى النبي ﷺ، وأخبره بذلك فقال ﷺ: «إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب».

وروى(1) مسلم في آخر باب التوبة، بعد حديث الإفك عن أنس رضي الله تعالى عنه، أن رجلاً كان متهماً بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اذهب فاضرب عنقه». فأتاه علي فإذا هو على ركى يتبرد فيها، فقال له علي: اخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه ثم أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه لمجبوب.

والذي رواه الطبراني، في هذه القصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ دخل على مارية القبطية أم ولده إبراهيم، وهي حامل به فوجد عندها نسيباً لها، كان قد قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه، وكان يدخل عليها وأنه رضي من مكانه من أم ولد رسول الله ﷺ أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه، حتى لم يبق لنفسه قليلاً ولا كثيراً، فدخل رسول الله ﷺ يوماً على أم ولده إبراهيم، فوجد قريبها عندها، فوقع في نفسه من ذلك شيء كما يقع في أنفس الناس، فرجع متغير اللون، فلقي عمر رضي الله تعالى عنه، فأخبره بما وقع في نفسه من قريب أم إبراهيم، فأخذ عمر رضي الله تعالى عنه السيف، وأقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد قريبها ذلك، عندها فأهوى إليه بالسيف ليقتله، فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه، فلما رأى ذلك عمر رضي الله تعالى عنه، رجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك يا عمر أن جبريل أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي، وبشرني أن في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم، وكناني بأبي إبراهيم، ولولا أني أكره أن أحول كنيتي التي عرفت بها، لتكنيت بأبي إبراهيم كما كناني

(1) رواه مسلم: توبة ٥٩.

جبريل». ثم مات الخصي في زمن عمر فجمع الناس لشهود جنازته وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع.

وأهدى المقوقس أيضاً للنبي ﷺ قدحاً من قوارير، كان ﷺ يشرب فيه، وثياباً من قباطي مصر ومطرفاً من مطرفاتهم، وطرفاً من طرفهم، وألف مثقال ذهباً وعسلاً من عسل بنها. فأعجب النبي ﷺ العسل ودعا في عسلها بالبركة.

ووصلت الهدايا إلى النبي ﷺ سنة سبع وقيل سنة ثمان. وهلك المقوقس في ولاية عمرو بن العاص ودفن في كنيسة أبي يحنس على نصرانيته. وكان الرسول إليه من قبل النبي ﷺ حاطب بن بلتعة رضي الله تعالى عنه الذي شهد له بالإيمان، وكان حاطب عاقلاً لبيباً حازماً لا يخدع، باع بعض أصحابه بيعة غبن فيها لغيبة حاطب فقال «صفقة لم يحضرها حاطب»، فضرب ذلك مثلاً في شراء كل صفقة ربح بائعها.

قال حاطب: لما بعثني النبي ﷺ إلى المقوقس، جئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله، وأقمت عنده ليالي، ثم بعث إلي وقد جمع بطارقته، فقال: إني سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه مني. قال: فقلت: هلم. فقال: أخبرني عن صاحبك أليس هو نبياً؟ قال: قلت: بلى. قال: هو رسول الله؟ قلت: بلى هو رسول الله ﷺ. قال: فما باله، حيث كان هكذا لم يدع على قومه، لما أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى ابن مريم أتشهد أنه رسول الله؟ قال: كذا. قلت: فما باله، حيث أخذه قومه، وأرادوا صلبه، لم يدع عليهم بأن يهلكهم الله، بل رفعه الله إليه في سماء الدنيا؟ قال: أحسنت أنت حكيم من حكيم.

المكاء: بضم الميم وبالمد والتشديد طائر يصوت في الرياض، يسمى مكاء لأنه يمكو أي يصفر كثيراً ووزنه فعال كخطاف. والأصوات في الأكثر تأتي على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجؤار ونحوه. وجمعه المكاكي وهذا الطائر يصفر ويصوت كثيراً. قال البغوي في تفسير المكاء: الصفير وهو في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير، وقال ابن السكيت في إصلاح المنطق: يقال: مكا الطائر ومكا الرجل يمكو مكواً، إذا جمع يديه وصفر فيهما، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح. وجمعه المكاكي والمكاء الصفير قال الله تعالى: ﴿وما كان صلاتُهم عند البيتِ إلا مكاءً وتصديةً﴾[1] أي صفيراً أو تصفيقاً. وقال ابن قتيبة: المكاء الصفير أي بالتخفيف والمكاء بالتشديد طائر يصفر في الرياض ويمكو أي يصفر. قال الشاعر:

إذا غـرّد المـكـاء في غـيرِ روضـةٍ ... فـويـلٌ لأهـلِ الشـاءِ والحمـراتِ

قال البطليوسي في الشرح: إن المكاء إنما يألف الرياض فإذا غرد في غير روضة، فإنما يكون ذلك لإفراط الجدب وعدم النبات، وعند ذلك يهلك الشاء والحمير، فالويل لمن لم يكن له مال غيرهما.

---

(١) سورة الأنفال: آية ٣٥.

والحمرات في البيت: جمع حمر بضم الميم، وحمر جمع حمار بمنزلة كتاب وكتب. ويجوز أن يكون جمع حمير كقضيب وقضب. وقولهم: حمير ليس بجمع ولكنه اسم للجمع، بمنزلة العبيد والكتيب قال ابن عطية: والذي مر بي، من أمر العرب، في غيرما ديوان، أن المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديماً قبل الإسلام، على جهة التقرب به والتشرع. قال: ورأيت عن بعض أقوياء العرب، أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينهما أربعة أميال. انتهى. وكذلك كان مخرمة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء، وكان قبل مولد النبي ﷺ عام الفيل، وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون.

وقال القزويني: المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصاً عجيباً، وبينه وبين الحية عداوة، فإن الحية تأكل بيضه وفراخه. وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء، فجعل المكاء يشرشر أي يرفرف على رأسها ويدنو منها، حتى إذا فتحت فاها ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت.

المكلفة: طائر، قال الجاحظ: لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات، فتخرج فراخها فتلقى واحداً منها، فيأخذه هذا الطائر الذي يتكلف به قيل له: المكلفة ويسمى كاسر العظام، فيربيه كما تقدم ا هـ.

واختلفوا في سبب فعل العقاب ذلك، فقال بعضهم: لأنها لا تحضن إلا بيضتين، وقال بعضهم: بل تحضن الثلاثة، لكنها ترمي بفرخ من فراخها استثقالاً للكسب على الثلاثة. وقال آخرون: ليس كذلك إلا لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعتري النفساء من الوهن. وقيل: لأنها سيئة الخلق كما تقدم. ولا يستعان على تربية الولد إلا بالصبر. وقيل: لأنها كثيرة الشره وإذا لم تكن أم الفراخ تؤثر أولادها على نفسها ضاعت أولادها. قال هؤلاء: والفرخ الذي ترمي به العقاب من الثلاثة، يحضنه طائر يقال له المكلفة ويسمونه كاسر العظام أيضاً، فيربيه كما تقدم والله تعالى أعلم.

الملكة: كالسمكة حية طولها شبر أو أكثر، على رأسها خطوط بيض تشبه التاج، فإذا انسابت على الأرض، أحرقت كل شيء مرت عليه، وإن طار طائر فوقها سقط عليها، وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب. ومن أكل تلك الحية من السباع أو غيرها مات. وهي قليلة الظهور للناس.

ومن خواصها الغريبة أن من قتلها فقد حاسة الشم في الحال، ولا يمكن بعد ذلك علاجه.

المنارة: سمكة تخرج من البحر، على شكل المنارة، فترمي بنفسها على السفينة فتكسرها وتغرق أهلها، فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطسوس والبوقات لتبعد عنهم، وهي محنة عظيمة في البحر. قاله أبو حامد الأندلسي.

المنخنقة: هي البهيمة المأكولة تنخنق بحبل حتى تموت، وكانت العرب تفعله حرصاً على الدم، لأن العرب كانوا يأكلون الدم، ويسمونه الفصيد، ويقولون: إن اللحم دم جامد. فحرم

الله تعالى المنخنقة لما ينحبس فيها من الدم، قال الرافعي: ويستثنى من المنخنقة الجنين فإنه مات بقطع النفس عنه وهو حلال.

فرع: لو ذبح بهيمة وقطع أوداجها، ثم خنقها ومنع خروج الدم حتى ماتت بقطع النفس، فيحتمل حلها، لأنها لما قطعت أوداجها حصلت الذكاة الشرعية، ولا أثر لحبس الدم كما لا أثر له في مصيد الجوارح إذا مات الصيد بالمثقل، ولم تدرك ذكاته أو رماه بسهم فمات، فإنه حلال وإن انحبس فيه الدم، ويحتمل التحريم، وهو ما أجاب به شيخنا الأسنوي رحمه الله تعالى، لأن الحكمة في الذكاة خروج الدم ولم يوجد، فأشبهت المنخنقة. وبالقياس على ما لو خنقها أولاً ثم أسرع فقطع الأوداج والحياة مستقرة، ثم ماتت بقطع النفس. والفرق بين هذا، وبين مصيد الجوارح أن الذبح هناك غير مقدور عليه، فانتفت حكمته لعدم القدرة عليه والقدرة ههنا موجودة فافترق البابان، ولأنا لو قلنا بحلها لم يكن لتحريم الخنق معنى، لأنه يمكن التوصل إليه بهذا الطريق والله أعلم.

المنشار: سمكة في بحر الزنج كالجبل العظيم من رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود، كالأبنوس كل سن منها كذراعين وعند رأسها عظمان طويلان، كل عظم مقدار عشرة أذرع، تضرب بالعظمين ماء البحر يميناً وشمالاً، فيسمع له صوت هائل، ويخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء، ثم يعود إلى المركب رشاشه كالمطر. وإذا دخلت تحت سفينة كسرتها، فإذا رآها أهل السفن ضجوا إلى الله تعالى، حتى يدفعها عنهم. كذا ذكره، في عجائب المخلوقات، وهي داخلة في عموم السمك والله أعلم.

الموقوذة: قال الزجاج: هي التي تقتل ضرباً، يقال: وقذتها أقذها وقذا، وأوقذتها أوقذها إيقاذاً إذا أثخنتها ضرباً انتهى. قال[1] الفرزدق يهجو جريراً:

كم عمةٍ لك يا جريرُ وخالة فَدْعاءَ قد حَلَبْتَ علي عشاري
سعارة تقذُ الفصيل برجلِها فطّارة لقوادمِ الأبكارِ

قوله: فدعاء هي التي أصابها الفدع، وهو ورم في القدم، والعشار: النوق، واحدها عشراء وهي التي مضى عليها تسعة أشهر، وطعنت في العاشر، وهي حامل. وقوله: تقذ الفصيل أي تضربه إذا دنا منها عند الحلب، وفطارة مأخوذ من الفطر، وهو الحلب بأطراف الأصابع، فإن كان بجميع الأصابع فهو الصب، وهو إنما يكون في الكبار من النوق، وأما الصغار من النوق فإنما تحلب بأطراف الأصابع، لصغر ضروعها. وفي معنى الموقوذة ما يرمى من الطير بالسهام التي لا نصل لها أو بحجر ونحوه فتموت. وقد سئل ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن الطير يموت بالبندقة، فقال: هو وقيذ. قلت: الظاهر عدم جواز رمي الطير بالبندق، إذا علم أنه يقتل غالباً، وكذلك الطومار والحجر لأنه من باب اتلاف الحيوان لغير منفعة والله تعالى أعلم.

الموق: بالضم نمل له أجنحة وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في النمل في باب النون.

---

(١) ديوان الفرزدق: ٣١٢.

المول: العنكبوت الواحدة مولة، وأنشدوا:

حاملة ذلول لا محموله ملأى من الماء كعين الموله

المها: بالفتح جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية والجمع مهوات، وقيل: المها نوع من البقر الوحشي إذا حملت الأنثى من المها هربت من البقر، ومن طبعها الشبق، والذكر لفرط شهوته يركب ذكراً آخر، وهي أشبه بالمعز الأهلية، وقرونها صلاب جداً، وبها يضرب المثل في سمن المرأة وجمالها قال(1) الشاعر:

خليلي إن قالت بثينة: ماله أتانا بلا وعد؟ فقولا لها: لها
سها وهو مشغولٌ لعظمِ الذي به ومن بات طولَ الليلِ يرعى السُّها سها
بثينةُ تزري بالغزالةِ في الضحى إذا برزتْ لم تبقِ يوماً بها بُها
لها مقلةٌ نجلاءُ كحلاءُ خلقةً كأن أباها الظبيُ أو أمها مَها
دهتني بودٍ قاتلٍ وهو متلفي وكم قتلتَ بالودِ من ودّها دها

فائدة: روى الطبراني، في معجمه الكبير بإسناد رجاله ثقات، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: نزل الركن الأسود من السماء، فوضع على أبي قبيس، كأنه مهاة بيضاء، فمكث أربعين سنة، ثم وضع على قواعد إبراهيم ﷺ. وروى(2) في الأوسط والكبير أيضاً، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «الحجر الأسود من حجارة الجنة وما في الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا برىء». وفي إسناده محمد بن أبي ليلى، وفيه كلام. وروى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت، إذا هو برجل يطوف، وعلى عنقه مثل المهاة، يعني حسناً وجمالاً وهو يقول:

عدتُ لهذي جَمَلاً ذلولاً موطأ أتبعُ السهولا
أعدّ لها بالكفِّ أنْ تميلا أحذرُ أنْ تسقطَ أو تزولا

أرجو بذاك نائلاً جزيلا(3)

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: يا عبد الله من هذه التي وهبت لها حجك؟ قال: امرأتي يا أمير المؤمنين، وإنها لحمقاء مرغامة، أكول قمامة، لا تبقى لها خامة، فقال رضي الله تعالى عنه: مالك لا تطلقها؟ قال: يا أمير المؤمنين إنها لحسناء لا تفرك، وأم صبيان لا تترك. قال: فشأنك بها.

وحكى الإمام أبو الفرج بن الجوزي، في كتاب الأذكياء، قال: قعد رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم. فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري، وما وقفا ومرا مشرقاً ومغرباً، قال: فتبعت

---

(1) ديوان جميل بثينة: ١٠٤.
(2) رواه البخاري: حج ٥٠، ٥٦. والترمذي حج ٣٥، ٤٩.
(3) النائل: العطاء.

المرأة وقلت لها: إن لم تقولي لي ما قلتما فضحتك! فقالت: أراد قول[1] علي بن الجهم:

عيونُ المها بين الرُّصـافةِ والجسرِ ... جلبن الهوى من حيثُ أدري ولا أدري

وأردت أنا قول أبي العلاء المعري:

فيـا دارهـا بـالحـزنِ إن مـزارهـا ... قـريبٌ ولكـنْ دونَ ذلـك أهـوالُ

فتركتها وانصرفت.

وقد تقدم حكمها وأمثالها في باب الباء الموحدة في الكلام على البقر الوحشي.

الخواص: مخها يطعم لصاحب القولنج ينفعه نفعاً بيناً، ومن استصحب معه شعبة من قرن المهاة نفرت منه السباع، وإذا بخر بقرنه أو جلده في بيت نفرت منه الحيات، ورماد قرنه يذر على السن المتأكلة يسكن وجعها، وشعره إذا بخر به البيت هرب منه الفأر والخنافس، وإذا أحرق قرنه وجعل في طعام صاحب الحمى الربع، فإنها تزول عنه بإذن الله تعالى، وإذا شرب في شيء من الأشربة زاد في الباه، وقوى العصب، وزاد في الإنعاظ، وإذا نفخ في أنف الراعف قطع دمه، وإذا أحرق قرناه حتى يصيرا رماداً وديفا بخل، وطلي به موضع البرص مستقبل الشمس، فإنه يزول بإذن الله تعالى، وإذا استف منه مقدار مثقال، فإنه لا يخاصم أحداً إلا غلبه.

التعبير: المهاة في الرؤيا رجل رئيس كثير العبادة، معتزل عن الناس، ومن رأى عين المهاة، نال رياسة أو امرأة سمينة جميلة قصيرة العمر، ومن رأى رأسه تحول كرأس مهاة نال رياسة وغنيمة وولاية على ناس غرماء، ومن رأى كأنه مهاة فإنه يعتزل الجماعة، ويدخل في بدعة والله الموفق.

المهر: ولد الفرس والجمع أمهار ومهار ومهارة، والأنثى مهرة بالضم والجمع مهر ومهرات. قال الربيع بن زياد العبسي:

ومجـنبـاتٍ مـا يـذقـن عـذوفـا ... يـقـذفـن بـالمـهـرات والأمـهـار

وقد أحسن مهيار الديلمي في وصف المهرة حيث قال:

قـال لي العـاذل: تسلو قلت: مـه ... إنّ أسـبـابَ هـواهـا محـكـمـه
مـهـرةٌ تـسـمـعُ في السرج لهـا ... تحـتَ مَن يـعلو عـليهـا حمـحـمـه

وقيل لبعض الحكماء: أي المال أشرف؟ قال: فرس يتبعها فرس في بطنها فرس.

وقال الجوهري، في الحديث[2]: «خير المال مهرة مأمورة، وسكة مأبورة»، أي كثيرة النتاج والنسل. والسكة الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة الملقحة، ومعنى الكلام خير المال نتاج أو زرع، وملخص هذا أن الجوهري رحمه الله جعله في موضع حديثاً، وفي موضع من كلام الناس. كذا قاله الإمام الحافظ شرف الدين الدمياطي، في كتاب الخيل، في آخر الباب الأول. قلت:

---

(١) ديوان علي بن الجهم: ١٤١.
(٢) رواه ابن حنبل: ٤٦٨/٣.

وهذا عجيب من الجوهري مع سعة حفظه، وغزارة علمه والصواب أنه حديث رواه أحمد والطبراني والله أعلم.

إشارة: كان أبو عبد الله محمد بن حسان البسري، من الأولياء ذوي الكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، وأنه خرج للغزاة مرة، فبينما هو في فلاة من الأرض إذ مات مهره الذي كان يركبه، فقال: اللهم أعرنا إياه فقام المهر حياً بإذن الله تعالى، فلما وصل إلى بسر، أخذ السرج عنه فسقط ميتاً.

وكان رحمه الله، إذا كان شهر رمضان دخل بيتاً وقال لامرأته: طيني علي الباب وألقي إلي كل ليلة رغيفاً من الكوة، فإذا كان يوم العيد فتحت الباب ودخلت فتجد الثلاثين رغيفاً في زاوية البيت فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام رضي الله تعالى عنه.

وفي الأنساب لابن السمعاني، أن أبا عبد الله المذكور منسوب إلى بصرى، قرية من قرى الشأم فأبدلت الصاد سيناً على قياس قولهم في السويق الصويق والسراط الصراط انتهى.

وقال ابن الأثير: هذا كله خطأ في النقل والنحو، أما النقل فإنه منسوب إلى بسر قرية معروفة، وأما النحو فإبدال الصاد سيناً ليس على إطلاقه إنما ذلك مع حروف معلومة، وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عطاء الدمشقي، في تاريخ دمشق، وقال: إنه من قرية بسر وهذا هو الصواب والله تعالى أعلم.

قلت: والحروف التي تبدل معها السين صاداً هي: الحاء والطاء والعين والقاف بشرط أن تكون السين متقدمة وأحد هذه الحروف متأخراً والله تعالى أعلم.

ملاعب ظله: القرلي المتقدم ذكره، في باب القاف، وربما قيل له: خاطف ظله. قال الكميت:

وريطةِ فتيانٍ كخاطفِ ظلّه جعلت لهم منها خباءً ممددا

كذا قاله الجوهري. قال: قال ابن سلمة: هو طائر يقال له الرفراف، إذا رأى ظله في الماء أقبل إليه ليخطفه.

أبو مزينة: سمك في البحر على صورة الرجال، يقال إنهم يظهرون بالاسكندرية والبرلس ورشيد على صورة بني آدم بجلود لزجة وأجساد متشاكلة، لهم بكاء وعويل إذا وقعت في أيدي الناس، وذلك أنهم ربما برزوا من البحر إلى البر، يتمشون فيقع بهم الصيادون، فإذا بكوا رحموهم وأطلقوهم كذا ذكره القزويني.

ابنة المطر: قال في المرصع: إنها دويبة حمراء تظهر عقب المطر، فإذا نضب الثرى عنها ماتت.

أبو المليح: الصقر وحكمه، تقدم في باب الصاد المهملة.

ابن ماء: قال في المرصع: إنه نوع من طير الماء، ويجمع على بنات ماء، فإذا عرفته قلت: ابن الماء بخلاف ابن عرس وابن آوى، لأنه لا يقع على أنواع من طير الماء، ويطلق على كل ما يألف الماء من أجناس الطير، وذلك يدل كل واحد منها على جنس مخصوص والله أعلم.

باب النون

الناب: المسنة من النوق، والجمع النيب. وفي المثل: «لا أفعل ذلك ما حنت النيب» سميت بذلك لطول نابها، ولا يقال للجمل: ناب، وناب القوم سيدهم، قاله الجوهري.

الناس: جمع إنسان. قال الجوهري: والناس قد يكون من الإنس والجن، وقال كثير من المفسرين، في قوله[1] تعالى: ﴿لخلقُ السموات والأرضِ أكبر من خلق الناس﴾ معناه أعجب من خلق المسيح الدجال، ولم يذكر المسيح الدجال في القرآن، إلا في هذه الآية على هذا القول. وقيل: ذكر في قوله تعالى ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾[2]، والمشهور أنه طلوع الشمس من مغربها.

فرع: حلف لا يكلم الناس، حنث إذا كلم واحداً، كما لو قال: لا آكل الخبز، فإنه يحنث بما أكل منه، ولو حلف لا يكلم ناساً حمل على ثلاثة كذا صرح به الشيخان، وفاقاً لابن الصباغ وغيره. وقال الماوردي والروياني: إذا حلف على معدود في نفي أو إثبات كالنساء والمساكين، فإن كانت يمينه على الإثبات كقوله: لأكلمن الناس، ولأتصدقن على المساكين لم يبر إلا بثلاثة، اعتباراً بأقل الجمع. وإن كانت يمينه على النفي كقوله: لا أكلم الناس حنث بالواحد، اعتباراً بأقل العدد، وهو واحد، والرق أن نفي الجمع ممكن وإثبات الجمع متعذر، فاعتبر أقل الجمع في الإثبات وأقل العدد في النفي والله تعالى أعلم.

الناضح: البعير الذي يستقى عليه، سمي بذلك لأنه ينضح الماء، أي يصبه، والأنثى ناضحة وسانية والجمع نواضح. روى[3] مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أو عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه شك الأعمش قال: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا؟ فقال ﷺ: «افعلوا». فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك غنى. فقال ﷺ: «نعم». فدعا ﷺ بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع شيء يسير. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم». فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا. وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني محمد رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة».

وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فرأينا منه عجباً، جاء رجل فقال: يا رسول الله إنه كان لي حائط فيه عيشي

---

(١) سورة غافر: آية ٥٧.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٥٨.
(٣) رواه مسلم: إيمان ٤٥. وابن حنبل ٣ ـ ١١.

وعيش عيالي، ولي فيه ناضحان فمنعا بي أنفسهما، وحائطي وما فيه، ولا أقدر على الدنو منهما، فنهض رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتى الحائط، فقال لصاحبه: «افتح الباب» فقال: إن أمرهما عظيم، فقال ﷺ: «افتح الباب» فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبة، فلما انفرج الباب، نظرا إلى رسول الله ﷺ فبركا ثم سجدا، فأخذ رسول الله ﷺ برؤوسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما، وقال: «استعملهما وأحسن علفهما». فقال القوم: تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا في السجود لك فقال ﷺ: «إن السجود ليس إلا للحي الذي لا يموت، ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»(١).

وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبو بكر البيهقي، من حديث يعلى بن مرة، قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ، إذا مررنا بناضح يستقى عليه، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه وخطامه، فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أين صاحب هذا؟» فجاءه فقال ﷺ: «بعنيه» فقال: بل نهبه لك، وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، فقال(٢) ﷺ: «إنه شكا إلي كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه» وذكر نحوه الحاكم، في المستدرك، من طريق يعلى. وقال: صحيح ولم يخرجاه. وفي رواية: «إنه جاء وعيناه تذرفان» وفي رواية: «أنه سجد للنبي ﷺ»، وفي رواية أنه ﷺ قال: «أتدرون ما يقول زعم أنه خدم مواليه أربعين سنة». وفي رواية: «عشرين سنة حتى كبر فنقصوا من علفه وزادوا في عمله حتى إذا كان لهم غرض أرادوا أن ينحروه غداً». وفي رواية يعلى: «في طريق مكة»، وفي رواية أنه ﷺ، قال لأصحابه: «لا تنحروه وأحسنوا إليه حتى يأتي أجله».

الناقة: الأنثى من الإبل، قال الجوهري: الناقة تقديرها فعلة بالتحريك، لأنها جمعت على نوق مثل بدنة وبُدن، وخشبة وخشب، وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك، وقد جمعت في القلة على أنوق. ثم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها. فقالوا: أونق. حكاها يعقوب عن بعض الطائيين، ثم عوضوا من الواو ياء، فقالوا: أينق ثم جمعوها على أيانق. وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار إلا أن الواو صارت ياء لكسرة ما قبلها، وأنشد أبو زيد للقلاخ بن حزن:

أبعدكن الله مِن نياق   إنْ لم تنجين من الوثاقِ

وبعير منوق أي مذلل مروض، وناقة منوقة ا هـ.

وكنية الناقة أم بو وأم حائل وأم حوار وأم السقب وأم مسعود ويقال لها بنت الفحل وبنت الفلاة وبنت النحائب. روى الإمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: كان النبي ﷺ يسير في سفر، فلعن رجل ناقة، فقال ﷺ: «أين صاحب هذه الناقة؟» فقال الرجل: أنا. فقال ﷺ: «أخرها فقد أجبت فيها».

وروى مسلم وأبو داود والنسائي، عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، قال: بينما

---

(١) رواه أبو داود: نكاح ٤٠. والترمذي رضاع ١٠.   (٢) رواه ابن حنبل: ٤ ـ ١٧٣.

النبي ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال[1]: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة». قال عمران: فكأني أراها الآن ورقاء تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد. وفي رواية: لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله. قال ابن حبان: إنما أمر ﷺ بإرسالها، لأنه عليه السلام تحقق إجابة الدعوة فيها، فمتى علم استجابة الدعاء من لاعن ما أمرناه بإرسال دابته، ولا سبيل إلى علم هذا لانقطاع الوحي فلا يجوز استعمال هذا الفعل لأحد أبداً. وقيل: إنما قال ﷺ هذا زجراً لها ولغيرها. وقد كان سبق نهيها ونهي غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة. والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق.

وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير تلك الطريق، وغير ذلك من التصرفات، التي كانت جائزة قبل هذا فهي باقية على الجواز، لأن النهي إنما ورد في المصاحبة، فيبقى الباقي كما كان. والورقاء بالمد التي يخالط بياضها سواد، والذكر أورق.

وقد ورد في النهي عن اللعن أحاديث، منها ما روى مسلم في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[2]: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً». وفي رواية[3] الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذي».

وفي سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها، فتهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن، فإن كان أهلاً لذلك نزلت عليه وإلا رجعت إلى قائلها». وفي شعب البيهقي، أن عبد الله بن أبي الهذيل كان إذا لعن شاة لم يشرب من لبنها، وإذا لعن دجاجة لم يأكل من بيضها.

فائدة: وأما قوله تعالى: ﴿ناقة الله﴾[4] فهو إضافة خلق إلى خالق تشريفاً وتخصيصاً، قيل: إن صالحاً عليه الصلاة والسلام أتى بالناقة من قبل نفسه، وقال الجمهور: بل سألوه أن يدعو ربه أن يخرج لهم آية من صخرة يقال لها الكاثبة ناقة عشراء، فدعا الله فانشقت عن ناقة عظيمة، يروى أنها كانت حاملاً، فولدت وهم ينظرون إليها سقباً قدرها، فعقرها قدار بن سالف، وهو أشقى الأولين. ﴿تعاطى فعقر﴾[5] أي قام على أطراف أصابع رجليه، ثم رفع يديه فضربها.

روي أن سيد ثمود جندع بن عمرو قال: يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة، لصخرة منفردة في ناحية الحجر، يقال لها الكاثبة، ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء. فصلى صالح ركعتين، ودعا ربه، فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها، ثم تحركت فانصدعت عن ناقة مخترجة

---

(١) رواه أبو داود: جهاد ٥٠. وابن حنبل: ٤ ـ ٤٢٩.
(٢) رواه مسلم: بر ٨٤. والترمذي بر ٧٢.
(٣) رواه الترمذي: بر ٧٢. وابن حنبل ٢ ـ ٣٣٧.
(٤) سورة الأعراف: آية ٧٣.
(٥) سورة القمر: آية ٢٩.

جوفاء وبتراء وعشراء، كما وصفوا، لا يعلم ما بين جنبيها عظماً إلا الله تعالى، وهم ينظرون ثم نتجت سقباً مثالها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه. فقال لهم صالح عليه السلام: هذه ناقة الله لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم. فمكثت الناقة، ومعها سقبها في أرض ثمود، ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غباً، فإذا كان يوم شربها، وضعت رأسها في بئر في الحجر، يقال لها بئر الناقة لا ترفع رأسهاحتى تشرب كل ما فيها، فلا تدع فيها قطرة، ثم ترفع رأسها فتتفحج لهم، فيحلبون منها ما شاؤوا من لبن، فيشربون ويدخرون ويملؤون أوانيهم كلها. ثم تصدر من غير الفج الذي وردت منه، لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث جاءت. فإذا كان الغد كان يومهم، فيشربون من الماء ما شاؤوا، أو يدخرون ما شاؤوا فهم من ذلك في بر ودعة.

وكانت الناقة تصيف، إذا كان الحر، بظهر الوادي، فتهرب منها المواشي إلى بطن الوادي، في حره وجدبه، وتشتو إذا كان الشتاء ببطن الوادي، فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البرد والجدب، فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم، وحملهم ذلك على عقر الناقة، فعقرها قدار بن سالف، وهو أشقى الأولين. وكان أحمر أزرق قصيراً ملتزق الخلق، واسم أمه قديرة. روي أنه ولد على فراش سالف، ولم يكن من ظهره، فدعته امرأة يقال لها عنيزة، وكانت عجوزاً مسنة، وكانت ذات بنات حسان، وذات مال من إبل وبقر وغنم.

وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه، فقالت له: أعطيك أي بناتي شئت، على أن تعقر الناقة. فانطلق قدار فكمن لها في أصل شجرة على طريقها، فلما مرت به شد عليها بالسيف فعقرها، فذلك قوله[1] تعالى: ﴿فتعاطى فعقر﴾ أي قام على أطراف أصابع رجليه، ثم رفع يديه فضربها، فجرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقبها، فانطلق السقب حتى أتى جبلاً منيعاً، يقال له صنو. وأتى صالح عليه السلام فقيل له: أدرك الناقة، فقد عقرت، فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه. ويقولون له: يا نبي الله إنما عقرها فلان، لا ذنب لنا. فقال: انظروا هل تدركون فصيلها، فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه، فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في السماء حتى ما يناله الطير.

وقُدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ وغيرهم. ووقع في المهذب، في باب الهدنة، أن اسمه العيزار بن سالف، وهو وهم بلا خلاف. وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة، كأنما طليت بالخلوق، صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وإناثهم فأيقنوا بالعذاب، وكان صالح عليه الصلاة والسلام قد أخبرهم بذلك. وخرج هارباً منهم فشغلهم عنه ما نزل بهم، من عذاب الله، فجعل بعضهم يخبر بعضاً ما يرون في وجوههم، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل، فلما أصبحوا يوم الجمعة إذا وجوههم محمرة، كأنما خضبت بالدماء، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل، فلما أصبحوا يوم السبت إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار، فلما

---

(١) سورة القمر: آية ٢٩.

أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى الأجل وحضركم العذاب، فلما كان يوم الأحد، لما اشتد الضحى، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت يصوت به في الأرض، فقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وكان الذي آمن بصالح عليه الصلاة والسلام من ثمود أربعة آلاف، فخرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما حضرها صالح مات، فسميت حضرموت. ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضور. كذا قاله محمد بن اسحاق ووهب وجماعة. وقال قوم من أهل العلم: توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة.

وروى أحمد والطبراني والبزار بإسناد صحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[1]: «لا تسألوا نبيكم الآيات فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروا الناقة، فقيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام أو قيل لهم: إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام، ثم جاءتهم الصيحة فأهلكت من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله تعالى فمنعه من عذاب الله عز وجل». قالوا: يا رسول الله من هو؟ قال: «أبو رغال». قيل: ومن أبو رغال؟ قال: «جد ثقيف». وفي رواية فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب. وأراهم ﷺ قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن.

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال[2]: «أشقى الناس ثلاثة: عاقر ناقة ثمود وابن آدم الأول الذي قتل أخاه، ما سفك على الأرض دم إلا لحقه منه إثم، لأنه أول من سن القتل وقاتل علي بن أبي طالب». رضي الله تعالى عنه.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر، في غزوة تبوك، أمرهم أن لا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها، فقالوا: قد عجنا منها واستقينا. فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. وفي رواية[3] جابر أنه ﷺ قال لأصحابه: «لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

وروى[4] مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه، قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله تعالى، فقال له ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة».

وروى[5] أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي بن كعب قال: بعثني رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣ ـ ٢٩٦.
(٢) رواه البخاري: أنبياء ١٧، تفسير سورة ٩١ ـ ١. وابن حنبل ٤ ـ ١٧ ـ ٢٦٣.
(٣) رواه البخاري: أنبياء ١٧.
(٤) رواه مسلم: إمارة ١٣٢. والنسائي جهاد ٤٦.
(٥) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ١٤٢.

عاملاً فمررت برجل، فلما جمع لي ماله لم أجد عليه فيه إلا ابنة مخاض، فقلت له: أدّ ابنة مخاض، فإنها صدقتك. فقال: ذاك ما لا لبن فيه ولا ظهر، ولكن هذه ناقة فتية سمينة فخذها فامتنع أبي بن كعب، وترافعا إلى رسول الله ﷺ فقال له: «ذاك الذي عليك فإن تطوعت فخير أجرك الله فيه وقبلناه منك». قال: ها هي يا رسول الله قد جئتك بها فخذها، فأمره رسول الله ﷺ بقبضها ودعا له في ماله بالبركة.

وفي كامل ابن عدي وسنن البيهقي وشعب الإيمان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل، أم أعقلها وأتوكل؟ فقال ﷺ: «بل اعقلها وتوكل».

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: إن رجلاً ادعى عليه عند النبي ﷺ بسرقة ناقة، فقال: ما سرقتها. فقال ﷺ: «احلف» فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما سرقتها. فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال: إنه سرقها، ولكن غفر الله له كذبه، بصدقه بلا إله إلا هو. فقال له النبي ﷺ: «أخذتها فردها إليه» فردها إليه. وفي رواية قال له النبي ﷺ: «إن الله غفر لك كذبك بصدقك بلا إله إلا الله».

وروى(1) الحاكم عن النعمان بن سعد قال: كنا جلوساً عند علي رضي الله تعالى عنه، فقرأ ﴿يومَ نحشرُ المتقين إلى الرحمنِ وَفداً﴾(2) فقال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يساقون سوقاً، ولكن يؤتون بنوق من نوق الجنة، لم تنظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة. ثم قال: صحيح الإسناد.

وروى(3) الحاكم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ دخل أعرابي جهوري الصوت بدوي على ناقة حمراء، فأناخها بباب المسجد، ودخل فسلم على النبي ﷺ ثم قعد فلما قضى نحبه، قالوا: يا رسول الله إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة قال ﷺ: «أثمَّ بينة» قالوا: نعم يا رسول الله. فقال ﷺ: «يا علي خذ حق الله من الأعرابي إن قامت عليه البينة، وإن لم تقم فرده إلي» فأطرق الأعرابي ساعة، فقال له النبي ﷺ: «قم يا أعرابي لأمر الله وإلا فأدل بحجتك». فقالت الناقة من خلف الباب: والذي بعثك بالحق والكرامة يا رسول الله إن هذا ما سرقني وما ملكني أحد سواه. فقال له النبي ﷺ: «يا أعرابي بالذي أنطقها بعذرك ما الذي قلت»؟ قال: قلت: اللهم إنك لست برب استحدثناك، ولا معك إله أعانك على خلقنا ولا معك رب فنشكّ في ربوبيتك، أنت ربنا كما نقول، وفوق ما يقول القائلون أسألك أن تصلي على محمد وأن تريني براءتي. فقال له النبي ﷺ: «الذي بعثني بالكرامة يا أعرابي لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك فأكثر الصلاة علي». ثم قال الحاكم: رواته ثقات، لكن فيهم يحيى بن عبد الله المصري، لست أعرفه بعدالة ولا جرح. وقد تقدم في البعير حديث رواه الطبراني قريب من هذا.

---

(1) رواه ابن حنبل: ١/١٥٥.
(2) سورة مريم: آية ٨٥.
(3) رواه الترمذي: زهد ٥٠ وابن حنبل: ٤/٢٣٩.

وفي المستدرك أيضاً، في ترجمة صهيب رضي الله عنه، عن كعب الأحبار، عن صهيب بن سنان، قال: كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم إنك لست بإله استحدثناه، ولا برب ابتدعناه، ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ إليه، ونذرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه معك، تباركت وتعاليت»[1] قال كعب الأحبار: كان نبي الله ﷺ يدعو به، ثم قال: صحيح الإسناد.

في المستدرك أيضاً، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه، فقال له النبي ﷺ: «يا أعرابي سل حاجتك». فقال: يا نبي الله ناقة نرحلها، وأعنزاً يحلبها أهلي. فقال ﷺ: «أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني إسرائيل». قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟ قال ﷺ: «إن بني إسرائيل خرجوا من مصر، فضلوا الطريق، وأظلم عليهم، فقالوا: ما هذا؟ قال علماؤهم: إن يوسف عليه الصلاة والسلام، لما حضرته الوفاة، أخذ علينا موثقاً من الله، أن لا نخرج حتى ننقل عظامه معنا، فقال موسى عليه الصلاة والسلام: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا: عجوز لبني إسرائيل، فبعث إليها فأتته فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: وتعطيني ما أسألك؟ فقال: وما سؤالك؟ قالت: أكون معك في الجنة. فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، ففعل». ورواه الطبراني وأبو يعلى الموصلي بنحوه.

وفي رواية، في غير المستدرك أنها كانت مقعدة عمياء، وأنها قالت لموسى: لا أخبرك عن موضع قبره حتى تعطيني أربع خصال: تطلق رجلي وبصري وشبابي وأكون معك في الجنة. فأوحى الله إليه أن أعطها ما سألتك، فإن ما تعطي علي، ففعل. فانطلقت بهم إلى مستنقع ماء، فاستخرجته من شاطىء النيل، في صندوق من مرمر، فلما فكوا تابوته طلع القمر، وأضاءت الطريق مثل النهار، فاهتدوا وحملوه معهم إلى الشام فدفنه موسى عليه السلام عند آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم. وعاش يوسف بعد أبيه يعقوب ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة.

وفي المستدرك وغيره، عن معاذ رضي الله تعالى عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول[2]: «من قاتل في سبيل الله قدر فواق ناقة وجبت له الجنة». وفواق الناقة ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح.

وفي الحديث أيضاً: «عيادة المريض قدر فواق الناقة». وفي أخبار معن بن زائدة الشيباني أن رجلاً قال له: احملني أيها الأمير، فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية. ثم قال: لو علمت أن الله خلق مركوباً يحمل عليه غير هذا لحملتك عليه. وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس. ولو علمنا شيئاً آخر يتخذ من الخز غير هذا لأعطيناك إياه. قال بعضهم: رحم الله معناً، لو كان يعلم أن الغلام يركب لأمر له به، ولكنه كان عربياً محضاً لم يتدنس بقاذورات العجم. وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه جلس يوماً فرأى راكباً فقال: ما أحسب هذا يريد غيري، فلما وصل أنشد قائلاً[3]:

---

(١) رواه مسلم: مسافرين ٢٠١. وأبو داود: صلاة ١١٩.

(٢) رواه أبو داود: جهاد ٤٠. والترمذي: فضائل الجهاد ١٧. النسائي جهاد ٢٥.

(٣) وفيات الأعيان: ٥/٢٤٨.

أصلحك الله قلّ ما بيدي ... فما أطيقُ العيالَ إذْ كثروا
ألحّ دهرٌ رمى بكلكِله ... فأرسلوني إليك وانتظروا[1]

فقال: يا فلان ناقتي الفلانية وألف دينار، فدفعهما إليه وهو لا يعرفه. ومحاسن معن كثيرة، وتولى الولايات العظيمة، وتولى في آخر عمره سجستان، فبينما هو ذات يوم في داره والصناع يعملون بين يديه، اندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم وهربوا، فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم عن آخرهم. وكان قتله في سنة إحدى أو اثنتين أو ثمان وخمسين ومائة رحمه الله. ورثاه الشعراء بمراث كثيرة، فمن المراثي النادرة أبيات الحسن[2] بن مطر الأزدي، وهي في الحُماسة منها:

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا[3]
فيا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جودَه ... وقد كان منه البرُّ والبحرُ مُترعا
ويا قبرَ معنٍ أنت أولُ حفرةٍ ... من الأرضِ خُطّتْ للمكارمِ مضجعا
بلى وقد وسعتَ الجودَ والجودُ ميتٌ ... ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدّعا
فتى عيشَ في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيلِ مجراه مربعا
ولما مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى ... وأصبحَ عرنينُ المكارمِ أجدعا

وحكمها: كالإبل.

الأمثال: قالوا: «لا ناقتي[4] فيها ولا جملي» وأصل المثل للحارث بن عبادة. وقيل: أول من قاله صدوف بنت حليس العذرية، وخبرها مشهور في الأمثال. ومما أنشد في ذلك قول[5] الراعي:

وما هجرتُك حتى قلتِ معلنةً ... لا ناقة لي في هذا ولا جمل

وقال الطغرائي[6] في لاميته:

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

يضرب عند التبري من الظلم أو الإساءة وأطال فيه أصحاب الأمثال، وقالوا: «استنوق الجمل»[7] أي صار ناقة، يضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شيء ثم يخلطه بغيره. وينتقل

---

(١) الكلكل: الصدر.
(٢) هو الحسين بن مطير الأسدي شاعر متقدم مخضرم بين العصرين الأموي والعباسي مات سنة ١٦٩ هـ. والأبيات في وفيات الأعيان: ٥/٢٥٤.
(٣) الغوادي: جمع الغادية وهي مطرة الغداة.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٣٠٥.
(٥) ديوان الراعي: ١٩٨.
(٦) الطُغرائي: الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني، شاعر كاتب وزير، مات سنة ٥١٣ هـ.
(٧) جمهرة الأمثال: ١/٤٩.

منه إليه. قال الجوهري: وأصله أن طرفة بن العبد، كان عند بعض الملوك، والمسيب بن عبس ينشد شعراً في وصف جمل، ثم حوله إلى نعت ناقة، فقال طرفة: قد استنوق الجمل.

وخواصها: كالإبل أيضاً.

التعبير: الناقة في الرؤيا امرأة، فإن كانت من البخت فهي أعجمية، وإن كانت غير بختية فهي امرأة عربية. فمن رأى كأنه حلب ناقة تزوج امرأة صالحة، ومن كان متزوجاً وحلب ناقة رزق ولداً ذكراً، وربما رزق بنتاً. ومن رأى ناقة ومعها فصيلها، فإنه يدل على ظهور آية وفتنة عامة. وقال ابن سيرين: الناقة المحدوجة سفر في بر، ومن ركب ناقة مهرية في منامه سافر وقطع عليه الطريق. ومن حلب النوق في منامه فإنه يلي ولاية يجمع فيها الزكاة.

ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين رحمه الله، أتاه رجل فقال له: رأيت رجلاً يحلب من النوق البخت لبناً، ثم حلبها دماً. فقال ابن سيرين: هذا رجل يتولى على الأعاجم ويجبيهم الزكاة وهي اللبن، ثم يظلمهم ويأخذ أموالهم غصباً، وهو الدم، فكان كذلك. ولحم النوق يدل على وفاء النذر لقول الله تعالى: ﴿**كلُّ الطعامِ كان حِلّاً لبني إسرائيل إلا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه**﴾[1] وهو لحم الجزور. وقيل: لحم الجزور في الرؤيا مصيبة، وقيل مرض، وقيل: رزق، لقول الله تعالى: ﴿**والأنعامَ خلقَها لكم فيها دفءٌ ومنافعُ ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم**﴾[2] ومن عقر ناقة في منامه ندم على أمر فعله، وناله منه مصيبة لقول[3] الله تعالى: ﴿**فعقروها فأصبحوا نادمين**﴾.

وقيل: ركوب الناقة نكاح امرأة، فإن ركبها مقلوباً أتى امرأة في دبرها. ومن رأى ناقة صارت بغلة أو بعيراً، فإن زوجته لا تحمل أبداً. ومن ماتت ناقته ماتت امرأته، أو بطل سفره، وربما دلت الناقة على امرأة كثيرة الخصام، لكثرة رغائها. ومن رأى ناقة دخلت مدينة، فإنها فتنة لقول الله تعالى: ﴿**إنا مرسلو الناقة فتنةً لهم**﴾[4] فإذا عقرت ناقة في مدينة، أصاب أهلها نكبة والله أعلم.

الناموس: البعوض وقد تقدم في باب الباء الموحدة، وقال أبو حامد الأندلسي: الناموس دويبة تلسع الناس، وقال الجوهري: وناموس الرجل سره الذي يطلعه على باطن أمره، ويخصه بما يستره عن غيره. قال الزبيدي: وهو مشتق من نمس بالكلام إذا أخفاه، يقال: نمس الصائد إذا اختفى في الدريئة انتهى.

وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام الناموس الأكبر، لأنه يخفي الكلام حين يلقيه إلى الرسل عن الحاضرين، وفي الحديث أن ورقة بن نوفل قال لخديجة رضي الله تعالى عنها، وهو ابن عمها، وكان نصرانياً: لئن كان ما تقولين حقاً، إنه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى.

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٣.
(٢) سورة النحل: الآيات ٥، ٦، ٧.
(٣) سورة الشعراء: آية ١٥٧.
(٤) سورة القمر: آية ٢٧.

وقد تقدم هذا في باب الفاء، في الفاعوس، وتقدم في الفاعوس الكلام على لفظ الناموس. وما جاء على وزن فاعول ولام الفعل منه سين.

الناهض: فرخ العقاب، وقد تقدم ما في العقاب في باب العين المهملة.

النباج: كرمان الهدهد الكثير القرقرة وسيأتي ما فيه في باب الهاء.

النبر: بالكسر دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه إذا دبت على البعير تورم مدبها، والجمع نبار وأنبار. قال[1] الراجز شبيب بن البرصاء[2]:

كأنها من بُدنٍ وإيقار دبتْ عليها ذربـاتُ الأنبار

ويروى: عاربات الأنبار، والأنبار أيضاً ضرب من السباع، قاله ابن سيده. قال البطليوسي، في الشرح: ويروى هذا البيت بالفاء، وهو أفعال من الشيء الوافر، ويروى بالقاف يريد أنها أوقرت بالشحوم ومعنى الرواية الأولى، أن هذه من سمنها ووفورها دبت عليها الأنبار فلسعتها، وقوله ذربات، في معناها وجهان: أحدهما أنها الحديدة اللسع مأخوذة من قولهم: سكين ذرب ومذرب، أي حادة، والثاني أنها مسمومة، يقال: ذربت السهم إذا سقيته السم ويقال للسم الذرب انتهى.

النجيب: من الإبل والخيل، ومن الرجال الكريم، والجمع نجباء وأنجاب والنجائب جمع نجيبة، روى[3] أبو داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن عمر رضي الله تعالى عنه أهدي نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار، فسأل رسول الله ﷺ في أن يبيعها، ويشتري بثمنها بُدناً. فنهاه عن ذلك، وقال: «بل انحرها». وكذلك رواه الإمام أحمد والبخاري في تاريخه. وفي المثل: أنجبت المرأة إذا ولدت النجباء والمنتجب المختار من كل شيء.

روى الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن الوليد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: لقد حج الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما خمساً وعشرين حجة ماشياً، وأن النجائب لتقاد بين يديه. وفي الحلية سئل محمد بن علي بن الحسين، المعروف بالباقر أحد الأئمة الإثني عشر، على رأي الإمامية، عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبة، وأن نجيبة بني أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

وروى[4] الإمام أحمد والبزار والطبراني وغيرهم باختصار، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي إلا وقد أعطي سبعة رفقاء نجباء ووزراء، وإني أعطيت أربعة عشر: حمزة وجعفر، وعلي وحسن وحسين، وأبو بكر وعمر وعثمان، وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد، وعمار وسليمان وبلال».

---

(١) البيت في الحيوان للجاحظ: ٦/٢٢.

(٢) ابن البرصاء: شبيب بن يزيد جمرة بن عوف بن أبي حارثة المري، شاعر إسلامي بدوي، مات سنة ١٠٠ هـ.

(٣) رواه أبو داود: مناسك ١٥.

(٤) رواه ابن حنبل: ١/٨٨، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩.

وفي بعض طرق الطبراني مصعب بن عمير، وفيه كثير الشواء، وهو من صغار التابعين، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

وفي الحديث: «إن الله يحب التاجر النجيب» أي الفاضل الكريم السخي. وقال[1] ابن مسعود: سورة الأنعام من نجائب القرآن أي من أفاضل سوره.

النحام: طائر على خلقة الأوز، واحدته نحامة يكون آحاداً وأزواجاً في الطيران، وإذا أراد المبيت اجتمع رفوفاً فذكوره تنام، وإناثه لا تنام، وتعد لها مبايت، فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى آخر. ويقال: إن الأنثى تبيض من زق الذكر من غير سفاد، فإذا باضت نفرت. وبقي الذكر عند البيض، يذرق عليه فيقوم الذرق مقام الحضن، فإذا تمت مدته خرجت الفراخ لا حراك بها فتأتي الأنثى فتنفخ في مناقيرها حتى تجري الريح فيها روحاً، ثم يتعاون الذكر والأنثى على التربية. وفي الذكر غلظ طبع وقلة وفاء، فإنه إذا رأى فراخه قد قويت على الطعم ضربها وطردها، فتذهب الأم معها فلا تقرب الذكر إلى وقت السفاد.

الحكم: يحل أكله لأنه من الطيبات، ولأن النبي ﷺ أكله. روى ابن النجار، في ذيل تاريخ بغداد، في ترجمة سهل بن عبيد بن سورة الخراساني الأصبهاني أنه حدث عن اسماعيل بن هارون، عن الصعق بن حزن، عن مطر الوراق، قال[2]: أهدي للنبي ﷺ طير يقال له النحام فأكله واستطابه، وقال: «اللهم أدخل إلي أحب خلقك اليك» وأنس رضي الله تعالى عنه بالباب، فجاء علي رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أنس استأذن لي على رسول الله ﷺ، فقال: إنه على حاجة، فدفع صدره ودخل، فقال رضي الله عنه: يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله ﷺ، فلما رآه ﷺ قال: «اللهم وال من والاه».

وفي الكامل لابن عدي، في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي، أن الطير المشوي كان حجلاً. وفيه، في ترجمة جعفر بن ميمون، أنه كان حبارى. وفي المستدرك أن التي أهدته للنبي ﷺ أم أيمن رضي الله تعالى عنها.

قلت: حديث[2] الطير خرجه الترمذي، وقال: غريب. والبغوي في حسان المصابيح، وخرجه الحربي، وزاد بعد قوله: أهدي للنبي ﷺ طير، وكان مما يعجبه أكله. وزاد بعد قوله فجاء علي بن أبي طالب فقال: استأذن لي على رسول الله ﷺ فقلت: ما عليه إذن، ولكن أحب أن يكون رجلاً من الأنصار. ورواه الطبراني وأبو يعلى والبزار، من عدة طرق كلها ضعيفة. وخرجه عمر بن شاهين، ولم يذكر زيادة الحربي. وقال بعد قوله: فجاء علي فرددته: ثم جاء فرددته، فدخل في الثالثة أو في الرابعة فقال له النبي ﷺ: «ما حبسك عني أو ما أبطأك عني يا علي»؟ قال: جئت فردني أنس ثم جئت فردني أنس، فقال ﷺ: «يا أنس ما حملك على ما صنعت؟» قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار. فقال ﷺ: «يا أنس أوفي الأنصار خير من علي أو أفضل من علي»؟.

---

(١) رواه الدارمي: فضائل القرآن ١٧.

(٢) رواه مسلم: حج ٦٥. والنسائي مناسك ٧٨. وابن حنبل ١ ـ ١٦١.

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: أهدت امرأة لرسول الله ﷺ طيرين بين رغيفين، فقدمتهما إليه، فقال ﷺ: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك». ثم ذكر معنى الحديث. قال الحاكم: وقد رواه عن أنس جماعة أكثر من ثلاثين نفساً. ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد وسفينة وهو من الأحاديث المستدركة على المستدرك. قال الذهبي في تلخيصه: لقد كنت زمناً طويلاً أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه في مستدركه فلما علقت هذا الكتاب، رأيت الهول من الموضوعات التي فيه والله أعلم.

النحل: ذباب العسل، وقد تقدم في باب الذال المعجمة، في لفظ الذباب، أن النبي ﷺ قال في تفسير سورة النساء: «الذباب كله في النار إلا النحل»(١). وواحدة النحل نحلة كنخل ونخلة. وقرأ يحيى بن وثاب: ﴿وأوحى ربُّك إلى النحل﴾(٢) بفتح الحاء. والجمهور بالإسكان.

قال الزجاج: سميت نحلاً لأن الله تعالى نحل الناس العسل، الذي يخرج منها، إذ النحلة العطية وكفاها شرفاً قول الله تعالى: ﴿وأوحى ربُّك إلى النحل﴾(٢) فأوحى سبحانه إليها وأثنى عليها فعلمت مساقط الأنواء من وراء البيداء، فتقع هناك على كل حرارة عبقة، وزهرة أنقة، ثم تصدر عنها بما تحفظه رضاباً وتلقطه شراباً.

قال القزويني، في عجائب المخلوقات: يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة، إذ فيه أوحى الله إلى النحل صنعة العسل، فبين سبحانه أن في النحل أعظم اعتبار، وهو حيوان فهيم ذو كيس وشجاعة، ونظر في العواقب، ومعرفة بفصول السنة. وأوقات المطر، وتدبير المرتع والمطعم، والطاعة لكبيره، والاستكانة لأميره وقائده، وبديع الصنعة وعجيب الفطرة.

قال أرسطو: النحل تسعة أصناف: منها ستة يأوي بعضها إلى بعض. قال: وغذاؤها من الفضول الحلوة والرطوبات التي يرشح بها الزهرة والورق، ويجمع ذلك كله ويدخره، وهو العسل وأوعيته، ويجمع مع ذلك رطوبات دسمة، يتخذ منها بيوت العسل، وهذه الدسومات هي الشمع، وهو يلقطها بخرطومه ويحملها على فخذيه، وينقلها من فخذيه إلى صلبه، هكذا قال.

والقرآن يدل على أنها ترعى الزهر، فيستحيل في جوفها عسلاً وتلقيه من أفواهها، فيجتمع منه القناطير المقنطرة قال الله تعالى: ﴿ثم كُلِي من كلِّ الثمراتِ فاسلكي سبلَ ربِّكِ ذللا يخرج من بطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاءٌ للناس﴾(٣) وقوله: ﴿من كلِّ الثمراتِ﴾(٣) المراد به بعضها، نظيره قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾(٤) يريد البعض واختلاف الألوان في العسل بحسب اختلاف النحل والمرعى، وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى. ومن هذا المعنى قول زينب رضي الله تعالى عنها للنبي ﷺ: جرست نحلة العرفط، حين شبهت رائحته برائحة المغافير والحديث مشهور في الصحيحين وغيرهما.

ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعاً نقياً بنى فيه بيوتاً من الشمع أولاً، ثم بنى

---

(١) الموطأ: جهاد ١٠.
(٢) سورة النحل: آية ٦٨.
(٣) سورة النحل: آية ٦٩.
(٤) سورة النحل: آية ٢٣.

البيوت التي تأوي فيها الملوك، ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً. والذكور أصغر جرماً من الإناث وهي تكثر المادة داخل الخلية، وإن طارت فهي تخرج بأجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية. والنحل تعمل الشمع أولاً، ثم تلقي البزر لأنه لها بمنزلة العش للطير، فإذا ألقته قعدت عليه وحضنته، كما يحضن الطير، فيكون من ذلك البزر دود أبيض، ثم ينهض الدود وتغذي نفسها ثم تطير، وهي لا تقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد، وتملأ بعض البيوت عسلاً وبعضها فراخاً، ومن عادتها أنها إذا رأت فساداً من ملك، إما أن تعزله وإما أن تقتله، وأكثر ما تقتل خارج الخلية. والملوك لا تخرج إلا مع جميع النحل، فإذا عجز الملك عن الطيران، حملته. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك، في آخر الكتاب، في لفظ اليعسوب.

ومن خصائص الملك أنه ليس له حمة يلسع بها، وأفضل ملوكها الشقر، وأسوؤها الرقط بسواد. والنحل تجتمع فتقسم الأعمال فبعضها يعمل العسل، وبعضها يعمل الشمع، وبعضها يسقي الماء، وبعضها يبني البيوت، وبيوتها من أعجب الأشياء لأنها مبنية على الشكل المسدس الذي لا ينحرف، كأنه استنبط بقياس هندسي. ثم هو في دائرة مسدسة، لا يوجد فيها اختلاف، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة، وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر، إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل، وجاءت بينها فروج، إلا الشكل المسدس، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل، كأنه قطعة واحدة وكل هذا بغير مقياس منها ولا آلة ولا بركار، بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها، كما قال: ﴿**وأوحى ربُّك إلى النحل أنِ اتّخذي مِنَ الجبالِ بيوتاً ومن الشجرِ ما يعرِشونَ**﴾ الآية[1].

فتأمل كمال طاعتها وحسن امتثالها لأمر ربها، كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأمكنة الثلاثة الجبال والشجر وبيوت الناس حيث يعرشون؛ أي حيث يبنون العروش، فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الأمكنة الثلاثة البتة. وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها في الجبال، وهي المتقدمة في الآية ثم الأشجار وهي دون ذلك، ثم فيما يعرش الناس وهي أقل بيوتها. فانظر كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى. فهي تتخذها أولاً، فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات، ثم أوت إلى بيوتها، لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولاً، ثم الأكل بعد ذلك، وقال في الإحياء: انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها، حتى اتخذت من الجبال بيوتاً، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء.

ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار، واحترازها من النجاسات والأقذار، وطاعتها لواحد من جملتها، وهو أكبرها شخصاً وهو أميرها، ثم ما سخر الله لأميرها من العدل والانصاف بينها، حتى إنه ليقتل منها على باب المنفذ، كل ما وقع منها على نجاسة، لقضيت من ذلك العجب، إن كنت بصيراً في نفسك، وفارغاً من هم بطنك وفرجك، وشهوات نفسك، في معاداة أقرانك، وموالاة إخوانك.

ثم دع عنك جميع ذلك، وانظر إلى بنيانها بيتاً من الشمع، واختيارها من جميع الأشكال،

---

(١) سورة النحل: آية ٦٨.

الشكل المسدس، فلا تبني بيتها مستديراً ولا مربعاً ولا مخمساً، بل مسدساً لخاصية في الشكل المسدس، يقصر فهم المهندس عن درك ذلك، وهو أن أوسع الأشكال وأحواها المستدير، وما يقرب منه فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة، وشكل النحل مستدير مستطيل، فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة.

ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة، فإن الأشكال المستديرة، إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة، بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة، إلا المسدس. وهذه خاصية هذا الشكل، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ذلك لطفاً به وعناية بوجوده، فيما هو محتاج إليه ليهنأ عيشه. فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه.

وفي طبعه أنه يهرب بعضه من بعض، ويقاتل بعضه بعضاً في الخلايا، ويلسع من دنا من الخلية، وربما هلك الملسوع، وإذا هلك شيء منها داخل الخلايا، أخرجته الأحياء إلى خارج، وفي طبعه أيضاً النظافة، فلذلك يخرج رجيعه من الخلية، لأنه منتن الريح.

وهو يعمل زماني الربيع والخريف، والذي يعمله في الربيع أجود. والصغير أعمل من الكبير، وهو يشرب من الماء ما كان صافياً عذباً، يطلبه حيث كان، ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه، وإذا قل العسل في الخلية، قذفه بالماء ليكثر، خوفاً على نفسه من نفاده، لأنه إذا نفد، أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور، وربما قتلت ما كان منها هناك.

قال حكيم من اليونان لتلامذته: كونوا كالنحل في الخلايا، قالوا: وكيف النحل في الخلايا؟ قال: إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته وأبعدته، وأقصته عن الخلية، لأنه يضيق المكان، ويفني العسل، ويعلم النشيط الكسل. والنحل يسلخ جلده كالحيات، وتوافقه الأصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس. ودواؤه أن يطرح له في كل خلية كف ملح، وأن يفتح في كل شهر مرة، ويدخن باخثاء البقر.

وفي طبعه أنه متى طار من الخلية يرعى ثم يعود، فتعود كل نحلة إلى مكانها لا تخطئه. وأهل مصر يحولون الخلايا في السفن ويسافرون بها إلى مواضع الزهر والشجر، فإذا اجتمع في المرعى فتحت أبواب الخلايا، فيخرج النحل منها ويرعى يومه أجمع، فإذا أمسى عاد إلى السفينة وأخذت كل نحلة منها مكانها من الخلية لا تتغير عنه.

روى[(١)] الإمام أحمد والحاكم والترمذي والنسائي، من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كان رسول الله ﷺ، إذا نزل عليه الوحي، سمع عنده دوي كدوي النحل، فنزل عليه ﷺ يوماً، فمكثنا ساعة، ثم سري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا». ثم قال ﷺ: «لقد أنزل الله علي عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة». ثم قرأ: ﴿قد أفلحَ المؤمنون الذي هم في صلاتِهم خاشعون﴾[(٢)] الآيات. قال: صحيح الإسناد.

---

(١) رواه الترمذي: تفسير سورة ٢٣ ـ ١. وابن حنبل ١ ـ ٣٤. (٢) سورة المؤمنون: آية ٢.

قال النحاس: معنى أقامهن، عمل بهن ولم يخالف ما فيهن، كما يقال: فلان يقوم بعمله.

وروى البيهقي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً، لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾[1].

وروى[2] ابن ماجه، عن أبي بشر بكر بن خلف قال: حدثني يحيى بن سعيد، عن موسى بن أبي عيسى الطحان، عن عون بن عبد الله، عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد، ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها. أما يحب أحدكم أن يكون له أو لايزال له من يذكر به»؟ ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم. والدوي صوت ليس بالعالي.

وفي حديث الإيمان: يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقوله.

وفي المستدرك عن أبي سبرة الهذلي، قال: قال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما فحدثني حديثاً عن رسول الله ﷺ فهمته وكتبته بيدي: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حدث به عبد الله بن عمرو عن محمد رسول الله ﷺ: «إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، ولا سوء الجوار ولا قطيعة الرحم». ثم قال[3] ﷺ: «إنما مثل المؤمن كمثل النحلة، وقعت فأكلت طيباً، ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر، ومثل المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر، أدخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص. فذلك مثل المؤمن». ثم قال: صحيح الإسناد.

وفي المعجم الأوسط للطبراني بإسناد حسن، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل بلال كمثل النحلة، غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله».

وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني أن النبي ﷺ قال: «المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتضع طيباً، وقعت فلم تكسر ولم تفسد». وفي شعب البيهقي، عن مجاهد، قال: صاحبت عمر رضي الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث: «إن مثل المؤمن كَمَثلِ النحلة إنْ صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع، وكذلك النحلة كل شأنها منافع». قال ابن الأثير: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة، حذق النحل وفطنته، وقلة أذاه وخفارته ومنفعته، وقنوعه وسعيه في النهار، وتنزهه عن الأقذار، وطيب أكله، فإنه لا يأكل من كسب غيره، ونحوله وطاعته لأميره.

وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله، منها: الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفتر به عن علمه منها: ظلمة الغفلة، وغيم الشك، وريح الفتنة، ودخان الحرام، وماء السعة، ونار الهوى انتهى.

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٢.

(٢) رواه ابن ماجه: أدب ٥٦. الدارمي مقدمة ٢. وابن حنبل ٤ - ٢٦٨.

(٣) رواه ابن حنبل: ٢ - ١٩٩.

وفي مسند الدارمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كونوا في الناس كالنحلة في الطير إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو تعلم الطير ما في أجوافها من البركة، ما فعلت ذلك بها. خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم. فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

وفيه[1] أيضاً، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله، يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة، ويكون ملكه بالشام، ليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق، ولا يكافىء بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء وضراء يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء.

غريبة: ذكر ابن خلكان، في ترجمة[2] عبد المؤمن بن علي ملك الغرب، أن أباه كان يعمل الطين فخاراً، وأنه كان في صغره نائماً في دار أبيه، وأبوه يعمل في الطين، فسمع أبوه دوياً في السماء، فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار، فاجتمعت كلها على ولده وهو نائم، فغطته وأقامت عليه مدة، ثم ارتفعت عنه وما تألم منها. وكان بالقرب منهم رجل يعرف الزجر فأخبره أبوه بذلك، فقال: يوشك أن يجتمع على ولدك جميع أهل المغرب، فكان كذلك.

وكان من أمر ولده ما اشتهر من ملك المغرب الأعلى والأدنى، ومات عبد المؤمن في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة. وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر موته، في باب الجيم،في الجفرة. وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل، وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: تحقيراً للدنيا أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة. وظاهر هذا أنه من غير الفم، كذا نقله عنه ابن عطية.

والمعروف عنه أنه قال: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعوم العسل، وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروب الماء، ويستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوس الحرير، وهو نسج دودة، وأشرف المركوب الفرس، وعليه تقتل الرجال، وأشرف المشموم المسك، وهو دم حيوان، وأشرف المنكوح المرأة، وهو مبال في مبال. والمحقق أن العسل يخرج من بطونها، لكن لا يدري أمن فمها أو من غيره، لكن لا يتم صلاحه إلا بحمي أنفاسها. فقد صنع ارسطاطالبس بيتاً من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع فأبت أن تعمل حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين كذا قاله الغزنوي وغيره.

وروينا في تفسير الكواشي الأوسط، أن العسل ينزل من السماء فيثبت في أماكن من الأرض فيأتي النحل فيشربه، ثم يأتي الخلية، فيلقيه في الشمع المهيأ للعسل في الخلية، لا كما يتوهمه بعض

(١) رواه الدرامي: مقدمة ٢.
(٢) وفيات الأعيان: ٣/٢٣٧.

الناشئ من أن العسل من فضلات الغذاء، وأنه قد استحال في المعدة عسلاً، هذه عبارته. والله أعلم.

لطيفة: اعلم أن الله تعالى جمع في النحلة السم والعسل دليلاً على كمال قدرته، وأخرج منها العسل ممزوجاً بالشمع. وكذلك عمل المؤمن ممزوجاً بالخوف والرجاء. وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء والحلاوة واللين، وكذلك المؤمن، قال[1] الله تعالى: **﴿ثم تلينُ جلودُهم وقلوبهم إلى ذِكرِ الله﴾** ويخرج من الشاب خلاف ما يخرج من الكهل والشيخ، وكذلك حال المقتصد والسابق، وأمرها الله تعالى بأكل الحلال، حتى صار لعابها شفاء ودواء. وكل الذباب في النار إلا النحل. ودواء الأطباء مر، ودواء الله حلو وهو العسل. وهي تأكل من كل الشجر، ولا يخرج منها إلا حلواً، ولا يغيرها اختلاف مأكلها. والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه وقوله[2] تعالى: **﴿فيه شفاء للناس﴾** لا يقتضي العموم لكل علة، وفي كل إنسان، لأنه نكرة في سياق الإثبات، بل هو خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في حال دون حال.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه كان لا يشكو شيئاً إلا تداوى بالعسل، حتى كان يدهن به الدمل والقرحة والقرصة، ويقرأ هذه الآيات، وهذا يقتضي أنه كان يحمله على العموم.

وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[3]: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل». وروى[4] ابن ماجه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «من لعق من العسل ثلاث غدوات من كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء». وحكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم.

وروي أيضاً عن عوف بن ملك رضي الله تعالى عنه أنه مرض فقال: ائتوني بماء فإن الله تعالى يقول[5]: **﴿ونزّلْنا مِنَ السماءِ ماءً مباركا﴾** ثم قال: وائتوني بعسل وقرأ الآية، ثم قال: ائتوني بزيت فإنه من شجرة مباركة. فخلط الجميع ثم شربه فشفي.

وروى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال عليه الصلاة والسلام: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم جاءه فقال: يا رسول الله إني قد سقيته عسلاً، فلم يزده إلا استطلاقاً فقال عليه الصلاة والسلام: «اسقه عسلاً». ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال ﷺ «اسقه عسلاً». قال: قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال عليه الصلاة والسلام: «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً» فسقاه[6] فبرىء.

---

(١) سورة الزمر: آية ٢٣.
(٢) سورة النحل: آية ٦٩.
(٣) رواه ابن ماجه طب ٧.
(٤) رواه ابن ماجه طب ٧.
(٥) سورة ق: آية ٩.
(٦) رواه مسلم: سلام ٩١. والبخاري طب ٤، ٢٤. والترمذي طب ٢١.

فائدة: قد اعترض في هذا الحديث، وفي قوله[1] ﷺ: «عليكم بهذا العود الهندي» يعني الكست، فإن فيه سبعة أشفية: منها ذات الجنب، وقوله[2] ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فاطفؤها بالماء»، وقوله[3] ﷺ: «إن في الحبة السوداء الشفاء من كل داء إلا السام» يعني الموت. وقوله[4] ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

أما من في قلبه مرض من الملحدة فقال: الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل، فكيف يوصف لمن به الإسهال؟ ومجمعون أيضاً على أن استعمال المحموم الماء البارد مخاطرة، وقرب من الهلاك، لأنه يجمع المسام ويحقن البخار المتحلل، ويعكس الحرارة إلى داخل الجسم، فيكون سبباً للتلف، وينكرون أيضاً مداواة ذات الجنب بالقسط مع ما فيه من الحرارة الشديدة، ويرون ذلك خطراً، وهذا الذي قاله المعترض الملحد جهالة بينة وهو فيها كما قال الله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾[5] ونحن نشرح الأحاديث المذكورة في هذا الموضع، ونذكر ما قاله الأطباء في ذلك ليظهر جهل هذا المعترض.

اعلم أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجاً إلى التفصيل حتى إن المريض يكون الشيء الواحد دواء له في ساعة، ثم يصير داء له في الساعة التي تليها بعارض يعرض له، من غضب يحمي مزاجه فيتغير علاجه، أو هواء يتغير، أو غير ذلك مما لا يحصى كثرة. فإذا وجد الشفاء بشيء في حالة ما لشخص ما، لم يلزم منه الشفاء به في سائر الأحوال ولجميع الأشخاص، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه، باختلاف السن والزمان والعادة، والغذاء المتقدم، والتدبير المألوف، وقوة الطباع.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والهيضات. وقد أجمع الأطباء، في مثل هذا، على أن علاجه بأن تترك الطبيعة وفعلها، فإن احتاجت إلى معين على الإسهال، أعينت مادامت القوة باقية، وأما حبسها فضرر عندهم. واستعجال مرض، فيحتمل أن يكون هذا الإسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث، كان من امتلاء هيضة، فدواؤه ترك الإسهال على ما هو عليه، أو تقويته فأمره ﷺ بأن يسقيه عسلاً فزاده إسهالاً، فزاده عسلاً إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال. أو يكون الخلط الذي به، كان يوافقه شراب العسل، فثبت بما ذكرناه أن العسل جار على صناعة الطب، وأن المعترض عليه ملحد جاهل بصناعة الطب، ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث، بقول الأطباء، بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم. فلو وجدنا المشاهدة تصدق دعواهم لتأولنا كلامه ﷺ حينئذ وخرجناه على ما يصح.

وقد ذكرنا هذا الجواب وما بعده، عدة للحاجة إن اعتضدوا بمشاهدة، وليظهر جهل

---

(١) رواه مسلم: سلام ٨٧. وابن ماجه طب ١٧. وابن حنبل ٦ ـ ٣٥٦. ورواه البخاري: طب ٢٣، ٢٦.

(٢) رواه البخاري: بدء الخلق ١٠، طب ٢٨. ومسلم سلام ٧٨.

(٣) رواه البخاري: طب ٧. ومسلم سلام ٨٨. وابن ماجه طب ٦.

(٤) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٣٤٦.

(٥) سورة يونس: آية ٣٩.

المعترض، وأنه لا يحسن الصناعة التي اعترض بها، وانتسب إليها. وكذلك القول في الماء البارد للمحموم، فإن المعترض تقوّل على النبي ﷺ ما لم يقل، فإن النبي ﷺ لم يقل أكثر من قوله[1]: «أطفئوها بالماء» ولم يبين صفته وحاله، والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها يسقى الماء البارد الشديد البرودة، ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد، فلا يبعد أنه ﷺ أراد هذا النوع من الحمى.

وأما إنكاره الشفاء من ذات الجنب بالقسط فباطل أيضاً. فقد قال بعض الأطباء: إن ذات الجنب، إذا حدثت من البلغم، كان القسط من علاجها. وقد ذكر جالينوس وغيره من حذاق الأطباء، أنه ينفع من وجع الصدر. وقال بعض قدماء الأطباء: إنه يستعمل حيث يحتاج إلى إسخان عضو من الأعضاء، وحيث يحتاج إلى جذب خلط من باطن البدن إلى ظاهره. وهكذا قال الرئيس ابن سينا وغيره من فحول الأطباء، وهذا يبطل ما زعمه هذا المعترض الملحد.

وأما قوله[2] ﷺ: «فيه سبعة أشفية» فقد أطبق الأطباء في كتبهم، على أنه يدر الطمث والبول، وينفع من السموم، ويحرك شهوة الجماع، ويقتل الدود وحب القرع، الذي في الأمعاء، إذا شرب بعسل. ويذهب الكلف، إذا طلي عليه. وينفع من برودة المعدة والكبد، ومن الحمى الورد والربع وغير ذلك. وهو صنفان: بحري وهندي، فالبحري هو القسط الأبيض، وقيل هو أكثر من صنفين ونص بعضهم على أن البحري أفضل من الهندي، وأقل حرارة منه، وقيل: هما حاران يابسان في الدرجة الثالثة، والهندي أشد حرارة منه فيها.

وقال الرئيس ابن سينا: القسط حار في الثالثة، يابس في الثانية. وقد اتفق الأطباء على هذه المنافع التي ذكرناها في القسط، وهو العود الهندي المذكور في الحديث، فصار ممدوحاً شرعاً وطباً. وإنما عددنا منافع القسط من كتب الأطباء، لأنه ﷺ ذكر منها عدداً مجملاً.

وأما قوله[3] ﷺ «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» فيحمل أيضاً على العلل الباردة على نحو ما سبق في القسط، وهو ﷺ قد يصف بحسب ما شاهده من غالب حال أصحابه، قال الإمام المازري، وقال شيخ الإسلام محيي الدين النووي، وذكر القاضي عياض كلام المازري الذي قدمناه، ثم قال: وذكر الأطباء في منفعة الحبة السوداء، التي هي الشونيز، أشياء كثيرة، وخواص عجيبة، يصدقها قوله ﷺ. فذكر جالينوس أنها تحلل النفخ، وتقتل ديدان البطن، إذا أكلت أو وضعت على البطن، وتنفع الزكام إذا قليت وصرت في خرقة وشمت، وتزيل العلة التي ينقش منها الجلد، وتقطع الثآليل المعلقة والمنكسة والخيلان، وتدر الطمث المنحبس، إذا كان احتباسه من أخلاط غليظة لزجة، وتنفع الصداع إذا طلي بها الجبين، وتقطع البثور والجرب، وتدر البول واللبن، وتحلل الأورام البلغمية، إذا تضمد بها مع خل. وتنفع من الماء العارض في العين إذا سقط بها مسحوقة بدهن، وهي تنفع من انصباب المواد أيضاً، ويتمضمض

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٠، طب ٢٨.

(٢) رواه البخاري: طب ٢٣، ٢٦.

(٣) رواه البخاري: طب ٧.

بها من وجع الأسنان، وتنفع من نهش الرتيلاء. وإذا بخر بها طردت الهوام.

قال القاضي: وذكر جالينوس أن من خاصيتها إذهاب حمى البلغم والسوداء، وتقتل حب القرع. وإذا علق الشونيز في عنق المزكوم ينفعه، وينفع من حمى الربع. قال: ولا تبعد منفعته من أدوية حارة لخواص فيها فقد نجد ذلك في أدوية كثيرة فيكون الشونيز منها لعموم الحديث، ويكون استعماله أحياناً منفرداً وأحياناً مركباً.

وأما قوله ﷺ في الكمأة، وهي بفتح الكاف وإسكان الميم وبعدها همزة مفتوحة: «وماؤها شفاء للعين» قيل: هو نفس الماء مجرداً، وقيل: معناه أن يخلط ماؤها بدواء يعالج به العين، وقيل: إن كان لتبريد ما في العين من حرارة، فماؤها مجرداً شفاء، وإن كان لغير ذلك فيركب مع غيره. قال الإمام النووي: والصحيح، بل الصواب أن ماءها مجرداً شفاء للعين مطلقاً، فيعصر ماؤها، ويجعل في العين منه. قال: وقد رأيت أنا وغيري في زماننا من كان أعمى وذهب بصره حقيقة، فكحل عينيه بماء الكمأة مجرداً، فبرىء وعاد بصره إليه. وهو الشيخ العدل الإمام الكمال الدمشقي صاحب فقه ورواية للحديث. وكان استعماله ماء الكمأة اعتقاداً في حديث النبي ﷺ، وتبركاً به، فشفاه الله لذلك.

ففي هذا الحديث والأحاديث المتقدمة بيان لما حواه النبي ﷺ من علوم الدين والدنيا، وصحة علم الطب، وجواز التطبب في الجملة، واستحبابه لما ذكر في الأحاديث الصحيحة من الحجامة وشرب الأدوية والسعوط، وقطع العروق والرقى وغير ذلك من الأدوية، ولا خفاء أن الله تعالى في مخلوقاته حكماً وأسراراً، ولم يخلق جل جلاله داءً إلا وخلق له دواء علمه من علمه وجهله من جهله والله أعلم.

وذهبت طائفة إلى أن هذه الآية[1] ﴿وأوحى ربُّك إلى النّحل﴾ إنما يراد بها أهل البيت من بني هاشم، وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن، وقد ذكر بعضهم هذا في مجلس أبي جعفر المنصور فقال له رجل: جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك الحاضرين وأبهت القائل.

فائدة أخرى: اعلم أن للعسل أسماء كثيرة منها السنوت كسفود وسنور، وفي الحديث[2] «عليكم بالسنى والسنوت» ومنها السلوى لأنه يسلي عن كل حلو، قال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله جهد الأنتم ... ألذّ مِنَ السلوى إذا ما نشورُها

ومن أسمائه الحافظ والأمين، لأنه يحفظ ما يودع فيه، فيحفظ الميت أبداً واللحم ثلاثة أشهر، والفاكهة ستة أشهر.

روى[3] أصحاب الكتب الستة، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، أن النبي ﷺ

---

(١) سورة النحل: آية ٦٨.
(٢) رواه ابن ماجه: طب ٩.
(٣) رواه البخاري: طلاق ٨، أطعمة ٣٢، أشربة ١٠ ـ ١٥. ومسلم: رضاع ٨٨. والترمذي: أطعمة ٢٩. وأبو داود أشربة ١١. وابن ماجه أطعمة ٣٦، والدارمي أطعمة ٣٤، وابن حنبل ٦ ـ ٥٩.

«كان يحب الحلواء، ويشرب العسل». قال العلماء: المراد بالحلواء هنا كل حلو، وذكر العسل بعدها تنبيهاً على شرفه ومرتبته ومزيته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام. والحلواء بالمد، وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق، وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لاسيما إذا حصل ذلك اتفاقاً.

وفي تاريخ أصبهان، في ترجمة أحمد بن الحسن، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أول نعمة ترفع من الأرض العسل». وكان مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي الكوفي، المعروف بالأشتر من شيعة أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وكان تابعياً رئيس قومه، وله بلاء حسن في وقعه اليرموك، وذهبت عينه يومئذ، وكان فيمن شهد حصار عثمان رضي الله تعالى عنه، وشهد وقعة الجمل وصفين. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذا رآه صرف نظره عنه وقال: كفى الله أمة محمد ﷺ شره. ولاه علي رضي الله تعالى عنه مصر، بعد قيس بن سعد بن عبادة بن دليم، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات.

فلما بلغ ذلك علياً رضي الله تعالى عنه، قال: لليدين والفم. وقال عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، حين بلغه ذلك: إن لله جنوداً من العسل. وقيل: إن الذي قال ذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما. وهو الذي سمه. وقيل: إن الذي سمه كان عبداً لعثمان رضي الله تعالى عنه. وكانت وفاته في شهر رجب سنة سبع وثلاثين. روى له النسائي حديثين. وفي أخبار الحجاج بن يوسف أنه كتب إلى عامله بفارس: أرسل إلي من عسل خلار من النحل الأبكار، ومن الدستفشار الذي لم تمسه النار. يريد بالأبكار فراخ النحل، لأن عسلها أطيب وأصفى. وخلار موضع بفارس مشهور بجودة العسل والدستفشار كلمة فارسية معناها ما عصرته الأيدي.

الحكم: كره مجاهد قتل النحل، ويحرم أكلها على الأصح، وإن كان عسلها حلالاً، كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام. وأباح بعض السلف أكلها كالجرادة، وهو وجه ضعيف في المذهب. ويحرم قتلها، والدليل على الحرمة نهي[1] النبي ﷺ عن قتلها. وفي الإبانة، في كتاب الحج، يكره قتلها، وما ذكره الفوراني في الإبانة من الكراهة وذكره غيره من التحريم مفرع، على منع الأكل، فإن أبحناه جاز قتله كالجراد، وكان القياس جواز قتل النحل، لأنه من ذوات الإبر، وما فيه من المنفعة يعارض بالضرر، لأنه يصول ويلدغ الآدمي وغيره.

وقد ذكر الرافعي، في كتاب الحج، أنه يجوز قتل الصقر والبازي من الجوارح ونحوها كما تقدم في الكلام عليها، في أماكنها، وعلله بأن المنفعة فيها معارضة بالمضرة، وهو اصطيادها طيور الناس، فجعلوا المضرة التي فيها مبيحة لقتلها، ولم يجعلوا المنفعة التي فيها عاصمة من القتل. إلا أنه ﷺ «نهى عن قتل النحل»[1]، كما تقدم، ولا شيء في قوله ﷺ إلا طاعة الله بالتسليم لأمره ﷺ.

وأما بيع النحل، وهو في الكوارة فصحيح إن رؤى جميعه، وإلا فهو بيع غائب، فإن باعها

(١) رواه أبو داود: ١٦٤. وابن ماجه صيد ١٠.

وهي طائرة ففي التتمة يصح، وفي التهذيب عكسه. وصورة المسألة أن تكون الأم في الكوارة كما قاله ابن الرفعة، وإلا صح من الوجهين الصحة. والفرق بينها وبين باقي الطير من وجهين: أحدهما أنها لا تقصد بالجوارح بخلاف غيرها، والثاني أنها لا تأكل في الغالب والعادة إلا مما ترعاه، فلو توفق في صحة البيع على حبسها لربما أضر بها أو تعذر بسببه بيعها، بخلاف غيرها من الطيور.

وقال أبو حنيفة: لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات، واحتج أصحابنا بأنه حيوان طاهر منتفع به، فجاز بيعه كالشاة والحمام بخلاف الزنبور والحشرات، فإنه لا منفعة فيها كدود القز، ويبقى لها في الكوارة شيئاً من العسل، فإن كان الاشتيار في الشتاء وتعذر الخروج، يكون المبقي أكثر. فإن أغنى عن العسل غيره، لم يتعين إبقاء العسل. وقد قيل تشوى دجاجة وتعلق على باب الكوارة لتأكل منها.

الأمثال: قالوا: «أنحل من نحلة» مأخوذ من النحول وهو الهزال، وقالوا: «أهدى من نحلة» وقالوا: «كلام كالعسل وفعل كالأسل»[1] وهي الرماح يضرب في اختلاف القول والفعل.

الخواص: العسل حر يابس، جيده الشهد وهو مدر للبول مسهل يهيج القيء. وهو معطش ويستحيل إلى الصفراء يولد دماً حاراً، فإن طبخ بالماء ونزعت رغوته ذهبت حدته، وقلت حلاوته ونفعه، وكثر غذاؤه وإدراره للبول واطلاقه، وأجوده الخريفي الصادق الحلاوة، والكثير الربيعي المائل إلى الحمرة. ويدفع مضرته التفاح المز، وكل ما أسرع إليه الفساد من لحم وغيره إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه، وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين، والتلطخ به يقتل القمل والصئبان، ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب، والمطبوخ منه نافع من السموم، ومن خاصية الشمع أن من استصحبه وقيل أكله أورثه الغم لكن لا يصيبه الاحتلام.

التعبير: النحل في الرؤيا خصب وغنى لمن قناه مع خطر، ومن رأى كوارة نحل واستخرج منها عسلاً نال مالاً حلالاً، فإن أخذ العسل كله ولم يترك للنحل شيئاً، فإنه يجوز على قوم، فإن ترك للنحل شيئاً فإنه يعدل إن كان والياً أو طالب حق، ومن رأى النحل يقع على رأسه نال ولاية ورياسة، وإن رأى ذلك ملك نال ملكاً، وكذلك إذا حل بيده. والنحل للفلاحين دليل خير، وأما الجندي وغير الفلاحين فدليل مخاصمة، وذلك لصوته ولدغه. والنحل يدل على العسكر، لأنه أميره كما يتبع العسكر أميره. ومن قتل نحلاً فهو عدو، ولا يحمد قتل النحل للفلاح، لأنه رزقه ومعاشه. والنحل يدل على العلماء وأصحاب التصنيف، وربما دل على الكد والكسب والجباية.

وأما العسل فإنه في المنام مال حلال بلا تعب، وهو شفاء من المرض لقوله[2] تعالى: **﴿يخرجُ من بطونِها شرابٌ مختلفٌ ألوانُه فيه شفاءٌ للناسِ﴾** ومن رأى أنه يطعم الناس العسل، فإنه يسمعهم الكلام الحسن والقرآن بلحن طيب، ومن رأى كأنه يلعق عسلاً فإنه يتزوج،

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/١٣٣.

(٢) سورة النحل: آية ٦٩.

لقوله[1] ﷺ لامرأة رفاعة رضي الله عنهما: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك». وأكل العسل عناق حبيب وتقبيله.

وأما الشهد فإنه ميراث من حلال أو مال من شركة، وقال ابن سيرين: الشهد رزق حلال لأن النار لا تمسه، ومن رأى بين يديه شهداً موضوعاً، فإن عنده علماً عزيزاً والناس يريدون سماعه منه، والشهد إذا كان وحده، فهو مال من غنيمة، فإن كان في وعاء فهو رجل صاحب علم ومال حلال، وهو للزاهد الغني مال وبر ودين، ومن رأى كأنه يأكل الشهد وفوقه العسل، فإنه ينكح أمة والله تعالى أعلم.

النحوص: بفتح النون وضم الحاء والصاد المهملتين الأتان الحائل، والجمع نحص ونحاص.

النسر: طائر معروف وجمعه في القلة أنسر، وفي الكثرة نسور، وكنيته أبو الأبرد وأبو الأصبع وأبو مالك وأبو المنهال وأبو يحيى، والأنثى يقال لها أم قشعم. وسمي نسراً لأنه ينسر الشيء ويبتلعه، وهو عريف الطير، ويقول في صياحه: ابن آدم عش ما شئت، فإن الموت ملاقيك. كذا قاله الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما.

قلت: وفي هذا مناسبة لما خص النسر به من طول العمر، يقال: إنه من أطول الطير عمراً، وأنه يعمر ألف سنة، وقصة لبد تأتي إن شاء الله تعالى، في الأمثال. والنسر ذو منسر، وليس بذي مخلب، وإنما له أظفار حداد كالمخالب. والبازي والنسر يسفدان كما يسفد الديك.

وزعم قوم أن الأنثى من هذا النوع، تبيض من نظر الذكر إليها، وهي لا تحضن وإنما تبيض في الأماكن العالية الضاحية للشمس، فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن، وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ، وكذلك حاسة شمه في النهاية، لكنه إذا شم الطيب مات لوقته، وهو أشد الطير طيراناً، وأقواها جناحاً، حتى إنه ليطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد، وإذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت، ولم تأكل مادام يأكل منها، وكل الجوارح تخافه، وهو شره نهم رغيب إذا وقع على جيفة وامتلأ منها، لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات، يرفع بها نفسه طبقة بعد طبقة في الهواء حتى يدخل تحت الريح، وربما صاده الضعيف من الناس في هذه الحالة، والأنثى منه تخاف على بيضها وفراخها الخفاش، فتفرش في وكرها ورق الدلب لينفر منه، وهو من أشد الطير حزناً على فراق إلفه، فإذا فارق أحدهما الآخر مات حزناً وكمداً.

ومن غريب ما ألهم أنه إذا حملت أنثاه، ذهب إلى الهند فأخذ من هناك حجراً كهيئة الجوزة، إذا حرك سمع له حس حجراً آخر متحرك، كصوت الجرس فإذا جعله عليها أو تحتها أذهب عنها العسر، وهذا بعينه قاله القزويني في العقاب، وقد تقدم في باب العين. وليس في سباع الطير أكبر جثة منه، ويقال للنسر أيضاً أبو الطير قال الشاعر:

فلا وأبي الطير المربه في الضحى ... على خالد لقد وقعتَ على لحمِ

---

(1) رواه البخاري: طلاق ٧ ـ ٣٧.

والنسر سيد الطير، روى اليافعي، في كتاب نفحات الأزهار ولمحات الأنوار، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «هبط علي جبريل فقال: يا محمد إن لكل شيء سيداً، فسيد البشر آدم، وسيد ولد آدم أنت، وسيد الروم صهيب، وسيد فارس سليمان، وسيد الحبش بلال، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر، وسيد الشهور رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام العربية، وسيد العربية القرآن، وسيد القرآن سورة البقرة».

وروى الطبراني، في معجمه الأوسط، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: «يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك»؟ فقال جلا وعلا: الذي يسرع إلى هواي إسراع النسر إلى هواه. والحديث يأتي إن شاء الله تعالى بتمامه في النمر.

وفي شعب الإيمان للبيهقي، عن علي بن هارون العبدي، قال: سمعت الجنيد رضي الله عنه يقول: حق الشكر أن لا يعصي الله فيما أنعم، ومن كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى، دخل الجنة وهو يضحك. وقال: إن لله عباداً يأوون إلى ذكر الله، كما يأوي النسر إلى وكره.

وفي الحلية، في ترجمة وهب بن منبه وغيرها، عن وهب بن منبه، قال: إن بختنصر مسخ أسداً فكان ملك السباع، ثم مسخ نسراً فكان ملك الطير، ثم مسخ ثوراً فكان ملك الدواب. وكان مسخه سبع سنين، وقلبه في ذلك كله قلب إنسان، وهو في ذلك كله يعقل عقل الإنسان، وكان ملكه قائماً. ثم رده الله إلى بشريته، ورد عليه روحه، فدعا إلى توحيد الله وقال: كل إله باطل إلا الله إله السماء. فقيل لوهب: أمات مسلماً؟ فقال: وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: آمن قبل أن يموت. وقال بعضهم: قتل الأنبياء، وخرب بيت الله المقدس، وأحرق كتبه، فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة انتهى.

قال السدي: إن بختنصر، لما رجع إلى صورته، ورد الله عليه ملكه، كان دانيال وأصحابه، من أكرم الناس عليه، فحسدتهم المجوس، وقالوا لبختنصر: إن دانيال إذا شرب لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عاراً، فجعل لهم طعاماً فأكلوا وشربوا، وقال للبواب: انظر أول من يخرج للبول، فاضربه بالطبر، فإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت! بختنصر أمرني بقتلك، فكان أول من قام للبول بختنصر، فلما رآه البواب، شد عليه فقال: أنا بختنصر، فقال البواب: كذبت بختنصر أمرني بقتلك، ثم ضربه فقتله. هكذا قال أصحاب المبتدا.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن نمرود الجبار، لما حاج إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ربه، قال: إن كان ما يقوله إبراهيم حقاً، فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها، فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور، فرباها حتى شبت، واتخذ تابوتاً، فجعل له باباً من أعلاه وباباً من أسفله، وقعد نمرود مع رجل في التابوت، ونصب خشبات في أطراف التابوت، وجعل على رؤوسها اللحم، وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها، فطارت وصعدت طمعاً في اللحم، حتى مضى يوم وأبعدت في الهواء، فقال نمرود لصاحبه: افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها؟ ففتح ونظر، فقال: إن السماء كهيئتها ثم قال له: افتح

الباب الأسفل، وانظر إلى الأرض، كيف تراها؟ ففعل وقال: أرى الأرض مثل اللحة والجبال مثل الدخان، فطارت النسور يوماً آخر وارتفعت، حتى حالت الريح بينها وبين الطيران، فقال لصاحبه: افتح البابين وانظر ففتح الأعلى، فإذا السماء كهيئتها، وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة. ونودي: أيها الطاغية إلى أين تريد؟

وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام، قد حمل قوساً ونشاباً، فرمى بسهم، فعاد إليه السهم ملطخاً بدم سمكة، قذفت بنفسها من بحر في الهواء، وقيل بدم طائر أصابه السهم. فقال: كفيت إله السماء. قال: ثم إن النمرود، أمر صاحبه أن يصوب الخشبات، وينكس اللحم ففعل، فهبطت النسور بالتابوت، فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور، ففزعت وظنت أنه قد حدث حادث من لسماء، وأن الساعة قد قامت، فكادت تزول عن أماكنها. فذلك قوله تعالى: ﴿وإنْ كانَ مكرُهم لتزولُ منه الجبالُ﴾[1] قرأ ابن مسعود رضي الله عنه إن كاد بالدال المهملة وقرأ العامة بالنون وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، وقرأ العامة بكسر اللام الأولى ونصب الثانية. قال الجوهري: نسر صنم لذي الكلاع بأرض حمير، وكان يغوث لمذحج، ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿ولا يغوث ويعوق نسرا﴾[2] انتهى.

وإلى هذا أشار العباس رضي الله تعالى عنه، عم النبي ﷺ، لما أتى النبي ﷺ منصرفه من تبوك، فقال: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، فقال له رسول الله ﷺ: «قل لا يفضض الله فاك». فأنشد العباس رضي الله تعالى عنه يقول:

من قبلها طبتَ في الظلالِ وفي	مستودع حيثُ يخصفُ الورقُ
ثم هبطتَ البلادَ لا بشرٌ	أنت ولاً مضغة ولا علق
بل نطفةٌ تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقلُ من صالب إلى رحم	إذا مضى عالمٌ بدا طبق
وردتَ نارَ الخليل مكتتما	في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندق علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدتَ أشرقتِ الأر	ضُ وضاءتْ بنورِك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو	ر وسبلِ الرشادِ نخترق

تتمة: روى الدارقطني، عن عقبة بن عامر الجهني، رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء الدنيا، دخلت جنة عدن، فوقعت في يدي تفاحة، فلما وضعتها في يدي انقلبت حوراء عيناء مرضية، أشفار عينها كمقادم النسور، فقلت لها: لمن أنت؟ فقالت: للخليفة بعدك».

الحكم: يحرم أكله لاستخباثه، وأكله الجيف.

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٤٦.

(٢) سورة نوح: آية ٢٣.

الأمثال: قالوا: «أعمر من نسر»[1] وقالوا: «أتى الأبد على لبد»[2] وهذا اللبد الذي هو آخر نسور لقمان بن عاد.

وكان لقمان بن عاد الأصغر، قد سيره قومه، وهم عاد الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز، إلى الحرم يستسقي لهم، ومعه رهط من قومه، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارج الحرم، فأنزلهم وأكرمهم، وكانوا أخواله وأصهاره، فأقاموا عنده شهراً، وكان مسيرهم شهراً. فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم، وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم، من البلاء الذي أصابهم، شق ذلك عليه، فقال: هلك أخوالي وأصهاري، وهؤلاء مقيمون عندي، وهم ضيفي، والله ما أدري كيف أصنع بهم. فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين فقالتا: قل شعراً لا يدرون من قاله، لعل ذلك يحركهم! فقال شعراً يؤنبهم فيه ويذكرهم الأمر الذي وفدوا لأجله، فلما غنتهم الجرادتان شعره، قال بعضهم لبعض: إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم.

فقال مرثد بن سعد، وكان قد آمن بهود عليه الصلاة والسلام سراً: إنكم والله لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم، وأنبتم إلى ربكم سقيتم. فأظهر إسلامه عند ذلك، وقال شعراً يذكر فيه إسلامه. فقالوا لمعاوية بن بكر: احبس عنا مرثد بن سعد، فلا يقدمن معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا.

ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد، فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر، حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له، فلما انتهى إليهم، قام يدعو الله، ووفد عاد يدعون. فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد.

وكان قيل بن عتر رأس وفد عاد، فقال وفد عاد: اللهم اعط ما سألك، واجعل سؤلنا مع سؤله. فقال قيل: يا إلهنا إن كان هود صادقاً، فاسقنا فإنا قد هلكنا. فأنشأ الله سحائب ثلاثاً: بيضاء وحمراء وسوداء. ثم ناداه مناد من السحاب: يا قيل، اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب، فقال قيل: اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحائب ماء، فناداه مناد: اخترت رماداً رمداً لا يبقي من آل عاد أحداً.

وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل، بما فيها من النقمة، إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا وقالوا: هذا عارض ممطرنا، يقول الله عز وجل: ﴿**بل هو ما استعجلتُم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم**﴾ الآية[3].

وكان أول من أبصر ما فيها، وعرف أنها ريح مهلكة، امرأة من عاد، يقال لها مهدو، فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت، فلما أفاقت، قالوا لها: ماذا رأيت؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشهب النار، أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فلم تدع من عاد أحداً إلا أهلكته. واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه، من

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٦٦. (٢) جمهرة الأمثال: ١/١٠٥. (٣) سورة الأحقاف: آية ٢٤.

الريح إلا ما يلين عليهم ويلذ الأنفس، وإنها لتمر من عاد بالظعن، فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا عن آخرهم. فلما هلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع بقرات سمر من أظب عفر، في جبل وعر لا يمسها القطر، أو عمر سبعة أنسر، كلما هلك نسر خلف من بعده نسر، وكان قد سأل الله تعالى طول العمر، فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة، هكذا حتى هلك منها ستة فسمى السابع لبدا. فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران، كان يقول له لقمان: انهض لبد، فلما هلك لبد مات لقمان.

وروي أن الله تعالى أمر الريح فهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين تحت الرمل، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل، وأرسل طير أسود، فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه، ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ، فإنها عتت عن الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها.

وفي الحديث أنها خرجت على قدر خرم الخاتم.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه، أنه قال: إن قبر نبي الله هود عليه الصلاة والسلام بحضر موت، في كثيب أحمر.

وقال عبد الرحمن بن سابط: بين الركن والمقام وزمزم اقبر تسعة وتسعين نبياً منهم هود وشعيب وصالح واسماعيل صلى الله عليهم وسلم. وقد ذكرت العرب لبدا في أشعارها كثيراً فمن ذلك قول[1] النابغة الذبياني:

أضحتْ خلاء وأضحى أهلُها احتملوا ... أخنى عليهــا الــذي أخنى عــلى لبــدِ

وقد تقدم ما قاله الشاعر في ذكر لبد في باب اللام.

الخواص: إذا جعل قلب النسر في جلد ذئب، وعلق على إنسان، كان محبوباً مهاباً مقضي الحاجة عند السلطان وغيره، ولا يضره سبع أبداً. وإن عسر وضع امرأة فوضع تحتها ريشة من ريشه أسرعت الولادة. وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وعلق على من يخدم الملوك والسلاطين أمن غضبهم، وكان محبوباً عندهم. وعظم فخذه الأيسر إن علق على من به سجج قديم نفعه وأبرأه. وعقب ساقه إن علق على من به النقرس أبرأه الأيمن للأيمن والأيسر للأيسر. وإن دخن بريشة من ريشه في بيت فيه هوام طردها، ولم يبق فيه شيء منها. وكبده إذا شويت واحترقت وشربت نفعت للباه منفعة عظيمة. وإن أخذ بيضه وضرب بعضه ببعض حتى يختلط، ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوي قوة عجيبة. ومرارته تنفع من الماء النازل في العين إذا اكتحل بها سبع مرات بماء بارد، وطلي بها حول العين. وإن علق فكه الأعلى على عنق إنسان في خرقة لم يقربه شيء من الهوام.

التعبير: النسر في المنام ملك فمن رأى نسراً نازعه، فإن سلطاناً يغضب عليه ويوكل به ظالماً، لأن سليمان عليه الصلاة والسلام وكل النسر على الطير، فكانت تخافه.

---

(١) ديوان النابغة: ٢٠.

ومن ملك نسراً مطاعاً أصاب ملكاً عظيماً، ومن ملك نسراً فطار به، وهو لا يخافه، فإنه يعلو أمره ويصير جباراً عنيداً لما تقدم عن النمرود. ومن أصاب فرخ نسر ولد له ولد يكون عظيماً هادياً، فإن رأى ذلك نهاراً، فإنه يمرض، فإن خدشه ذلك الفرخ طال مرضه. ورؤية النسر المذبوح تدل على موت ملك من الملوك. ومن رأى النسر من النساء الحوامل فإنها ترى المراضع والدايات.

وقالت اليهود: النسر يفسر بالأنبياء الصالحين، لأن في التوراة شبه الصالحين بالنسر، الذي يعرف وطنه ويرفرف على فراخه ويزقها. وقال ابراهيم الكرماني: النسر يعبر بأكبر الملوك لأن الله تعالى خلق ملكاً على صورته، وهو موكل بأرزاق الطير. وقال جاماست: من رأى نسراً أو سمع صياحه، خاصم إنساناً.

وقال ابن المقري: من ملك نسراً أو تحكم عليه نال عزاً وسلطاناً ونصرة على أعدائه، وعاش عمراً طويلاً فإن كان الرائي من أهل الجهد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم، وعاش منفرداً لا يأوي إلى أحد. وإن كان ملكاً انتصر على أعدائه، وربما صالحهم وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال، وإن كان من عوام الناس نال منزلة تليق به أو مالاً وانتصر على أعدائه. وربما دلت رؤية النسر على البدعة والضلالة عن الهدى، نعوذ بالله من ذلك لقوله[1] تعالى: ﴿ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا﴾. ورؤية المؤنث منها نساء خواطىء، وصغار أولاد زنا، وكذلك العقاب. قال: وربما دلت رؤيتها على الموت لاقتناصها الأرواح، وأكلها الميتة والجيفة. وربما دل النسر على الغيرة على العيال والله تعالى أعلم.

النساف: بفتح النون وتشديد السين طائر له منقار كبير، قاله ابن سيده.

النسناس: قال في المحكم هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم، وقال في الصحاح: هو جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة انتهى.

وقال المسعودي، في مروج الذهب: إنه حيوان كالإنسان له عين واحدة، يخرج من الماء ويتكلم. ومتى ظفر بالإنسان قتله. وفي كتاب القزويني، قال في الأشكال: إنه أمة من الأمم، لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل، كأنه إنسان شق نصفين يقفز على رجل واحدة قفزاً شديداً، ويعدو عدواً شديداً منكراً ويوجد في جزائر بحر الصين.

وفي المجالسة للدينوري، عن ابن قتيبة عن عبد الرحمن بن عبد الله أنه قال: قال ابن اسحاق: النسناس خلق باليمن، لأحدهم عين ويد ورجل، يقفز بها، وأهل اليمن يصطادونهم فخرج قوم لصيدهم، فرأوا ثلاثة نفر منهم، فأدركوا واحداً منهم فعقروه وتوارى اثنان في الشجر، فذبح الذي عقر فقال أحدهم لصاحبه: إنه لسمين، فقال أحد الإثنين: إنه كان يأكل الضرو فأخذوه فذبحوه. فقال الذي ذبحه: ما أنفع الصمت! فقال الثالث: فأنا الصميت فأخذوه فذبحوه.

---

(١) سورة نوح: آية ٢٤.

قال ابن سيده: الضر والبطم، وهو شجر الحبة الخضراء، كذا يسميه أهل اليمن.

وقال الميداني، في باب الهمزة من الأمثال: قال أبو الدقيس: إن الناس كانوا يأكلون النسناس، وهم قوم لكل منهم يد ورجل ونصف رأس ونصف بدن يقال: إنهم من نسل أرم بن سام أخي عاد وثمود ليست لهم عقول، يعيشون في الآجام على ساحل بحر الهند والعرب، يصطادونهم ويأكلونهم وهم يتكلمون بالعربية، ويتناسلون ويتسمون بأسماء العرب، ويقولون الأشعار. وفي تاريخ صنعاء أن رجلاً تاجراً سافر إلى بلادهم، فرآهم يثبون على رجل واحدة، ويصعدون الشجر، ويفرون من الكلاب خوفاً أن تأخذهم وسمع واحداً منهم يقول:

فررتُ من خوفِ الشراة شدّا ... إذ لم أجد من الفرارِ بدّا
قد كنتُ قِدما في زماني جلدا ... فها أنا اليومَ ضعيفُ جدا

وروى أبو نعيم، في الحلية عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: ذهب الناس وبقي النسناس. قيل: ما النسناس؟ قال: الذين يتشبهون بالناس، وليسوا بالناس.

وفي المجالسة للدينوري، من كلام الحسن البصري، أنه قال: ذهب الناس وبقي النسناس، لو تكاشفتم ما تدافنتم. وهو في الفائق ونهاية ابن الأثير وغريب الهروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. وقيل: النسناس يأجوج ومأجوج. وقيل: خَلق على صورة الناس أشبهوهم في شيء وخالفوهم في شيء وليسوا من بني آدم.

ومنه الحديث «ان حياً من عاد عصوا نبيهم فمسخهم الله نسناساً، لكل واحد منهم يد ورجل من شق واحد، ينقرون كما ينقر الطير، ويرعون كما ترعى البهائم». ونونها الأولى مكسورة وقد تفتح. وروى أحمد في الزهد، عن مطرف بن عبد الله أنه قال: عقول الناس على قدر زمانهم. وقال: هم الناس والنسناس وأناس غمسوا في ماء الناس. قال الكريمي: سمعت أبا نعيم يقول: كثيراً ما يعجبني قول عائشة رضي الله تعالى عنها:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

لكن أبا نعيم يقول:

ذهب الناسُ فاستقلوا وصاروا ... خلفا في أراذل النسناسِ
في أناسٍ نعدّهم من عديد ... فإذا فتّشوا فليسوا بناس
كلما جئتُ أبتغي النيلَ منهم ... بدروني قبل السؤالِ بياس
وبلوني حتى تمنيتُ أني ... منهم قد أقلتُ رأساً براس

الحكم: قال القاضي أبو الطيب والشيخ أبو حامد: لا يحل أكل النسناس لأنه على خلقة الناس. ولذلك قال الشيخ محب الدين الطبري، في شرح التنبيه: وأما هذا الحيوان، الذي تسميه العامة بالنسناس، فهو نوع من القردة، لا يعيش في الماء فينبغي تحريم أكله، لأنه يشبه القردة في

الخِلقة والخُلق والذكاء والفطنة. وأما الحيوان البحري منه ففي حكمه وحل أكله وجهان: أحدهما يحل كغيره من السمك، واختاره الروياني وغيره.

والثاني يحرم كما تقدم، وبه قال الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب، وهو عندهما مستثنى مما عدا السمك، مما لا يعيش إلا في الماء. وترتيب الخلاف فيه: أنا إذا قلنا بتحريم ماعدا الحوت، حرم النسناس. وإن قلنا بإباحته، ففي النسناس وجهان: أحدهما التحريم كالضفدع والسرطان والتمساح. والثاني الحل ككلب الماء وإنسانه. وهذا هو الأقرب إلى نص الشافعي. ويشهد له قول صاحب المحكم، وقول كراع في البحر المتقدم. والنسناس، فيما يقال، دابة في عداد الوحش، تصاد وتؤكل. وهو على شكل الإنسان بعين واحدة، ورجل واحدة، ويد واحدة، يتكلم كالانسان انتهى. فأفاد قوله أنها تصاد وتؤكل أنها مستطابة، وقد تقدم عن الدينوري عن أبي اسحاق أن النسناس يصاد ويؤكل. وقاله الميداني أيضاً كما تقدم.

التعبير: هو في الرؤيا رجل قليل العقل يهلك نفسه ويفعل فعلاً يسقطه من أعين الناس والله أعلم.

النسنوس: طائر يأوي الجبال، له هامة كبيرة.

النضو: بالكسر البعير المهزول، والناقة نضوة والجمع فيهما أنضاء. وقد أنضتها الأسفار فهي منضاة وأنضى فلان بعيره أي أهزله، وقد أحسن الوزير مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن علي الطغرائي صاحب لامية العجم، وكان من أفراد الدهر، وحامل لواء النظم والنثر، في قوله:

يقتلنَ أنضـاء حبّ لا حـراكَ بـه ... وينحـرون كـرامَ الخيـلِ والإبـلِ

وأحسن الشارح لكلامه الشيخ صلاح الدين الصفدي في ذكره العددين المتحابين هنا، وهما المائتان والعشرون، فإنه عدد زائد أجزاؤه أكثر منه، لأنها إذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان، والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه، لأنها إذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين. فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر.

بيان ذلك أن العدد التام هو الذي إذا جمعت أجزاؤه كانت مثله، وهو الستة، فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة: النصف وهو ثلاثة، والثلث هو اثنان، والسدس وهو واحد. والعدد الناقص ما إذا جمعت أجزاؤها البسيطة الصحيحة كانت أقل منه، كالثمانية فإن أجزاءها النصف والربع والثمن. وهي سبعة.

والعدد الزائد ما إذا جمعت أجزاؤه زادت عليه كالإثنى عشر فمجموع أجزائها ستة عشر، وهي تزيد على الأصل. والمائتان والعشرون لها نصف، وهو مائة وعشرة، وربع وهو خمسة وخمسون، وخمس وهو أربع وأربعون، وعشر وهو اثنان وعشرون، ونصف عشر وهو أحد عشر، وجزء من أحد عشر وهو عشرون، وجزء من اثنين وعشرين وهو عشرة، وجزء من أربع وأربعين

وهو خمسة، وجزء من خمسة وخمسين وهو أربعة، وجزء من مائة وعشرة وهو اثنان، وجزء من مائتين وعشرين وهو واحد. وجملة ذلك مائتان وأربعة وثمانون. والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف وهو مائة واثنان وأربعون، وربع وهو أحد وسبعون، وجزء من أحد وسبعين وهو أربعة، وجزء من مائة واثنين وأربعين هو اثنان، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد، وجملة ذلك من الأجزاء الصحيحة مائتان وعشرون.

فقد ظهر بهذا المثل تحاب العددين. وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة إذا جعل العدد الأقل والعدد الأكثر في شيء من المأكول وأطعم لمن يريد محبته ويجمع هذين العددين قولك: (فردكر) قال الشارح: وكنت بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب، ثم رأيت إثباتها فيه والله أعلم.

النعاب: في فتاوى ابن الصلاح أنه اللقلق.

وحكمه: تحريم الأكل على الأصح كما تقدم والمعروف أنه الغراب. يقال: نعب الغراب وغيره ينعب نعباً ونعيباً ونعاباً وتنعاباً ونعباناً، إذا صوت وقيل: إذا مد عنقه وحرك رأسه وصوت. وفي المجالسة للدينوري، في أوائل الجزء العاشر، عن الأخوص بن حكيم قال: كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام: يا رازق النعاب في عشه، قال: وذلك أن الغراب إذ فقس عن فراخه، خرجت بيضاً، فإذا رآها كذلك نفر عنها، فتفتح أفواهها فيرسل الله تبارك وتعالى لها ذباباً يدخل في أجوافها، فيكون ذلك غذاء لها حتى تسود، فإذا اسودت عاد الغراب فغذاها، ويرفع الله تعالى الذباب عنها. وكذلك ذكره صاحب كتاب الحجة لبيان المحجة وغيره، عن مجاهد وغيره. وقد تقدم في باب الحاء المهملة، في لفظ الحمار الوحشي أن الحريري أشار إلى ذلك في المقامة الثالثة عشر بقوله:

يا رازقَ النعابِ في عشّه ... وجابر العظمِ الكسيرِ المهيضِ
أتحْ لنا اللهم من عرضِه ... من دنسِ الذمِّ نقى رحيض

والذي رويناه في كتاب الترمذي، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «كان من دعاء داود عليه السلام: «اللهم إني أسألك حبّك وحبّ من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي ومن أهلي ومن الماء البارد»[1]. قال: وكان رسول الله ﷺ، إذا ذكر داود عليه السلام، يقول: «كان أعبد البشر». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروينا في كتاب حلية الأولياء، عن الفضيل بن عياض، رحمه الله، قال: قال داود عليه السلام: إلهي كن لابني سليمان كما كنت لي، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا داود قل لابنك سليمان، يكن لي كما كنت لي، حتى أكون له كما كنت لك.

وهذا الدعاء الذي رواه الترمذي، عن داود عليه السلام، روي أيضاً نحوه عن نبينا ﷺ،

(١) رواه الترمذي: دعوات ٧٢.

من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال[1]: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوب بالصلاة، فصلى وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: «على مصافكم كما أنتم». ثم انفتل إلينا فقال: «أما اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد. فقلت: لبيك ربي. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: رب لا أدري. قال تعالى: «في الكفارات والدرجات». وفي رواية «قلت: في الكفارات والدرجات». قال: فما هن؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء على المكروهات. قال: ثم فيم؟ قلت: في اطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل، والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك». فقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

النعام: معروف، يذكر ويؤنث، وهو اسم جنس مثل حمام وحمامة، وجراد وجرادة، وتجمع النعامة على نعامات. ويقال لها أم البيض وأم ثلاثين، وجماعتها بنات الهيق، والظليم ذكرها. قال الجاحظ: والفرس يسمونها اشتر مرغ، وتأويله بعير وطائر. قال[2] الشاعر:

ومثل نعامةٍ تدعى بعيرا … تعاصينا إذا ما قيل طيري
فإن قيل احملي قالت: فإني … من الطيرِ المرفّه في الوكور

قال: ويقال لقدم البعير خف، والجمع خفاف ومنسم والجمع مناسم. وكذلك يقال في النعامة ويقال لأنثى النعام قلوص، كما يقال ذلك في الإبل، وإنما قالوا ذلك لما رأوا فيها من شبه الإبل. قال: وتزعم الأعراب، أن النعامة ذهبت تطلب قرنين، فقطعوا أذنيها، فلذلك سميت بالظليم انتهى. وكأنهم إنما سموها ظليماً لأنهم ظلموها، حين قطعوا أذنيها ولم يعطوها ما طلبت، وهذا بناء على اعتقادهم الفاسد.

والنعامة صمعاء، يقال: خرج السهم متصمعاً إذا ابتلت قذذه من الدم. ويقال: أتانا بثريدة متصمعة إذا دققها وحدد رأسها، وصومعة الراهب منه، لأنها دقيقة من أعلى الرأس، ورجل أصمع القلب إذا كان حديداً ماضياً، ويقال للرجل أيضاً إذا كان قصير الأذنين لاصقتين بالرأس أصمع، والمرأة صمعاء وبنو أصمع قبيلة من العرب منهم الأصمعي، واسمه عبد الملك بن قريب، وهو صاحب لغة ونحو وشعر ونوادر. فمن نوادره أنه قال: مررت في بعض سكك الكوفة، فإذا برجل قد خرج من حش على كتفه جرة وهو يقول:

وأكرم نفسي أنني إن أهنتُها … وحقِّك لم تكرمْ على أحدٍ بعدي

فقلت له: أتكرمها بمثل هذا؟ قال: نعم واستغني عن سفلة مثلك، إذا سألته قال: صنع الله بك

(١) رواه مالك في الموطأ: قرآن ٤٠.

(٢) عيون الأخبار: ٢/١٠١ ونسبته إلى يحيى بن نوفل الحميري.

وترك. فقلت: تراه عرفني. فأسرعت فصاح بي يا أصمعي فالتفت فقال:

لَنقلُ الصخرِ من قللِ الجبالِ … أحبُّ إلي من منن الرجال
يقولُ الناسُ: كسبٌ فيه عار … وكلّ العار في ذلّ السؤال

وقال الأصمعي: سألت أعرابية عن ولد لها كنت أعرفه، فقالت: مات وأنسى المصائب. ثم قالت:

وكنت أخافُ الدهرَ ما كان آمناً … فلما تولّى مات خوفي من الدهرِ

وقال: قلت لرجل من الأعراب أعرفه بالكذب: أصدقت قط؟ فقال: لولا أني أصدق في هذا لقلت: لا. وقال الأصمعي للكسائي، وهما عند الرشيد: ما معنى قول[1] الراعي؟

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ محرماً … ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

فقال الكسائي: كان محرماً بالحج. فقال الأصمعي: فما أراد عدي بن زيد بقوله[2]:

قتلوا كسرى بليلٍ محرماً … فمضى فلم يمتعْ بكفنْ

فهل كان محرماً بالحج وأي إحرام لكسرى؟ فقال الرشيد للكسائي: يا علي إذا جاء الشعر فإياك والأصمعي. وروي أن الرشيد قال للأصمعي: ما أحسن ما مر بك في تقويم اللسان؟ قال: أوصى رجل بعض بنيه فقال: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة، فيتحمل فيها فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يعيره لسانه، وأنشد[3] في ذلك:

وما حسنُ الرجالِ لهم بزين … إذا لم يسعد الحسن اللسان
كفى بالمرءِ عيباً أن تراه … له وجهٌ وليس له لسان

ويروى عن الأصمعي أنه قال: وجدني أبو عمرو بن العلاء ماراً في بعض أزقة البصرة فقال: إلى أين يا أصمعي؟ فقلت: لزيارة بعض إخواني. فقال: يا أصمعي إن كان لفائدة أو عائدة، وإلا فلا. وقد أنشدني في ذلك يوسف الحلبي:

يا أيها الإخوانُ أوصيكم … وصيةَ الوالدِ والوالده
لا تنقلوا الأقدامَ إلّا إلى … مَن لكم عندَه فائدَه
إما لعلمٍ تستفيدونه … أو لكريمٍ عندَه مائدَه

وكان من كلام الأصمعي: خير العلم ما أطفأت به الحريق، وأخرجت به الغريق. وكان يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة، فيها ما عدد أبياتها المائة والمائتان. ومن عجيب ما يحكى قال أبو العيناء: كنا في جنازة الأصمعي، فحدثني أبو قلابة[4] الشاعر، وأنشدني[5] لنفسه:

---

(١) ديوانه: ٢٣١. (٢) وفيات الأعيان: ٣/ ١٧٠. (٣) عيون الأخبار: ٢/ ١٨٥.
(٤) أبو قلابة: عبدالله بن زيد بن عمرو عالم بالقضاء والأحكام. مات بالشام سنة ١٠٤ هـ.
(٥) البيتان في وفيات الأعيان: ٣/ ١٧٦.

لَعَنَ اللهُ أعظُماً حملوها نحو دارِ البِلى على خشباتِ
أعظُماً تبغضُ النبي وأهلَ الـ ـبيتِ والطيبين والطيباتِ

قال: ثم حدثني[1] أبو العالية الشاعر وأنشدني لنفسه أيضاً:

لادرّ درّ نبات الأرضِ إذْ فجعتْ بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا
عشْ ما بدا لك في الدنيا فلستَ ترى في الناسِ منه ولا مِنْ عِلمه خلفا

وكانت وفاة الأصمعي في سنة ست عشرة مائتين بالبصرة.

والنعام، عند المتكلمين على طبائع الحيوان، ليست بطائر وإن كانت تبيض، ولها جناح وريش، ويجعلون الخفاش طيراً، وإن كان يحبل ويلد، وله أذنان بارزتان، وليس له ريش لوجود الطيران فيه، ومراعاة لقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئةِ الطير بإذني﴾[2] وهم يسمون الدجاجة طيراً، وإن كانت لا تطير. وظن بعضِ الناس، أنَ النعامة متولدةَ من جمل وطائر، وهذا لا يصح. ومن أعاجيبها أنها تضع بيضها طولاً، بحيث لو مد عليها خيط، لاشتمل على قدر بيضها، ولم تجد لشيء منه خروجاً عن الآخر، ثم إنها تعطي كل بيضة منه نصيبها من الحضن، إذ كان كل بدنها لا يشتمل على عدد بيضها. وهي تخرج لعدم الطعم، فإن وجدت بيض نعامة أخرى، تحضنه وتنسى بيضها، ولعلها أن تصاد فلا ترجع إليه، ولهذا توصف بالحمق، ويضرب بها المثل في ذلك قال[3] ابن هرمة:

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زنادا شحاحا
كتاركةِ بيضِها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

ويقال إنها تقسم بيضها أثلاثاً: فمنه ما تحضنه، ومنه ما تجعل صفاره غذاء، ومنه ما تفتحه وتجعله في الهواء حتى يتعفن، ويتولد منه دود، فتغذي بها فراخها إذا خرجت.

قال في الكفاية: يقال عار الظليم إذا صاح، والزمار صياح الأنثى. وقال ابن قتيبة: يقال عريعر للذكر، والأنثى زمر زماراً انتهى. وقد سمى الحريري، في المقامات، النعامة باسم صوتها. فقال: ما تقول فيمن أتلف زمارة في الحرم؟ قال: عليه بدنة من النعم.

روي عن كعب الأحبار قال: لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام، جاءه ميكائيل بشيء من حب الحنطة، وقال: هذا رزقك، ورزق أولادك من بعدك، قم فاحرث الأرض، وابذر الحب. قال: ولم يزل الحب من عهد آدم عليه السلام، إلى زمن إدريس عليه السلام، كبيضة النعامة، فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة، ثم إلى بيضة الحمامة، ثم إلى قدر البندقة. وكان في زمن العزيز على قدر الحمصة.

والنعام من الحيوان الذي يزاوج ويعاقب الذكر والأنثى في الحضن، وكل ذي رجلين، إذا

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/١٧٦. (٢) سورة المائدة: آية ١١٠. (٣) الحيوان للجاحظ: ١/١٩٩.

انكسرت له أحداهما، استعان بالأخرى في نهوضه وحركته، ما خلا النعامة فإنها تبقى في مكانها جاثمة حتى تهلك جوعاً قال[1] الشاعر:

إذا انكسرتْ رِجل النعامةِ لم تجد　　على أختها نهضا ولا بأستها حبوا

وليس للنعام حاسة السمع، ولكن له شم بليغ، فهو يدرك بأنفه، ما يحتاج فيه إلى السمع، فربما شم رائحة القناص من بعد، ولذلك تقول العرب: «هو أشم[2] من نعامة»، كما تقول: «هو أشم[3] من ذرة». قال ابن خالويه، في كتابه: ليس في الدنيا حيوان لا يسمع ولا يشرب الماء أبداً إلا النعام. ولا مخ له ومتى دميت رجل واحدة له لم ينتفع بالباقية. والضب أيضاً لا يشرب، ولكنه يسمع. ومن حمقها أنها إذا أدركها القناص أدخلت رأسها في كثيب رمل، تقدر أنها قد استخفَت منه، وهي قوية الصبر على ترك الماء، وأشد ما يكون عدوها إذا استقبلت الريح، وكلما اشتد عصوفها، كانت أشد عدواً وتبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه كالماء.

قال الجاحظ: من زعم أن جوف النعام إنما يذيب الحجارة، لفرط الحرارة، فقد أخطأ. ولكن لا بد مع الحرارة من غرائز أخر، بدليل أن القدر يوقد عليها الأيام ولا تذيب الحجارة. وكما أن جوفي الكلب والذئب يذيبان العظم، ولا يذيبان نوى التمر، وكما أن الإبل تأكل الشوك وتقتصر عليه، وإن كان شديداً كالسمر، وهو شجر أم غيلان، وتلقيه روثاً، وإذا أكلت الشعير ألقته صحيحاً انتهى.

وإذا رأت النعامة في أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها. وتبتلع الجمر فيكون جوفها هو العامل في إطفائه ولا يكون الجمر عاملاً في إحراقه، وفي ذلك أعجوبتان إحداهما التغذي بما لا يتغذى به، والثانية الاستمراء والهضم، وهذا غير منكر، لأن السمندل يبيض ويفرخ في النار كما تقدم. وأما قول الحريري في المقامة السادسة: فقلدوه في هذا الأمر الزعامة، تقليد الخوارج أبا نعامه. فأبو نعامة هو قطري بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن المازني الخارجي، خرج زمن مصعب بن الزبير فبقي عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة، وكان كلما سير إليه الحجاج جيشاً يستظهر قطري عليه. ويروى أن شخصاً قال للحجاج: أيها الأمير، فقال الحجاج: إنما الأمير قطري بن الفجاءة، الذي إذا ركب، ركب لركوبه عشرون ألفاً لا يسألونه أين يريد! وكان قطري مقداماً لا يهاب الموت، وفي ذلك يقول مخاطباً لنفسه وهي من أبيات الحماسة[4]:

أقولُ لها وقد طارت شُعاعا　　من الأبطال ويحكِ لا تراعي
لأنك لو سألتِ بقاءَ يوم　　على الأجَلِ الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً　　فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ
ولا ثوبُ البقاء بثوب عزّ　　فيطوى عن أخي الخنع اليراعِ

---

(١) عيون الأخبار: ٢/١٠٠.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٥٨.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٥٨.
(٤) ديوان الحماسة: ١/٢٤.

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حيٍّ — وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يغتبطْ يسأمْ ويهرمْ — وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ — إذا ما عُدَّ من سَقط المتاع

وهذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله تعالى. ثم توجه إلى قطري سفيان بن الأبرد الكلبي، فظهر على قطري وقتله. ولا عقب لقطري، إنما قيل لأبيه الفجاءة، لأنه كان باليمن، فقدم على أهله فجاءة فسمي بها. كذا قال ابن خلكان وغيره.

الحكم: يحل أكل النعام بالإجماع، لأنه من الطيبات، ولأن الصحابة رضي الله تعالى عنه قضوا فيه، إذا قتله المحرم أو في الحرم ببدنة. روي ذلك عن عثمان وعلي وابن عباس وزيد بن ثابت ومعاوية رضي الله عنهم. رواه الشافعي والبيهقي، ثم قال الشافعي: هذا غير ثابت عند أهل العلم بالحديث، وهو قول الأكثر ممن لقيت. وإنما قلنا في النعامة بدنة بالقياس لا بهذا.

واختلفوا في بيض النعام، إذا أتلفه المحرم أو في الحرم، فقال عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والزهري والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي: تجب فيه القيمة. وقال أبو عبيدة وأبو موسى الأشعري: يجب فيه صيامَ يوم أو إطعام مسكين. وقال مالك: يجب فيه عشر ثمن البدنة كما في جنين الحرة غرة من عبد أو أمة قيمة عشر دية الأم. دليلنا أنه جزء من الصيد، لا مثل له من النعم، فوجبت قيمته، كسائر المتلفات التي لا مثل لها.

وأما حديث[1] أبي المهزم، الذي رواه ابن ماجه والدارقطني، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «في بيض النعامة يصيبه المحرم ثمنه» فهو ضعيف باتفاق المحدثين، وبالغوا في تضعيفه حتى قال شعبة: أعطوه فلساً يحدثكم سبعين حديثاً.

وقد تقدم ذكر أبي المهزم في الجراد أيضاً، لكن في مراسيل أبي داود، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ حكم في بيض النعام، في كل بيضة صيام يوم. ثم قال أبو داود: أسند هذا الحديث والصحيح إرساله. واستدل له في المهذب، بأنه خارج من الصيد يخلق منه مثله، فضمن بالجزاء كالفرخ، فإن كسر بيضاً لم يحل له أكله بلا خلاف.

وفي تحريمه على الحلال طريقان: أصحهما أنه لا يحرم، لأنه لا روح فيه، ولا يحتاج إلى ذكاة، فإن كسر بيضاً مذراً لم يضمنه من غير النعامة، لأنه لا قيمة له، ويضمنه من النعامة لأن لقشره قيمة. وقال الشافعي: لا أكره لمن يعلم من نفسه في الحرب بلاء أن يعلم. والمراد بالإعلام أن يجعل في صدره ريش نعام، كما فعله حمزة رضي الله تعالى عنه يوم بدر، فإنه غرز ريش النعام في صدره. وفي كتاب مناقب الشافعي، للحاكم أبي عبد الله، بإسناده عن محمد بن اسحاق، عن المزني، قال: سئل الشافعي عن نعامة ابتلعت جوهرة لرجل آخر، فقال: لست آمره بشيء، ولكن إنْ كان صاحب الجوهرة كيساً عدا على النعامة فذبحها، واستخرج جوهرته ثم ضمن لصاحب النعامة ما بين قيمتها حية ومذبوحة.

(١) رواه ابن ماجه: مناسك ٩٠.

الأمثال: قالوا: «مثل النعامة لا طير ولا جمل»[1]. يضرب لمن لم يحكم له بخير ولا شر، وقالوا: «أروى[2] من النعامة»، لأنها لا تشرب الماء، فإن رأته شربته عبثاً. وقالوا: «ركب جناح نعامة»[3]. يضرب لمن جد في أمر كانهزام أو غيره، وقد تقدم في باب السين، قول الشماخ في أبياته التي رثى بها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها، لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن: مررت بالمحصب فسمعت رجلاً على راحلة قد رفع عقيرته فقال[4]:

جزى الله خيرا من إمام وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزقْ
فمن يسعَ أو يركبْ جناحي نعامةٍ ... ليدركَ ما قدمت بالأمس يسبقْ
قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدها ... بوائق في أكمامِها لم تفتق

فلم يدر ذلك الراكب من هو، وكنا نتحدث بأنه من الجن. فرجع عمر رضي الله تعالى عنه من تلك الحجة فطعن فمات. وقالوا: تكلم فلان «فجمع بين الأروى والنعامة» إذا تكلم بكلمتين مختلفتين، لأن الأروى يسكن الجبال، والنعامة تسكن الفيافي، فلا يجتمعان. وقالوا: «أحمق[5] من نعامة» و«أجبن[6] من نعامة». وذلك أنها إذا خافت شيئاً، لا ترجع إليه بعد ذلك أبداً.

الخواص: مرارته سم ساعة، ومخ عظامه يورث آكله السل، وذرقه إذا أحرق وسحق وطلي به على السعفة أبرأها من وقته، وقشر بيض النعام إذا طرح في الخل بعد ما يخرج جميع ما فيه، تحرك في الخل وزال من موضعه، إلى موضع آخر. وإذا عمل من الحديد الذي يأكله النعام، ويخرج منه سكين أو سيف، لم يكل أبداً ولم يقم له شيء.

التعبير: النعامة في المنام امرأة بدوية، وقيل: النعامة نعمة، فمن ركب نعامة في منامه فإنه يركب خيل البريد، وقيل: من ركب نعامة فإنه ينكح خصياً، والنعامة تدل على الأصم لأنها لا تسمع، وقيل: تدل على النعي لأنه مشتق من اسمها، وربما دلت على النعمة. والنعامتان على نعمتين والثلاث نعامات على نعي الرائي وموته للاشتقاق والله أعلم.

النعثل: كجعفر، الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان رضي الله تعالى عنه يسمونه نعثلاً.

النعجة: الأنثى من الضأن والجمع نعاج ونعجات قال الشاعر:

مَنْ كان ذا بتٍّ فهذا بتي ... مقيظ مصيف مشتي
تخذتُه من نعجاتٍ ست ... سودٍ نعاجٍ من نعاجِ الدّستْ

والدست الصحراء، وكنيتها أم الأموال وأم فروة، وتطلق على الأنثى من الظباء والبقر الوحشية. روى أحمد بن صالح السهمي، عن ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله تعالى

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٢٩٠.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٠٥.
(٣) مجمع الأمثال: ١/٢٩٩.
(٤) وفيات الأعيان: ٣/٢٨٤.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٣١٦.
(٦) مجمع الأمثال: ١/١٨٧.

عنه، قال: مرت بالنبي ﷺ نعجة، فقال: «هذه التي بورك فيها، وفي خروفها». لكنه حديث منكر جداً. وربما كنى بالنعجة عن المرأة، قال[1] الله تعالى: ﴿إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ﴾ قرأ الحسن نِعجة بكسر النون.

قال في التمهيد سئل المبرد عن قول الله تعالى: ﴿إنّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌواحدةٌ﴾[1]وهم الملائكة، والملائكة لا أزواج لهم. فقال: نحن طول الزمان نفعلُ مثل هذا، نقول: ضرب زيد عمراً، وإنما هذا تقدير، كان المعنى إذا وقع هكذا فيكف الحكم فيه؟ ومثله قول عدي بن زيد للنعمان: أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك؟ فقال: وما تقول؟ قال: تقول[2]:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حولَنا ... يشربون الخمرَ بالماءِ الزلال

ثم أضحوا لعِبَ الدهرُ بهم ... وكذاك الدهرُ حالٌ بعد حالِ

وقول آخر:

شكا إلي جملي طولَ السُّرى ... صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

قال الزمخشري: فإن قلت: ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولي نعجةٌ أنثى قلت: يقال: امرأة أنثى للحسناء الجميلة، والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها، وذلك أصلح وأزيد في تكسرها وتثنيها، ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال؟ وقوله:

تمشي رويدا وتكادُ تنعسفُ

وفي مسند أبي محمد الدارمي، في باب سخاء النبي ﷺ، عن عبد الله بن أبي بكر، عن رجل من العرب، قال: زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين، وفي رجلي نعل كثيفة، فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ، فنفحني نفحة بسوط كان في يده، وقال: بسم الله لقد أوجعتني. قال: فبت لنفسي لائماً أقول: أوجعت رسول الله ﷺ، وبت بليلة كما يعلم الله. فلما أصبحنا، إذا برجل يقول: أين فلان؟ قال: فقلت: والله هذا الذي كان مني بالأمس. قال: فانطلقت وأنا متخوف، فقال[3] لي رسول الله ﷺ: «إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها».

الأمثال: قالوا: «أعجل[4] من نعجة إلى حوض» و«أحمق[5] من نعجة على حوض»، لأنها إذا رأت الماء أكبت عليه تشرب، فلا تنثني عنه إلا أن تزجر أو تطرد.

الخواص: قرن النعجة إذا أخذ وقرىء عليه ثلاث مرات: ﴿يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ من خير محضرا وما عملتْ من سوءٍ تودُّ لو أن بينَها وبينَه أمداً بعيدا﴾[6]. ووضع تحت رأس

---

(1) سورة ص: آية ٢٣.
(2) وفيات الأعيان: ١/٣٨٨.
(3) رواه الدارمي: مقدمة ١٢.
(4) جمهرة الأمثال: ٢/٦٢.
(5) جمهرة الأمثال: ١/٣١٦.
(6) سورة آل عمران: آية ٣٠.

امرأة نائمة، من غير أن تعلم، وسئلت عن شيء أخبرت به، ولا تكاد تكتم شيئاً مما تعلم. ومرارتها إذا أحرقت وخلطت بزيت، وطلي بها الحواجب كثرت شعرها وسودته. ولبن النعاج إذا كتب به على قرطاس فلا تظهر عليه، فإذا طرح في الماء ظهرت عليه كتابة بيضاء. وإن تحملت امرأة بصوف نعجة قطعت الحبل، وقد تقدم.

التعبير: النعجة في المنام امرأة شريفة غنية إذا كانت سمينة، لأنه قد كني عن النساء بالنعاج كما تقدم، ومن أكل لحم نعجة ورث امرأة، وصوفها ولبنها مال. ومن رأى نعجة دخلت منزله نال خصباً في تلك السنة. والنعجة الحامل خصب ومال يرتجى، ومن صارت نعجته كبشاً فإن زوجته لا تحمل أبداً. وقس على هذا في جميع الإناث. والنعاج الكثيرة نساء صالحات، وربما دلت رؤيتهن على الهموم والأفكار، وفقد الأزواج وزوال المنصب لقوله تعالى: **﴿إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ﴾**[1] الآية.

النعبول: بضم النون طائر قاله ابن دريد وغيره.

النعرة: مثال الهمزة، ذباب ضخم أزرق العين له إبرة في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة. سميت نعرة بضم النون وفتح العين المهملة لنعيرها وهو صوتها قال[2] ابن مقبل:

تـرى النعـراتِ الخضرِ حـول لبـاتِـه أحـاد ومثنى أضـعفـتهـا صـواهـلهْ

وربما دخلت في أذن الحمار، فركب رأسه ولا يرده شيء. تقول منه: نعِر الحمار بالكسر، ينعر نعراً فهو نعر.

الحكم: يحرم أكله.

الأمثال: قالوا[3]: «فلان في أنفه أو أذنه نعرة»، يضرب للجامح الذي لا يستقر على شيء.

النعم: عند اللغويين الإبل والشاء، يذكر ويؤنث.

قال الله تعالى: **﴿نسقيكم مما في بطونها﴾**[4] وقال تعالى في موضع آخر: **﴿مما في بطونه﴾**[5] والجمع أنعام وجمع الجمع أناعيم. وعند الفقهاء النعم يشمل الإبل والبقر والغنم. وقال ابن الأعرابي: النعم الإبل خاصة، والأنعام الإبل والبقر والغنم.

وحكى القشيري، في تفسير قوله تعالى: **﴿أولم يروا أنّا خلقْنا لهم مما عمِلتْ أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾**[6] أنها الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، **﴿فهم لها مالكون﴾**[6] أي ضابطون مطيعون كما قال الشاعر:

---

(1) سورة ص: آية ٢٣.
(2) البيت في الحيوان للجاحظ: ٢٣٣/٧.
(3) مجمع الأمثال: ٦٩/٢.
(4) سورة المؤمنون: آية ٢١.
(5) سورة النحل: آية ٦٦.
(6) سورة يس: آية ٧١.

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إنْ نفرا

أي لا أضبطه وقوله[1] تعالى: ﴿والذينَ كفروا يتمتّعونَ ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ﴾ قال ثعلب: معناه لا يذكرون الله على طعامهم ولا يسمعون، كما أن الأنعام لا تفعل ذلك.

روى الشيخان وغيرهما، من حديث سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ، قال لعلي رضي الله تعالى عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من حُمرِ النعم»[2]. وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله، بحيث إنه إذا اهتدى به رجل واحد لا يعلم العلم، كان ذلك خيراً له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس.

والنعم كثيرة الفائدة، سهلة الانقياد، ليس لها شراسة الدواب، ولا نفرة السباع، ولشدة حاجة الناس إليها، لم يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحاً شديداً، كأنياب السباع وبراثنها، وأنياب الحشرات وابرها، وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وخلقها ذلولاً تقاد بالأيدي، كما قال[3] تعالى: ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبُهم ومنها يأكلون﴾ وجعل الله تعالى قرنها سلاحاً لها، لتأمن به من الأعداء، ولما كان مأكلها الحشيش، اقتضت الحكمة الإلهية أن جعل له أفواهاً واسعة، وأسناناً حداداً، وأضراساً صلاباً، لتطحن بها الحب والنوى.

فائدة: جعل الله تعالى الأنعام رفقاً بالعباد ونعمة عددها عليهم ومنفعة بالغة، قال الله تعالى: ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبُهم ومنها يأكلون، ولهم فيها منافعُ ومشاربُ أفلا يشكرون﴾[3] فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع، ويذهبون نعمة الله فيها، ويزيلون المنفعة والمصلحة التي للعباد فيها بفعلهم الخبيث.

قال الله تعالى: ﴿ما جعلَ اللهُ من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ﴾[4] فلفظ جعل في الآية لا يتجه أن يكون بمعنى خلق، لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها، ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثاني، وإنما هو بمعنى ما سن ولا شرع، ولذلك تعدت إلى مفعول واحد.

والبحيرة هي الناقة، كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها، أي شقوها وحرموا ركوبها، والحمل عليها، ولم يجزوا وبرها، وتركوها تأكل حيث شاءت لا تطرد عن ماء ولا كلأ، ثم نظروا إلى خامس ولدها، فإن كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقوها وتركوها، وحرّموا على النساء لبنها ومنافعها. وكانت منافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت حلت للرجال والنساء، وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة إناثاً سيبت، فلم تركب ظهورها، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى بحر أذنها، أي شق ثم خلى سبيلها مع أمها في الإبل، فلم تركب ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما

---

(١) سورة محمد: آية ١٢.

(٢) رواه البخاري: جهاد ١٤٣، فضائل أصحاب النبي ٦٢. مغازي ٣٨، أطعمة ١. ومسلم: فضائل ٣٥.

(٣) سورة يس: آية ٧٢، ٧٣.

(٤) سورة المائدة: آية ١٠٣.

فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة. والبحر الشق. قيل: ومنه سمي البحر بحراً لشقه الأرض، والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة.

والسائبة الناقة التي سيبت، وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية، إذا مرض أو غاب قريبه نذر فقال: إن شفاني الله أو شفى مريضي، أو رد غائبي، فناقتي هي سائبة ثم يسيبها كالبحيرة، فلا تحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبها أحد. وقال علقمة: هي العبد يسيب، أي لا ولاء عليه، ولا عقل ولا ميراث.

وقد قال ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق»[1]. وقال سعيد بن المسيب: السائبة الناقة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء، والبحيرة الناقة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، وقيل: السائبة الناقة إذا ولدت اثنتي عشرة أنثى سيبت. والسائبة فاعلة بمعنى مفعولة كقولهم: ماء دافق أي مدفوق وعيشة راضية أي مرضية.

روى[2] محمد بن اسحاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأكثم بن الجون الخزاعي رضي الله تعالى عنه: «يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار، فما رأيت من رجل أشبه برجل منه به ولا بك منه، ولقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه». قال أكثم: أيضرني شبهه يا رسول الله؟ قال: «لا إنك مؤمن وهو كافر».

وعمرو بن لحي هو أول من غير دين اسماعيل عليه الصلاة والسلام، ونصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحام.

والوصيلة من الغنم، كانت الشاة إذا ولدت ثلاثة بطون أو خمسة أو سبعة، فإن كان آخرها جدياً ذبحوه لبيت الآلهة، وأكل منه الرجال والنساء، وإن كان عناقاً استحيوها. فإن كان جدياً وعناقاً استحيوا الذكر من أجل الأنثى، وقالوا: هذه العناق وصلت أخاها فلم يذبحوه. وكان لبن الأنثى حراماً على النساء، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً.

والحام هو الفحل من الإبل، إذا لقح من صلبه عشرة أبطن، وقيل: إذا ضرب عشر سنين، وقيل: إذا ولد من ولد ولده، وقيل: إذا ركب من ولد ولده، قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب ولا يحمل عليه شيء، ولا يمنع من كلأ ولا ماء، فإذا مات أكله الرجال والنساء، فأعلم الله تعالى أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً بقوله عز وجل: ﴿**ما جعلَ الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ**﴾[3] وإنما هذه كلها من أفعالِ الجاهلية التي نهى الله عنها.

النغر: بضم النون وفتح الغين المعجمة قال الجوهري: إنه طير كالعصافير، حمر المناقير. والجمع نغران كصرد وصردان، قال الخطابي: أنشدني أبو عمرو فقال[4]:

---

(١) رواه الدارمي: فرائض ٤٦.

(٢) رواه البخاري: مناقب ٩. تفسير سورة ٥ ـ ٢٣. ورواه مسلم: كسوف ٩، ١٠.

(٣) سورة المائدة: آية ١٠٣.

(٤) عيون الأخبار: ٢/٢٠٢.

يحملن أوعيةَ السلاحِ كأنما يحملنه بأكارعِ النغرانِ

ومؤنثه نغرة كهمزة، وأهل المدينة يسمونه البلبل.

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ لأمي فطيم يقال له عمير، فكان رسول الله ﷺ إذا جاءنا قال[1]: «يا أبا عمير ما فعل النغير»؟. وعمير تصغير عمر أو عمرو، والفطيم بمعنى المفطوم. قال شيخ الإسلام النووي رحمه الله تعالى، في الحديث فوائد كثيرة منها: جواز تكنية من لم يولد له، وتكنية الطفل وأنه ليس كذباً.

وفي الحديث: «بادروا بكنى أولادكم لا تسبق إليها ألقاب السوء». وفيه جواز المزاح فيما ليس بإثم، وجواز تصغير بعض المسميات، وجواز التسجيع في الكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم، وبيان ما كان عليه ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل، والتواضع وزيارة أهل الفضل، لأن أم سليم والدة أبي عمير وأنس رضي الله تعالى عنهما، هي من محارمه ﷺ. واستدل به بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدينة، ولا دلالة فيه لذلك، لأنه ليس في الحديث أنه من حرم المدينة، بل نقول: إنه صيد من الحل وأدخل الحرم. ويجوز للحلال أن يفعل ذلك، ولا يجوز له أن يصيد من الحرم، فيفرق بين ابتداء صيده، وبين استصحاب إمساكه. وقد صحت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في تحريم صيد حرم المدينة، فلا يجوز تركها بمثل هذا الاحتمال ومعارضتها به. وفي الحديث أيضاً دليل على جواز لعب الصغير بالطير الصغير.

قال العلامة أبو العباس القرطبي: لكن الذي أجاز العلماء أن يمسك له، وأن يلهو بحبسه. وأما تعذيبه والعبث به فلا يجوز، لأن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان إلا لمأكله. وقال غيره: معنى قوله: يلعب به يتلهى بحبسه وإمساكه، وفيه دليل على جواز حبس الطير في القفص والتلهي به لهذا الغرض وغيره.

ومنع ابن عقيل الحنبلي من ذلك، وجعله سفهاً وتعذيباً، لقول أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: تجيء العصافير يوم القيامة، تتعلق بالعبد الذي كان يحبسها في القفص عن طلب أرزاقها، وتقول: يا رب هذا عذبني في الدنيا. والجواب: أن هذا فيمن منعها المأكول والمشروب. وقد سئل القفال عن ذلك؛ فقال: إذا كفاها المؤنة جاز، بل في الحديث دليل على جواز قصها للعب الصبيان بها.

وكان بعض الصحابة يكره ذلك. ورأيت لأبي العباس أحمد بن القاص مصنفاً حسناً على هذا الحديث، وذكر فيه أن أبا حنيفة سمع صوت امرأة يضربها بعلها، وهي تصيح، فقال: صدقة مقبولة وحسنة مكتوبة. فقال له رجل من أصحابه: كيف ذاك يا أستاذ؟ فقال لقوله ﷺ: «أدب الجاهل صدقة عليه». وأنا أعرفها جاهلة.

(١) رواه البخاري: أدب ٨١، ١١٢. ومسلم: أدب ٣٠. وأبو داود: أدب ٦٩.

وحكمه: حل الأكل لأنه من جنس العصافير.

النغض: بكسر النون وفتحها الظليم، سمي بذلك لأنه يحرك رأسه، قال الله تعالى: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾[1] أي يحركونها استهزاء. قال الشاعر:

أنغض نحوي رأسه وأقنعا ... كأنه يطلبُ شيئاً أنفعا

النغف: بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء، دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة. قاله الأصمعي. وقال أبو عبيدة: هو أيضاً الدود الأبيض، يكون في النوى. وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف. وقيل: هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحرث في بطون الأرض.

روى[2] مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه في حديثه الذي رواه في الدجال: «ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج، فيرسل عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة». قوله: فرسى معناه قتلى، الواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها.

وروى البيهقي، في الأسماء والصفات، في باب ما ذكر فيه الكف عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام، نفضه نفض المزود فخرج منه مثل النغف، فقبض قبضتين، فقال جل وعلا لما في اليمين: هذه إلى الجنة ولا أبالي. ولما في الأخرى: هذه إلى النار ولا أبالي، ثم قال: هذا موقوف. وروي بعده بأسطر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: إنّ أخذَ الميثاق على بني آدم، كان بأرض عرفات.

النغار: بالفاء كجار العصفور سمي بذلك لنفوره.

النقاز: بالقاف والزاي طائر من صغار العصافير، كأنه مشتق من النقز وهو الوثب.

النقاقة: الضفدع والنقيق صوتها. قالوا: «أعطش من النقاقة»[3]. وذلك أنها إذا فارقت الماء ماتت.

النقد: بفتح النون والقاف صغار الغنم، واحدتها نقدة وجمعها نقاد. وقال الجوهري: النقد بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، تكون بالبحرين الواحدة نقدة.

الأمثال: قالوا[4]: «أذل من النقد». قال الأصمعي: أجود الصوف صوف النقد. قال[5] الكذاب الحرمازي:

ففيمَ يا شرّ تميم محتدا ... لو كنتم شاء لكنتم نقداً
أو كنتم قولا لكنتم فندا ... أو كنتم ماء لكنتم زبدا
أو كنتم صوفا لكنتم قردا

---

(١) سورة الإسراء: آية ٥١.
(٢) رواه مسلم: فتن ١١٠. والترمذي فتن ٥٩.
(٣) جمهرة الأمثال: ٦١/٢.
(٤) جمهرة الأمثال: ٣٨١/١.
(٥) الأبيات في الحيوان للجاحظ: ٤٦٣/٥.

النكل: الفرس القوي المجرب، وفي الحديث «أن الله تعالى يحب النكل على النكل» بالتحريك، يعني الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب. وهو كقوله ﷺ في الحديث الآخر: «إن الله يحب الرجل القوي المبدىء المعيد على الفرس القوي المبدىء المعيد». وقد تقدم ذكر هذا الحديث في باب الفاء في الفرس.

النمر: بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها كنظائره، ضرب من السباع فيه شبه من الأسد، إلا أنه أصغر منه، وهو منقط الجلد نقطاً سوداً وبيضاً وهو أخبث من الأسد، لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أن يقتل نفسه. والجمع أنمار وأنمر ونمور ونمار. والأنثى نمرة. وكنيته أبو الأبرد وأبو الأسود وأبو جعدة وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهيل وأبو عمرو وأبو المرسال. والأنثى أم الأبرد وأم رقاش. قال الأصمعي: يقال: تنمر فلان أي تنكر وتغير، لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضبان. قال عمرو بن معد يكرب:

قـومٌ إذا لـبـسـوا الحـديـ ـد تـنـمـروا حـلقـا وقـدا

يريد تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد. ومزاج النمر كمزاج السبع، وهو صنفان: صنف عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس. وكله ذو قهر وقوة وسطوات صادقة، ووثبات شديدة وهو أعدى عدو للحيوانات، ولا تروعه سطوة أحد، وهو معجب بنفسه، فإذا شبع نام ثلاثة أيام، ورائحة فيه طيبة بخلاف السبع، وإذا مرض وأكل الفأر زال مرضه.

وذكر الجاحظ أن النمر يحب شرب الخمر، فإذا وضع له في مكان شربه حتى يسكر فعند ذلك يصاد. وزعم قوم أن النمرة لا تضع ولدها إلا مطوقاً بحية، وهي تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل. ومنزلته من السباع في الرتبة الثانية من الأسد، وهو ضعيف الحزم شديد الحرص يقظان الحراك. وفي طبعه عداوة الأسد، والظفر بينهما سجال، وهو نهوش خطوف بعيد الوثبة، فربما وثب أربعين ذراعاً صعوداً، ومتى لم يصد لم يأكل شيئاً، ولا يأكل من صيد غيره وينزه نفسه عن أكل الجيف.

روى الطبراني في معجمه الأوسط، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أن النبي ﷺ قال: «إن موسى عليه السلام قال: يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك، فقال: الذي يسرع إلى هواي إسراع النسر إلى هواه، والذي يألف عبادي الصالحين كما يألف الصبي الناس، والذي يغضب إذا انتهكت محارمي كغضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لا يبالي أقل الناس أم كثروا». وفي إسناده محمد بن عبد الله بن يحيى بن عروة، وهو متروك. وقد تقدم في النسر الإشارة إلى بعضه.

الحكم: يحرم أكله لأنه سبع ضار.

روى[1] أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رفقة

---

(١) رواه أبو داود لباس ٤٠.

فيها جلد نمر». وفي رواية «وقعة». قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، في الفتاوى: جلد النمر نجس كله قبل الدباغ سواء كان مذكى أم لا، فيمتنع استعماله امتناع نجس العين. ومعنى هذا أنه يحرم استعماله قطعاً فيما يجب فيه مجانبة النجاسة من صلاة وغيرها.

وهل يحرم على الاطلاق؟ فيه وجهان: وأما بعد الدباغ فنفس الجلد طاهر، والشعر الذي عليه نجس، تبعاً لأصله ولأجل أنه غالب ما يستعمل منه. ورد الحديث بالنهي عنه مطلقاً وفي حديث(١) آخر: «لا تركبوا النمور». وفي حديث(٢) آخر أنه ﷺ «نهى عن جلود السباع أن تفترش» ولا شك أن النمر من السباع. فهذه الأحاديث قوية معتمدة والتأويل المتطرق إليها غير قوي، وإذا وجد الموفق مثل هذا عن رسول الله ﷺ في مثل هذا المضطرب فهو ضالته ومستروحه لا يرى عنه معدلاً.

الأمثال: قالوا: «شمر واتزر والبس جلد النمر»(٣). يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد. وقالوا: «لبس فلان لفلان جلد النمر»(٤). يضرب في العداوة وكشفها.

الخواص: إذا دفن رأسه في موضع اجتمع فيه من الفار شيء كثير، ومرارته يكتحل بها تزيد في ضوء البصر، وتمنع نزول الماء في العين، وهي سم قاتل إن سقي منها أحد دانقاً لا يتخلص منها إلا أن يشاء الله تعالى، ودماغه إذا أنتن لا يشم أحد من الناس رائحته إلا مات، هكذا حكاه ارسطاطاليس، في كتاب طبائع الحيوان.

وقيل: إن النمر يهرب من جمجمة الإنسان، وشعره إذا بخر به البيت هربت العقارب منه، وشحمه إذا أذيب وجعل في الجراحات العتيقة نظفها وأبرأها. ولحمه من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعي.

وقال القزويني: إن جميع أجزائه تفعل فعل السم القاتل، وخاصة مرارته، وهذا هو الصواب. وقضيبه يطبخ ويشرب من مرقته ينفع من تقطير البول، وأوجاع المثانة. وجلده إذا أدمن الجلوس عليه بلا حائل صاحب البواسير نفعه، ومن حمل معه شيئاً من جلده، يصير مهاباً عند الناس. ويده وبراثنه إذا دفنت في موضع لا يعيش فيه فأر، وإذا نهش النمر إنساناً طلبه الفار ليبول عليه، فإن فعل ذلك مات، وينبغي أن يحترس من ذلك ويصان، قاله صاحب عين الخواص. وقال بعضهم: من مسح جلده بشحم الضبع، ودخل على النمر فر النمر منه.

التعبير: النمر في المنام سلطان جائر، أو عدو مجاهر، شديد الشوكة، فمن قتله قتل عدواً بهذه الصفة، ومن أكل من لحمه نال مالاً وشرفاً، ومن ركبه نال سلطاناً عظيماً، فإن رأى النمر ركبه ناله ضرر من سلطان أو عدو. ومن نكح نمرة تسلط على امرأة من قوم ظلمة، ومن رأى نمراً في داره هجم على داره رجل فاسق. ومن رأى أنه صاد نمراً أو فهداً نال منفعة بقدر ضرر غضبه.

وقال ارطاميدورس: النمر يدل على رجل ويدل على امرأة. وذلك بسبب تغير لونه، وهو

(١) رواه أبو داود لباس ٤٠.
(٢) رواه أبو داود صلاة ١٢٢، وابن ماجه إقامة ٢٠٤.
(٣) مجمع الأمثال: ٣٦٢/١.
(٤) جمهرة الأمثال: ١٦٤/٢.

ذو مكر وخديعة وربما دل على مرض ووجع العينين. ولبنه عداوة تضر شاربه والله تعالى أعلم.

النمس: بنون مشددة مكسورة، وبالسين المهملة في آخره دويبة عريضة، كأنها قطعة قديد، تكون بأرض مصر، يتخذها الناظور إذا اشتد خوفه من الثعابين، لأن هذه الدويبة تقتل الثعبان وتأكله. قاله الجوهري.

وقال قوم: هو حيوان قصير اليدين والرجلين، وفي ذنبه طول يصيد الفأر والحيات ويأكلها. وقال المفضل بن سلمة: هو الظربان، وقال الجاحظ: يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس، تنقبض وتنطوي إلى أن تصير كالفأر، فإذا انطوى عليها الثعبان زفرت ونفخت وانتفخت فيتقطع الثعبان.

وقال ابن قتيبة: النمس ابن عرس وتسميته نمساً يحتمل أن يكون مأخوذاً من قولهم: نمس بالكلام أي أخفاه، ونمس الصائد إذا اختفى في الدريئة، لأنه لما كان يتهاوت وتسكن أطرافه حتى تعضه الحية فيأكلها أشبه الصائد في اختفائه في الدريئة.

وحكمه: تحريم الأكل لاستخباثه والرافعي في كتاب الحج قال: إن النمس أنواع، وبهذا يجمع بين هذه الأقوال المتباينة.

الخواص: إذا بخر برج الحمام بذنب النمس هرب الحمام منه. ومرارته تداف ببياض البيض ويضمد بها العين فتلقط الحرارة وتقطع الدمعة، ودمه يسعط منه المجنون وزن قيراط مع لبن امرأة ويبخر به يفيق. وذكره يطبخ ويشرب من مرقته من كان به تقطير البول ووجع المثانة يبرئه. وعينه اليمنى إذا علقت في خرقة كتان على صاحب حمى الربع أبرأته، وإن علقت عليه اليسرى عادت إليه، ودماغه إذا هرس بماء الفجل ودهن ورد، ودهن به إنسان جرب ومرض مكانه من وقته، وحله أن يسحق خرؤه بدهن الزئبق ويطلى به، وخرؤه إن غرق في ماء وسقي منه إنسان خاف الليل والنهار، ويرى كأن الشياطين في طلبه.

التعبير: النمس في الرؤيا يدل على الزنا، لأنه يسرق الدجاج، والجماعة منه في التعبير نساء، فمن نازع نمساً أو رآه في منزله فإنه ينازع إنساناً زانياً والله أعلم.

النمل: معروف الواحدة نملة والجمع نمال، وأرض نملة ذات نمل، وطعام منمول إذا أصابه النمل، والنملة بالضم النميمة، يقال رجل نمل أي نمام، وما أحسن قول الأول:

اقنع بما تلقى بلا بلغة ... فليس ينسى ربّنا النملة
إن أقبل الدهرُ فقم قائماً ... وإنْ تولّى مُدبراً نم له

وكنيته أبو مشغول والنملة أم نوبة وأم مازن، وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها، وقلة قوائمها. والنمل لا يتزاوج ولا يتناكح إنما يسقط منه شيء حقير في الأرض فينمو حتى يصير بيظاً حتى يتكون منه، والبيض كله بالضاد المعجمة الساقطة إلا بيظ النمل، فإنه بالظاء المشالة.

والنمل عظيم الحيلة في طلب الرزق، فإذا وجد شيئاً أنذر الباقين ليأتوا إليه، ويقال إنما

يفعل ذلك منها رؤساؤها. ومن طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصيف لزمن الشتاء، وله في الاحتكار من الحيل ما أنه إذ احتكر ما يخاف إنباته قسمه نصفين، ما خلا الكسفرة فإنه يقسمها أرباعاً، لما ألهم من أن كل نصف منها ينبت، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره، وأكثر ما يفعل ذلك ليلاً في ضوء القمر، ويقال إن حياته ليست من قبل ما يأكله ولا قوامه، وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام، ولكنه مقطوع نصفين، وإنما قوته إذا قطع الحب في استنشاق ريحه فقط. وذلك يكفيه.

وقد تقدم في العقعق والفأر عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس شيء يحتال لقوته إلا الإنسان والعقعق والنمل والفأر، وبه جزم في الإحياء، في كتاب التوكل. وعن بعضهم أن البلبل يحتكر الطعام، ويقال: إن للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها. والنمل شديد الشم ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته، فإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير لأنها تصيدها في حال طيرانها. وقد أشار إلى ذلك أبو العتاهية بقوله[1]:

وإذا استوتْ للنملِ أجنحةٌ حتى يطيرَ فقد دنا عطبُهْ

وكان الرشيد كثيراً ما ينشد ذلك عند نكبة البرامكة. وقد تقدمت الإشارة إليها في باب العين المهملة في لفظ العقاب، وهو يحفر قريته بقوائمه وهي ست، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج لئلا يجري إليها ماء المطر، وربما اتخذ قرية بسبب ذلك، وإنما يفعل ذلك خوفاً على ما يدخره من البلل.

قال البيهقي في الشعب: وكان عدي بن حاتم الطائي يفت الخبز للنمل، ويقول: إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في الوحش عن الفتح بن سخرب الزاهد، أنه كان يفت الخبز لهن في كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله. وليس في الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مراراً غيره، على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف، حتى إنه يتكلف لحمل نوى التمر، وهو لا ينتفع به، وإنما يحمله على حمله الحرص والشره. ويجمع غذاء سنين لو عاش، ولا يكون عمره أكثر من سنة. ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة، يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء ومنه ما يسمى الذر الفارسي، وهو من النمل بمنزلة الزنابير من النحل، ومنه أيضاً ما يسمى بنمل الأسد، سمي بذلك لأن مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل.

فائدة: في الصحيحين[2] وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «نزل نبي من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة، فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، وأمر بها فأحرقت بالنار. فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة». قال أبو عبد الله الترمذي، في نوادر الأصول: لم يعاتبه الله على تحريقها، وإنما عاتبه على كونه أخذ البريء

---

(١) الحيوان للجاحظ: ٤/٣٦.

(٢) رواه البخاري بدء الخلق ١٦. ومسلم: سلام ١٤٩، ١٥٠. وأبو داود: أدب ١٦٤.

بغير البريء.

وقال القرطبي: هذا النبي هو موسى بن عمران عليه السلام، وأنه قال: يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع، فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده، فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحاً إلى ظلها، وعندها قرية النمل فغلبه النوم، فلما وجد لذة النوم لدغته نملة. فدلكهن بقدمه فأهلكهن، وأحرق مسكنهن. فأراه الله تعالى الآية في ذلك عبرة لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعقوبتها، يريد الله تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصي فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع، وسوءاً ونقمة وعذاباً على العاصي. وعلى هذا ليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر في قتل النمل، فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك، ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن، وقد أبيح لك دفعه عنك بضرب أو قتل على ماله من المقدار، فكيف بالهوام والدواب التي قد سخرت للمؤمن، وسلط عليها وسلطت عليه، فإذا آذته أبيح له قتلها.

وقوله: «فهلا نملة واحدة» دليل على أن الذي يؤذي يقتل، وكل قتل كان لنفع أو دفع ضر فلا بأس به عند العلماء، ولم يخص تلك النملة التي لدغته من غيرها، لأنه ليس المراد القصاص، لأنه لو أراده لقال فهلا نملتك التي لدغتك، ولكن قال: فهلا نملة، فكأن نملة تعم البريء والجاني، وذلك ليعلم أنه أراد تنبيهه لمسألة ربه تعالى في عذاب أهل قرية فيهم المطيع والعاصي.

وقد قيل: إن في شرع هذا النبي عليه السلام كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جائزة، فلذلك إنما عاتبه الله تعالى في إحراق الكثير لا في أصل الإحراق. ألا ترى قوله: فهلا نملة واحدة، وهو بخلاف شرعنا فإن النبي ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان بالنار. وقال[1]: «لا يعذب بالنار إلا الله تعالى». فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار، إلا إذا أحرق إنساناً فمات بالإحراق فلوارثه الاقتصاص بالإحراق للجاني.

وأما قتل النمل، فمذهبنا لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ «نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة والنخلة والهدهد والصرد». رواه أبو داود[2] بإسناد صحيح، على شرط الشيخين. والمراد النمل الكبير، السليماني كما قاله الخطابي والبغوي في شرح السنة. وأما النمل الصغير المسمى بالذر فقتله جائز، وكره مالك رحمه الله قتل النمل، إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل، وأطلق ابن أبي زيد جواز قتل النمل إذا آذت. وقيل: إنما عاتب الله هذا النبي عليه السلام لانتقامه بنفسه بإهلاك جمع آذاه واحد منهم، وكان الأولى به الصبر والصفح، لكن وقع للنبي عليه السلام، أن هذا النوع مؤذ لبني آدم، وحرمة بني آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان. فلو انفرد له هذا النظر، ولم ينضم إليه التشفي الطبيعي، لم يعاتب فعوتب على التشفي بذلك والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري: جهاد ١٤٩. والترمذي سير ٢٠.

(٢) رواه أبو داود: أدب ١٦٤. وابن ماجه صيد ١٠.

روى الدارقطني والطبراني، في معجمه الأوسط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام، كان يبصر دبيب النمل على الصفا في الليلة المظلمة من مسيرة عشرة فراسخ.

وروى الترمذي الحكيم، في نوادره، عن معقل بن يسار، قال: قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وشهد به على رسول الله ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الشرك فقال[1]: «هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً، وأنا أعلم، وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم، بقولها ثلاث مرات».

وروي أيضاً عن أبي إمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال[2] رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». ثم قال: «إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وسمعت أبا عثمان الحسين بن حريث الخزاعي يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: عالم عامل معلم يدعى كثيراً في ملكوت السموات. وروي أن النملة التي خاطبت سليمان عليه الصلاة والسلام أهدت إليه نبقة فوضعتها في كفه وقالت:

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله ... وإنْ كان عنه ذا غنى فهو قابلهْ
ولو كان يهدى للجليل بقدره ... لقصّر عنه البحرُ حين يسائله
ولكننا نهدى إلى من نحبه ... فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال سليمان عليه السلام: بارك الله فيكم. فهم بتلك الدعوة أشكرُ خلق الله، وأكثر خلق الله توكلاً على الله تعالى.

روي أن رجلاً استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها، وما أنا عند الله بأحقر من نملة، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان! فقال له المأمون: صدقت، ووقف له وسمع له وقضى حاجته. ومن شعر الإمام تاج الدين اليمني في منزل فيه نمل قوله:

ما لي أرى منزلَ المولى الأديبِ به ... نملٌ تجمع في أرجائه زمرا
فقال: لا تعجبن من نملِ منزلنا ... فالنملُ من شأنها أنْ تتبعَ الشِعرا

فائدة أخرى: قال الإمام العلامة فخر الدين الرازي، في تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النملِ قالت نملةٌ يا أيُّها النملُ ادخلوا مساكنَكم﴾ الآية[3]. وادي النمل بالشأم كثير النمل. فإن قيل: لمَ أتى بعلى؟ قلت: لوجهين أحدهما: أن إتيانهم كان من فوق، فأتى بحرف

---

(١) رواه ابن حنبل: ٤ ـ ٤٠٣.
(٢) رواه الترمذي: علم ١٩. وابن ماجه مقدمة ١٧.
(٣) سورة النمل: آية ١٨.

الاستعلاء، الثاني: أنه يراد به قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم: أتى على الشيء إذا بلغ آخره، فتكلمت النملة بذلك، وهذا غير مستبعد، فإن حصول العلم والنطق لها ممكن في نفسه، والله سبحانه قادر على كل الممكنات.

وحكي عن قتادة أنه دخل الكوفة، فاجتمع عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً، وهو يومئذ غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى. فقيل له: كيف عرفت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى: ﴿قالت﴾ ولو كانت ذكراً لقال قال نملة، لأن النملة مثل الحمامة والشاة، في وقوعها على الذكر والأنثى، قال: ورأيت في بعض الكتب أن تلك النملة، إنما أمرت رعيتها بالدخول في مساكنها، لئلا ترى النعم التي أوتيها سليمان وجنوده، فتقع في كفران نعمة الله عليه. وفي هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة.

يروى أن سليمان قال لها: لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليها مني ظلماً؟ قالت: لا ولكني خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله.

قال الثعلبي وغيره: إنها كانت مثل الذئب في العظم، وكانت عرجاء ذات جناحين. وذكر عن مقاتل أن سليمان عليه السلام سمع كلامها من ثلاثة أميال.

وقال بعض أهل التذكير: إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع، قولها: ﴿يا﴾[1] نادت ﴿أيها﴾[1] نبهت ﴿النمل﴾[1] سمت ﴿ادخلوا﴾[1] أمرت ﴿مساكنكم﴾[1] نعتت ﴿ولا يحطمنكم﴾[1] حذرت ﴿سليمان﴾[1] خصت ﴿وجنوده﴾[1] عمت ﴿وهم﴾[1] أشارت ﴿لا يشعرون﴾[1] اعتذرت. والمشهور أنه النمل الصغار. واختلف في اسمها فقيل: كان اسمها طاخية، وقيل كان اسمها حزمى. قيل: كان نمل الوادي كالذئاب، وقيل: كالبخاتي.

قال السهيلي، في التعريف والاعلام: ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم، والنمل لا يسمي بعضه بعضاً! ولا الآدمي يمكنه تسمية واحدة منها باسم علم، لأنه لا يتميز للآدميين بعضه من بعض، ولا هم أيضاً واقعون تحت ملك بني آدم، كالخيل والكلاب ونحوهما، لأن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب.

فإن قلت: إن العلمية موجودة في الأجناس كثعالة وأسامة وجعار في الضبع ونحو هذا كثير، فالجواب أن هذا ليس من أمر النمل، لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل. وثعالة ونحوه مختص بواحد من الجنس، بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك. فإن صح ما قالوا، وله وجه فهو أن تكون هذه النملة الناطقة، قد سميت بهذا الاسم في التوراة، أو في الزبور، أو في بعض الصحف، أو سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به جميع الأنبياء قبل سليمان أو بعده، وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها، ومعنى قولنا: وإيمانها أنها قالت للنمل: ﴿وهم لا يشعرون﴾، وهو التفاتة مؤمن أي أن سليمان عليه السلام من عدله وفضله، وفضل جنوده، لا يحطمون نملة فما فوقها، إلا وهم لا يشعرون.

---

(١) سورة النمل: آية ١٨.

وقد قيل: إنما كان تبسم سليمان سروراً بهذه الكلمة منها، ولذلك أكد التبسم بقوله: ضاحكاً، إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون: تبسم تبسُّم الغضبان، وتبسم تبسم المستهزىء، وتبسم تبسم الضحك، وتبسم الضحك، إنما هو من سرور ولا يسر نبي بأمر دنيا، وإنما يسر بما كان من أمر الدين فقولها: وهم لا يشعرون إشارة إلى الدين والعدل انتهى.

فائدة أخرى: روى أبو داود والحاكم وصححه، أن النبي ﷺ قال للشفاء بنت عبد الله: «علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة»(١). وفي صحيح مسلم(٢)، أن النبي ﷺ أرخص في الرقية من النملة، والنملة قروح تخرج في الجنب من البدن، ورقيتها شيء كانت تستعمله النساء، يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع، وهو أن يقال: العروس تحتفل وتختضب وتكتحل، وكل شيء تفتعل، غير أن لا تعصي الرجل، أراد النبي ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة، لأنه ألقى إليها سراً فأفشته. فكان هذا من لغو الكلام ومزاحه. كقوله ﷺ للعجوز: «لا تدخل الجنة عجوز»(٣).

ورأيت في بعض الكتب، بخط بعض الأئمة الحفاظ، أن رقية النملة أن يصوم راقيها ثلاثة أيام متوالية، ثم يرقيها بكرة كل يوم من الثلاثة، عند طلوع الشمس، فيقول: اقسطري وانبرجي فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويكون في أصبعه زيت طيب، يمسح به عليها ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم.

روى الدارقطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تقتلوا النملة فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها، تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، لا غنى لنا عن فضلك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين، واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً، وتطعمنا به ثمراً، فقال سليمان لقومه: ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم».

فوائد: قال الخلال: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنا أبو عبد الله الكواز قال: حدثتني حبيبة مولاة الأحنف بن قيس، أن الأحنف بن قيس رآها تقتل نملة فقال: لا تقتليها، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إني أحرج عليكن إلا خرجتن من داري فاخرجن فإني أكره أن تقتلن في داري، قال: فخرجن فما رؤي فيه منهن بعد ذلك اليوم واحدة. قال عبد الله بن الإمام أحمد: رأيت أبي فعل ذلك حرج على النمل، وأكثر علمي أنه جلس على كرسي كان يجلس عليه لوضوء الصلاة، ثم رأيت النمل قد خرجن من بعد ذلك كبار سود فلم أرهن بعد ذلك.

ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أن يكتب في إناء نظيف. هذه الأسماء، وتغسل

---

(١) رواه أبو داود: طب ١٨. وابن حنبل ٦ ـ ٣٧٢.

(٢) رواه مسلم: سلام ٥٧، ٥٨. والترمذي طب ١٥.

(٣) الحديث لا يعني أن المرأة المسلمة المسنّة لا تدخل الجنة، بل المراد أنها لا تكون في الجنة إلا وهي شابة.

بماء وترش في بيت النمل، فإنه يذهب ولا يطلع، وهو: الحمد لله باهيا شراهيا سأريكم باهيا شراهيا. ورأيت أيضاً، في بعض المصنفات، أن يكتب على أربع شقف نيئات، وتجعل في أربع أركان المكان الذي فيه النمل، فإن النمل يرحل وربما مات، وهو ﴿**وإذ قالت طائفة منهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا**﴾[1] لا تسكنوا في منزلنا فتفسدوا، ﴿**والله لا يصلح عمل المفسدين**﴾[2]، ﴿**ألم تـر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا**﴾[3] كذلك يموت النمل من هذا المكان ويذهب بقدرة الله.

ومما جرب أيضاً فوجدناه نافعاً أن يكتب على لوح ماعز ويوضع على قرية النمل، فإنه يرحل وهو: ق و ل ه ا ل ح ق و ل ه ا ل م ل ك الله الله وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا، ولنصبرن على ما آذيتمونا، وعلى الله فليتوكل المتوكلون. ﴿**قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**[4]﴾، اهيا اهيا شراهيا أدونائى آل شدائى ارحل أيها النمل من هذا المكان بحق هذه الأسماء وبألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ف ق ج م م خ م ت.

ومن المجربات أيضاً أنك إذا كان لك حلواء أو عسل أو سكر أو ما هو شبيه بذلك وكان في إناء، ومررت بيديك على شفته، وقلت: هذا لوكيل القاضي، أو هذا لرسول القاضي، أو هذا لغلام القاضي. فإن النمل لا يقربه، وقد فعل ذلك مراراً وشوهد فلا يصل الذر إليه.

الحكم: يكره أكل ما حملته النمل بفيها وقوائمها، لما روى الحافظ أبو نعيم في الطب النبوي، عن صالح بن خوات بن جبير، عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ «نهى أن يؤكل ما حملت النمل بفيها وقوائمها»، ويحرم أكل النمل لورود النهي عن قتله، وقد تقدم.

ونقل الرافعي في البيع، وجهاً عن أبي الحسن العبادي أنه يجوز بيع النمل بعسكر مكرم، لأنه يعالج به السكر، وبنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة، وعسكر مكرم قرية من قرى الأهواز والسكر بفتح السين والكاف ومراده بالعقارب الطيارة الجراد.

الأمثال: قالوا: «ما عسى أن يبلغ عض النمل»[5]، يضرب لمن لا يبالي بوعيده، وقالوا: «أحرص من نملة» و«أروى[6] من نملة» لأنها تكون في الفلوات فلا تشرب ماء وقالوا: «أضعف وأكثر[7] وأقوى[8] من النمل».

وحكي أن رجلاً قال لبعض الملوك: جعل الله قوتك مثل قوة النمل، فأنكر عليه فقال: ليس من الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة، وقد أهلك الله بالنمل أمة من الأمم وهي جرهم.

وفي سيرة ابن هشام، في غزوة حنين عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه، أنه قال: لقد

---

(١) سورة الأحزاب: آية ١٣.
(٢) سورة يونس: آية ٨١.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٣.
(٤) سورة النمل: آية ١٨.
(٥) مجمع الأمثال: ٢/٢٩٠.
(٦) مجمع الأمثال: ١/٣١٥.
(٧) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٧.
(٨) مجمع الأمثال: ٢/١٢٦.

رأيت قبل هزيمة القوم، والناس يقتتلون، مثل النجاد الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا هو نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، فلم أشك أنها الملائكة ولم تكن إلا هزيمة القوم.

الخواص: بيظ النمل وهو بالظاء المشالة كما تقدم، إذا أخذ وسحق وطلي به موضع منع انبات الشعر فيه، وإذا نثر بيظه بين قوم تفرقوا شذر مذر، ومن سقي منه وزن درهم لم يملك أسفله بل يغلبه الحبق أي الضراط، وإن سدت قريته باخثاء البقر لم يفتحها بل يهرب من مكانه، وكذلك يفعل روث القط وإذا سد جحر النمل بحجر المغناطيس مات، وإذا دقت الكرويا وجعلت في جحر النمل منعتهن الخروج، وكذلك الكمون. وإذا صب ماء السذاب في قرية النمل قتله، وإذا رش به بيت هربت البراغيث منه، وكذلك يفعل ماء السماق في البراغيث، وإذا قطر شيء من القطران في قرية النمل متن والكبريت إذا دق ونثر في قريتها هلكت، وإن علقت خرقة امرأة حائض حول شيء لم يقربه النمل. وإذا أخذت سبع نملات طوال وتركتها في قارورة مملوءة بدهن الزيبق، وسددت رأسها ودفنتها في زبل يوماً وليلة ثم أخرجتها وصفيت الدهن عنها، ثم مسحت به الإحليل وما فوقه هيج الباه، وأكثر العمل وقوى الإنعاظ. مجرب.

التعبير: النمل في الرؤيا يعبر بناس ضعفاء أصحاب حرص، والنمل يعبر أيضاً بالجند والأهل، ويعبر بالحياة، فمن رأى النمل دخل قرية أو مدينة فإنه جند يدخلها، ومن سمع كلام النمل نال خصباً وخيراً، ومن رأى النمل دخل منزله ومعه أحمال ثقيلة فإن الخصب والخير يدخل داره، ومن رأى النمل على فراشه كثرت أولاده، ومن رأى النمل خرج من داره نقص عدد أهله. ومن رأى النمل يطير من مكانه وفيه مريض، فإن المريض يهلك أو يسافر من ذلك المكان قوم ويلقون شدة، والنمل يدل على خصب ورزق لأنه لا يكون إلا في مكان فيه الرزق، وإذا رأى المريض كأن النمل يدب على جسده فإنه يموت، لأن النمل حيوان أرضي بارد. وقال جاماست: من رأى النمل يخرج من مكانه ناله هم والله تعالى أعلم.

النهار: ولد الحبارى، قالت العرب: «أحمق من نهار»، قال البطليوسي، في شرح أدب الكاتب: قد اختلف اللغويون في النهار، فقال قوم: هو فرخ القطاة، وقال قوم: إنه ذكر البوم، والأنثى صيف، وقيل: إنه ذكر الحبارى، والأنثى ليل، وقيل: إنه فرخ الحبارى، قال الشاعر:

ونهارٍ رأيتُ منتصفَ الليـ ... ـلَ وليلٍ رأيتُ وسطَ النهارِ

وهذا القول هو الصواب والله أعلم.

النهاس: بتشديد النون الأولى، وبالسين في آخر، الأسد.

النهس: طائر يشبه الصرد، إلا أنه غير ملمع يديم تحريك ذنبه ويصيد العصافير، وجمعه نهسان كصرد وصردان. وقال ابن سيده: النهس ضرب من الصرد، وسمي بذلك لأنه ينهس اللحم. والنهس أصله أكل اللحم بطرف الأسنان، والنهش بالشين المعجمة أكله بجميعها والطير إذا أكل اللحم إنما يأكله بطرف منقاره فلذلك سمي نهساً.

وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني أن زيد بن ثابت قال: رأيت شرحبيل بن سعد وقد صاد نهساً بالأسواق، فأخذه من يده وأرسله. والأسواق اسم موضع بحرم المدينة الذي حرمه رسول الله ﷺ. وقد تقدم ذكره في الدبسي وإنما أرسله لأن صيد المدينة حرام كمكة.

الحكم: قال الشافعي: النهس حرام كالسباع التي تنهس اللحم.

النهام: بضم النون طائر، قاله السهيلي في إسلام عمر رضي الله تعالى عنه، وقال الجوهري: هو ضرب من الطير.

النهسر: كجعفر الذئب، وقيل: ولد الأرنب وقيل الضبع.

النهشل: الذئب والصقر أيضاً وقد تقدم كل منهما في بابه.

النواح: طائر كالقمري، وحاله حاله إلا أنه أحر منه مزاجاً وأدمث صوتاً، ولقد كاد أن يكون للأطيار الدمثة الشجية الأصوات ملكاً وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجاها صوتاً، وأطيبها نغماً. وجميعها تهوى استماع صوته وهو يطرب لغناء نفسه.

النوب: بضم النون النحل لا واحد له من لفظه، وقيل واحدها نائب. قال أبو عبيدة: سميت نوباً لأنها تضرب إلى السواد. وقال أبو عبيد: سميت به لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها، قال أبو ذؤيب:

إذا لسعتْه النحلُ لم يرجُ لسعَها وخالفَها في بيتِ نوبٍ عواسل

أي لم يخف ولم يبال، فاستعمل الرجاء بمعنى الخوف. ومنه قوله تعالى: ﴿**ما لكم لا ترجون لله وَقارا**﴾[1] أي لا تخافون عظمة الله. وقوله تعالى: ﴿**وقالَ الذينَ لا يرجونَ لقاءَنا**﴾[2] الآية، أي لا يخافون. قال ابن عطية: والذي يظهر لي أن الرجاء في الآية وفي البيت على بابه، لأن خوف لقاء الله مقترن أيضاً برجائه فإذا نفى سبحانه الرجاء عن أحد، فإنما أخبر عنه بأنه يكذب بالبعث لنفي الخوف والرجاء انتهى.

النورس: طير الماء الأبيض، وهو زمج الماء، وقد تقدم في باب الزاي.

النوص: بفتح النون الحمار الوحشي.

النون: الحوت وجمعه نينان وأنوان، كما قالوا: حوت وحيتان وأحوات، وقد تقدم في أول الكتاب في باب الباء الموحدة، في لفظ بالام، ما رواه مسلم والنسائي عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ سأله بعض اليهود عن تحفة أهل الجنة فقال: «زيادة كبد الحوت»[3]. وكان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول: سبحان من يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات. وروى[4] الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: أول شيء خلقه الله

(١) سورة نوح: آية ١٣.
(٢) سورة الفرقان: آية ٢١.
(٣) رواه مسلم: حيض ٣٤، منافقين ٣٠.
(٤) رواه الترمذي: تفسير سورة ٦٨.

القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى يوم الساعة. قال: وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء فتفتقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه فالأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، وإن الجبال لتفخر على الأرض.

وقال كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض كلها فوسوس إليه، وقال: أتدري ما على ظهرك يا لوتياء من الأمم والدواب والشجر والجبال وغير ذلك، فلو نفضتهم فألقيتهم عن ظهرك أجمع لاسترحت، فهم لوتياء أن يفعل ذلك، فبعث الله إليه دابة، فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها، فأذن الله لها فخرجت. قال كعب: فوالذي نفسي بيده لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت إليه كما كانت. وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: اسم الحوت يهموت. قال الراجز:

ما لي أراكم كلكم سكوتا والله ربي خالقُ يهموتا

وفي مسن الدارمي، عن مكحول قال: قال[1] رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». ثم تلا هذه الآية[2]: ﴿إنما يخشى الله من عبادِه العلماءُ﴾ ثم قال: «إن الله وملائكته وأهل سمواته وأرضه والنون في البحر، يصلون على الذين يعلمون الناس الخير»[3].

وفي شعب البيهقي، عن خولة بنت قيس، امرأة حمزة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالا: إن النبي ﷺ قال: «من مشى إلى غريمه لحقه، صلت عليه دواب الأرض، ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة في الجنة، ولا غريم يلوي غريمه وهو قادر، إلا كتب الله عليه في كل يوم إثماً».

وروى أبو بكر البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض، ونون الماء وينبت له بكل خطوة شجرة في الجنة وذنب يغفر».

وروى الدينوري، في المجالسة في أول الجزء السادس، عن الأوزاعي رحمه الله، أنه قال: كان عندنا صياد يصطاد النينان، فكان يخرج إلى الصيد، فلا يمنعه مكان الجمعة عن الخروج، فخسف به وببغلته، فخرج الناس وقد ذهبت به بغلته في الأرض، فلم يبقى منها إلا أذناها وذنبها.

وفيها أيضاً، في أول الجزء العشرين، عن زيد بن أسلم، قال: جلس إليّ رجل قد ذهبت يمينه من عضده، فجعل يبكي ويقول: من رآني فلا يظلمن أحداً فقلت له: ما حالك قال: بينا أنا أسير على شط البحر، إذ مررت بنبطي قد اصطاد سبعة أنوان، فقلت: أعطني نوناً فأبى،

---

(١) رواه الترمذي: علم ١٩. وابن ماجه: مقدمة ١٧.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٣) الدارمي: مقدمة ٢٩.

فأخذت منه نوناً وهو كاره، فانقلب إليّ النون وهو حي فعض إبهامي عضة يسيرة، فلم أجد لها ألماً، فانطلقت به إلى أهلي فصنعوه وأكلنا فوقعت الأكلة في إبهامي، فاتفق الأطباء على أن أقطعها فقطعتها، ثم عالجتها حتى قلت: قد برئت فوقعت الأكلة في كفي، ثم في ساعدي، ثم في عضدي، فمن رآني فلا يظلمن أحداً.

وذو النون لقب نبي الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام، لأنه ابتلعه الحوت ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[1] روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص، المجاب الدعوة رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إني لأعلمكم كلمة ما قالها مكروب إلا فرج الله كربه عنه، ولا دعا بها عبد مسلم إلا استجيب له، دعوة أخي يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»[2]. وجمعت الظلمات لشدة تكاثفها عليه، فإنها ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر، قيل: وظلمة حوت التقم الحوت الأول.

واختلفوا في مدة مكثه في بطنه، فقيل: سبع ساعات، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعة عشر يوماً، وقال السهيلي: أقام في بطنه أربعين يوماً، يتردد به في ماء الدجلة.

ونقل الإمام أحمد، في كتاب الزهد، أن رجلاً قال للشعبي: مكث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً فقال الشعبي: ما مكث إلا أقل من يوم التقمه ضحى، فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغروب، تثاءب الحوت فرأى يونس ضوء الشمس، فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال: فنبذه وصار كأنه فرخ.

فقال رجل للشعبي: أتنكر قدرة الله؟ قال: ما أنكر قدرة الله، ولو أراد الله تعالى أن يجعل في بطنه سوقاً لفعل.

وروى البزار، بإسناد جيد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لما أراد الله تعالى حبس يونس في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت أن لا تخدش له لحماً، ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر، سمع يونس حساً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه، وهو في بطن الحوت، إن هذا تسبيح دواب البحر، فسبح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: ربنا إننا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة، فقال تعالى: ذاك عبدي يونس، حبسته في بطن الحوت، في بطن البحر. فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح. قال عز وجل: نعم فشفعوا له عند ذلك، فأمر الله تعالى الحوت فقذفه في الساحل. كما قال الله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾[3].

وروي أن الحوت مشى به في البحار كلها، حتى ألقاه في نصيبين، من ناحية الموصل، فنبذه الله تعالى في عراء، وهي الأرض الفيحاء التي لا شجر فيها ولا معلم. وهو سقيم كالطفل المنفوس، مضغة لحم إلا أنه لم ينقص من خلقه شيء، فأنعشه الله في ظل اليقطينة بلبن أروية

(١) سورة الأنبياء: آية ٨٧. (٢) رواه الترمذي: دعوات ٨١. (٣) سورة الصافات: آية ١٤٥.

تغاديه وتراوحه، وقيل: بل كان يتغذى من اليقطينة، فيجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته.

والحكمة في إنبات الله اليقطينة عليه، أن من خاصية اليقطين أن لا يقربه الذباب، ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضاً. فأقام عليه الصلاة والسلام تحتها إلى أن صح جسده، لأن ورق الفرع أنفع شيء لمن يسلخ جلده عن جسده، كيونس عليه السلام.

وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يوماً نائماً، فأيبس الله تعالى تلك اليقطينة. وقيل: أرسل الله تعالى عليها الأرضة، فقطعت عروقها فانتبه عليه السلام فوجد حر الشمس، فعز عليه شأنها وجزع، فأوحى الله تعالى إليه: يا يونس جزعت ليبس يقطينة، ولم تجزع لهلاك مائة ألف أو يزيدون، تابوا فتيب عليهم. وما أحسن قول[1] الجوهري، صاحب الصحاح:

فها أنا يونس في بطنِ حوتٍ ... بنيسابور في ظلٍّ الغَمامِ
فبيتي والفؤادُ ويومُ دجنٍ ... ظلامٌ في ظلامٍ في ظلامِ

وقول[2] الآخر:

مغيثُ أيوب والكافي لذي النونِ ... ينيلني فرجاً بالكاف والنونِ

وقول آخر في المعنى:

ربما عالجَ القوافي رجالٌ ... في القوافي فتلتوي وتلينُ
طاوعتهم عينٌ وعينٌ وعينٌ ... وعصتهم نونٌ ونونٌ ونونُ

قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب: معنى قوله: عين وعين وعين، يعني به نحو يد وغد ودد، لأنها عينات مطاوعات في القوافي، مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة، لأن وزن يدفع ووزن غدفع ووزن ددفع، وقوله: وعصتهم نون ونون ونون: الحوت يسمى نوناً، والدواة تسمى نوناً والنون الذي هو الحرف وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي، إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر.

فائدة: روى الدينوري في المجالسة، وأبو عمر بن عبد البر في التمهيد، عن أبي العباس محمد بن اسحاق السراج، قال: حدثنا هشيم عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: كتب صاحب الروم إلى معاوية رضي الله تعالى عنه يسأله عن أفضل الكلام ما هو؟ وعن الثاني والثالث والرابع والخامس، وكتب إليه يسأله عن أكرم الخلق على الله، وعن أكرم الإماء على الله، وعن أربعة من الخلق، فيهم الروح لم يرتكضوا في رحم، ويسأله عن قبر مشى بصاحبه، وعن المجرة وعن القوس، وعن مكان طلعت فيه الشمس، لم تطلع عليه قبل ذلك، ولم تطلع عليه بعده؟

فلما قرأ معاوية الكتاب، قال: أخزاه الله تعالى، وما علمي بما ههنا! فقيل له: اكتب إلى ابن عباس فكتب إليه بذلك، فكتب إليه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

---

(١) معجم الأدباء: ٢/٢٠٩.
(٢) وفيات الأعيان: ٣/٢٤٩.

إن أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الاخلاص لا يقبل عمل إلا بها، والتي تليها سبحان الله وبحمده صلاة الحق، والتي تليها الحمد الله كلمة الشكر، والتي تليها الله أكبر، والخامس لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما أكرم الخلق على الله عز وجل فآدم عليه السلام، خلقه الله بيده، وعلمه الأسماء كلها، وأما أكرم إمائه عليه، فهي مريم التي أحصنت فرجها، فنفخ فيه من روحه.

وأما الأربعة الذين لم يرتكضوا في الرحم، فآدم وحواء وناقة صالح والكبش الذي فدى به اسماعيل عليه الصلاة والسلام، وقيل: عصا موسى عليه السلام، حين ألقاها، فصارت ثعباناً مبيناً.

وأما القبر الذي سار بصاحبه، فهو الحوت حين التقم يونس، وأما المجرة فباب السماء، وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق، بعد قوم نوح. وأما المكان الذي طلعت عليه الشمس، ولم تطلع عليه قبله ولا بعده، فهو المكان الذي انفلق في البحر لبني إسرائيل. فلما قدم عليه الكتاب، أرسل به إلى صاحب الروم فقال: لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم، وما أصاب هذا إلا رجل من بيت النبوة.

باب الهاء

الهالع: النعام السريع في مضيه والأنثى هالعة.

الهامة: بتخفيف الميم على المشهور، طير الليل وهو الصدى، والجمع هام وهامات قال(١) ذو الرمة:

قـد أعسِفَ النازحَ المجهـولَ معسِفَـه ... في ظلٍّ أخضر يـدعـو هـامـة البـومِ

وقد تقدم أن الذكر من البوم يختص باسم الصدى والصيدح، وتقدم أن هذه الأسماء تقع على طير الليل بطريق الاشتراك، وتسمية هذه الطيور بالصدي والصودي، لما تعتقده الأعراب من كونه عطشان، لايزال يقول: اسقوني.

والصدى العطش، والصادي العطشان. ويقال: رجل صديان وامرأة صديا. والصدى أيضاً صوت يرجع من الصوت، إذا خرج ووجد ما يحبسه من حجر ونحوه.

والعرب تقول: أصم الله صداه، إذا دعوا على شخص بالخرس، والمعنى لا جعل الله له صدى يرجع إليه بصوته، وقد تقدم ذلك.

ويقع الصدى أيضاً على الدماغ لكونه متصوراً بصورة الصدى، ولهذا سمي الدماغ هامة، لأنه يشبه رأس الصدى، لأن الصدى لما كان كبير الرأس، واسع العين وفيه شبه برأس ابن آدم، سموا الرأس هامة باسمه. والهامة هو الصدى، وتسميته بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذي

(١) ديوان ذي الرمة (المكتب الإسلامي): ٦٥٦. وأعسِف: أسير على غير هدى. النازح: البعيد.

لأجله سمي صدى، وهو العطش.

ويجوز أن يراعى الاشتقاق على أن يكون قد اشتق من الهيام بضم الهاء، وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى، ومنه قوله تعالى: ﴿فشاربون شُربَ الهِيْم﴾[1] وهو جمع أهيم كأحمر، والهيم الإبل التي أصابها الهيام، يقال: جمل أهيم وناقة هيماء وإبل هيم، قال الشاعر:

بي اليأسُ أو داءُ الهيامِ أصابني ... فإياك عني لا يكن بك ما بيا

وقال لبيد[2]:

أجزتُ على معارفها بشعب ... وأطلاح عن المهري هيم

وقيل: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل، ويحتمل أنه إنما سمي هامة باسم رأسه تشبيهاً بهامة الإنسان وهي رأسه قال الشاعر:

ونضربُ بالسيوفِ رؤوس قومٍ ... أزلنا هامَهن عن الصدورِ

وعلى هذا يكون التجوز حاصلاً من الجانبين، وهذا قد وجد في كلام بعضهم الإيماء إليه، وسمي بعضهم الهامة بالمصاص، لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها، وإنما سموا بعض هذه الطيور بومة، لأنها تصيح بهذا الحرف، وبعضها يصيح بقاف وواو وقاف، فيسمونها قوقة وأم قويق، وكل هذا من جنس الهوام.

وروى[3] مسلم وغيره، عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ قال: «لا صفر ولا هامة». وفيه تأويلان: أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة، وهي هذا الطائر المعروف من طير الليل كما تقدم. وقيل: هو البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم قالوا: نعت إليه نفسه أو بعض أهله، وهذا تفسير الإمام مالك بن أنس رحمه الله، والثاني أن العرب، كانت تعتقد أن روح القتيل، الذي لم يؤخذ بثأره، تصير هامة، فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني اسقوني من دم قاتلي! فإذا أخذ بثأره طارت.

قال لبيد[4]:

فليسَ الناسُ بعدك في نفير ... وما هم غيرَ أصداءٍ وهامَ

وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت، وقيل روحه تصير هامة، ويسمونها الصدى، وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور، ويجوز أن يكون المراد النوعين، وأنه عليه الصلاة والسلام نهى عنهما جميعاً.

روى أبو نعيم، في الحلية عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: كنت عند كعب

---

(١) سورة الواقعة: آية ٥٥. (٢) ديوان لبيد: ١٨٥.
(٣) رواه البخاري: طب ١٩، ٢٥، ٤٥، ٥٣. ومسلم: سلام ١٠١، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩.
(٤) ديوان لبيد: ٢٠٣.

الأحبار، وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال كعب: يا أمير المؤمنين، ألا أخبرك بأغرب شيء قرأته في كتب الأنبياء عليهم السلام: أن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فقالت: السلام عليك يا نبي الله، فقال: وعليك السلام يا هامة، أخبريني كيف لا تأكلين من الزرع؟ قالت: يا نبي آلله، إن آدم أخرج من الجنة بسببه، قال: فكيف لا تشربين الماء؟ قالت: يا نبي الله لأنه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لا أشربه، قال لها سليمان: كيف تركت العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، فأنا أسكن ميراث الله، قال الله تعالى: ﴿وكم أهلَكْنا من قريةٍ بطرتْ معيشتها فتلك مساكنُهم لم تُسكن من بعدِهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين﴾[1].

فالدنيا ميراث الله كلها، قال سليمان: فما تقولين إذا جلست فوق خربة؟ قالت: أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها؟ قال سليمان: فما صياحك في الدور، إذا مررت عليها؟ قالت: أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد؟ قال سليمان عليه السلام: فما لك لا تخرجين بالنهار؟ قالت: من كثرة ظلم بني آدم لأنفسهم، قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟ قالت: أقول: تزودوا يا غافلين، وتهيئوا لسفركم، سبحان خالق النور. فقال سليمان عليه السلام: ليس في الطيور طير أنصح لابن آدم، ولا أشفق عليه من الهامة، وما في قلوب الجهال أبغض منها.

فرع في فتاوي قاضي خان: إذا صاحت الهامة فقال أحد: يموت رجل، فقال بعضهم: يكون ذلك كفراً إنما يقال هذا على جهة التفاؤل انتهى. وهو قريب مما تقدم في العقعق.

والهوام حشرات الأرض وروى ابن حبان وأبو داود الطيالسي، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن هذه الهوام من الجن فإذا رأى أحدكم في بيته شيئاً منها فليحرج عليه ثلاث مرات»[2] قال في النهاية: هو أن يقول لها: أنت في حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والطرد والقتل.

وروى[3] البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: إن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، ثم يقول ﷺ: «كان أبوكما إبراهيم عليه السلام يعوذ بها إسماعيل واسحاق عليهما الصلاة والسلام».

قال الخطابي: الهامة إحدى الهوام ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما، فإن قيل: في هذا الحديث دليل على أن للهامة حقيقة. فالجواب أن الهامة هنا بالتشديد، وتلك بالتخفيف كما تقدم. والمراد هنا هوام الأرض من الحيات والعقارب ونحوهما، كما قاله الخطابي، أو المراد كل ما يهم بالأذى، وهو اسم فاعل من هم يهم فهو هامة كأنه ﷺ قال: أعيذكما من شر كل نسمة هامة بالأذى، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ومن كل عين لامة» معناه ذات لمم، قال الخطابي: وكان

(١) سورة القصص: آية ٥٨. (٢) رواه أبو داود: أدب ١٦٢.
(٣) رواه البخاري: أنبياء ١٠. أبو داود سنة ٢٠. الترمذي طب ١٨. ابن ماجه طب ٣٦.

أحمد بن حنبل رحمه الله يستدل بقوله «بكلمات الله التامة» على أن القرآن غير مخلوق، ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص، فالموصوف منه بالتمام هو غير مخلوق وهو كلام الله تعالى.

وفي الصحيحين وغيرهما، عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه، قال: فيّ أنزلت هذه الآية[1] ﴿فَمنْ كانَ منكم مريضاً أو به أذى من رأسه﴾ أتيت النبي ﷺ، فقال: «ادنه» فدنوت ثم قال: «ادنه» فدنوت، فقال[2] ﷺ: «أيؤذيك هوامك»؟ قال ابن عوف: أظنه قال: نعم. فأمرني بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ما تيسر.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[3]: «إن لله مائة رحمة، واحدة بين الجن والأنس والبهائم والهوامّ فيها يتعاطفون ويتراحمون، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخر تسعاً وتسعين رحمة، يرحم الله بها عباده يوم القيامة». وسيأتي هذا في باب الواو، في لفظ الوحش إن شاء الله تعالى.

وفي الإحياء، في فضل الجمعة، يقال: إن الطير والهوام يلقي بعضها بعضها في يوم الجمعة، فتقول: سلام سلام يوم صالح، وهو كذلك في قوت القلوب أيضاً.

وفي كتاب فردوس الحكمة، آية في كتاب الله، من قرأها يأمن من الهوام ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[4] وقد تقدم نظير هذا في باب الباء الموحدة، في البراغيث من رواية ابن أبي الدنيا، في كتاب التوكل، إن عامل أفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح آن يقول: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا﴾[5] الآية.

وفي كتاب النصائح، أن بعض السياحين، كان مقداماً على كل هول يخافه المسافرون، غير متحفظ من الهوام والسباع، فتعجب منه قوم وخوفوه الغرر بنفسه، فقال: إني على بصيرة من أمري، وذلك أني سافرت تاجراً مع رفقة، فكان سراق الأعراب، يطوفون بنا كل ليلة، وكنت أشد أصحابي ذكراً وأطولهم سهراً، وكنت قد أكتريت مع رجل من الأعراب أعرفه بالصلاح والدين فلما رآني على هذه الحالة، قال: صل على محمد ﷺ مائة مرة، ونم آمنا، ففعلت ذلك ونمت، فإذا رجل يوقظني فارتعت وقلت: من أنت؟ فقال: اصطنعني واستتبني، قلت: ما لك؟ قال: هذه يدي قد احتبسها متاعك، وإذا هو قد شق عدلاً كنت نائماً عليه، وأدخل يده لاستخراج الثياب منه، فلم يستطيع إخراج يده فأيقظت المكاري وأخبرته وسألته أن يدعو له، فقال: أنت

---

(١) سورة البقرة: آية ١٩٦.

(٢) رواه البخاري: محصر ٥، ٦، ٨. مغازي ٣٥. مرض ١٦. طب ١٦. كفارات ١. ومسلم حج ٨٠.

(٣) رواه مسلم: توبة ١٩. وابن ماجه زهد ٣٥.

(٤) سورة هود: آية ٥٦.

(٥) سورة إبراهيم: آية ١٢.

أولى بالدعاء فإنه من أجلك أصيب، فدعوت وأمن فأطلق عن الرجل، فلا أنسى اسوداد يده من اختناق الدم فيها. وفيه أيضاً أنه صلوات الله وسلامه عليه، قال: «من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة» قيل: يا رسول الله، كيف نقول؟ قال ﷺ: «قولوا اللهم صل على محمدٍ عبدِك ونبيك وحبيبك ورسولك النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم».

روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لما أتى إلى غار ثور مع النبي ﷺ، سبق إلى دخوله، فانبطح فيه وألقى نفسه، فقال له النبي ﷺ: «لم فعلت هذا؟» قال: لأن هذه الغيران يكون فيها الهوام المؤذية، فأحببت إن كان فيها شيء أن أقيك بنفسي وقيل: كان عليه رضي الله تعالى عنه برد ثمين فمزقه وحشا به الأحجرة فبقي جحران فسدهما بعقبيه.

والهامة في الرؤيا امرأة قوادة أو زانية.

وحكمها: تحريم الأكل.

الهبع: الفصيل الذي نتج في آخر النتاج، يقال: «ما له هبع ولا ربع»، والأنثى هبعة والجمع هبعات.

الهبلع: الكلب السلوقي، قاله ابن سيده، وقد تقدم ما في الكلب، في باب الكاف.

الهجاة: الضفدع، قاله ابن سيده أيضاً، والمعروف الهاجة.

الهجرس: ولد الثعلب والجمع هجارس، وقيل: هو ولد الدب، وقال أبو زيد: هو القرد، وفي الحديث أن عيينة بن حصن الفزاري مد رجله بين يدي رسول الله ﷺ، فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: يا عين الهجرس، أتمد رجلك بين يدي رسول الله ﷺ؟

وفي الاستيعاب، في ترجمة أسيد بن حضير، قال: جاء عامر بن الطفيل وأربد إلى رسول الله ﷺ، فسألاه أن يجعل لهما نصيباً من تمر المدينة، «فأبى رسول الله ﷺ»، فقال عامر بن الطفيل: لأملأنها عليك خيلاً جرداً، ورجالاً مردا! فقال ﷺ: «اللهم اكفني شر عامر بن الطفيل». فأخذ أسيد بن حضير الرمح، وجعل يقرع رؤوسهما ويقول: أخرجا أيها الهجرسان، فقال عامر: من أنت؟ قال: أنا أسيد بن حضير، فقال: أبوك خير منك، فقال: بل أنا خير منك ومن أبي، مات أبي وهو كافر. فقيل للأصمعي: ما الهجرس؟ قال: الثعلبْ.

فلما رجع عامر وأربد، من عند رسول الله ﷺ، وكانا ببعض الطرق، أرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته وأحرقت بعيره، وبعث الله على عامر الطاعون في عنقه، فقتله في بيت امرأة سلولية، من بني سلول. فجعل يقول: يا بني عامر «غدة كغدة البعير، وموتا في سلولية»[1].

وذكر سيبويه قول عامر: غدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية، في باب ما ينصب على

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٥٧.

إضمار الفعل المتروك، كأنه قال: اغد غدة. قلت: ومن الأوهام أن المستغفري ذكر في كتابه معرفة الصحابة عامر بن الطفيل، وقال: إنه أسلم وسأل النبي ﷺ أن يعلمه كلمات يعيش بهن، فقال ﷺ: «يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحي من الله حق الحياء، وإذا أسأت فأحسن، فإن الحسنات يذهبن السيآت» انتهى.

والصواب أن عامر بن الطفيل لم يؤمن بالله طرفة عين، ولم يختلف أحد من أهل النقل، في ذلك. وأما أربد المذكور، فهو أخو لبيد الشاعر الذي عاش في الإسلام ستين سنة لم يقل فيها شعراً، سأله عمر رضي الله تعالى عنه عن تركه الشعر؟ فقال: ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران. فزاد عمر في عطائه خمسمائة درهم من أجل هذا القول. فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة، فلما كان زمن معاوية أراد أن ينقصه الخمسمائة، فقال له: ما بال العلاوة فوق الفودين؟ فقال له لبيد رضي الله تعالى عنه: آن أن أموت ويصير لك العلاوة والفودان. فرق له معاوية وتركها له، ومات لبيد بعد ذلك بأيام قليلة، وقد قيل: إنه قال[1] في الإسلام بيتاً واحداً وهو:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى لبست من الإسلام سربالا

وقيل: قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد[2]

الأمثال: قالوا[3]: «اسفد من هجرس» «وأغلم[4] وأنزى»[5].

الهجرع: الكلب السلوقي الخفيف، قاله ابن سيده.

الهجين: من الخيل والناس، الذي أبوه عربي وأمه غير عربية، والهجان من الإبل البيض، يستوي فيه الذكر والمؤنث، يقال: بعير هجان، وناقة هجان، وإبل هجان، وامرأة هجان، أي كريمة.

الهدهد: بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما، طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة، وكنيته أبو الأخبار وأبو ثمامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجاد وأبو عباد. ويقال له الهداهد، قال الراعي:

كهداهد كسر الرماة جناحه.

والجمع الهداهد بالفتح، وهو طير منتن الريح طبعاً لأنه يبني أفحوصه في الزبل، وهذا عام في جميع جنسه، ويذكر عنه أنه يرى الماء في باطن الأرض، كما يراه الانسان في باطن الزجاجة، وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء، ولهذا السبب تفقده لما فقده. وكان سبب غيبة الهدهد عن سليمان عليه الصلاة والسلام، أن سليمان عليه السلام، لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على

---

(١) ديوان لبيد: ٢٣٦.
(٢) ديوان لبيد: ٤٦.
(٣) مجمع الأمثال: ١/٣٥٦.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٧٨.
(٥) مجمع الأمثال: ٢/٣٥٦.

الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، ما بلغ من عسكره مائة فرسخ، فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم، أقام به ما شاء الله أن يقيم، وكان ينحر كل يوم، طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وأنه قال لمن حضره من أشراف قومه:

إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي من صفته كذا وكذا ويعطى النصر على من ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائمُ. قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال: بدين الحنيفية، وطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا: فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال: مقدار ألف عام، فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل.

وأقام سليمان عليه السلام بمكة، حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً، وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال، وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها، فأحب النزول فيها ليصلي ويتغدى، فلما نزل، قال الهدهد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول، فارتفع نحو السماء، فنظر إلى طول الدنيا وعرضها، يميناً وشمالاً، فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى الخضرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن، فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، فقال هدهد اليمن ليعفور: من أين أقبلت وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليهما السلام فقال: ومن سليمان؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحش والريح، وذكر له من عظمة ملك سليمان وما سخر الله له من كل شيء، فمن أين أنت؟ فقال له الهدهد الآخر: أنا من هذه البلاد، ووصف له ملك بلقيس، وأن تحت يدها اثني عشرة ألف قائد، تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل، ثم قال: فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ فقال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة، إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد الثاني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فمضى معه ونظر إلى ملك بلقيس، وما رجع إلى سليمان إلا بعد العصر.

وكان سليمان قد نزل على غير ماء، فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء؟ فلم يعلموا له خبراً فتفقد الطير، ففقد الهدهد، فدعا عريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فلم يجد عنده علمه، فغضب سليمان عليه السلام عند ذلك، وقال: ﴿لأعذبنّه عَذاباً شَديداً﴾[1] الآية. ثم دعا بالعقاب وهو سيد الطير، فقال له: علي بالهدهد الساعة، فارتفع في الهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة في يد الرجل، ثم التفت يميناً وشمالاً، فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض عليه العقاب يريده، فناشده الله، وقال: أسألك بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا مارحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فتركه ثم قال له: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف ليعذبنك أو يذبحنك! فقال الهدهد: أوما ستثنى نبي الله قال: بلى، قال: ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾[1] قال الهدهد: قد نجوت إذاً. ثم طار الهدهد والعقاب، حتى أتيا سليمان عليه السلام، فلما قرب منه

(١) سورة النمل: آية ٢١.

الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً، فأخذ سليمان رأسه فمده إليه، وقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل، فارتعد سليمان وعفا عنه. ثم سأله عن سبب غيبته، فأخبره بأمر بلقيس، وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من قصتها في باب الدال والعين المهملتين في الكلام على الدود والعفريت.

قال الزمخشري: وكان السبب في تخلفه وغيبته عن سليمان عليه السلام، أنه حين نزل سليمان حلق الهدهد، فرأى هدهداً واقفاً فوصف له ملك سليمان، وما سخر له من كل شيء، وذكر له صاحبه ملك بلقيس، وأن تحت يدها اثني عشرة ألف قائد، تحت كل قائد مائة ألف، فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر، فدعا سليمان عليه السلام عريف الطير وهو النسر فلم يجد عنده علمه. فقال لسيد الطير، وهو العقاب: علي به، فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل، فقصدته فناشدها الله تعالى، وقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا مارحمتني. فتركته، وقالت: ثكلتك أمك إن نبي الله حلف ليعذبنك، قال: أو ما ستثنى؟ قالت: بلى قال: ﴿أو ليأتيني بسلطانٍ مبين﴾[1] فلما قرب من سليمان، أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له، فلما دنا منه أخذ رأسه فمده إليه فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله. وأما قوله: لأعذبنه، فتعذيبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه.

وقيل: كان عذاب سليمان عليه السلام للطير، أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً، لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض، وهو أظهر الأقاويل. وقيل: إنه يطلى بالقطران ويشمس، وقيل: أن يلقى للنمل تأكله، وقيل: إيداعه القفص، وقيل: التفريق بينه وبين إلفه، وقيل: إلزامه صحبة الأضداد.

وعن بعضهم أنه قال: أضيق السجون صحبة الأضداد، وقيل: حبسه مع غير جنسه، وقيل: الزامه خدمة أقرانه، وقيل: تزويجه عجوزاً. فإن قلت: من أين أحل له تعذيب الهدهد؟ قلت: يجوز أن يبيح الله له ذلك، كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع.

وحكى القزويني أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام: أريد أن تكون في ضيافتي قال: أنا وحدي، قال: بل أنت وأهل عسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا فحضر سليمان عليه السلام بجنوده فطار الهدهد فاصطاد جرادة فخنقها ورمى بها في البحر، وقال: كلوا، يا نبي الله من فاته اللحم، ناله المرق. فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولاً كاملاً. وفي ذلك قيل:

جاءتْ سليمانَ يومَ العرضِ هدهدةٌ ... أهدتْ له من جرادٍ كان في فيها
وأنشدتْ بلسانِ الحالِ قائلةً ... إنّ الهدايا على مقدارِ مُهديها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمتهُ ... لكانَ يُهدى لك الدنيا وما فيها

قال عكرمة: إنما صرف سليمان عليه السلام عن ذبح الهدهد، لأنه كان باراً بأبويه، ينقل الطعام إليهما فيزقهما في حال كبرهما.

---

(١) سورة النمل: آية ٢١.

قال الجاحظ: وهو وفاء حفوظ ودود، وذلك أنه إذا غابت أنثاه، فلم يأكل ولم يشرب، ولم يشتغل بطلب طعم ولا غيره، ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه، فإن حدث حادث أعدمه إياها، لم يسفد بعدها أنثى أبداً، ولم يزل صائحاً عليها ما عاش، ولم يشبع بعدها أبداً بطعم، بل ينال منه ما يمسك رمقه، إلى أن يشرف على الموت، فعند ذلك ينال منه يسيراً.

وفي الكامل، وشعب الإيمان للبيهقي، أن نافع بن الأزرق، سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فقال: سليمان عليه السلام، مع ما خوله الله من الملك وأعطاه، كيف عنى بالهدهد مع صغره؟ فقال له ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنه احتاج إلى الماء، والهدهد كانت الأرض له كالزجاج كما تقدم. فقال ابن الأزرق لابن عباس: قف يا وقاف كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخ إذا غطى له بقدر أصبع من تراب؟ فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا نزل القضاء عمي البصر وأنشدوا في ذلك لأبي عمرو الزاهد:

إذا أراد الله أمراً بامرىءٍ ... وكان ذا عقلٍ ورأي وبصر
وحيلةٍ يفعلها في دفع ما ... يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله ... وسله من ذهنه سلّ الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... رد عليه عقله ليعتبر

ونافع ابن الأزرق هو رأس فرقة من الخوارج، يقال لها الأزارقة، يكفرون علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إذ حكم، وهو قبل التحكيم عندهم إمام عدل، ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمراً. ويرون قتل الأطفال ولا يقيمون الحدود على من قذف محصناً، ويقيمونها على قذف المحصنات وغير ذلك من الأقوال. وأنشد أبو الشيص[1] في صفة الهدهد[2]:

لا تأمنن على سري وسرِّكم ... غيري وغيرك أو طي القراطيسَ
أو طائر سوف أجليه وأنعتهُ ... ما زالَ صاحبَ تنقيرٍ وتدريسَ
سودٌ براثنه ميلٌ ذوائبه ... صفرٌ حمالقه في الحسنِ مغموسِ

البراثن بالباء الموحدة وبالثاء المثلثة وبالنون في آخره: اظفاره، والذوائب ريشه، والحمالق الأجفان.

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، صاحب دمية القصر، وهي ذيل يتيمة الدهر، قتل سنة سبع وستين وأربعمائة:

لا تنكري يا عز إنْ ذلّ الفتى ... ذو الأصل واستعلى خسيس المحتد
إنّ البزاةَ رؤوسهن عواطف ... والتاجُ معقودٌ برأس الهدهد

---

(١) أبو الشيص: محمد بن علي بن عبدالله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي. شاعر مطبوع كوفي. مات سنة ١٩٦ هـ.

(٢) عيون الأخبار: ١/١٠٠.

قيل: إن الإمام الحافظ أبا قلابة، واسمه عبد الملك بن محمد الرقاشي، رأت أمه وهي حامل به، كأنها ولدت هدهداً. فقيل لها: إن صدقت رؤياك، فإنك تلدين ولداً ذكراً كثير الصلاة فولدته، فلما كبر كان يصلي كل يوم أربعمائة ركعة، وحدث من حفظه ستين ألف حديث، ومات سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى.

الحكم: الأصح تحريم أكله لنهي النبي ﷺ عن أكله، لأنه منتن الريح، ويقتات الدود. وقيل: يحل أكله، لأنه يحكى عن الشافعي وجوب الفدية فيه، وعنده لا يفدى إلا المأكول.

الأمثال: قال: «أسجد من هدهد»[1]، يضرب لمن يرمى بالأبنة، وقالوا: «أبصر من هدهد» لما تقدم من رؤيته الماء تحت الأرض.

الخواص: إذا بخر البيت بريشة من ريشه طرد الهوام عنه، وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه، وكذلك يفعل قلبه إذا شوي وأكل مع سذاب، وهو نافع للحفظ والذكاء، ولا ينسى شيئاً، وهو أنفع من حب الفهم وأسلم. ومن أخذ عشرة هداهد ونزع ريشها وتركها في دار أودكان خرب ذلك المكان، ولم يعمر أبداً.

ومن أخذ مصران الهدهد وعلقه على من به النزيف نفعه، ومن أخذ منقاره وهو ميت، وخرز عليه جلدة لم يتلف له شيء ما دام عليه. وإن دخل به على سلطان رحب به وأكرمه وقضى حوائجه، ومن أخذ تراب عش الهدهد وتركه في سجن خرج من فيه من وقته، وإن أخذ من مخالب رجليه مخلباً واحداً وعلقه على صبي أو غيره لم يلحقه عين ولا يزال في عافية ما دام معلقاً عليه.

ومن أخذ ذنبه وشيئاً من دمه وعلقه على شجرة لم تحمل أبداً، وإن علق على دجاجة بياضة لم تبض، وإن علق على من به نزف الدم سكن عنه، ومن أخذ لسانه وألقاه في شيء من دهن السمسم وجعله تحت لسانه، وسأل إنساناً حاجة قضاها له، وإذا حمل ريشه إنسان وخاصم غلب خصمه، وقضيت حاجته، وظفر بما يريد ولحمه إذا أكل مطبوخاً نفع من القولنج، ودماغ الهدهد إذا أخرج وعمل في دقيق وعجن منه قرصة، وجففت في الظل، وأطعمت الإنسان ويقول المطعم: أطعمتك يا فلان بن فلان هدهداً، وجعلتك تسمع قولي وتطيعني، وتشهد لي كما شهد الهدهد لسليمان عليه السلام فإن المطعوم يحب المطعم حباً شديداً.

وإن أخذت قشرته وشددتها على عضدك الأيسر، وأخذت منقاره ولسانه وكتبت هذه الأسماء في رق ظبي وجعلتها فيه، وشددته بخيط صوف كحلي أو أسود أو أحمر ودفنته تحت باب من تريد موضع دخوله وخروجه فإنك تبلغ ما تريده منه من المحبة والعطف والقبول. وهي هذه الأسماء التي تكتبها: فطيطم مارنورمانيل وصعانيل.

ودم الهدهد إذا أخذ في صدفة وقطر في عين يطلع فيها الشعر أزاله، وإذا ذبحت هدهداً،

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٣٥٦.

وأخذت دماغه وجففته، وسحقته ببعض من المصطكى، ودققت معه إحدى وعشرين ورقة آس، وخلطته وأشممته لمن تريد، فإنه يحبك. وعينه اليمنى إذا علقتها عليك في خرقة جديدة وشددتها على عضدك الأيمن، ودخلت على من شئت فإنه لا يراك أحد إلا أحبك، وإذا أردت سواد الشعر، فخذ مصران الهدهد وجففه ثم اسحقه بدهن سمسم وادهن به رأس من تريد أو لحيته ثلاثة أيام فإن شعره يسود سواداً عظيماً. ودمه وهو حار، إذا قطر على البياض العارض في العين أذهبه، وإن بخر بمخه برج الحمام لم يقربه شيء يؤذيه، وإن علق هدهد مذبوح بجملته في بيت أمن أهله من السحر، ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس، وإن بخر المجنون بعرفه أبرأه، ولحمه إذ بخر به معقود عن الباه، أو مسحوراً أبرأه.

وقال جابر رحمه الله: إن قلب الهدهد إذا شوي وأكل مع سذاب فإنه ينفع للحفظ جداً. ومصران الهدهد إذا علق على من بها نزف الدم، انقطع عنها. وإن أخذت ثلاث ريشات من الجناح الأيسر من الهدهد، وكنس بها باب دار ثلاثة أيام، قبل طلوع الشمس، ويقول الكانس: كما انقطع هذا التراب من هذا المكان، كذلك ينقطع فلان بن فلانة من هذا المكان، فإنه يخرج منه ولا يعود إليه أبداً وإن أحرقت جناحه الأيسر، ونثرت رماده على طريق من تريد فإنه إذا وطئه أحبك حباً شديداً. ومنقار الهدهد وريشه من جناحه الأيمن إذا خرز في جلد وعلقت ذلك عليك باسم من تريد، واسم أمه، أحبك حباً شديداً. وأطول ريشة في جناحيه الأيسر قبول.

التعبير: الهدهد في المنام، رجل عالم غني يثنى عليه بالقبيح لنتن ريحه، فمن رآه نال عزاً ومالاً فإن كلمه فإنه يأتيه خير من قبل السلطان لقوله تعالى:(1) ﴿وجئتُكَ من سبأ بنبأ يقين﴾ وقال ابن سيرين: من رأى هدهداً، قدم له مسافر، وقيل: الهدهد رجل حاسب صاحب دهاء يخبر السلطان بما يحدث من الأمور، لأنه أخبر سليمان عليه السلام بأمر بلقيس، وكان صادقاً في قوله، وربما كانت رؤيته أمانا للخائف، وقال ابن المقري: إن رؤيته تدل على هدم الدار العامرة، أو الشيء العامر مأخوذ من اسمه هدهد، وربما دلت على الرسول الصادق، والقرب من الملوك والجاسوس، أو الرجل العالم الكثير الجدال، وربما دل على النجاة من الشدائد والعذاب، وربما دل على المعرفة بالله تعالى، وبما شرعه من الدين والصلاة، وإن رآه ظمآن، اهتدى إلى الماء، والله تعالى أعلم.

الهدي: هو ما يهدى إلى الحرم من النعم، والهدى أيضاً مثله وقرىء ﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾(2) بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان الواحدة هدية وهدية. وكان الهدي الذي مع النبي ﷺ في الحديبية ونحره مائة بدنة. وقال المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: سبعين بدنة والناس سبعمائة. فكانت البدنة عن عشرة وهذا غريب.

وعن مصعب بن ثابت، قال: والله لقد بلغني أن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه حضر يوم عرفة ومعه مائة رقبة ومائة بدنة ومائة بقرة ومائة شاة، فقال: هذا كله لله تعالى، فأعتق

---

(1) سورة النمل: آية ٢٢. (2) سورة البقرة: آية ١٩٦.

الرقاب، وأمر بتلك فنحرت، رواه الطبراني مرسلاً.

وفي الصحيحين[1]، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أهدى النبي ﷺ مرة غنماً، وفيه استحباب تقليد الغنم، وقال مالكٌ وأبو حنيفة، لا يستحب، بل خصا التقليد بالإبل والبقر.

فرع: اتفق العلماء على أن الهدي إذا كان تطوعاً فللمهدي أن يأكل منه، وكذلك أضحية التطوع. لما روى[2] جابر أنه ﷺ أهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر رسول الله ﷺ منها بيده ثلاثا وستين، وأمر علياً فنحر ما بقي منها، ثم أمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة بضعة، فتجعل في قدر فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها.

واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع، مثل دم التمتع والقران والواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئاً وبه قال الشافعي، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر، وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: لا يأكل من جزاء الصيد والنذر، ويأكل مما عداهما، وبه قال الإمام أحمد واسحاق. وقال مالك: يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه، إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر. وقال أصحاب الرأي: يأكل من دم التمتع والقران، ولا يأكل من كل واجب سواهما، والله تعالى أعلم.

الهديل: ذكر الحمام قد تقدم ما في الحمام في باب الحاء المهملة، قال جران العود[3]:

كان الهديلُ الظالعَ الرجل وسطها ... من البغي شريب يغرد منزفُ

والهديل صوت الحمام، يقال: هدل القمري يهدل هديلاً، والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه الصلاة والسلام، فصاده جارح من الطير، فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم القيامة.

قال نصيب[4]:

فقلتُ أتبكي ذاتُ طوقٍ تذكرت ... هديلاً وقد أودى وما كان تبعُ

يقول لم يخلق تبع بعد.

الهِرماس: بكسر الهاء من اسماء الأسد، وقيل: هو الشديد من السباع، والهرماس بن زياد الباهلي من الصحابة سكن البصرة وطال عمره، وروى عن النبي ﷺ حديثين أحدهما عن أبي داود والآخر رواه النسائي. والهرميس بكسر الهاء أيضاً الكركدن عند ابن سيده. قال: وهو أكبر من الفيل قال الشاعر:

والفيلُ لا يبقى على الهرميس

الهر: السنور، والجمع هررة، كقرد وقردة، والأنثى هرة وتقدمت في خواص الأسد في

(١) رواه البخاري: حج ١١٠.

(٢) رواه البخاري: حج ١٢١ ـ ١٢٢. ومسلم حج ٣٤٩.

(٣) جِران العود: عامر بن الحارث النميري، شاعر، أدرك الإسلام.

(٤) نصيب: مولى المهدي العباسي، شاعر مجيد، كنيته أبو الحجناء. مات سنة ١٧٥ هـ.

الكلام على الفأرة، أن الهرة خلقت من عطسة الأسد. روى الإمام أحمد والبزار ورجال الإمام أحمد ثقات، من حديث[1] أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً فقال ﷺ: «قه أيسرّك أن يشرب معك الهر» قال: لا. قال: «فقد شرب معك الشيطان». وفي تاريخ ابن النجار، في ترجمة محمد بن عمر الحنبلي، عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كنت جالساً عند عائشة رضي الله تعالى عنها أبشرها بالبراءة، فقالت: والله لقد هجرني القريب والبعيد، حتى هجرتني الهرة، وما عرض علي طعام ولا شراب، فكنت أرقد وأنا جائعة، فرأيت الليلة في منامي فتى فقال: ما لك حزينة؟ فقلت: مما ذكر الناس. فقال: ادعي بهذه الكلمات يفرج عنك. فقلت: وما هي؟ فقال: قولي: دعاء الفرج يا سابغ النعم، ويا دافع النقم، ويا فارج الغمم، ويا كاشف الظلم، ويا أعدل من حكم، ويا حسيب من ظلم، ويا ولي من ظلم، ويا أول بلا بداية، ويا آخر بلانهاية، ويا من له اسم بلا كنية، أجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً. قالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة، وقد أنزل الله براءتي وجاءني الفرج. وفي الحديث[2] الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن الشيطان عرض للنبي ﷺ في صلاته، قال عبد الرزاق: في صورة هر، قال ﷺ: «فشد علي يقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فذعته أي خنقته ولقد هممت أن أوثقه في سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه. فذكرت قول أخي سليمان: رب أغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئاً».

وروى ابن أبي خيثمة، عن ميمونة بنت سعيد، مولاة رسول الله ﷺ، وهو في الاستيعاب، عن سليمان الفارسي، خادم رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ أوصى بالهر، وقال: «إنّ امرأةً عُذبت في هرة ربطتها»[3] الحديث، وهو في الصحيحين.

وفي الزهد للإمام أحمد: رأيتها في النار وهي تنهش قبلها ودبرها. والمرأة المعذبة كانت كافرة، كما رواه البزار في مسنده، والحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان، ورواه البيهقي في البعث والنشور، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، فاستحقت التعذيب بكفرها وظلمها.

وقال القاضي عياض في شرح مسلم: يحتمل أن تكون كافرة. ونفى النووي هذا الاحتمال، وكأنهما لم يطلعا على نقل في ذلك.

وفي مسند أبي داود الطيالسي، من حديث الشعبي، عن علقمة قال: كنا عند عائشة رضي الله تعالى عنها، ومعنا أبو هريرة، فقالت: يا أبا هريرة أنت الذي تحدث[4] عن رسول الله ﷺ أن امرأة عذبت بالنار من أجل هرة؟ قال أبو هريرة: نعم سمعته من رسول الله ﷺ. فقالت عائشة: المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه من أجل هرة، إنما كانت المرأة مع ذلك كافرة يا أبا هريرة، إذا حدثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدث. وقد تقدم في الفرس، ما أنكرته عائشة على أبي هريرة.

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣٠١/٢.
(٢) رواه البخاري: عمل ١٠.
(٣) رواه البخاري: أنبياء ٥٤. ومسلم: سلام ١٥١، ١٥٢.
(٤) رواه مسلم: كسوف ٩.

وروى ابن عساكر، في تاريخه عن بعض أصحاب الشبلي، أنه رآه في النوم، بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا أبا بكر أتدري بماذا غفرت لك؟ فقلت: بصالح عملي. فقال: لا. قلت: باخلاصي في عبوديتي، قال: لا. قلت: بحجي وصومي وصلاتي. قال: لم أغفر لك بذلك. فقلت: بهجرتي إلى الصالحين، وإدامة أسفاري في طلب العلوم. فقال: لا. فقلت: يا ربي هذه المنجيات التي كنت أعقد عليها خنصري، وظني أنك بها تعفو عني وترحمني. فقال: كل هذه لم أغفر لك بها، فقلت: إلهي فبماذا؟ قال: أتذكر حين كنت تمشي في دروب بغداد، فوجدت هرة صغيرة، قد أضعفها البرد، وهي تنزوي من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج، فأخذتها رحمة لها، فأدخلتها في فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد؟ فقلت: نعم. فقال: برحتمك لتلك الهرة رحمتك.

وأبو بكر الشبلي اسمه دلف بن جحدر، وقيل جعفر بن يونس الخراساني، كان سيداً صالحاً محدثاً، مالكي المذهب، صحب الجنيد رضي الله تعالى عنه، وكان في ابتداء أمره والياً على دنباوند، فتاب في مجلس خير النساج، وكانت له خطفات وسكرات وغرقات توجب تلك الغرقات شطحات، فقام عذره فيها ودخل على الجنيد يوماً فوقف بين يديه وصفق وأنشد يقول[١]:

عودوني الوصالَ والوصلُ عذبٌ   ورموني بالصدّ والصدّ صعب
زعموا حينَ أزمعوا أن ذنبي   فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لاوحقّ الخضوع عند التلاقي   ما جزا من يحب ألا يحب

فأجابه[٢] الجنيد رحمه الله تعالى:

وتمنيتُ أن أراك فلمّا رأيتكا
غلبتْ دهشةُ السرور فلم أملك البكا

ومن شعر[٣] الشبلي رحمه الله تعالى:

مضتْ الشبيبةُ والحبيبةُ فانبرى   دمعانِ في الأجفانِ يزدحمان
ما أنصفتني الحادثاتُ رمينني   بمودعين وليس لي قلبان

توفي الشبلي، رحمه الله في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، وله سبع وثمانون سنة.

وفي كامل ابن عدي، في ترجمة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، أنه روى[٤] عن عروة، عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: كان النبي ﷺ تمر به الهرة فيصفي لها الإناء فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها. قال: وكان أبو يوسف يقول: من طلب غرائب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء افتقر، ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/٢٧٣.
(٢) وفيات الأعيان: ٢/٢٧٤.
(٣) وفيات الأعيان: ٢/٢٧٦.
(٤) رواه ابن حنبل: ٥/٢٩٦.

وفي آخر كتاب مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه، للحاكم أبي عبدالله، بإسناده إلى محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: اختصم رجلان إلى بعض القضاة، في هرة ادعى كل منهما أنها له، وأن عنده أولادها، فحكم القاضي أن توسط بين داريهما ثم ترسل فأي دار دخلت فهي لصاحبها. قال الشافعي: فانجفل الناس، وانجفلت معهم، فلم تدخل الهرة دار واحد منهما. قال الشافعي: فبطل قضاؤه.

غريبة: ذكر أن مروان الجعدي المنبوز بالحمار، آخر خلفاء بني أمية، لما ظهر السفاح بالكوفة، وبويع له بالخلافة، وجهز العساكر إليه، فانهزم منهم، حتى وصل إلى أبي صير، وهي قرية عند الفيوم.. قال: ما اسم هذه القرية؟ قيل: أبو صير. قال: فإلى الله المصير، ثم دخل الكنيسة التي بها، فبلغه أن خادماً له نم عليه، فأمر به فقطع رأسه، وسل لسانه وألقي على الأرض، فجاءت هرة فأكلته. ثم بعد أيام، هجم عل الكنيسة التي كان نازلاً بها عامر بن إسماعيل، فخرج مروان من باب الكنيسة، وفي يده سيف، وقد أحاطت به الجنود، وخفقت حوله الطبول، فتمثل ببيت الحجاج بن الحكم السلمي وهو[1]:

متقلدين صفائحاً هندية ... يتركن مَن ضربوا كأن لم يولد

ثم قاتل حتى قتل، فأمر عامر برأسه فقطع في ذلك المكان، وسل لسانه وألقي على الأرض، فجاءت تلك الهرة بعينها فخطفته فأكلته. فقال عامر: لو لم يكن في الدنيا عجب إلا هذا، لكان كافياً، لسان مروان في فم هرة! وقال في ذلك شاعرهم:

قد يسّر الله مصراً عنوةً لكم ... وأهلكَ الكافرَ الجبارَ إذ ظلما
فلاك مقولَه هرّ يجر جرّه ... وكان ربّك من ذي الظلم منتقما

ودخل عامر بعد قتله الكنيسة، فقعد على فرش مروان، وكان مروان، حين الهجوم على الكنيسة، يتعشى، فلما سمع الوجبة، وثب عن عشائه، فأكل عامر ذلك الطعام، ودعا بابنة مروان، وكانت أسن بناته، فقالت: يا عامر إن دهراً أنزل مروان عن فرشه، وأقعدك عليه، حتى تعشيت بعشائه، واستصبحت بمصباحه، ونادمت ابنته، لقد أبلغ في موعظتك، وأجمل في إيقاظك. فاستحيا عامر وصرفها وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

الحكم: يحرم أكل الهر على الصحيح، والثاني، وبه قال الليث بن سعد، يحل أكله. واختاره أبو الحسن البوشنجي، وهو من أئمة أصحابنا، وهو حيوان طاهر لما روى الإمام أحمد والدارقطني والحاكم والبيهقي، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ دعي إلى دار قوم فأجاب، ودعي إلى دار آخرين فلم يجب، فقيل له في ذلك، فقال[2]: «إن في دار فلان كلباً». فقيل له: وإن في دار فلان هرة، فقال ﷺ: «الهرة ليست بنجسة إنما هي من الطوافين

---

(١) البيت في العقد الفريد ونسبته إلى الجحّاف بن حكيم. انظر العقد الفريد ٤/٢١٤.
فالصواب الجحّاف وهو من الفتاك الشعراء في العصر الأموي، مات سنة ٩٠ هـ.

(٢) رواه ابن حنبل: ١/٨٠.

عليكم والطوفات».

قال الإمام النووي، في شرح المهذب: وبيع الهرة الأهلية جائز بلا خلاف عندنا، إلا ما حكاه البغوي، في شرح مختصر المزني، عن ابن القاص، أنه قال: لا يجوز، وهذا شاذ باطل مردود، والمشهور جوازه وبه قال جماهير العلماء.

قال ابن المنذر: أجمعت الأمة على جواز اتخاذها، ورخص في بيعها ابن عباس والحسن وابن سيرين والحكم وحماد ومالك والثوري والشافعي وإسحاق وأبو حنيفة، وسائر أصحاب الرأي. وكرهت طائفة بيعها منهم: أبو هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد.

وقال ابن المنذر: إن ثبت عن النبي ﷺ النهي عن بيعه، فبيعه باطل، وإلا فجائز.

احتج من منعه بحديث ابن الزبير، قال: سألت جابراً رضي الله تعالى عنه عن ثمن الكلب والسنور، فقال: نهى النبي ﷺ عن ذلك. رواه مسلم.

وفي سنن[1] أبي داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «نهى عن ثمن الهر».

واحتج أصحابنا بأنه طاهر منتفع به ووجد فيه جميع شروط البيع، فجاز بيعه كالحمار والبغل، والجواب عن الحديثين من وجهين أحدهما: جواب أبي العباس بن القاص والخطابي والقفال وغيرهم، أن المراد الهرة الوحشية، فلا يصح بيعها، لعدم الانتفاع بها، إلا على الوجه الضعيف القائل بجواز أكلها، والثاني أن المراد نهي تنزيه. فهذان الجوابان هما المعتمدان. وأما ما ذكره الخطابي وابن عبد البر، أن الحديث ضعيف فغلط منهما لأن الحديث في صحيح مسلم بإسناد صحيح كما تقدم بيانه، في باب السين المهملة.

وفي السنن[2] الأربعة، من حديث كبشة بنت كعب بن مالك، وكانت تحت بعض ولد أبي قتادة، أن أبا قتادة رضي الله تعالى عنه، دخل فسكبت له وضوءاً، فجاءت هرة فشربت منه، فأصغى لها الإناء حتى شربت. قالت كبشة: فرآني أنظر إليه، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم. فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات». والطوافون الخدم، والطوافات الخادمات، جعلها بمنزلة المماليك في قوله تعالى[3]: ﴿ويطوفُ عليهم ولدانٌ مخلدون﴾. ومنه قول إبراهيم النخعي: إنما الهرة كبعض أهل البيت. كذا نقله الزمخشري.

وفي المستدرك وسنن ابن ماجه وكامل بن عدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[4]: «الهرة لا تقطع

---

(١) رواه أبو داود: بيوع ٦٢. الترمذي بيوع ٤٩. ابن ماجه صيد ٢٠.

(٢) رواه أبو داود: طهارة ٣٨. الترمذي طهارة ٦٩. النسائي طهارة ٥٣. ابن ماجه طهارة ٣٢.

(٣) سورة الواقعة: آية ١٧.

(٤) رواه ابن ماجه: طهارة ٣٢.

الصلاة إنما هي من متاع البيت».

فرع: إذا كان للإنسان هرة تأخذ الطيور، وتقلب القدور، فأفلتت وأتلفت، فهل على صاحبها ضمان ما أتلفت؟ وجهان، أصحهما: نعم. سواء أتلفت ليلاً أو نهاراً، لأن مثل هذه الهرة ينبغي أن تربط ويكف شرها. وكذا الحكم في كل حيوان يولع بالتعدي، أما إذا لم يعهد منها ذلك، فالأصح لاضمان، ، لأن العادة جرت بحفظ الطعام عنها، لابربطها. وأطلق إمام الحرمين في ضمان ما تتلفه الهرة أربعة أوجه: أحدها يضمن، والثاني لا، والثالث يضمن ليلاً لا نهاراً، والرابع عكسه: لأن الأشياء تحفظ عنها ليلاً.

وإذا أخذت الهرة حمامة أو غيرها وهي حية، جاز فتل أذنها وضرب فمها، لترسلها فإذا قصدت الحمام فأهلكت بالدفع، فلا ضمان. فإذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان في حال إفسادها دفعاً جاز ولا ضمان عليه، كقتل الصائل دفعاً. وينبغي تقييد ذلك، بما إذا لم تكن حاملاً لأن في قتل الحامل قتل أولادها، ولم يتحقق منهم جناية.

وأما قتلها في غير حالة الإفساد، ففيه وجهان: أصحهما عدم الجواز ويضمنها. وقال القاضي حسين: يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها، وتلحق بالفواسق الخمس فيجوز قتلها، ولا يختص بحال ظهور الشر، وسؤرها طاهر لطهارة عينها، ولا يكره، فلو تنجس فمها ثم ولغت في ماء قليل، فثلاثة أوجه: الأصح أنها إن غابت واحتمل ولوغها في ماء يطهر فمها، ثم ولغت لم تنجسه، والثاني تنجسه مطلقاً، والثالث عكسه وغير الماء من المائعات كالماء.

الأمثال: قالوا: «أبر من هرة»(١) أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم قال الشاعر:

أما ترى الدهرَ وهذا الورى كهرةٍ تأكلُ أولادَها

وقالوا: «فلان لا يعرف هر من بر»(٢) قال ابن سيده: يعني لا يعرف الهر من الفار. وقال الزمخشري: لا يعرف من يكرهه ممن يبره، وما أحسن قول(٣) أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وثلثمائة:

إذا ازدحمتْ همومُ الصدرِ قلنا عسى يوماً يكون لها انفراجُ
نديمي هرتي وأنيس نفسي دفاتر لي ومعشوقي السراج

قال شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى: أخبرني بعض الصالحين من أهل اليمن، أن هرة كانت تأتي الشيخ العارف الأهدل بالدال المهملة، فيطعمها من عشائه، وكان اسمها لؤلؤة، فضربها خادم الشيخ ذات ليلة فماتت، فرمى بها الخادم في خرابة، لئلا يعلم الشيخ بذلك، فلما جاء الشيخ سكت عنه ليلتين أو ثلاثاً، ثم قال: أين لؤلؤة؟ فقال: ما أدري، فقال الشيخ: ما تدري، ثم ناداها

(١) جمهرة الأمثال: ١/١٩٧.
(٢) جمهرة الأمثال: ٥/٣١٢.
(٣) مجمل اللغة: ١/٢٩.

لؤلؤة لؤلؤة، فجاءت تجري إليه، فأطعمها على العادة. والخواص تقدمت في باب السين في لفظ السنور.

تتمة: قال الصاحب بن عباد أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي العلاف البغدادي المقري الأديب قصيدة والده في الهر الذي كنى به عن ابن المعتز حين قتله المقتدر، فخشي من المقتدر ونسبها إلى الهر، وعرض به في أبيات منها.

وقيل: إنما كنى بالهر عن المحسن بن الوزير أبي الحسن علي بن الفرات[1] أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه، وقيل: كان له هر يأنس به، فكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها، فأمسكه أربابها فذبحوه، فرثاه بقصيدة. وقال[2] ابن خلكان: وهي من أحسن الشعر وأبدعه. وعددها خمسة وستون بيتاً، وطولها يمنع من الإتيان بجميعها، فنأتي بمحاسنها، وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها وأولها:

يا هرّ فارقْتَنا ولم تعد ... وكنتَ عندي بمنزلةِ الولدِ
فكيف ننفك عن هواك وقد ... كنتَ لنا عدةً من العدد
تطردُ الأذى وتحرسُنا ... بالغيبِ من حيةٍ ومن جُرد
وتخرجُ الفأر من مكامنها ... ما بين مفتوحِها إلى السَّدد
يلقاك في البيتِ منهمو مدد ... وأنتَ تلقاهمو بلا مَدد
لا عددٌ كان منك منفلتا ... منهم ولا واحدٌ من العدد
لا ترهبُ الصيفُ عند هاجرة ... ولا تهابُ الشتاء في الجمد
وكان يجري ولا سداد لهم ... أمرك في بيتنا على سدد
حتى اعتقدتَ الأذى لجيرتنا ... ولم تكن للأذى بمعتقد
وحمتَ حول الردى لظلمهم ... ومن يحم حول حوضِه يرد
وكان قلبي عليك مرتعداً ... وأنت تنسابُ غير مرتعد
تدخلُ برجَ الحمام متئداً ... وتبلغُ الفرخِ غيرَ متئدِ
وتطرح الريش في الطريق لهم ... وتبلعُ اللحم بلعَ مزدرد
أطعمك الغي لحمها فرأى ... قتلك أربابُها من الرشد
حتى إذا داوموك واجتهدوا ... وساعد النصرَ كيدُ مجتهد
كادوك دهراً فما وقعتَ وكم ... أفلتَ من كيدهم ولم تكد
فحين أخفرتَ وانهمكتَ وكا ... شفتَ وأسرفتَ غيرَ مقتصد
صادوك غيظاً عليك وانتقموا ... منك وزادوا ومن يصد يُصَد

(١) ابن الفرات: علي بن محمد بن موسى، أبو الحسن، وزير أديب عاقل من الأجواد أيام المقتدر. مات سنة ٣١٢ هـ.

(٢) وفيات الأعيان: ٢/١٠٩.

ثم شفوا بالحديدِ أنفسَهم | منك ولم يرعوا على أحد
فلم تزل للحَمامِ مرتصداً | حتى سُقيتَ الحِمامَ بالرصَد

ومنها:

لم يرحموا صوتَك الضعيفَ كما | لم تَرثْ منها لصوتها الغرد
أذاقك الموتُ ربُّهن كما | أذقتَ أفراخه يداً بيد
كأنَّ حبلاً حوى بجودته | جيدَك للخلقِ كان من مسد
كأن عيني تراك مضطرباً | فيه وفي فيك رغوةُ الزبد
وقد طلبتَ الخلاصَ منه فلم | تقدر على حيلةٍ ولم تجد
فما سمعنا بمثل موتك إذ | متّ ولا مثلَ عيشكِ النكد
فجدتَ بالنفسِ والبخيل بها | أنت ومن لم يجد بها يجد
عشت حريصاً يقوده طمعٌ | ومت ذا قاتل بلا قود
يا منِ لذيذ الفراخِ أوقعه | ويحك هلاّ قنعت بالغددِ
ألم تخف وثبة الزمانِ كما | وثبتَ في البرجِ وثبةَ الأسدِ
عاقبة الظلمِ لا تنامُ وإن | تأخرتْ مدةً من المدد
أردت أنْ تأكلَ الفراخ ولا | يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما | أعزّه في الدنو والبعدِ
لابارك الله في الطعام إذا | كان هلاكُ النفوس في المِعدِ
كم دخلتْ لقمة حشا شرهٍ | فأخرجتْ روحه من الجسد
ما كانِ أغناك عن تسوّرك الـ | ـبرج ولو كان جنةَ الخلد

ومنها:

قد كنتَ في نعمة وفي دعة | من العزيز المهيمنِ الصَّمَد
تأكلُ من فأرِ بيتنا رغداً | وأين بالشاكرين للرغدِ
وكنتَ بددتَ شملهم زمنا | فاجتمعوا بعد ذلك البدد
فلم يبقوا لنا على سَبَد | في جوفِ أبياتها ولا لَبَد[1]
وفرغوا قعرَها وما تركوا | ما علقته يدٌ على وتد
وفتّوا الخبز في السلال وكم | تفتتت للعيالِ من كبد
ومزقوا من ثيابنا جددا | فكلنا في المصائبِ الجددِ

وكان ابن العلاف ينادم المعتضد بالله، فبات ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه، فجاء خادم ليلاً فقال: إن أمير المؤمنين يقول لكم: أرقت الليلة فقلت[2]:

---

(١) يقال: «ماله سَبَد ولا لَبَد» بمعنى لا قليل ولا كثير.

(٢) وفيات الأعيان: ٢/١٠٨.

ولمـا انتبهنـا للخيـالِ الـذي سرى إذِ الـدار قَـفـرى والمـزارُ بعـيـدُ

وقد ارتج علي تمامهُ فمن أجازه بما يوافق غرضي أجزته، فارتج على الجماعة، وكانوا كلهم أفاضل، فقال[1] ابن العلاف:

فقلتُ لعيني عـاودي النـومَ واهجعي لـعـلّ خـيـالاً طـارقـاً سـيـعـودُ

فعاد الخادم إلى المعتضد، ثم رجع إلى ابن العلاف، وقال: يقول أمير المؤمنين: أحسنت، وأمر لك بجائزة سنية وكانت وفاة ابن العلاف سنة ثماني عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة.

التعبير: الهر في الرؤيا خادم حافظ، فان خطف شيئاً فهو لص الدار، وخدشه وعضه خيانة الخادم، وقال ابن سيرين: عض الهر مرض سنة، وكذلك خدشه، والهر إذا لم يكن يأمو فهو سنة فيها راحة لمن رآه، والهر الوحشي سنة فيها تعب ونصب، ومن باع هرة فإنه ينفق ماله، وقالت اليهود: الهر يعبر بالغمازين واللصوص لأن فيها المنفعة والمضرة.

وقال أرطاميدورس: الهر في المنام امرأة خداعة صخابة،وعض الهر مرض في تلك السنة. ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين أتته امرأة فقالت: رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة، فقال ابن سيرين: قد سرق لزوجك ثلثمائة درهم وستة عشر درهماً، قالت: صدقت، فمن أين لك هذا؟ قال: من هجاء حروفه في حساب الجمل فالسين ستون والنون خمسون والواو ستة والراء مائتان، فصار المبلغ ثلثمائة وستة عشر درهماً، فاتهموا عبداً كان في جوارهم، فضربوه فأقر بالمال، ومن رأى كأنه أكل لحم سنور، فإنه يتعلم السحر والله تعالى أعلم.

الهرنصانة: بالكسر دودة تسمى السرفة، وقد تقدمت، في باب السين المهملة.

هرثمة: من أسماء الأسد، حكاه ابن سيده وغيره.

الهرهير: نوع من السمك، وقال المبرد: إنه مركب من السلحفاة، ومن أسود سالح، قال: وهو من أخبث الحيات، ينام ستة أشهر ثم لا يسلم سليمه انتهى. والظاهر أنه مشترك بين الحية والسمك.

الهرزون والهرزان: الظليم، وقد تقدم في باب الظاء.

الهزار: بفتح الهاء العندليب، وقد تقدم في باب الصاد المهملة في الكلام على الصعوة قول الشاعر:

الصعـو يـرتـعُ في الريـاضِ وإنمـا حـبسُ الهـزارِ لأنـه يـترنـمُ

الهزبر: بكسر الهاء وفتح الزاي واسكان الباء الموحدة وبالراء المهملة في آخره الأسد، كذا

---

(١) وفيات الأعيان: ١٠٨/٢.

حكاه الجوهري. وقال غيره: إنه حيوان على شكل السنور الوحشي، وفي قده إلا أن لونه يخالف لونه وهو من ذوات الأنياب، ويوجد في بلاد الحبشة كثيراً، لكن يؤيد ما حكاه الجوهري ما قاله بشر بن أبي عوانة لما قتل الأسد:

أفاطمَ لو شهدتِ ببَطنِ جب ... وقد لاقى الهزبرُ أخاك بشراً
إذا لرأيتِ ليثاً رامَ ليثا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبرا
تبهنس إذ تقاعسَ عنه مهري ... فقلت له: عقرت اليومَ مُهراً
أنل قدمي بطن الأرض إني ... وجدتُ الأرضَ أثبتَ منك ظهراً
وقلتُ له وقد أبدى نصالا ... محددة ولحظا مكفهراً
يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمراً
وفي يمناي ماضي العزم أبغي ... بمضربه قراعَ الموتِ أثراً
فأنتَ تروم للأشبالِ قربا ... ومطلبي لبنت العم مهراً
فلما ظن أن النصح غشّ ... وخال مقالتي زوراً وهجراً
مشى ومشيتُ من أسدين راما ... مراما كان يطلباه وعراً
هززت له الحسام فخلت أني ... سللتُ به لدى الظلماء فجراً
وجُدتُ بضربةٍ جاءته شفعاً ... بساعدِ ماجد تركتهُ وتراً
فخرّ مجندلاً فحسبتُ أني ... هدمتُ له بناءً مشمخراً
وقلت له يعز علي أني ... قتلتُ مناسبي جلداً وقهراً
ولكنْ رمتُ شيئاً لم يرمه ... سواك فلم تطق ياليثُ صبراً
فلا تجزع فقد لاقيت حراً ... يحاذر أن يعاب فمت حراً

وأبو الهزبر الملك المؤيد صاحب اليمن داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر، كانت دولته بضعاً وعشرين سنة، وكان عالماً فاضلاً شجاعاً، وكان عنده من الكتب نحو مائة ألف مجلد، وكان يحفظ التنبيه وغيره وأبوه الملك المظفر، وولده الملك المجاهد كانا في العلم أرفع منه درجة، وأذكى قريحة، وأشهر فضلاً، تغمدهم الله برحمته.

الهرعة: القملة، قيل: مكتوب على عرش بلقيس:

ستأتي سنون هي المعضلاتُ ... يُراعُ من الهرعة الأجدل
وفيها يهينُ الصغيرُ الكبيرَ ... وذو العلم يسكتهُ الأجهلُ

الهف: جنس من السمك صغار، وهو الحساس المتقدم ذكره في باب الحاء المهملة.

الهقل: بكسر الهاء الفتى من النعام، وبه لقب محمد بن زياد الهقل الدمشقي، كاتب الأوزاعي، وكان يسكن بيروت، فغلب عليه هذا اللقب. قال ابن معين: ما كان بالشأم أوثق منه، وكان أعلم الناس بمحاسن الأوزاعي وفتياه، توفي سنة تسع وسبعين. وروى له الجماعة

سوى البخاري وفي المثل قالوا: «أشم من هقل»[1].

الهقلس: كعملس الذئي، وقد تقدم الكلام على الذئب في باب الذال المعجمة مستوفى قال الكميت:

ونسمعُ أصواتَ الفراعلِ حولَه   يعاوين أولادَ الذئابِ الهقالسا

يعني حول الماء الذي ورده.

الهمج: جمع همجة وهو ذباب صغار كالبعوض، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، اشتقوا من اسمه ما يؤكد به. فقالوا: همج هامج كقولهم: ليل لائل، وصيف صائف، ووتد واتد، ويوم أيوم، وجاهلية جهلاء، ويقال للرعاع من الناس الحمقى إنما هم الهمج.

قال علي رضي الله تعالى عنه: سبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة. وقال لكميل بن زياد: يا كميل القلوب أوعية، وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق.

والرباني الراسخ في العالم بعلمه. وقال صاحب قوت القلوب، في تفسير قول علي كرم الله وجهه: هذا الهمج الفراش الذي يتهافت في النار، لجهله واحدته همجة، والرعاع الخفيف الطياش الذي لا عقل له، يستفزه الطمع، ويستخفه الغضب، ويزدهيه العجب، ويستطيله الكبر. قال: ثم بكى علي وقال: هكذا يموت العلم بموت حامله انتهى كلامه.

الهمع: بفتح الهاء والميم: الصغير من الظباء خاصة.

الهَمَل: بالتحريك الإبل بلا راع، مثل النفش إلا أن النفش لا يكون إلا ليلاً، والهمل يكون ليلاً ونهاراً. ويقال: إبل همل وهاملة وهمال وهوامل، وتركتها هملاً أي سدى، إذا أرسلتها ترعى ليلاً ونهاراً بلا راع. وفي المثل: «اختلط المرعي بالهمل»[2]. والمرعى الذي له راع. قاله الجوهري. وما أحسن ما صنع الطغرائي في ختمه لاميته بقوله:

ترجو البقاءَ بدارٍ لاثباتَ لها   فهلَ سمعتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ
قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مَع الهمل

أشار به إلى قوله تعالى[3]: ﴿أيحسبُ الإنسانُ أنْ يُترَك سدى﴾ أي معطلاً لا يؤمر ولا ينهى. يقال: أسديت حاجتي أي ضيعتها وابل سدى، أي ترعى حيث شاءت بلا راع كذا فسره الثعلبي وغيره.

الهملع: بالتحريك مع تشديد اللام الذئب قال الشاعر.

والشاء لا تمشي مع الهملع

---

(1) جمهرة الأمثال: ١/٤٥٨. (2) جمهرة الأمثال: ١/٩٣. (3) سورة القيامة: آية ٣٦.

أي لا تنمو مع رؤية الذئب، والمشاء هو نماء المال وزيادته. يقال: مشى الرجل وأمشى، إذا نما ماله وكثرت ماشيته، وقيل في قوله تعالى: ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾[1] إنه من المشاء، لا من المشي. قاله السهيلي، قبل خروج النبي ﷺ إلى الطائف، وأفاد بعده بسطرين أن النبي ﷺ قال لخديجة رضي الله تعالى عنه: «إن الله أعلمني أن سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون». فقالت: بالرفاء والبنين. وذكر أيضاً في الحديث، أن النبي ﷺ أطعم خديجة رضي الله تعالى عنها، من عنب الجنة.

الهمهم: الأسد قاله ابن سيده، وقد تقدم ما في الأسد.

الهنبر: مثل الخنصر، ولد الضبع. قال أبو زيد من أسماء الضبع أم هِنبر في لغة فزارة، قال الشاعر القتال الكلابي:

يا قاتل الله صبياناً تجيء بهم ... أمُّ الهنيبرِ من زندٍلها واري

وقال أبو عمرو: الهنبر الجحش، ومنه قيل للأتان: أم الهنبر.

وقالوا في المثل: «أحمق من أم الهنبر»[2].

الهودع: بفتح الهاء والدال المهملة وبالعين المهملة في آخره: النعامة وقد تقدم ما فيها.

الهوذة: بفتح الهاء وسكون الواو وبعدها ذال معجمة ضرب من الطير، وقال قطرب: هي القطاة، والجمع هوذ وبذلك سمي هوذة بن علي الحنفي، الذي أرسل إليه النبي ﷺ سليط بن عمرو العامري فأكرمه وأنزله وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا خطيب قومي وشاعرهم، فاجعل لي بعض الأمر، فأبى النبي ﷺ. ولما قدم سليط على هوذة ومعه كتاب النبي ﷺ، وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي. سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك.

فلما قرأ الكتاب، أنزله وحياه، ورده رداً دون رد، وأجاز سليط بن عمرو بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر. وكتب إلى النبي ﷺ ما تقدم. فلما انصرف النبي ﷺ من فتح مكة، جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات على نصرانيته، والله تعالى أعلم.

الهوزن: بفتح الهاء وإسكان الواو وفتح الزاي. طائر، قاله ابن سيده، وبإبدال الواو ياء رجل من أعراب فارس، وهو القائل فيما حكى الله عنه ﴿قالوا: ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾[3] في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ورميه في النار. وهو الذي جاء فيه الحديث الذي انفرد به مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ[4] قال:

---

(1) سورة ص: آية ٦.

(2) جمهرة الأمثال: ٣١٦/١.

(3) سورة الصافات: آية ٩٧.

(4) رواه البخاري: أنبياء ٥٤. ومسلم: لباس ٤٩.

«بينا رجل يمشي قد أعجبته جمته وبرداه، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة».

الهلابع: بضم الهاء الذئب، من قولهم: رجل هلابع أي حريص على الأكل.

الهلال: بكسر الهاء الحية مطلقاً، وقيل: الذكر من الحيات، والهلال أيضاً الجمل الذي جرب حتى أداه ذلك إلى الهزال، والهلال الهلال المعروف.

الهيثم: بفتح الهاء فرخ الحبارى، ومنه سمي الرجل هيثماً، وقال الجوهري: إنه فرخ العقاب، وقيل: فرخ النسر أيضاً، قاله في كفاية المتحفظ.

الهيجمانة: الذر، وقد تقدم لفظ الذر في باب الذال المعجمة.

الهيطل: الثعلب، وقد تقدم لفظ الثعلب في باب الثاء المثلثة.

الهيعرة: الغول والمرأة الفاجرة والخفة والطيش.

الهيق: بفتح الهاء وسكون الياء المثناة تحت قبل القاف: ذكر النعام وكذلك الهيقم، والميم زائدة قال الراجز:

أشمّ من هيق وأهدى من جمل

وقال آخر:

وهو يشمّ كاشتمامِ الهيق

الهيكل: بفتح الهاء الفرس الطويل الضخم.

أبو هارون: طير في حنجرته أصوات شجية تفوق النوائح، وتروق فوق كل مغن، لا يسكت بالليل البتة، يصيح إلى وقت الصباح، ويجتمع عليه الطير لالتذاذها بسماع صوته، وربما يمر به العاشق فلا يستطيع المرور بل يقعد ويبكي على صوته الشجي، والله أعلم.

باب الواو

الوازع: الكلب لأنه يزع الذئب عن الغنم، أي يطرده. وقد تقدم ما فيه في باب الكاف.

الواق واق: تقدم في بابا السين مهملة، في الكلام على السعلاة عن الجاحظ، أنه نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان، والله تعالى أعلم.

الواقي: كالقاضي: الصرد ويقال له: الواق بكسر القاف، سمي بذلك لحكاية صوته، وأنشد[1] ابن قتيبة لبعض الشعراء، وهو المرقش السدوسي:

ولقد عدوتُ وكنتَ لا أعدو على واقٍ وحاتمِ

(١) الأبيات في عيون الأخبار: ١/٢٣٢. والمرقِّش الأكبر هو عوف بن سعد بن مالك. شاعر جاهلي عاشق.

فإذا الأشائمُ كالأيا مِنِ والأيامنُ كالأشائم
وكذاكَ لا خيرَ ولا شرّ على أحدٍ بدائم
لا يمنعنْك من بغا ءِ الخير تعقادُ التمائمِ
قد خطّ ذلك في السطو رِ الأوَليات القدائم

الواقي الصرد، والحاتم الغراب، وقال خيثم بن عدي[1]:

وليس بهياب إذا شدّ رحله يقولُ عداني اليومَ واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدّماً إذا صد عن تلك الهناةِ الخثارم

يعني بالخثارم العاجز الضعيف الرأي المتطير، والواق أيضاً طير من طير الماء أبيض ينطق بهذه الحروف.

وفي حله الخلاف في طير الماء الأبيض، وقد تقدم أن الأصح حلها، إلا اللقلق كما قاله الرافعي.

الوبر: بفتح الواو وتسكين الباء الموحدة دويبة أصغر من السنور طحلاء اللون لا ذنب لها تقيم في البيوت، وجمعها وبورووباروو بارة، والأنثى وبرة، وقول الجوهري: لا ذنب لها أي لا ذنب طويل، وإلا فالوبر له ذنب قصير جداً والناس يسمون الوبر بغنم بني اسرائيل، ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره، يشبه ألية الخروف، وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه.

فائدة: روى[2] البخاري، في كتاب الجهاد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها، فقلت: يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض بني سعيد بن العاص: لا تسهم له يا رسول الله فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: هذا قاتل ابن قوقل. فقال ابن سعيد بن العاص: واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضان، ينعي علي قتل رجل مسلم، أكرمه الله على يدي، ولم يهنّي على يديه. قال: فلا أدري أسهم له أم لم يسهم له. وابن سعيد المذكور هو أبان، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قال بعض شراح البخاري: الوبر دويبة يقال إنها تشبه السنور، وأحسب أنها تؤكل. وضان اسم جبل ويروى ضال باللام. قوله: ينعى معناه يعيب، يقال: نعيت على فلان فعله إذا عبته عليه، وخرجه البخاري أيضاً في غزوة خيبر، فقال: إن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ، فسلم عليه فقال أبو هريرة: يا رسول الله هذا قاتل ابن قوقل، فقال أبان لأبي هريرة: واعجبا لك وبر تردى من قدوم ضان ينعي عليّ امرءاً أكرمه الله تعالى بيدي ومنعه أن يهينني بيده.

قال بعض الشارحين: قدوم جبل لدوس، وهي قبيلة أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

---

(١) البيتان في عيون الأخبار: ١/٢٣٣.
(٢) رواه البخاري: الجهاد ٢٨، المغازي ٣٨.

قال البكري، في معجمه: هكذا رواه الناس عن البخاري قدوم ضان بالنون إلا الهمداني فإنه رواه من قدوم ضال بالكلام، وهو الصواب إن شاء الله تعالى، والضال السدر البري. وأما إضافة هذه النسبة إلى الضان فلا أعلم لها معنى، وكذلك قال شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين بن دقيق العيدَ في شرح الإلمام.

وقال ابن الأثير، في النهاية: والوبر دويبة على قدر السنور وجمعها وبر و بار، وإنما شبهه بالوبر تحقيراً له. ورواه بعضهم بفتح الباء من وبر الإبل تحقيراً له أيضاً. والصحيح الأول. وابن قوقل بقافين مفتوحين، اسمه النعمان رجل مسلم قتله أبان بن سعيد في حال كفره وكان اسلام أبان بين الحديبية وخيبر، وهو الذي أجار عثمان رضي الله تعالى عنه يوم الحديبية حين بعثه النبي ﷺ إلى مكة.

وحكمه: حل الأكل لأنه يفدى في الإحرام والحرم، وهو كالأرنب يعتلف النبات والبقول. وقال الماوردي والروياني: إنه حيوان في عظم الجرذ إلا أنه أنبل منه وأكبر، والعرب تأكله. وقيل: هو دويبة سوداء على قدر الأرنب وأكبر من ابن عرس، وعبارة الرافعي قريبة من ذلك. وقال مالك: لا بأس بأكله، وبه قال عطاء ومجاهد وطاووس وعمرو بن دينار وابن المنذر وأبو يوسف. وكرهه الحكم وابن سيرين وحماد وأبو حنيفة والقاضي من الحنابلة، وقال ابن عبد البر: لا أحفظ في الوبر شيئاً عن أبي حنيفة وهو عندي مثل الأرنب لا بأس بأكله، لأنه يقتات البقول والنبات والله أعلم.

الوج: كوج الطائف، القطا والنعام وقد تقدم ما فيهما في بابيهما القاف والنون.

الوحرة: بفتح الواو والحاء والراء دويبة حمراء تلزق بالأرض كالعظاء، والجمع وحر، قاله الجوهري.

وقال غيره: هي بفتح الحاء وسكونها وهي وزغة شبيهة بسام أبرص تلصق بالأرض، أو ضرب من العظاء لا تطأ طعاماً ولا شراباً إلا سمته، وهي على شكل سام أبرص. روى[١] الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». ثم قال: غريب من هذا الوجه، وقوله: «لا تحقرن جارة لجارتها» إلى آخره رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً بزيادة «يا نساء المسلمات» ووحر الصدر غشه ووساوسه. وقيل: الحقد والغيظ، وقيل: العداوة، وقيل: أشد الغضب، وقيل: الغل اللاصق به كما تلصق الوحرة بالأرض. وكذلك رواه[٢] البخاري، في كتاب الأدب، والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال: «تهادوا تحابوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل الصدور». وفي حديث[٣]

(١) رواه الترمذي: ولاء ٦. والبخاري: هبة ١، أدب ٣٠. مسلم: زكاة ٩١.

(٢) رواه البخاري: أدب ٣٠.

(٣) رواه البخاري: تفسير ٢٤ ـ ١، طلاق ٣٠، حدود ٤٣.

الملاعنة «إن جاءت به أحمر قصيراً مثل الوحرة فقد كذب عليها». وفي الحديث[1]: «من أحب أن يذهب كثيراً من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر».

الوحش: كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس، والجمع وحوش، يقال: حمار وحش وثور وحش، وكل شيء لا يستأنس من الناس فهو وحش. وقد تقدم في أول الباب الذي قبله، الحديث الذي رواه[2] مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل مائة رحمة، قسم منها رحمة بين جميع الخلائق، فبها يتراحمون، وبها يتعاطفون، وبها تعطف الوحش على أولادها، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»؛ وإنما خص النبي ﷺ الوحش بالذكر، لنفورها وعدم استئناسها. وروي أن النبي ﷺ قال: «يقول الله سبحانه وتعالى: ابن آدم وعزتي وجلالي لئن رضيت بما قسمت لك أرحتك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش ثم لا يكون لك إلا ما قسمت لك وأنت مذموم». وروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله».

وفي الإحياء: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام: يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. وقال أبو القاسم الأصبهاني، في الترغيب والترهيب: قال قيس بن عبادة: بلغني أن الوحش كانت تصوم عاشوراء، وقال الفتح بن سخرب، وكان من الزهاد: كنت أفتت للنمل خبزاً في كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله.

تتمة مشتملة على فوائد حسنة: قال شيخ الإسلام محي الدين النووي، في الأذكار، في باب أذكار المسافر، عند إرادة الخروج من بيته: يستحب له عند ارداته الخروج من بيته أن يصلي ركعتين، لحديث المقطم بن المقدام الصحابي أن رسول الله ﷺ قال: «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر». رواه الطبراني. قال بعض أصحابنا: يستحب أن يقرأ في الأولى منهما بعد الفاتحة قل أعوذ برب الفلق، وفي الثانية قل أعوذ برب الناس، وإذا سلم قرأ آية الكرسي، فقد جاء أن من قرأ آية الكرسي، قبل خروجه من منزله، لم يصبه شيء يكرهه حتى يرجع ويستحب أن يقرأ سورة لايلاف قريش فقد قال السيد الجليل، أبو الحسن القزويني، الفقيه الشافعي صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة، والمعارف المتظاهرة: إنه أمان من كل سوء. وقال أبو طاهر بن جحشويه: أردت سفراً، وكنت خائفاً منه فدخلت على القزويني، أسأله الدعاء، فقال لي ابتداء من قبل نفسه: من أراد سفراً ففزع من عدو أو وحش، فليقرأ لإيلاف قريش، فإنها أمان من كل سوء. فقرأتها فلم يعرض لي عارض حتى الآن انتهى. قوله المقطم الصحابي وهم، لا يعرف في الصحابة من اسمه المقطم.

والحديث المذكور مرسل، فإن راويه إنما هو المقطم بن المقدام الصنعاني رواه الطبراني في كتاب المناسك، وقد وقع هذا الاسم في الأذكار مصحفاً كما ترى صحف الصنعاني فجعله

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٧٨.
(٢) رواه مسلم: توبة ١٩. ابن ماجه: زهد ٣٥.

-الصحابي وربما ظن أن ذلك تصحيف من النساخ، حتى وجد كذلك بخط الشيخ محي الدين النووي. هكذا أفادنا هذه الفائدة شيخنا الحافظ العلامة زين الدين بن عبد الرحيم العراقي رحمه الله وأحسن إليه قال: والصنعاني المذكور نسبة إلى صنعاء الشام لا إلى صنعاء اليمن.

تتمة أخرى: قوله[1] تعالى: ﴿وإذا الوحوشُ حُشرتْ﴾ أي جمعت وقوله[2] تعالى: ﴿ما من دابة في الأرضِ ولا طائرٍ يطيرُ بجناحيه إلا أمم أمثالُكم ما فرّطنا في الكتاب مِنْ شيءٍ ثم إلى ربهم يحشرون﴾ اختلف العلماء في حشر البهائم والوحش والطيرُ؛ فقال عكرمة: حشرها موتها. وقال أبي بن كعب: حشرت أي اختلطت. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حشر كل شيء الموت، غير الجن والإنس فإنهما يوفيان يوم القيامة. وقال الجمهور: الجميع تحشر وتبعث حتى الذباب ويقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقول الله تعالى: كوني تراباً فعند ذلك يتمنى الكافر أن يكون تراباً فذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافر: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾[3] قاله أبو هريرة وعمرو بن العاص وعبدالله بن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم في إحدى الروايات والحسن البصري ومقاتل وغيرهم.

ورأيت في بعض التفاسير أن المراد بالكافر هنا إبليس لعنه الله وذلك أنه عاب آدم عليه السلام كونه خلق من تراب، وافتخر عليه كونه خلق من نار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب، تمنى أن يكون تراباً كالبهائم والوحش والطير.

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: فيقول التراب للكافر: لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي، ثم يجول ذلك التراب في وجوه الكفار فذلك قوله[4] تعالى: ﴿ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرة ترهقها قَتَرة﴾ أي ظلمة وكآبة وكسوف وسواد، فإن قيل: ما الفرق بين الغبرة والقترة؟ قيل: إن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض قاله ابن زيد.

روى الجماعة[5]: من حديث رافع بن خديج، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فند منّا بعير، فرماه رجل بسهم، فقال ﷺ: «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا».

تتمة أخرى: قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: مما حفظت من دعاء والدتي أم محمد آمنة، ووفاتها في صفر سنة ست وخمسين وستمائة، وهو ينفع للوقاية من الأعداء، وممن يخاف شره: اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائي احتجبت، وبسطوة الجبروت ممن يكيدني استترت، وبطول حول شديد قوتك من كل سلطان تحصنت، وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت، وبمكنون السر من سرسرك من كل هم وغم تخلصت، يا حامل العرش عن

---

(١) سورة التكوير: آية ٥.
(٢) سورة الأنعام: آية ٣٨.
(٣) سورة النبأ: آية ٤٠.
(٤) سورة عبس: آية ٤٠.
(٥) رواه البخاري: جهاد ١٩١، شركة ٣ ـ ١٦، ذبائح ١٥ ـ ١٨. ومسلم أضاحي ٢٠.

حملة العرش، يا شديد البطش يا حابس الوحش، احبس عني من ظلمني. واغلب من غلبني، ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾[1] اهـ.

وقد فكرت في معنى قولها يا حابس الوحش، فظهر لي فيه أنها أرادت قوله[2] ﷺ، في قصة الحديبية، «حبسها الفيل»، والقصة في ذلك مشهورة، وقد تقدمت.

وقال الشيخ قطب الدين أيضاً: ومما حفظته من دعاء والدتي، وهو من الأدعية التي تنفع في الحجب من الأعداء: اللهم إني أسألك بسر الذات بذات السر، هو أنت أنت هو لا إله إلا أنت احتجبت بنور الله، وبنور عرش الله، وبكل اسم من أسماء الله، من عدوي وعدو الله، ومن شر كل خلق الله، بمائة ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله، ختمت على نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي، وجميع ما أعطاني ربي، بخاتم الله القدوس المنيع، الذي ختم به أقطار السموات والأرض، حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ومما جرب في الحجب عن الأعداء أيضاً ويمنع من شر كل سلطان وشيطان، وسبع وهامة، أن يقول: سبع مرات عند طلوع الشمس: أشرق نور الله وظهر كلام الله وأثبت أمر الله ونفذ حكم الله استعنت بالله وتوكلت على الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، تحصنت بخفي لطف الله، وبلطيف صنع الله، وبجميل ستر الله، وبعظيم ذكر الله، وبقوة سلطان الله، دخلت في كنف الله، واستجرت برسول الله ﷺ، برئت من حولي وقوتي، واستعنت بحول الله وقته، اللهم استرني في نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي، بسترك الذي سترت به ذاتك، فلا عين تراك، ولا يد تصل إليك، يارب العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قوي يا متين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين، والحمد رب العالمين.

الودع: واحدته ودعة وهو حيوان في جوف البحر، إذا قذف إلى البرمات، وله بريق ولون حسن، وتصلب كصلابة الحجر، فيثقب ويؤخذ منه القلائد، يتحلى بها النساء والصبيان. وفي داله الفتح والسكون قال الشاعر:

إن الرواةَ بلا فهم لما حفظوا ... مثلَ الجمالِ عليها يحملُ الودعُ
لا الودعُ ينفعه حملُ الجمال لِه ... ولا الجمالُ بحملِ الودعِ تنتفعُ

واسمها مشتق من ودعته أي تركته، لأن البحر ينضب عنها ويدعها، فهي وَدَع بالتحريكُ وإذا قلت الودع بالتسكين، فهو من باب ما سمي بالمصدر.

الوراء: ولد البقرة وقد تقدم ما في البقرة في باب الباء الموحدة.

الورد: الأسد قيل له ذلك تشبيهاً بلون الورد الذي يشم، ولذلك قيل للفرس ورد، وهو

(١) سورة المجادلة: آية ٢١.
(٢) رواه البخاري: شروط ١٥. وأبو داود جهاد ١٥٦.

بين الكميت الأشقر. والأنثى وردة والجمع ورد بالضم مثل جون وجون.

ومن الأحاديث الموضوعة، ما ذكره ابن عدي وغيره، في ترجمة الحسن بن علي بن زكريا بن صالح العدوي البصري، الملقب بالذئب، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال(١): «ليلة أسري بي إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقي فنبت منه الورد، فمن أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد».

الورداني: بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام، وله غرابة لون وظرافة قد قاله الجاحظ.

الورشان: بالشين المعجمة هو ساق حر المتقدم في باب السين المهملة، وهو ذكر القماري، والجمع وراشين ويجمع أيضاً على ورشان بكسر الراء ككروان جمع للطائر، وقيل: إنه طائر يتولد بين الفاختة والحمامة وبعضهم يسميه الورشين وفي ذلك يقول ابن عُنين(٢) ملغزا:

يا علماء القريض إني ... أعجزني في القريض كشفُ
فخبروني عن اسم طير ... النصفُ ظرفٌ والنصف حرفُ

وكنيته أبو الأخضر وأبو عمران وأبو النائحة. وهو أصناف منها: النوبي وهو أسود حجازي، إلا أنه أشجى صوتاً منه، ومزاجه بارد رطب بالنسبة إلى مزاج الحجازيات، وصوته بين أصواتها كصوت العود بين الملاهي، والورشان يوصف بالحنو على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص. قال عطاء: إنه يقول: لدوا للموت، وابنوا للخراب. وهذه لام العاقبة مجازاً قال الشاعر:

له ملك ينادي كلَّ يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

حكى القشيري، في رسالته، في باب كرامات الأولياء، أن عتبة الغلام كان يقعد فيقول: يا ورشان إن كنت أطوع لله مني فتعال فاقعد على كفي فيجيء الورشان فيقعد على كفه.

وحكمه: حل الأكل لأنه من الطيبات.

تتمة: كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرىء المصري المعروف بورش، قصيراً سميناً أشقر أزرق العينين، شديد البياض، حسن الصوت بالقراءة، ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان، فكان يقول له: اقرأ يا ورشان افعل يا ورشان وكان لا يكرهه ويعجبه، ويقول: استاذي نافع سماني به فغلب عليه، ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش. قال ورش: خرجت من مصر لأقرأ على نافع فلما دخلت المدينة، فإذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة، وكان لا يقرىء أحداً إلا ثلاثين آية.

قال: فتوسلت إليه ببعض أصحابه، فجئت إليه معه، فقال: هذا رجل جاء من مصر ليقرأ

---

(١) الكامل لابن عدي: ٢/٧٥٤.

(٢) ابن عُنين: محمد بن نصر الله. توفي سنة ٦٣٠ هـ.

عليك خاصة، لم يجيء تاجراً ولا حاجاً، فقال له نافع: أنت ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار، فقال: أريد أن تحتال له في وقت، فقال لي نافع: يا أخي يمكنك أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم. فبت فيه. فلما كان الفجر جاء نافع فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: نعم ها أنا ذا يرحمك الله. فقال: اقرأ فقرأت، وكنت حسن الصوت بالقراءة، فاستفتحت أقرأ فملأ صوتي مسجد رسول الله ﷺ فلما انتهيت إلى رأس الثلاثين آية، أشار إليّ أن أسكت، فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة فقال: يا معلم الخير نحن معك بالمدينة، وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك، وقد وهبته من نوبتي عشر آيات، وأنا أقتصر على عشرين. فقال: اقرأ، فقرأتها. ثم قام فتى أخر فقال كقول صاحبه، فقرأت عشر آيات وقعدت حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة، قال لي: اقرأ فقرأت خمسين آية حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة.

وتوفي ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة ومولده سنة عشرين ومائة.

الأمثال: قالوا: «بعلة الورشان يأكل رطب المشان» بالإضافة، «ولا تقبل الرطب المشان» وهو نوع من التمر، والمشان ضرب من الرطب، والسبب في ذلك أن قوماً استحفظوا عبداً لهم رطب نخلهم، فكان يأكله، فإذا عوتب على سوء الأثر فيه يقول: أكله الورشان، فقيل ذلك يضرب لمن يظهر شيئاً، والمراد منه شيء آخر.

الخواص: دمه يقطر في العين التي أصابتها طرفة أو ضربة فيحلل دمها المجتمع، وكذلك يفعل دم الحمام أيضاً وقال هرمس: من داوم على أكل بيضه زاد جماعه وأورثه العشق.

التعبير: الورشان رجل غريب مهين، ويدل على أخبار ورسل، لأنه أخبر نوحاً عليه الصلاة والسلام بنقص الماء، لما كان في السفينة. وقيل: الورشان امرأة صدوق والله أعلم.

الورقاء: الحمامة التي يضرب لونها إلى خضرة، والورقة سواد في غبرة، ومنه قيل للرماد: أورق وللذئبة ورقاء والجمع ورق كأحمر وحمر.

وفي الصحيحين(١) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال له النبي ﷺ: «هل لك من إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها»؟قال: حمر. قال: «فهل فيها من أورق؟» قال: إن فيها الورقاء قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «هو ذاك».

قال السهيلي، في قصة سواد بن قارب: ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها ورقاء، أمر بوأدها، وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة، فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك. فلما حفر لها الحافر، واراد دفنها سمع هاتفاً يقول: لا تدفن الصبية وخلها في البرية، فالتفت فلم ير شيئاً فعاد لدفنها، فسمع الهاتف فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع، فقال: إن لها لشأناً وتركها. فكانت كاهنة قريش. فقالت يوماً: يا بني زهرة إن

---

(١) رواه البخاري: طلاق ٢٦، حدود ٤١. ومسلم: لعان ١٨. وأبو داود: طلاق ٢٨.

فيكم نذيرة تلد نذيراً، فاعرضوا عليّ بناتكم. فعرضوا عليها، فقالت في كل واحدة منهن قولاً ظهر عليها بعد حين، حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب، فقالت: هذه النذيرة وستلد نذيراً. وهو خبر طويل ذكر الزبير بن بكار منه يسيراً. وقال الغزالي، في الإحياء: روي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرت بينهم مسألة في العلم، وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم:

رُبَّ ورقاءِ هتوفٍ في الضحى ... ذاتِ شجوٍ هتفَتْ في فنن
ذكرتْ إلفاً وخِدناً صالحاً ... فبكتْ حزناً فهاجتْ حزني
فبكاي ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضاً بالجوى تعرفني

قال: فما بقي أحد من القوم، إلا قام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم، الذي خاضوا فيه وإن كان العلم حقاً، وقد شبه بها الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسين بن سينا النفس حيث قال:

هبطتْ إليك من المحلّ الأرفعِ ... ورقاءُ ذاتُ تعززٍ وتمنع
محجوبة عن كل مقلةِ عارفٍ ... وهي التي سفَرت ولم تتبرقعِ
وصلتْ على كرهٍ إليك وربما ... كرهتْ فراقَك وهي ذاتُ تفجعِ
أنفتْ وما ألفت فلما واصلتْ ... ألفتْ مجاورةَ الخرابِ البلقعِ
وأظنها نسيتْ عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقِها لم تقنع
حتى إذا اتصلتْ بهاءِ هبوطها ... من ميم مركزِها بذاتِ الأجرع
علقت بها ثاء الثقيلِ فأصبحتْ ... بين المعالمِ والطلولِ الخضع
تبكي وقد نسيتْ عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمي ولما تقلع
حتى إذا قرب المسيرُ إلى الحمى ... ودنا الرحيلُ إلى الفضاءِ الأوسع
وغدتْ تغردُ فوقَ ذروةِ شاهقٍ ... والعلمُ يرفعُ كلَّ من لم يُرفع
وتعودُ عالمةً بكلِّ خفيةٍ ... في العالمين فخرقها لم يُرقع
فهبوطُها إذا كان ضربة لازبٍ ... لتكونَ سامعةً لما لم تسمع
فلأي شيء أهبطتْ من شاهقٍ ... سامٍ إلى قعرِ الحضيضِ الأوضع
إنْ كانْ أهبطَها الإله لحكمةٍ ... طويتْ عن الفطِن اللبيب الأروعِ
أو عاقَها الشرك الكثيفُ وصدّها ... قفصٌ عن الأوجِ الفسيحِ الأرفعِ
فكأنها برقٌ تألّقَ بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمعِ

وكان الرئيس أبو علي نادرة عصره وعلامة دهره وهو أحد فلاسفة المسلمين وله وصايا في الطب، كثيرة، نظماً ونثراً فمن المنسوب إليه من ذلك:

اسمع بني وصيتي واعمل بها فالطبُّ معقودٌ بنص كلامي
لا تشربَن عقيبَ أكلٍ عاجلاً فتقودَ نفسَك للأذى بزمام
واجعل غذاءك كل يومٍ مرة واحذر طعاماً قبلَ هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه ماءُ الحياةِ يراق في الأرحامِ

وينسب إليه أيضاً:

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها وسرحتُ طرفاً بين تلك المعالمِ
فلم أر إلا واضعاً كفّ حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ

قال الشيخ كمال الدين بن يوسف: إن مخدومه سخط عليه، فاعتقله ومات في السجن سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

الورل: بفتح الواو والراء المهملة وباللام في آخره، دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه، والجمع أورال وورلان والأنثى ورلة. كذا قاله ابن سيده.

وقال القزويني: إنه العظيم من الوزغ، وسام أبرص طويل الذنب سريع السير، خفيف الحركة. وقال عبد اللطيف البغدادي: الورل والضب والحرباء، وشحمة الأرض والوزغ، كلها متناسبة في الخلق، فأما الورل وهو الحرذون فليس في الحيوان أكثر سفاداً منه، وبينه وبين الضب عداوة، فيغلب الورل الضب ويقتله، لكنه لا يأكله كما يفعل بالحية، وهو لا يتخذ بيتاً لنفسه ولا يحفر له جحراً بل يخرج الضب من جحره صاغراً، ويستولي عليه، وإن كان أقوى براثن منه، لكن الظلم يمنعه من الحفر، ولهذا يضرب بالورل المثل في الظلم، ويكفي في ظلمه أنه يغصب الحية جحرها ويبلعها، وربما قتل فوجد في جوفه الحية العظيمة، وهو لا يبتعلها حتى يشدخ رأسها ويقال إنه يقاتل الضب.

والجاحظ يقول: إن الحرذون غير الورل، ووصفه بأنه دابة تكون غالباً بناحية مصر، مليحة موشاة بألوان كثيرة، ولها كف ككف الإنسان مقسومة أصابعها إلى الأنامل، وهو يقوى على الحيات ويأكلها أكلاً ذريعاً، ويخرجها من جحرها ويسكن فيه وهو أظلم ظالم.

فائدة: قال أهل اللغة: لا تلتقي الراء مع اللام إلا في أربع كلمات: الورل، وهو هذا الحيوان المذكور، وأرل اسم جبل، وغرلة وهي القلفة، وجرل وهو ضرب من الحجارة.

الحكم: مقتضى ما تقدم من أكله الحيات أنه يحرم، وهذا هو الظاهر من قول الأقدمين، ورجح الرافعي أنه يرجع فيه إلى استطابة العرب وعدمها، لقوله[1] تعالى: ﴿**يسألونَكَ ماذا أحلّ لهم قلْ أحلّ لكم الطيبات**﴾، وليس المراد الحلال وإن كان قد ورد الطيب بمعنى الحلال، فإن الحمل عليه يخرج الآية عن الافادة، والعرب أولى باعتبار ذلك لأن الدين عربي والنبي ﷺ عربي، وإنما يرجع في ذلك إلى سكان البلاد والقرى، دون أجلاف البوادي، الذين يأكلون مادب ودرج

---

(١) سورة المائدة: آية ٤.

من غير تمييز، مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين. وأصحاب الضرورات، وحالتي الخصب والرفاهية دون حالتي الجدب والشدة.

وقال بعضهم: المعتبر هنا العرب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، لأن الخطاب كان لهم. وقال ابن عبد البر، في التمهيد: ذكر عبد الرزاق قال: أخبرني رجل من ولد سعيد بن المسيب قال: أخبرني يحيى بن سعيد قال: كنت عند سعيد بن المسيب، فجاءه رجل من غطفان، فسأله عن الورل فقال: لا بأس به، وإن كان معكم منه شيء فاطعمونا منه. قال عبد الرزاق: والورل يشبه الضب اهـ.

وقد ذكر في كتاب رفع التمويه فيما يرد على التنبيه، ما حاصله أنه فرخ التمساح، وقال: لأن التمساح يبيض في البر فإذا خرجت فراخه نزل بعضها في البحر، وبقي بعضها في البر فما نزل إلى البحر صار تمساحاً، وما بقي في البر صار ورلاً. قال: فعلى هذا يكون في حله الوجهان كما في التمساح اهـ.

وهذا الذي قاله لا أعتقد صحته، وذلك لأن الورل ليس على صفات التمساح، لأن جلده يخالف جلده في النعومة وأيضاً فإنه لو كان من التمساح لأخذ في الكبر حتى يصير في حجمه، والورل في المقدار لا يزيد على ذراع ونصف أو ذراعين، والتمساح يبلغ عشرة أذرع وأكثر.

تنبيه مهم: إعلم أنه تقدم في هذا الكتاب حيوانات لم تتعرض الأصحاب لها بالحل ولا بالحرمة، وذلك نحو البلنصى والدبل والقرعبلان والقرز والقنفشة والورل وغير ذلك، إلا أنهم أعطوا قواعد كلية عامة وقواعد خاصة، وذلك لما أيسوا من الطمع في حصر أنواع الحيوانات. فمن قواعدهم الخاصة: تحريم كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير، وكل ما يقتات من النجاسات والخبائث، وكل ما نهي عن قتله أو أمر بقتله، أو تولد بين مأكول وغيره، وكل نهاش والحشرات بأسرها، إلا الضب واليربوع والقنفذ وابن عرس والدلدل.

ومن قواعدهم الخاصة أيضاً تحليل كل ذات طوق ولقاط وطيور الماء كلها، إلا اللقلق كما تقدم. ومن هذه القواعد يؤخذ تحريم الورل لأنه من الحشرات، ولم يستثنوه. وكذا غيره من الحشرات كالخلد والربارب وفأرة البيش والإيل ومما يدل على منع أكل الورل قول الجاحظ وغيره: إن الورل يقوي على الحيات ويأكلها أكلاً ذريعاً ويخرجها من جحرها ويسكن فيه قال: وبراثن الورل أقوى من براثن الضب إلا أن الورل يخرج الحية من جحرها، ولا يحفر خوفاً منه على براثنه.

ثم المعنى بقولهم ما أمر بقتله لمعنى فيه كالفواسق الخمس أما ما أمر بقتله لمعنى في غيره فلا يحرم، ومن ذلك الدابة المأكولة إذا وطئت فإنه يجب ذبحها ولا يحرم أكلها على الصحيح، وإن ورد الأمر بقتلها لأن ذلك ليس لمعنى فيها، بل هو في غيرها وهو تعبير الزاني وتذكره الفاحشة برؤيتها.

وقد أمر عمر رضي الله تعالى عنه بقتل الديكة لأنهم كانوا يتهارشون بها وأمر بقتل الحمام لأنهم كانوا يلعبون بها، ويؤذون الناس بصعودهم الأسطحة والرمي بالأحجار.

وقولهم: ما نهي عن قتله فحرام، يعنون به ما نهي عن قتله إكراماً له. قال[1]: الخطابي: نهى النبي ﷺ عن قتل الهدهد كرامة له، لأنه أطاع نبياً لا أنه حرام ونقله عنه العبادي وقضيته ترجيح وجه القائل بحل الصرد لأن النهي عن قتله لأمر خارج عنه لا لمعنى فيه، ولما كانت هذه القواعد غير تامة لجميع الحيوان، ذكر الأصحاب قاعدة عامة وهي الاستطابة والاستخباث، وعليها مدار الباب. قال الرافعي: من الأصول المرجوع إليها في التحريم والتحليل الاستطابة والاستخباث. ورآه الشافعي والأصل العظيم المعتمد فيه قوله[2] تعالى: ﴿يسألونَكَ ماذا أُحلَّ لهم قُل أحلّ لكم الطيّبات﴾ وليس المراد بالطيب هنا الحلال. وإن كان قد يرد الطيب بمعنى الحلال، لأن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة.

قال الأئمة: ويبعد الرجوع إلى طبقات الناس، وتنزيل كل قوم على ما يستطيبونه ويستخبثونه، لأن ذلك يوجب اختلاف الأحكام في الحلال والحرام، وذلك يخالف موضوع الشرع في حمل الناس على شرع واحد، ورأوا العرب أولى الأمم بأن يؤخذ باستطابتهم واستخبائهم، لأنهم المخاطبون أولاً والدين عربي والنبي ﷺ عربي، وإنما يرجع إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف سكان البوادي الذين يأكلون ما دب ودرج من غير تمييز، مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات، وحالتي الخصب والرفاهية دون حالتي الجدب والشدة.

وقال بعضهم: المعتبر الرجوع إلى عادة العرب الذين كانوا في عهد سيدنا رسول الله ﷺ لأن الخطاب كان لهم.

ويشبه أن يقال: يرجع في كل زمان إلى العرب الموجودين فيه. ويدل لهذا التوجيه ما تقدم، في باب العين المهملة، في لفظ العضاري، عن أبي عاصم العبادي، أنه حكى عن الأستاذ أبي طاهر الزيادي أنه قال: كنا نرى العضاري حراماً ونفتي بتحريمه، حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجيني فقال: إنه حلال، فبعثنا منه جواباً إلى البادية وسألنا العرب عنه فقالوا: هذا هو الجراد المبارك، فرجعوا إلى قول العرب فيه. وإذا اختلف المرجوع إليهم فاستطابته طائفة واستخبثته طائفة اتبعنا الاكثرين، فإن استوت الطائفتان، قال الماوردي في الحاوي، وأبو الحسن العبادي: إنه يتبع قريش، لأنهم قطب العرب وفيهم النبوة، فإن اختلفت قريش أو لم يحكموا بشيء، اعتبر أقرب الحيوانات شبهاً به. والشبه يكون تارة في الصورة وتارة في الطبع من السلامة والعدوان، وأخرى في طعم اللحم، فإن تساوى الشبه أو لم يوجد ما يشبه ففيه وجهان انتهى.

زاد في الحاوي هما من اختلاف أصحابنا في أصول الأشياء، قبل ورود الشرع هل هي على الإباحة أو الحظر؟ أحد الوجهين أنها على الإباحة حتى يرد الشرع بالحظر انتهى. قال أبو العباس: إذا وجد حيوان لا يعرف حاله عرض على العرب، فإن سموه باسم ما يحل حل، وإن سموه باسم ما يحرم حرم، وإن لم يكن له اسم عندهم اعتبر بأقرب الأشياء شبهاً من الذي يحل أو يحرم. وعلى هذا نص الشافعي، رحمه الله تعالى.

وقال الرافعي: وفي استصحاب حكم ما ثبت تحريمه في شرع من قبلنا قولان أحدهما: نعم

---

(١) رواه أبو داود: أدب ١٦٤. وابن ماجه صيد ١٠.

(٢) سورة المائدة: آية ٤.

أخذا بما كان إلى أن يظهر ناسخ، والثاني لا بل اعتماد ظاهر الآية المقتضية للحل أولى، والخلاف على ما ذكر الموفق بن طاهر رحمه الله تعالى، مبني على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه اختلاف أصولي، والأوفق لسياق كلام الأصحاب أنه لا يستصحب حكم شرع من قبلنا، وعلى هذا فلا تفريع. وعلى القول بالاستصحاب فذلك إذا ثبت بالكتاب أو السنة، أنه كان حراماً في شرع من قبلنا، أو شهد به اثنان أسلما منهم، ممن يعرف التبديل، ولا يعتمد فيه قول أهل الكتاب انتهى كلام الرافعي.

قال في الحاوي: ولو كان الحيوان ببلاد العجم، اعتبر في أقرب بلاد العرب عند من جمع الأوصاف المعتبرة فإن اختلفوا فيه اعتبر حكمه في أقرب بلاد الشرائع للإسلام، وهي النصرانية فإن اختلفوا فيه فعلى ما ذكرناه من الوجهين يعني في الأشياء قبل ورد الشرع انتهى.

قلت: ولا بد من التنبيه هنا على أمرين: أحدهما أنا إذا قلنا باستصحاب شرع من قبلنا، كما هو اختيار ابن الحاجب وغيره من الأصوليين، فله شرطان أحدهما: ألا يختلف في تحريمه وتحليله شريعتان، فإن اختلفتا بأن كان حراماً في شريعة إبراهيم عليه السلام وحلالاً في شريعة غيره، فيحتمل أن نأخذ بالشريعة المتأخرة، ويحتمل التخيير، إن لم نقل بأن الثانية ناسخة للأولى، فإن ثبت كون الثانية ناسخة للأولى، وجهل كونه حراماً في الشريعة السابقة أو اللاحقة، وقف. ويحتمل الرجوع إلى الإباحة الأصلية فيأتي الوجهان السابقان. الأمر الثاني أن يكون التحريم أو التحليل ثابتاً قبل تحريفهم وتبديلهم، فإن استحلوا أو حرموا بعد النسخ، فلا عبرة به والله أعلم.

الأمثال: قالوا: «أجبر من ورل» و«أسرع من تملظ الورل»[1] وهو الأكل بطرف اللسان، وكذلك يأكل الورل وقالوا: «أشرد[2] وأضل[3] وأظلم[4] من ورل».

الخواص: شعره إذا شد على عضد امرأة لم تحمل ما دام ذلك عليها، ولحمه وشحمه يسمن النساء، وفيه قوة جذب الشوك من البدن، وجلده يحرق ويخلط رماده بدردي الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب خدره، وزبله ينفع من الكلف والنمش طلاء.

التعبير: الورل في المنام يدل على عدو خسيس الهمة ذي مهانة وقصور حجة الله تعالى أعلم.

الوزغة: بفتح الواو والزاي والغين المعجمة دويبة معروفة، وهي وسام أبرص جنس، فسام أبرص كباره واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات، وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وازغان على البدل حكاه ابن سيده.

روى[5] البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه، عن أم شريك رضي الله تعالى عنها، أنها

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٠.
(٢) مجمع الأمثال: ١/٣٨٨.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٩.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٢٧.
(٥) رواه مسلم: سلام ١٤٣. ابن حنبل: ٦/٤٢١.

استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان، «فأمرها بذلك». وفي الصحيحين[1] أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ، وسماه فويسقا. وقال: «كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام». وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده.

وفي الحديث[2] الصحيح، من رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الضربة الثانية، فله كذا وكذا حسنة دون الأولى، ومن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الثانية». وفيه أيضاً «إن من قتلها في الأولى فله مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك».

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أقتلوا الوزغة ولو في جوف الكعبة» لكن في اسناده عمر بن قيس المكي، وهو ضعيف. وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، لما أحرق بيت المقدس وكانت الأوزاغ تنفخه.

وفي سنن ابن ماجه[3] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه كان في بيتها رمح موضوع، فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟ فقالت: أقتل به الوزغ، فإن النبي ﷺ اخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ، فإنه كان ينفخ عليه النار، فأمر ﷺ بقتله. وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده.

وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الفقيه الشافعي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل وزغة محا الله عنه سبع خطيآت».

وفي الكامل، في ترجمة وهب بن حفص، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «من قتل وزغة فكأنما قتل شيطاناً».

وروى[4] الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به للنبي ﷺ فيدعو له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: «هو الوزغ ابن الوزغ المعلون ابن الملعون». ثم قال: صحيح الإسناد.

وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر! فقال له مروان: أنت الذي أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أف لكما! فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله ﷺ، لعن أبا مروان ومروان في صلبه.

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق ١٥، أنبياء ٨. مسلم: سلام ١٤٢. أبو داود ١٦٣.
النسائي: مناسك ١١٥. ابن ماجه: صيد ١٢. الدارمي: أضاحي ٢٧. ابن حنبل ١/١٧٦.

(٢) رواه مسلم: سلام ١٤٦. الترمذي: صيد ١٤.

(٣) رواه ابن ماجه: صيد ١٢. وابن حنبل ٦/٨٣.

(٤) رواه أبو داود: طلاق ٣٤. وابن حنبل ١/٥٩.

ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه، وكانت له صحبة، قال: إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله ﷺ، فعرف صوته فقال ﷺ: «ائـذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم، وقليل ما هم يشرفون في الدنيا، ويضيعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق» قال ابن ظفر. وكان الحكم بن أبي العاص يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل.

وأما تسمية الوزغ فويسقا، فنظيره الفواسق الخمس التي تقتل في الحل والحرم، وأصل الفسق الخروج، وهذه المذكورات خرجت عمن خلق معظم الحشرات ونحوها بـزيادة الضرر والأذى.

وأما تقييد الحسنات في الضربة الأولى بمائة، وفي الثانية بسبعـين، كما في بعض الـروايات، فجوابه أنه كقوله في صلاة الجماعة بسبع وعشرين وبخمس وعشرين، وأن مفهوم العدد لا يعمل به فذكر السبعين لا يمنع المائة فلا تعارض بينهما. أو لعله ﷺ أخبر أولا بالسبعين، ثم تصدق الله تعالى بالزيادة علينا، فأعلم به ﷺ حين أوحى الله إليه بعد ذلك، أو أنه يختلف باختلاف قاتلي الوزغ، بحسب نياتهم وإخلاصهم، وكمال أحوالهم ونقصها، فتكون المائة للأكمل منهم والسبعون لغيره.

قال يحيى بن يعمر: لأن أقتل مائة وزغة أحب إليّ من اعتق مائة رقبة، وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء، زعموا أنها تُسقى من الحيات وتمج في الإناء فينال الإنسان المكـروه العظيم بسبب ذلك، وسبب كثرة الحسنات في المبادرة أن تكرر ضربات في القتل، يدل على عدم الاهتمام بأمر صاحب الشرع، إذ لو قوي عزمه وأشتدت حميته، لقتلها في المرة الأولى لأنه حيوان لطيف لا يحتاج إلى كثرة مؤنة في الضرب، فحيث لم يقتلها في المرة الأولى دل ذلك على ضعف عزمـه، فلذلك نقص أجره من المائة إلى السبعين. وعلل عز الدين بن السلام(١) كثرة الحسنات في الأولى بأنه إحسان في القتل فيدخل تحت قوله(٢) ﷺ «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة». أو أنـه مبادرة إلى الخـير فيدخل تحت(٣) قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ قال: وعلى كلا المعنيين فالحية والعقرب أولى بذلك لعظم مفسدتها.

وذكر أصحاب الآثار أن الوزغ أصمّ قالوا: والسبب في صممه ما تقدم من نفخه النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فصم لأجل ذلك وبرص. ومن طبعـه أنه لا يدخل بيتاً فيه رائحة الزعفران، وتألفه الحيات كما تألف العقارب الخنافس، وهو يلقح بفيه ويبيض كما تبيض الحيات، ويقيم في جحره زمن الشتاء، أربعة أشهر لا يطعم شيئاً.

وقد تقدم في حرف السين المهملة ما يتعلق بأحكامها وخواصها وقـد أحسن في وصف الوزغة وغيرها الأديب الشاعر كمال الدين علي بن محمد بن المبـارك الشهير بابن الأعمى، صاحب

---

(١) ابن عبد السلام: عبد العزيز، فقيه شافعي ولد في دمشق زار بغداد استقر في القاهرة. مات سنة ٦٦٠ هـ.

(٢) رواه أبو داود: أضاحي ١٢. والنسائي: ضحايا ٢٢.

(٣) سورة المائدة: آية ٤٨.

المقامة البحرية، ووفاته في المحرم سنة اثنتين وتسعين وستمائة. وكان والده خطيب بيت المقدس حيث قال يذم دار سكناه:

دارٌ سكنتُ بها أقلَّ صفاتها … أن تكثر الحشراتُ في حجراتها
الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ … والشرّ دانٍ من جميعِ جهاتها
من بعضِ ما فيها البعوضُ عدمته … كم أعدم الأجفانَ طيبُ سناتها
وتبيتُ تسعدها براغيثُ متى … غنتْ لها رقصتْ على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه … قد قدمتْ فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضبابِ يسد عـ … ـين الشمسَ ما طربي سوى غناتها
أين الصوارمُ والقنا من فتكها … فينا وأين الأسدُ من وثباتها
وبها من الخطافِ ما هو معجزٌ … أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيونُ بمرها ومجيئها … وتصم سمعَ الخلدِ من أصواتها
وبها خفافيش تطيرُ نهارها … مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة … نزع الطهاةُ بنضجها شوكاتها
فاقت على سمر القنا في لونها … وسماتها وشياتها وصفاتُها
وبها من الجرذان ما قد قصرتْ … عنه العتاقُ الجردُ في حملاتها[1]
فترى أبا غزوان منها هارباً … وأبا الحصين يروغُ عن طرقاتها
وبها خنافسُ كالطنافس أفرشتْ … في أرضها وعلتْ على جنباتها
لو شمّ أهلُ الحربِ منتن فسوِها … أردى الكماةُ الصيدَ عن صهواتها
وبناتُ وردان وأشكال لها … مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحمٌ متراكمٌ متحاربٌ … متراكبٌ في الأرضِ مثل نباتها
وبها قرادٌ لا اندمالٌ لجرحها … لا يفعلُ المشراطُ مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها … حجامةٌ لبدتْ على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما … قد قل ذر الشمسِ عن ذراتها
لا يدخلون مساكناً بل يحطمو … ن جلودَنا فالعفو من سطواتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها … فنعوذُ بالرحمنِ من نزغاتها
سجعتْ على أوكارِها فظننتها … ورقَ الحمامِ سجعن في سحراتها
وبها زنابيرٌ تظن عقاربا … لا برءَ للمسمومِ من لدغاتها
وبها عقاربُ كالأقاربِ رتعا … فينا حمانا الله لدغَ حماتها.
وكأنما حيطانَها كغرابل … أطلعن أرؤسهن من طاقاتِها
كيف السبيلُ إلى النجاةِ ولا نجا … ةَ ولا حياةَ لمن رأى حياتها

(١) العتاق: النوق الكريمة.

السمّ في نفساتها والمكر في ... لفتاتِها والموتُ في لسعاتها
منسوجةٌ بالعنكبوتِ سماؤها ... والأرضُ قد نُسجتْ ببراقاتها
فلقد رأينا في الشتاءِ سماءَها ... والصيفُ لا تنفك من صعقاتها
فضجيجُها كالرعدِ في جنباتها ... وترابُها كالوبلِ من حسياتِها
والبومُ عاكفةٌ على أرجائها ... والآلُ يلَمعُ في ثرى عرصاتها[1]
والنارُ جزءٌ من تلهب حرها ... وجهنمُ تعزى إلى لفحاتها
قد رممت من قبل يلقى آدمُ ... مع أمنا حواء في عرفاتِها
شاهدتُ مكتوباً على أرجائها ... ورأيتُ مسطوراً على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها ... يا رب نجِ الناسَ من آفاتِها
قالوا: إذا ندب الغراب منازلا ... يتفرق السكانُ من ساحاتها
وبدارنا ألفا غرابِ ناعق ... كذبَ الرواة فأين صدقُ رواتها
دارٌ تبيتُ الجنّ تحرسُ نفسها ... فيها وتنذرُ باختلاف لغاتها
صبراً لعلّ الله يعقبُ راحةً ... للنفسِ إذ غلبت على شهواتها
كم بتُّ فيها مفرداً والعينُ شو ... قا للصباحِ تسحُّ من عبراتها
وأقول: يا ربّ السمواتِ العلا ... يا رازقا للوحشِ في فلواتها
أسكنتني بجهنم الدنيا ففي ... أخراي هب لي الخلد في جناتها
واجمع بمن أهواه شملي عاجلا ... يا جامعَ الأرواحِ بعد شتاتها

والوزغ في الرؤيا رجل معتزلي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، خامل الذكر، وكذلك العظاء. وربما دل الوزغ على العدو المجاهر بالشر، والكلام السوء، والتنقل من الأمكنة.

الوصع: بفتح الواو والصاد المهملة، وبالعين المهملة في آخره الصعوة، وقد تقدم الكلام عليها، في باب الصاد المهملة. وقيل: هو طائر أصغر من العصفور.

وفي الحديث أن إسرافيل عليه الصلاة والسلام له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، وإن العرش على منكب إسرافيل، وإنه ليتضاءل الأحيان من عظمة الله تعالى، حتى يصير مثل الوصع. يروى بفتح الصاد المهملة وسكونها. وقال ابن الأثير: إنه أصغر من العصفور والجمع وصعان.

وفي أول التعريف والاعلام للسهيلي، أن أول من سجد من الملائكة لآدم إسرافيل عليه الصلاة والسلام، ولذلك جوزي بولاية اللوح المحفوظ. قاله محمد بن الحسن النقاش.

الوطواط: الخفاش وقد تقدم ما فيه في باب الخاء المعجمة.

---

(١) الآل: السراب. العرصات: الساحات.

وروى الحافظ بن عساكر، في تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد، أنه قال: كتب رجل إلى ابن عباس، يسأله عن شيء ليس له لحم ولا دم تكلم، وعن شيء ليس له لحم ولا دم سعى، وعن شيء ليس له لحم ولا دم تنفس، وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا وأجابا، وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها، وعن موسى عليه السلام كم أرضعته أمه قبل أن تلقيه في اليم، وفي أي بحر، وفي أي يوم ألقته، وكم كان طول آدم عليه السلام، وكم عاش، ومن كان وصيه، وعن طير لا يبيض ويحيض.

فقال: الأول النار قالت: ﴿هل من مزيد﴾[1]، والثاني عصا موسى عليه السلام، والثالث الصبح، والرابع السماء والأرض، ﴿قالتا أتينا طائعين﴾[2]، والخامس الغراب الذي بعثه الله إلى ابن آدم، والسادس البقرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن، وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه في اليم ثلاثة أشهر، وألقته في بحر القلزم، وكان ذلك يوم الجمعة، وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعاً، وعاش ألف سنة إلا ستين سنة، وكان وصيه شيث. والطير الوطواط الذي نفخ فيه عيسى عليه السلام، فكان طائراً بإذن الله عز وجل.

وحكمه: تحريم الأكل للنهي عن قتله كما تقدم في باب الخاء المعجمة.

الأمثال: قالوا: «أبصر من الوطواط بالليل»[3] أي أعرف ويسمون الجبان وطواطا.

التعبير: الوطواط تدل رؤيته على الغي والضلالة عن الحق، وربما دلت رؤيته على ولد الزنا لأنه من الطير، وليس بطائر، وهو يرضع كما يرضع الآدمي، وربما دلت رؤيته على زوال النعم، والبعد من المألوفات، لأنه من الممسوخين، وهذا بعيد. وربما دلت رؤيته على إقامة الحجة والبينة لقوله[4] تعالى: ﴿وإذ تخلقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني فتنفخ فيها﴾ الآية. وهذا أظهر الأقاويل عندي والله أعلم.

الوعوع: ويقال له أيضاً الوع، ابن آوى، وقد تقدم الكلام عليه في أواخر باب الهمزة.

الوعل: بفتح الواو وكسر العين المهملة، الأروى المتقدم في باب الهمزة وهو التيس الجبلي، والأنثى تسمى أروية وهي شاة الوحش، والجمع أوعال ووعول.

وذكر ابن عدي، في كامله، في ترجمة محمد بن اسماعيل بن طريح، أنه قال: حدثني أبي، عن جدي، أنه حضر أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة، فأغمي عليه ثم أفاق فرفع رأسه فنظر حيال باب البيت، وقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، لا عشيرتي تحميني، ولا مالي يفديني، ثم أغمي عليه ثم أفاق فرفع رأسه وقال[5]:

كلّ حيٍ وإنْ تطاولَ دهراً ... آيلُ أمره إلى أنْ يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

ثم فاضت نفسه.

---

(١) سورة ق: آية ٣٠.
(٢) سورة فصلت: آية ١١.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/١٩٥.
(٤) سورة المائدة: آية ١١٠.
(٥) الشعر والشعراء: ٣٠١.

وعن شهر بن حوشب، قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة، قال له ابنه: يا أبتاه إنك كنت تقول لنا: ليتني كنت ألقي رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت به، حتى يصف لي ما يجد، وأنت ذلك الرجل، فصف لي الموت، فقال: يا بني والله كأن السماء قد أطبقت على الأرض، وكأن جنبي في تخت، وكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي، ثم أنشأ يقول:

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي ... في رؤوس الجبالِ أرعى الوعولا

ومن غريب ما اتفق. أن عبد الملك بن مروان لما احتضر، وكان قصره يشرف على بردى، فنظر إلى غسال يغسل الثياب، فقال: ليتني كنت مثل هذا الغسال، أكتسب ما أعيش به يوماً بيوم، ولم أل الخلافة. وتمثل بقول[1] أمية بن أبي الصلت:

كلّ حي وإنّ تطاولَ دهراً.

البيتين المتقدم ذكرهما.

فاتفق له كما اتفق لأمية من الموت عقب ذلك، فلما بلغ ذلك أبا حازم، قال: الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيه، ولم يجعلنا نتمنى ما هم فيه.

وفي الاستيعاب، في ترجمة الفارعة بنت أبي الصلت، أخت أمية بن أبي الصلت، أنها قدمت على النبي ﷺ، بعد فتحه للطائف، وكانت ذات لب وعفاف وجمال، وكان ﷺ يعجب بها، فقال لها ﷺ يوما: «هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً؟» فأخبرته خبره، وما رأت منه، وقصت قصته في شق جوفه، وإخراج قلبه، ثم عوده إلى مكانه وهو قائم، وأنشدت له شعره الذي أوله:

باتتْ همومي تسري طوارقُها ... أكف عيني والدمعُ سابقها

نحو ثلاثة عشر بيتاً منها قوله:

ما أرغّب النفس في الحياة وإن ... تحيا طويلاً فالموتُ لاحقُها
يوشكُ من فرّ من منيته ... يوماً على غرةٍ يوافقها
من لم يمتْ غبطةً يمتْ هَرَما ... للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقها

ثم قالت: وإنه قال عند وفاته:

إن تغفرّ اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك ما ألما

ثم قال:

كلّ حي وإن تطاولَ دهراً

---

(١) الشعر والشعراء: ٣٠١.

البيتين ثم مات. فقال ﷺ: «إنّ مثلَ أخيك كمثل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين».

وفي طباع الوعل أنه يأوي إلى الأماكن الوعرة الخشنة، ولا يزال مجتمعاً، فإذا كان وقت الولادة تفرق، وإذا اجتمع في ضرع أنثى لبن امتصته. والذكر إذا ضعف عن النزو أكل البلوط فتقوى شهوته، وإذا لم يجد الأنثى انتزع المني بالامتصاص بفيه، وذلك إذا جد به الشبق، وفي طبعه أنه إذا أصابه جرح، طلب الخضرة التي في الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح فيبرأ. وإذا أحس بالقناص، وهو في مكان مرتفع، استلقى على ظهره ثم يزج نفسه فينحدر، ويكون قرناه، وهما في رأسه، إلى عجزه يقيانه ما يخشى من الحجارة ويسرعان به لملوستهما على الصفا.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال عن المدينة: «لو رأيت الوعول تجرش ما بينها ماهجتها». أراد لو رأيتها ترعى كلأها ماهجتها لأن النبي ﷺ حرم صيدها.

وفي الترغيب والترهيب، وغريب أبي عبيدة وغيره من حديث أبي هريرة أيضاً أن النبي ﷺ، قال: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت». قالوا: يا رسول الله ما الوعول وما التحوت؟ قال: «الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم» وبعضه في الصحيح، وإنما شبههم بالوعول وضرب بها المثل لأنها تأوي رؤوس الجبال والله تعالى أعلم.

وروى(١) الإمام أحمد وأبو داود والترمذي. عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه، قال: كنا جلوساً بالبطحاء، في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة، فنظر إليها فقال ﷺ: «أتدرون ما اسم هذه؟» قلنا: نعم، هذا السحاب. قال ﷺ: «وهو المزن والعنان». ثم قال عليه الصلاة والسلام. «أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض؟» قلنا: لا. قال ﷺ: «إما واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة، والسماء فوقها، كذلك». حتى عد عليه الصلاة والسلام سبع سموات، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه، كما بين سماء إلى سماء، وفوق البحر ثمانية أوعال بين أصلافها وركبها، كما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش، من أسفله إلى أعلاه، مثل ما بين سماء إلى سماء»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال الجاحظ الذهبي: وهو كما قال الترمذي حسن غريب، وقد أخرجه الحافظ الضياء أيضاً، في كتاب المختار له، ورواه الحاكم في المستدرك عن سماك بن حرب، وقرأ **﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾**(٢).

وفي التمهيد لابن عبد البر، عن أسد بن موسى، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، قال: حملة العرش أحدهم على صورة إنسان، والثاني

---

(١) رواه أبو داود: سنة ١٨. الترمذي: تفسير سورة ٦٩. ابن ماجه: مقدمة ١٣. وابن حنبل: ١/٢٠٦.
(٢) سورة آل عمران: آية ٥.

على صورة ثور، والثالث على صورة نسر، والرابع على صورة أسد. وفي تفسير الثعلبي أن النبي ﷺ قال: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين».

وفي سنن[1] أبي داود، من حديث جابر رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام».

وحكمه: الحل بالإجماع، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: في الوعل إذا قتله المحرم، أو قتل في الحرم شاة. وذكر القزويني، في الأشكال، عن ابن الفقيه، أنه قال: رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال، من ذلك وعول كالتيوس الجبلية، ألوانها حمر منقطعة ببياض، ولحمها حامض انتهى.

فإن صح هذا القول، فالذي يظهر الحل إلحاقاً بمماثله من المأكول، عملاً بالمشاكلة الصورية، والله تعالى أعلم.

الأمثال: قالوا: «أزهى[2] من وعل» و«أحمق من ناطح الصخرة» أي الوعل، وأنشدوا قول[3] الأعشى:

كناطحٍ صخرةٍ يوماً ليوهنها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

أراد كوعل ناطح، فحذف الموصوف وأبقى الصفة.

وخواصه: تقدمت في باب الهمزة، في لفظ الأروى، لكن منها أيضاً أن مخه جيد للمرأة التي بها نزف الدم، تتحمل به في صوفة. ولحمه وشحمه يسحقان ويلقى عليهما صبر وسعد وقرنفل وزعفران وعسل، يخلط الجميع ويسقى منه وزن مثقال، بماء الكرفس لمن به حصاة في مثانته يبرأ بإذن الله تعالى.

الوقواق: كفطفاط طائر حكاه ابن سيده ولعله القاق المتقدم في باب القاف.

بنات وردان: بفتح الواو وتسمى فالية الأفاعي، وهي دويبة تتولد في الأماكن الندية وأكثر ما تكون في الحمامات والسقايات، ومنها الأسود والأحمر والأبيض والأصهب، وإذا تكونت تسافدت وباضت بيضاً مستطيلا، وهي تألف الحشوش واحدها حش بفتح الحاء المهملة وضمها.

قال الجاحظ: أصل الحش القطعة من النخل، وهي الحشان بكسر الحاء المهملة وتشديد الشين، وذلك أن أهل المدينة، كانوا إذا أراد أحدهم قضاء الحاجة، دخل النخل. فكنوا عن مكان الخراء بالحش، كما كنوا عنه بالخلاء، وقالوا لمن يذهب إلى الخراء: ذهب إلى البزار، وذهب إلى المستراح وإلى الحش والخلاء والمخرج والمتوضأ والمذهب والغائط وقضاء الحاجة. وقالوا: ذهب

---

(١) رواه أبو داود: سنة ١٨. وابن حنبل ٢/٢٦.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤١٣.
(٣) ديوان الأعشى: ٦١.

ينجو، كما قالوا: ذهب يتغوط كل ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب إلى الخراء. وقد وصف بعض الشعراء بنات وردان حيث قال:

بنـاتُ وردانَ جنسٌ ليس ينعتـه خـلقٌ كنعتي في وصـفي وتشبيهـي
كمثـلِ أنصافِ بسر أحمـر تـركت من بعـد تشقيقـه أقـماعـه فيـه

وحكمها: تحريم الأكل لاستقذارها، ولا يصح بيعها كسائر الحشرات التي لا ينتفع بها، لكنها إذا وقعت في الماء الطهور لا تنجسه، ويعفى عن ذلك، وكذا كل ما ليست له نفس سائلة أي دم يسيل عند قتله وقد تقدم في الذباب هذا الحكم.

فرع: قال الأصحاب: ما لا يظهر فيه منفعة ولا مضرة، كبنات وردان والخنافس والجعلان والدود والسرطان والرحم والنعامة والعصافير والذباب يكره قتله ولا يحرم، وعدَّ الرافعي رحمه الله منه: الكلب غير العقور، قال: ولا يجوز قتل النمل والنحل والخطاف والضفدع، وقد تقدم شيء من هذا الحكم في أماكنه.

الخواص: قال ارسطاطاليس: إذا طبخت بنات وردان بزيت وقطر منه في الأذن الوجعة سكن ألمها وتبرأ من ذلك، وينفع هذا الزيت من القروح، التي في الساقين، وفي جميع الأعضاء، والله تعالى أعلم.

باب الياء

ياجوج ومأجوج: يهمزان ولا يهمزان، لغتان قرىء بهما، فمن همزهما جعلهما مشتقين من أجة الحر وهي شدته وقوته، ومنه أجيج النار وهو توقدها وحرارتها، والتقدير في ياجوج يفعول، وفي ماجوج مفعول إذا ترك همزهما، قاله الأزهري. ويحتمل أن يكونا مفعولين، وإنما لم يصرفا للتعريف والتأنيث، لأنهما اسما القبيلتين، والأكثرون على أنهما اسمان أعجميان غير مشتقين، ولذلك لا يهمزان ولا يصرفان للعجمة والتعريف.

قال سعيد الأخفش: ياجوج من يج وماجوج من مج، وقال قطرب: من لم يهمز فياجوج فاعول مثل داود وجالوت، ويكون من يج، وماجوج فاعول من مج، والأسماء الأعجمية مثلها لا تهمز نحو هاروت وماروت وجالوت وطالوت وقارون. قال: ويجوز أن يكون الأصل الهمز، فخففا إذا لم يهمزا كسائر ما يهمز، وإن كانا أعجميين، فإن العرب تلفظ بألفاظ مختلفة، ويجوز أن يكونا من الأجة، وهي الاختلاط كما قال تعالى في صفتهم: ﴿وتركنا بعضهم يومئذٍ يموجُ في بعض﴾[1] جاء في تفسيره: أي مختلطين، ولعل يج الذي ذكره الأخفش وقطرب مخفف الهمز من أج وإلا فإن يج لا يعرف في كلام العرب لعزة مخرج الجيم والياء، والحاصل أنه يجوز همزهما وتركه كما تقدم. وبهما قرىء في السبع والأكثرون على ترك الهمز كما تقدم.

وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل: من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة، قال مقاتل:

---

(١) سورة الكهف: آية ٩٩.

هم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام. وقال الضحاك: هم من الترك، وقال كعب الأحبار: احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك.

قلت: وفيه نظر، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يحتلمون.

وروى الطبراني، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «يأجوج أمة لها أربعمائة أمير، وكذلك مأجوج، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده، صنف منهم كالأرز طولهم مائة وعشرون ذراعاً، وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه، ويأكلون من مات منهم، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس».

وقال وهب بن منبه: يأجوج ومأجوج يأكلون الحشيش والشجر والخشب، وما ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس. وقال علي رضي الله تعالى عنه: يأجوج ومأجوج صنف منهم في طول الشبر وصنف منهم مفرط الطول، لهم مخالب الطير، وأنياب كأنياب السباع، وتداعي الحمام، وتسافد البهائم، وعواء الذئب، وشعورهم تقيهم الحر والبرد، ولهم آذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها، والأخرى جلدة يصيفون فيها، يحفرون السد الذي بناه ذو القرنين، حتى إذا كادوا ينقبونه يعيده الله كما كان، حتى يقولوا: ننقبه غدا إن شاء الله، فينقبونه ويخرجون وتتحصن الناس منهم بالحصون، فيرمون إلى السماء فيرد إليهم السهم ملطخاً بالدم، ثم يهلكهم الله بالنغف في رقابهم. والنغف هو الدود كما تقدم.

فائدة: سئل شيخ الإسلام محي الدين النووي رحمه الله تعالى عن يأجوج ومأجوج هل هم من ولد آدم وحواء، وكم يعيش كل واحد منهم؟ فأجاب أنهم أولاد حواء وآدم عند أكثر العلماء، وقيل: إنهم من ولد آدم من غير حواء، فيكونون اخوتنا من الأب، ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء انتهى.

وقد تقدم في الكركند ما نقله الحافظ أبو عمر بن عبد البر، من الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وأن النبي ﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج، هل بلغتهم دعوتك، فقال ﷺ: «جزت عليهم ليلة أسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا».

وروى(1) الشيخان والنسائي، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول عز وجل: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة. قال: فذلك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد»، قال: فاشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال ﷺ: «أبشروا فإن من يأجوج

---

(1) رواه البخاري: أنبياء ٧، تفسير سورة ٢٢، توحيد ٣٢. ومسلم: إيمان ٣٧٨، فتن ١٦.

ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجل» الحديث.

قال العلماء إنما خص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أب للجميع.

وروى[1] الجماعة إلا أبا داود، من حديث زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ يوماً فزعا محمراً وجهه الشريف، يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الابهام والتي تليها». قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث». أشار ﷺ بذلك إلى أن الذي فتحوا من السد قليل، وهم مع ذلك لا يلهمهم الله أن يقولوا غدا نفتحه إن شاء الله تعالى، فإذا قالوها خرجوا. وقوله ﷺ: «ويل للعرب» كلمة تقولها العرب، لكل من وقع في هلكة.

وفي مسند[2] الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل واد في جهنم يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره» وقيل: الويل الشر، وقوله ﷺ: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج»[3].

الردم هو الحاجز الحصين المتراكم الذي جعل بعضه فوق بعض، والمراد به الردم الذي عمله الإسكندر بين الصدفين وهما الجبلان. وقوله في هذا الحديث إن زينب رضي الله تعالى عنها قالت: أنهلك؟ هو بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة، وحكي فتحها وهو ضعيف أو فاسد، قاله النووي رحمه الله وقوله ﷺ: نعم لأن ما استفهم عنه بإثبات كان جوابه نعم وما استفهم عنه بنفي كان جوابه بلى. ولذلك كانت ﴿بلى﴾[4] في جواب ﴿ألست بربكم﴾[4] ﴿ونعم﴾[5] في جواب هل وجدتم فلذلك قال ﷺ لزينب رضي الله تعالى عنها: «نعم» حين قالت: أنهلك وفينا الصالحون.

وقوله ﷺ: «إذا كثر الخبث»[6] هو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة. وفسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد به الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أن المراد به المعاصي مطلقاً ومعناه أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون، والله تعالى أعلم.

وروى البزار، من حديث يوسف ابن مريم الحنفي قال: بينما أنا قاعد مع أبي بكرة، إذا جاء رجل فسلم عليه ثم قال: أما تعرفني؟ فقال أبو بكرة: ومن أنت؟ قال: تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم؟ فقال له أبو بكرة: أنت هو؟ وقال: نعم. فقال: اجلس فحدثنا، قال رضي الله تعالى عنه: انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعملونه، فدخلت

---

(١) رواه البخاري: فتن ٤، ٢٨. ومسلم: فتن ١، ٢. الترمذي: فتن ٢١، ٢٣. وابن ماجه: فتن ٩. الموطأ: كلام ٢٢. ابن حنبل ٦، ٤٢٨.

(٢) رواه ابن حنبل: ٣، ٧٥.

(٣) رواه البخاري: فتن ٢٤/٤، أنبياء ٧، مناقب ٢٥، طلاق ٢٤. ومسلم: فتن ٢١.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

(٥) سورة الأعراف: آية ٤٤.

(٦) رواه البخاري: فتن ٤، ٢٨. مسلم فتن ١ ـ ٢.

بيتاً فاستلقيت فيه على ظهري، وجعلت رجلي على جداره، فلما كان غروب الشمس، سمعت صوتاً لم أسمع مثله، فرعبت فقال لي رب البيت: لا تذعرن فإن هذا لا يضرك، هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد، أفيسرك أن تراه؟ قلت: نعم. قال: فغدوت إليه، فإذا لبنه من حديد، كل واحدة مثل الصخرة، وإذا كأنه البرد المحبرة، وإذا المسامير مثل الجذوع فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «صفه لي». فقلت: كأنه البرد المحبرة. فقال ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل قد أتى الردم فلينظر إلى هذا». فقال أبو بكرة: صدق انتهى.

وهذا الردم هو الذي بناه الاسكندر على يأجوج ومأجوج كما تقدم، وذلك أنه لما بلغ الجبلين وجد من دونهما قوماً، كما قال[1] الله تعالى: ﴿لا يكادون يفقهونَ قَوْلاً﴾ بفتح الياء والقاف أو يفقهون بفتح الياء وكسر القاف على اختلاف القراءتين، فعلى الأولى لا يفقهون عن أحد لغته ولا يعرفون غير لغتهم، وعلى الثانية لا يفهم لغتهم غيرهم، فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، وذلك أنهم كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء المساكين، فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه.

وقيل: إنهم كانوا يلوطون، وقيل: إنهم كانوا يأكلون الناس، فقالوا له: نحن نجعل لك خرجاً، أي جعلاً من أموالنا، على أن تجعل بيننا وبينهم سداً فرد عليهم جعلهم، وطلب منهم المعونة بالعمل بأبدانهم، ثم انصرف إلى ما بين الصدفين، فقاس ما بينهما فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فأمر بحفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً، وجعل حشوه الصخر، وطبقه بالنحاس المذاب، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض.

وقيل إنه حشا ما بين الصدفين قطع الحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع المنافيخ، فلما حمي الحديد أفرغ عليه النحاس المذاب، فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلاً صلداً من حديد وقطر، وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عرقاً من نحاس أصفر، فصار كأنه بردة محبرة من صفرة النحاس وحمرته، وسواد الحديد، فلم يطيقوا الظهور عليه لملاسته ولا قدروا على نقبه لشدته وتماسكه. ومن وراء السد البحر، فهم بين السد والبحر محصورون وهم يمطرون التنانين في أيام الربيع، كما يمطرنا الغيث لحينه فيأكلونها إلى مثله من القابل وتعمهم على كثرتهم والله تعالى أعلم.

اليامور: قال ابن سيده: هو جنس من الأوعال أو شبيه به له قرن واحد متشعب في وسط رأسه. وقال غيره: إنه الذكر من الأيل له قرنان كالمنشارين، أكثر أحواله تشبه أحوال البقر الوحشي يأوي إلى المواضع التي التفت أشجارها، وإذا شرب الماء ظهر به نشاط فيعدو ويلعب بين الأشجار، وربما ينشب قرناه في شعب الأشجار فلا يقدر على خلاصهما فيصيح، والناس، إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه وصادوه، وقد تقدم ما فيه. وهو حلال كالأيل، ومن خواص جلده أنه إذا جلس عليه صاحب البواسير زالت عنه.

---

(١) سورة الكهف: آية ٩٣.

اليؤيؤ: طائر كنيته أبو رياح، وهوالجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق، وقد تقدم الكلام عليه، في باب الصاد المهملة، في لفظ الصقر والجمع اليآيىء وكذا جاء في الشعر قال[1] أبو نواس في طريدته:

حـفظَ المـهـيـمـنُ يـؤيـؤي ورعـاه   مـا في الـيـآيـىء يـؤيـؤ شرواه

كذا استدل به الجوهري واعترض عليه بأنه مولد.

وكان محمد بن زياد الزيادي يلقب باليؤيؤ، وهو من أئمة أهل البصرة، روى عن حماد بن زيد وغيره، وروى له ابن ماجه والبخاري كالمقرون بغيره توفي في حدود سنة خمسين ومائتين، وضعفه ابن منده، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان يؤيؤ الحديث.

وهذا بناء غريب، لم يحفظ منه إلا خمسة: اليؤيؤ والجؤجؤ وهو صدر السفينة والطائر واليؤيؤ وهو الأصل يقال: فلان يؤيؤ الكرم أي أصله، والدؤدؤ ليلة خمس وست وسبع وعشرين. واللؤلؤ وفيه أربع لغات قرىء بهن في السبع لؤلؤ بهمزتين، ولولو بغير همز، وبهمز أوله دون ثانيه، وعكسه.

وحكمه: تحريم الأكل كما تقدم.

الخواص: دماغه يجفف ويسحق مع السكر الطبرزذي، ويخلط معه بعر الضب ويكتحل به، يزيل البياض الذي في العين بإذن الله تعالى. ومرارته تداف بماء الشهدانج، ويسعط بها من به الصداع ينفعه نفعاً بيناً إن شاء الله تعالى.

اليحبور: ولد الحبارى، وقد تقدم ما في الحبارى، وفي باب الحاء المهملة.

اليحمور: دابة وحشية نافرة، لها قرنان طويلان كأنهما منشاران، ينشر بهما الشجر، فإذا عطش وورد الفرات، يجد الشجر ملتفة، فينشرها بهما. وقيل: إنه اليامور نفسه، وقرونه كقرون الأيل يلقيها في كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها، ولونه إلى الحمرة، وهو أسرع من الأيل. وقال الجوهري: اليحمور حمار الوحش.

وحكمه: الحل كيف كان.

الخواص: دهنه ينفع من الاسترخاء الحاصل في أحد شقي الإنسان إذا استعمل مع دهن البلسان.

فائدة: في كتاب العرائس، للإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزي، قال: إن بعض طلبة العلم خرج من بلاده، فرافق شخصاً في الطريق، فلما كان قريباً من المدينة التي قصدها قال له ذلك الشخص: قد صار لي عليك حق وذمام، وأنا رجل من الجان، ولي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: إذا أتيت إلى مكان كذا وكذا، فإنك تجد فيه دجاجاً بينها ديك، فاسأل عن صاحبه

---

(١) ديوان أبي نواس: ٦٨٩.

واشتره منه واذبحه، فهذه حاجتي إليك. فقال له: يا أخي، وأنا أيضاً أسألك حاجة، قال: وما هي؟ قال: إذا كان الشيطان مارداً لا تعمل فيه العزائم، وألح بالآدمي منا، ما دواؤه؟ قال: دواؤه أن يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد يحمور، ويشد به إبهاما المصاب من يديه شداً وثيقاً، ثم يؤخذ له من دهن السذاب البري فيقطر في أنفه الأيمن أربعاً وفي الأيسر ثلاثاً، فإن الماسك به يموت ولا يعود إليه أحد بعده.

قال: فلما دخلت المدينة، أتيت ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه، فأبت فاشتريته منها بأضعاف ثمنه، فلما اشتريته وملكته، تمثل لي من بعيد، وقال لي بالأشارة: اذبحه فذبحته. فعند ذلك خرج علي رجال ونساء، فجعلوا يضربونني ويقولون: يا ساحر! فقلت: لست بساحر. فقالوا: إنك منذ ذبحت الديك، أصيبت عندنا شابة بجني، وأنه منذ مسكها لم يفارقها، فطلبت منهم وتراً قدر شبر من جلد يحمور، وشيئاً من دهن السذاب البري، فأتوا بهما فشددت إبهامي يدي الشابة شداً وثيقاً، فلما فعلت بها ذلك صاح، وقال: أنا علمتك على نفسي! ثم قطرت من الدهن في أنفها الأيمن أربعاً، وفي الأيسر ثلاثاً، فخر ميتاً من وقته وساعته، وشفى الله تلك الشابة، ولم يعاودها بعده شيطان انتهى.

اليحموم: طائر حسن اللون، يشبه لون الحبرة الموشاة، وهو كثير بنخلة من أرض الحجاز، وأظنه من نوع اليعاقيب والحجل.

وحكمه: حل الأكل، لأنه مستطاب، واليحموم أيضاً اسم فرس النعمان بن المنذر، واليحموم أيضاً الدخان الأسود، وقيل: هو المراد بقوله تعالى: ﴿وظل من يحموم﴾[1] تقول العرب: أسود يحموم، إذا كان شديد السواد، وقيل: اليحموم جبل في جهنم يستظل به أهل النار لا بارد ولا كريم، أي لا بارد الثرى ولا كريم المنظر، وقيل: اليحموم اسم من أسماء النار. وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود نعوذ بالله من شرها.

اليراعة: طائر صغير إذا طار بالنهار كان كبعض الطير، وإذا طار بالليل كان كأنه شهاب ثاقب، أو مصباح طيار، وقال أبو عبيدة: اليراع الهمج بين البعوض والذباب، يركب الوجه ولا يلدغ واليراعة أيضاً النعامة.

الأمثال: قالوا: «أخف[2] من يراعة»، فيجوز أن يراد به الطائر الذي يطير بالليل، وأن يراد به القصبة، والجمع يراع فيهما.

اليربوع: بفتح الياء المثناة تحت، ويسمى الدرص، بفتح الدال وكسرها واسكان الراء المهملتين وبالصاد المهملة آخره، وذا الرميح كما تقدم في آخر باب الراء المهملة، حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جداً، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعداً في طرفه شبه النوارة، لونه كلون الغزال. قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: إن كل دابة حشاها الله خبثاً فهي قصيرة اليدين، لأنها إذا خافت شيئاً، لاذت بالصعود، فلا يلحقها شيء وهذا الحيوان يسكن بطن

---

(١) سورة الواقعة: آية ٤٣.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٧.

الأرض، لتقوم رطوبتها له مقام الماء، وهو يؤثر النسيم ويكره البحار أبداً، يتخذ جحره في نشز من الأرض، ثم يحفر بيته في مهب الرياح الأربع ويتخذ فيه كوى، وتسمى النافقاء والقاصعاء والراهطاء، فإذا طلب من إحدى هذه الكوى نافق أي خرج من النافقاء، وإن طلب من النافقاء خرج من القاصعاء، وظاهر بيته تراب وباطنه حفر، وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر.

قال الجاحظ وغيره: واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان، ولكن الباري جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل من نافقاء اليربوع، لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورى بشيء عن شيء، ودخل في باب الخديعة، وأوهم الغير خلاف ما هو عليه، أشبه في ذلك فعل اليربوع انتهى.

وفي طبعه، أنه يطأ في الأرض اللينة، حتى لا يعرف أثر وطئه كما يفعل الأرنب، وهو يجتر ويبعر، وله كرش وأسنان وأضراس، في الفك الأعلى والأسفل، قال الجاحظ والقزويني: اليربوع من نوع الفأر. زاد القزويني: هو من الحيوان الذي له رئيس مطاع ينقاد إليه، وإذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف، أو على صخرة ينظر إلى الطريق، من كل ناحية، فإن رأى ما يخافه عليها صر بأسنانه وصوت، فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها، فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئاً، اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره. وهي إذا خرجت لطلب المعاش، خرج الرئيس أولاً يتشوف، فإن لم ير شيئاً يخافه، صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج. والواو والياء في اليربوع زائدتان، فكان ينبغي أن يكتب في باب الراء المهملة، لكنه قد يخفى على بعض الناس فكتب هنا.

الحكم: يحل أكله لأن العرب تستطيبه وتحله، قال عطاء وأحمد وابن المنذر وأبو ثور وقال أبو حنيفة: لا يؤكل لأنه من الحشرات، دليلنا أن الصحابة رضي الله عنهم أوجبوا فيه جفرة إذا قتله أو أصابه المحرم، وأن الأصل الإباحة إلا ما خص بالتحريم.

الأمثال: قالوا: «أضل من ولد اليربوع»[1] وقالوا: «كالمشتري القاصعاء باليربوع» يضرب للذي يدع العين ويتبع الأثر، لأن القاصعاء جحر اليربوع الذي يقصع فيه أي يدخل والجمع قواصع.

الخواص: دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذي ينبت في الجفن، بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى.

التعبير: اليربوع في الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب، فمن نازعه نازع إنساناً كذلك.

اليرقان: هو دود يكون في الزرع ثم ينسلخ، فيكون فراشاً، يقال: زرع ميروق قاله ابن سيده.

اليسف: الذباب، وقد تقدم في باب الذال المعجمة مستوفى.

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/ ١٠.

اليعر: بفتح الياء المثناة تحت، وبالعين المهملة الجدي يشد عند زبية الأسد، وعند مأوى الذئب ويغطي رأسه، فإذا سمع الضبع صوته جاء في طلبه فوقع في الزبية، ومنه قولهم: «فلان أذل من اليعر»(١)، واليعر أيضاً دابة تكون بخراسان تسمن على الكد، وقيل: هي بالغين المعجمة.

قالوا في أمثالهم: «أسمن من يغر»(٢). ذكره حمزة وغيره.

اليعفور: الخشف وولد البقرة الوحشية أيضاً، وقال بعضهم: اليعافير تيوس الظباء، قال بشر بن أبي حازم:

وبلدةٍ ليس بها أنيس ... إلا اليعافيرُ وإلا العيسْ

وفي حديث سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ، خرج على حماره يعفور ليعوده. قيل: سمي يعفور للونه، وهي العفرة، كما قيل في أخضر يخضور، وقيل: سمي به تشبيهاً في عدوه باليعفور وهو الظبي والله تعالى أعلم.

اليعقوب: ذكر الحجل قال الجواليقي: وهو عربي صحيح، وأما يعقوب اسم نبي الله ﷺ فهو أعجمي كيوسف ويونس واليسع. وقال الجوهري: يعقوب اسم رجل لا ينصرف في المعرفة للعجمة والتعريف، واليعقوب ذكر الحجل مصروف، لأنه عربي لم يغير، وإن كان مزيداً في أوله فليس على وزن الفعل، ويوصف اليعقوب بكثرة العدو وشدته قال الشاعر:

عاد يقصّر دونه اليعقوبُ

والجمع اليعاقيب، قال الشاعر:

أودى الشبابُ الذي مجدُ عواقبه ... فيه نلذ ولا لذات للشيبِ

ويروى أيضاً:

أودى الشبابُ حَميداً ذو التعاجيبِ ... أودى وذلك شأو غير مطلوب
ولّى حثيثا وهذا الشيبُ يطلبه ... لو كان يدركه ركضُ اليعاقيبِ

يروى ركض بالرفع والنصب، فمن رفعه جعله فاعل يدركه، وأراد به أن هذا الطائر، على سرعة طيرانه لا يدرك الشباب إذا ولى، فكيف يدركه غيره؟ ومن نصبه نصبه بفعل مضمر تقديره ولى يركض ركض اليعاقيب، وجعله من جملة صفة الشباب، وجعل فاعل يدركه ضمير الشيب المستتر فيه، ويصير في البيت تقديم وتأخير، وتقديره: ولى الشباب حثيثاً يركض ركض اليعاقيب، وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه، والمراد باليعاقيب: ذكور القبج، وقال بعضهم: إنه هنا العقاب، والمشهور الأول. واليعقوب والقبج والحجل راجع إلى نوع واحد، ووصفه أبو علي بن رشيق(٣)

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٨١. (٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٨.

(٣) ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي أديب ناقد. مات سنة ٤٦٣ هـ.

بأبيات منها:

مـا أغـربـتْ في زيهـا إلا يـعـاقـيـبُ الحـجـل
جـاءتـك مـثـقـلة الـترا ئـب بـالحـلى وبـالحـللْ
صـفـرُ الـعـيـونِ كـأنها بـاتـتْ بـتـبر تـكـتـحـل
وتخـالُهـا قـد وكـلت بـالـنـوت والـصـوت الـزجِـل
وكـأنمـا بـاتـت أصـا بـعـهـا بـحـنـاء تُـعـل
مـن يـسـتـحـل لـصـيـدِهـا فـأنـا امـرؤٌ لا أسـتـحـل

ومن حكمه: أنه يجب الجزاء بقتل المتولد بين اليعقوب والدجاج، قاله الرافعي، في الحج. وهذا يرد قول من قال: إن المراد في البيتين الأولين هو العقاب، فإن التناسل لا يقع بين الدجاج والعقاب، وإنما يقع التناسل بين حيوانين بينهما تشاكل وتقارب في الخلق كالحمار الوحشي والأهلي، والظبي والشاة، فإذا عرف هذا فالمراد الدجاج البري، وهو في الشكل واللون قريب من الدجاج الإنسي.

اليعملة: الناقة النجيبة المطبوعة على العمل، والجمع يعملات، ومنه قول عبد الله بن رواحة لزيد بن أرقم[1] رضي الله تعالى عنهما:

يـا زيـد زيـد اليعملاتِ الـذبـل تـطاولَ الليلُ هُـديتَ فـانـزل[2]

وقيل: بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه.

اليمام: قال الأصمعي: هو الحمام الوحشي، الواحدة يمامة، وقال الكسائي: هي التي تألف البيوت، واليمامة اسم جارية زرقاء، كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، قال الجاحظ: إنها كانت من بنات لقمان بن عاد، وأن اسمها عنز، وكانت هي زرقاء، وكانت الزباء زرقاء، وكانت البسوس زرقاء، وهي أول من اكتحل بالإثمد من العرب وهي التي ذكرها النابغة في قوله[3]:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرتْ إلى حمام شراع واردِ الـثـمـدِ

وقد تقدم في حرف الحاء.

فائدة: قال في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار: النساء اللاتي يُضرب بهن المثل خمسٌ وهي: زرقاء اليمامة والبسوس ودغة وظلمة وأم قرفة. أما الزرقاء فيقال[4]: «أبصر من زرقاء اليمامة»، وهي امرأة من بني نمير، كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في الليل، وتنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تنذر قومها بالجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له، فاحتال عليها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجراً وأمسكوها بأيديهم، أمام معسكره فنظرت

---

(١) عبدالله بن رواحة وزيد بن أرقم: صحابيان.
(٢) اليعملات: جمع اليعملة: الناقة النشيطة.
(٣) ديوان النابغة ٢٦.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/١٩٦.

الزرقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبلت إليكم! فقال لها قومها: قد خرفت، وذهب عقلك، ورق بصرك، كيف تأتي الشجر؟ قالت: هو ما أقول لكم. فكذبوها فصبحتهم الخيل، وأغاروا عليهم، وقتلوا الزرقاء، وقوروا عينيها، فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما تكتحل به.

وأما البسوس فيقال: «أشأم من البسوس»(١)، وهي خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التي يقال لها حرب البسوس.

وأما دغة فيقال: «أحمق من دغة»(٢) وهي امرأة من بني عجل تزوجت من بني العنبر.

وأما ظلمة فيقال: «أزنى من ظلمة» وهي امرأة من هذيل زنت أربعين سنة، وقادت أربعين عاماً، فلما عجزت عن الزنا والقيادة، اتخذت تيساً وعنزاً، فكانت تنزي التيس على العنزة، فقيل لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: لأسمع أنفاس الجماع بينهما.

وأما أم قرفة، فيقال: «أمنع من أم قرفة»(٣)، وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري، وكانت تعلق في بيتها خمسين سيفاً، كل سيف منها لذي محرم لها.

وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال: مفاتيح أبواب الفتن ومخازن الحزن، إن أحسنت المرأة إليك منت عليك، تفشي سرك وتهمل أمرك، وتميل إلى غيرك. وقيل: النساء ريحان بالليل شوك بالنهار. وقيل لبعض الحكماء: مات عدوك! فقال: وددت أنكم قلتم تزوج. وقيل: العجز في ثلاث خصال: قلة اكتراثه في مصلحته، وقلة مخالفته لشهوته، وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه. وقال بعض الحكماء: لا تأمنن قارئاً على صحيفة، ولا شاباً على امرأة. وقال غيره: لا مصيبة أعظم من الجهل، ولا شر أشر من النساء انتهى.

الحكم: يحل أكل اليمام وبيضه بالاتفاق، وقد تقدم في باب الحاء المهملة في الحمام.

الأمثال: قالوا: «كن مع الناس يمامة» يعني ارفق بهم ولا تنفرهم. وخواصه وتعبيره كالحمام.

اليهودي: حوت في البحر، وقد تقدم الكلام عليه في باب الشين المعجمة.

اليَوَصي: بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة، طائر بالعراق أطول جناحاً من الباشق، وأخبث صيداً وهو الحر.

وحكمه: الحرمة كما تقدم، في باب الحاء المهملة.

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٥٤. (٢) جمهرة الأمثال: ١/٣١٣.

(٣) مجمع الأمثال: ٢/٣٢٣. وأم قرفة هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، قُتلت سنة ٦ هـ، لها خبر في تاريخ الطبري ٢/٦٤٣.

اليعسوب: اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة، له أربعة أجنحة لا يقبض له جناحاً أبداً ولا يُرى أبداً يمشي إنما يرى واقفاً على رأس عود، أو طائراً وقال الجوهري: هو أطول من الجرادة لا يضم جناحه، إذا وقع شبهت به الخيل المضمرة قال بشير:

أبو ظبيةٍ شعث تطيفُ بشخصه ... كوالحُ أمثالُ اليعاسيبِ ضمرا

ثم قال: والياء فيه زائدة، لأنه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق.

وذكر ابن خلكان، في ترجمة[1] الحسن بن عبد الله العسكري، قال: مرض صخر بن عمرو بن الشريد، وطال مرضه وكانت أمه وزوجته سليمى يمرضانه فسئلت زوجته يوماً عن حاله، وكانت قد ضجرت منه، فقالت: لا هو حي فيرجى ولا ميت فيبكى، فسمعها صخر فأنشد[2] قائلاً:

أرى أمّ صخرٍ لا تملُّ عيادتي ... وملتْ سليمى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازةً ... عليك ومن يغترُّ بالحِدثان
لعمري لقد نبهتِ مَن كان نائماً ... وأسمعتِ من كانت له أذنان
وأي امرىءٍ ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاشَ إلا في شقا وهوانِ
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أستطيعه ... وقد حيلَ بين العيرِ والنزوانِ
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها ... معرسُ يعسوبٍ برأسِ سنانِ

وفي حديث مصعب: «لولا ظمأ الهواجر ما باليت أن أكون يعسوباً». قال ابن الأثير: المراد ههنا فراشة مخضرة تطير في الربيع، وقيل: وهو طائر أعظم من الجرادة، ولو قيل: إنه النحل لجاز، واليعسوب اسم فرس للنبي ﷺ وأخرى للزبير رضي الله تعالى عنه، وقيل: إنها إحدى الأفراس الثلاثة التي كانت للمسلمين يوم بدر على اختلاف فيه. واليعسوب يطلق على الغرة المستطيلة في وجه الفرس، وعلى دائرة عند مربض الفرس، وعلى ضرب من الحجلان، حكاه الدمياطي، في كتاب الخيل. والمِربض بكسر الميم وبالضاد المعجمة مكان الفرس.

وفي الحديث[3]: «صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل». والمرابض المبارك، وربض الأسد أي رقد. وقال الجاحظ: اليعاسب هي كبار الذباب انتهى.

واليعسوب ملك النحل وأميرها الذي لا يتم لها رواح ولا إياب ولا عمل ولا مرعى إلا به، فهي مؤتمرة بأمره سامعة له مطيعة، وله عليها تكليف وأمر ونهي وهي منقادة لأمره، متبعة لرأيه، يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته، حتى إنها إذا أوت إلى بيوتها، وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم أخرى، ولا تتقدم عليها، في العبور بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة بعد واحدة بغير تزاحم ولا تصادم، ولا تراكم كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/٨٤.
(٢) وفيات الأعيان: ٢/٨٤.
(٣) رواه ابن ماجه: طهارة ٦٧. ابن حنبل: ٢/٤٥١.

واحد بعد واحد. وأعجب من ذلك أن أميرين منها، لا يجتمعان في بيت، ولا يتأمران على جمع واحد، بل إذا اجتمع منها جندان وأميران قتلوا أحد الأميرين وقطعوه واتفقوا على الأمير الواحد من غير معاداة منهم، ولا أذى من بعضهم لبعض، بل يصيرون يداً واحدة.

روى ابن السني، في عمل اليوم والليلة، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه،عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد، تداعت جنود إبليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها، فإذا قام أحدكم على باب المسجد، فليقل: اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده، فإنه إذا قالها لم تضره».

ومن لفظ اليعسوب، قيل للسيد يعسوب قومه. وقال علي رضي الله تعالى عنه، لما رأى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد مقتولاً، يوم الجمل: هذا يعسوب قريش، ثم قال: جدعت أنفي وشفيت نفسي. وكان عبد الرحمن يقاتل ذلك اليوم ويقول:

أنا ابن عتابٍ بسيفٍ ولول والموتُ دنُ الجملِ المجلل

وقاتل قتالاً شديداً في ذلك اليوم، وقطعت يده يومئذٍ، وكان فيها خاتم، فاختطفها نسر فطرحها باليمامة، فعرفت بخاتمه فصلوا عليه. وبالجملة، فقد اتفقوا على أن يده احتملها طائر في وقعة الجمل، فألقاها بالحجاز، فصلوا عليها ودفنوها.

واختلفوا في الطائر ما هو وفي أي مكان ألقاها؟ فقيل: حملها نسر وألقاها باليمامة في ذلك اليوم كما تقدم. وقال ابن قتيبة: حملتها عقاب، فألقتها في ذلك اليوم باليمامة. وقال الحافظ أبو موسى وغيره: ألقاها بالمدينة. وقال الشيخ، في شرح المهذب: ألقاها بمكة.

وفي صحيح[1] مسلم، من حديث النواس بن سمعان الطويل، أن الدجال تتبعه كنوز الأرض، كيعاسيب النحل أي تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعسوبها.

ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، على باب البيت الذي هو مسجى فيه، فقال: كنت والله يعسوباً للمؤمنين، وكنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف. فمثله علي كرم الله وجهه باليعسوب في سبقه للإسلام غيره، لأن اليعسوب يتقدم النحل إذا طارت فتتبعه، والعواصف الريح المهلكة في البر، والقواصف الريح المهلكة في البحر. قال[2] الله تعالى: ﴿ولسليمانَ الريحُ عاصفة﴾ وقال[3] الله تعالى: ﴿فيرسلَ عليكم قاصفاً من الريح فيغرقَكم بما كفرتم﴾.

وفي كامل ابن عدي، في ترجمة عبد الله بن واقد الواقفي، وفي ترجمة عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله تعالى عنه: «أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار». وفي رواية: يعسوب الظلمة وفي رواية: يعسوب

---

(١) رواه مسلم: فتن ١١٠. والترمذي فتن ٥٩.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٨١.

(٣) سورة الإسراء: آية ٦٩.

المنافقين، أي يلوذ بك المؤمنون، ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها. ومن هنا قيل لأمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أمير النحل.

وهذا ما انتهى إليه الغرض، مما يحصل به في هذا الشأن الاكتفاء، وختم بملك النحل الذي استخرج الله من لعابه الشمع والعسل، وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء وابتدىء بملك الوحش الذي منه الشجاعة تقتفى. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى، ورضي الله عن آله وعترته وصحبه أهل الفضل والوفا، وحسبنا الله وكفى.

قال مؤلفه، فقير رحمة الله تعالى: وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جعل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً للفوز في دار النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثبت المراجع والمصادر

الأذكياء	ابن الجوزي	مكتبة الغوالي	
الأعلام	الزركلي	دار العلم للملايين	بيروت ط ١٩٨٦/٧
الأدب في العصر المملوكي	محمد زغلول سلام	دار المعارف بمصر	لا ط
بدائع الزهور	ابن إياس الحنفي	الهيئة المصرية العامة	لا ط
جمهرة الأمثال	أبو هلال العسكري	دار الكتب العلمية	بيروت ط ١٩٨٨/١
الحيوان	الجاحظ	نسخة مصورة عن الطبعة المصرية	
ديوان الأعشى الأكبر			
ديوان امرىء القيس		دار صادر	بيروت
ديوان أبي نواس		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان أبي تمّام		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان أبي العتاهية		دار صادر	بيروت
ديوان جرير		دار المعارف بمصر	القاهرة
ديوان جرير		دار صادر	بيروت
ديوان جميل بثينة		دار الآفاق الجديدة	بيروت
ديوان حسان بن ثابت			
ديوان الخرنق بنت هفان		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان ذي الرمة		دار الحياة	بيروت لا ط
ديوان ذي الرمة		المكتب الإسلامي	بيروت لا ط
ديوان سلامة بن جندل		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان الإمام الشافعي		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان طرفة بن العبد		دار صادر	بيروت
ديوان الإمام علي		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان عنترة بن شداد		دار صادر	بيروت

ديوان عدي بن الرقاع		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان عباس بن مرداس		دار الرسالة	بيروت
ديوان الفرزدق		دار الكتب العلمية	بيروت
ديوان لبيد بن ربيعة		دار صادر	بيروت
ديوان المعلقات السبع	شرح الزوزني	دار صادر	بيروت لا ط
ديوان المتنبي	شرح العكبري	دار المعرفة	بيروت لا ط
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	دار الكتب العلمية	بيروت ط ٢/١٩٨٥
الضوء اللامع	شمس الدين السخاوي	دار الحياة	بيروت لا ط
طبقات فحول الشعراء	ابن سلام	دار الكتب العلمية	بيروت ط ٢/١٩٨٨
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين	تقي الدين الفاسي	الرسالة	بيروت ط ٢/١٩٨٦
عيون الأخبار	ابن قتيبة	دار الكتب العلمية	بيروت
فوات الوفيات	محمد بن شاكر الكتبي	دار صادر	بيروت
القاموس المحيط	الفيروز آبادي		
الكامل في ضعفاء الرجال	ابن عدي	دار الفكر	بيروت ١٩٨٤
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي			
مجمع الأمثال	الميداني	دار القلم	بيروت
المستقصى في الأمثال	الزمخشري	دار الكتب العلمية	بيروت
مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني	بكري شيخ أمين	دار الآفاق الجديدة	بيروت ط ٣/١٩٨٠
مجمل اللغة	أحمد بن فارس	دار الرسالة	بيروت ط ٢/١٩٨٦
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	دار الكتب العلمية	بيروت ١/١٩٩١
معجم البلدان	ياقوت الحموي	دار صادر	بيروت
وفيات الأعيان	ابن خلكان	دار صادر	بيروت ١٩٧٧

فهرس الجزء الثاني
من
حياة الحيوان الكبرى

الفهرس

باب الزاي

الزاغ ٣
الزاقي ٥
الزامور ٦
الزبابة ٦
الزبزب ٧
الزخارف ٧
الزرزور ٧
الزرق ٨
الزرافة ٨
الزرياب ١٠
الزغبة ١٠
الزغلول ١٠
الزغيم ١١
الزلال ١١
الزقة ١١
الزُّماج ١٢
الزُّمَّج ١٢
زمج الماء ١٣
الزنبور ١٣
الزنديبل ١٥
الزهدم ١٥
أبو زريق ١٥
أبو زيدان ١٥
أبو زياد ١٥

باب السين المهملة

سابوط ١٥
ساق حر ١٦
السالخ ١٦
سامّ أبرص ١٦
السانح ١٧
السُّبد ١٧
السَّبع ١٧
السبنتي والسبندي ٢٣
السبيطر ٢٣
السحلة ٢٣
السحيلة ٢٣
السحا ٢٣
سحنون ٢٤
السخلة ٢٤
السِّرحان ٢٦
السرطان ٢٧
السُّرعوب ٢٨
السرفوت ٢٨
السُّرفة ٢٨
السرمان ٢٨
السروة ٢٨
السرماح ٢٩
السعدانة ٢٩
السعلاة ٢٩
السفنج ٣٢

السقب ٣٢
السقر ٣٢
السقنقور ٣٢
السلحفاة البرية ٣٣
السلحفاة البحرية ٣٤
السِّلفان ٣٥
السلق ٣٥
السلك ٣٥
السلكوت ٣٥
السلوى ٣٥
السماني ٣٦
السمحج ٣٧
السِّمح ٣٧
السمائم ٣٨
السمسم ٣٩
السمسمة ٣٩
السمك ٣٩
السمندل ٤٥
السمُّور ٤٦
السميطر ٤٧
السمندر والسميدر ٤٧
السنجاب ٤٧
السنداوة ٤٨
السنة ٤٨
السندل ٤٨
السِّنَّور ٤٨
السنونو ٥١
السودانية والسوادية ٥٢
السوذنيق ٥٢
السوس ٥٢
السِّيد ٥٤
السِّيدة ٥٤
سيفنة ٥٥
أبو سيراس ٥٥

باب الشين المعجمة

الشادن ٥٥
شادهوار ٥٥
الشارف ٥٥
الشاة ٥٦
الشامرك ٦٥
الشاهين ٦٦
الشبب ٦٧
الشبث ٦٧
الشبثان ٦٧
الشبدع ٦٧
الشبربص ٦٨
الشبل ٦٨
الشبوة ٦٨
الشِّبّوط ٦٨
الشِّجاع ٦٨
الشحرور ٦٩
شحمة الأرض ٧٠
الشذا ٧٠
الشران ٧٠
الشرشق ٧٠
الشرشور ٧٠
الشرغ ٧٠
الشرنبي ٧٠
الشصر ٧٠
الشعراء ٧١
الشغواء ٧٣
الشفدع ٧٣
الشفنين ٧٣
الشق ٧٣
الشقحطب ٧٦
الشقدان ٧٦
الشقراق ٧٦

الشمسية ٧٧
الشنقب ٧٧
شه ٧٧
الشهام ٧٧
الشهرمان ٧٧
الشوحة ٧٧
الشوف ٧٧
الشوشب ٧٧
الشوط ٧٧
شوط براح ٧٧
الشول ٧٧
شولة ٧٧
الشيخ اليهودي ٧٨
الشيذمان ٧٨
الشيصبان ٧٨
الشيع ٧٨
الشيم ٧٨
الشيهم ٧٨
أبو شبقونة ٧٩

باب الصاد المهملة

الصؤابة ٧٩
الصارخ ٨٠
الصافر ٨٠
الصدف ٨٠
الصدى ٨١
الصُّرَّاخ ٨٣
صرّار الليل ٨٣
الصُّرَّاح ٨٣
الصُّرد ٨٣
الصرصر ٨٦
الصرصران ٨٧
الصعب ٨٧
الصُّعوة ٨٧
الصُّفَّارية ٨٨
الصفر ٨٨
الصفرد ٨٩
الصقر ٨٩
الصل ٩٦
الصلب ٩٦
الصلنباج ٩٦
الصلصل ٩٦
الصناجة ٩٦
الصوار ٩٧
الصومعة ٩٧
الصيبان ٩٧
الصيد ٩٧
الصيدح ١٠٤
الصيدن ١٠٤
الصيدناني ١٠٤
الصير ١٠٤

باب الضاد المعجمة

الضأن ١٠٥
الضوضؤ ١٠٧
الضب ١٠٧
الضبع ١١١
أبو ضبة ١١٥
الضرغام ١١٥
الضريس ١١٦
الضغبوس ١١٧
الضفدع ١١٧
الضوع ١٢٠
الضيب ١٢١
الضئيلة ١٢١
الضيّون ١٢١

باب الطاء المهملة

طامر بن طامر ١٢١
الطاوس ١٢١
الطائر ١٢٦
الطبطاب ١٣٠
الطبوع ١٣٠
الطثرج ١٣٠
الطحن ١٣٠
الطرسوح ١٣١
طرغلودس ١٣١
الطرف ١٣١
الطغام ١٣١
الطفل ١٣١
ذو الطيفتين ١٣١
الطلع ١٣٢
الطيلا ١٣٢
الطلى ١٣٢
الطمروق ١٣٢
الطمل ١٣٢
الطنبور ١٣٢
الطوراني ١٣٣
الطوبالة ١٣٣
الطول ١٣٣
الطوطي ١٣٣
الطير ١٣٣
طير العراقيب ١٣٨
طير الماء ١٣٨
الطيطوي ١٣٩
الطيهوج ١٤٠
بنت طبق وأم طبق ١٤٠

باب الظاء المعجمة

الظبي ١٤٠
الظربان ١٤٧
الظليم ١٤٨

باب العين المهملة

العاتق ١٤٩
العاتك ١٥٠
عتاق الطير ١٥٠
العاضة والعاضهة ١٥٠
العاسل ١٥٠
العاطوس ١٥٠
العافية ١٥٠
العائذ ١٥١
العبقص والعبقوص ١٥١
العبور ١٥١
العترفان ١٥١
العتود ١٥١
العثة ١٥٢
العثمثمة ١٥٢
العثمان ١٥٢
العثوثج ١٥٢
العجروف ١٥٢
العجل ١٥٢
العجمجمة ١٥٧
أم عجلان ١٥٧
العجوز ١٥٧
عدس ١٥٧
العذفوط ١٥٨
العربج ١٥٨
العريض ١٥٨
العسجدية ١٥٨
العربد ١٥٨
العربض والعرباض ١٥٨
العرس ١٥٨
العريقطة والعريقطان ١٥٨

العزة ١٥٨
العسا ١٥٨
العساعس ١٥٨
العساس ١٥٨
العساهيل ١٥٨
العسبار ١٥٨
العسبور ١٥٨
العسلق ١٥٩
العسنج ١٥٩
العشراء ١٥٩
العصاري ١٥٩
العصفور ١٦٠
العضل ١٦٦
العرفوط ١٦٦
العريقطة ١٦٦
العضمجة ١٦٧
العضرفوط ١٦٧
عطار ١٦٧
الغطاط ١٦٧
العطرف ١٦٧
العظاءة ١٦٧
العفر ١٦٨
العفريت ١٦٨
العفر ١٧٢
العقاب ١٧٢
العقد ١٨٥
العقال ١٨٥
العقرب ١٨٥
العقربان ٢٠٢
العقف ٢٠٢
العقعق ٢٠٢
العقيب ٢٠٣
العكاش ٢٠٣
العكرشة ٢٠٣
العكرمة ٢٠٣
العلج ٢٠٤
العل ٢٠٤
العلجوم ٢٠٤
العلام ٢٠٤
العلوش ٢٠٤
العلهان ٢٠٤
العلس ٢٠٤
العلامات ٢٠٤
العلهز ٢٠٥
العلعل ٢٠٥
العلق ٢٠٥
العلهب ٢١٠
الغمروس ٢١٠
العملس ٢١٠
العميثل ٢١٠
العناق ٢١١
عناق الأرض ٢١٣
العنبس ٢١٤
العنس ٢١٤
العنبر ٢١٤
العنتر ٢١٦
العندليب ٢١٦
العندل ٢١٧
العنز ٢١٧
العنظب ٢٢١
العنظوانة ٢٢١
عنقاء مغرب ومغربة ٢٢١
العنكبوت ٢٢٤
العود ٢٢٨
العواساء ٢٢٨
العوس ٢٢٨
العومة ٢٢٨
العوهق ٢٢٨

العلا ٢٢٨
العلام ٢٢٨
العيثوم ٢٢٨
العير ٢٢٨
العِير ٢٣١
عين السراة ٢٣١
العيس ٢٣٢
العيساء ٢٣٢
العيلام ٢٣٢
العيثوم ٢٣٢
العين ٢٣٢
العيهل ٢٣٢
عيجلوف ٢٣٢
ابن عرس ٢٣٢
أم عجلان ٢٣٤
أم عويف ٢٣٤
أم العيزار ٢٣٤

باب الغين المعجمة

الغاق ٢٣٤
الغداف ٢٣٥
الغذي ٢٣٥
الغراب ٢٣٥
الغر ٢٤٧
الغرنيق ٢٤٧
الغِرغر ٢٥٠
الغِرناق ٢٥١
الغزال ٢٥١
الغضارة ٢٥٤
الغضب ٢٥٤
الغضف ٢٥٤
الغضوف ٢٥٤
الغضيض ٢٥٤
الغطرب ٢٥٤
الغطريف ٢٥٤
الغطلس ٢٥٤
الغطاطا ٢٥٤
الغفر ٢٥٤
الغماسة ٢٥٤
الغنافر ٢٥٤
الغنم ٢٥٥
الغواص ٢٦٢
الغوغاء ٢٦٣
الغول ٢٦٣
الغيداق ٢٦٧
الغيطلة ٢٦٧
الغيلم ٢٦٧
الغيهب ٢٦٧

باب الفاء

الفاختة ٢٦٧
الفأر ٢٧٠
فأرة البيش ٢٧٢
ذات النطاق ٢٧٢
فأرة المسك ٢٧٢
فأرة الإبل ٢٧٢
وإما الفأرة التي خربت سد مأرب ... ٢٧٣
الفادر ٢٧٥
الفازر ٢٧٥
الفاشية ٢٧٥
الفاعوس ٢٧٥
الفاطوس ٢٧٥
الفالج ٢٧٦
فالية الأفاعي ٢٧٦
فتّاح ٢٧٦
الفتح ٢٧٦

الفحل ٢٧٦
الفدس ٢٨٠
الفرأ ٢٨٠
الفراش ٢٨٠
الفرافصة ٢٨٢
الفرخ ٢٨٢
الفرس ٢٨٥
فرس البحر ٣٠٠
الفرش ٣٠١
الفرانق ٣٠٢
الفرفر ٣٠٢
الفرفور ٣٠٢
الفرع ٣٠٢
الفرعل ٣٠٣
الفرقد ٣٠٣
الفرنب ٣٠٣
الفرهود ٣٠٣
الفروج ٣٠٣
الفرير والفرار ٣٠٤
فساغس ٣٠٤
الفصيل ٣٠٤
الفلحس ٣٠٥
الفلو ٣٠٥
الفناة ٣٠٥
الفنك ٣٠٥
الفهد ٣٠٦
الفور ٣٠٨
الفولع ٣٠٨
الفيصور ٣٠٩
الفويسقة ٣٠٩
الفياد ٣٠٩
الفيل ٣٠٩
الفينة ٣٢٣
أبو فراس ٣٢٣

باب القاف

القادحة ٣٢٣
القارة ٣٢٣
القارية ٣٢٣
القاق ٣٢٤
القاقم ٣٢٤
القاوند ٣٢٤
القبج ٣٢٤
القبرة ٣٢٥
القبعة ٣٢٨
القبيط ٣٢٨
القتع ٣٢٩
ابن قترة ٣٢٩
القدان ٣٢٩
القراد ٣٢٩
القردوح ٣٣٥
القرش ٣٣٥
القرقس ٣٣٧
القرشام والقرشوم والقراشم ٣٣٧
القرعبلانة ٣٣٧
القرعوش ٣٣٧
القرقف ٣٣٧
القرقفنة ٣٣٧
القرلي ٣٣٨
القرمل ٣٣٨
القرميد ٣٣٨
القرمود ٣٣٨
القرنبى ٣٣٨
القرهب ٣٣٩
القرهب ٣٣٩
القذر ٣٣٩
القرم ٣٣٩
القرة ٣٤٠
القسورة ٣٤٠

القشعمان ٣٤١
القشبة ٣٤١
القصيري ٣٤١
القط ٣٤١
القطا ٣٤٢
القطّا ٣٤٨
القطامي ٣٤٨
قطرب ٣٤٨
القشعبان ٣٤٩
القعود ٣٤٩
القعيد ٣٤٩
القعقع ٣٤٩
القلو ٣٤٩
القلقاني ٣٤٩
القلوص ٣٤٩
القليب ٣٥١
القمري ٣٥١
القمعة ٣٥٣
القمعوط والقمعوطة ٣٥٣
القمل ٣٥٣
القمقام ٣٥٩
قندر ٣٥٩
القندس ٣٦٠
القنعاب ٣٦٠
القنفذ ٣٦٠
القنفذ البحري ٣٦٢
القنفشة ٣٦٢
القهبى ٣٦٢
القهيبة ٣٦٣
القوافر ٣٦٣
القواع ٣٦٣
القوب ٣٦٣
قوبع ٣٦٣
القوثع ٣٦٣
القوق ٣٦٣
قوقيس ٣٦٣
قوقي ٣٦٣
قيد الأوابد ٣٦٣
قيق ٣٦٣
أم قشعم ٣٦٤
أبو قير ٣٦٤
أم قيس ٣٦٤

باب الكاف

الكاسر ٣٦٤
كاسر العظام ٣٦٤
الكبش ٣٦٤
الكبعة ٣٧٠
الكتفان ٣٧٠
الكتع ٣٧٠
الكدر ٣٧٠
الكركر ٣٧٠
الكركند ٣٧٠
الكركي ٣٧١
الكروان ٣٧٥
الكسعوم ٣٧٦
الكعيت ٣٧٦
الككم ٣٧٧
الكلب ٣٧٧
الكلثوم ٤٢٤
الكلكسة ٤٢٤
الكميت ٤٢٤
الكندارة ٤٢٤
الكنعبة ٤٢٤
الكعند والكعند ٤٢٤
الكندش ٤٢٤
الكهف ٤٢٤

الكودن ٤٢٤
الكوسج ٤٢٥
الكهول ٤٢٥

باب اللام

لأي ٤٢٥
اللباد ٤٢٥
اللبؤة ٤٢٦
اللجأ ٤٢٩
اللحكاء ٤٢٩
اللخم ٤٣٠
اللعوس ٤٣٠
اللعوة ٤٣٠
اللقحة ٤٣٠
اللقاط ٤٣٢
اللقلق ٤٣٣
اللهق ٤٣٤
اللهم ٤٣٤
اللوب والنوب ٤٣٤
اللوشب ٤٣٤
اللياء ٤٣٤
الليث ٤٣٤
الليل ٤٣٧

باب الميم

مارية ٤٣٧
المازور ٤٣٧
الماشية ٤٣٧
مالك الحزين ٤٣٨
المجثمة ٤٣٩
المثا ٤٣٩
المربع ٤٣٩
المرء ٤٣٩
المرزم ٤٣٩
المرعة ٤٣٩
مسهر ٤٣٩
المطية ٤٤٠
المعراج ٤٤٤
المعز ٤٤٤
ابن مقرض ٤٤٤
المقوقس ٤٤٥
المكاء ٤٤٦
المكلفة ٤٤٧
الملكة ٤٤٧
المنارة ٤٤٧
المنخنقة ٤٤٧
المنشار ٤٤٨
الموقوذة ٤٤٨
الموق ٤٤٨
المول ٤٤٩
المها ٤٤٩
المهر ٤٥٠
ملاعب ظله ٤٥١
أبو مزينة ٤٥١
ابنة المطر ٤٥١
أبو المليح ٤٥١
ابن ماء ٤٥٢

باب النون

الناب ٤٥٢
الناس ٤٥٢
الناضح ٤٥٢
الناقة ٤٥٣
الناموس ٤٦٠
الناهض ٤٦١
النباج ٤٦١

النبر ٤٦١
النجيب ٤٦١
النحام ٤٦٢
النحل ٤٦٣
النحوص ٤٧٤
النسر ٤٧٤
النساف ٤٧٩
النسناس ٤٧٩
النسنوس ٤٨١
النضو ٤٨١
النعاب ٤٨٢
النعام ٤٨٣
النعثل ٤٨٨
النعجة ٤٨٨
النعبول ٤٩٠
النعرة ٤٩٠
النعم ٤٩٠
النغر ٤٩٢
النغض ٤٩٤
النغف ٤٩٤
النفار ٤٩٤
النقاز ٤٩٤
النقاقة ٤٩٤
النقد ٤٩٤
النكل ٤٩٥
النمر ٤٩٥
النمس ٤٩٧
النمل ٤٩٧
النهار ٥٠٤
النهاس ٥٠٤
النهس ٥٠٤
النهام ٥٠٥
النهشل ٥٠٥
النهسر ٥٠٥
النواح ٥٠٥
النوب ٥٠٥
النورس ٥٠٥
النوص ٥٠٥
النون ٥٠٥

باب الهاء

الهالع ٥٠٩
الهامة ٥٠٩
الهبع ٥١٣
الهبلع ٥١٣
الهجاة ٥١٣
الهجرس ٥١٣
الهجرع ٥١٤
الهجين ٥١٤
الهدهد ٥١٤
الهدي ٥١٩
الهديل ٥٢٠
الهرماس ٥٢٠
الهر ٥٢٠
الهرنصانة ٥٢٨
هرثمة ٥٢٨
الهرهير ٥٢٨
الهرزون والهرزان ٥٢٨
الهزار ٥٢٨
الهزبر ٥٢٨
الهرعة ٥٢٩
الهف ٥٢٩
الهقل ٥٢٩
الهقلس ٥٣٠
الهمج ٥٣٠
الهمع ٥٣٠
الهمل ٥٣٠

الهملع ٥٣٠
الهمم ٥٣١
الهنبر ٥٣١
الهودع ٥٣١
الهوذة ٥٣١
الهوزن ٥٣١
الهلابع ٥٣٢
الهلال ٥٣٢
الهيثم ٥٣٢
الهيجمانة ٥٣٢
الهيطل ٥٣٢
الهيعرة ٥٣٢
الهيق ٥٣٢
الهيكل ٥٣٢
أبو هارون ٥٣٢

باب الواو

الوازع ٥٣٢
الواق واق ٥٣٢
الواقي ٥٣٢
الوبر ٥٣٣
الوج ٥٣٤
الوحدة ٥٣٤
الوحش ٥٣٥
الودع ٥٣٧
الورء ٥٣٧
الورد ٥٣٧
الورداني ٥٣٨
الورشان ٥٣٨
الورقاء ٥٣٩
الورل ٥٤١
الوزغة ٥٤٤
الوصع ٥٤٨
الوطواط ٥٤٨
الوعوع ٥٤٩
الوعل ٥٤٩
الوقواق ٥٥٢
بنات وردان ٥٥٢

باب الياء

يأجوج ومأجوج ٥٥٣
اليامور ٥٥٦
اليؤيؤ ٥٥٧
اليحبور ٥٥٧
اليحمور ٥٥٧
اليحموم ٥٥٨
اليراعة ٥٥٨
اليربوع ٥٥٨
اليرقان ٥٥٩
اليسف ٥٥٩
اليعر ٥٦٠
اليعفور ٥٦٠
اليعقوب ٥٦٠
اليعملة ٥٦١
اليمام ٥٦١
اليهودي ٥٦٢
اليوصي ٥٦٢
اليعسوب ٥٦٣
ثبت المراجع والمصادر ٥٦٦